كتاب

الجواهر المضية

لمجدد الدعوة النجدية

شيخ الاسلام ، علم الهداة الاعلام ، الشيخ محمد عبدالوهاب

اجزل الله له الاجر والثواب ، وأدخله الجنة بغير حساب

وفيه بيان عقيدته وما دعا اليه ، ويليه بضع رسائل له في

بيان حقيقة التوحيد وكلمته والشرك الجلي والخفي

والنفاق الاعتقادي والعملي

من مطبوعات صاحب الجلالة السعودية ، ومحيي السنة المحمدية

الإمام عبد العزيز آل سعود

ملك الحجاز ونجد وملحقاتها

وهو وقف لله تعالى لا يباع ولا يشترى

الطبعة الاولى في سنة ١٣٤٩

مطبعة المنار بمصر

﴿ عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب إلى من يصل اليه من المسلمين . سلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد أخبركم اني ولله الحمد عقيدتي وديني الذي أدين الله به مذهب أهل السنة والجماعة الذي عليه أئمة المسلمين ، مثل الائمة الاربعة واتباعهم إلى يوم القيامة ، لكني بينت للناس اخلاص الدين ونهيتهم عن دعوة الانبياء والاموات من الصالحين وغيرهم ، وعن اشراكهم فيما يعبد الله به من الذبح والنذر والتوكل والسجود وغير ذلك مما هو حق الله الذي لايشركه فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل ،وهو الذي دعت اليه الرسل من أولهم إلى آخرهم ، وهو الذي عليه أهل السنة والجماعة. وأنا صاحب منصب في قريتي مسموع الكلمة فأنكر هذا بعض الرؤساء لكونه خالف عادة نشئوا عليها .

وأيضاً ألزمت من تحت يدي باقام الصلاة وإيتاء الزكاة وغير ذلك من فرائض الله . ونهيتهم عن الربا وشرب المسكر وأنواع من المنكرات، فلم يمكن الرؤساء القدح في هذا وعيبه لكونه مستحسناً عند العوام ، فجعلوا قدحهم وعداوتهم فيما آمر به من التوحيد وما نهيتهم عنه من الشرك ، ولبسوا على العوام ان هذا خلاف ماعليه الناس ، وكبرت الفتنة جداً ، وأجلبوا علينا بخيل الشيطان ورجله، فنقول:

التوحيد نوعان : توحيد الربوبية وهو ان الله سبحانه متفرد بالخلق والتدبير عن الملائكة والانبياء وغيرهم ، وهذا حق لا بد منه لكن لا يدخل الرجل في الاسلام، بل أكثر الناس مقرون به ، قال الله تعالى (قل من يرزقكم من السماء والارض أم من يملك السمع والابصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الامر؟ فسيقولون الله ، فقل أفلا تتقون) وأن الذي يدخل

الرجل في الاسلام هو توحيد الآلهية وهو أن لا يعبد إلا الله لا ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا،

وذلك أن النبي ﷺ بعث والجاهلية يعبدون أشياء مع الله ، فمنهم من يعبد الاصنام ، ومنهم من يدعو عيسى ، ومنهم من يدعو الملائكة ، فنهاهم عن هذا وأخبرهم أن الله أرسله ليوحد ولا يدعى أحد لا الملائكة ولا الانبياء ، فمن اتبعه ووحد الله فهو الذي شهد أن لا إله إلا الله ، ومن عصاه ودعا عيسى أو الملائكة واستنصرهم والتجأ اليهم فهو الذي جحد لا إله إلا الله مع اقراره انه لا يخلق ولا يرزق إلا هو .

وهذه جملة لها بسط طويل ولكن الحاصل أن هذا مجمع عليه بين العلماء

فلما جرى في هذه الامة ما أخبر به نبيها ﷺ حيث قال « لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه) وكان من قبلهم كما ذكر الله عنهم (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله) وصار ناس من الضالين يدعون أناساً من الصالحين في الشدة والرخاء مثل عبدالقادر الجيلاني واحمد البدوي وعدي بن مسافر وأمثالهم من أهل العبادة والصلاح صاح عليهم أهل العلم من جميع الطوائف أعني على الداعين

وأما الصالحون الذين يكرهون ذلك فحاشاهم، وبين أهل العلم في أمثال هذا انه هو الشرك الاكبر وعبادة الاصنام، فان الله سبحانه انما أرسل الرسل وأنزل الكتب ليعبد وحده ولا يدعى معه إله آخر

والذين يدعون مع الله آلهة أخرى مثل الشمس والقمر والصالحين والتماثيل المصورة على صورهم لم يكونوا يعتقدون أنها تنزل المطر أو تنبت النبات وانما كانوا يعبدون الملائكة والصالحين ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله . فبعث الله الرسل وأنزل الكتب تنهى عن أن يدعى أحد من دونه لا دعاء عبادة ولا دعاء استغاثة .

واعلم أن المشركين في زماننا قد زادوا على الكفار في زمن النبي ﷺ

بانهم يدعون الملائكة والاولياء والصالحين ويريدون شفاعتهم والتقرب اليهم وإلا فهم مقرون بان الامر لله، فهم لايدعونهم إلا في الرخاء ، فاذاجاءت الشدائد أخلصوا لله . قال الله تعالى (واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه فلما نجاكم إلى البر أعرضتم) الآية

واعلم ان التوحيد هو افراد الله سبحانه بالعبادة ، وهو دين الرسل الذي أرسلهم الله به إلى عباده ، فأولهم نوح عليه السلام أرسله الله إلى قومه لما غلوا في الصالحين وداً وسواع ويغوث ويعوق ونسراً. وآخرهم محمد ﷺ. وهو الذي كسر صور هؤلاء الصالحين، أرسله الله إلى أناس يتعبدون ويحجون ويتصدقون ويذكرون الله كثيراً ، ولكنهم يجعلون بعض المخلوقات وسائط بينهم وبين الله تعالى ، يقولون : نريد منهم التقرب إلى الله ، ونريد شفاعتهم عنده مثل الملائكة وعيسى ومريم وأناس غيرهم من الصالحين . فبعث الله محمدا ﷺ يجدد لهم دين أبيهم ابراهيم ، ويخبرهم ان هذا التقرب والاعتقاد محض حق الله تعالى لايصلح منه شيء لا لملك مقرب ولا لنبي مرسل ، فضلا عن غيرهما، وإلا فهؤلاء المشركون يشهدون ان الله هو الخالق وحده لاشريك له ،وانه لايخلق ولا يرزق إلا هو ولا يحيي ولا يميت إلا هو ، وان جميع السموات السبع ومن فيهن ، والارضين السبع ومن فيهن كلهم عبيده وتحت تصرفه وقهره

فاذا أردت الدليل على ان هؤلاء المشركين الذين قاتلهم رسول الله ﷺ يشهدون بهذا فاقرأ قوله تعالى(قل من يرزقكم من السماء والارض أمن يملك السمع والابصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الامر ؟ فسيقولون الله فقل أفلا تتقون) وقوله تعالى (قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون * سيقولون لله قل أفلا تذكرون* قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم * سيقولون لله قل أفلا تتقون* قل من بيده ملكوت كل

شيء وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون * سيقولون لله قل فأنى تسحرون) وغير ذلك من الآيات الدالات على تحقق انهم يقرون بهذا كله ، وانه لم يدخلهم في التوحيد الذي دعاهم اليه رسول الله ﷺ وعرفت(١) ان التوحيد الذي جحدوه وهو توحيد العبادة الذي يسميه المشركون في زماننا الاعتقاد ، كما كانوا يدعون الله سبحانه وتعالى ليلا ونهارا خوفا وطمعاً ثم منهم من يدعو الملائكة والانبياء والصالحين لاجل صلاحهم وقربهم من الله عز وجل ليشفعوا لهم ويدعو رجلا صالحا مثل اللات أو نبيا مثل عيسى - وعرفت ان رسول الله ﷺ قاتلهم على ذلك ودعاهم إلى اخلاص العبادة لله كما قال تعالى (وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا) وقال تعالى : (له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء) الآية . وعرفت أن رسول الله ﷺ قاتلهم ليكون الدين كله لله ، والدعاء كله لله ، والذبح كله لله ، والنذر كله لله ، والاستغاثة كلها بالله ، وجميع أنواع العبادات كلها لله — وعرفت أن اقرارهم بتوحيد الربوبية لم يدخلهم في الاسلام ، وان قصدهم الملائكة والانبياء والاولياء يريدون شفاعتهم والتقرب لله بذلك هو الذي أحل دماءهم وأموالهم — عرفت(٢) حينئذ التوحيد الذي دعت إليه الرسل وأبي عن الاقرار به المشركون .

وهذا التوحيد هو معنى قولك لا إله إلا الله ، فان الاله عندهم هو الذي يقصد لاجل هذه الامور سواء كان ملكا أو نبياً ، أو ولياً أو شجرة ، أو قبراً أو جنياً ، لم يريدوا أن الاله هو الخالق الرازق المدبر ، فانهم يقرون أن ذلك لله

---

(١) قوله وعرفت — لم يتقدمه مايصح عطفه عليه ولعل أصل الكلام: فاذا عرفت ان التوحيد الخ والا كان هنالك شرط عطف هذا عليه وسقط من الناسخ كان يكون: اذا عرفت ذلك

(٢) هذه الجملة جواب الشرط المذكور

وحده، كما قدمت لك، وانما يعنون بالاله مايعني المشركون في زماننا بلفظ السيد. فأتاهم النبي ﷺ يدعوهم الى كلمة التوحيد وهي لا إله الا الله. والمراد من هذه الكلمة معناها لا مجرد لفظها، والكفار الجهال يعلمون أن مراد النبي ﷺ بهذه الكلمة هو افراد الله بالتعلق والكفر بما يعبد من دونه والبراءة منه، فانه لما قال لهم قولوا: لا اله الا الله قالوا (أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب)

فاذا عرفت ان جهال الكفار يعرفون ذلك فالعجب ممن يدعي الاسلام وهو لا يعرف من معنى هذه الكلمة ماعرفه جهال الكفار، بل يظن أن ذلك هو التلفظ بحروفها من غير اعتقاد القلب بشيء من المعاني، والحاذق منهم يظن أن معناها لا يخلق ولا يرزق، ولا يحيي ولا يميت، ولا يدبر الامر الا الله. فلا خير في رجل جهالُ الكفار أعلم منه بمعنى لا اله الا الله

فاذا عرفت ماقلت لك معرفة قلب، وعرفت الشرك بالله الذي قال فيه: (ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء) الآية وعرفت دين الله الذي بعث به الرسل من أولهم الى آخرهم الذي لا يقبل الله من أحد دينا سواه، وعرفت ماأصبح غالب الناس اليوم فيه من الجهل بهذا أفادك فائدتين: الاولى الفرح بفضل الله ورحمته، قال الله تعالى (قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون) وأفادك أيضاً الخوف العظيم، فانك اذا عرفت أن الانسان يكفر بكلمة يخرجها من لسانه وقد يقولها وهو جاهل فلا يعذر بالجهل، وقد يقولها وهو يظن أنها تقربه الى الله، كما ظن المشركون خصوصاً ان ألهمك الله ماقص عن قوم موسى مع صلاحهم وعلمهم انهم أتوه قائلين (اجعل لنا الهاً كما لهم آلهة) فحينئذ يعظم خوفك وحرصك على ما يخلصك من هذا وأمثاله

واعلم أن الله سبحانه من حكمته لم يبعث نبياً بهذا التوحيد الا جعل له أعداء كما قال تعالى (وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الانس والجن يوحي

بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا) وقد يكون لاعداء التوحيد علوم كثيرة وكتب وحجج كما قال تعالى (فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم)

فاذا عرفت ذلك وعرفت أن الطريق الى الله لا بد له من أعداء قاعدين عليه، أهل فصاحة وعلم وحجج كما قال تعالى (ولا تقعدوا بكل صراط توعدون وتصدون عن سبيل الله) الآية. فالواجب عليك أن تعلم من دين الله مايصير لك سلاحا تقاتل به هؤلاء الشياطين الذين قال امامهم ومقدمهم لربك عز وجل (لأقعدن لهم صراطك المستقيم * ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين) ولكن إن أقبلت على الله وأصغيت إلى حجج الله وبيناته فلا تخف ولا تحزن (إن كيد الشيطان كان ضعيفا) والعامي من الموحدين يغلب الالف من علماء هؤلاء المشركين، كما قال تعالى (وان جندنا لهم الغالبون) فجنده هم الغالبون بالحجة واللسان، كما أنهم الغالبون بالسيف والسنان . وانما الخوف على الموحد الذي يسلك الطريق وليس معه سلاح، وقد منّ الله علينا بكتابه الذي جعله تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين . فلا يأتي صاحب باطل بحجة إلا وفي القرآن ماينقضها ويبين بطلانها كما قال تعالى (ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً) قال بعض المفسرين هذه الآية عامة في كل حجة يأتي بها أهل الباطل إلى يوم القيامة

والحاصل أن كل ماذكر عنا من الاسباب غير دعوة الناس إلى التوحيد والنهي عن الشرك فكله من البهتان، وما أعجب ماجرى من الرؤساء المخالفين فاني لما بينت لهم كلام الله وما ذكر أهل التفسير في قوله تعالى (أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب) الآية، وقوله (ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) وقوله (مانعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) وما ذكر الله من اقرار الكفار في قوله (قل من يرزقكم من السماء والارض أمن يملك السمع

والابصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الامر) الآية وغير ذلك قالوا لايجوز العمل لنا ولا لمثلنا بكلام الله ولا بكلام الرسول ولا بكلام المتقدمين ، ولا نطيع إلا ماذكره المتأخرون .

ولما قلت لهم انا أخاصم الحنفي بكلام المتأخرين من الحنفية، والمالكي والشافعي والحنبلي كل أخاصمه بكتب المتأخرين من علمائهم الذين يعتمدون عليهم ، فلما أبوا ذلك نقلت كلام العلماء من كل مذهب لأهله . وذكر كل ماقالوا بعدما صرحت الدعوة عند القبور والنذر لها فعرفوا ذلك وتحققوه فلم يزدهم إلا نفوراً

وأما التكفير فاني أكفر من عرف دين الرسول ثم بعد ماعرفه سبه ونهى الناس عنه وعادى من فعله، فهذا هو الذي أكفره، وأكثر الامة ولله الحمد ليسوا كذلك

وأما القتال فلم نقاتل أحداً إلى اليوم إلا دون النفس والحرمة ، وهم الذين أتونا في ديارنا ولا أبقوا ممكنا ، ولكن قد نقاتل بعضهم على سبيل المقابلة وجزاء سيئة سيئة مثلها . وكذلك من جاهر بسب دين الرسول بعد ماعرفه

فان تبين لكم أن هذا هو الحق الذي لاريب فيه وان الواجب اشاعته في الناس وتعليمه النساء والرجال، فرحم الله من أدى الواجب عليه ، وتاب إلى الله ، وأقر على نفسه، فان التائب من الذنب كمن لاذنب له ، ونسئل الله أن يهدينا وإياكم لما يحب ويرضى والله أعلم .

رسالة في المسائل الخمس

(الواجبة معرفتها)

وله أيضا قدس الله روحه ونور ضريحه ما نصه :

الواجب عليك ان تعرف خمس مسائل :

(الاولى) ان الله لما ارسل محمداً صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق كان أول كلمة أرسله الله بها قوله تعالى (يا ايها المدثر قم فانذر وربك فكبر) ومعنى قوله (فانذر) الانذار عن الشرك بالله. وكانوا يجعلونه دينا يتقربون به الى الله تعالى مع انهم يفعلون من الظلم والفواحش مالا يحصى، ويعلمون انه معصية . فمن فهم فهما جيداً ان الله امره بالانذار عن دينهم الذي يتقربون به الى الله قبل الانذار عن الزنى ونكاح الامهات والاخوات، وعرف الشرك الذي يفعلونه رأى العجب العجاب، خصوصا ان عرف ان شركهم دون شرك كثير من الناس اليوم لقوله تعالى (وإذا مس الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه ثم إذا خوله نعمة منه نسي ما كان يدعو اليه من قبل وجعل لله اندادا ليضل عن سبيله ، قل تمتع بكفرك قليلا انك من أصحاب النار)

(الثانية) انه لما أنذرهم عن الشرك أمرهم بالتوحيد الذي هو اخلاص الدين لله تعالى وهو معنى قوله تعالى (وربك فكبر) يعني عظمه بالاخلاص. وليس المراد تكبير الاذان وغيره فانه لم يشرع الا في المدينة

فاذا عرف الانسان ان ترك الشرك لا ينفع الا إذا لبس ثوب الاخلاص وفهم الاخلاص فهما جيداً وعرف ماعليه كثير من النـاس من ظنهم ان الاخلاص وترك دعوة الصالحين نقص لهم، كما قال النصارى: ان محمداً يشتم عيسى، لما ذكر انه عبد الله ورسوله ليس يعبد مع الله تعالى

فمن فهم هذا عرف غربة الاسلام خصوصا ان أحضر بقلبه مافعل الذين يدعون

انهم من العلماء من معاداة هذه المسئله وتكفيرهم من دان بها وجاهدهم مع عباد قبة ابي طالب وأمثالها وقبة الكواز وأمثالها، وفتواهم لهم بحل دمائنا وأموالنا لتركنا ماهم عليه . ويقولون لهم انهم ينكرون دينكم . فلا تعرف هذه والتي قبلها الا باحضارك في ذهنك ما علمت انهم فعلوا مع أهل هذه المسئلة وما فعلوا مع المشركين، فحينئذ تعرف ان دين الاسلام ليس مجرد المعرفة فان ابليس وفرعون يعرفونه، وكذلك اليهود يعرفونه كما يعرفون ابناءهم، وانما الاسلام هو العمل بذلك والحب والبغض وترك موالاة الاباء والابناء في هذا

(الثالثة) أن تحضر قلبك ان الله سبحانه لم يرسل الرسول إلا ليصدق ويتبع ولم يرسله ليكذب ويعصى. فاذا تأملت إقرار من يدعي انه من العلماء بالتوحيد وانه دين الله ورسوله، لكن من دخل فيه فهو من الخوارج الذين تحل دماؤهم واموالهم، ومن ابغضه وسبه وصد الناس عنه فهو الذي على الحق ، وكذلك اقرارهم بالشرك وقولهم : ليس عندنا قبة نعبدها بل جهادهم الجهاد المعروف مع اهل القباب وان من فارقهم حل ماله ودمه ،

فاذا عرف الانسان هذه المسئلة الثالثة كما ينبغي وعرف انه اجتمع في قلبه ولو يوما واحدا ان قلبه قبل كلامهم أن التوحيد دين الله ورسوله ولكن لا بد من بغضه وعداوته، وان ماعليه اهل القباب هوالشرك ولكن هم السواد الاعظم وهم على الحق ولا يقول انهم يفعلون الشرك، فاجتماع هذه الاضداد في القلب مع انها ابلغ من الجنون فهي من أعظم قدرة الله تعالى وهي من أعظم ما يعرفك بالله وبنفسك، ومن عرف نفسه وعرف ربه تم امره . فكيف اذا علمت ان هذين الضدين اجتمعا في قلب صالح وحيوان وأمثالهما اكثر من عشرين سنة

(الرابعة) انك تعلم ان الله أنزل على رسوله (ولقد أوحي اليك والى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين) مع انهم راودوه

على قول كلمة او فعل مرة واحدة ، ووعدوه ان ذلك يقودهم إلى الاسلام

اذا عرفت ان أعظم أهل الاخلاص وأكثرهم حسنات لو قال كلمة الشرك مع كراهيته لها ليقود غيره بها إلى الاسلام حبط عمله وصار من الخاسرين، فكيف بمن أظهر انه منهم وتكلم بمائه كلمة لاجل تجارة او لاجل أن يحج لما منع الموحدين من الحج كما منعوا النبي ﷺ وأصحابه حتى فتح الله مكة

فمن فهم هذا فهما جيداً انفتح له معرفة قدر التوحيد عند الله عز وجل وقدر الشرك ، ولكن ان عرفت هذه بعد أربع سنين نعمى لك أعني المعرفة التامة كما تعرف ان قطرة من البول تنقض الوضوء الكامل إذا خرجت ولو بغير اختياره

(الخامسة) ان الرسول ﷺ فرض الايمان بما جاء به كله لا تفريق فيه ، فمن آمن ببعض وكفر ببعض فهو كافر حقا ، بل لا بد من الايمان بالكتاب كله، فاذا عرفت ان من الناس من يصلي ويصوم ويترك كثيراً من المحرمات لكن لا يورثون المرأة ويزعمون ان ذلك هو الذي ينبغي اتباعه بل لو ورثها أحد عندهم وخالف عادتهم لانكرت قلوبهم ذلك ، او ينكر عدة المرأة في بيت زوجها مع علمه بقول الله تعالى (ولا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة) ويزعم ان تركها في بيت زوجها لا يصلح ، وان اخراجها منه هو الذي ينبغي فعله، او أنكر التحية بالسلام مع معرفته أن الله شرعها حبا لتحية الجاهلية لما ألفها، فهذا يكفر لانه آمن ببعض، وكفر ببعض، بخلاف من فعل المعصية او ترك الفرض مثل فعل الزنى وترك بر الوالدين مع اعترافه انه مخطيء وان أمر الله هو الصواب(١)

واعلم أني مثلت لك بهذه الثلاث لتحذو عليها فان عند الناس من هذا

(١) يعني أن الكفر في استقباح شرع الله وتفضيل العادات المحرمة عليه لا مجرد فعل المحرم مع اعتقاد فاعله انه مذنب وأن فعله قبيح

كثير يخالف ماحدّ الله في القرآن، وصار المعروف عندهم ماألفوه عند أهلهم، ولو يفعل أحد ماذكر الله ويترك العادة لأنكروا عليه واستسفهوه، بخلاف من يفعل او يترك مع اعترافه بالخطأ، وإيمانه بما ذكر الله،

واعلم ان هـذه المسئلة الخامسة من أشد ماعلى الناس خطراً في وقتنا بسبب غربة الاسلام والله أعلم

رسالة في النفاق بقسميه وصفات المنافقين

قال : أسكنه الله الفردوس الاعلى :

اعلم رحمك الله ان الله تعالى منذ بعث محمداً ﷺ وأعزه بالهجرة والنصر صار الناس ثلاثة أقسام: قسم مؤمنون وهم الذين آمنوا به ظاهراً وباطنا، وقسم كفار وهم الذين أظهروا الكفر به، وقسم منافقون وهم الذين آمنوا به ظاهرا لاباطنا. ولهذا افتتح الله سورة البقرة باربع آيات في صفة المؤمنين، وآيتين في صفة الكافرين، وثلاث عشرة في صفة المنافقين،

وكل واحد من الايمان والكفر والنفاق له دعائم وشعب كما دل عليه الكتاب والسنة، وكما فسره علي بن أبي طالب رضي الله عنه في الحديث المأثور عنه،

فمن النفاق ماهو نفاق أكبر ويكون صاحبه في الدرك الاسفل من النار كنفاق عبدالله بن أبيّ وغيره، مثل ان يظهر تكذيب الرسول او جحود بعض ماجاء به او بغضه او عدم اعتقاد وجوب اتباعه، او المسرة بانخفاض دينه، او المساءة بظهور دينه، ونحو ذلك مما لايكون صاحبه إلا عدواً لله ورسوله، وهذا القدر موجود في زمن الرسول ﷺ. ومازال بعده أكثر من عهده لكون موجبات الايمان على عهده أقوى، فاذا كانت مع قوتها والنفاق موجود فوجوده فيمادون ذلك أولى به، وهذا ضرب النفاق الاكبر والعياذ بالله

وأما النفاق الاصغر فهو نفاق الاعمال ونحوها، مثل ان يكذب إذا حدث ويخلف إذا وعد، او يخون اذا ائتمن. للحديث المشهور عنه ﷺ قال « آية المنافق ثلاث : اذا حدث كذب ، واذا وعد أخلف ، واذا ائتمن خان ، وان صلى وصام وزعم انه مسلم»

ومن هذا الباب الاعراض عن الجهاد، فانه من خصال المنافقين لقوله ﷺ «من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق» رواه مسلم.

وقد أنزل الله سورة براءة التي تسمى الفاضحة لانها فضحت المنافقين كما قاله ابن عباس رضي الله عنه قال» هي الفاضحة، مازالت تنزل (ومنهم ،ومنهم) حتى ظنوا ان لايبقى أحد الا ذكر فيها » وعن المقداد بن الاسود قال : هي سورة البحوث لانها بحثت عن سرائر المنافقين. وقال قتادة: هي المثيرة لانها أثارت مخازي المنافقين . وهذه السورة نزلت في آخر مغازي رسول الله ﷺ يوم غزوة تبوك ، وقد أعز الله الاسلام وأظهره فكشف فيها عن أحوال المنافقين ، ووصفهم فيها بالجبن والبخل. فأما الجبن فهو ترك الجهاد ، واما البخل فهو عن النفقة في سبيل الله

وقال تعالى (ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم) الآية . وقال (ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال او متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله) الآية

فاما وصفهم فيها بالجبن والفزع فقد قال تعالى (ويحلفون بالله انهم لمنكم وماهم منكم ولكنهم قوم يفرقون * لو يجدون ملجأ) يلجئون اليه مثل المعاقل والحصون (او مغارات) يغورون فيها كما يغور الماء (أو مدخلا) وهو الذي يتكلف الدخول اليه ولو بكلفة ومشقة (لولوا اليه) عن الجهاد (وهم يجمحون) أي يسرعون اسراعا لا يردهم شيء كالفرس الجموح الذي اذا حمل لم يرده اللجام . وقد قال تعالى (انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم

وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون) فحصر المؤمنين فيمن آمن وجاهد. وقال تعالى (لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر) الآيتين. فهذا اخبار من الله ان المؤمن لا يستأذن في ترك الجهاد وانما يستأذن الذين لا يؤمنون بالله، فكيف بالتارك من غير استئذان؟

وقال في وصفهم بالشح (وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم - الى قوله - ولا ينفقون الا وهم كارهون) فاذا كان هذا ذم الله تبارك وتعالى لمن أنفق وهو كاره، فكيف بمن ترك النفقة رأسا.

وقد أخبر ان المنافقين لما قربوا من المدينة تارة يقولون للمؤمنين: هذا الذي جرى علينا بشؤمكم، فانتم الذين دعوتم الناس الى هذا الدين وقاتلتم عليه وخالفتموهم. وتارة يقولون: أنتم الذين اشرتم علينا بالمقام هنا والا لو كنا قد سافرنا ما اصابنا هذا. وتارة يقولون: انتم مع قلتكم وضعفكم تريدون أن تكسروا العدو وقد غركم دينكم. وتارة يقولون: انتم مجانين لا عقل لكم تريدون أن تهلكوا أنفسكم وتهلكوا الناس معكم. وتارة يقولون أنواعا من الكلام المؤذي، فاخبر الله عنهم بقوله عز وجل (يحسبون الاحزاب لم يذهبوا وان يأت الاحزاب يودوا لو انهم بادون في الاعراب يسألون عن انبائكم ولو كانوا فيكم ما قاتلوا إلا قليلا) فوصفهم تبارك وتعالى بثلاثة أوصاف:

الاول انهم لخوفهم يحسبون الاحزاب لم ينصرفوا عن البلد وهذا حال الجبان الذي في قلبه مرض، فان قلبه يبادر الى تصديق الخبر المخوف وتكذيب خبر الامن. الوصف الثاني: ان الاحزاب اذا جاؤا تمنوا ان لا يكونوا بينكم بل في البادية بين الاعراب يسألون عن انبائكم: ايش خبر المدينة؟ وايش خبر الناس؟ الوصف الثالث: ان الاحزاب اذا اتوا وهم فيكم لم يقاتلوا الا قليلا.

وهذه الصفات الثلاث منطبقة على كثير من الناس.

رسالة في كلمة لا إله إلا الله

بين فيها حقيقة التوحيد ومعناه ، وكونه لا ينجي من النار سواه

وله في معنى لا إله إلا الله ما نصه :

قال رحمه الله تعالى ، هذه كلمات في بيان شهادة أن لا إله إلا الله ، وبيان التوحيد الذي هو حق الله على العبيد ، وهو افرض من الصلاة والزكاة وصوم رمضان ،

فرحم الله امرأ نصح نفسه وعرف أن وراءه جنة ونارا ، وان الله عز وجل جعل لكل منهما اعمالا . فان سأل عن ذلك وجد رأس اعمال أهل الجنة توحيد الله تعالى . فمن أتى به يوم القيامة فهو من أهل الجنة قطعا ولو كان عليه من الذنوب مثل الجبال ، ورأس اعمال أهل النار الشرك بالله. فمن مات على ذلك ، فلو أتى يوم القيامة بعبادة الله الليل والنهار والصدقة والاحسان فهو من أهل النار قطعاً ، كالنصارى الذين يبني أحدهم صومعة في البرية ويزهد في الدنيا ويتعبد الليل والنهار لكنه خلط ذلك بالشرك بالله ـ تعالى الله عن ذلك

قال الله عز وجل (وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً) وقال تعالى (مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شيء) الآية .

فرحم الله امرءاً تنبه لهذا الامر العظيم قبل ان يعض الظالم على يديه ويقول ياليتني اتخذت مع الرسول سبيلا .

نسأل الله ان يهدينا واخواننا المسلمين إلى الصراط المستقيم ، صراط الذين انعم عليهم ، وان يجنبنا طريق المغضوب عليهم ، وهم العلماء الذين علموا ولم يعملوا ، وطريق الضالين وهم العباد الجهال

فما اعظم هذا الدعاء وما احوج من دعا به ان يخلص قلبه في كل ركعة

إذا قرأ بها بين يدي الله تعالى ان يهديه وان ينجيه فان الله قد ذكر أنه يستجيب هذا الدعاء الذي في الفاتحة إذا دعا به الانسان من قلب حاضر

(فنقول) لا إله إلا الله هي العروة الوثقى، وهي كلمة التقوى، وهي الحنيفية ملة ابراهيم وهي التي جعلها الله عز وجل كلمة باقية في عقبه، وهي التي خلقت لاجلها المخلوقات، وبها قامت الارض والسموات، ولاجلها أرسلت الرسل وانزلت الكتب، قال الله تعالى (وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون) وقال تعالى (ولقد بعثنا في كل امة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) والمراد معنى هذه الكلمة، واما التلفظ باللسان مع الجهل بمعناها فلا ينفع، فان المنافقين يقولونها وهم تحت الكفار في الدرك الاسفل من النار.

(فاعلم) أن معنى هذه الكلمة نفي الالهية عما سوى الله تبارك وتعالى، واثباتها كلها لله وحده لا شريك له، ليس فيها حق لغيره لا لملك مقرب ولا لنبي مرسل كما قال تعالى (إن كل من في السموات والارض إلا آتي الرحمن عبداً * لقد احصاهم وعدهم عداً * وكلهم آتيه يوم القيامة فرداً) وقال تعالى (يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا) وقال تعالى (يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها) الآية

فاذا قيل: لا خالق إلا الله فهذا معروف لا يشاركه في ذلك ملك مقرب ولا نبي مرسل، وإذا قيل لا يرزق إلا الله فكذلك، فاذا قيل لا إله إلا الله فكذلك

فتفكر رحمك الله واسأل عن معنى لا إله إلا الله كما تسأل عن معنى الخالق والرازق

فاعلم ان الاله هو المعبود. هذا هو تفسير هذه اللفظة باجماع أهل العلم، فمن عبد شيئا فقد اتخذه إلها من دون الله، وجميع ذلك باطل، إلا إله واحد وهو الله وحده تبارك وتعالى علوا كبيراً

والعبادة أنواع كثيرة لكني أمثلها بانواع كثيرة لا تنكر: من ذلك السجود

فلا يجوز لعبد ان يضع وجهه على الارض ساجداً إلا لله وحده لاشريك له ، لا لملك مقرب، ولا لنبي مرسل ولا لولي. ومن ذلك الذبح فلا يجوز لاحد ان يذبح إلا لله وحده كما قرن الله بينهما في القرآن في قوله تعالى (قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له) والنسك هو الذبح وقال (فصل لربك وانحر) فتفطن لهذا

واعلم أن من ذبح لغير الله من جني أو قبر فهو كما لو سجد له . وقد لعنه رسول الله ﷺ في الحديث الصحيح قال « لعن الله من ذبح لغير الله »

ومن أنواع العبادة الدعاء كما كان المؤمنون يدعون الله ليلا ونهاراً في الشدة والرخاء وحده ، لايشك أحد ان هذا من أنواع العبادة (١)

فتفكر رحمك الله أنه فيما حدث في الناس اليوم من دعاء غير الله في الشدة والرخاء، هذا يريد سفراً فيأتي عند قبر أو غيره فيدخل عليه بماله عمن ينهبه . وهذا تلحقه الشدة في البر أو البحر فيستغيث بعبد القادر أو السمان أو بنبي من الانبياء أو ولي من الاولياء ، أن ينجيه من هذه الشدة .

فيقال لهذا الجاهل: إن كنت تعرف أن الاله هو المعبود وتعرف أن الدعاء من العبادة فكيف تدعو مخلوقا ميتاً عاجزاً وتترك الحي القيوم الرءوف الرحيم القدير؟ فيقول هذا المشرك : ان الامر بيد الله ولكن هذا العبد الصالح يشفع لي عند الله وتنفعني شفاعته وجاهه، ويظن أن ذلك يسلمه من الشرك .

---

(١) وهو أعلى الانواع وأدلها على الايمان الصحيح والتوحيد الخالص ، فالسجود انما كان عبادة بحكم الشرع، وقد كان عادة في التحية من قبل، ومنه سجود يعقوب واولاده لولده يوسف عليهم السلام. واما الدعاء فهو ركن العبادة الاعظم بمقتضى الفطرة وفي دين الله على ألسنة جميع الامم ، ولذلك قال (ص) « الدعاء هو العبادة » رواه أحمد والبخاري في الادب المفرد وأصحاب السنن الاربعة وغيرهم من حديث النعمان بن بشير وأبو يعلى من حديث البراء وفي معناه « الدعاء مخ العبادة » رواه الترمذي من حديث أنس

فيقال لهذا الجاهل: المشركون عباد الاصنام الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وغنم أموالهم وأبناءهم ونساءهم كلهم يعتقدون أن الله هو النافع الضار الذي يدبر الامر وانما أرادوا ما أردت من الشفاعة عند الله، كما قال تعالى (ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) وقوله (والذين اتخذوا من دونه أولياء مانعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) وإلا فهم يعترفون بان الله هو الخالق الرازق النافع الضار كما أخبر عنهم بقوله (قل من يرزقكم من السماء والارض أمن يملك السمع والابصار؟ ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي؟ ومن يدبر الامر؟ فسيقولون الله. فقل أفلا تتقون)

فليتدبر اللبيب العاقل الناصح لنفسه الذي يعرف أن بعد الموت جنة وناراً ـ هذا الموضع، ويعرف الشرك بالله الذي قال الله فيه (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء) الآية وقال (إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار) فما بعد هذا البيان بيان، اذا كان الله عز وجل قد حكى عن الكفار أنهم يقرون أنه هو الخالق الرازق، والمحيي المميت الذي يدبر الامر، وانما أرادوا من الذين يعتقدون فيهم ـ التقرب والشفاعة عند الله تعالى (فكم من) آية في القرآن ذكر الله فيها هذا كقوله تعالى (قل لمن الارض ومن فيها إن كنتم تعلمون * سيقولون لله — الى قوله — فأنى تسحرون) وكقوله (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله) (ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الارض بعد موتها ليقولن الله) وغير ذلك من الآيات التي أخبر الله بها عنهم انهم أقروا بهذا لله وحده، وانهم ماأرادوا من الذين يعتقدون فيهم إلا الشفاعة لا غير ذلك.

فان احتج بعض المشركين ان اولئك يعتقدون في اصنام من حجارة وخشب، ونحن نعتقد في الصالحين. قيل له والكفار أيضا منهم من يعتقد في الصالحين مثل

الملائكة وعيسى بن مريم . وفي الاولياء مثل العزير واللات ، وناس من الجن . وقد ذكر الله عز وجل في كتابه مايدل على هذا فقال في الذين يعتقدون في الملائكة ليشفعوا لهم (ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون* قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون) وقال (ولا يشفعون الا لمن ارتضى) وقال فيمن اعتقد في عيسى (يأهل الكتاب لاتغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه) وقال (أتعبدون من دون الله مالا يملك لكم ضراً ولا نفعا والله هو السميع العليم) فاذا كان عيسى بن مريم وهو من أفضل الرسل قيل فيه هذا فكيف بعبد القادر أو غيره إذ يقال فيه انه يملك ضراً أو نفعاً؟

وقال في حق الاولياء (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا * اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب* ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا) قال طائفة من السلف: كان أقوام يدعون الملائكة وعزيرا والمسيح فقال الله :هؤلاء عبيدي كما أنتم عبيدي ، يرجون رحمتي كما ترجون أنتم رحمتي، ويخافون عذابي كما تخافون عذابي

فرحم الله امرأ تفكر في هذه الآية العظيمة وفيما نزلت فيه، وتفكر ان الذين اعتقدوا فيهم إنما أرادوا التقرب إلى الله والشفاعة عنده بهم. وهذا كله يدور على كلمتين

الاولى أن تعرف ان الكفار يعرفون ان الله سبحانه هو الخالق الرازق الذي يدبر الامر وحده ، وانما أرادوا التقرب بهؤلاء إلى الله تعالى

والثانية ان تعرف ان منهم أناساً يعتقدون في أناس من الانبياء والصالحين مثل عيسى والعزير والاولياء، فصاروا هم والذين يعتقدون في الاصنام من الحجر والشجر واحداً ، فلما جاءهم رسول الله ﷺ لم يفرق بين الذين يعتقدون في الاوثان من الخشب والحجر . والذين يعتقدون في الانبياء والصالحين

إذا تبين هذا لك عرفت دين الله .

ولو قال المشرك بعد ذلك : هذا بين نعرفه في أول الامر ولا نخاف منه.
قيل: ان كان أصحاب رسول الله ﷺ لم يعرفوا هذا إلا بعد التعلم، ومن أنواع الشرك أشياء ماعرفوها إلا بعد سنين، فان عرفت هذا بلاتعلم فأنت أعلم منهم ، بل الانبياء لم يعرفوا هذا إلا بعد أن علمهم الله تعالى، قال الله تعالى لأعلم الخلق محمد ﷺ (فاعلم انه لا إله الا الله) وقال تعالى (ولقد أوحي اليك والى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين * بل الله فاعبد وكن من الشاكرين)

فاذا كان هذا حال نبينا وحال الخليل ابراهيم عليه السلام إذ يوصي بها أولاده وهم أنبياء . قال الله تعالى (ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب : يابني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون) وقال تعالى (وقال لقمان لابنه وهو يعظه يابني لاتشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم) فاذا كان هذا الامر لايخاف على المسلمين منه فما بال الخليل يخاف على نفسه وعلى بنيه وهم أنبياء حيث قال (رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبني وبني أن نعبد الاصنام)؟ مابال العليم الحكيم لما أنزل كتابه ليخرج الناس من الظلمات الى النور جعله في هذا الامر، وأكثر الكلام فيه وبينه، وضرب فيه الامثال، وحذر منه وأبدى وأعاد ؟ فاذا كان الناس يفهمونه بلاتعلم، ولا يخاف عليهم منه فما بال رب العالمين جعل أكثر كتابه فيه ؟ فسبحان من طبع على قلب من شاء من خلقه فأصمهم وأعمى أبصارهم

وأنت يامن منّ الله عليه بالاسلام وعرف معنى لاإله إلا الله لاتظن أنك اذا قلت : هذا هو الحق وتارك ماسواه (١) لكن لاأتعرض لهم ولا أقول فيهم شيئاً، لاتظن أنك غير عاص ربك ، بل لابد من بغضهم وبغض من يحبهم ومسبتهم

«١» كذا في الاصل ويظهر انه سقط من هنا شيء

ومعاداتهم كما قال أبوك ابراهيم والذين معه لقومهم (إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده) وقال تعالى (فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى) الآية، وقال تعالى (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت)

ولو قال رجل أنا أتبع النبي ﷺ وهو على الحق لكن لا أتعرض للات والعزى ولا أتعرض لابي جهل وأمثاله، ماعلي منهم؟ لم يصح اسلامه

وأما مجادلة بعض المشركين بان هؤلاء الطواغيت ماأمروا الناس بهذا ولا رضوا به، فهذا لايقوله إلا مشرك مكابر، فان هؤلاء ماأكلوا أموال الناس بالباطل ولا ترأسوا عليهم، ولا قربوا ما قربوا إلا بهذا، واذا رأوا رجلا موحداً منكراً لهذا الشرك سبوه وآذوه. واذا رأوا مشركا كافراً تابعاً للشيطان قربوه وأحبوه وزوجوه بناتهم وعدوا ذلك شرفا.

وهذا القائل يعلم أن قوله ذلك كذب فانه لو يحضر عندهم ويسمع بعض المشركين يقول: جاءتني شدة فجئت الشيخ فلان أو السيد فلان فنذرت له فخاصني، لم يجز أن يقول هذا القائل لايضر ولاينفع إلا الله، بل لو قال هذا وأشاعه في الناس لأبغضه الطواغيت بل لو قدروا على قتله لقتلوه، وبالجملة لايقول هذا إلا مشرك مكابر، وإلا فدعواهم هذه وتخويفهم الناس وذكرهم السوالف الكفرية التي اشتهرت عن آبائهم مشهور لاينكره من عرف حالهم كما قال تعالى (شاهدين على أنفسهم بالكفر)

*
* *

ولنختم الكتاب بذكر آية من كتاب الله فيها عبرة لمن اعتبر. قال تعالى في حق الكفار (واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا اياه) فذكر عن الكفار أنهم اذا جاءتهم الشدة تركوا غيره وأخلصوا له الدين، وأهل زماننا اذا جاءتهم الشدة والضر التجؤا إلى غير الله سبحانه وتعالى عن ذلك. فرحم الله من تفكر في هذه الآية وغيرها من الآيات

وأما من منّ الله عليه بالمعرفة فليحمد الله تعالى وإن أشكل عليه شيء فليسأل أهل العلم عما قال الله ورسوله ولا يبادر بالانكار لأنه ان رد على الله . قال الله تعالى (ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها انا من المجرمين منتقمون)

***

اعلم رحمك الله أن أشياء من أنواع الشرك الاكبر وقع فيها بعض المصنفين على جهالة لم يفطن لها من ذلك قوله في البردة :

يا أكرم الخلق مالي من ألوذ به سواك عند حلول الحادث العمم

وفي الهمزية من جنس هذا وغيره أشياء كثيرة ، وهذا من الدعاء الذي هو العبادة التي لاتصلح إلا لله وحده ،

وإن جادلك بعض المشركين بجلالة هذا القائل وعلمه وصلاحه وقال بجهله كيف هذا ؟ فقل له : أعلم منه وأجل أصحاب موسى الذين اختارهم الله وفضلهم على العالمين وقد قالوا (ياموسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة) فاذا خفي هذا على بني اسرائيل مع جلالتهم وفضلهم فما ظنك بغيرهم(١) وقل لهذا الجاهل:

(١) فيه ان بنى اسرائيل الذين قالوا هذا القول لم يكونوا أصحاب جلالة وفضل ولا علم بالدين ولا كانت التوراة نزلت عليهم وانما كانوا مشركين انقذهم موسى عليه السلام من ظلم فرعون وقومه ليتخذ منهم شعبا يعبد الله وحده ويقيم دينه، وقد أجابهم موسى عليه السلام بقوله (إنكم قوم تجهلون) وقد اتخذوا العجل بعد ذلك وعبدوه . وفي القرآن وكذا في التوراة من ذم قوم موسى وتمردهم وعنتهم وايذائهم له في عهد التشريع العجب العجاب ، واما تفضيل بنى اسرائيل على العالمين في زمانهم فالمراد به جملتهم بما كان فيهم من الانبياء والصالحين من قبل موسى الى عهد عيسى عليهم السلام (ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون) =

صلح من الجميع وأعلم أصحاب محمد (١) لما مروا بشجرة فقالوا: يا رسول الله اجعل لنا ذات انواط كما لهم ذات انواط ، فحلف رسول الله ﷺ أن هذا كما قال بنو اسرائيل لموسى (اجعل لنا إلها كما لهم آلهة)

في هذا عبرتان عظيمتان

(الاولى) ان النبي ﷺ صرح أن من اعتقد في شجرة أو تبرك بها انه متخذها إلها ، والا فأصحاب رسول الله ﷺ يعرفون انها لا تخلق ولا ترزق ، وانما ظنوا ان النبي ﷺ اذا امرهم بالتبرك بها صار فيها بركة

(والعبرة الثانية) ان الشرك قد يقع ممن هو أعلم الناس وأصلحهم وهو لا يدري كما قال رسول الله ﷺ « الشرك اخفى من دبيب النمل » بخلاف قول الجاهل: هذا بين نعرفه .

فاذا اشكل عليك من هذا شيء وأردت بيانه من كلام أهل العلم وإنكار جنس الشرك الذي حرمه الله فهو موجود والبحث عن كلام العلماء في هذا ، ان اردت من الحنابلة ، وان اردت من غيرهم . والله اعلم

---

(١) كان ينبغي أن يقال بعض أصحاب محمد «ص» من أهل مكة فان الذين قالوا هذا ليسوا أعلمهم كالخلفاء والعبادلة مثلا وانما هم الطلقاء الذين كانوا حديثي عهد بالشرك ، بل كان بعضهم لا يزال على شركه كما ظهر في غزوة حنين فتنبه .

وكتبه محمد رشيد

رسالة أخرى في الشهادتين

(وبعثة محمد ﷺ ودلائل رسالته)

قال ـ صب الله عليه من شآبيب بره ورحمته ووالى :

هذه كلمات في معرفة شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وقد غلط أهل زماننا فيها ، وأثبتوا لفظها دون معانيها ، وقد يأتون بأدلة على ذلك تلتبس على الجاهل المسكين ، ومن ليس له معرفة في الدين ، وذلك يفضي إلى أعظم المهالك.

فمن ذلك قوله ﷺ « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم » الحديث . وكذا قوله ﷺ لما سئل عن شفاعته. من أحق بها يوم القيامة ؟ قال «من قال لا إله الا الله خالصا من قلبه» وقوله ﷺ « من كان آخر كلامه لا إله الا الله دخل الجنة» وكذلك حديث عتبان بن مالك « فان الله حرم على النار من قال لا إله الا الله يبتغي بذلك وجه الله »

وهذه الاحاديث الصحيحة اذا رآها هذا الجاهل أو بعضها أو سمعها من غيره طابت نفسه ، وقرت عينه ، واستنقذه المساعد على ذلك ، وليس الامر كما يظنه هذا الجاهل المشرك ، فلو انه دعا غير الله أو ذبح له أو حلف به أو نذر له لم ير ذلك شركا ولا محرما ولا مكروها. فاذا أنكر عليه أحد : ن ماينافي التوحيد لله والعمل بما أمر الله اشمأز ونفر وعارض بقوله: قال رسول الله وقال رسول الله ، وهذا لم يدر حقيقة الحال ، فلو كان الامر كما قال لما قال الصديق رضي الله عنه في أهل الردة «والله لو منعوني عناقا ـ أو قال عقالا ـ كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه» أفيظن هذا الجاهل أنهم لم يقولوا لا إله الا الله؟ وما يصنع هذا الجاهل بقول رسول الله ﷺ في الخوارج « أينما لقيتموهم فاقتلوهم، فان في قتلهم أجراً لمن قتلهم، فانهم شر قتيل

تحت أديم السماء »؟ أفيظن هذا الجاهل ان الخوارج الذين قال فيهم رسول الله ﷺ هذا انهم لم يقولوا لا إله الا الله وقال ﷺ « في هذه الامة - ولم يقل منها - قوم يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم وقراءته مع قراءتهم يقرؤن القرآن لايجاوز حناجرهم » (١) وكذلك أهل حلقة الذكر لما رآهم أبو موسى في المسجد في كل حلقة رجل يقول: سبحوا مائة ، هللوا مائة . الحديث فلما انكر عليهم عبد الله بن مسعود صاحب رسول الله ﷺ قالوا والله ما أردنا الا الخير. قال: كم من مريد للخير لم يصبه(٢) ان رسول الله ﷺ حدثنا « ان قوما يقرؤن القرآن لايجاوز حلوقهم » أو قال « تراقيهم » وايم الله لا أدري ان يكون أكثرهم الا منكم، قال عمرو بن سلمة: فما كان الا قليل حتى رأوا أولئك يطاعنون أصحاب رسول الله ﷺ يوم النهروان مع الخوارج. أفيظن هذا الجاهل المشرك انهم يتركون ذلك لكونهم يسبحون ويهللون ويكبرون

وكذلك المنافقون على عصر رسول الله ﷺ يجاهدون في سبيل الله باموالهم وأنفسهم ويصلون مع رسول الله ﷺ الصلوات الخمس ويحجون معه، قال الله تعالى (ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار) أفيظن هذا الجاهل انهم لم يقولوا لا اله الا الله؟ وكذلك قاتل النفس بغير حق يقتل . أفيظن هذا الجاهل انه لم يقل لا اله الا الله؟ وانه لم يقلها خالصا من قلبه ؟ فسبحان من طبع على قلب من شاء من عباده وأخفى عليه الصواب ، وأسلكه مسلك البهائم والدواب ، (أولئك كالانعام بل هم أضل) حتى قال هؤلاء الجهلة ممن ينتسب

---

(١) فيه ان الخليفة الرابع رضى الله عنه قاتلهم ببغيهم ولم يحكم بكفرهم وكانوا متأولين كما قال شيخ الاسلام ابن تيمية في عدة مواضع

(٢) انكر ابن مسعود (رض) ذلك على قائله لأنه بدعة كما بينه الشاطبي في الاعتصام وغيره

إلى العلم والفقه قبلتنا من أمها لا يكفر (١)

فلا إله إلا الله نفي واثبات الآلهية كلها لله فمن قصد شيئا من قبر أو شجر أو نجم أو ملك مقرب أو نبي مرسل لجلب نفع وكشف ضر فقد اتخذه إلها من دون الله فكذب بلا اله الا الله يستتاب فان تاب والا قتل

فان قال هذا المشرك: لم أقصد إلا التبرك، وأني لاعلم ان الله هو الذي ينفع ويضر. فقل له: ان بني اسرائيل ما أرادوا إلا ما أردت كما أخبر الله عنهم أنهم لما جاوزوا البحر أتوا على قوم يعكفون على اصنام لهم قالوا ياموسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة فاجابهم بقوله (انكم قوم تجهلون) الآيتين. وحديث أبي واقد الليثي قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها اسلحتهم يقال لها ذات انواط، فمررنا بسدرة، فقلنا يارسول الله اجعل لنا ذات انواط كما لهم ذات انواط، فقال رسول الله ﷺ «الله أكبر إنها السنن(٢) قلتم والذي نفسي بيده كما قال بنو اسرائيل لموسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة، لتركبن سنن من كان قبلكم»

وقال تعالى (افرأيتم اللات والعزى) وفي الصحيح عن ابن عباس وغيره أنه رجل صالح كان يلت السويق للحاج فمات فعكفوا على قبره

فيرجع هذا المشرك ويقول هذا الشجر والحجر، وانا أعتقد في اناس

(١) يعني الشيخ رحمه الله ان هؤلاء الجهلة لم يفهموا قول أهل السنة انهم لايكفرون احدا من اهل القبلة وانهم يعنون به عدم التكفير بالذنب لابالشرك والكفر الذي لا يحتمل التأويل. والتأويل الذي يمنع تكفير الشخص المعين انما يمنعه مادام محتملا فاذا قامت عليه الحجة وذهب احتمال التأويل ظهر أنه مرتد ليس له عذر

(٢) الضمير هنا ضمير القصة والشأن، والسنن سنن الله في الامم وهي قواعد الاجتماع والاحوال التي يستن فيها بعض الناس بما كان عليه غيرهم

صالحين انبياء واولياء أريد منهم الشفاعة عند الله كما يشفع ذو الحاجة عند الملوك، وأريد منهم القربة إلى الله، فقل له : هذا مذهب الكفار بعينه كما أخبر سبحانه بقوله (والذين اتخذوا من دونه اولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) وقوله (ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا)

وقد ذكر أناسا يعبدون المسيح وعزيراً فقال الله هؤلاء عبيدي يرجون رحمتي كما ترجون، ويخافون عذابي كما تخافون وأنزل الله سبحانه (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا)الآيتين وقال تعالى(ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون؟)الآيتين.

والقرآن بل والكتب السماوية من أولها إلى آخرها مصرحة ببطلان هذا الشرك وكفر أهله،وانهم اعداء الله ورسوله، وانهم اولياء الشيطان،وأنه سبحانه لايغفر لهم ولا يقبل عملهم، كما قال تعالى (ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) وقال تعالى (وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءاً منثوراً) وقال تعالى (فلا تجعلوا لله انداداً وانتم تعلمون) قال ابن مسعود وابن عباس : لا تجعلوا له اكفاء من الرجال تطيعونهم في معصية الله. وقال رجل للنبي ﷺ ماشاء الله وشئت فقال« اجعلتني لله ندا؟ قل ماشاء لله وحده» وقال ﷺ لاصحابه « اخوف ما اخاف عليكم الشرك الاصغر» فسئل عنه فقال « الرياء »

وبالجملة فاكثر أهل الارض مفتونون بعبادة الاصنام والاوثان،ولم يتخلص من ذلك إلا الحنفاء اتباع ملة ابراهيم عليه السلام . وعبادتها في الارض من قبل قوم نوح كما ذكر الله وهي كلها ووقوفها وسدانتها وحجابتها والكتب المصنفة في شرائع عبادتها طبقت الارض قال إمام الحنفاء (واجنبني وبني أن نعبد الاصنام) كما قص الله ذلك عنهم في القرآن وأنجى الرسل وأتباعهم من الموحدين .

وكفى في معرفة كثرتهم وانهم أكثر أهل الارض ما صح عن النبي ﷺ أن

بعث النار من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون قال الله تعالى (فأبى أكثر الناس الا كفوراً) وقال (وإن تطع أكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله)وقال (وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين)

***

ولما أراد سبحانه إظهار توحيده ، وإكمال دينه، وأن تكون كلمته هي العليا ، وكلمة الذين كفروا هي السفلى ، بعث محمداً خاتم النبيين، وحبيب رب العالمين ، وما زال في كل جيل مشهوراً ،وفي توراة موسى وانجيل عيسى مذكورا ، الى أن أخرج الله تلك الدرة، بين بني كنانة وبني زهرة، فأرسله على حين فترة من الرسل، وهداه إلى أقوم السبل ، فكان له ﷺ من الآيات الدالة على نبوته قبل مبعثه مايعجز أهل عصرها . فمن ذلك قوله ﷺ « أنا دعوة أبي ابراهيم وبشارة عيسى ورؤيا أمي التي رأت حين وضعتني انه خرج منها نور أضاءت له بصرى من أرض الشام » وولد ﷺ ليلة الاثنين الثاني عشر من ربيع الاول عام الفيل، وانشق ايوان كسرى ليلة مولده حتى سمع انشقاقه وسقط أربعة عشر شرفة(١) وهو باق إلى اليوم آية من آيات الله، وخمدت نار فارس ولم تخمد قبل ذلك، وغاضت بحيرة ساوة ، وكانت بحيرة عظيمة في مملكة العراق عراق العجم وهمدان تسير فيها السفن وهي أكثر من ستة فراسخ فأصبحت ليلة مولده يابسة ناشفة كأن لم يكن بها ماء ،واستمرت على ذلك حتى بني مكانها مدينة ساوة وهي باقية الى اليوم، وأرسلت الشهب على الشياطين كما أخبر الله بقوله (وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع) الآية. وأنبته الله نباتا حسنا وكان أفضل قومه مروءة وأحسنهم خلقا وأعزهم جواراً وأعظمهم حلماً وأصدقهم حديثا حتى سماه قومه « الامين» لما جعل الله فيه من الاحوال الصالحة والخصال المرضية

ووصل بصرى من أرض الشام مرتين فرآه بحيرا الراهب فعرفه وأخبر

(١) كذا في الاصل: ولا بد ان يكون صوابه : اربع عشرة شرفة منه اومن شرفاته

عمه انه رسول الله ، ونصحه أن يرده ، فرده مع بعض غلمانه وقال لعمه: احتفظ به فلم نجد قدماً أشبه بالقدم الذى بالمقام(١) من قدمه . واستمرت كفالة أبي طالب له كما هو مشهور ، وبغض اليه الاوثان ودين قومه فلم يكن شيء ابغض اليه من ذلك .

والدليل على انه رسول الله ﷺ من العقل والنقل :

فاما النقل فواضح. وأما العقل فنبه عليه القرآن :من ذلك ان ترك الله خلقه بلا أمر ولا نهي لايناسب في حق الله و نبه عليه في قوله (وماقدروا الله حق قدره إذ قالوا ماأنزل الله على بشر من شيء)

ومنه أن قول الرجل اني رسول الله إما أن يكون خير الناس واما أن يكون شرهم وأكذبهم . والتميز بين ذلك سهل يعرف بامور كثيرة ، ونبه على ذلك بقوله (هل أنبئكم على من تنزل الشياطين * تنزل على كل أفاك أثيم) الآيات

ومنه شهادة الله بقوله (قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب) ومنها شهادة أهل الكتاب بما في كتبهم كما في هذه الآية

ومنها — وهي عظم الآيات العقلية— هذا القرآن الذي تحداهم بسورة من مثله ، ونحن إن لم نعلم وجه ذلك من جهة العربية فنحن نعلمه من معرفتنا بشدة عداوة أهل الارض له، علمائهم وفصحائهم، وتكريره هذا واستعجازهم به ولم يتعرضوا لذلك على شدة حرصهم على تكذيبه وادخال الشبهة على الناس ،ومنها تمام ماذكرنا وهو اخباره سبحانه انه لايقدر أحد أن يأتي بسورة مثله إلى يوم القيامة، فكان كما ذكر، مع كثرة أعدائه في كل عصر، وما أعطوا من الفصاحة والكمال والعلوم

ومنها نصره من اتبعه ولو كانوا أضعف الناس . ومنها خذلان من عاداه وعقوبته في الدنيا ولو كانوا أكثر الناس وأقواهم

ومنها أنه رجل أمي لا يخط ولا يقرأ الخط ولا أخذ عن العلماء ولا ادعى

«١» مقام ابراهيم، يعني انه ﷺ أشبه الناس بابراهيم

ذلك أحد من أعدائه مع كثرة كذبهم وبهتانهم ، ومع هذا أتى بالعلم الذي في الكتب الاولى كما قال تعالى (وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك ، اذاً لارتاب المبطلون)

وقال رحمه الله تعالى :

ولما بلغ أربعين سنة بعثه الله بشيراً ونذيراً (وداعياً إلى الله باذنه وسراجاً منيراً) ولما أتى قومه بلا إله إلا الله قالت قريش (أجعل الآلهة إلها واحداً ؟) قال الترمذي : حدثني محمد بن صالح عن عاصم بن عمر بن قتادة وزيد بن مروان وغيرهم قالوا : قام رسول الله ﷺ ثلاث سنين مستخفياً ثم أعلن في الرابعة فدعا عشر سنين يوافي الموسم كل عام فيقول « أيها الناس قولوا لا إله الا الله تفلحوا ، وتملكوا بها العرب ، وتدين لكم بها العجم ، فاذا متم كنتم ملوكا في الجنة » وأبو لهب وراءه يقول لا تطيعوه فانه صابيء كذاب ، فيردون عليه أقبح الرد

ولما أمره الله بالهجرة هاجر واظهر الله دينه على الدين كله ، وقاتل جميع المشركين ولم يميز بين من اعتقد في نبي ولا ولي ولا شجر ولا حجر ، ومازال يعلم الناس التوحيد ، ويقمع من دعاة الشرك كل شيطان مريد ، حتى ازال الله الجهل والجهال وبان للناس من التوحيد ساطع الجمال

وعن انس قال : قال اناس يارسول الله ياخيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا فقال ﷺ « ياأيها الناس انا محمد عبدالله ورسوله ، ما احب ان ترفعوني فوق منزلتي التي انزلني الله عز وجل » وعن عبدالله بن الشخير قال : انطلقت في وفد بني عامر إلى النبي ﷺ فقلت : انت سيدنا فقال « السيد الله » وعن ابن عمر ان رسول الله ﷺ قال « لاتطروني كما اطرت النصارى المسيح بن مريم انما انا عبدالله ورسوله » وما زال ﷺ معلما لاصحابه هذا التوحيد ، ومحذراً من الشرك حتى اتاهم مرة وهم يتذاكرون الدجال فقال « ألا اخبركم بما هو اخوف

ماأخاف عليكم عندي من المسيح الدجال ؟ » قالوا: بلى،يارسول الله.قال«الشرك الخفي . يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل » وحتى قال «لاتحلفوا بآبائكم . من حلف بالله فليصدق ومن حُلف له بالله فليرض، ومن لم يرض فليس من الله في شيء » وحتى قال « لا يقول أحدكم ما شاء الله وشاء فلان » وحتى قال « لاتقولوا لولا الله وفلان » وحتى قال « لا يقول احدكم عبدي وامتي » وحتى قال « من حلف بغير الله فقد أشرك أو كفر» وحذرهم من الشرك بالله في الاقوال والاعمال حتى قال « إنما انا بشر يوشك ان يأتيني رسول ربي فاجيب،وانا تارك فيكم الثقلين كتاب الله فيه الهدى والنور ومن تركه كان على الردى » وحتى قال « خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار » وحتى أنه لم يترك النهي عند الموت والتحذير . لنا من هذا الشرك حتى قال « اللهم لاتجعل قبري وثناً يعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور انبيائهم مساجد » وحتى قال « دخل الجنة رجل في ذباب ودخل النار رجل في ذباب » الحديث ، وحتى حذرهم عن الكفر بنعمة الله قيل هو قول الرجل هذا مالي ورثته من ابائي وقال بعضهم هو كقوله : الريح طيبة والملاح حاذق ، ونحو ذلك

ولما ذكر شيخ الاسلام تقي الدين الاحاديث « امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لاإله إلا الله » وكذلك حديث ابن عمر في الصحيحين «امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا إله إلا الله وان محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة » وقال « ان الصلاة من حقها والزكاة من حقها » كما قال الصديق لعمر ووافقه عمر وسائرهم على ذلك. ويكون ذلك أنه قال قد شرع في العصمة وإلا بطل . وقد قال النبي ﷺ كل واحد من الحديثين في وقت ليعلم المسلمون ان الكافر إذا قالها جبّ الكفر عنه ثم صار القتال مجرداً إلى الشهادتين

ليعلم ان تمام العصمة يحصل بذلك لئلا يقع شبهة واما مجرد الاقرار فلا يعصمهم على الدوام(١) كما وقعت لبعض الصحابة حتى جلاها الصديق رضي الله عنه ووافقوه

وقال ابن القيم في شرح المنازل(٢) : شهادة ان لا إله إلا الله الاحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد . هذا هو التوحيد الذي نفى الشرك الاعظم وعليه نصبت القبلة، وبه حقنت الدماء والاموال، وانفصلت دار الايمان من دار الكفر، وصحت به الملة للعامة وان لم يقوموا بحسن الاستدلال بعد أن يسلموا من الشبهة والحيرة والريبة بصدق شهادة صححها قبول القلب ، وهذا توحيد العامة الذي يصح بالشواهد وهي إرسال الرسل الصنائع (٣) ويجب بالسمع ويوجد بتبصير الحق وينمو على مشاهدة الشواهد (٤) والحمد لله رب العالمين

---

(١) الاقرار بالشهادتين هو المدخل في الاسلام والعنوان على ترك الكفر السابق فهما كافيتان في العصمة من القتل في اثناء القتال واما الاعتداد باسلام قائليها بعد ذلك فلا بد فيه من اقامة الصلاة وايتاء الزكاة لقوله تعالى (فان تابوا واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم) وقال بعدها (فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فاخوانكم في الدين)

«٢» هذه العبارة التي نقلها هنا هي عبارة كتاب المنازل لا شارحه ابن القيم

«٣» عبارة المنازل: وهي « أي الشواهد » الرسالة والصنائع . قال ابن القيم ومقصوده ان الشواهد نوعان آيات متلوة وهي الرسالة ، وآيات مرئية وهي الصنائع

«٤» هذه آخر عبارة المنازل

رسالة فى كلمة التوحيد

وله أيضا قدس الله روحه ونور ضريحه ما نصه :

اعلم – رحمك الله – ان فرض معرفة شهادة ان لا اله الا الله قبل فرض الصلاة والصوم ، فيجب على العبد ان يبحث عن معني ذلك أعظم من وجوب بحثه عن الصلاة والصوم. وتحريم الشرك والايمان بالطاغوت أعظم من تحريم نكاح الامهات والجدات. فأعظم مراتب الايمان بالله شهادة ان لا اله الا الله

ومعني ذلك أن يشهد العبد أن الالهية كلها لله ليس منها شيء لنبي ولا لملك ولا لولي بل هي حق لله على عباده والالهية هي التي تسمى في زماننا السر . والاله في كلام العرب هو الذي يسمى في زماننا الشيخ والسيد الذي يدعى ويستغاث به ، فاذا عرف الانسان ان هذا الذي يعتقده كثيرون في السمان (١) وأمثاله أو في قبر بعض الصحابة هو العبادة التي لا تصلح الا لله وأن من اعتقد في نبي من الانبياء (٢) فقد كفر وجعله مع الله الها آخر فهذا لم يكن قد شهد ان لا اله الا الله

ومعنى الكفر بالطاغوت أن تبرأ من كل ما يعتقد فيه غير الله من جني أو إنسي أو شجر أو حجر أو غير ذلك وتشهد عليه بالكفر والضلال وتبغضه ولو كان اباك وأخاك .

فاما من قال انا لا أعبد الا الله وأنا لا اتعرض السادة والقباب على القبور .

---

(١) السمان شيخ كان اهل نجد يعتقدون ولايته فيدعونه في الشدائد

(٢) اي انه يدعى ويستغاث به فيدعوه لكشف الضر وجلب النفع سواء اعتقد المعتقد انه يفعل مايدعي له بنفسه او بتأثيره عند الله تعالى ، فان اعتقاد هذا التأثير في ارادة الله وفعله عين الاشراك في حصول المقصود ، فهو من الشرك

وأمثال ذلك فهذا كاذب في قول لا اله الا الله ولم يؤمن بالله ولم يكفر بالطاغوت .

وهذا كلام يسير، يحتاج الى بحث طويل واجتهاد في معرفة دين الاسلام، ومعرفة ما أرسل الله به رسوله ﷺ والبحث عما قال العلماء في قوله (فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى) ويجتهد في تعلم ما علم الله رسوله وما علمه الرسول لامته من التوحيد . ومن أعرض عن هذا فطبع الله على قلبه وآثر الدنيا على الدين لم يعذره الله بالجهالة والله أعلم

رسالة اخرى في كلمة التوحيد

(وكونها تنفي اربعا وتثبت اربعا)

قال رحمه الله تعالى:

اعلم رحمك الله، ان معنى لا اله الا الله نفي واثبات، تنفي أربعة أنواع وتثبت أربعة أنواع، تنفي: الالهة، والطواغيت، والانداد، والارباب. فالالهة: ماقصدته بشيء من جلب خير أو دفع ضر فانت متخذه الها، والطواغيت من عبد وهو راض أو رشح للعبادة، مثل السمان أو تاج أو أبي حديدة، والانداد ماجذبك عن دين الاسلام من أهل او مسكن أو عشيرة أومال فهو ند لقوله تعالى (ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله) والارباب من افتاك بمخالفة الحق وأطعته، مصداقا لقوله تعالى (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح بن مريم وما أمروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه وتعالى عما يشركون)

وتثبت أربعة انواع : القصد، وهو كونك ماتقصد الا الله . والتعظيم والمحبة لقوله عز وجل (والذين آمنوا أشد حبا لله) والخوف والرجاء لقوله تعالى (وان

يمسسك الله بضر فلا كاشف الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم)

فمن عرف هذا قطع العلاقة مع غير الله . ولا تكبر عليه جهامة الباطل كما أخبر الله عن ابراهيم على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام بتكسيره الاصنام وتبريه من قومه لقوله تعالى (قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا برءاء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم) الآية .

مذاكرة

الشيخ محمد رحمه الله مع أهل بلد حريملة

في كلمة التوحيد ، والجمع بين التوحيد والشرك

قال لهم: لا إله إلا الله قد سألنا عنها كل من جاءنا منكم من مطوع (١) وغيره ولا لقينا عندهم إلا انها لفظة مالها معنى، ومعناها لفظها ومن قالها فهو مسلم. وقد يقولون لها معنى لكن معناها لا شريك له في ملكه

ونحن نقول لا إله الا الله ليست باللسان فقط لا بد للمسلم اذا لفظ بها ان يعرف معناها بقلبه، وهي التي جاءت لها الرسل والا الملك ماجاءت الرسل له، وأنا أبين لكم إن شاء الله مسئلة التوحيد ومسئلة الشرك

تعرفون المشهد فيه قبة والذي من الرجال صلى الظهر قام وتقبل القبر وولى الكعبة قفاه وركع لعلي ركعتين : صلاته لله توحيد ، وصلاته لعلي شرك ، أءنتم فهمتم ؟ قالوا فهمنا ، صار هذا مشرك صلى لله وصلى لغيره .

ولله سبحانه حق على عبده في البدن والمال. والصلاة زكاة البدن والزكاة في المال حق له تعالى فاذا زكيت لله وخرجت بشيء تفرقه عند القبة فزكاتك لله توحيد ، وزكاتك للمخلوق شرك

(١) المطوع : هو الذي يعلم العامة ويفقههم وهو دون العالم

كذلك سفك الدم إن ذبحت لله توحيد وإن ذبحت لغيره صار شركا، كما قال تعالى (قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين * لاشريك له) والنسك سفك الدم (١)

كذلك التوكل من أنواع العبادة إن توكلت على الله صار توحيداً وإن توكلت على صاحب القبة صار شركا. قال تعالى (فاعبده وتوكل عليه)

وأكبر من ذلك كله الدعاء، تفهمون انه يذكر(٢) أن الدعاء مخ العبادة؟ قالوا نعم، قال الله تعالى (وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا) أنتم تفهمون ان هنا من يدعو الله ويدعو الزبير، ويدعو الله ويدعو عبدالقادر، الذي يدعو الله وحده مخلص، وإن دعا غيره صار مشركا. فهمتم هذا؟ قالوا فهمنا

قال الشيخ: هذا إن فهمتوه فهذا الذي بيننا وبين الناس، فان قالوا هؤلاء يعبدون أصناما يدعونهم يريدون منهم، ونحن عبيد مذنبون وهم صالحون ونبغي بجاههم، فقل لهم عيسى نبي الله عليه السلام وأمه صالحة، والعزير صالح والملائكة كذلك، والذين يدعونهم أخبر الله عنهم انهم ماأرادوا منهم ماأرادوا بجاههم إلا قربة وشفاعة واقرأ عليه الآيات في الملائكة في قوله تعالى (ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للملائكة) الآية، وفي الانبياء قوله (ياأهل الكتاب لاتغلوا في دينكم) الآية وفي الصالحين (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه) الآية، ولم يفرق بينهم النبي ﷺ

رسالة اخرى في كلمة التوحيد

وله أيضاً رحمه الله تعالى:

اعلم أرشدك الله أن الله خلقك لعبادته وأوجب عليك طاعته، ومن أفرض عبادته عليك معرفة لاإله إلا الله علما وقولا وعملا، والجامع لذلك قوله تعالى

(١) اي لاجل القربة كالاضحية وفدية الاحرام ومثلها النذر لله وحده

(٢) اي يذكر في الحديث عن النبي (ص)

(واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) وقوله تعالى (شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا والذي أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه)

فاعلم أن وصية الله لعباده هي كلمة التوحيد الفارقة بين الكفر والاسلام فعند ذلك افترق الناس سواء جهلا أو بغياً أو عناداً ، والجامع لذلك اجتماع الامة على وفق قول الله تعالى (ان أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) وقوله (قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني) الآية

فالواجب على كل أحد اذا عرف التوحيد وأقر به أن يحبه بقلبه ، وينصره بيده ولسانه ، وينصر من نصره ووالاه ، واذا عرف الشرك وأقر به أن يبغضه بقلبه ، ويخذله بلسانه ، ويخذل من نصره ووالاه باليد واللسان والقلب. هذه حقيقة الامرين ، فعند ذلك يدخل في سلك من قال الله فيهم (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) فنقول لاخلاف بين الامة أن التوحيد لابد أن يكون بالقلب الذي هو العلم ، واللسان الذي هو القول ، والعمل الذي هو تنفيذ الاوامر والنواهي ، فان أخل بشيء من هذا لم يكن الرجل مسلما ، فان أقر بالتوحيد ولم يعمل به فهو كافر معاند كفرعون وابليس ، وإن عمل بالتوحيد ظاهراً وهو لايعتقده باطناً فهو منافق خالص ، وهو شر من الكافر ، والله أعلم

قال رحمه الله وهو نوعان : توحيد الربوبية وتوحيد الالوهية ، أما توحيد الربوبية فيقر به الكافر والمسلم ، وأما توحيد الالوهية فهو الفارق بين الكفر والاسلام ، فينبغي لكل مسلم أن يميز بين هذا وهذا ويعرف أن الكفار لاينكرون أن الله الخالق الرازق المدبر ، قال الله تعالى (قل من يرزقكم من السماء والارض أمن يملك السمع والابصار ، ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ، ومن يدبر الامر ؟ فسيقولون الله ، فقل أفلا تتقون) الآية (ولئن سألتهم

من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر ؟ ليقولن الله) الآية .

فاذا ثبت لك أن الكفار يقرون بذلك عرفت أن قولك لايخلق ولا يرزق إلا الله ، ولا يدبر الامر إلا الله ، لايصيرك مسلماً حتى تقول لاإله إلا الله مع العمل بمعناها . فهذه الاسماء كل منها له معنى يخصه

أما قولك الخالق فمعناه الذي أوجد جميع مخلوقاته بعد عدمها ، وأما قولك الرازق فمعناه أنه لما أوجد الخلق أجرى عليهم أرزاقهم . وأما المدبر فهو الذي تنزل الملائكة من السماء إلى الارض بتدبيره ، وتصعد إلى السماء بتدبيره ، ويسير السحاب بتدبيره ، وتصرف الرياح بتدبيره ، وكذا جميع خلقه هو الذي يدبرهم على مايريد . فهذه الاسماء تتعلق بتوحيد الربوبية الذي يقر به الكفار

وأما توحيد الالوهية فهو قولك لاإله إلا الله وتعرف معناها كما عرفت معنى الاسماء المتعلقة بالربوبية ، فقولك لاإله الا الله نفي واثبات : فتنفي الالوهية كلها عن غير الله وتثبتها لله وحده ، فمعنى الاله في زماننا الشيخ والسيد الذي يقال فيهم سر ممن يعتقد فيهم أنهم يجلبون منفعة أو يدفعون مضرة

فمن اعتقد في هؤلاء أو غيرهم نبيا كان أو غيره هذا الاعتقاد فقد اتخذه إلها من دون الله ، فان بني اسرائيل لما اعتقدوا في عيسى بن مريم وأمه سماهم الله آلهين قال تعالى (وإذ قال الله ياعيسى بن مريم ءأنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله ؟ قال سبحانك مايكون لي أن أقول ماليس لي بحق ، إن كنت قلته فقد علمته ، تعلم مافي نفسي ولا أعلم مافي نفسك ، انك أنت علام الغيوب)

ففي هذا دليل على ان من اعتقد في مخلوق جلب منفعة أو دفع مضرة فقد اتخذه الها ، فاذا كان الاعتقاد في الانبياء هذه حاله فما دونهم أولى

وأيضاً فان من تبرك بحجر أو شجر، أو مسح على قبر أو قبة يتبرك بهم فقد اتخذهم آلهة(١)

والدليل على ذلك أن الصحابة لما قالوا للنبي ﷺ اجعل لنا ذات أنوط كما لهم ذات أنواط، يريدون بذلك التبرك، قال «الله أكبر انها السنن، قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو اسرائيل لموسى (اجعل لنا إلها كما لهم آلهة، قال إنكم قوم تجهلون* ان هؤلاء متبر ماهم فيه وباطل ما كانوا يعملون* قال أغير الله أبغيكم إلها وهو فضلكم على العالمين) فوصف قول الصحابة في ذات انواط بقول بني اسرائيل وسماه إلها(٢)

ففي هذا دليل على ان من فعل من ذلك شيئا مما ذكرناه فقد اتخذه إلهاء والاله هو المعبود الذي لا تصلح العبادة الا له وهو الله وحده، فمن نذر لغير الله أو ذبح له فقد عبده، وكذلك من دعا غير الله، قال تعالى (ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فان فعلت فانك إذاً من الظالمين) وفي الحديث

---

(١) كذا في الاصل بضمير العقلاء . ويعني بالتبرك المنافي للتوحيد مافشا في العوام من اعتقاد ان هذه الاشياء المتبرك بها تنفع فتشفي من المرض وترد البلاء وغير ذلك، بخلاف التبرك المروي عن بعض الصحابة بآثار النبي (ص) وبدم حجامته ونخامته وتبرك الشافعي بقميص الامام احمد الذي روي بالسند كما في طبقات السبكي، ولكن شيخ الاسلام ابن تيمية قال ان هذه الرواية غير ثابتة وعلى تقدير ثبوتها يراد بها وبأمثالها ذكرى الحب كالمعهود من عشاق الحسان

(٢) ان الذين قالوا للنبي (ص) ماذكر كانوا حديثي عهد بالشرك فظنوا ان مايجعله لهم النبي (ص) من ذلك يكون مشروعا لاينافي الاسلام . وأما بنو اسرائيل الذين طلبوا من موسى جعل الآلهة لهم فكانوا جاهلين بحقيقة التوحيد بما تربوا عليه من شرك الفراعنة كما تقدم في حاشية سابقة

«ان الدعاء مخ العبادة» وكذلك من جعل بينه وبين الله واسطة وزعم انها تقربه الى الله فقد عبده . وقد ذكر الله ذلك عن الكفار فقال تعالى (ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) وقال تعالى (والذين اتخذوا من دونه أولياء : مانعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى) وكذلك ذكر عن الذين جعلوا الملائكه وسائط فقال (ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبـدون ؟ قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن اكثرهم بهم مؤمنون)

فذكر سبحانه أن الملائكة نزهوه عن ذلك وأنهم تبرؤا من هؤلاء ، وأن عبادتهم كانت للشياطين الذين يأمرونهم بذلك. وذكر سبحانه عن الذين جعلوا الصالحين وسائط فقال تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا * أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم اقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا) وذكر سبحانه أنهم لايملكون كشف الضر عن أحد ولا عن أنفسهم، وانهم لايحولونه عن أحد، وانهم يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ، ويرجون رحمته ويخافون عذابه ، فهذا يثبت لك معنى لا اله الا الله فاذا عرفت حال المعتقدين في عيسى بن مريم والمعتقدين في الملائكة ، والمعتقدين في الصالحين ، وحالهم معهم انهم لا يملكون لانفسهم ضراً ولا نفعا فضلا عن غيرهم عرفت أن من اعتقد فيمن دونهم فهو أضل سبيلا فحينئذ يثبت لك معنى لا إله الا الله ، والله أعلم

رسالة في حقيقة الاسلام من الكتاب والسنة

(ومن خالفهما من أدعياء العلم والعرفان)

قال رحمه الله تعالى :

اعلم وفقنا الله وإياك للايمان بالله ورسله ـ أن الله سبحانه قال في كتابه (فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد ، فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم) فتامل هذا الكلام وأن الله أمر بقتلهم وحصرهم والقعود لهم كل مرصد الى أن يتوبوا من الشرك ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة . وأيضاً فقد قال ﷺ « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لاإله إلا الله وان محمداً رسول الله ، ويقيموا الصلاة ، ويؤتوا الزكاة ، فاذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الاسلام ، وحسابهم على الله تعالى » فهذا كلام رسوله ، وقد أجمع العلماء عليه من كل مذهب وخالف ذلك من هؤلاء الجهال الذين يسمون العلماء فقالوا : من قال لاإله الا الله فهو المسلم ، حرام الدم والمال ، وقد بين النبي ﷺ الاسلام في حديث جبريل لما سأله عن الاسلام فقال «الاسلام أن تشهد أن لاإله الا الله، وأن محمداً رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ،وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت اليه سبيلا » فهذا تفسير رسول الله ﷺ وهؤلاء يقولون البدو اسلام لانهم يقولون لاإله إلا الله ، فمن سمع كلامهم وسمع كلام رسول الله ﷺ فلا بد له من أحد أمرين إما أن يصدق الله ورسوله ويتبرأ منهم ويكذبهم ، وإما أن يصدقهم ويكذب الله ورسوله ، فنعوذ بالله من ذلك والله أعلم

فتأمل أصول الدين (الاولى) ان الله أرسل الرسل وأنزل الكتب لبيان الحق من الباطل (الثانية) بيان مااختلف فيه الناس أن الواجب عليهم اتباع

ما أنزل اليهم من ربهم (الثالثة) ان من لم يرفع به رأسا فهو منافق جاهل (الرابعة) رد ما تنازعوا فيه إلى الكتاب والسنة (الخامسة) أن من اتبع الهدى الذي جاءت به الرسل من عند الله لا يضل ولا يشقى (السادسة) ان من أعرض عن ذلك حشر أعمى ضالا شقيا مبعداً (السابعة) أن الذين في قلوبهم مرض يتبعون ما تشابه منه

﴿ تكفير المسلم بالشرك بالله وموالاة المشركين على المؤمنين ﴾

(قال الشيخ محمد رحمه الله تعالى)

إذا شهد الانسان ان هذا دين الله ورسوله كيف لا يكفر من انكره وقتل من آمن به وحبسهم؟ كيف لا يكفر من أتى المشركين يحثهم على لزوم دينهم ويزينه لهم ويحثهم على معاداة الموحدين وأخذ أموالهم؟ كيف لا يكفر ويشهد ان هذا الذي يحث عليه ان الرسول ﷺ انكره ونهى عنه وسماه الشرك بالله؟ وهذا الذي يبغضه ويبغض أهله ويأمر المشركين بقتلهم هو دين الله ورسوله

واعلم ان الادلة على تكفير المسلم الصالح إذا اشرك بالله اوصار مع المشركين على الموحدين ولم يشرك ـ أكثر من ان تحصر من كلام الله وكلام رسوله وكلام العلماء ، وانا أذكر لك آية من كلام الله اجمع أهل العلم على تفسيرها وأنها في المسلمين وان الرجل إذا قال ذلك فهو كافر في أي زمان كان . قال الله تعالى (من كفر بالله من بعد ايمانه إلا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان) الآية. وفيها ذكر انهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة ، فاذا كان العلماء ذكروا أنها نزلت في الصحابة لما فتنهم أهل مكة وذكروا ان الصحابي إذا تكلم بكلام الشرك بلسانه مع بغضه لذلك وعداوة أهله لكن خوفا منهم فهو كافر بعد ايمانه. فكيف بالمؤمن في زماننا إذا تكلم بالبصرة أو الاحساء أو مكة أو غير ذلك خوفا منهم لكن قبل الاكراه إذا كان هذا يكفر ، فكيف بمن كان معهم وسكن معهم وصار من جملتهم؟ فكيف بمن اعانهم على الشرك وزينه لهم ؟ فكيف بمن امرهم

بقتل الموحدين وحثهم على لزوم دينهم

فانتم وفقكم الله تأملوا هذه الآية وتأملوا من نزلت فيه واجمع العلماء على تفسيرها وتأملوا ماجرى بيننا وبين اعداء الله، نطلبهم دائما للرجوع إلى كتبهم التي بايديهم في مسئلة التكفير والقتال فلا يجاوبوننا إلا بالشكوى عند الشيوخ وامثالهم . ونسأل الله ان يوفقكم لدينه القيم ويرزقكم الثبات عليه وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

﴿ ذبيحة المرتد وما يكفر به المسلم وحكمه ﴾

وسئل عن ذبيحة المرتد وتكفير من يعمل بفرائض الاسلام الخ

فأجاب: قوله تعالى (اليوم أحل لكم الطيبات) الآية وقوله(فكلوا مما ذكر اسم الله عليه) الآيات ، لا اختلاف في حكمهن بين احد عرف كتاب الله. ولكن الكلام في حكم الذابح هل هو مسلم فيدخل حكمه في حكم الآية اذا ذبح وسمى الله عليها فلو ترك التسمية نسيانا حلت ذبيحته وكانت من الطيبات بخلاف من ترك التسمية عمداً فلا تحل ذبيحته ، وكذلك أهل الكتاب أعني اليهود والنصارى ذبيحتهم ومناكحتهم حلال لقوله تعالى (وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم)الآية

وأما المرتد فلا تحل ذبيحته وإن قال فيها بسم الله لان المانع لذلك ارتداده عن دين الاسلام لا ترك التسمية لان المرتد شر عند الله من اليهود والنصارى من وجوه (أحدها) ان ذبيحته من الخبائث (الثانية) انها لا تحل مناكحته بخلاف أهل الكتاب(الثالثة)أنه لا يقر في بلد المسلمين لا بجزية ولا بغيرها (الرابعة) أن حكمه يضرب عنقه بالسيف لقوله ﷺ «من بدل دينه فاقتلوه» بخلاف أهل الكتاب .

فاذا تقرر هذا عندك فاعرف أن الكلام في تحريم ذبيحة المرتد لا في أن الله أمر بأكل ماسمي الله عليه ولا تحليل طعام أهل الكتاب

وقولكم لم تكفرون من يعمل بفرائض الاسلام الخمس ؟ فقد كان في زمن

الرسول ﷺ من انتسب إلى الاسلام ثم مرق من الدين[١] كما في الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ بعث البراء بن عازب معه الراية إلى رجل تزوج امرأة أبيه ليقتله ويأخذ ماله، وقد انتسب إلى الاسلام وعمل به

ومثل قتال الصديق والصحابة رضي الله عنهم مانعي الزكاة وسبي ذراريهم وغنيمة أموالهم وتسميتهم مرتدين بعد ما عملوا بشرائع الاسلام. ومثل اجتماع التابعين على قتل الجعد بن درهم وهو مشتهر بالعلم والدين إلى غير ذلك وقد جرى وقائع لاتعد ولا تحصى، ومثل بني عبيد الذين ملكوا مصر والشام وغيرها مع تظاهرهم بالاسلام، وصلاة الجمعة والجماعة، ونصب القضاة والمفتين. لما أظهروا من الاقوال والافعال ما أظهروا. لم يتوقف أحد من أهل العلم والدين عن قتالهم مع ادعائهم الملة ومع قولهم لاإله إلا الله أو لأجل اظهار شيء من أركان الاسلام إلا ماسمعنا منكم، فما معنى الباب الذي ذكر العلماء في كل مذهب وهو (باب حكم المرتد) وهو المسلم الذي يكفر بعد اسلامه حتى ذكروا فيه أنواعا كثيرة كل نوع منها يكفر الانسان ويحل دمه وماله، حتى ذكروا أشياء يسيرة مثل كلمة يذكرها بلسانه دون قلبه أو كلمة يذكرها على وجه المزح واللعب، والذين قال الله فيهم (يحلفون بالله ماقالوا ولقد قالوا كلمة الكفر) الآية أسمعت الله كفرهم بكلمة مع كونهم في زمن النبي ﷺ يجاهدون معه، ويصلون، ويزكون، ويصومون، ويحجون، ويوحدون الله سبحانه؟ وكذلك الذين قال الله فيهم (أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزءون؟ لاتعتذروا قد كفرتم) الآية، قالوا كلمة على وجه المزح واللعب[٢] فصرح

(١) كذا في الاصل وقد سقط منه الخبر اي كذلك يحكم بكفره ويقتل

(٢) تلك الكلمة تتضمن تكذيب النبي ﷺ او الشك في نبوته قيل هي قوله بعضهم ان كان مايقول محمد حقا فهم شر من الحمير وقيل هي استهزاؤهم بقتاله للروم، وعلى كل حال قد ثبت بالآية ان الذي يصلي ويصوم ويجاهد قد يحكم بكفره بكلمة استهزاء بالدين او بالرسول ﷺ

الله أنهم كفروا بعد ايمانهم وهم مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك

فتأمل أرشدك الله ، من انتسب الى الاسلام . مرق من الاسلام لما اظهر خلاف ذلك، فكيف بما هو اظهر من ذلك؟ فاذا كان على عهد النبي ﷺ وخلفائه من انتسب الى الاسلام من مرق منه مع عبادته العظيمة حتى أمر النبي ﷺ بقتالهم ، فعلم أن المنتسب الى الاسلام في هـذه الازمان قد يمرق من الاسلام ،

وقولكم هل يعلمون للنبي ﷺ دينا الا الاسلام الذي جاء به جبرئيل ؟ فمعلوم ان رسول الله ﷺ قام يدعو الناس الى التوحيد سنين عديدة قبل أن يدعوهم الى أركان الاسلام . ومعلوم أن التوحيد الذي جاء به جبرئيل أعظم فريضة، وهو أعظم من الصلاة والزكاة والصوم والحج ، فكيف اذا جحد الانسان شيئا من اركان الاسلام كفر، ولو عمل بكل ماجاء بها الرسول ﷺ ، واذا جحد التوحيد الذي هو دين الرسل من نوح الى محمد لا يكفر لانه يقول لا إله الا الله . أو لانه يفعل كذا وكذا؟ فما الذي فرق بين رسول الله ﷺ وبين قريش؟ هل هو عند الملك والرياسة والتطاول؟ أو عند لا إله الا الله محمد رسول الله؟ فتفرقوا عند ذلك وقالوا (أجعل الآلهة إلها واحدا ان هذا لشيء عجاب)

أتظن ان قريشا لو يعلمون ان هذا الكلام مجرد قول بلا عمل وانهم يقولون لا إله الا الله وينشئون على دينهم ولا يضرهم وان النبي ﷺ يرضى منهم بذلك وانه ما يحاربهم ولا يكفرهم ولا يقاتلهم ؟ اتراهم يتركون التلفظ بلا إله الا الله كما هو اعتقادكم ، أو دين الاسلام لفظ لا إله الا الله ؟ وان من قالها فهو المسلم وتؤثرون عليها حديث جبرئيل، وحديث بني الاسلام على خمسة اركان، وحديث أمرت أن أقاتل الناس ٠ وحديث اسامة . وحديث من صلى صلاتنا . وحديث انه كان إذا اغار على القرية إن سمع أذانا كف عنها والا أغار عليها. ولكن الامر كما قال عمر رضي الله عنه « انها لا تنقض عرى الاسلام عروة عروة حتى ينشأ في الاسلام

من لايعرف الجاهلية» فذلك انه إذا لم يعرف من الشرك ماعابه القرآن وما ذمه وقع فيه ، وهو لا يعرف انه الذي كان عليه أهل الجاهلية أو فوقه او دونه او شر منه، فتنقض بذلك عرى الاسلام ويعود المعروف منكراً والمنكر معروفا، والبدعة سنة والسنة بدعة، ويكفر الرجل بمحض الايمان وتجريد التوحيد، ويبدع بمتابعة الرسول، فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم .

فان كان سؤالك مسترشداً فاسأل عن قول الله في ابراهيم (واجنبني وبني أن نعبد الاصنام) قال وما نجا من شر هذا الشرك الاكبر الا من جرد التوحيد لله، وعادى المشركين في الله وتقرب بمقتهم الى الله .

فتأمل ان الاسلام لا يصح إلا بمعاداة أهل الشرك وان لم يعادهم فهو منهم ولو لم يفعله ، واسأل عن معنى قوله تعالى (لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم — الى قوله — ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل اليه مااتخذوهم أولياء) وقوله (ياايها الذين آمنوا لاتتخذوا عدوي وعدوكم أولياء — الى قوله — وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابداً حتي تؤمنوا بالله وحده) الآيات وقال تعالى (لاتجد قوما يؤمنون بالله) الآيات وما أشبه ذلك

واسأل عن سبب نزول الآية وما معناها وان كان غير ذلك، فلا تأس على الهالكين . وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿ انتهت رسائل الشيخ محمد عبد الوهاب رحمه الله تعالى ﴾

كتاب

جواب أهل السنة النبوية

في نقض كلام الشيعة والزيدية

وهو رد على بعض علماء الزيدية، فيما اعترض به على دعوة التوحيد الوهابية

تأليف

الشيخ الامام عبد الله بن شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب

رحمهم الله تعالى

طبع على نفقة صاحب الجلالة السعودية، ومحيي السنة المحمدية

الإمام عبد العزيز آل سعود

ملك الحجاز ونجد وملحقاتها

﴿ وقد جعله كسابقه ولاحقه وقفا لله تعالى ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

ان الحمد لله نحمده ونستعينه وتستغفره، ونعوذ بالله من شرور انفسنا، ومن سيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد ان لا إله إلا الله ، واشهد ان محمدا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليما

(اما بعد) فانه قد وصل الينا كتابكم الذي فيه الاعتراض على الجواب الذي قد اتاكم العام الماضي صحبة رسولكم. واعتراض المعترض عليه فاسد من وجوه كثيرة ، وهو يدل على جهالة قائله ومكابرته ومعاندته لاهل البيت النبوي وغيرهم من أهل السنة والجماعة المقتدين بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، كما سنبينه ان شاء الله تعالى، والجاهل يبين جهله وضلاله بالادلة، فاذا عاند وكابر صار جهاده بالسيف، كما قال تعالى (لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وانزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس، وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ان الله قوي عزيز)

اما قوله ان سبب الاختلاف بين السائل والمسؤول هو ان علياً عليه السلام فارقه وحاربه معاوية بن ابي سفيان رضي الله عنه ، وقتل علي رضي الله عنه بعد أن كانت الحرب بينهما اربعين يوما إلى آخره فنقول :

هذا مما يدل على جهل المعترض أو تجاهله ، وذلك ان الاختلاف الذي بيننا وبينكم ليس هذا سببه، وانما سبب الاختلاف والعداوة والمقاتلة لمن قاتلناه هو الشرك بالله الذي قد انتشر وذاع في سائر البلاد ، من يمن وشام ومغرب

ومشرق ، وهو الاستغاثة بالصالحين ودعوتهم في كشف الشدائد وجلب الفوائد الذي قال الله فيه وفيمن فعله (ومن يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من انصار) وقال تعالى (ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما) وقال تعالى في حق الانبياء (ولو اشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون)

وقال لنبينا ﷺ (ولقد أوحي اليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين * بل الله فاعبد وكن من الشاكرين) وقال تعالى (ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك ، فان فعلت فانك اذاً من الظالمين)

وقد صح عندنا بالنقل المتواتر أن هذا يفعل عندكم في كثير من بلاد اليمن ولا تزيلونه ولا تنكرونه على من فعله ، والاوثان والبنايات التي على القبور موجودة عندكم . وقد ثبت في صحيح مسلم عن أبي الهياج الاسدي قال : قال لي علي رضي الله عنه : ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ «ألا أدع تمثالا إلا طمسته ، ولا قبراً مشرفا إلا سويته» (١)

(١) وروى « ألا تدع تمثالا » بالخطاب الخ

الاختلاف بين علي ومعاوية

﴿ ورأي أهل السنة في هذه الفتن (١) ﴾

وأما الاختلاف الذي بين علي ومعاوية فتلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولنا ما كسبنا ولا نسئل عما كانوا يعملون ، كما قال الله تعالى لاهل الكتاب لما احتجوا بابراهيم واسحاق ويعقوب (تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون)

وأما قوله: فلما مات الحسن استتم لمعاوية هذا الامر . فهذا مما يدل على جهله بالسير والاخبار، فان الامر قد استتم لمعاوية قبل موت الحسن بسنين وبايعه جميع المسلمين بالخلافة سنة انخلع الحسن من الخلافة وسلمها الى معاوية وصالحه على ذلك في سنة احدى وأربعين ، وذلك أنه ولي الخلافة بعد قتل أبيه رضي الله عنه فأقام فيها ستة أشهر وأياما ، ثم سار اليه معاوية وأرسل اليه الحسن يبذل تسليم الامر اليه واشترط عليه شروطا، فأجاب معاوية الى ذلك وظهرت المعجزة النبوية في قوله ﷺ في الحسن بن علي « ان ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين » وكان نزوله عنها في شهر ربيع الاول من السنة المذكورة ، وقيل في جماد الاول(٢)وتوفي الحسن رضي الله عنه بالمدينة سنة تسع وأربعين ، وقيل في خامس ربيع الاول سنة خمس وأربعين ، وقيل سنة احدى

---

(١) هذا العنوان وامثاله من وضع المطبعة لامن وضع المؤلف والغرض منها الترغيب في المطالعة ، وتسهيل المراجعة ، اقتداء بوضع الامة اسماء السور في المصحف ووضع العلماء أبوابا لصحيح مسلم

(٢) كذا في الاصل ولعله تحريف من النساخ فالصواب جمادى الاولى

وخمسين . كذا ذكره السيوطي وغيره من أهل التواريخ . وبهذا يتبين لك تخبط المجيب في كلامه وجهله بالنقل

وأما قوله : فلما قتل علي ومات ابنه الحسن استتم لمعاوية الامر فذلت له الرقاب وافترقت الامة إلى فرقتين إلى آخر كلامه

فيقال : وهذا أيضاً من عجيب جهله ، فان الافتراق العظيم الواقع بين الامة سببه قتل امير المؤمنين عثمان رضي الله عنه ، وبعد قتله افترقت القلوب حتى آل الامر إلى القتال بالسيف وجرى بين علي وطلحة والزبير وقعة الجمل المشهورة قتل فيها بين الفريقين نحو ثمانية عشر ألفا ، ثم جرت بين علي ومعاوية وقعة صفين ودام القتال بينهم نحو مائة يوم وعشرة أيام وقتل بين الفريقين نحو مائة ألف وعشرة آلاف ، فمن أهل الشام تسعون ألفا ، ومن أهل العراق عشرون ألفا كما ذكر ذلك المسعودي وغيره من أهل العلم بالتاريخ ، وجرى في أيام علي من الفتن والحروب والقتل بين المسلمين ماهو معروف ، وكل ذلك بسبب قتل عثمان رضي الله عنه [1]

وقد أخرج ابن عدي وابن عساكر من حديث أنس عن النبي ﷺ انه قال « ان لله سيفا مغموداً في غمده مادام عثمان فاذا قتل عثمان جرد ذلك السيف فلم يغمد الى يوم القيامة » قال السيوطي تفرد به عمرو بن فائد وله مناكير

وأخرج ابن عساكر عن حذيفة قال « أول الفتن قتل عثمان ، وآخر الفتن خروج الدجال . والذي نفسي بيده لايموت رجل وفي قلبه مثقال حبة من حب قتل عثمان الا وقع في فتنة الدجال ، وإن لم يدركه آمن به في قبره »

وأخرج ابن عساكر :[2] لو لم يطلب الناس بدم عثمان لرموا بالحجارة من السماء .

(١) واما السبب الباطن لهذه الفتن فهي دعاية التشيع لعلي كرم الله وجهه التي بثها الخبيث عبد الله بن سبأ اليهودي الزنديق في المسلمين فكان الغلو فيها سبب غلو الخوارج في عداوة علي وانصاره وغيرهم من أهل السنة

(٢) لم يذكر صاحب هذا الاثر والظاهر انه حذيفة فيراجع في تاريخ ابن عساكر

وأخرج عن سمرة قال « ان الاسلام كان في حصن حصين وانهم ثلموا في الاسلام ثلمة بقتلهم عثمان لاتسد الى يوم القيامة ، وان أهل المدينة كانت فيهم الخلافة فأخرجوها ولم تعداليهم»

وأخرج عبدالرزاق في مصنفه عن حميد بن هلال قال: كان عبدالله بن سلام يدخل على محاصري عثمان فيقول «لاتقتلوه فوالله لايقتله رجل منكم الا لقي الله أجذم لا يد له ، وإن سيف الله لم يزل مغمودا وإنكم والله ان قتلتموه لسله الله ثم لايغمده عنكم أبداً ،وما قتل نبي قط الا قتل به سبعون الفا ، ولا خليفة الا قتل به خمسة وثلاثون الفا قبل ان يجتمعوا»(١) وأخرج الحاكم عن الشعبي قال: ماسمعت من مراثي عثمان أحسن من قول كعب بن مالك حيث قال :

فكف يديه ثم أغلق بابه وأيقن ان الله ليس بغافل
وقال لاهل الدار : لاتقتلوهم عفا الله عن كل امرء لم يقاتل
فكيف رأيت الله صب عليهم ال عداوة والبغضاء بعد التواصل؟
وكيف رأيت الخير أدبر بعده عن الناس ادبار الرياح الجوافل؟

وأما بعد مبايعة الحسن لمعاوية فاجتمعت الكلمة واصطلح الناس ، ولأجل ذلك سمي العام عام الجماعة ، فكيف يقول هذا الجاهل: افترقت الامة بعد أن استتم لمعاوية الامر فرقتين إلى آخر كلامه(٢)

وقد ذكر أهل العلم بالسير والتواريخ ان معاوية لما تولى الخلافة واستتم له الامر حين عزل الحسن نفسه اتفقت كلمة المسلمين ،وكانوا في ولايته متفقين غير

---

(١) من مرويات عبدالله بن سلام من كتب بني اسرائيل اه من حاشية الاصل

(٢) قوله هذا اصطلاح للشيعة يعنون به ان فريقا من الناس صاروا عثمانيين ويعنون بهم أهل السنة، وفريقا صاروا علويين ويعنون بهم أنفسهم، كما سيأتي مع رد المؤلف عليه

مختلفين ، يغزون العدو ويجاهدون في سبيل الله ، فلما مات معاوية جرت الفتن العظيمة ، منها قتل الحسين وأهل بيته ، ومنها حصار ابن الزبير بمكة ، ووقعة الحرة بالمدينة. ثم لما مات يزيد جرت فتنة بالشام بين مروان والضحاك بمرج راهط. ثم وثب المختار بن عبيد على ابن زياد فقتله ، وجرت فتنة مصعب بن الزبير وقتله ، ثم حاصر الحجاج ابن الزبير فقتله وجرت فتنة ، ثم لما تولى الحجاج العراق خرج عليه عبدالرحمن بن الاشعث مع خلق عظيم من القراء وكانت فتنة كبيرة . فهذا كله بعد موت معاوية رضي الله عنه ، ثم جرى بعد ذلك أيضا فتنة ابن المهلب بخراسان وقتل زيد بن علي بالكوفة وجرت فتن. ثم قام ابو مسلم وغيره بخراسان وجرت فتن يطول وصفها وتزايد شرها

وبالجملة فلم يكن ملك من ملوك المسلمين خير من معاوية اذا نسبت أيامه الى أيام من بعده . وقد روى ابو بكر الاثرم : حدثنا محمد بن عمرو حدثنا مروان عن يونس عن قتادة قال : لو أصبحت في مثل عمل معاوية لقال الناس هذا المهدي ، وكذا رواه ابن بطة باسناده الثابت من وجهين عن الاعمش عن مجاهد قال : لو أدركتم معاوية لقلتم هذا المهدي

وروى عبدالله بن احمد بن حنبل: حدثنا ابو سعيد الاشج حدثنا ابو اسامة حدثنا الثقة عن ابي اسحاق السبيعي انه ذكر معاوية فقال : لو أدركتموه او أدركتم أيامه لقلتم هذا المهدي[1]

(١) أكبر فضيلة لمعاوية عند هؤلاء المثنين عليه وغيرهم انه قدر على حفظ المملكة الاسلامية من التقاتل بين المسلمين ، ووجه همتهم وقوتهم الى الكفار ، وفتح الامصار ، واكبر غائلة له اخراج منصب الامامة العظمى عما وضعها فيه الصحابة بهداية الله ورسوله وهو الانتخاب الاختياري ، الى عصبية النسب بجعلها في ولده يزيد الفاجر ، ثم إرثا يتداوله بنو أمية ، فكان هذا سببا لجعلها كالكرة يتقاذفها الاقوياء بالعصبية دون هداية الصحابة ، وبذلك صارت ملكا عضوضا بعد الراشدين كما ورد في الحديث

وفي الصحيحين ان رجلا قال لابن عباس: هل لك في أمير المؤمنين معاوية إنه أوتر بركعة ؟ فقال: أصاب، انه فقيه . فهذه شهادة ابن عباس بفقه معاوية . وابن عباس من علماء أهل البيت ، ومعاوية ليس من السابقين الاولين؛ بل قد قيل أنه من مسلمة الفتح وقيل بل أسلم قبل ذلك ،وكان يعترف بانه ليس من فضلاء الصحابة ، ومعلوم باجماع المسلمين انه ليس قريبا من عثمان وعلي فضلا عن ابي بكر وعمر . وقد تبين بما ذكرنا لكل منصف أريب ، ولمن له قلب منيب، جهل هذا المعترض وطائفته بما عليه أهل البيت ، وان دعواهم ومحبتهم كذب وافتراء ، ومجرد دعوى لا حقيقة لها، كما ان اليهود والنصارى يدعون اتباع أنبيائهم وهم قد خالفوهم وسلكوا غير طريقهم ، وكذلك الرافضة والشيعة يدعون اتباع علي وأهل بيته وهم قد خالفوا طريقهم ، وسلكوا غير منهاجهم ، وان أسعد الناس باتباعهم ومحبتهم أهل السنة والجماعة القائلون بما دل عليه الكتاب والسنة

مدة الحرب بين علي ومعاوية

وأما قوله : بعد ان كانت الحرب بينهما أربعين يوما ، فالجواب أن يقال :

هذا مما يدل على جهل هذا المعترض بالسير والاخبار، وانه يخبط في كلامه خبط عشواء بلا دليل ولا مستند ولا استبصار، ولا معرفة بما نقله أهل تواريخ الاسلام والعلماء الكبار ، فان كان مراده يوم صفين خاصة فقد ذكر اهل التواريخ الاسلامية ان الحرب أقامت بين علي ومعاوية في يوم صفين [1] نحو مائة يوم وعشرة أيام وجرى بينهم في تلك المدة نحو تسعين وقعة. وذلك انهم ذكروا ان ابتداء القتال في أول يوم من صفر سنة سبع وثلاثين من الهجرة فدامت الحرب بينهم ثلاثة أشهر وعشرين يوما كما ذكر معنى ذلك المسعودي عن أهل السير والاخبار كما تقدم ذلك عنه ، وذكر القرطبي صاحب التفسير الكبير ان مقام علي ومعاوية بصفين سبعة أشهر ، وقيل تسعة ، وقيل ثلاثة ، وكان بينهم قبل القتال نحو من سبعين يوما زحفا في ثلاثة أيام من أيام البيض وهي ثلاثة عشر وأربعة عشر وخمسة عشر ، وقتل ثلاثة وسبعون الفا من الفريقين ، ذكره الثقة العدل ابراهيم بن الحسن الكسائي الهمذاني ، وفي تلك الليالي ليلة الهرير جعل بعضهم يهر الى بعض، والهرير

---

(١) ان قيل كيف قال يوم صفين ثم قال انه كان ١١٠ أيام (قلنا) ان لفظ «اليوم» في أصل اللغة معناه الزمن الذي يحدده مايقع فيه قل أو كثر ، فيوم صفين هو الزمن الذي وقعت فيه الحرب بين علي ومعاوية وقدره ١١٠ أيام فلكية ، وهكذا يقال في يوم الجمل وأيام العرب وغيرها . ويوم القيامة زمن مقداره خمسون ألف سنة كما قال الله تعالى

الصوت يشبه النباح لانهم تراموا بالنبل حتى فنيت، وتطاعنوا بالرماح حتى اندقت، وتضاربوا بالسيوف حتى تقصفت، ثم نزل القوم بعضهم الى بعض ، قد كسروا جفون سيوفهم واضطربوا بما بقي من السيوف وعمد الحديد ،فلا تسمع إلا غمغمة القوم والحديد في الهام. فلما صارت السيوف كالمناجل، تراموا بالحجارة ثم جثوا على الركب فتحاثوا بالتراب، ثم تكادموا بالافواه، وكسفت الشمس وثار القتام، وارتفع الغبار ، وتقطعت الالوية والرايات، ومرت أوقات اربع صلوات، لان القتال كان بعد صلاة الصبح واقتتلوا الى نصف الليل . وذلك في شهر ربيع الاول سنة سبع وثلاثين . قاله الامام احمد في تاريخه انتهى ما ذكره القرطبي(١)

واما ان كان مراده محاربة علي ومعاوية وعدم تسليم معاوية الامر له فهذا أعظم جهلا وأكبر خطأ مما قبله. فان معاوية اقام محاربا لعلي مدة خلافته كلها من حين قتل عثمان الى ان قتل علي رضي الله عنه، وذلك نحو خمس سنين إلا ثلاثة اشهر ، وقيل أربع سنين وتسعة اشهر وثلاثة أيام ، وقيل وستة أيام ، وقيل وأربعة عشر يوما، وقيل أربع سنين وثمانية اشهر وثلاثة وعشرين يوما

(١) ولا يخفى ما في كلام القرطبي من الكذب والغلو والتشنيع المخالف لصحيح التاريخ اه من حاشية الاصل . والقرطبي لم يكن هو المفتري ولكنه اغتر ببعض ما كتبه اصحاب الاهواء في ذلك

فصل

واما قوله افترقت الامة فرقتين فرقة توالي معاوية باطنا وظاهراً وهم الذين قاتلوا معه ونصروه وسموا انفسهم أهل السنة والجماعة كما اخبرت بذلك التواريخ .

فالجواب ان يقال : هذا ايضا جهل وتخبيط وقصور فهم وغباوة شديدة فان الامة قد افترقت بعد قتل عثمان رضي الله عنه ثلاث فرق : فرقة بايعت عليا رضي الله عنه ودخلوا في طاعته ، وهم اكثر الصحابة وجمهور المسلمين وفرقة امتنعت عن الدخول في طاعته ومبايعته واظهروا الطلب بدم عثمان رضي الله عنه ، وهم معاوية ومن تابعه وكان هو الامير عليهم في خلافة عمر رضي الله عنه وخلافة عثمان ، وارسلوا إلى علي : ان كنت تريد ان نبايعك فادفع الينا قتلة عثمان فابى علي رضي الله عنه ذلك .

والطائفة الثالثة لم يبايعوا عليا ولا معاوية واعتزلوا الفريقين جميعا لم يعينوا هؤلاء ولا هؤلاء ولم يدخلوا في تلك الحروب والفتن ولم يحضروها ، منهم سعد ابن ابي وقاص رضي الله عنه أحد العشرة المبشرين بالجنة ، ومنهم اسامة بن زيد وعبدالله بن عمر بن الخطاب ، ومحمد بن مسلمة الانصاري ، وأبو موسى الاشعرى وعمران بن حصين الخزاعي ، وأبو بكرة الثقفي ، واهبان بن صيفي . ومن التابعين شريح والنخعي رضي الله عنهم أجمعين

واخرج ابن ماجه عن ابي بردة قال دخلت على محمد بن مسلمة فقال ان رسول الله ﷺ قال « انها ستكون فتنة وفرقة واختلاف ، فاذا كان ذلك فائت بسيفك أحداً فاضرب به حتى ينقطع ثم اجلس في بيتك حتى تأتيك يد خاطئة أو منية قاضية » فقد وقعت وفعل ماقال النبي ﷺ .

ومن هؤلاء من بايع عليا رضي الله عنه ولم يقاتل معه في حروبه قال أبو عمر

ابن عبد البر في الاستيعاب : وتخلف عن بيعة علي اقوام فلم يكرههم علي وسئل عنهم فقال: أولئك قوم قعدوا عن الحق ولم يدخلوا في الباطل . وقال غيره : ان كثيرا من المسلمين حتى من أهل المدينة ومكة لم يكونوا بايعوه، دع الذين كانوا بعيدين كاهل الشام ومصر والمغرب وخراسان والعراق. انتهى

وقد قال غير واحد من أهل العلم: ان جمهور الصحابة ما دخلوا في الفتنة. قال عبد الله بن الامام احمد: حدثنا ابي ثنا اسماعيل يعني ابن علية حدثنا ايوب السختياني عن محمد بن سيرين قال: هاجت الفتنة و صحاب رسول الله ﷺ عشرة آلاف فما حضرها منهم مائة، بل لم يبلغوا ثلاثين . هذا إسناد من اصح اسناد على وجه الارض، ومحمد بن سيرين من أورع الناس في منطقه، ومراسيله من أصح المراسيل وقال عبد الله : حدثنا ابي ثنا اسماعيل ثنا منصور بن عبد الرحمن[1] . قال : قال الشعبي لم يشهد الجمل من اصحاب النبي ﷺ غير علي وعمار وطلحة والزبير، فان جاؤا بخامس فانا كذاب . وقال عبد الله بن احمد ثنا ابي ثنا أمية بن خالد قال قيل لشعبة: إن ابا شيبة روى عن الحكم عن عبد الرحمن بن ابي ليلى قال: شهد صفين من أهل بدر سبعون رجلا ، فقال: كذب والله، لقد ذاكرت الحكم بذلك وذاكرناه في بيته فما وجدنا شهد صفين من أهل بدر غير خزيمة بن ثابت. وهذا النفي يدل على قلة من حضرها، وقيل: انه حضرها سهل بن حنيف وابو ايوب، وكلام ابن سيرين متقارب فما يكاد يذكر مائة واحد . وقد روى ابن بطة باسناده عن بكير ابن الاشج قال : اما ان رجالا من أهل بدر لزموا بيوتهم بعد قتل عثمان رضي الله عنه فلم يخرجوا الا لقبورهم .

---

(١) قال ابو حاتم لا يحتج به اه من حاشية الاصل

فصل

واما قوله في معاوية رضي الله عنه لما استتم له الامر فذلت له الرقاب : افترقت الامة إلى فرقتين : فرقة توالي معاوية باطنا وظاهراً وهم الذين قاتلوا معه وسموا انفسهم أهل السنة والجماعة كما اخبرت به كتب التواريخ وبدعوا من والى علياً وأهله

فالجواب ان يقال : هذا من الكذب والبهتان الظاهر لكل من له معرفة بما عليه أهل السنة والجماعة بل معاوية وأصحابه الذين قاتلوا عليا ومن معه لا يبدعونه ولا يبدعون من والاه ، بل العلماء منهم مقرون بفضله ودينه وورعه وسابقته وحسن بلائه في الاسلام ، حتى معاوية نفسه يقر بذلك في المحافل والمجالس ، كما ذكر ذلك أهل العلم في كتبهم. فروى يحيى الجعفي في كتاب صفين باسناده : حدثني يعلى بن عبيد حدثنا ابي قال أبو مسلم الخولاني وجماعة لمعاوية: أأنت تنازع عليا ؟ ام انت مثله ؟ قال : لا والله إني لأعلم ان عليا افضل مني واحق بالامر . ولكن ألستم تعلمون ان عثمان قتل مظلوماً وانا ابن عمه وانما أطلب بدمه ، فائتوا عليا فليدفع إلي قتلة عثمان واسلم له ، فأتوا عليا فكلموه فلم يدفعهم اليه

فانظر وتأمل يتبين لك كذب المعترض ونسبته إلى الصحابة مالا يليق بهم ، كذلك نسبته إلى أهل السنة والجماعة تبديع من والى عليا وأهل بيته وشيعته ، فان هذا كذب وافتراء على القوم ، بل جميع أهل السنة يتولون عليا وأهل البيت ويقدمونه على معاوية بل وعلى من هو افضل من معاوية ، فن الذي عليه جمهور أهل السنة والجماعة ان افضل هذه الامة بعد نبيها أبو بكر ومن بعد أبي بكر عمر ثم بعد عمر عثمان ثم بعد عثمان علي ، ثم بقية العشرة ، ثم أهل بدر ، ثم أهل بيعة الرضوان ، ثم بقية الصحابة رضي الله عنهم أجمعين ، وأهل السنة يعلمون ان معاوية ليس من السابقين الاولين ، بل هو من مسلمة الفتح ومن المؤلفة قلوبهم ولكنه ممن حسن اسلامه بعد ذاك ، وصار يكتب الوحي لرسول الله ﷺ . ثم لما توفي

أبو بكر خرج إلى الجهاد مع أخيه يزيد بن أبي سفيان، ثم لما توفي يزيد استعمله عمر رضي الله عنه على الشام فاقام أميراً عشرين سنة وخليفة عشرين سنة وكانت رعيته تحبه لحسن سيرته

وقد ثبت في الصحيح ان رسول الله ﷺ قال «خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، وتصلون عليهم ويصلون عليكم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم» ومما يدل على اعتراف معاوية بفضل علي ما أخرجه غير واحد من أهل السنة في كتبهم وذكره أبو عمر بن عبد البر في كتاب الاستيعاب في ترجمة علي حيث قال: حدثنا عبدالله بن محمد بن يوسف قال حدثنا يحيى بن مالك قال حدثنا ابو الحسن محمد بن محمد بن مقلد البغدادي بمصر قال حدثنا ابو بكر محمد بن الحسن بن دريد قال حدثنا الكلبي عن الحرماوي عن رجل من همدان قال: قال معاوية لضرار الصدائي: ياضرار، صف لي علياً، قال اعفني يا أمير المؤمنين، قال فلتصفه لي قال« اما اذ لا بد من وصفه، فكان والله بعيد المدى، شديد القوى، يقول فصلا، ويحكم عدلا، يتفجر العلم من جوانبه، وتنطق الحكمة من نواحيه، يستوحش من الدنيا وزهرتها، ويأنس بالليل ووحشته، وكان غزير العبرة، طويل الفكرة، يعجبه من اللباس ماقصر، ومن الطعام ماخشن، كان فينا كاحدنا، يجيبنا إذا سألناه، ويأتينا إذا دعوناه، ونحن والله مع تقريبه ايانا وقربه منا لا نكاد نكلمه هيبة له، يعظم أهل الدين ويقربهم، ويحب المساكين، لا يطمع القوي في باطله، ولا ييئس الضعيف من عدله، واشهد لقد رأيته في بعض مواقفه، وقد ارخى الليل سدوله، وغارت نجومه، قابضاً على لحيته، يتململ تململ السليم، ويبكي بكاء الحزين، ويقول: يادنيا غري غيري، ألي تقربت؟ ام الي تشوفت؟ هيهات هيهات، بتتك ثلاثاً لا رجعة فيها، فعمرك قصير، وخطرك حقير، آه من قلة الزاد، وبعد السفر، ووحشة الطريق»

فبكى معاوية وقال: رحم الله ابا الحسن، كان والله كذلك. فكيف حزنك عليه ياضرار؟ قال «حزن من ذبح واحدها في حجرها»

وكان معاوية رضي الله عنه يكتب فيما ينزل به الى علي بن ابي طالب يسأله عن ذلك. فلما بلغه قتله قال ذهب الفقه والعلم بموت ابن ابي طالب، فقال له عتبة اخوه لا يسمع هذا منك أهل الشام. انتهى ما ذكره ابو عمر

وكذلك الصحابة الذين قاتلوا عليا مع معاوية ليس فيهم من يقول ان معاوية افضل من علي وانما قاتلوه ومن معهم من أهل الشام للطالب بدم عثمان رضي الله عنه. وكانوا يقولون ان معاوية هو ولي عثمان والطالب بدمه كما ذكر ذلك غير واحد من أهل العلم بالاخبار والتواريخ وأيام الناس

قال مجالد عن الشعبي: لما قتل عثمان أرسلت أم حبيبة بنت أبي سفيان إلى أهل عثمان: ارسلوا إلي بثياب عثمان وبالخصلة الشعر التي نتفت من لحيته، ثم دعت النعمان بن بشير فبعثته إلى معاوية، فمضى بذلك وبكتابها فصعد معاوية المنبر وجمع الناس ونشر القميص عليهم، وذكر ماصنع بعثمان ودعا إلى الطلب بدمه، فقام أهل الشام فقالوا: هو ابن عمك وأنت وليه، ونحن الطالبون معك بدمه، فبايعوا له. وقال يونس عن الزهري: لما بلغ معاويه قتل طلحة والزبير وظهور علي دعا أهل الشام للقتال معه على الشورى والطلب بدم عثمان، فبايعوه على ذلك اميراً غير خليفة. وقد روى الطبراني عن ابن عباس قال: مازلت موقنا ان معاوية سيلي الملك والسلطان من هذه الآية (ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا)(١)

وأما سائر أهل السنة والجماعة فكلهم يتولون علياً وأهل البيت ويحبونهم

---

(١) ولكن قال الله بعد ذلك (فلا يسرف في القتل) وقد أسرف معاوية، وقامت عليه الحجة بما رواه هو وغيره من قوله (ص) لعمار «تقتلك الفئة الباغية» ثم ماذا فعل بقتلة عثمان، بعد ان انتهى اليه السلطان ؟؟

وينكرون على بني أمية الذين يسبون علياً، وكتبهم مشحونة بالثناء عليه ومحبته وموالاته، وجميع كتب الحديث مذكور فيها فضل علي وأهل البيت ولكنهم يتولون سائر الصحابة ويحبونهم ويترضون عنهم طاعة لله ولرسوله ﷺ، فان الله تعالى ذكر الصحابة في كتابه، وأحسن الثناء عليهم، فقال تعالى (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم) الآية. وقال تعالى (لايستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل) الآية. وأثنى تعالى على من جاء من بعدهم ودعا لهم بالمغفرة فقال تعالى (والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان) الآية. فتبين بما ذكرنا جهالة المعترض وكذبه على أهل السنة بأنهم بدعوا من والى علياً وأهل بيته.

***

وأما قوله: ولذلك قال الشافعي لما رأى التبديع لأهل الحق:

إن كان رفضاً حب آل محمد ... فليشهد الثقلان اني رافضي

فجميع أهل السنة وأكثر أهل البدعة من المعتزلة والمرجئة وغيرهم يقولون كما قال الشافعي، ويقولون أيضا كما قال بعض العلماء:

إن كان نصبا حب صحب محمد ... فليشهد الثقلان اني ناصبي

فالبيت الاول إرغام للخوارج وطائفة من بني أمية الذين يبغضون عليا رضي الله عنه وأهل بيته، ومنهم من يكفره. والبيت الثاني إرغام للروافض والزيدية الذين يبغضون بعض أصحاب النبي ﷺ، وذلك ان الله تبارك وتعالى هدى أهل السنة والجماعة لما اختلف فيه من الحق (والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم) وذلك انهم آمنوا بجميع المنزل من عند الله، وجميع ماورد عن رسول الله من الاحاديث الصحيحة الثابتة، ولم يغلوا غلو الروافض والزيدية، ولم يقصروا تقصير الخوارج ومن نحا نحوهم.

فصل

وأما قوله : ولهذا الافتراق روى مسلم في صحيحه عن أبي اسحاق ما معناه : انه لما وقعت الفتنة قال بعض المحدثين لبعض إذا حدثوا: بينوا لنا رجالكم، وكانوا قبل الفتنة يقبلون المرسل ولا يسألون عن رجال السنة

فيقال : هذا مما يدل على انصاف أهل السنة و الجماعة و نصحهم لله ولرسوله ولدينه، خصوصا أئمة الحديث وجهابذته. وذلك انه دين فلا يجوز لهم الاخذ عن كل من روى الحديث حتى يعرفوا حاله هل هو ثقة حافظ ضابط لما يرويه ؟ وهل هو من أهل السنة أو من أهل البدعة ؟ فإذا عرفوا الرجل بالكذب بينوا حاله ، وإذا عرفوه بالبدعة بينوا حاله ، فإذا عرفوا أن الرجل ثقة أخذوا عنه ، وقبلوا حديثه . ولو كان من أهل البدع ، وإذا كان الرجل قليل الضبط أو معروفا بالكذب أو بالتخليط أو الاضطراب في حديثه تركوا حديثه ، وبينوا حاله. وان كان من أهل السنة ومن أهل الصلاح . يعرف ذلك من طالع كتب الجرح والتعديل ، وفي البخاري ومسلم والسنن الاربعة رجال من أهل البدع يروون عنهم الحديث من الخوارج والقدرية والمرجئة والشيعة وغيرهم اذ كانوا معروفين بالصدق والضبط ،

ولكن أهل الحديث وأهل العلم يعلمون ان أكذب الطوائف هم الرافضة والشيعة ومن نحا نحوهم . وذلك ان عمدتهم في المنقولات على تواريخ منقطعة الاسناد وكثير من وضع المعروفين بالكذب . قال أبو حاتم الرازي : سمعت يونس بن عبد الاعلى يقول قال أشهب بن عبد العزيز : سئل مالك عن الرافضة فقال: لا تروو عنهم ولا تكلمهم فانهم يكذبون. وقال أبو حاتم : حدثنا حرملة قال سمعت الشافعي يقول: لم أر أحداً أشهد بالزور من الرافضه. وقال مؤمل بن

إهاب : سمعت يزيد بن هارون يقول يكتب عن كل صاحب بدعة اذا لم يكن داعية إلا الرافضة فانهم يكذبون

وقال محمد بن سعيد الاصبهاني سمعت شريكا يقول : احمل العلم عن كل من لقيت إلا الرافضة ،فانهم يضعون الحديث فيتخذونه دينا ، وشريك هذا هو شريك بن عبد الله القاضي بالكوفة من أقران الثوري وأبي حنيفة وهو من الشيعة الذي يقول بلسانه أنا من الشيعة وهذه شهادته

ومن تأمل كتب الجرح والتعديل المصنفة في أسماء الرواة والنقلة وأحوالهم مثل كتب يحي بن سعيد القطان وعلي بن المديني ويحي بن معين والبخاري وابي زرعة وابي حاتم الرازي والنسائي وابي حاتم بن حبان وابي احمد بن عدي والدارقطني وابراهيم بن يعقوب الجوزجاني ويعقوب بن سفيان والعجلي والعقيلي والموصلي والحاكم النيسابووي والحافظ عبد الغني بن سعيد المصري وأمثال هؤلاء الذين هم جهابذة نقاد ولهم المعرفة التامة باحوال الاسناد علم أن المعروف عندهم بالكذب في الشيعة أكثر منهم في جميع الطوائف، حتى ان أصحاب الصحيح كالبخاري وغيره لم يرووا عن أحد من قدماء الشيعة مثل عاصم بن ضمرة والحارث الاعرج وعبد الله بن سلمة، مع ان هؤلاء من خيار الشيعة ، وانما يروون حديث علي عن أهل بيته كالحسن والحسين ومحمد بن الحنفية ، وكاتبه عبيد الله بن ابي رافع . وعن أصحاب ابن مسعود كعبيدة السلماني والحارث بن قيس وأشباههم وهؤلاء أئمة النقل ونقاده من ابعد الناس عن الهوى ، وأخبرهم بالناس، وأقولهم بالحق ، لايخافون في الله لومة لائم

ولهذا قال احمد بن حنبل رحمه الله لما قيل له ان ابن ابي قتيلة يقول ان أصحاب الحديث قوم سوء فقام احمد ينفض ثوبه ويقول زنديق زنديق زنديق

وقال بعضهم : اذا رأيت من يبغض احمد بن حنبل فاعلم انه مبتدع ، واذا

رأيت من يبغض يحيى بن معين فاعلم انه كذاب، ولا يبغض يحيى بن معين ويتكلم فيه وفي أمثاله إلا من هو من أهل الكذب

فصل

وأما قوله : ونشأ من هذا الافتراق الامر العظيم وهو استمرار لعن علي عليه السلام على المنابر حتى قطعه عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه

فيقال : اما لعن علي رضي الله عنه فانما فعله طائفة قليلة من بني أميـة وهم عند أهل السنة ظلمة فسقة ، وأهل السنة ينكرون عليهم ذلك بألسنتهم ويروون الاحاديث الصحيحة في فضائل علي

وذلك انهم أرادوا وضعه عنـد الناس ، وحط رتبته ومحبته من قلوبهـم فجازاهم الله بنقيض قصدهم ، ورفعه الله، وأظهر أهل السنة والجماعة فضائله، وحدثوا بها الناس ، فاشتهرت عند العامة فضلا عن الخاصة ، وجميع أهل السنة يحبونه ويوالونه رضي الله عنه . فلما زالت دولة بني أمية وجاءت دولة بني العباس في سنة ثنتين وثلاثين ومائة انقطع لعن علي رضي الله عنه

وأما قول المعترض: ان ابن تيمية روى في منهاجه انه استمر لعن علي إلى زمانه ، وأما في أيامه فقد انقطع، فهذا كذب ظاهر على ابن تيمية رحمه الله، وقلة حياء فيمن نسب ذلك اليه ، ومنهاج السنة موجود عندنا ولم يذكر هذا فيـه ، وابن تيمية أجل من أن يخفى عليه هـذا الامر الواضح الذي يعرفه أدنى من له معرفة بالسير والتواريخ ، وانه انقطع من الشام وغيره من بلاد الاسلام

ثم ظهرت الدولة العباسية وانقطعت الدولة الاموية في أيام السفاح الذي كان هو أول ملوك بني العباس ، وقتل مروان الملقب بالحمار الذي هو آخر ملوك بني أمية سنة اثنتين وثلاثين ومائة

وأعجب من هذا قوله: إن ابن تيمية أيضاً روى في منهاج السنة أن كثيراً من علماء السنة والجماعة حكموا بتخطئة علي في حروبه إلا احمد بن حنبل امام الشيعة عند التحقيق، فانه قال: من خطأ عليا في حروبه فهو كحمار أهله. انتهى معنى كلام ابن تيمية

والجواب أن يقال: ان هذا من الكذب الظاهر على ابن تيمية وعلى احمد ابن حنبل رحمهما الله، وهذا نص لفظ ابن تيمية في المجلد الاول من كتاب منهاج السنة النبوية في الرد على الشيعة والقدرية قال رحمه الله:

« ولهذا اضطرب الناس في خلافة علي على أقوال، فقالت طائفة انه امام، وان معاوية امام، وانه يجوز نصب امامين في وقت واحد اذا لم يمكن الاجتماع على امام واحد، وهذا يحكى عن الكرامية وغيرهم، وقالت طائفة لم يكن في ذلك الزمان امام عام، بل كان زمان فتنة، وهذا قول طائفة من أهل الحديث البصريين وغيرهم. ولهذا لما أظهر الامام احمد التربيع بعلي في الخلافة وقال: من لم يربع بعلي فهو أضل من حمار أهله، أنكر طائفة من هؤلاء وقالوا قد أنكر خلافته من لا يقال فيه هو أضل من حمار أهله، يريدون من تخلف عنها من الصحابة. واحتج احمد وغيره على خلافة علي بحديث سفينة عن النبي ﷺ « تكون خلافة النبوة ثلاثين سنة ثم تصير ملكا » وهذا الحديث قد رواه أهل السنن كابي داود وغيره. وقالت طائفة ثالثة علي هو الامام وهو مصيب في قتاله لمن قاتله، وكذلك من قاتله من الصحابة كطلحة والزبير كلهم مجتهدون مصيبون، وهذا قول من يقول: كل مجتهد مصيب، كقول البصريين من المعتزلة وابي الهذيل وابي هاشم ومن وافقهم من الاشعرية كالقاضي ابي بكر وابي حامد، وهو المشهور عند ابي الحسن الاشعري، وهؤلاء أيضاً يجعلون معاوية مجتهداً مصيبا في قتاله كما ان عليا مصيب. وهذا قول طائفة من الفقهاء من أصحاب احمد وغيره ذكره ابو عبد الله بن حامد. وذكر لاصحاب احمد في المقتتلين يوم

الجمل وصفين ثلاثة أوجه (أحدها) كلاهما مصيب (والثانى)المصيب واحد لا بعينه (والثالث) ان عليا هو المصيب ومن خالفه مخطيء

«والمنصوص عن احمد وأئمة السنة انه لايذم أحد منهم، وان عليا أولى بالحق من غيره . أما تصويب القتال فليس هو قول أئمة السنة بل هم يقولون ان تركه كان أولى ، وطائفة رابعة تجعل عليا هو الامام وكان مجتهداً مصيبا في القتال، ومن قاتله كانوا مجتهدين مخطئين. وهذا قول كثير من أهل الكلام والرأي من أصحاب أبي حنيفة ومالك والشافعي واحمد ، وطائفة خامسة تقول ان عليا مع كونه كان خليفة وهو أقرب الى الحق من معاوية فكان ترك القتال أولى . وينبغي الامساك عن القتال لهؤلاء وهؤلاء فان النبي ﷺ قال « ستكون فتنة القاعد فيها خير من القائم ، والقائم فيها خير من الساعي » وقد ثبت انه ﷺ قال في الحسن « ان ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المؤمنين» فأثنى على الحسن بالاصلاح . ولو كان القتال واجبا أو مستحبا لما مدح تاركه ،قالوا وقتال البغاة لم يأمر الله به ابتداء ولم يأمر بقتال كل باغ بل قال (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ، فان بغت إحداهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله) فأمر اذا اقتتل المؤمنون بالاصلاح بينهم ، فان بغت احداهما على الاخرى قوتلت ، قالوا ولهذا لم يحصل بالقتال مصلحة، والامر الذي لم يأمر الله به لابد أن يكون مصلحته راجحة على مفسدته. وفي سنن ابي داود: ثنا الحسن بن على ثنا يزيد ثنا هشام عن محمد بن سيرين قال قال حذيفة : ما أحد من الناس تدركه الفتنة الا انا اخافها عليه الا محمد بن مسلمة ، فاني سمعت رسول الله ﷺ يقول « لا تضره الفتنة » فهذا يبين ان النبي ﷺ أخبر ان محمد بن مسلمة لاتضره الفتنة وهو ممن اعتزل في القتال فلم يقاتل مع علي ولا مع معاوية كما اعتزل سعد بن ابي وقاص واسامة بن زيد وعبد الله بن عمر

وابو بكرة وعمران بن حصين واكثر السابقين الاولين. وهذا يدل على انه ليس هناك قتال واجب ولا مستحب، إذ لو كان كذلك لم يكن ترك ذلك مما يمدح به الرجل بل كان من فعل الواجب أو المستحب أفضل ممن تركه. ودل ذلك ان القتال قتال فتنة كما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ انه قال« ستكون فتنة القاعد فيها خير من القائم والقائم فيها خير من الماشي والماشي فيها خير من الساعي والساعي فيها خير من الموضع»(١) وأمثال ذلك من الاحاديث الصحيحة التي تبين ان ترك القتال كان خيرا من فعله من الجانبين، وعلى هذا جمهور أئمة الحديث والسنة. وهذا هو مذهب مالك والثوري واحمد وغيره. وهذه اقوال من يحسن القول في علي وطلحة والزبير ومعاوية. ومن سوى هؤلاء من الخوارج والروافض والمعتزلة فمقالتهم في الصحابة نوع آخر، فالخوارج يكفرون علياً وعثمان ومن والاهما والروافض يكفرون جمهور الصحابة ومن والاهم أو يفسقوهم ويكفرون من قاتل عليا ويقولون هو امام معصوم، وطائفة من المروانية تفسقه وتقول انه ظالم معتد. وطائفة من المعتزلة تقول قد فسق إما هو واما من قاتله، لكن لا يعلم عينه. وطائفة أخرى منهم تفسق معاوية وعمرو بن العاص دون طلحة والزبير وعائشة» انتهى ماذكره الشيخ تقي الدين بن تيمية في منهاج السنة

فانظر رحمك الله بعين الانصاف الى كلام هذا الامام، ثم انظر الى كلام المعترض يتبين لك تحريفه للكلم عن مواضعه، فان ابن تيمية انما ذكر ان جمهور أئمة السنة يرون ان ترك قتال علي أولى من القتال، وان تركه أحب الى الله والى رسوله لاحاديث الرسول ﷺ في الحسن ابن علي وغيره الدال على هذا المعنى، وتقدمت الاشارة الى بعضها

(١) الموضع كالمسرع وزنا ومعنى

وأما تخطئتهم عليا في ذلك فحاشا وكلا، بل كثير من أهل السنة والجماعة يرون ان عليا مصيب في قتاله لمعاوية ومن معه وكلهم متفقون على انه أقرب الى الحق وأولى به من معاوية ومن معه ، وأما ماذكره عن احمد بن حنبل فانما أراد احمد بذلك : ومن لم يجعل عليا رابع الخلفاء الراشدين . وقال : من لم يربع بعلي في الخلافة فهو أضل من حمار أهله

وأما لفظ المعترض الذي ذكره عن احمد : ان من خطأ عليا في حروبه فهو كحمار أهله ، فليس هذا لفظ احمد ولا هو معنى كلامه ولا ذكره الشيخ ابن تيمية رحمه الله عن احمد ، ولكن نعوذ بالله من التعصب واتباع الهوى اللذين يصدان عن اتباع الحق ، ويحملان على كتمان الحق ولبسه بالباطل . وقد نهى الله سبحانه في كتابه عن هاتين الخصلتين فقال تعالى (ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون)

ومن العجب ان هذا المعترض وأشباهه يعلمون ان الحسن ابن علي رضي الله عنه وغيره من أهل البيت يرون ان ترك القتال أولى من فعله وأحب إلى الله والى رسوله كما اختاره كثير من أهل السنة والحديث ، ومع هذا ينكرون على أهل السنة ذلك مع زعمهم انهم من شيعة اهل البيت ، ويزعمون ان اهل السنة يبغضون اهل البيت ومن والاهم . وقد كذبوا فان أهل السنة والحديث أولى باتباع اهل البيت منهم وهم شيعتهم على الحقيقة ، لانهم سلكوا طريقتهم واتبعوا هديهم ، وقد قال تعالى لليهود والنصارى لما ادعى كل طائفة منهم ان ابراهيم كان منهم (ان أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا)

فصل

﴿ الاقوال والآراء في قتال الحسين (رض) ليزيد ﴾

وأما قوله: ومما نشأ من هذا الافتراق ان كثيراً من علماء اهل السنة والجماعة حكموا بان الحسين بن علي باغ على يزيد بن معاوية

فيقال: قد اختلف أهل السنة والجماعة في هذه المسألة وكذلك أهل البيت، فذهبت طائفة من أهل السنة رضي الله عنهم من الصحابة فمن بعدهم كسعد بن أبي وقاص واسامة ابن زيد ومحمد بن مسلمة وعبد الله بن عمر رضي الله عنهم وغيرهم وهو قول احمد بن حنبل وجماعة من أصحاب الحديث ـ إلى ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر باللسان ان قدر على ذلك وإلا فبالقلب فقط ولا يكون باليد وسل السيوف والخروج على الأئمة وان كانوا أئمة جور. واستدلوا باحاديث صحاح عن رسول الله ﷺ منها ما اخرجاه في الصحيحين عن ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال «من رأى من أميره شيئا يكرهه فليصبر عليه فانه ليس أحد من الناس يخرج من السلطان شبراً فمات إلا مات ميتة جاهلية» وفي لفظ «من فات الجماعة شبراً فمات مات ميتة جاهلية» وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ انه قال «من خرج من الطاعة وفارق الجماعة ثم مات مات ميتة جاهلية» الحديث

وفي صحيح مسلم عن حذيفة قال: قلت يارسول الله، إنا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال «نعم» فقلت فهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال «نعم وفيه دَخَن» قلت وما دخنه؟ قال «قوم يستنون بغير سنتي، ويهتدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر» فقلت: فهل بعد ذلك الخير شر؟ قال «نعم، دعاة على أبواب جهنم من أجابهم قذفوه فيها» فقلت: يارسول الله صفهم لنا. قال «نعم. قوم من جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا» قلت: يارسول الله

فما ترى إن أدركني ذلك ؟ قال « تلزم جماعة المسلمين وإمامهم » قلت فان لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال «فاعتزل تلك الفرق كلها ، ولو أن تعض على اصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك » والاحاديث في هذا المعنى كثيرة جداً

وذهبت طائفة أخرى من الصحابة رضي الله عنهم ومن بعدهم من التابعين ثم الأئمة بعدهم الى أن سل السيوف في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب اذا لم يقدر على ازالة المنكر الا بذلك . وهو قول علي بن أبي طالب وكل من معه من الصحابة رضي الله عنهم كعمار بن ياسر وابن عباس وأبي سعيد الخدري وغيرهم وهو قول أم المؤمنين ومن معها من الصحابة كعمرو بن العاص والنعمان بن بشير وأبي العادية السلمي وغيرهم ، وهو قول عبدالله بن الزبير والحسين بن علي ، وهو قول كل من قام على الفاسق الحجاج كعبد الرحمن بن أبي ليلى وسعيد بن جبير وأبي البختري الطائي وعطاء السلمي والحسن البصري والشعبي ومن بعدهم كالناسك الفاضل عبد الله بن عبد العزيز بن عبدالله بن عمر وعبيدالله بن حفص بن عاصم وسائر من خرج مع محمد بن عبدالله بن الحسين بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، ومع أخيه ابراهيم بن عبدالله ، وهشيم بن بشير والوراق وغيرهم

وقد ذكر ابن كثير في تاريخه عن طاوس عن ابن عباس قال استشارني الحسين بن علي في الخروج الى العراق ، فقلت : لولا أن يزري بي وبك الناس لنشبت يدي في رأسك فلم أتركك تذهب ، فكان الذي رد علي أن قال : لأن أقتل في مكان كذا أحب الي من أن أقتل بمكة ، قال : وكان هذا الذي سلى نفسي عنه . وقال غير واحد عن شبابة بن سوار : حدثنا يحي بن اسماعيل بن سالم الاسدي قال سمعت الشعبي يحدث عن ابن عمر انه كان بمكة فبلغه ان الحسين بن علي قد توجه الى العراق فلحقه على مسيرة ثلاث ليال ، فقال أين تريد ؟ قال العراق واذا معه طوامير وكتب ، فقال هذه كتبهم وبيعتهم ، فقال ابن عمر لا تأتهم ، فأبى

فقال ابن عمر : أني محدثك حديثا «ان جبريل أتى النبي ﷺ فخيره بين الدنيا والآخرة فاختار الآخرة ولم يرد الدنيا، وذلك بضعة من رسول الله ﷺ والله لا يليها أحد منكم أبداً، وما صرفها الله عنكم الا للذي هو خير لكم» فأبى أن يرجع، فاعتنقه ابن عمر وبكى وقال استودعك الله من قتيل

وقال ابو سعيد الخدري : غلبني الحسين بن علي على الخروج وقد قلت له: اتق الله في نفسك، ولا تخرج على امامك، والزم بيتك. وقال أبو واقد الليثي بلغني خروج الحسين فأدركته فناشدته الله أن لا يخرج فانه يخرج في غير وجه خروج انما يقتل نفسه، فقال لا أرجع

وقال جابر بن عبد الله : كلمت حسينا فقلت له: اتق الله ولا تضرب الناس بعضهم ببعض فوالله ماحمدتم ماصنعتم، فعصاني. وقال سعيد بن المسيب : لو أن حسينا لم يخرج لكان خيراً له، وكتب اليه المسور بن مخرمة : إياك أن تغتر بكتب أهل العراق، ويقول لك ابن الزبير: الحق بهم فانهم ناصروك، إياك ان تبرح الحرم، فانهم إن كان لهم بك حاجة فسيضربون اليك آباط الابل حتى يوافوك فتخرج في قوة وعدة، فجزاه خيراً، وقال أستخير الله في ذلك

وكتب اليه عبد الله بن جعفر بن ابي طالب كتابا يحذره أهل الكوفة، ويناشده الله أن يشخص اليهم، فكتب اليه الحسين «اني رأيت رؤيا ورأيت فيها رسول الله ﷺ وأمرني بأمر انا ماض له ولست بمخبر بها أحداً حتى ألاقي عملي»

وذكر محمد بن سعد رحمه الله بأسانيده: انه لما بايع معاوية الناس ليزيد كان حسين ممن لم يبايع له . وكان أهل الكوفة يكتبون اليه يدعونه الى الخروج اليهم في خلافة معاوية، كل ذلك يأبى عليهم، فقدم منهم قوم الى محمد بن الحنفية يطلبون اليه ان يخرج معهم فأبى وجاء الى الحسين يعرض عليه امرهم، فقال له الحسين إن القوم انما يريدون ان يأكلوا بنا، ويستطيلوا بنا، ويسيطوا دماء الناس ودماءنا

فأقام الحسين على ماهو عليه من الهموم مدة يريد ان يسير اليهم ، ومدة يجمع الاقامة عنهم ، فجاءه ابو سعيد الخدري فقال : يااابا عبد الله اني لكم ناصح ، واني عليكم مشفق ، وقد بلغني انه قد كاتبكم قوم من شيعتكم بالكوفة يدعونك إلى الخروج اليهم فلا تخرج اليهم، فاني سمعت اباك بالكوفة يقول « والله لقد مللتهم وملوني ، وابغضتهم وابغضوني »

وكلمه في ذلك ابو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام فلم يطع احداً منهم وصمم على المسير

وقال له ابن عباس : والله أني اظنك ستقتل بين نسائك وولدك كما قتل عثمان فلم يقبل منه

وكذلك اخوه محمد بن الحنفية نهاه عن ذلك واعلمه ان الخروج ليس له برأي يومه هذا، فأبى الحسين ان يقبل فحبس محمد بن الحنفية ولده فلم يبعث معه أحداً منهم حتى وجد حسين في نفسه على محمد

والمقصود من هذا ان ابن عباس وغيره من الصحابة أنكروا على الحسين خروجه على يزيد ونهوه عن ذلك خوفا عليه مما جرى عليه وعلى أهل بيته، ولكن لا راد لما قضى الله

وما جرى على الحسين رضي الله عنه وعلى أهل بيته مما يعظم الله به أجورهم ، ويرفع به درجاتهم رضي الله عنهم أجمعين .

واهل السنة يبغضون يزيد ومنهم من يلعنه ، ليس كما يظنه المعترض فيهم ويرميهم به من بغضهم عليا واهل بيته ، يعرف ذلك كل من طالع كتب القوم

فصل

﴿ بيان مذهب الزيدية من البدع ﴾

«وأقوال المحدثين في الامام زيد بن علي وبراءتهم من الشيعة»

واما قوله (ومن عجائب الانحراف عن آل محمد ان عالم اهل السنة والجماعة الذهبي لما عدد في ميزانه المذاهب الاسلامية قال : ماسمعناه عن يحيى بن معين — وللزيدية مذهب بالحجاز وهو معدود من مذاهب أهل البدع. فهذا يخبرك بان علماء اهل السنة والجماعة لم يعرفوا طريقة اهل بيت رسول الله ﷺ الى آخره)

فيقال : هذا من اعظم الجهل فان علماء اهل السنة والجماعة خصوصا أئمة الحديث كيحيى بن معين وأشباهه من أخبر الناس باحوال الرجال ويقولون الحق الذين يدينون الله به لايخافون في الله لومة لائم، فاذا كان للزيدية مذهب ينسبونه الى زيد بن علي — وأهل العلم يعرفون كذبهم وافتراءهم عليه في ذلك — بينوه اذا كان ذلك مخالفاً لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وما كان عليه علماء اهل البيت كعلي وابن عباس ، وليس كل من انتسب إلى احد من اهل البيت اوغيرهم من الائمة يكون صادقا في انتسابه اليهم ونقله عنهم ، فهؤلاء الروافض الذين يسبون الشيخين وجمهور الصحابة ويكفرونهم ينتسبون إلى علي وأولاده ، ويقولون : نحن شيعة آل محمد، أفكانوا صادقين في ذلك ؟ كلا بل هم اعداؤهم حقاً، واهل البيت براء منهم ، وكذلك اليهود والنصارى ينتسبون إلى أنبيائهم ويزعمون انهم على دينهم وعلى طريقتهم ، وهم قد باينوهم أشد المباينة

وكذلك أهل البدع من هذه الامة ينسبون مذاهبهم الباطلة إلى رسول الله ﷺ او إلى اصحابه، وكلام علماء اهل الحديث والسنة في زيد بن علي وأمثاله من علماء اهل البيت معروف مشهور .

قال ابو حاتم البستي: لما ذكر قتل زيد بن علي بالكوفة قال : كان من أفاضل أهل البيت وعلمائهم ، وكانت الشيعة تنتحله انتهى.

ومن زمن خروج زيد افترقت الشيعة الى رافضة وزيدية، فانه لما سئل عن ابي بكر وعمر فترحم عليهم رفضه قوم، فقال : رفضتموني ، فسموا رافضة لرفضهم اياه ، ولا يبغض علماء اهل الحديث ويتكلم فيهم الا من هو من اهل البدع والكذب والفجور . وقد تقدم كلام احمد في ابن ابي قتيلة لما قيل له ان أصحاب الحديث قوم سوء ،فقام احمد ينفض ثوبه ويقول : زنديق زنديق، يعني انه لا يتكلم فيهم إلا من هو منافق لان الله حفظ بهم الدين ، وميزوا بين صحيح الاخبار وسقيمها ولهذا قال احمد بن هارون الفلاس : اذا رأيت الرجل يقع في يحيى بن معين فاعلم انه كذاب يضع الحديث

وقال ابن حجر في كتاب تهذيب التهذيب في معرفة الرجال: زيد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب أبو الحسين المديني روى عن أبيه وأخيه وابي جعفر الباقر وابان بن عثمان وعروة بن الزبير وعبيد الله بن ابي رافع ،روى عنه ابناه حسين وعيسى وابن أخيه جعفر بن محمد والزهري والاعمش وشعبة وسعيد بن هشيم [1] واسماعيل وزبيد اليامي وزكريا بن ابي زائدة وعبد الرحمن بن الحارث بن عياش بن ابي ربيعة وابو خالد عمرو بن خالد الواسطي وابن ابي الزناد، وعده ابن حبان في الثقات . وقال : روى عن جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ ، وقال السدي عن زيد بن علي « الرافضة حربي وحرب أبي في الدنيا والآخرة »

وروى الحافظ ابو الحجاج المزي باسناده عن الفضل بن مرزوق قال سألت عمر بن علي وحسين بن علي: هل فيكم انسان مفترضة طاعته؟ فقال لا ، والله ما هذا فينا من قال هذا فهو كذاب، فقلت لعمر بن علي رحمك الله انهم يزعمون أن النبي

(١) في تهذيب التهذيب : سعيد بن خثيم

ﷺ أوصى الى علي، وان عليا أوصى الى الحسن، وان الحسن أوصى الى الحسين، وان الحسين أوصى الى ابنه علي، وابنه علي أوصى الى ابنه محمد بن علي؟ فقال «والله لقد مات أبي فما أوصى بحرفين، مالهم قاتلهم الله، والله ان هؤلاء إلا متأكلة بنا»

وقال يحيى بن سعيد الانصاري: سمعت علي بن الحسين وكان أفضل هاشمي رأيته يقول «أحبونا حب الاسلام فما برح بنا حبكم حتى صار علينا عاراً»

فانظر رحمك الله الى مانقله أهل العلم عن أهل البيت علي بن الحسين وأولاده يتبين لك أن الشيعة من الرافضة والزيدية هم المنحرفون عن آل محمد لا أهل السنه والحديث

فصل

وأما قوله (وياليت شعري هل سمع ابن معين من رسول الله ﷺ انه عد مذهب أولاده من البدع؟)

فهذا من عظيم جهل المعترض وافترائه على ابن معين وغيره من أهل السنة والجماعة، فان ابن معين لم يقل ان مذهب زيد بن علي وآبائه وأجداده من البدع بل قال ما نقله عنه المعترض: والزيدية مذهب بالحجاز وهو معدود من مذاهب أهل البدع. يعني بذلك الزيدية الذين ينتسبون إلى زيد بن علي وليسو على طريقته ومجرد الانتساب إلى زيد أو غيره من أهل البيت لا يصير به الرجل متبعاً لطريقتهم حتى يعرف طريقتهم ويتبعهم عليها، كما قال الحسن البصري رحمه الله في قوله ﷺ «المرء مع من أحب» ان اليهود والنصارى يحبون أنبياءهم فلا تغتروا.

وابن معين رحمه الله سمع حديث رسول الله ﷺ انه قال «من أحدث في أمرنا هذا ماليس منه فهو رد» فهذه كلمة جامعة بين فيها ﷺ ان كل من أحدث مايخالف أمر الله ورسوله فهو مردود عليه. وكذلك قوله في حديث العرباض بن

سارية « وإياكم ومحدثات الامور فان كل بدعة ضلالة » والرسول ﷺ أعطي جوامع الكلم، فأفاد أمته وأعلمهم صلوات الله وسلامه عليه «ان كل بدعة ضلالة»

فاذا تبين لأهل العلم ان طائفة من طوائف الزبدية أو غيرهم خالفوا ما عليه رسول الله ﷺ وأصحابه — بينوا للناس أنهم اهل بدعة وضلالة لئلا يغتر بهم الجاهل كما يبنوا فساد مذهب الرافضة المنتسبين الى علي وأولاده ، وكذلك بينوا فساد مذهب القدرية المنكرين ان يكون الله خالق اعمال العباد وقدرها عليهم، وكذلك بينوا فساد مذهب الخوارج الذين كفروا علياً وعثمان ومن والاهما ، وهم مع ذلك ينتسبون الى الرسول ﷺ والى ابي بكر وعمر ويتولونهما ويستدلون بآيات من القرآن لاتدل على ما قالوه

وهذا الجاهل يظن ان من انتسب الى زيد بن علي وغيره من اهل البيت لايذم ولا يعاب، ولو خالف الكتاب والسنة. وهذا جهل عظيم لايمتري فيه إلا من اضله الله وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة ، نعوذ بالله من الخذلان

فصل

﴿ الشيعة المعتدلون من أئمة الحديث ﴾

وأما قوله (وممن رموه بالتشيع أهل السنة والجماعة المذكورون علي بن المديني شيخ البخاري وعبد الرزاق الصنعاني وأحمد بن عقدة والدارقطني والحاكم الخ)

فيقال : هذا مما يبين لك معرفة اهل الحديث بأحوال الرجال وبعدهم عن التعصب والهوى ، وهؤلاء الأئمة الذين عددتهم هم عند اهل السنة والجماعة من أئمة العلم يقتدون بهم ، ويأخذون عنهم ، ويرحلون اليهم، ولو كان فيهم بعض التشيع الذي لا يخرجهم عن ان يكونوا أئمة هدى يقتدى بهم ، والتشيع الذي

لايخرج صاحبه عن الحق لايذم به صاحبه ولا يخرجه عن اهل السنة والجماعة، فان لفظ التشيع ليس مذموما في الشرع ، بل قال تعالى لما ذكر نوحا عليه السلام قال بعده (وان من شيعته لابراهيم) أي من أهل دينه، وانما صار مذموما عند أهل السنة لما كان أهل البدع كالرافضة وأمثالهم الذين يسمون أنفسهم الشيعة يقولون نحن شيعة آل محمد، وهم قد كذبوا في ذلك بل هم أعداؤهم لانهم خالفوا هديهم وسلكوا غير طريقتهم

وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال « ان آل ابي فلان ليسوا لي باولياء، انما وليي الله وصالح المؤمنين »

فصل

﴿ افتراء الشيعة على أهل السنة الانحراف عن آل البيت وتولي الدول الجائرة ﴾

وأما قوله (وسبب انحراف من ذكر عن أهل البيت وشيعتهم انهم تولوا اليوم الدول الجائرة وأطاعوهم وصححوا ولايتهم واستدلوا على ذلك باحاديث كثيرة رووها ، فلما سمعها أهل بيت رسول الله ﷺ وجدوها مخالفة لكتاب الله تعالى في قوله (إني جاعلك للناس إماما ، قال ومن ذريتي ؟ قال لاينال عهدي الظالمين) وقوله (ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار) وقوله (وما كنت متخذ المضلين عضدا) إلى غير ذلك من الآيات الكريمة ونظروا في الاحاديث الموجبة لطاعة أئمة الجور فوجدوها قد رواها خصومهم تقريرا لمذهبهم ، وردوها للقاعدة التي قررها أهل الاصول وأهل الحديث في انه لا يجب على الخصم قبول رواية خصمه فيما يقرر مذهبه الذي يرى خصمه انه عنده بدعة)

فيقال: الجواب عن هذا الكلام من وجوه (أحدها) ان هذا كذب على

أهل السنة والجماعة لا يمتري فيه أحد عرف مذهبهم، وطالع كتبهم، فانهم لم ينحرفوا عن أهل البيت، بل من أصول الدين عندهم محبة أهل البيت النبوي وموالاتهم والصلاة عليهم في الصلاة وغيرها، ولو ذهبنا نذكر نصوصهم في ذلك لطال الكلام جداً

(الثاني) أنهم لم يتولوا الدول الجائرة كما ذكره هذا المعترض، بل هم يبغضونهم ويكرهونهم ويسمونهم ظلمة وأئمة جور، وانما أوجبوا طاعتهم اذا أمروا بطاعة الله ورسوله ويستدلون على ذلك باحاديث ثابتة عن رسول الله ﷺ منها أنه قال « على المرء السمع والطاعة مالم يؤمر بمعصية، فاذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة » وثبت في الصحيحين من حديث ابن عباس عن النبي ﷺ قال « من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر، وانه ليس أحد يفارق الجماعة شبراً فيموت إلا ويموت ميتة جاهلية »

والاحاديث في هذا المعنى كثيرة من رواية أهل البيت وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم بأسانيد ثابتة ينقلها العدول من أهل الحديث

(الوجه الثالث) ان أهل السنة والجماعة لم يصححوا ولايتهم إلا اذا تولوا على الناس وبايعهم على ذلك أهل الشوكة وأهل الحل والعقد، فاذا كان كذلك صحت ولايته، ووجبت طاعته في طاعة الله، وحرمت طاعته في المعصية، ولكن لا يجوزون الخروج عليه، ومحاربته بالسيف لان ذلك يئول إلى الفتن العظيمة، وسفك الدماء، والهرج الكثير، هذا الذي عليه أهل السنة والجماعة، وهذا القول هو الذي تدل عليه النصوص النبوية، وعليه كثير من أهل البيت

(الوجه الرابع) ان قوله في الاحاديث التي يستدل بها أهل السنة على السمع والطاعة لولي الامر: فلما سمعها أهل البيت وجدوها مخالفة لكتاب الله - كذب ظاهر على أهل البيت عليهم السلام، فان كثيراً من أهل البيت مذهبهم مذهب

أهل السنة والجماعة في هذه المسئلة ، هذا الحسن بن علي رضي الله عنه انخلع لمعاوية رضي الله عنه وبايعه ، وأمر كل من بايعه وبايع أباه بمبايعة معاوية ، والسمع والطاعة له ، وهو عند هذا المعترض وأمثاله من أئمة الجور. وأما عند أهل السنة والجماعة فهو من خيار ملوك الاسلام وأعدلهم وأحسنهم سيرة ، ونهى أخاه الحسين عند موته عن طاعة سفهاء الكوفة .

وهذا ابن عباس وهو من أئمة أهل البيت نهى ابن عمه الحسين رضي الله عنه عن الخروج ، وكذلك محمد بن الحنفية وعبدالله بن جعفر رضي الله عنهم ، وهؤلاء من أئمه أهل البيت وقد تقدم النقل عنهم بذلك . وذكرنا من رواه من الائمة

(الوجه الخامس) ان أهل السنة رحمهم الله بينوا ان هذه الاحاديث المروية عنهم في السمع والطاعة لولي الامر هي الموافقة لكتاب الله حقا لا تخالفه بل القرآن يصدقها ويدل على مادلت عليه ، لان الجميع من عندالله . والرسول ﷺ أعلم بكتاب الله من أهل البدع ، وكذلك اصحابه واهل بيته . قال العلماء : كان جبريل ينزل على النبي ﷺ بالسنة كما ينزل بالقرآن ، وقد أمر الله بطاعة رسوله ﷺ في القرآن في أكثر من سبعين موضعاً ، واخبر ان من يطع الرسول فقد أطاع الله وقد أمر الله بطاعة أولي الامر في القرآن فقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول واولي الامر منكم)الآية ، قال أئمة التفسير : هم العلماء والامراء

(الوجه السادس)ان هذه الآيات التي ذكر انها تخالف هذه الاحاديث قد بين أهل التفسير معناها وليس فيها ما يخالف كلام الرسول ﷺ ولا مايدل على مراد هذا المعترض واشباهه من أهل البدع كالخوارج والمعتزلة ،

ونحن نذكر كلام أئمة التفسير رحمهم الله في هذه الآيات لنبين بطلان ماذهب اليه هذا المعترض .

قال أبو حيان رحمه الله في تفسيره المسمى بالبحر : والعهد ـ يعني في الآية ـ

الامامة، قاله مجاهد، أو النبوة قاله السدي، أو الامان، قاله قتادة، وروي عن السدي واختاره الزجاج، أو الثواب، قاله قتادة ايضا، أو الرحمة، قاله عطاء، أو الدين، قاله الضحاك والربيع، اولا عهد عليك لظالم ان تطيعه في ظلمه، قاله ابن عباس، أو الامر من قوله (ان الله عهد الينا ـ الم أعهد اليكم) أو إدخاله الجنة من قوله « كان له عهد عند الله ان يدخله الجنة » أو طاعتي [١] قاله الضحاك، أو الميثاق، أو الامانة، والظاهر من هذه الاقوال انها الامامة لانها هي المصدر بها، فأعلم الله ابراهيم عليه السلام ان الامامة لا تنال الظالمين. انتهى كلامه

وقد جمع لك كلام المفسرين في هذه الآية في هذا المختصر ولم يذكر أحد من المفسرين ان الآية تدل على الخروج على ولي الامر ومقاتلته بالسيف وأنه لايطاع إذا أمر بطاعة الله وطاعة رسوله، وأهل السنة أهل عدل وانصاف واتباع للحق لانهم لم يأمروا بطاعة ولي الامر في المعصية بل امروا بطاعته إذا أمر بطاعة الله، فاذا أمر بالمعصية فلا سمع له ولا طاعة. لكن لايجوزون الخروج عليه (٢) ولا يكون عندهم اماما في الدين إذا كان ظالما. والآية تدل على ان الظالم لا يكون اماما في الدين، وليس فيها ما يدل على انه إذا غصب الناس وتولى عليهم وصار معه أهل الشوكة وأهل الحل والعقد لاتجوز طاعته في الطاعة ومبايعته، فيتبين بما ذكرنا ان هذه الآية ليس فيها دليل على ماذهب اليه أهل البدع والله أعلم.

واما الآية الثانية التي احتج بها وهي قوله تعالى (ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار) فقال أبو العالية: في معنى لا تركنوا إلى الذين ظلموا

(١) هذا تفسير لكلمة (عهدي) من الآية وبقية الالفاظ تفسير للعهد فيها غير مضاف (٢) لان خروج الناس عليه والشوكة بيده مدعاة للفتن الداخلية واقتتال الامة بما يجعل بأسها بينها ويقوي اعداءها عليها، ولكن عدم طاعتها له في المعصية تضطره إلى التزام الشريعة. واما اهل الحل والعقد فيجب عليهم اقرار الامامة في قرارها الشرعي إذا قدروا

فتمسكم النار . قال المعنى لا ترضوا باعمالهم . وقال ابن عباس : معنى الركون لميل، وقال السدي وابن زيد : لا تداهنوا الظلمة وقال سفيان : لا تدنوا من الذين ظلموا، وقال جعفر الصادق (الى الذين ظلموا) إلى انفسهم فانها ظالمة، وقيل لاتشبهوا بهم. ذكر هذه الاقوال كلها ابو حيان النحوي في تفسيره البحر ، ولم يذكر أحد من المفسرين ان الآية تدل على ان الظالم إذا تولى على الناس وقهرهم بشوكته وسلطانه لاتصح ولايته ، ولا تجوز طاعته، إذا امر بطاعة الله، وجميع أهل السنة والجماعة متفقون على ان الركون الى الظلمة لايجوز على ما فسره علماء التفسير، كابن عباس وابي العالية ، فلا يجوز الميل اليهم ، ولا الرضا باعمالهم التي تخالف كتاب الله وسنة رسوله ، وكذلك لاتجوز مداهنتهم ، بل ينكر عليهم ما فعلوه من المنكر بلسانه اذا قدر على ذلك ، فان لم يقدر انكره بقلبه ، كما في الحديث المرفوع أنه لما ذكر الظلمة قال «من انكره فقد سلم، ومن كره فقد برىء، ولكن من رضي وتابع »[1] فتبين مما ذكرناه ان الآية لا تدل على ما ذهب اليه هذا المعترض ومن نحا نحوه من أهل البدع

واما الآية الثالثة وهي قوله تعالى (وما كنت متخذ المضلين عضدا) قال أهل التفسير (المضلين) يعني الشياطين لانهم الذين يضلون الناس (عضدا) قال قتادة: اعوانا يعضدونني اليها، والعضد كثيراً مايستعمل في معنى العون، وذلك ان العضد قوام اليد، ومنه قوله (سنشد عضدك باخيك) أي سنعينك ونقويك به، فهذا إخبار عن كمال قدرته واستغنائه عن الانصار والاعوان، والله تبارك وتعالى لايحتاج إلى إعانة أحد من خلقه ، بل هو الغني عما سواه، وكل ماسواه فقير اليه، فلا حول ولا قوة إلا بالله ، فهل في هذه الآية مايدل على مقصود هذا المعترض الجاهل بوجه من الوجوه

(الوجه السابع) ان يقال : احتجاجه بهذه الآيات على معارضة الاحاديث الصحيحة عن رسول الله ﷺ في السمع والطاعة لولي الامر ومناصحته من جنس

(١) أي فهو المذنب المؤاخذ

احتجاج الخوارج واشباههم على بطلان ولاية علي وامامته ، بقوله تعالى (لئن اشركت ليحبطن عملك) وقوله (ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الكافرون) وانما أتوا من قلة معرفتهم بتفسير كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، ومن جنس احتجاج الرافضة ومن نحا نحوهم على كفر الصحابة وظلمهم بقوله تعالى (من يرتد منكم عن دينه) وكذلك احتجاجهم على امامة علي بعد رسول الله ﷺ بقوله تعالى (انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا) الآية ، وكذلك احتجاج الجهمية والمعتزلة على نفي الصفات الواردة في القرآن والسنة بقوله تعالى (هل تعلم له سميا) وقوله (ليس كمثله شيء) وكل هذه الآيات لاتدل على ماذهبوا اليه ، وانما تدل على ماأجمع عليه سلف الامة وأئمتها من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم ، لان القرآن يصدق بعضه بعضا ، وكذلك الاحاديث يصدق بعضها بعضا والسنة الصحيحة لاتخالف الكتاب لان الجميع من مشكاة واحدة (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا)

(الوجه الثامن) أن يقال قوله (ونظروا في الاحاديث الموجبة لطاعة أئمة الجور فوجدوها قدرواها خصومهم عنه) كذب ظاهر ، وتمويه على الجهال الاصاغر ، فان الاحاديث التي فيها السمع والطاعة لولي الامر قدرواها جماعة كثيرة من الصحابة من أهل البيت وغيرهم ، ولم يردها علماء اهل البيت بل تلقوها بالقبول كما تقدم النقل عنهم بذلك[1] وبينا ان اهل البيت اختلفوا في جواز الخروج على أئمة الجور

(١) بقي شيء آخر وهو أن رواة الاحاديث الذين دونوها ومحصوا اسانيدها ليسوا خصوما فيها لآل البيت ولا للشيعة وغيرهم من المبتدعة بل يروون عن كل من ثبت عندهم عدالته في الرواية وان كان مخالفا لهم في بعض الاصول والفروع لايتعصبون لمذهب أحد في الرواية فالمجتهد منهم يروي كل ماسمعه من الرواة ويتبع ماصح عنده بحسب فهمه ومن نشأ على مذهب كالذهبي والمزي وابن حجر العسقلاني لايأبى ان يصحح ماخالف مذهبه وأن يضعف ماوافقه ، فتمحيص الاسانيد عندهم مقدم على كل شيء . وعلماء الشيعة المتعصبون من الزيدية والامامية يعلمون هذا ولكنهم يوهمون عوامهم ان حفاظ الحديث خصوم لهم ليقطعوا طريق الادلة الصحيحة عليهم

فمنهم من يرى ذلك ويفعله ، ومنهم من لا يرى ذلك ولا يفعله ، بل ينهى عنه ويكرهه ، ولو لم يكن إلا فعل الحسن رضي الله عنه لكفى به تكذيبا لما حكاه هذا المعترض ، ولكن هذا وأشباهه من اهل البدع ينتسبون إلى اهل البيت وينقلون مذاهبهم الباطلة عنهم فينسبونها اليهم ، ويكذبون عليهم ، ولا يميزون بين الصدق والكذب ، فلا نقل صحيح ، ولا عقل مليح ، نسأل الله العفو والعافية

فصل

(في اهواء الشيعة والخوارج في حديث الردة وحديث الوصية بآل البيت)

واما قوله : (ولقد قرر هذا الواقع على اهل بيت رسول الله ﷺ ماحذر عنه الامة والصحابة من لاينطق عن الهوى ﷺ فيما أخرجه البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله ﷺ قال «انكم محشورون إلى الله حفاة عراة غرلا». الحديث وكذلك حديث ابن مسعود وما في معناهما ، وكذلك قوله : وقد فسر هذين الحديثين للذين ذكرهما ﷺ بمخالفة كتاب الله عز وجل ، واهل بيت رسول الله ﷺ ما أخرجه الطبراني في الكبير عن زيد بن ارقم قوله ﷺ « اني لكم فرط » الحديث وما في معناه من الاحاديث)

فالجواب عن ذلك من وجوه (أحدها) ان يقال حديث ابن عباس وحديث ابن مسعود المتفق عليهما وما في معناهما من الاحاديث الصحيحة(١) قد رواها أهل العلم ، وفسروها بان المراد بها الذين ارتدوا بعد موت رسول الله ﷺ فقاتلهم ابو بكر الصديق والصحابة معه ، كاصحاب مسيلمة الكذاب والاسود العنسي وطليحة ومن معهم من قبائل العرب ، فجهز ابوبكر رضي الله عنه الجيوش وأمر عليهم خالد بن الوليد ، وقاتلهم حتى قتل منهم على الردة جماعة كثيرة ، ودخل

---

(١) التي فيها أن بعض من يرد عليه ﷺ الحوض تذودهم الملائكة ويعللون طردهم بقولهم له ﷺ إنك لا تدري مما أحدثوا بعدك فيقول « بعدا لهم وسحقا »

بقيتهم في الاسلام طوعا وكرها، وظهر مصداق ماأخبر الله به في كتابه حيث قال (ياايها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه) الآية . قال الحسن البصري رحمه الله: هم والله ابوبكر واصحابه

وقد روى البخاري في صحيحه تفسير ذلك بما ذكرنا فقال في ترجمة مريم من (احاديث الانبياء) قال الفربري عن ابي عبدالله البخاري عن قبيصة قال: هم الذي ارتدوا على عهد ابي بكر فقاتلهم ابوبكر، يعني حتى قتلهم وماتوا على الكفر قال الخطابي: لم يرتد من الصحابة أحد، وانما ارتد قوم من جفاة الاعراب ممن لابصيرة له في الدين، وذلك لايوجب قدحا في الصحابة المذكورين

قال الحافظ ورجح عياض والباجي وغيرهما ماقاله قبيصة راوي الخبر، ولا يبعد أن يدخل في ذلك أيضا من كان في زمنه من المنافقين، كما في حديث الشفاعة «وتبقى هذه الامة فيها منافقوها» فدل على انهم يحشرون مع المؤمنين

(الوجه الثاني) ان يقال: الخوارج ومن سلك سبيلهم يحملون هذه الاحاديث على علي رضي الله عنه ومن والاه، ويقولون انهم ارتدوا واشركوا فكما انهم مخطئون ظالمون في ذلك فكذلك الروافض والشيعة الذين يحملون هذه الاحاديث على أصحاب رسول الله ﷺ كابي بكر وعمر وجمهور الصحابة، او على معاوية ومن قاتل معه عليا، بل قولهم أظهر فساداً وابعد عن الحق والصواب من قول الخوارج، فان كان كلاهم صحيحا فكلام الخوارج أقرب إلى الصحة

(الوجه الثالث) ان أهل البيت الذين ذكروا في حديث زيد بن أرقم ومافي معناه هم قرابة رسول الله ﷺ الذين حرمت عليهم الصدقة قال: علي وآل جعفر وآل العباس وآل أبي لهب، كما اخبر بذلك زيد بن أرقم وهو راوي الخبر كما ذكر ذلك مسلم في صحيحه والامام احمد في مسنده وغيرهما من اهل الحديث وهذا لفظهما وروايتهما: حدثنا اسماعيل بن ابراهيم عن ابي حيان التيمي حدثني يزيد بن حيان قال انطلقت انا وحصين بن سبرة وعمرو بن مسلم الى زيد بن أرقم،

فلما جلسنا اليه قال له حصين: لقد لقيت يازيد خيراً كثيراً رأيت رسول الله ﷺ وسمعت حديثه وغزوت معه وصليت معه، لقد لقيت يازيد خيراً كثيراً حدثنا يازيد ماسمعت من رسول الله ﷺ فقال: ياابن أخي والله لقد كبر سني، وقدم عهدي، ونسيت بعض الذي كنت أعي من رسول الله ﷺ، فماحدثتكم فاقبلوه، ومالا فلا تكلفونيه. ثم قال: قام فينا رسول الله ﷺ يوما خطيبا بماء يدعى (خما) بين مكة والمدينة فحمد الله وأثنى عليه وذكر ووعظ ثم قال «أما بعد: ألا ايها الناس انما أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول ربي فأجيب، واني تارك فيكم ثقلين: اولهما كتاب الله، فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به» فحث على كتاب الله ورغب فيه وقال «وأهل بيتي، اذكركم الله في اهل بيتي» فقال له حصين: ومن أهل بيته يازيد؟ أليس نساؤه من أهل بيته؟ قال: ان نساءه من اهل بيته ولكن اهل بيته من حرم الصدقة بعده. قال ومن هم؟ قال هم آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل العباس، قال: أكل هؤلاء حرم الصدقة؟ قال نعم.

فانظر رحمك الله إلى كلام الصحابي راوي الخبر، وإخباره ان اهل البيت كل من حرم الصدقة بعده[1] والرافضة والشيعة تحمل هذه الاحاديث على آل علي خاصة

(الوجه الرابع) ان يقال هذه الاحاديث أكثرها مطعون في صحتها لاتقوم بها حجة. والصحيح منها لايدل على مقصود هذا المعترض وأشباهه من اهل البدع، وذلك لان مدلولها يعم اهل البيت، كآل علي وآل العباس وآل عقيل وآل جعفر وغيرهم ممن حرمت عليه الصدقة، وتدل على ان إجماعهم حجة وانهم لايجمعون على مخالفة كتاب الله وسنة رسوله. وأما اذا اختلفوا لم يكن قول أحدهم حجة على الآخر بل يجب الرد عند التنازع إلى الله والى الرسول كما قال تعالى (فان تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا)

---

(١) والتحقيق انهم بنو هاشم وبنو المطلب

(الوجه الخامس) ان يقال الذين ظلموا اهل البيت وقتلوهم او أحداً منهم هم عند أهل السنة والجماعة أئمة جور وظلم لايحبونهم ولا يوالونهم بل يبغضونهم ويعادونهم ، ويلعنون من ظلمهم . وهذه كتبهم محشوة بالثناء على أهل البيت والدعاء لهم والترضي عنهم ، وذم من ظلمهم ، ولو ذهبنا نذكر نص كلامهم لطال الكتاب جداً

فتبين بما ذكرنا ان مذهب اهل السنة والجماعة هو الحق الذي لايجوز العدول عنه ، وان مذهب الرافضة والزيدية هو المخالف لكتاب الله وسنة رسوله ، ولما اجمع عليه اهل البيت النبوي . والله أعلم

فصل

﴿ في تفسير (قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة في القربى) ﴾

واما قوله (واما أدلة السائل وحجته على ان معتمده وطريقه إلى جده ﷺ أهل الحق ، أعني أهل البيت سلام الله عليهم في الكتاب والسنة . أما الكتاب فآيات قد أضاء نورها ، أولها قوله تعالى (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً) وقوله (قل لاأسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى) ووجه الدلالة ان الله لايأمر بمودة من ليس على الحق ـ إلى آخره)

فيقال هذا من تمويهه على الجهال الذين لايميزون بين الحق والباطل ، وليس كل من احتج بالقرآن يدل على ما احتج به عليه وانما يعرف معاني القرآن والسنة أهل العلم من الصحابة والتابعين لهم باحسان كابن عباس رضي الله عنهما وعلي بن الحسين ومن شابههم من أهل العلم الذين يعرفون مراد الله ورسوله

وقد صح عن ابن عباس انه فسر قوله تعالى (قل لاأسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى) بان المراد بذلك أن يصلوا مابينهم وبين رسول الله ﷺ من قرابة ويكفوا عنه الاذى ويدعوه يبلغ رسالات ربه ، كما قال البخاري في صحيحه: حدثنا محمد بن بشار حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن عبدالملك بن ميسرة

سمعت طاوسا عن ابن عباس انه سئل عن قوله (إلا المودة في القربى) فقال سعيد بن جبير، قربى آل محمد. فقال ابن عباس عجلت، إن النبي ﷺ لم يكن بطن من قريش إلا كان له فيهم قرابة، فقال «إلا أن تصلوا ما بيني و بينكم من القرابة» انفرد به البخاري. ورواه الامام احمد عن يحي القطان عن شعبة به. قال ابن كثير: وهكذا روى عامر الشعبي والضحاك وعلي بن أبي طلحة والعوفي و يوسف ابن مهران وغير واحد عن ابن عباس، وبه قال مجاهد وعكرمة وقتادة والسدي رواه الطبراني باسناده عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا أسألكم عليه أجراً إلا أن تودوني في نفسي لقرابتي منكم وتحفظوا القرابة التي بيني وبينكم» وروى الامام احمد باسناده عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال «لا أسألكم على ما آتيتكم من البينات والهدى أجراً إلا أن تودوا الله وتتقربوا اليه بطاعته» هكذا روى قتادة عن الحسن البصري عن ابن عباس مثله، وهذا كأنه تفسير بقول ثان وقول ثالث، وهو ماحكاه البخاري وغيره عن سعيد بن جبير ما معناه انه قال: معني ذلك أن تودوني في قرابتي، اى تبروهم وتحسنوا اليهم. قال ابن كثير: والحق تفسير الآية بقول حبر الامة وترجمان القرآن عبدالله بن عباس كما رواه عنه البخاري(١) ولا ننكر الوصاة باهل البيت والامر بالاحسان اليهم واحترامهم

---

(١) نعم هذا هو الحق وما عداه باطل مخالف لنصوص القرآن القطعية الناطقة بان رسل الله تعالى لم يسألوا على تبليغ وحي الله ودينه أجرا بل صرحوا بان أجرهم على الله وحده كما تراه في قصص الرسل في سورتى هود والشعراء وغيرها وما كان خاتم النبيين بدعا من الرسل فما ينبغي له وهو افضلهم ان يسأل قومه أجرا على تبليغ الدين ان يودوا قرابته واكثر البشر يسعون ويكدحون لاجل أولي قرباهم وقد حكى الله تعالى عنه ذلك كما حكى عنهم في سور الانعام ويوسف والفرقان وسبأ وص والشورى وفيها استثناء (الا المودة في القربى) وهو استثناء منقطع قطعا لئلا تختلف مع بقية الآيات التي جاءت على أصل العقيدة في سائر الرسل عليهم السلام. فمعناها: لا اسألكم عليه أجرا مطلقا ولكن أسألكم المودة في القرابة وصلة الرحم بيني وبينكم كسائر الاقربين. كما استثنى في آية الفرقان (الا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا)

واكرامهم ، فانهم من ذرية طاهرة ، وأشرف بيت وجد على ظهر الارض فخراً ، وحسباً ونسباً . ولا سيما اذا كانوا متبعين للسنة النبوية الصحيحة الواضحة الجلية ، كما كان عليه سلفهم كالعباس وبنيه ، وعلي وأهل بيته وذويه . ثم ذكر ابن كثير رحمه الله الاحاديث في وصية رسول الله ﷺ بهم وساقها من وجوه متعددة

فصل

﴿ في تفسير (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت) وتحريف الشيعة لها ﴾

وأما قوله (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) فقال الحافظ ابن كثير في تفسيره . هذا نص في دخول أزواج النبي ﷺ في أهل البيت لانهن سبب نزول هذه الآية وسبب النزول داخل فيه قولا واحداً . اما وحده على قول أو مع غيره على الصحيح .

وروى ابن ابي حاتم باسناده عن ابن عباس في قوله (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت) قال نزلت في نساء النبي ﷺ . وقال عكرمة من شاء باهلته انها نزلت في ازوج النبي ﷺ ، فان كان المراد أنهن سبب النزول دون غيرهن فهذا حق ، وإن كان المراد انها لا تعم غيرهن ففي هذا نظر ، فانه قد وردت أحاديث تدل على ان المراد أعم من ذلك ، ثم ساق الاحاديث بطولها . انتهى معنى ما ذكره ابن كثير .

ومن تدبر القرآن لم يشك ان نساء النبي ﷺ داخلات في قوله (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت) لان سياق الكلام معهن[1] ولهذا قال

(١) التحقيق المتبادر من الايات انها في نساء النبي وحدهن دون غيرهن وانما ذكر الضمير في قوله (ليذهب عنكم الرجس أهل البيت) لدخوله (ص) معهن في ذلك ولكون ما يريد من التشديد عليهن بهذه الوصايا وحكمته هو تطهير بيته (ص) مما يدنسه بانحرافهن عن صراط التقوى (برأهن الله من ذلك) ومن المعلوم بالبداهة أن الرجل لا يلحقه من العار بارتكاب احد اولاد عمه لفاحشة ما مثل ما يلحقه باقتراف زوجه للفاحشة

بعد هذا كله (واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة) أي واعملن بما أنزل الله على رسوله في بيوتكن من الكتاب والسنة. قاله قتادة وغير واحد من المفسرين وعائشة بنت الصديق رضي الله عنها وعن ابيها أولاهن بهذه النعمة ، وأحظاهن بهذه الغنيمة، فانه لم ينزل على رسوله ﷺ الوحي في فراش امرأة سواها، كما نص على ذلك رسول الله ﷺ . قال بعض العلماء لانه لم يتزوج بكراً غيرها، ولم ينم معها رجل في فراشها غيره ﷺ، فناسب أن تخص بهذه المزية، وأن تفرد بهذه المرتبة العلية

والمقصود ان هذه الآية تنقض مذهب هذا المعترض وترد عليه وتنادي ببطلان مذهبه من وجوه كثيرة (منها) انها عامة في جميع أهل البيت كآل العباس وآل جعفر وآل الحارث بن عبد المطلب ، وهو انما يظن أن المراد بها آل علي خاصة . ومنها أن أزواجه داخلات في جملة أهل البيت، وهم يزعمون ان عائشة ومن معها من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين مخطئون عاصون في قتالهم علياً وأصحابه (ومنها) أنه ليس فيها دليل على عصمة أهل البيت ، لان العلماء رحمة الله عليهم ذكروا أن الارادة في القرآن نوعان: إرادة شرعية دينية ، وإرادة قدرية كونية . فالاولى كقوله في هذه الآية (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت)وقوله(يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم) الآية وقوله (ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم) وأخبر أنه يريد أن يتوب على المؤمنين ويطهرهم، وفيهم من تاب ومن لم يتب ومن تطهر ومن لم يتطهر، فلا يكون فيها دليل على العصمة ولا الامامة(١)

وأما الارادة الكونية القدرية فكقوله (من يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا) الآية . وقوله (ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا) وقوله (وإذا اردنا ان نهلك قرية) الآية

(١) ومثله في حكمة الرخصة في الصيام (يريد الله بكم اليسر) الاية

وقوله (ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الارض) الآية . وهذه هي الكلمات التي لايجاوزهن بر ولا فاجر .

ولفظ (الرجس) أصله القذر ، ويراد به الشرك كقوله تعالى (فاجتنبوا الرجس من الاوثان) ويراد به الخبائث المحرمة كقوله (أولحم خنزير فانه رجس) ونحن نقطع أن الله أذهب عنهم الرجس والخبائث ، فمن تاب وقع ذنبه مكفراً أو مغفوراً له فقد طهره الله تطهيراً ،

فتبين بما ذكرنا ان الآيات التي احتج بها قد أضاء نورها في بطلان ما ذهب اليه هذا المعترض وهو المطلوب

فصل

﴿ في أهواء الشيعة في مناقب أحاديث آل البيت ﴾

وأما قوله (وأما الاحاديث ففي الترمذي عن زيد بن أرقم قوله ﷺ «اني تارك فيكم ما إن استمسكتم به لن تضلوا بعدي» الى آخره، وكذلك حديث أبي سعيد الذي أخرجه ابن أبي شيبة وابن سعد وأحمد ، وكذلك حديث أبي ذر « مثل اهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح في قومه » الى آخره ، وكذلك حديث ابن الزبير ، وكذلك حديث أبي سعيد وغيره مما ذكر)

(فالجواب) أن يقال : قد تقدم الجواب عن حديث الثقلين وما في معناه قريباً ، وبينا انها لا تدل على مقصود هذا المعترض بل تدل على نقيض مقصوده وانما تدل على أن إجماع اهل البيت حجة وانهم لا يجمعون على باطل ، لان الله عصمهم من ذلك كما عصم هذه الامة أن تجتمع على ضلالة . وهذا قول طائفة من أصحاب احمد وغيره ، ذكره القاضي في المعتمد

ومن العجب قوله قال بعض اهل التحقيق ان حديث الثقلين متلقى بالقبول

والامة مجمعة على صحة هذا الحديث . وهذا كذب ظاهر ، فان حديث زيد بن ارقم الذي في صحيح مسلم الذي فيه ذكر الثقلين قد طعن فيه غير واحد من اهل العلم بالاحاديث والاخبار ، كأبي حاتم الرازي وأبي داود السجستاني ، فأهل الحديث اختلفوا في صحته ، فصححه بعضهم وطعن فيه بعضهم فضلا عن جميع الامة

وأما الاحاديث الأخرى التي ذكرها فليست في دواوين الاسلام المعتمدة كالصحيحين والسنن الاربعة ، وانما يرويها بعض اهل الحديث المتأخرين الذين يروون الصحيح والضعيف والموضوع ، وعلى تقدير صحتها فليس فيها حجة على العصمة ولا على الامامة لانها عامة في جميع أهل البيت . ومعلوم أن بني العباس من أهل البيت وهم عند هذا المعترض من أئمة الجور والظلم ، فمدلول هذه الاحاديث يناقض مذهب هذا المعترض وأشباهه من أهل البدع والله أعلم

فصل

وأما قوله (فلنرجع إلى الكلام على السؤال والجواب واظهار مافيه من خطأ وصواب) وقوله في الجواب (اعلم أن قولنا في هذه الآيات وما أشبهها من آيات الصفات الواردة في القرآن العزيز والاحاديث الواردة في الصحاح وغيرها هو مذهب السلف الصالح ومن تبعهم باحسان إلى يوم الدين إلى آخره ، ثم قال معترضاً عليه : أقول قد تحجرت واسعاً . قال الله تعالى (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) فقد جعلت سيد المرسلين الذى هو رحمة للعالمين رحمة لك ولاهل مذهبك ، وللمتسمين باهل السنة والجماعة خاصة ، وأضفته إلى رسول الله ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم وجعلتهم سلفاً لك ولاهل نحلتك ، فياليت شعري أين تضع أهل بيت رسول الله ﷺ وقد أخرجتهم عن أن يكون سلفهم جدهم ﷺ وأصحابه وتابعيهم لما فسروا كتاب الله وتأولوا صفات الله على ماتقتضيه لغة العرب ، فقد قال تعالى

(قرآنا عربيا غير ذي عوج) فلقد فرقت بين النبي ﷺ وآله وقطعت ما وصله الله ورسوله، وخالفت قوله ﷺ فيما قاله لعلي «اما[1] تكون رابع أربعة: أول من يدخل الجنة أنا وأنت، والحسن والحسين، وأزواجنا عن أيماننا وشمائلنا، وذرياتنا خلف أزواجنا» أخرجه الثعلبي واحمد في المناقب، وفي رواية أخرى أخرجها بعد ذكر الذرية «وأشياعنا عن أيماننا وشمائلنا» إلى آخره

(فالجواب) أن يقال في هذا الكلام من الكذب والزور والظلم أنواع كثيرة (الاول) قوله قد تحجرت واسعا، قال الله تعالى (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) وقد جعلت سيد المرسلين الذي هو رحمة للعالمين رحمة لك ولاهل مذهبك. وهذا كذب ظاهر على المجيب لانه لم يخص أحداً معينا بل أخبر ان مذهبه في هذه الآيات وما أشبهها من الاحاديث مذهب السلف الصالح ومن تبعهم باحسان إلى يوم الدين، فهذا كلامه صريحا في تكذيب هذا المعترض

(الثاني) قوله: فقد جعلت سيد المرسلين الذى هو رحمة للعالمين رحمة لك ولاهل مذهبك، وهذا أيضاً كذب ظاهر على المجيب لان ظاهر كلامه على صريحه يناقض ماذكره هذا المعترض، وكل من اتبع كتاب الله وسنة رسوله من جميع الطوائف فهو عنده من أهل الرحمة الناجين، ولا يخالف في هذه المسئلة أحد من أمته ﷺ لا من أهل السنة ولا من أهل البدعة، وانما الشأن في تحقيق هذه الدعوى بالعمل وقد قال تعالى في كتابه (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين) الآية فدلت هذه الآية الكريمة على ان كل من أطاع الله ورسوله من الاولين والآخرين فهو من أهل الجنة الناجين

(الثالث) قوله والمتسمين باهل السنة والجماعة خاصة. وهذا أيضاً كذب على المجيب، لان الذى ذكر المجيب - كما نقله هو عنه - انه مادرج عليه رسول الله ﷺ

(١) كذا في الاصل ولعله «أما ترضى أن تكون الخ» أو نحو هذا

وأصحابه والتابعون ومن اتبع سبيلهم من الائمة وأهل الحديث وسائر العلماء الذين لهم لسان صدق عند الامة ، وهم أهل السنة. فهذا كلام المجيب بحروفه وهو ظاهر في كذبه وافترائه عليه ، والمجيب يعلم ان كثيراً من أهل البدع يسمون أنفسهم أهل السنة والجماعة وليسوا كذلك، بل هم مخالفون للسنة الثابتة عن رسول الله ﷺ ولجماعة أهل الحق ، كالخوارج والمعتزلة الذين يسمون أنفسهم أهل العدل والتوحيد، وهم في الحقيقة اهل ظلم وشرك .

وكذلك الروافض والشيعة الذين يسمون أنفسهم شيعة آل محمد وهم أعداء آل محمد في الحقيقة كما ان اليهود والنصارى يدعون اتباع الانبياء وينتسبون اليهم وهم أعداؤهم حقاً ، ولهذا امتحنهم الله تبارك وتعالى بهذه الآية الكريمة لما ادعوا محبة الله (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) الآية

(الرابع) قوله فياليت شعري أين تضع أهل بيت رسول الله ﷺ فقد أخرجتهم عن ان يكون سلفهم جدهم ﷺ وتابعيهم وهذا من أظهر الكذب والفجور على المجيب، لان اهل بيت رسول الله ﷺ هم أئمته وسلفه فيما ذكر لانه بين في كلامه أن مذهبه مادرج عليه رسول الله ﷺ وأصحابه وتابعوهم إلى يوم الدين، فاين في هذا انه أخرج اهل بيت رسول الله ﷺ من هذه الجملة، بل صريح كلامه انهم داخلون فيمن انتسب اليهم، لان قوله واصحابه وتابعوهم إلى يوم الدين، يعم فيدخل فيه علي وسبطا رسول الله ﷺ وابن عباس وابوه العباس وغيرهم من اهل البيت الذين اتبعوا سلفهم الصالح، فكيف يقول هذا الكاذب الفاجر ان المجيب أخرجهم من هذه الجملة ؟

وأما قوله فقد أخرجتهم عن أن يكون سلفهم جدهم ﷺ واصحابه وتابعيهم لما فسروا كتاب الله وتأولوا صفات الله على ماتقتضيه لغة العرب فقد قال تعالى (قرآنا عربيا غير ذي عوج) فالمجيب انما أخرج من هذه الجملة أهل البدع

والضلال الذين يكذبون على رسول الله ﷺ وأهل بيته ، وينسبون اقوالهم الباطلة اليهم ، ويتأولون كتاب الله على غير تأويله وعلى غير مافسره به الصحابة والتابعون ، بل يحرفون الكلم عن مواضعه كفعل اليهود والنصارى كالجهمية والمعتزلة ، ومن شابههم من هذه الامة : الخوارج والشيعة الذين يعطلون صفات الله ويصفونه بصفات المعدومات ، ويجحدون ما وصف الله به نفسه او وصفه به رسوله ﷺ ، او يتأولونه على غير مادل عليه عند علماء العربية .

والمقصود انه بين في كلامه ان المذهب الصحيح الصواب في مسألة الصفات هو ما درج عليه رسول الله ﷺ واصحابه ومن تبعهم باحسان إلى يوم الدين ، والحق لايخرج عنهم . بل الحق يدور معهم حيث داروا ، لان الطرق كلها مسدودة إلى الله وإلى جنته إلا من طريقه صلوات الله وسلامه عليه . وهذا مجمع عليه بين فرق الامة وإنما الشأن في تحقيق الدعوى وتحقيق المنقول عنه صلوات الله عليه ، والتمييز بين الصحيح والكذب ، واهل العلم كلهم من جميع الفرق يتفقون على أن طريقة اهل التأويل مبتدعة ابتدعها اوائل الجهمية والمعتزلة الذين أخذوها عن الصابئين من المشركين أعداء الاسلام ، ولا تؤثر عن احد من السلف الصالح لا عن رسول الله ﷺ ولا عن اهل بيته ولا عن احد من اصحابه ولا التابعين لهم باحسان ، ولما حدثت هذه البدعة في اواخر دولة بني امية امر العلماء - كالحسن البصري وغيره من اهل العلم - بقتل من ابتدعها وهو الجعد بن درهم ، فضحى به الامير خالد بن عبد الله القسري بواسط بالعراق ، فخطب الناس وقال « ايها الناس ضحوا تقبل الله ضحاياكم فاني مضح بالجعد بن درهم ، انه يزعم ان الله لم يتخذ ابراهيم خليلا ، ولم يكلم موسى تكليما » ثم نزل فذبحه لانكاره الخلة والتكليم ، وذلك ان اهل البدع يزعمون ان الله لايتكلم ولا يحب خلقه ، ولا يخالل احداً ، ويزعمون ان هذا من صفات المخلوقين ، ويتأولون الآيات التي فيها ، إن الله يتكلم او يحب او يتخذ

ابراهيم خليلا على غير مدلولها كما ذكر ذلك أهل العلم من اهل التواريخ وغيرهم، فقد خالفت ماعليه رسول الله ﷺ واهل بيته والتابعون لهم بإحسان ، واتبعت سبيل المبتدعة الضالين ، وذممت طريقة رسول الله ﷺ واصحابه وكل من اتبعهم وزعمت انها تقتضي التشبيه والتجسيم، ومدحت طريقة جهم بن صفوان وجعد بن درهم، وزعمت أنها هي الحق الذي يجب اتباعه ، ونسبتها بجهلك إلى رسول الله واهل بيته . وقد ذكر البخاري رحمه الله في كتابه (خلق أفعال العباد) قصة جهم بن صفوان وجعد بن درهم، وكان جعد أخذ هذا المذهب عن الصابئين، وأخذه عنه الجهم بن صفوان. قال رحمه الله حدثنا قتيبة حدثني القاسم بن محمد بن حبيب بن أبي حبيب عن ابيه عن جده قال شهدت خالد بن عبدالله القسري بواسط في يوم الاضحى وقال «ارجعوا وضحوا تقبل الله منكم فاني مضح بالجعد بن درهم، زعم ان الله لم يتخذ ابراهيم خليلا ، ولم يكلم موسى تكليما، سبحانه وتعالى عما يقول الجعد بن درهم علواً كبيراً» ثم نزل فذبحه . قال ابو عبد الله بلغني ان جهما كان يأخذ هذا الكلام عن الصابئة

فصل

وأما قوله : فلقد فرقت بين النبي ﷺ وقطعت ماوصله الله ورسوله. فهذا كذب وافتراء على المجيب، لا يمتري فيه ذو قلب منيب، وذلك ان المجيب قرر في كلامه مذهب السلف الصالح وهو ماعليه رسول الله وأصحابه، وذكر الادلة على ذلك من كلام الله وكلام رسوله وكلام أهل العلم . وانما الذي قطع ما أمر الله به أن يوصل وفرق بين رسول الله ﷺ هم أهل البدع والضلال الذين شاقوا الله ورسوله من بعد ما تبين لهم الهدى واتبعوا غير سبيل المؤمنين ، فأولئك يوليهم الله ما تولوا ، ويصليهم جهنم وساءت مصيرا ، ولو ادعوا اتباعهم ، وانتحلوا طريقتهم كذبا وافتراء عليهم

فصل

﴿ زعم الزيدي ان الوهابي كفر من خالف مذهبه ، وابطاله ﴾

وأما قوله : أولم تدر انك ضللت وكفرت من خالف مذهبك استناداً إلى الاوزاعي الذي يدعي ان الحق معه ،وان التابعين أجمعوا على ما ادعاه

(فالجواب) أن يقال في هذا الكلام من الكذب والظلم والجهل أنواع كثيرة (الاول) قوله انك ضللت وكفرت من خالف مذهبك في مسألةالصفات فان الامة اختلفوا في هذه المسائل اختلافا كثيراً ولم يكفر بعضهم بعضاً ، وانما يكفرون من خالف نص كتاب أو سنة ، وقامت عليه الحجة واعتقد أن الحق خلاف ذلك . وأما نحن فلم نكفر أحداً بهذه الامور ، وانما كفرنا من أشرك بالله وعبد معه غيره وقامت عليه الحجة واستهزأ بالدين الذي جاء به محمد ﷺ من عند الله أو شيء منه أو كرهه وأبغضه . والادلة على ذلك كثيرة في الكتاب والسنة كقوله تعالى (ومن يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار) وقال تعالى لنبيه ﷺ (لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين) وقال تعالى (ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء) وقال تعالى (ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء) الآية . وقال تعالى (قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزءون؟ لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم) وقال تعالى (ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم)

(الثاني) قوله استناداً إلى الاوزاعي الذي ادعى ان الحق معه لان الاوزاعي رحمه الله لم يدع أن الحق معه ، بل ذكر ان مذهبه هو ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه وما أجمع عليه التابعون . ومعلوم ان الحق معهم لا يمتري في ذلك مسلم . وإذا تنازع الناس في مسألة من المسائل الاصولية والفروعية فالصواب

والحق مع من كان الدليل معه كائناً من كان

(الثالث) قوله وان التابعين أجمعوا على ما ادعاه ، لان الاجماع في هذه المسئلة قد حكاه غير واحد من أهل العلم ، كمحمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة وأبي عمر ابن عبد البر وغيرهما ، فثبت عن محمد بن الحسن صاحب ابي حنيفة انه قال « اتفق الفقهاء من الشرق والغرب على أن الايمان بالقرآن والاحاديث التي جاء بها الثقات عن رسول الله ﷺ في صفة الرب عز وجل من غير تفسير ولا تشبيه فمن فسر شيئاً من ذلك فقد خرج مما كان عليه النبي ﷺ وفارق الجماعة فانهم لم يصفوا ولم يفسروا ولكن آمنوا بما في الكتاب والسنة . فمن قال بقول جهم فارق الجماعة » انتهى

فانظر رحمك الله الى هذا الامام كيف حكى الاجماع في هذه المسئلة ؟ ولا خير فيما خرج عن إجماعهم ولو لزم التجسيم عن السكوت عن تأويلها لفروا منه فانهم أعرف الامة بما يجوز على الله وما يمتنع عليه . وثبت عن اسماعيل بن ابراهيم بن عبد الرحمن الصابوني انه قال « ان اصحاب الحديث المتمسكين بالكتاب والسنة يعرفون ربهم تبارك وتعالى بصفاته التي نطق بها كتابه وتنزيله وشهد بها رسوله ﷺ على ما وردت به الاخبار الصحاح ونقله العدول الثقات ، ولا يعتقدون تشبيهاً لصفاته بصفات خلقه ولا يكيفونها تكييف المشبهة ، ولا يحرفون الكلم عن مواضعه تحريف المعتزلة والجهمية » وقد أعاذ الله اهل السنة من التحريف والتشبيه ، ومنَّ عليهم بالتفهيم والتعريف حتى سلكوا سبيل التوحيد والتنزيه ، وتركوا القول بالتشبيه ، واكتفوا بنفي النقائص بقوله عز وجل (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) وبقوله تعالى (لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد)

فتبين بما ذكرنا بطلان قول المعترض ! استدلالك بما رواه الاوزاعي من الاجماع آحادي ولا يجوز تكفير المسلمين إلا بقطعي المتن والدلالة

فصل

وأما قوله (انك ادعيت أن الذي تذهب اليه ترك التعرض لتفسير آيات الصفات، والاوزاعي روى خلاف ماتدعي فانه قل. كنا والتابعون نقر بان الله فوق عرشه. وإذا اثبت التابعون والاوزاعي الفوقية لله على العرش فقد فسروا(١) فكأنهم قالوا معنى قوله (الرحمن على العرش استوى) أي كان فوقه، وأنت تقول انك لاتتعرض لتفسير آيات الصفات، فما الجامع بين كلامك وكلام الاوزاعي والتابعين؟ فكيف تستدل به على تكفير المسلمين؟)

(فالجواب) أن يقال هذا الكلام من المعترض مما يدل على جهله وقلة معرفته بكلام الأئمة ومرادهم، فان كلام الاوزاعي وغيره من أهل السنة معناه أنهم لايفسرون ولا يكيفون صفات الله كالاستواء على العرش والنزول والمجيء والغضب والرضا والمحبة وغير ذلك من الصفات، فيقولون مثلا في الاستواء: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة، كما قال الامام مالك ابن أنس رحمه الله، فقيل له ياأبا عبد الله (الرحمن على العرش استوى) كيف استوى؟ فاطرق مالك وعلاه الرحضاء - يعني العرق - وانتظر القوم مايجيء منه فرفع رأسه اليه وقال الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة، وأحسبك رجل سوء، وأمر به فأخرج. ومن أول الاستواء بالاستيلاء فذاك هو الذي فسر، وهذا تأويل الجهمية والمبتدعة الضالين وهم أئمة هذا المعترض الذين فارقوا ماعليه أصحاب رسول الله ﷺ وابتدعوا في الدين مالم يأذن به

(١) التفسير في اللغة المبالغة في توضيح مافيه خفاء وبهذا المعنى كان يذكره المتقدمون فقول الاوزاعي بعدم تفسير الصفات الالهية أنهم يروونها على ظاهر مدلول اللغة مع اعتقاد تنزيهه تعالى عن مشابهة خلقه

الله ، والدليل على أن مذهب السلف ماذكرنا انهم نقلوا الينا القرآن العظيم واخبار رسول الله ﷺ نقل مصدق لها يؤمن بها غير مرتاب فيها ولا شاك في صدق قائلها ولم يفسروا مايتعلق بالصفات بتأويل ولا غيره ولا شبهوه بصفات المخلوقين اذ لو فعلوا شيئا من ذلك لنقل عنهم ولم يجز أن يكتم بالكلية ، اذلايجوز التواطؤ على كتمان مايحتاج الى نقله ومعرفته، لجريان ذلك في القبح مجرى التواطيء على نقل الكذب وفعل مالا يحل، بل بلغ من مبالغتهم في السكوت عن هذا انهم كانوا اذا رأوا من يسأل عن المتشابه بالغوا في كفه وزجره ،تارة بالقول العنيف وتارة بالضرب وتارة بالاعراض الدال على شدة الكراهة لمسئلته ولذلك لما بلغ عمر رضي الله عنه أن صبيغا يسأل عن المتشابه أعد له عراجين النخل ثم أمر به فضرب ضربا شديدا وبعث به الى البصرة ، وأمرهم أن لايجالسوه فكان بها كالبعير الاجرب لايأتي مجلسا الا قالوا عزمة أمير المؤمنين فتفرقوا عنه. وقال سعيد بن جبير مالم يعرفه البدريون فليس من الدين .

وثبت عن الربيع بن سليمان قال سألت الشافعي رضي الله عنه عن صفات الله تعالى ، فقال : حرام على العقول أن تمثل الله تعالى ، وعلى الاوهام أن تحده ، وعلى الظنون أن تقطع ، وعلى النفوس أن تفكر ، وعلى الضمائر أن تتعمق ، وعلى الخواطر ان تحيط ، وعلى العقول أن تعقل الا ماوصف الله به نفسه أو على لسان نبيه ﷺ . وثبت عن الحميدى أبي بكر عبد الله بن الزبير انه قال . أصول السنة فذكر أشياء - ثم قال. وما نطق به القرآن والحديث مثل (وقالت اليهود يدالله مغلولة غلت أيديهم) ومثل (والسموات مطويات بيمينه) وما أشبه هذا من القرآن والحديث ولا نزيد فيه ولا نفسره . ونقف على ماوقف عليه القرآن والسنة ، ونقول (الرحمن على العرش استوى) فمن زعم غير هذا فهوجهمي

فمذهب السلف رحمة الله عليهم اثبات الصفات واجراؤها على ظاهرها

ونفي الكيفية عنها، لان الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات واثبات الذات اثبات وجود لا اثبات كيفية، وعلى هذا مضى السلف كلهم . ولو ذهبنا نذكر ما أطلعنا عليه من كلام السلف في ذلك لخرج بنا عن المقصود في هذا الجواب، فمن كان قصده الحق واظهار الصواب اكتفى بما قدمنا. ومن كان قصده الجدال والقيل والقال والمكابرة لم يزده التطويل الا ضلالا. والله الموفق للصواب

فصل

﴿ في انكار الزيدي صفة العلو والفوقية لله تعالى والرد عليه ﴾

واما قوله (وأنت ايضا قد ناقضت كلامك بكلامك حيث قلت وذلك مثل وصف نفسه تبارك وتعالى بانه فوق السموات مستو على عرشه فقد فسرت كتاب الله واثبت لله صفة وهي الفوقية المستلزمة للتجسيم، وليست الفوقية مذكورة في قوله (الرحمن على العرش استوى)

(فالجواب) أن يقال قد ذكرنا ان تفسير الصفات الذي نفيناه في كلامنا، وذكرنا نفيه عن السلف هو تأويل آيات الصفات وأحاديثها بتأويلات الجهمية والمعتزلة الذين يفسرون الاستواء بالاستيلاء والفوقية بالقهر، واليد بالنعمة، وما أشبه ذلك، ويفسرونها بتفسير المشبهة الذين يقولون استوى كاستواء المخلوق على سريره، ويفسرون اليد بالجارحة كجارحة المخلوق فكل هذا من التفسير المردود المبتدع المحدث في الدين، ولم ينقل هذا عن أحد من السلف باسناد صحيح ولا ضعيف حتى ان المخالفين لهم في ذلك يقرون بان مذهب السلف في آيات الصفات وأحاديثها امرارها كما جاءت من غير تعرض لتفسير او تأويل مع نفي التشبيه عنها ويقولون هذا أسلم . وأما مذهب الخلف فهو تأويلها وتفسيرها بما يليق بالله سبحانه فحصل الاتفاق من الموافق والمخالف على ان مذهب السلف ماذكرنا ولله الحمد والمنة

وأما وصف الرب بالفوقية فقد صرحت الآيات الكريمات بذلك وكذلك الاحاديث الثابتة المتواترة ، وأجمعت عليه الامم عربهم وعجمهم لان الله فطرهم على ذلك إلا من شذ واجتالته الشياطين عن فطرته التي فطره الله عليها ، وهذا كتاب الله تعالى وسنة رسول الله ﷺ وعامة كلام الصحابة والتابعين ثم عامة كلام سائر الامة مملوء بما هو إما نص وإما ظاهر في أن الله هو العلي الاعلى، وانه فوق كل شيء ، وانه عال على كل شيء ، وانه فوق العرش ، وانه فوق السماء مثل قوله (اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه - إني متوفيك ورافعك إلي - أأمنتم من في السماء - تعرج الملائكة والروح اليه - يخافون ربهم من فوقهم - ثم استوى على العرش) في ستة مواضع إلى أمثال ذلك مما لا يحصى إلا بكلفة

ياسبحان الله، كيف لم يقل الرسول ﷺ يوما من الدهر ، ولا أحد من سلف الامة: هذه الاحاديث والآيات لا تعتقدوا ما دلت عليه لكن اعتقدوا الذي تقتضي مقاييسكم فانه الحق ، وما خالفه فلا تعتقدوه وانفوه . ولازم هذه المقالة أن يكون ترك الناس بلا رسالة خيراً لهم في اصل دينهم لان مردهم قبل الرسالة وبعدها واحد ، وانما الرسالة زادتهم شقاء وضلالا ، ونحن لم نصف الله بالفوقية وانما هو سبحانه هو الذي وصف نفسه بذلك، فبطل قول المعترض وكلامه صريح بانه اتبع ماقاله الله ورسوله، وان الله هو الذي وصف نفسه بذلك .

وأما قوله فقد فسرت كتاب الله - فهذا كذب وافتراء على المجيب، يعرفه كل منصف لبيب ، وهذا المعترض لا يستحي من كثرة الكذب، نعوذ بالله من ارتكاب الهوى والتعصب على الباطل للذين يصدان عن اتباع الحق وإرادته .

وقوله: وأثبت لله صفة وهي الفوقية المستلزمة للتجسيم - كذب ظاهر، لان إثبات الفوقية لا يلزم منه ذلك عند من قال به، والله سبحانه وتعالى اعلم من خلقه بما يجوز عليه وما يمتنع عليه، ولكن هذا شأن اهل البدع والضلال، يردون ماجاء

به الرسول ﷺ من عند الله بهذه الامور القبيحة، كما ان الجهمية أنكروا تكليم الله لموسى عليه السلام وغيره من خلقه، وزعموا ان القرآن مخلوق، قالوا لان الكلام إذا أطلق على ظاهره يلزم منه الجسم، وكذلك أنكروا رؤية الله في الآخرة، وزعموا ان المرئيات لاتكون إلا جسما، ولهذا لما ظهرت الفتنة في امارة المأمون العباسي وامتحن العلماء بالضرب والحبس على أن يقولوا القرآن مخلوق، وأن الله لايرى في الآخرة، وجرى امورعظيمة، وقتلوا بعض العلماء، وضربوا الامام احمد لما امتنع من القول بذلك، ولما ناظره برغوث تلميذ حسين النجار بان الله لو كان متكلما لكان جسما، قال الامام احمد: لاأدري ماتقولون، ولكن أقول (الله أحد الله الصمد لم يلدولم يولد ولم يكن له كفواً أحد) فأجابهم الامام احمد بطريقة الانبياء واتباعهم وهو الاعتصام بكتاب الله، وترك البدع والمقاييس التي لم يأت بها كتاب ولاسنة والله سبحانه وتعالى أعلم

فصل

وأما قوله (إن روايتك عن الاوزاعي مرسلة لم تذكر طريقها ولامخرجها ولا من صححها فكيف تكفر بها المسلمين ؟)

(فالجواب) ان يقال هذا المعترض لايعرف معنى المرسل عند أهل الحديث ولا يميز بينه وبين المقطع أو المعضل، لان هذا لايسمى مرسلا، وانما المرسل ما أرسله التابعي عن النبي ﷺ وسقط الصحابي كما اذا روى سعيد بن المسيب و الزهري او الحسن او مكحول وأمثالهم عن النبي ﷺ. وأما مثل هذا فلا يسمى مرسلا وانما يسمى معضلا او منقطعاً. ويقال أيضا استنادنا في هذه المسئلة ليس إلى قول الاوزاعي خاصة ولا إلى قول من هو أجل من الاوزاعي، وانما استنادنا في هذه المسئلة وأمثالها من صفات الله إلى نصوص الكتاب والسنة

واجماع أهل العلم من السلف الصالح ، فقد نقل الاجماع في هذه المسئلة غير واحد كما تقدم التنبيه عليه

وقوله : فكيف يكفر بها المسلمين ؟ فياسبحان الله ! كيف تفتري الكذب الظاهر على المجيب ؟ فقد بينا فيما تقدم اننا لم نكفر أحداً بالجهل في هذه المسئلة أعني تأويل آيات الصفات وأحاديثها ومخالفة ماعليه السلف ، ولا نكفر إلا من أنكر ماعلم بمجيء الرسول ﷺ به ضرورة

فصل

وأما قولك (ان الاوزاعي الراوي لذلك الاجماع قد ناقض نفسه فقد حكى عنه الذهبي انه قال لانعلم أحداً ينسب إلى القدر من التابعين أجل من الحسن ومكحول رحمهما الله)

فالجواب : ان هذا المعترض لايعرف المناقضة لان اثبات القدر او نفيه من باب اثبات فعل العبد لله تعالى او نفيه ، لامن باب تفسير الصفات وتأويلها . والذي ذكره الاوزاعي عن التابعين اثبات الصفات لله تبارك وتعالى وعدم تفسيرها وتأويلها ، فأين في هذا ماينافض ماذكره الاوزاعي في قوله : كنا والتابعون متوافرون نقول إن الله فوق عرشه ، ونؤمن بما وردت به السنة من صفاته ، وقد رواه البيهقي وغيره باسناده عن الاوزاعي

واثبات خلق الله تعالى للاشياء المخلوقة لاينازع فيه أحد من الناس حتى عبدة الاوثان يقرون بذلك كما أخبر الله عنهم بقوله (ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فأنى يؤفكون) وقوله (قل من يرزقكم من السماء والارض — إلى قوله — ومن يدبر الامر ؟ فسيقولون الله فقل أفلا تتقون) وانما نازع من نازع من المعتزلة في فعل العبد خاصة . فالمعتزلة ينكرون ان الله خالق أفعال العباد خيرها وشرها

وفي صحيح مسلم ان أول من قال ذلك بالبصرة معبد الجهني، فلما ذكر ذلك لعبد الله بن عمر تبرأ منه. واستدل على اثباته بما سمعه من رسول الله ﷺ في اثبات القدر حين سأله جبريل عليه السلام عن الاسلام والايمان والاحسان، كما ذكر ذلك مسلم في اول كتاب الايمان من صحيحه. وكذلك ابن عباس ثبت عنه انه تبرأ ممن أنكر ذلك

ومن العجب قوله (وأيضاً ينتقض بما روي عن عامر الشعبي التابعي انه قال إن أحببنا اهل البيت هلكت دنيانا، وإن أبغضناهم هلك ديننا)

فأين المناقضة في هذا الكلام ياجاهل. وأهل السنة كلهم يحبون آل محمد مع اثباتهم لصفات الله تعالى التي نطق بها القرآن.

فان قلت ان أهل البيت ينكرون هذه الصفات، ويتأولون ظواهر هذه الآيات طالبناك بصحة النقل عنهم بذلك. وهيهات لان أهل البيت لايفارقون كتاب الله ولا يخالفونه كما ورد في الحديث انه قال «ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض» كما تقدم في حديث زيد بن ارقم وغيره. وأنت لا تنكرن ظواهر الآيات والاحاديث المذكورة فيها صفة الرب بصفاته العلى وأسمائه الحسنى، كالعلي الاعلى، وانه فوق عرشه استوى، وانه فوق عباده، ولم ينقل عن أحد من الصحابة انه فسر هذه الآيات بتفسير المعتزلة والجهمية الذي يذهب اليه هذا المعترض، ولا قالوا للناس اعلموا ان ظاهر هذه النصوص غير مراد فلا تعتقدوه فانه يقتضي التشبيه والتجسيم، بل سكتوا عن ذلك ووصى بعضهم بعضاً بالسكوت عنها، وانما فسرها وتأولها أهل الضلال والبدع وما أحسن ماقال عمر بن عبد العزيز ابن عبد الله بن ابي سلمة الماجشون: عليك بلزوم السنة فانها لك باذن الله عصمة فان السنة انما جعلت ليستن بها ويقتصر عليها، وانما سنها من قد علم ما في

خلافها من الزلل والخطأ والحمق والتعمق، فارض لنفسك بما رضوا به فانهم عن علم وقفوا، وببصر نا قد كفوا، ولهم كانوا على كشفها اقوى، وبتفصيلها كانوا أحرى، وانهم لهم السابقون. وقد بلغهم عن نبيهم ما يجري من الاختلاف بعد القرون الثلاثة. فلئن كان الهدى ما أنتم عليه لقد سبقتموهم، ولئن قلتم حدث حدث بعدهم، فما أحدثه إلا من اتبع غير سبيلهم ورغب بنفسه عنهم واختار ما نحته فكره على ما تلقوه عن نبيهم، وتلقاه عنهم من اتبعهم باحسان، ولقد وصفوا منه ما يكفي، وتكلموا منه بما يشفي، فمن دونهم مقصر، ومن فوقهم مفرط، لقد قصر دونهم أناس فجفوا، وطمح آخرون فغلوا، وانهم فيما بين ذلك لعلى هدى مستقيم

فصل

﴿ في مسألة القدر واثبات السلف والخلف أهل السنة له ﴾

وأما قوله (وقد روي التكلم في القدر عن محمد بن سيرين وقتادة — إلى قوله — ومن تكلم في القدر فقد تكلم في الصفات، وسواء كان من جانب المعتزلة كالحسن ومكحول ومن ذكراو من جانب الاشعرية، فمن التابعين من هو سلف اللاشاعرة. وقلنا ان التكلم في القدر تكلم في الصفات إذ معناه عند الحسن ومكحول ان الله تعالى متصف بعدم خلق أفعال العباد اي لم يؤثر فيها، ومن أثبت لله خلق الافعال فقد وصف الله بأنه مؤثر فيها. وهذان المذهبان قد اشتهرا وشاعا في التابعين. فمنهم الذاهب مذهب المعتزلة كالحسن ومكحول ومن ذكرنا ومنهم الذاهب مذهب الاشعرية)

(فالجواب) من وجوه (احدها) ان يقال: اثبات القدر او نفيه ليس من باب اثبات الصفات ولا تفسيرها عند المثبتين ولا عند النافين كما تقدم التنبيه عليه، وانما ذلك من باب إثبات الفعل والخلق، فالمعتزلة ينفون ان الله قدر افعال العباد ويقولون ان الله لا يقدرها عليهم ثم يعذبهم عليها، وانما يكون ذلك ابتداء من

عند انفسهم، ويوردون على ذلك شبهات من الكتاب والسنة

وأما السلف وأهل السنة ومن اتبعهم من أتباع الائمة الاربعة من الاشعرية وغيرهم فيثبتون ان الله قدر افعال العباد وشاءها منهم، ولا يكون في ملكه إلا ما يريد . ويستدلون على ذلك بالآيات القرآنية الصريحة في ان الله خلق العباد وأعمالهم كقوله تعالى (والله خلقكم وما تعملون) وقوله (إنا كل شيء خلقناه بقدر) وقوله (ومن يهدي الله فهو المهتدي ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً) وبالاحاديث الصحيحة الصريحة المتواترة عن رسول الله ﷺ بأن الله قدر اعمال العباد وان كلا ميسر لما خلق له كما قال تعالى (فأما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى * وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى)

(الوجه الثاني) ان يقل هؤلاء الذين ذكرهم مع المعتزلة كالحسن وابن سيرين ومكحول كلهم قد صح عنهم الايمان بالقدر وإثباته موافقة لأهل السنة وان كان قد نسب إلى بعضهم موافقة المعتزلة فليس كل ما ينسب الى شخص يكون ثابتا عنه، فليس مجرد نسبة بعض الناس اليهم ذلك يكون صدقا. وذلك لان المعتزلة انما اشتهر امرهم بعد موت الحسن البصري، لانهم اعتزلوا اصحاب الحسن بعد موته فسموا المعتزلة لذلك وهم الذين يسمون القدرية لانهم ينكرون ان يكون الله تبارك وتعالى قدر افعال العباد وشاءها منهم . وغلاتهم ينكرون ان يكون الله علم ذلك ، ومن أنكر علم الله بذلك فقد كفر عند أئمة اهل السنة ، ولهذا قال من قال من أئمة اهل السنة : ناظروا القدرية بالعلم فان أنكروه كفروا وان أقروا به خصموا

(الثالث) ان اهل السنة الذين حكينا مذهبهم في الصفات وانهم لا يتعرضون لها بتفسير ولا تأويل بل يثبتونها صفات لله ، ولا يلزم من إثباتهم الصفات لله انهم يفسرونها او يتأولونها كما انهم وغيرهم يثبتون لله ذاتا وفعلا وحياة وقدرة

ولا يكيفونها ولا يفسرونها بل يثبتون ما أثبته لنفسه ، ويسكتون عما سكت عنه ، وينزهونه عن مشابهة المخلوقات ، ومذهبهم وسط بين الغالي فيه والجافي عنه ، فلا يتأولونها تأويل المبتدعة ، ولا يشبهونها بصفات المخلوقين . وقد قال تعالى (فهدي الله الذين آمنوا لما اختلف فيه من الحق باذنه والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم)

(الوجه الرابع) ان هذا المعترض جزم في كلامه بأن الحسن ومكحولا ومن ذكر معهم قد ذهبوا مذهب المعتزلة . وهذا كذب ظاهر عليهم ، فان كان مراده ان هؤلاء نسب اليهم القول بمذهب المعتزلة فقد بينا أن مجرد نسبته اليهم لا يلزم منه صحة ذلك عنهم ، والمنقول عنهم في ذلك من موافقة أهل السنة والجماعة في إثبات القدر والايمان به هو الثابت عنهم . وأنت تعلم أن كثيراً من الناس قد نقل عن علي رضي الله عنه وأهل البيت أشياء كثيرة ونسبوا اليهم أقوالا قد برأهم الله منها ، والرسول ﷺ قد نسب اليه اقوال كثيرة وأهل العلم يعرفون انها مكذوبة عليه . ومن هؤلاء المذكورين من تكلم في شيء من القدر ثم رجع عنه كوهب بن منبه كما قال الحافظ أبو الحجاج المزي في تهذيبه ، قال احمد بن حنبل عن عبد الرزاق سمعت أبي يقول «حج عامة الفقهاء سنة مائة وحج وهب بن منبه ، فلما صلوا العشاء أتاه نفر فيهم عطاء والحسن بن ابي الحسن وهم يريدون أن يذاكروه في باب من الحمد ، فما زال فيه حتى طلع الفجر ، فافترقوا ولم يسألوه عن شيء » قال احمد وكان يتهم بشيء من القدر ورجع

وقال حماد بن سلمة عن أبي سنان قال سمعت ابن منبه يقول كنت أقول بالقدر حتى قرأت بضعة وسبعين كتابا من كتب الانبياء في كلها : من جعل الى نفسه شيئاً من المشيئة فقد كفر . فتركت قولي .

فتبين بما ذكرنا أن جزم هذا المعترض بأن هؤلاء الائمة المذكورين يقولون بمقالة المعتزلة كذب ظاهر ، وقول بلا دليل

(الوجه الخامس) ان من المعلوم عند أهل العلم ان أول من تكلم في آيات الصفات وأحاديثها بهذه التأويلات الباطلة المخالفة للظاهر هم المعتزلة والجهمية خاصة . وأما الصحابة والتابعون لهم باحسان فكلهم متفقون على الايمان بها ، والسكوت عن البحث عن كيفيتها

فصل

وأما قوله (فمن أعجب ما سمعنا قولك بأن مذهبك الذي درج عليه رسول الله ﷺ كما هو معنى كلامك فان أهل السنة والجماعة هم الذين ملؤا كتبهم بروايات التجسيم لله تعالى والكيفية في الصفات ، وفسروا صفاته، فلو ادعيت ذلك التنزيه على ما في نفسك لكان أحسن من تحجر الواسع الذي يريد قومك من أهل السنة والجماعة ، فاسمع ما رواه السيوطي في الدر المنثور قال : أخرج ابن جرير والحاكم [(١)] وابن مردويه « أن موسى عليه السلام لما كلمه ربه أحب أن ينظر اليه فسأله فقال (لن تراني ولكن انظر الى الجبل) قال فحف حول الجبل الملائكة وحف حول الملائكة بنار، وحف حول النار بملائكة ، وحف حولهم بنار، ثم تجلى ربك للجبل ، تجلى منه مثل الخنصر ، وجعل الجبل دكا فخر موسى صعقاً » الى آخر الحديث الذي في تفسير قوله تعالى (قال رب أرني أنظر اليك) ثم ذكر حديث ابن عباس نحو ما تقدم . وكذلك أخرج ابو الشيخ عن ابي هريرة عن النبي ﷺ قال « لما تجلى الله لموسى كان ينظر إلى دبيب النمل في الليلة الظلماء من مسيرة عشرة فراسخ » فهذا في التجسيم والتكييف

(فالجواب) أن يقال : كلام هذا المعترض يدل على رسوخه في الجهل العظيم ، واتباعه لأهل البدع والضلال ، وعداوته لله ورسوله وعباده المؤمنين ، وذلك

---

(١) راجعت المستدرك للحاكم في تفسير قوله تعالى (فلما تجلى ربه للجبل) فلم أجده في المستدرك وهو من رواية ابن اسحاق عن بنى إسرائيل اهمن هامش الاصل

ان مثل هذا الذي زعم انه تجسيم وتكييف قد ورد ما هو مثله أو أبلغ منه في كتاب الله وفي الاحاديث الثابتة عن رسول الله ﷺ ، فاذا كان هذا عنده تجسيم وتكييف فلازم كلامه ان الله وصف نفسه بالتجسيم والتكييف ، وكذلك رسوله ﷺ . ومن زعم هذا فقد انسلخ من العقل والدين .

فاسمع الآن ماذكر الله في كتابه . قال الله تعالى (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة) وقال تعالى (هل ينظرون الا ان تأتيهم الملائكة او يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك) وقال تعالى (ثم استوى على العرش) في ستة مواضع من كتابه العزيز . وقال تعالى (أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الارض فاذا هي تمور * أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصباً) ووصف نفسه بانه يحب عباده المؤمنين . وكذلك وصف نفسه بالغضب والسخط في غير آية من القرآن . وكذلك وصف نفسه بانه سميع بصير ، وبان له يدين كقوله تعالى (لما خلقت بيدي) وقوله (بل يداه مبسوطتان) وبأنه يقبض الارض يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون

وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ « ان الله يقبض الارض يوم القيامة ويطوي السموات بيمينه ثم يهزهن بيده ، ثم يقول أنا الملك أين ملوك الارض » وقال تعالى (وجاء ربك والملك صفا صفا) وأمثال ذلك كثير في الكتاب والسنة وقد أمرنا الله بتدبر القرآن وتفهمه

اذا تبين هذا فقد أوجب الله تصديق الرسول ﷺ على كل مسلم فيما أخبر به عن الله من أسمائه وصفاته مما جاء في القرآن وفي السنة الثابتة عنه ، كما كان عليه السابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه ، فان هؤلاء الذين تلقوا عنه القرآن كعثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهم قد أخبروا أنهم كانوا اذا تعلموا من النبي ﷺ

عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا مافيها من العلم والعمل ، قالوا فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعا . ولم يقل الرسول ﷺ يوما من الدهر ولا أحد من أصحابه فيما بلغنا أن ظواهر هـذه الايات وما في معناها من الاحاديث تقتضي التشبيه والتكييف والتجسيم فلا تعتقدوها بل أولوها على التأويلات المستكرهة كما يقول من يقوله من الجهمية والرافضة وغيرهم من أهل البدع والضلال بل أطلقوا هذه النصوص وبلغوها لجميع الخلق ، ومعلوم أن في زمانهم الذكي والبليد من أهل البادية والحاضرة والرجال والنساء فلم يقولوا لاحد منهم لا تعتقدوا ظواهر هذه النصوص ولا فسروها بما يخالف ظاهرها

فهذا سبيل السابقين الاولين من المهاجرين والانصار ومن اتبعهم باحسان الى يوم القيامة ؛ ومن أعرض عن ذلك واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله ما تولى واصلاه جهنم وساءت مصيرا

فصل

﴿ في شبهة تأويل بعض السلف للصفات ﴾

وأما قوله (وأما تفسير الصفات وتأويلها فروى أيضا السيوطي في الدر المنثور في قوله تعالي (وهو شديد المحال) قال اخرج ابن ابي حاتم وأبو الشيخ عن ابن عباس في قوله تعالى (وهو شديد المحال) قال شديد القوة . وعنه أيضا : شديد المكر والعداوة وأخرج ابن جرير عن ابن عباس أيضا : شديد الحول . وأخرج ابن جرير عن علي رضي الله عنه قال : شديد الاخذ . وأخرج ابن أبي حاتم عن مجاهد قال : شديد الانتقام وأخرج أبو الشيخ عن علي قال : شديد الحقد . وأخرج عبد الرزاق وابن ابي حاتم وابن جرير وأبو الشيخ عن قتادة شديد المحال شديد القوة والحيلة انتهى .

قال المعترض فهؤلاء الاجلة من الصحابة والتابعين قد روى عنهم من هو إمام في حزبك وسلفك السيوطي ما ترى من تفسير الصفات وتأويلها بل روى التجسيم عن سيد المرسلين ﷺ وقد اشتهر اشتهار الشمس في كتب قومك وسلفك حديث « سترون ربكم كالقمر ليلة البدر » فهل بعد هذا التكييف من بلاء وعمى؟ نسأل الله لك الهداية والسلامة من نزغات الشيطان

(فالجواب) من وجوه كثيرة (أحدها) أن يقال ماذكرت من رواية السيوطي عن ابن عباس وغيره من الصحابة والتابعين ليس من باب تفسير الصفات وتأويلها الذي ينكره أهل السنة والجماعة، بل فسروها على ظواهر الآيات ووصفوا الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله ﷺ، وهذا من أوضح الدلائل في الرد عليك أيها المعترض وعلى أشباهك المنكرين لصفات الله تعالى، فلم يفعلوا فعل الجاهلية النفاة الذين لم يثبتوا لله صفة ولا فعل الممثلة المشبهة الذين يشبهون صفاته بصفات خلقه

(الوجه الثاني) أن جميع الصحابة والتابعين لهم باحسان يصفون الله بأنه شديد القوة، وكذلك شديد المكر، وشديد الاخذ، كما وصف نفسه بذلك في غير آية من كتابه كقوله (ان أخذه اليم شديد) وقوله (ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين) وقال (ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين) وقال (ان ربك لشديد العقاب وانه لغفور رحيم) وقال (أولم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة) فيمرون هذه الآيات على ظواهرها ويعرفون معناها ولكن لا يكيفونها ولا يشبهونها بصفات المخلوقين . هذا مجمع عليه بينهم ولله الحمد والمنة

فاين في هذا مايدل على أنهم أولوا صفات الله بتأويلات الجهمية والمعتزلة والرافضة ومن نحا نحوهم ممن أزاغ الله قلبه واتبع المتشابه وترك المحكم؟ كما قال تعالى (فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ماتشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله الا الله * والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا أولو الالباب *

ربنا لاتزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب)

جعلنا الله وسائر إخواننا ممن يقول هذه المقالة التي علمنا الله إياها، وأعاذنا من طريق المغضوب عليهم والضالين .

فاما المغضوب عليهم فيتركون الحق ولا يريدونه مع معرفتهم به. وأما الضالون فالجهال الذين جهلوا الحق فلم يعرفوه بل عملوا على جهل وذكر المفسرون ان المراد من المغضوب عليهم اليهود لانهم عرفوا الحق معرفة تامة وتركوا اتباعه. والمراد بالضالين النصارى لانهم عبدوا الله على جهل ، وقد نزه الله نبيه عن هذين الوصفين فقال تعالى (والنجم إذا هوى ماضل صاحبكم وماغوى)

وقد قال سفيان بن عيينة وغير واحد من السلف: من فسد من علمائنا ففيه شبه من اليهود ، ومن فسد من عبادنا ففيه شبه من النصارى

(الوجه الثالث) ان يقال : قوله بل قد روي التجسيم عن سيد المرسلين ـ كذب ظاهر، لان السيوطي وغيره من اهل السنة ينفون عن الله مشابهة المخلوقات ومماثلة الاجسام المصنوعات، فان قال: ان لازم كلامهم يقتضي التجسيم والتشبيه. قلنا هـذا ممنوع عنـد اهل السنة ، فانهم يقولون : إن إثبات الصفات لله تبارك وتعالى وإثبات رؤيته تعالى لايقتضي ذلك ولا يلزم منه التجسيم ، ولكن هـذا شأن اهل البدع والضلال، يردون كتاب الله وسنة رسوله بهذه الخرافات الباطلة ، والجهالات والضلالات الكاذبة الفاسدة

(الوجه الرابع) ان يقال : القرآن مملوء من صفات الله تبارك وتعالى وأسمائه الحسنى ، وقصص الانبياء المتضمنة لاثبات الصفات والافعال الاختيارية لله تبارك وتعالى ، كالمجيء والمناداة والتكلم والقبض والبسط والغضب والرضا . أفيقول مسلم او عاقل إن الله وصف نفسه بالتجسيم والتكييف ؟ اووصفه به رسله وأنبياؤه؟ فإذا قلتم ان لازم تلك النصوص إثبات التجسيم والتكييف ، فهذه النصوص

الواردة في القرآن أبلغ منها فيما ذكرتم . سبحان الله ماأعجب هذا الجهل. ولازم هذه المقالة أن ظواهر القرآن والسنة تجسيم وتكييف

(الوجه الخامس) ان يقال: قوله قد اشتهر اشتهار الشمس في كتب قومك وسلفك حديث « إنكم سترون ربكم » الخ فيقال : هذا حق وصدق تواترت به الاحاديث عن رسول الله ﷺ ودل على ذلك آيات كثيرة من القرآن كقوله (لاتدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير)

ووجه الدلالة من هذه الآية الكريمة: انه سبحانه نفى إدراك الابصار له وأثبت له إدراكها ، ونفي الادراك لايستلزم نفي الرؤية ، فمفهوم الآية ان الله يرى ولا يدرك ، وبما ذكرنا فسر الآية حبر الامة وترجمان القرآن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، كما روى ذلك أئمة التفسير عنه، كابن جرير وابن أبي حاتم عن عكرمة عن ابن عباس قال : رأى محمد ربه ، فقلت: أليس الله يقول (لاتدركه الابصار وهو يدرك الابصار) الآية ،فقال لي : لا أم لك، ذلك نور إذا تجلى بنوره لايدركه شيء ، قال عكرمة لمن قال له لاتدركه الابصار أنست ترى السماء ؟ قال بلى ، قال؟ فكلها ترى (١) ولابن أبي حاتم بسنده عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ في قوله (لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار) قال : لو ان الجن والانس والشياطين والملائكة منذ خلقوا إلى أن فنوا صفوا صفا واحداً ما أحاطوا بالله عز وجل»

ويدل على ذلك قوله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) فسرها أئمة التفسير بان المراد بذلك ان المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة . ولهذا قال الامام احمد بن حنبل رحمه الله في كتاب الرد على الزنادقة والجهمية :

﴿ باب بيان ماجحدت الجهمية ﴾ (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة)

---

(١) يعني أنها لوكانت ترى كلها لكانت رؤيتها ادراكا فان الادراك هو الاحاطة فنفي الادراك لايستلزم نفي الرؤية التي دون الاحاطة بالمرئي

فقلنا لهم: لم أنكرتم ان أهل الجنة ينظرون إلى ربهم؟ فقالوا: لاينبغي لأحد أن ينظر إلى ربه لان المنظور اليه معمول موصوف. فقلنا لهم: أليس الله يقول (إلى ربها ناظرة)؟ فقالوا إنما معناه انها تنظر الثواب من ربها، وإنما ينظرون إلى فعله وقدرته، وتلوا آية من القرآن (ألم تر إلى ربك كيف مد الظل) المعنى: ألم تر إلى فعل ربك. فقلنا ان فعل الله لم يزل العباد يرونه، وإنما قال (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) فقالوا انما تنتظر الثواب من ربها، فقلنا انها مع ماتنتظر من الثواب هي ترى ربها. فقالوا إن الله لايرى في الدنيا ولا في الآخرة، وتلوا آية من المتشابه من قوله جل ثناؤه (لاتدركه الابصار) وقد كان النبي ﷺ يعرف معنى قول الله (لاتدركه الابصار) وقال «إنكم سترون ربكم» وقال الله لموسى عليه السلام (لن تراني) ولم يقل لن أرى، فأيهما أولى أن يتبع؟ النبي صلى الله عليه وسلم حين قال «انكم سترون ربكم» ام جهم حين قال: لاترون ربكم؟ والاحاديث في ايدي أهل العلم عن النبي ﷺ ان أهل الجنة يرون ربهم، لا يختلف أهل العلم في ذلك.

ومن حديث سفيان عن ابي اسحاق عن عامر بن سعد في قول الله (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) قال: النظر إلى وجه الله. ومن حديث ثابت البناني عن عبدالرحمن بن ابي ليلى قال «اذا استقر أهل الجنة في الجنة نادى مناد: يا أهل الجنة ان الله قد أذن لكم في الزيارة، قال فيكشف الحجاب فينظرون إلى الله لا إله إلا هو»

وانا لنرجو ان يكون جهم وشيعته ممن لا ينظرون إلى ربهم ويحجبون عن الله لان الله قال للكفار (كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) فاذا كان الكافر يحجب عن الله والمؤمن يحجب عن الله فما فضل المؤمن على الكافر؟

فالحمد لله الذي لم يجعلنا مثل جهم وشيعته وجعلنا ممن اتبع ولم يجعلنا ممن ابتدع. انتهى كلام احمد بحروفه ولفظه

وهذا الكتاب الذي نقلت منه هذا الكلام رواه عن احمد أئمة أصحابه

وهو مشهور عند العلماء . وفي هذا مايبين ان هذا المعترض اتبع قول جهم وشيعته وترك ماعليه رسول الله ﷺ وأهل بيته وأصحابه

ومن العجب انه يدعي ان الامام احمد هو امام الشيعة عند الحقيقة وقد خالف مذهبه في هذه المسئلة وغيرها من مسائل أصول الدين، فكيف بمسائل الفروع ؟ وأعجب من هذا قوله ان رواية هذا الحديث — أعني حديث الرؤية وما شابهه — تكييف وعماء وضلال، فاذا كان موسى عليه السلام قال لربه (أرني أنظر اليك) أفيسأل موسى عليه السلام ماهو تكييف وتجسيم وعماء وضلال ؟ ويكون موسى عليه السلام لا يعرف مايجوز على الله وما يمتنع عليه ويعرف ذلك جهم وشيعته ؟ فلا إله إلا الله ما أقبح هذا الجهل وأبعده عن السداد والصواب عند اولي الالباب ! !

وقد صرح بعض شياطين هؤلاء المبتدعة الضلال بان عيسى عليه السلام شبه حيث قال (تعلم مافي نفسي ولا أعلم مافي نفسك) وكذلك موسى عليه السلام حيث قال (رب أرني أنظر اليك) وكذلك جهم ذكر البخاري رحمه الله في كتاب خلق أفعال العباد بسنده ان جهما قرأ في المصحف ، فلما أتى على هذه الآية (الرحمن على العرش استوى) قال والله لو قدرت لحككتها من المصحف

وذكر ابو الحجاج المزي في (كتاب تهذيب الكمال في معرفة الرجال) ان عمرو ابن عبيد شيخ القدرية قال في حديث الصادق المصدوق المخرج في الصحيحين وغيرهما من كتب الاسلام عن عبد الله بن مسعود قال حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق «إن خلق أحدكم يجمع في بطن امه اربعين يوما نطفة » الخ فقال: لو سمعت الاعمش يقول هذا لقلت له كذبت ، ولو سمعت زيد بن وهب يقول ذلك لقلت له كذبت ، ولو سمعت ابن مسعود يقول ذلك ماقبلته ، ولو سمعت رسول الله ﷺ يقول ذلك لرددته ، ولو سمعت الله يقول ذلك لقلت ليس على هذا أخذت ميثاقنا . او كلاما هذا معناه . فنسئل الله العظيم المنان ان لايزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا وان يهب لنا منه رحمة انه الوهاب

فصل

وأما قوله (فاركب السفينة وادخل من باب حطة ، حتى تدخل بنور قلبك، حقيقة عاقبة أمرك، وماحصلت عليه من التكفير للمسلمين بسبب الاستناد والركون إلى سلفك، والمتسمين باهل السنة والجماعة ، والحال انهم قد نقضوا غزلك ، فبينا أنت تأوي إلى كهفهم من انهم لايفسرون ولا يؤولون آيات الصفات، اذ جاءوك بالمدلهمات من التجسيمات والتأويلات ، ورووها عمن ركنت إلى اجماعهم وهم التابعون الذين رووه لك عن الاوزاعي فكنت كالساعي إلى مثعب موائلا من سل الراعد ، وانظر هداك الله وتدبر فانك تخوض في بحر الغرق، وهو تكفير أهل الاسلام ، ولم تأو إلى ركن شديد ، ولم تركب سفينة نوح ، فقد أردت أن تنزه ربك بما يلزم منه التجسيم ، كما نبينه اذا جاء قومك بالقراقر وهو صريح التجسيم والتكييف)

(فالجواب) ان يقال: قد تقدم مايبطل دعواك فيما ذكرت في هذا الكلام بما فيه كفاية ولله الحمد والمنة .

وهذا الكلام فيه أنواع من الكذب والزور والبهتان يتضح لكل من له أدنى بصيرة من علم وإيمان (منها) قوله وماحصلت عليه من تكفير المسلمين، فأين في كلام المجيب انه صرح بتكفير المسلمين .

(الثاني) قوله والحال انهم قد نقضوا غزلك، فأين فيما ذكرت عنهم أيها الجاهل في النقض على المجيب، وقد بينا ان كلامهم موافق لما ذكره المجيب لامخالف له، وانما فيه النقض عليك وعلى سلفك من المعتزلة والجهمية الذين ينفون صفات الله ويعطلونها عن حقائقها

(الثالث) قوله : فبينا أنت تأوي إلى كهفهم من انهم لايفسرون ولا يؤولون آيات الصفات، إذ جاءوك بالمدلهمات من التجسيمات والتأويلات. وهذا أيضاً من أظهر

الكذب والفجور عليهم، لان جميع ماذكره عنهم لايدل على التجسيم ولا التأويل الباطل بوجه من الوجوه، وانما يدل على انهم يصفون الله باسمائه الحسنى وصفاته العلى، وهم قد صرحوا بذلك وتحملوا انه عنك وعن سلفك طاعة لربهم ومعبودهم ونبيهم ﷺ كما قال القائل:

وعيرها الواشون اني أحبها   وتلك شكاة ظاهر عنك عارها

ويقال لهذا وأشباهه من أهل البدع والضلال: اءنتم اعلم ام الله؟

(الرابع) قوله: فانك تخوض في بحر الغرق وهو تكفير أهل الاسلام فيقال أين في كلام المجيب انه كفر أحداً من المسلمين بتأويل آيات الصفات وأحاديثها؟ أما تستحي من كثرة الكذب وترداده في السطر الواحد والاثنين والثلاثة والاربعة من كلامك؟ اما عندكم رجل رشيد ينصح هذا الجاهل ويستر عورته اذا كشفها؟

(الخامس) قوله ولم تأو الى ركن شديد ولا ركبت سفينة نوح. وهذا أيضاً من الكذب والزو والبهتان، لان المجيب قد اوى إلى ركن شديد وركب سفينة نوح التي من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق، وقد احتج في كلامه بكتاب الله وسنة رسوله وبما اجمع عليه السلف الصالح من صدر هذه الامة

(السادس) قوله: وقد أردت ان تنزه ربك بما يلزم منه التجسيم. كذب ظاهر لانا قد بينا ان ماوصف الله به نفسه او وصفه به رسوله حق وصدق وصواب ولازم الحق حق بلا ريب، ولا نسلم انذلك يلزم منه التجسيم، بل جميع أهل السنة المثبتة للصفات ينازعون في ذلك ويقولون لمن قال لهم ذلك لايلزم منه التجسيم كما لايلزم من اثبات الذات لله تعالى، والحياة، والقدرة، والارادة، والكلام - تجسيم وتكييف عند المنازع

ومعلوم ان المخلوق له ذات ويوصف بالحياة والقدرة والارادة والكلام ومع هذا لا يلزم من إثبات ذلك لله تبارك وتعالى إثبات التجسيم والتكييف تعالى الله عن ذلك علواً كبيرا

ومعلوم ان هذه الصفات في حق المخلوق إما جواهر وإما أعراض . وأما في حقه تبارك وتعالى فلا يعلمها إلا هو ، بلا تفسير ولا تكييف

(السابع) قوله : إذ جاء قومك بالقراقر وهو صريح التكييف والتجسيم، لان ما ذكره عن اهل السنة ليس فيه تصريح بالتجسيم وانما يقول المخالف انه يلزم منه ذلك ، وقد تقرر عند علماء الاصول وغيرهم ان لازم المذهب ليس بمذهب، وهو نفسه ذكر ان ذلك يلزم منه التجسيم ومنازعه يقول لا يسلم له ذلك . ثم في آخر كلامه ، في موضع واحد يقول وهو صريح التجسيم وليس فيما ذكره عن المجيب ولا عن سلفه من اهل السنة ماهو صريح في ذلك ، والصريح في ذلك أن يقول القائل: ان لله جسما كما يقوله بعض أئمة الرافضة كهشام بن الحكم وغيره من اهل الكوفة كما يذكر ذلك عنهم أهل المقالات

فاتق الله أيها الرجل واحذر ان تكون من الذين يفترون الكذب وقد قال تعالى (انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون)

فصل

وأما قوله جوابا عن كلام المجيب وهو مادرج عليه رسول الله ﷺ فنقول (هات لنا حديثا واحداً عن رسول الله ﷺ قطعي الدلالة متواتر المتن أو متلقى بالقبول عند الامة بان رسول الله ﷺ منع من تفسير آيات الصفات وتاويلها حتى يكون حجة لك على من خالفك في تكفيرك له . وأما انه ﷺ لم يتعرض للتفسير والتاويل فانه لا يكفيك في تكفير المسلمين، مع انا قد ذكرنا لك ان قومك قد رووا عنه ﷺ التفسير والتاويل والتجسيم ، فاختر لنفسك ما يحلو . ولا حول ولا قوة إلا بالله)

(فالجواب) من وجوه (أحدها) ان يقال: ان المجيب قد ذكر من الادلة القاطعة من الكتاب والسنة أن الله وصف نفسه بالاستواء واليدين والمجيء والرضا والسخط

والغضب والمحبة وغير ذلك من أسمائه الحسنى ، وصفاته العلياء مايشفي ويكفي لمن أراد الله هدايته

(الثاني) انه لم يدع ان معه دليلا حديثا قطعي الدلالة بأن رسول الله ﷺ منع من تفسير آيات الصفات وتأويلها حتى يقال له هات ما ادعيت . وانما دعواه ان آيات الصفات وأحاديثها قد وردت في الكتاب والسنة ، وتلقاها رسول الله ﷺ وأصحابه والتابعون لهم باحسان بالقبول والتصديق والايمان ،ولم يرد عن أحد منهم لا باسناد صحيح ولا حسن انهم فسروا ذلك أو قال الرسول أو أحد من أصحابه الناس لاتعتقدوا ظواهر هذه النصوص بل تأولوها على ماتقتضيه عقولكم ومقاييسكم ، بل سكتوا عن ذلك وأمروا بتبليغ القرآن والسنة ، وان رسول الله ﷺ قال « بلغوا عني ولو آية » وقال الله لنبيه ﷺ (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك) الآية (فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب — ما على الرسول إلا البلاغ)

(الثالث) انك قد أقررت انه صادق في هذه الدعوى بقولك : وأما انه ﷺ لم يتعرض للتفسير والتأويل فانه لا يكفيك فقد صرحت بأنه ﷺ لم يتعرض لهـا بتفسير ولا تأويل ،وهو المطلوب . فاذا كان رسول الله ﷺ وأصحابه قد درجوا على ماذكره المجيب من إمرارها كما جاءت من غير تعرض لها بتفسير ولا تأويل ،وقد أقررت بذلك ولم تنكره أفلا يسعك ماوسع رسول الله ﷺ وخلفاءه الراشدين المهديين كابي بكر وعمر وعثمان وعلي وأولاده والعباس وابنه عبد الله بن عباس والحسن والحسين ابنا علي وأخاهما محمد بن الحنفية وعبد الله بن جعفر وعلماء العترة رضي الله عنهم ? فلا وسع الله لمن لايسعه ماوسعهم فانهم أئمة المتقين ، وهداة الغر المحجلين . وقد قال تعالى في سورة المائدة وهي من آخر القرآن نزولا (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت

لكم الاسلام دينا) والاسلام هو ما درج عليه رسول الله ﷺ وأصحابه ، فما ترك رسول الله ﷺ وسكت عنه وجب على الامة السكوت عنه ، فالامور التي ترك رسول الله ﷺ وأصحابه الكلام فيها يجب على الامة اتباعهم فيها ، كما ان الامور التي فعلها وأمر بها يجب على الامة اتباعه في ذلك . وهذا هو دين الاسلام الذي رضيه الله لهذه الامة حيث قال (ورضيت لكم الاسلام دينا) وقال (ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه)

وثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد» وفي حديث انه قال «تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك» وقال أبو ذر «لقد توفي رسول الله ﷺ وما من طائر يقلب جناحيه في الهواء إلا ذكر لنا منه علماً» وفي صحيح مسلم وجامع الترمذي وغيرهما عن سلمان انه قيل له : قد علمكم نبيكم كل شيء حتى الخراءة ؟ فقال سلمان «أجل»

أفليس في هذا بيان للمؤمن ان كل ما حدث بعدهم فليس من دين الاسلام ، بل من البدع والمنكرات العظام ؟ وقد قال تعالى (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) وأثنى الله تبارك وتعالى على من اتبع سبيلهم ، واقتفى منهاجهم ، فقال تعالى (والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار ، والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الانهار ، خالدين فيها أبداً ، ذلك الفوز العظيم)

(الوجه الرابع) أن يقال : الرسول ﷺ وأصحابه كانوا أقدر على تفسيرها وتأويلها ممن بعدهم فلم يسكتوا عن ذلك إلا لعلمهم بأن الصواب فيما سلكوه ، والحق فيما أصلوه ، انهم ينابيع العلم ، ومصابيح الدجى ، كما قال عبد الله بن مسعود (رض) «من كان منكم مستناً فليستن بمن قد مات ، فان الحي لا تؤمن عليه الفتنة ، أولئك أصحاب محمد ﷺ أبر هذه الامة قلوباً ، وأعمقها علماً ، وأقلها تكلفا ،

قوم اختارهم الله لصحبة نبيه ، وإقامة دينه، فاعرفوا لهم حقهم ، وتمسكوا بهديهم، فانهم كانوا على الهدي المستقيم »

وقال رضي الله عنه ـ لقوم رآهم قد تحلقوا في مسجد الكوفة وواحد منهم يقول لهم سبحوا مائة فيسبحون جميعاً، فاذا فرغوا قال كبروا مائة ، فاذا فرغوا قال هللوا مائة . فجاءهم فلما رأى صنيعهم قال «والذي نفسي بيده لقد فضلتم أصحاب محمد علماً ، أو لقد جئتم ببدعة ظلماً » قالوا والله ما جئنا ببدعة ظلما ، ولا فضلنا أصحاب محمد علماً . قال « بلى ، والذي نفس ابن مسعود بيده لقد فضلتم أصحاب محمد علماً ، أو لقد جئتم ببدعة ظلماً»

فانظر رحمك الله إلى كلام هذا الامام الذي هو من سادات الصحابة ونجبائهم وفضلائهم: كيف أخبر وأقسم على ذلك بان من فعل مالم يفعله اصحاب محمد فقد جاء ببدعة . نسأل الله أن يرزقنا سلوك طريقهم وسيرتهم وهديهم

(الوجه الخامس) قوله واما انه ﷺ لم يتعرض للتفسير والتأويل فانه لا يكفيك في تكفير المسلمين . فيقال هذا كذب ظاهر على المجيب من جنس ما تقدم من كذب هذا المعترض وفجوره، فان المجيب لم يذكر في كلامه تكفير أحد من المسلمين خالفه في هذه المسألة، لان ذلك مما تنازعت فيه الامة، حتى ان طوائف من اتباع الأئمة الاربعة وغيرهم يذهبون إلى تأويل آيات الصفات وأحاديثها وهم من جملة اهل السنة والجماعة، وان كانوا عند المجيب مخطئين في ذلك لان مذهبه وعقيدته اتباع السلف الصالح في السكوت عنها وامرارها كما جاءت مع نفي الكيفية والتشبيه عنها

(الوجه السادس) قوله مع انا قد ذكرنا ان قومك قد رووا عنه ﷺ التفسير والتأويل والتجسيم ـ وهذا كذب ظاهر، فانه لم يذكر فيما نقل عن اهل السنة شيئاً مرفوعاً إلى النبي ﷺ في تفسير الصفات فضلا عن التأويل والتجسيم

وقد ذكرنا نص كلامه بحروفه ، وجميع مانقله من الدر المنثور عن الصحابة والتابعين من تفسير قوله (شديد المحال) اي شديد القوة او المكر او الحول ـ قد بينا ان ذلك ليس هو تفسير آيات الصفات وتأويلها الذي وقع النزاع فيه بين اهل الاثبات واهل النفي، بل ذلك من باب وصف الله سبحانه باسمائه الحسنى ، وصفاته وافعاله اللازمة والمتعدية مع قطع النظر عن معرفة كيفية ذلك او تأويله بالتأويلات المبتدعة

(الوجه السابع) قوله : فاختر لنفسك مايحلو ولا حول ولا قوة إلا بالله فنقول : قد اخترنا لانفسنا مااختاره الله لنا في كتابه وهو الاقتداء والتأسي بما درج عليه رسول الله ﷺ واصحابه في هذه المسألة وغيرها، كما وصانا الله بذلك في كتابه حيث قال (لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة ـ وقال ـ اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ماتذكرون) وقال في آخر السورة (وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) وقال تعالى (فان تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا) والرد إلى الله هو الرد إلى كتابه باجماع المفسرين ، والرد إلى الرسول هو الرد إلى سنته بعد وفاته .

والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا إذ هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق. والله سبحانه وتعالى أعلم

فصل

وأما قوله (ثم لايخفى ان المجيب قد جعل اهل السنة والجماعة هم اهل الحديث الذين لم يتكلموا في القدر ، ولم يفسروا آيات الصفات ولا تأولوها ، فنطلب منه التحقيق والافادة، بان يبين لنا من روى من اهل العلم المحقق بان هذا الاصطلاح مخصوص بمن ذكره، فان العلماء مختلفة أقوالهم في اطلاقهم اهل السنة والجماعة كما عرفت)

(فالجواب) ان يقال: المجيب انما ذكر كلاما عاما في ان اهل السنة والجماعة هم الذين اقتفوا ماعليه رسول الله ﷺ واصحابه والتابعون لهم باحسان ، ومعلوم ان اهل الحديث هم اعظم طوائف الامة بحثا ومعرفة بسنة رسول الله ﷺ، وذلك لانهم قد اشتغلوا بذلك وأفنوا أعمارهم في طلب ذلك ومعرفته ،واعتنوا بضبط ذلك وجمعه وتنقيته، حتى بينوا صحيح ذلك من ضعيفه من كذبه ، ولاينازع في ذلك إلا عدو لله ولرسوله ﷺ ولعباده المؤمنين

(الوجه الثاني) ان ظاهر كلام المجيب(١) وكلامه يبين انه لم يخص بذلك طائفة معينين بل كل من سلك هذه الطريقة فهو منهم من جميع الطوائف، وهو داخل في قوله: وهم اهل السنة والحديث من هذه الامة

(الوجه الثالث) قوله الذين لم يتكلموا في القدر، وهذا كذب ظاهر على المجيب وعلى اهل الحديث، فان اهل السنة والحديث من هذه الامة يتكلمون في القدر، بمعنى انهم يؤمنون به ويثبتونه ويقولون ان الله قدر أفعال العباد خيرها وشرها، وهو من أصول الايمان عندهم ،كما ثبت ذلك في الصحيحين في حديث جبرائيل عليه السلام لما سأل النبي ﷺ عن الايمان فأخبره بانه «الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره » فهذا هو الذي عليه جماعة اهل السنة والجماعة والحديث ، وعليه يدل كتاب الله والاحاديث المتواترة عن رسول الله ﷺ ولولا خوف الاطالة لذكرنا من ذلك شيئا كثيراً ، وليس هذا موضع بسط ذلك وذكر الدلائل عليه

وأما المعتزلة الذين ينفون ان الله قدر أفعال العباد عليهم او شاءها منهم فهم الذين ينكرون ذلك ومن اتبعهم من الروافض والزيدية الذين ينكرون أن الله قدر أفعال العباد وشاءها منهم

(١) هنا في الاصل · بياض قدر كلمة

(الوجه الرابع) ان الاصطلاح لا حجة فيه عند أهل العلم وغيرهم، فاذا سمى أحد طائفة من الناس بأنهم أهل السنة والجماعة لم يمنع من ذلك الا اذا كانوا مخالفين لما عليه جماعة أهل السنة والجماعة، كأهل البدع الذين يسمون أنفسهم بذلك مع مباينتهم لطريقة الرسول ﷺ وأصحابه والتابعين لهم باحسان

(الوجه الخامس) أن كثيرا من علماء السنة ذكروا أن أهل الحديث هم الفرقة الناجية التي قال فيها رسول الله ﷺ «لا تزال طائفة من أمتي قائمة على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى تقوم الساعة» كما ثبت ذلك في الصحيحين وغيرهما. وذكر البخاري عن علي بن المديني أنهم أهل الحديث وكذلك قال أحمد ابن حنبل «ان لم يكونوا أهل الحديث فلا أدري من هم؟»

فصل

وأما قوله (وأنت خبير ان الطائفة التي أشار اليها سيد المرسلين ﷺ هم أهل بيته، فان الناس أذعنوا لأهل الشام ولم يقدروا على منازعتهم إلا أهل البيت وشيعتهم فكن أيها المجيب من تلك الطائفة الناطقة بالحق الخارجة عن حزب أهل الشام لتحشر في الطائفة المخالفة لهم، ولا تكن في حزب اهل الشام محبا لهم، فان المرء يحشر مع من أحب)

(فالجواب) من وجوه (احدها) ان الطائفة الناجية جاء في الحديث ان رسول الله ﷺ بينها لما سئل عنها فقال «من كان على مثل ما انا عليه اليوم واصحابي» فمن سلك سبيلهم واقتفى منهاجهم وتبعهم باحسان فهو من هذه الطائفة سواء كان من أهل البيت رضي الله عنهم او من غيرهم من جميع الطوائف. ومن خالف ماعليه رسول الله ﷺ واصحابه فهو مع الهالكين سواء كان من اهل البيت او من غيرهم. ولهذا قال تعالى في نساء النبي ﷺ وهن من اهل البيت قطعا (يانساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين —

الى قوله ـ لستن كأحد من النساء ان اتقيتن) الآية. وثبت في الصحيحين انه قال « ان آل ابي فلان ليسوا لي بأولياء وانما ولبي الله وصالح المؤمنين » وفي الحديث الصحيح « من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه» قال تعالى (ان اكرمكم عند الله اتقاكم) وقال تعالى (ان أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين) وقال تعالى (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) الآية

(الوجه الثانى) قوله فان الناس اذعنوا لاهل الشام ولم يقدروا على منازعتهم إلا أهل البيت وشيعتهم. وهذا كذب ظاهر يعرفه من له ادنى معرفة بالأخبار والتواريخ ، وذلك لان بني امية قد نازعهم في خلافتهم غير اهل البيت. فنازعهم ابن الزبير حتى تولى على الحجاز والعراق واليمن وغير ذلك من بلاد الاسلام ولم يخرج عن ولايته إلا طائفة قليلة من اهل الشام ، فارسل مروان بن الحكم اليهم ليأخذ بيعته لخلفه واخذ البيعة لنفسه وبايعه كثير من اهل الشام، كما ذكر ذلك ابو محمد بن حزم في سيرته. ثم خرج على مروان كثير من اهل الشام فنازعوه وقاتلوه، ثم جرت وقعة بمرج راهط بين الضحاك ومروان وقتل النعمان بن بشير رضي الله عنهما، والاصح كما قال الذهبي وغيره من اهل العلم، ان مروان لا يعد في امرة المؤمنين، بل باغ خارج على ابن الزبير ، ولا عهده على ابنه عبد الملك صحيح، وانما صحت خلافة عبد الملك حين قتل ابن الزبير . وذلك ان عبد الملك جهز لقتاله الحجاج في اربعين الفا ، فحصره بمكة اشهرا ورمى عليه بالمنجنيق وخذل ابن الزبير اصحابه فتسللوا الى الحجاج فظفر به وقتله وصلبه. وفي ايام ابن الزبير خرج المختار بن ابي عبيد وتبعه طوائف من الناس وقاتلوا عبد الله بن زياد فقتلوه وارسل المختار برأسه الى زين العابدين علي بن الحسين بالمدينة، وتولى على العراق وطرد بني امية عنه . ثم بعد ذلك ادعى النبوة فأرسل اليه عبد الله بن الزبير أخاه مصعبا معه جيش فحاربوه حتى قتلوه وأخذوا منه العراق. وفي أيام يزيد بن

معاوية خرج عليه أهل المدينة وخلعوه واخرجوا اميره من المدينة فأرسل اليهم يزيد مسلم بن عقبة المري بجيش عظيم حتى قتل اهل المدينة وجرت فتنة عظيمة قتل فيها من الصحابة رضي الله عنهم معقل بن يسار الاشجعي وعبدالله بن حنظلة الغسيل الانصاري وعبد الله بن زيد بن عاصم المازني، وقتل من أولاد المهاجرين والانصار نحو ثلاثمائة وستة أنفس،

وفي ايام ابن الزبير خرجت طوائف من الخوارج يسمون الازارقة فتولى محاربتهم المهلب بن ابي صفرة وأبادمنهم الوفا ، كما ذكره الذهبي وغيره

وفي أيام عبد الملك خرج عبد الرحمن بن الاشعث وتبعه خلق عظيم من القراء وغيرهم وقاتلوا الحجاج وجرت بينهم وقائع عظيمة، فغلب الحجاج حتى قتل ابن الاشعث وقتل معه خلق عظيم .

ولو ذهبنا نذكر كل من خرج على بني أمية وبني العباس لطال الكلام جداً ، وبعض من خرج عليهم يبغضون علياً رضي الله عنه ويكفرونه. فتبين لكل ذي معرفة بالسير والاخبار بطلان قول هذا المعترض : ان الناس أذعنوا لاهل الشام ولم يقدروا على منازعتهم إلا أهل البيت وشيعتهم

(الوجه الثالث) ان يقال: ان هذا المعترض جعل الفرقة الناجية هم أهل البيت وشيعتهم،وجعل الدليل على ذلك هو منازعتهم لاهل الشام ،فعلى كلامه ان كل من نازعهم وخرج عليهم هو الناجي . ومن الطائفة التي أشار اليها سيد المرسلين ﷺ،مع ان أكثر الناس خروجاعليهم هم الخوارج الذين يكفرون علياً رضي الله عنه ومعاوية وغيرهما من الصحابة ومن والاهما. فانظر رحمك الله إلى هذا الجهل والتخبيط الذي لا يصدر ممن له أدنى مسكة من علم وعقل

(الوجه الرابع) انه جعل أهل الشام كلهم قد والوا بني أمية وصاروا معهم المتقدمين منهم كالذين كانوا في زمانهم ، والمتأخرين من أهل الشام بعد

انقراض الدولة الاموية. وهذا معلوم البطلان بالضرورة لان كثيراً من اهل الشام من العلماء وغيرهم يبغضون أئمة الجور من بني أمية ويطلقون ألسنتهم بذمهم والطعن عليهم. وقد تقدم كلام الذهبي في مروان وابنه عبد الملك قريباً

ولو ذهبنا نذكر كلام علماء الشام من المتقدمين والمتأخرين في ذم بني أمية والطعن عليهم لطال الكلام جداً. وليس هذا الجواب محل التطويل والبسط. فمن اراد ذلك فلينظر في كتب القوم حتى يتبين له جهل هذا المعترض وتخبيطه في كلامه بما تمجه الاسماع وتنبو منه الطباع. والله اعلم

فصل

وأما قول المعترض (قولك: ونقر بها ونعلم أنها صفات فاما ان تجعل الواو عاطفة في قولك ونعلم او تكون جملة أخرى منفصلة، فما معنى الاقرار بها؟ هل المراد الاقرار بمتونها او كلماتها او كونها من عند الله جل وعلا؟ فالمسلمون جميعاً مثلك، ولا يخالفك أحد من المسلمين، فما فائدة اخبارك بانك تقربها؟ وإن أردت بالواو انها للحال اي نقربها حال كونها صفات، فاما إن تريد بها قول الواصف فلا معنى لذلك، او تريد أنها تضمنت معنى خاصاً الموصوف او انها لفظ دل على ذات باعتبار معنى هو المقصود كما ذكره ابن الحاجب؟ وهذان التعريفان قد ذكرهما العلماء اصطلاحا وتعريفاً في محاوراتهم. فان ترد انها تدل على معنى زائد على الذات لزمك ماالزم الاشاعرة وهو ان يكون مع الله قدماء وهي المعاني التي لحقت ذاته تعالى بالوصف، ونحن نبرأ من هذا نحن وأنت. وإن ترد ان الصفة دلت على معنى لذاته تعالى وتغمض عن كيفيته وتصوره في الذهن باي كيفية، وهذا هو المفهوم من كلامك فلا تساعدك لغة العرب لان الصفات قوالب لمعاني مفهومة معقولة مبينة للموصوف معينة له فقد جزمت بانها غير مكيفة كما يفهم من كلامك أيضاً مع

مخالفة لغة العرب ولزمك التجسيم. أما مخالفة لغة العرب فلا يجوز لك ان تخالفها وتفسر كتاب الله جل وعلا بغيرها لمخالفتك لما انزل الله فيه ، وقد قال تعالى (نزل به الروح الامين * على قلبك لتكون من المنذرين * بلسان عربي مبين) وقال تعالى (حم * والكتاب المبين * انا جعلناه قرآنا عربياً لعلكم تعقلون) إلى غير ذلك من الآيات،فهل يجوزلك ان تقول استوى بلا كيف بعد ان قال مبين وقال (لعلكم تعقلون) ما كأنك إلا قلت : ماتبين لنا ولا عقلناه، فخاطبنا ربنا بما لا نتبينه ولا نعقله، وليس هو من جنس لغة العرب ولو كان عربياً لتبين لنا وعقلناه ؟

ووجه المخالفه على التحقيق ان كلمات كتاب الله تعالى على مقتضى لغة العرب، مبينة مفهومة ، فلا بدان تدل الكلمة على معنى حقيقي أومجازي على مقتضى استعماله، فنقول لك قد صرحت بان قوله تعالى (الرحمن على العرش استوى) دل على الاستواء على العرش كما فهمناه من كلامك وخطابك . ولغة العرب حاكمة بان حقيقة الاستواء على العرش الجلوس عليه، وهو القعود مع تعطف الرجلين ورجوع بعضها على بعض تعالى الله عن ذلك . فهذا حقيقته عند العرب فلما ان خشيت لزوم التجسيم في حق الباري ولجأت إلى التنزيه له تعالى فلم تجد مهربا وتوحشت من هذا الامر الشنيع لفطرة التعظيم لربك جل وعلا فلم تجد إلى الهرب سبيلا إلا بالبلكفة التي قد تستر بها مشايخك ، فقلت : استوى بلا كيف، واستأنست بذلك الطيف، فلما ظننت انك قد حفظت نفسك من التجسيم قلنا لك:هل تقول العرب استوى أي جلس جلوسا غير مكيف بتعطيف الارجل ولا مستقر ونحو ذلك حيث يريدون حقيقة الاستواء والجلوس ؟ فان كان هذا من روايتك عن العرب وانهم يطلقون على ما أردت من عدم الكيف ماذكرناه لك، وهيهات فلن تستطيع له طلبا، وان لم يكن، قلنا لك ياهذا قد خالفت القرآن العربي المبين وفسرته بلسان قومك الذين تستروا بالبلكفة ولم يستروا عوراتهم ولم تخرج عن شبهة

التجسيم، إذ قد أثبت لله تعالى الاستواء فوق العرش، وأقررت بذلك الحدث، واعتقدته له تعالى وهو يستلزم التجسيم عقلا ولغة، فان العقل اولا يحكم بالذات وبان هذا الحدث وهو الاستواء لايكون إلا من جسم قبل أن تلتفت إلى كيفيته، وكذلك اللغة فان مفهوم الاستواء الحدث، وقد فسروا الحدث بالأثر اومؤثره على خلاف بين اللغويين، وقد حكمت على الله ووصفته بالاستواء وجعلته تعالى محلا له كما هو قاعدة الصفة، ولم تقدر أن تخرجه عن الحدث وتجعله غير الحدث بعد أن أقررت بالاستواء الذي هوغير الحدث كما عرفناك، فلزمك أن يكون الله تعالى محلا للاستواء، والمحل لايكون إلا جسما - إلى قوله: وقد كان له مندوحة عن هذا وتخلص كما تخلص أهل بيت رسول الله ﷺ من حملها على المجاز، واخراجها عن الحقائق، التي أوقعته في المضايق، ولم يسعه بعد ذلك إلا أضغاث أحلام ظن بها أنها أخرجته إلى التنزيه ولم تفده، فلو أخرجها إلى المجاز المأنوس المألوف في لغة العرب المنادي بفصاحة كتاب الله وأحاديث رسول الله ﷺ على الوجه الاكمل والتنزيه لله تعالى على الطريق اللائق بجلاله الأعدل، لكان مناسباً لكمال إعجازه والرد إلى محكمه على وجه أبلغ من الحقيقة، وأسلم من التستر بالبلكفة التي كشفت ضعف كلامه وسخفه)

(فالجواب) ان يقال: الواو عاطفة، والمعنى نقربها بألسنتنا ونعلم انها صفات لله عز وجل كما يليق بجلاله وعظمته وكبريائه، وان رغمت أنوف اهل البدع والضلال. فقوله: فما معنى الاقرار بها هل المراد الاقرار بمتونها وكلماتها؟ فذلك هو مراد المجيب، مع اعتقاد انها صفات لله تعالى لا تشبه صفات المخلوقين. فهذا معنى قول المجيب: ونعلم انها صفات لله تبارك وتعالى. فالواو الاولى عاطفة، والثانية حالية. أي نقر بها حال كوننا نعلم انها صفات لله كما هو مذهب أهل السنة والجماعة

(الوجه الثاني) قوله فالمسلمون جميعا مثلك ولا يخالفك أحد من المسلمين.

فما فائدة إخبارك بأنك تقر بها؟ فنقول: هذا يدل على جهله فان المؤمن يخبر بايمانه بالله ورسوله وإقراره بأصول الدين التي هي اشهر وأعظم من هـذه المسئـلة كالشهادتين وغيرهما من الاصول العظيمة. ولا يقال ان ذلك يعرفه المسلمون كلهم ولهذا شرع الاذان دائما وتكراره دائما كل وقت، وشرع للرجل إذا فرغ من الوضوء ان يقول «اشهد ان لا إله الا الله وأشهد ان محمداً عبده ورسوله» وان يقول إذا صلى «لا اله الا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون، لا إله الا الله ولا نعبد الا اياه، له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن» وأمثال ذلك كثير

(الوجه الثالث) قوله فاما ان تريد بها قول الواصف ولفظه، فلا معنى لذلك، او تريد انها تضمنت معنى حاصلا للموصوف، او انها لفظ دل على ذات باعتبار معنى هو المقصود كما ذكره ابن الحاجب؟ فمراد المجيب انها تدل على معنى حاصل الموصوف على ما اراده الله ورسوله كما قال الامام الشافعي رضي الله عنه «آمنت بالله وبما جاء عن الله على مراد الله، وآمنت بما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله» . وذلك انه يجب على الخلق الاقرار بما جاء به النبي ﷺ من القرآن والسنة المعلومة جملة وتفصيلا، فلا يكون الرجل مؤمنا حتى يقر بما جاء به النبي ﷺ جملة، وذلك هو تحقيق شهادة ان لا إله الا الله وان محمداً رسول الله . فمن شهد انه رسول الله شهد انه صادق فيما يخبر به عن الله عز وجل من أسمائه وصفاته وأفعاله، وما يجوز عليه وما يمتنع عليه، ووعده ووعيده، وامره ونهيه، وخبره عما كان وما يكون. فان هذا هو حقيقة الشهادة له بالرسالة. وهذا معلوم بالاضطرار من دين الاسلام وهو متفق عليه بين الامة.

اذا تقرر هذا فقد وجب على كل مسلم تصديقه فيما أخبر به عن الله من أسمائه وصفاته مما جاء في القرآن وفي السنة الثابتة عنه ﷺ كما كان عليه السابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه

(الوجه الرابع) قوله فان ترد انها تدل على صفات زائدة على الذات لزمك مالزم الاشاعرة ،وهو ان يكون مع الله قدماء وهي المعاني التي لحقت ذاته تعالى بالوصف ،ونحن نبرأ من هذا نحن وانت ، فيقال: أهل السنة والجماعة يقولون ان الله تبارك وتعالى موجود كامل بجميع صفاته ،فاذا قال القائل دعوت الله او عبدت الله ، كان اسم الله متناولا للذات المتضمنة لصفاتها،ليس اسم الله اسما للذات مجردة عن صفاتها اللازمة لها ، وحقيقة ذلك انه لايكون نفسه إلا بنفسه ، ولا يكون ذاته إلا بصفاته ، ولا يكون نفسه إلا بما هو داخل في مسمى اسمها ، وهذا حق ولكن قول القائل انه يلزم ان يكون مع الله قدماء تلبيس، فان ذلك يشعر ان مع الله قدماء غيره منفصلة عنه. وهذا لايقوله إلا من هو أكفر الناس وأجهلهم بالله كالفلاسفة، لان لفظ الغير يراد به ما كان مفارقا له بوجود او زمان او مكان، ويراد به ماأمكن العلم دونه ، فالصفة لاتسمى غيراً له فعلى المعنى الاول يمتنع ان يكون معه غيره. وأما على المعنى الثاني فلا يمتنع ان يكون وجوده مشروطا بصفات وان يكون مستلزما لصفات لازمة له ، واثبات المعاني القائمة التي توصف بها الذات لابد منها لكل عاقل، ولا خروج عن ذلك إلا بجحد وجود الموجودات مطلقاً. وأما من جعل وجود العلم هو وجود القدرة ، ووجود القدرة هو وجود الارادة، فطرد هذه المقالة يستلزم ان يكون وجود كل شيء هو عين وجود الخالق تعالى، وهذا منتهى الاتحاد ،وهو مما يعلم بالحس والعقل والشرع انه في غاية الفساد ، ولا مخلص من هذا إلا باثبات الصفات، مع نفي مماثلة المخلوقات،وهو دين الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وذلك ان نفاة الصفات من المتفلسفة ونحوهم يقولون ان العاقل والمعقول ، والعاشق والمعشوق ، واللذة واللذيذ والملتذ هو شيء واحد ، وانه موجود واجب له عناية،ويفسرون عنايته بعلمه او عقله ، ثم يقولون وعلمه اوعقله هو ذاته ، وقد يقولون انه حي عليم قدير مريد متكلم سميع بصير ويقولون ان

ذلك شيء واحد فارادته عين قدرته ، وقدرته عين علمه ، وعلمه عين ذاته

وذلك لان من أصلهم انه ليس له صفة ثبوتية ، بل صفاته اما سلبية كقولهم ليس بجسم ولا متحيز ولا جوهر ولا عرض ، واما اضافة كقولهم مبدأ وعلة ، واما مؤلف منهما كقولهم عاقل ومعقول وعقل . ويعبرون عن هذه المعاني بعبارات هائلة كقولهم انه ليس فيه كثرة « كم » ولا كثرة « كيف » وانه ليس له اجزاء « حد » ولا اجزاء « كم » او انه لا بد من اثبات واحد موحداً توحيداً منزها عن المقولات العشر عن الكم والكيف والأين والوضع والاضافة ونحو ذلك

ومضمون هذه العبارات وأمثالها نفي صفاته التي جاء بها الرسول ﷺ وهم يسمون نفي الصفات توحيدا

وكذلك المعتزلة ومن ضاهاهم من الجهمية يسمون ذلك توحيداً وهم ابتدؤا هذا التعطيل الذي يسمونه توحيداً ، وجعلوا اسم التوحيد واقعاً على غير ماهو واقع عليه في دين المسلمين . فان التوحيد الذي بعث الله به رسله ، وأنزل به كتبه هو أن يعبد الله لايشرك به شيء كما قال تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي اليه انه لاإله إلا انا فاعبدون) ومن تمام التوحيد أن يوصف الله تعالى بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله ، فيصان ذلك عن التحريف والتعطيل والتكييف والتمثيل ، كما قال تعالى (قل هو الله أحد * الله الصمد * لم يلد ولم يولد * ولم يكن له كفواً أحد) ومن هنا ابتدع من ابتدع لمن اتبعه على نفي الصفات اسم الموحدين ، وهؤلاء منتهاهم أن يقولوا هو الوجود بشرط الاطلاق ، كما قاله طائفة منهم ، او بشرط نفي الامور الثبوتية كما قاله ابن سينا وأتباعه . او يقولون هو الوجود المطلق لابشرط ، كما يقوله القونوي وأمثاله

ومعلوم بصريح العقل الذي لم يكذب قط ان هذه الاقوال متناقضة باطلة من وجوه (أحدها) ان جعل عين العلم عين القدرة ، ونفس القدرة هي نفس الارادة ،

ونفس الحياة هي نفس العلم ، ونفس العلم نفس الفعل ، ونفس الحياة هي نفس العلم والابداع . ونحو ذلك معلوم الفساد بالضرورة ، فان هذه حقائق متنوعة ، فان جعلت هذه الحقيقة هي تلك كان بمنزلة من يقول : ان حقيقة السواد حقيقة البياض ، وحقيقة البياض حقيقة الطعم ، وحقيقة الطعم حقيقة اللون . وأمثال ذلك . مما يجعل الحقائق المتنوعة حقيقة واحدة . فمن قال : ان العلم هو المعلوم ، والمعلوم هو العلم فضلاله بين فالتمييز بين مسمى المصدر ومسمى اسم الفاعل واسم المفعول والتفريق بين الصفة والموصوف مستقر في فطر الناس وعقولهم ، وفي لغات جميع الامم ، ومن جعل أحدهما هو الآخر كان قد أتى بما لايخفى فساده على من تصور مايقول . فمن قال ان ذاته تعرف بدون معرفة شيء من أسمائه وصفاته الثبوتية والسلبية فقوله معلوم البطلان ، ممتنع وجود ذلك في الاعيان ، ولو قدر إمكان ذلك ، وفرض العبد في نفسه ذاتا مجردة عن جميع القيود السلبية والثبوتية فليس ذلك معرفة بالله البتة ، وليس رب العالمين ذاتا مجردة عن كل أمر سلبي او ثبوتي ، ولهذا كان كثير من الملاحدة لايصلون إلى هذا الحد بل يقولون كما يقول ابو يعقوب السجستاني وغيره من الملاحدة : نحن لاننفي النقيضين ، بل نسكت عن اضافة واحد منهما اليه ، فلا نقول هو موجود ولا معدوم ولا حي ولا ميت ولا عالم ولا جاهل ، فيقال لهم : اعراض قلوبكم عن العلم به وكف ألسنتكم عن ذكره لايوجب أن يكون هو في نفسه مجردا عن النقيضين ، بل يفيد كفركم بالله وكراهتكم لمعرفته وذكره وعبادته ، وهذا حقيقة مذهبكم

(الوجه الخامس) ان يقال مذهب اهل السنة والجماعة ومن تبعهم باحسان ان كل ماوصف به الرب نفسه من صفاته فهي صفات مختصة به غير مخلوقة بائنة منفصلة عنه ، بل يمتنع أن يكون له فيها مشارك او مماثل ، فان ذاته المقدسة لاتماثل شيئا من الذوات ، وكذلك صفاته المختصة به لاتماثل شيئا من الصفات ، لانه سبحانه أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد . فاسمه الاحد دل على نفي المشاركة والمماثلة ، واسمه الصمد دل على انه مستحق لصفات الكمال

والمقصود هنا ان صفات التنزيه يجمعها هذان المعنيان المذكوران في هذه السورة (أحدهما) نفي النقائص عنه، وذلك من لوازم إثبات صفات الكمال فمن ثبت له الكمال التام انتفى عنه النقصان المضاد له، والكمال من مدلول اسمه الصمد

(والثاني) أنه ليس كمثله شيء في صفات الكمال الثابتة، وهذا من مدلول اسمه الاحد. فهذان الاسمان العظيمان الاحد الصمد يتضمنان تنزيهه عن كل نقص وعيب، وتنزيهه في صفات الكمال أن يكون له مماثل في شيء منهما. فالسورة تضمنت كل مايجب نفيه عن الله، وتضمنت كل مايجب إثباته لله من وجهين من جهة اسمه الصمد، ومن جهة ان ما نفي عنه من الاصول والفروع والنظير استلزم ثبوت صفات الكمال. فان كل مايمدح به الرب تبارك وتعالى من النفي فلابد أن يتضمن ثبوتاً، بل وكذلك كل مايمدح به شيء من الموجودات من النفي فلابد أن يتضمن ثبوتاً، وإلا فالنفي المحض معناه عدم محض، والعدم المحض ليس بشيء، فضلا عن أن يكون صفة كمال، وهذا كما يذكر سبحانه في آية الكرسي (الله لا إله إلا هو الحي القيوم لاتأخذه سنة ولا نوم) فنفي أخذ السنة والنوم له مستلزم لكمال حياته وقيوميته، فان النوم أخو الموت، ولهذا كان اهل الجنة لاينامون ثم قال (له ما في السموات وما في الارض من ذا الذي يشفع عنده إلا باذنه) فنفي الشفاعة بدون إذنه مستلزم لكمال ملكه، إذ كل من يشفع اليه شافع بلا إذنه فقبل شفاعته كان منفعلا عن ذلك الشافع قد اثرت شفاعته فيه فصيرته فاعلا بعد ان لم يكن، وكان ذلك الشافع شريك المشفوع اليه في ذلك الامر المطلوب بالشفاعة اذا كان بدون اذنه، لاسيما والمخلوق اذا شفع اليه بغير اذنه فقبل الشفاعة فانما يقبلها لرغبة أو لرهبة، اما من الشافع وإما من غيره، وإلا فلو كانت داعيته من تلقاء نفسه تامة مع القدرة لم يحتج الى شفاعته. والله تعالى منزه عن ذلك كما قال في الحديث الآلهي «انكم لن تبلغوا ضري فتضروني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني» ولهذا كان النبي ﷺ يأمر اصحابه بالشفاعة اليه اذا أتاه طالب حاجة يقول «اشفعوا تؤجروا ويقضي الله على

لسان نبيه ماشاء» اخرجاه في الصحيحين. وهو انما يفعل ما أمر الله به، ثم قال (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء) بين انهم لا يعلمون من علمه الا ما علمهم إياه، كما قالت الملائكة (لا علم لنا إلا ما علمتنا) فكان في هذا النفي اثبات انه عالم وأن عباده لا يعلمون الا ما علمهم إياه، فاثبت أنه الذي يعلمهم لا ينالون العلم الا منه، فانه الذي خلق الانسان من علق، وعلم بالقلم، علم الانسان مالم يعلم. ثم قال (وسع كرسيه السموات والارض ولا يؤده حفظهما) أي لا يثقله ولا يكربه، وهذا النفي يتضمن كمال قدرته فانه مع حفظه السموات والارض لا يثقل ذلك عليه كما يثقل على من في قوته ضعف، وهذا كقوله (ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب) فنزه نفسه عن اللغوب، قال أهل اللغة اللغوب هو الاعياء والتعب، وكذلك قوله (لا تدركه الابصار) والادراك عند السلف والاكثرين هو الاحاطة، وقالت طائفة هو الرؤية، وهو ضعيف لان نفي الرؤية لا مدح فيه، فان العدم لا يرى، وكل وصف لا يشترك فيه الوجود والعدم لا يستلزم أمرا ثبوتيا ولا يكون فيه مدح، اذ هو عدم محض بخلاف ما اذا قيل لا يحاط به، فانه يدل على عظم الرب جل جلاله، وان العباد مع رؤيتهم له لا يحيطون به رؤية، كما انهم مع معرفتهم لا يحيطون به علما، وكما أنهم مع مدحهم له وثنائهم عليه لا يحصون ثناء عليه، بل هو كما اثنى على نفسه المقدسة، كما قال أفضل الخلق ﷺ «لا أحصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك»

(الوجه السادس) ان يقال قد ثبت عن النبي ﷺ انه كان يقول «أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك» اخرجاه في الصحيحين. وهذا مما يدل على تغاير صفات الله، لانه استعاذ برضاه من سخطه وبمعافاته من عقوبته، فدل ذلك على أن الرضا غير السخط والمعافاة غير العقوبة، ومن جعل نفس ارادته هي رحمته وهي غضبه يكون معنى قوله ﷺ «أعوذ برضاك من سخطك» عنده انه استعاذ بنفس الارادة منها، وهذا ممتنع، فانه ليس عنده للارادة صفة ثبوتية

يستعاذ بها من احد الوجهين باعتبار ذلك الوجه منها باعتبار الوجه الآخر ، بل الارادة لها عنده مجرد تعلق بالمخلوق والتعلق أمر عدمي، وهذا بخلاف الاستعاذة به منه، لان له صفات متنوعة فيستعاذ به باعتبار ومنه باعتبار. ومن قال إنه ذات لا صفة لها أو وجود مطلق لا يتصف بصفة ثبوتية فهذا يمتنع وجوده في الخارج، وانما يمكن تقدير هذا في الذهن كما تقدر الممتنعات، فضلا عن كونه يكون ربا خالقا للمخلوقات ، وهؤلاء انما الجأهم الى هذا مضايقات الجهمية والمعتزلة لهم في مسائل الصفات فانهم صاروا يقولون: كلام الله هو الله أو غير الله ؟ فان قلتم هو غيره فما كان غير الله فهو مخلوق، وان قلتم هو هو فهو مكابرة. وهذا أول ما احتجوا به على الامام احمد رحمه الله في المحنة فان المعتصم لما قال لهم ناظروه قال له عبد الرحمن ابن اسحاق: ماتقول في القرآن، أو قال في كلام الله، أهو الله أو غيره؟ فقال له أحمد: ماتقول في علم الله، أهو الله أو غيره؟ فعارض أحمد بالعلم فسكت. وهذا من حسن معرفة أبي عبد الله رحمه الله بالمناظرة، فان المبتدع بنى مذهبه على أصل فاسد متى ذكرت له الحق الذي عندك ابتداء أخذ يعارضك فيه لما قام بنفسه من الشبهة ، فينبغي اذا كان المناظر مدعيا ان الحق معه أن يبدأ بهدم ما عنده فاذا انكسر وطلب الحق أعطيه والا فما دام معتقدا نقيض الحق لم يدخل الحق اذن قلبه، كاللوح الذي كتب فيه كلام باطل فامحه أولا ثم اكتب فيه الحق ، فهؤلاء كان قصدهم الاحتجاج لبدعتهم ، فذكر لهم احمد من المعارضة والنقض ما يبطلها

وقد تكلم احمد في رده على الجهمية في جواب هذا وبين أن لفظ الغير مجمل، يراد بالغير ما هو منفصل عن الشيء ، ويراد بالغير ما ليس هو الشيء ، فلهذا لا يطلق القول بأن كلام الله وعلمه ونحو ذلك هو هو، لان هذا باطل ، ولا يطلق انه غيره لئلا يفهم انه بائن عنه، منفصل عنه كما رواه الخلال رحمه الله قال: أخبرني الخضر ابن المثنى الكندي قال حدثنا عبدالله بن احمد بن حنبل رحمه الله قال: هذا ما أخرجه أبي رحمه الله في الرد على الزنادقة والجهمية فيما شكت فيه من متشابه القرآن وتأولته غير تأويله . فقال احمد بن حنبل رضي الله عنه :

رد الامام احمد على الزنادقة والجهمية

«الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم يدعون من ضل إلى الهدى ، ويصبرون منهم على الاذى ، يحيون بكتاب الله الموتى ، ويبصرون بنور الله اهل العمى ، فكم من قتيل لابليس قد أحيوه ، وكم من ضال تائه قد هدوه ، فما احسن اثرهم على الناس ، وأقبح أثر الناس عليهم ، ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين ، الذين عقدوا ألوية البدع ، وأطلقوا مقال الفتنة ، فهم مختلفون في الكتاب ، يقولون على الله ، وفي الله وفي كتاب الله بغير علم ، يتكلمون بالمتشابه من الكلام ، ويخدعون جهال الناس بما يشبهون عليهم . فنعوذ بالله من فتن المضلين . وكذلك الجهم وشيعته دعوا الناس إلى المتشابه من القرآن والحديث فضلوا ، وأضلوا بكلامهم بشراً كثيراً

« فكان مما بلغنا من أمر الجهم عدو الله انه كان من اهل خراسان من اهل ترمذ ، وكان صاحب خصومات وكلام ، وكان اكثر كلامه في الله ، فلقي اناساً من المشركين يقال لهم السمنية ، فعرفوا الجهم فقالوا له : نكلمك فان ظهرت حجتنا عليك دخلت في ديننا وان ظهرت حجتك علينا دخلنا في دينك ، فكان مما كلموا به الجهم ان قالوا ألست تزعم ان لك إلها ؟ قال الجهم نعم ، فقالوا له فهل رأيت إلهك ؟ قال لا . قالوا فهل سمعت كلامه ؟ قال لا . قالوا فشممت له رائحة ؟ قال لا قالوا : فوجدت له حسا ؟ قال : لا . قالوا : فوجدت له مجسا ؟ قال لا ، قالوا : فما يدريك انه إله ؟ قال فتحير الجهم فلم يدر من يعبد اربعين يوما ،

« ثم انه استدرك حجة مثل حجة زنادقة النصارى . وذلك ان زنادقة النصارى يزعمون ان الروح الذي في عيسى هو روح الله من ذات الله . فاذا اراد ان يحدث امراً دخل في بعض خلقه فتكلم على لسان خلقه ، فيأمر بما شاء ، وينهى عما شاء ، وهو روح

غائب عن الابصار. فاستدرك الجهم حجة مثل هذه الحجة فقال للسمني ألست تزعم ان فيك روحا؟ قال نعم، قال فهل رأيت روحك؟ قال لا، قال فسمعت كلامه؟ قال لا قال فوجدت له حسا او مجسا؟ قال لا. قال فكذلك الله لا يرى له وجه ولا يسمع له صوت ولا يشم له رائحة وهو غائب عن الابصار ولا يكون في مكان دون مكان. ووجد ثلاث آيات في القرآن من المتشابه قوله عز وجل (ليس كمثله شيء) (وهو الله في السموات وفي الارض) و (لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار)

«فبنى اصل كلامه على هؤلاء الآيات، وتأول القرآن على غير تاويله، وكذب باحاديث رسول الله ﷺ وزعم ان من وصف الله بشيء مما وصف به نفسه او حدث عنه رسوله كان كافراً، وكان من المشبهة، وأضل بكلامه بشراً كثيرا، واتبعه على قوله رجال من اصحاب ابي حنيفة وأصحاب عمرو بن عبيد بالبصرة ووضع دين الجهمية،

«فاذا سألهم الناس عن قول الله (ليس كمثله شيء) يقولون ليس كمثله شيء من الاشياء، وهو تحت الارض السابعة، كما هو على العرش، لا يخلو منه مكان، ولا يكون في مكان دون مكان، ولا يتكلم ولا ينظر اليه احد في الدنيا ولا في الآخرة، ولا يوصف ولا يعرف بصفة ولا بفعل، ولا له غاية ولا له منتهى، ولا يدرك بعقل؛ وهو وجه كله وهو علم كله وهو سمع كله وهو بصر كله وهو نور كله وهو قدرة كله؛ ولا يوصف بوصفين مختلفين، وليس له اعلى ولا اسفل، ولا نواحي ولا جوانب ولا يمين ولا شمال، ولا هو ثقيل ولا خفيف ولا له نور ولا جسم، وليس هو معلول[1] وكل ما خطر على قلبك انه شيء تعرفه فهو على خلافه،

«فقلنا هو شيء فقالوا هو شيء لا كالاشياء، فقلنا ان الشيء الذي لا كالاشياء قد عرف اهل العقل انه لا شيء. فعند ذلك تبين للناس أنهم لا يثبتون شيئا ولكنهم يدفعون عن أنفسهم الشنعة بما يقرون من العلانية

---

(١) لعله: معلوم ولا معقول

« فاذا قيل لهم من تعبدون ؟ قالوا نعبد من يدبر أمر هذا الخلق ، فقلنا هذا الذي يدبر أمر هذا الخلق هو مجهول لا يعرف بصفة ؟ قالوا نعم ، قلنا قد عرف المسلمون انكم لا تأتون بشيء وانما تدفعون عن أنفسكم الشنعة بما تظهرون ، فقلنالهم هذا الذي يدبر هو الذي كلم موسى ؟ قالوا لم يتكلم ولا يتكلم لان الكلام لا يكون إلا بجارحة والجوارح عن الله منفية . فاذا سمع الجاهل قولهم ظن أنهم من أشد الناس تعظيما لله ، ولا يعلم انهم انما يعود قولهم إلى ضلال وكفر. فما يسئل عنه الجهمي يقال له تجد في كتاب الله انه يخبر عن القرآن انه مخلوق ؟ فلا يجد ، فيقال له فتجد في سنة رسول الله انه قال إن القرآن مخلوق ؟ فلا يجد ، فيقال له فمن أين قلت ؟ فيقول من قول الله (اناجعلناه قرآناً عربياً) وزعم أن جعل مخلوق مجعول هو مخلوق (١) فادعى كلمة من الكلام المتشابه يحتج بها من أراد ان يلحد في تنزيلها ، وكما يبتغي الفتنة في تأويلها وذلك ان جعل في القرآن من المخلوقين على وجهين « على معنى تسمية وعلى معنى فعل من أفعالهم » فقوله (الذين جعلوا القرآن عضين) قالوا هو شعر وأساطير الاولين وأضغاث أحلام فهذا على معنى تسمية ، وقال (وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا) يعني انهم سموهم اناثاً. ثم ذكر جعل على غير معنى تسمية فقال (يجعلون أصابعهم في آذانهم) فهذا على معنى فعل من أفعالهم، وقال (حتى اذا جعله ناراً)هذا على معنى ـه ل فهذا على جعل المخلوقين ، ثم جعل من أمر الله على معنى خلق لا يكون إلا خلق ، ولا يقوم إلا مقام خلق لا يزول عنه المعنى . واذا قال الله : جعل على غير معنى خلق لا يكون خلق ، ولا يقوم مقام خلق ، ولا يزول عنه المعنى ، فما قال الله جعل على معنى خلق قوله (الحمد لله الذي خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور) يعني وخلق الظلمات والنور. وقال(وجعل لكم السمع والابصار)

(١) كذا في الاصل

يقول: وخلق لكم ، وقال (وجعلنا الليل والنهار آيتين) يقول وخلقنا الليل والنهار آيتين ، وقال (وجعل الشمس سراجا) وقال (هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها) يقول وخلق منها زوجها، يقول خلق من آدم وقال (وجعل لها رواسي) يقول وخلق لها رواسي، ومثله في القرآن كثير ، فهذا وما كان على مثاله لايكون إلا على معنى خلق

«ثم ذكر جعل على معنى غير خلق قوله (ماجعل الله من بحيرة ولا سائبة) لا يعني ماخلق الله من بحيرة ولا سائبة ، وقال الله لابراهيم (اني جاعلك للناس اماما) لا يعني اني خالقك للناس اماما، لان خلق ابراهيم كان متقدما[1] قال ابراهيم (رب اجعل هذا البلد آمناً) وقال ابراهيم (رب اجعلني مقيم الصلاة) لا يعني اخلقني مقيم الصلاة وقال (يريد الله أن لا يجعل لهم حظا في الآخرة) وقال لام موسى (انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين) لا يعني وخالقوه من المرسلين، لان الله وعد أم موسى ان يرده اليها ثم يجعله من بعده رسولا، وقال (ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعاً فيجعله في جهنم) وقال (ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم أئمة) لا يعني ونخلقهم أئمة، وقال (فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا) ومثله في القرآن كثير ،

«فهذا وما كان على مثاله لايكون على معنى خلق، فاذا قال الله «جعل» على معنى خلق وقال «جعل» على غير معنى خلق فبأي حجة قال الجهمي جعل على معنى خلق؟ فان رد الجهمي الجعل إلى المعنى الذي وصفه الله فيه ، وإن كان لا كان من الذين يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ماعقلوه وهم يعلمون . فلما قال الله (انا جعلناه قرآنا عربياً) يقول جعله عربياً جعله جعلا على معنى فعل من أفعال على غير معنى خلق، وقال في سورة الزخرف (انا جعلناه قرآنا عربياً لعلكم تعقلون) وقال (لتكون من المنذرين ۞ بلسان عربي مبين) وقال (فانما يسرناه بلسانك)

(١) أي متقدما على امامته

فلما جعل الله القرآن عربياً ويسره بلسان نبيه ﷺ كان ذلك فعلا من أفعال الله تبارك وتعالى جعل القرآن به عربياً بيناً يعني هذا بيان، لمن أراد الله هداه

«ثم ان الجهمي ادعى أمراً آخر وهو من المحال فقال أخبرونا عن القرآن هو الله او غير الله ؟ فادعى في القرآن أمراً فوهم للناس. فاذا سئل الجاهل عن القرآن هو الله او غير الله ؟فادعى في ال من ان(١) يقول أحد القولين فان قال هو الله قال له الجهمي كفرت ، وإن قال هو غير الله ، قال صدقت فلم لايكون غير الله مخلوقا ؟ فيقع في نفس الجاهل من ذلك مايميل به إلى قول الجهمي وهذه المسئلة من الجهمي هي من المغاليط

«(فالجواب) للجهمي إذا سأل فقال، اخبرونا عن القرآن: هو الله، اوغير الله؟ قيل له ان الله جل ثناؤه لم يقل في القرآن إن القرآن أنا، ولم يقل هو غيري، وقال هو كلامي ، فسميناه باسم سماه الله به، فقلنا كلام الله ، فمن سمى القرآن باسم سماه الله به كان من المهتدين ، ومن سماه باسم غيره كان من الضالين ، وقد فصل الله بين قوله وبين خلقه ، ولم يسمه قولا ، فقال (الا له الخلق والامر) فلما قال (ألا له الخلق) لم يبق شيء مخلوق إلا كان داخلا في ذلك، ثم ذكر ماليس بخلق فقال (والامر) فامره هو قوله (تبارك الله رب العالمين) أن يكون قوله خلقا

«وقال (إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين * فيها يفرق كل أمر حكيم) ثم قال للقرآن (هو أمر من عندنا) وقال (لله الامر من قبل ومن بعد) يقول لله القول من قبل الخلق ومن بعد الخلق ، فالله يخلق ويأمر ، وقوله غير خلقه. وقال (ذلك أمر الله أنزله اليكم ـ وقال ـ حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور)

ثم قال احمد رحمه الله :

---

(١) الظاهر ان العبارة هكذا : فلا بد أن يقول احد القولين اه من الأصل

﴿ باب بيان مافصل الله به بين قوله وبين خلقه ﴾

وذلك ان الله جل ثناؤه إذا سمى الشيء الواحد باسمين او ثلاثة أسامي فهو مرسل غير مفصل، وإذا سمى شيئين مختلفين لم يدعهما مرسلا حتى يفصل بينهما. من ذلك قوله (ياايها العزيز إن له أبا شيخا كبيرا) فهذا شيء واحد سماه بثلاثة أسامي وهو مرسل، ولم يقل ان له أبا وشيخا وكبيرا. وقال (عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيراً منكن مسلمات مؤمنات قانتات تائبات ـ ثم قال ـ وأبكارا) فلما كانت البكر غير الثيب لم يدعه مرسلا حتى فصل بينهما، وذلك قوله (وأبكارا) وقال (وما يستوي الاعمى ـ ثم قال ـ والبصير) فلما كان البصير غير الاعمى فصل بينهما ثم قال (ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور) فلما كان كل واحد من هذا غير الشيء الآخر فصل بينها، ثم (الملك القدوس السلام المؤمن، المهيمن العزيز الجبار المتكبر ـ الخالق الباريء المصور) كله شيء واحد فهذا مرسل ليس بمفصل

فكذلك إذا قال الله (الا له الخلق والامر) لان الخلق غير الامر، فهو مفصل، انتهى ماذكره احمد رحمه الله

وهذا الذي ذكره احمد رحمه الله هو الذي عليه الحذاق من أئمة السنة، وهو قول ابن كلاب وغيره، فهؤلاء لايطلقون القول بأن صفات الله هي الله، ولا انها غيره، وذلك لان هذا إثبات قسم ثالث وهو خطأ، ففرق بين اطلاق اللفظين لما في ذلك من الاجماع، وبين نفي مسمى اللفظين مطلقا وإثبات معنى ثالث خارج من مسمى اللفظين. فجاء بعد هؤلاء ابو الحسن الاشعري وكان أحذق ممن بعده فقال بنفي مفرد لا مجموعا فيقول مفردا: ليست الصفة هي الموصوف؟ ويقول مفردا ليست غيره؟ ولا يجمع بينهما فلا يقال لاهي هو ولا هي غيره لان الجمع بين النفي فيه من الايهام ماليس في التفريق، وجاء بعده

أقوام فقالوا بل ينفي مجموعا ، فيقال لا هي هو ، ولا هي غيره ، ثم كثير من هؤلاء إذا بحثوا يقولون: هذا المعنى إما أن يكون هذا وإما أن يكون غيره فيتناقضون. وسبب ذلك أن لفظ الغير مجمل يراد بالغير المباين المنفصل، ويراد به ماليس هو غير الشيء ، وقد يعبر عن الاول بان الغيرين ماجوز وجود أحدهما وعدمه، او ماجاز مفارقة أحدهما للآخر بزمان او مكان او وجوداً ، ويعبر عن الثاني بانه ماجاز العلم باحدهما مع عدم العلم بالآخر. فبين هذا وهذا فرق ظاهر . فصفات الرب اللازمة لاتفارقه ألبتة فلا يكون غيراً بالمعنى الاول ، ويجوز أن يعلم بعض الصفات دون بعض ، ويعلم الذات دون الصفة فيكون غيراً باعتبار الثاني . ولهذا أطلق كثير من مثبتة الصفات عليها انها أغيار للذات وقالوا انها غير الذات ولا يقولون انها غير الله ، فان لفظ الذات لايتضمن الصفات بخلاف اسم الله فانه يتناول الصفات، ولهذا كان الصواب على قول اهل السنة هو أن لايقال في الصفات انها زائدة على اسم الله بل من قال ذلك فقد غلط عليهم، وإذا قيل هي زائدة على الذات ام لا ؟ كان الجواب ان الذات الموجودة في نفس الامر مستلزمة للصفات فلا يمكن وجود الذات مجردة عن الصفات بل ولا يوجد شيء من الذوات مجرداً عن جميع الصفات، بل لفظ الذات تأنيث ذو . ولفظ ذو مستلزم للاضافة ، وهذا اللفظ مولد واصله أن يقال ذات علم وذات قدرة ، وذات سمع ، كما قال الله تعالى (فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم) ويقال فلانة ذات مال وجمال

ثم لما علموا ان نفس الرب ذات علم وقدرة ، وسمع وبصر ، عرّفوا لفظ الذات رداً على من نفى صفاتها ، وصار التعريف يقوم مقام الاضافة بحيث إذا قيل لفظ الذات فهو ذات كذا . فالذات لا يكون إلا ذات علم وقدرة ، ونحوه من الصفات لفظا ومعنى . وانما يريد محققو أهل السنة بقولهم : الصفات زائدة على الذات انها زائدة على ما أثبته نفاة الصفات من الذات ، فانهم أثبتوا ذاتا مجردة

لا صفات لها ، فأثبت أهل السنة الصفات زائدة على ماأثبته هؤلاء، فهي زيادة في العلم والاعتقاد والخبر ، لا زيادة على نفس الله جل جلاله ، بل نفسه المقدسة متصفة بهذه الصفات ، لايمكن أن تفارقها ، ولا توجد الصفات بدون الصفات ، ولا الذات بدون الصفات

والمقصود هنا بيان بطلان كلام هذا المعترض وقوله : ان من اثبت الصفات لله تبارك تعالى لزمه ان يكون مع الله قدما ، فظهر بما ذكرنا عن اهل السنة والجماعة ان كلامه هذا تلبيس وجهل وضلال ، وان مذهب أهل السنة والجماعه في إثبات الصفات الثابتة في القرآن والسنة هو الصواب الموافق لصريح المعقول ، كما انه هو الوارد في صحيح المنقول

(الوجه السابع) أن يقال الاقسام الممكنة في آيات الصفات وأحاديثها ستة اقسام كل قسم عليه طائفة من اهل القبلة : قسمان يقولان تجرى على ظواهرها ، وقسمان يقولان هي على خلاف ظواهرها ، وقسمان يسكتان . أما الاولون فقسمان (احدهما) من يجريها على ظواهرها ويجعل ظاهرها من جنس صفات المخلوقين فهؤلاء المشبهة ومذهبهم باطل بالكتاب والسنة ، ولهذا انكره السلف عليهم واليه توجه الرد بالحق (والثاني) من يجريها على ظاهرها اللائق بجلال الله تعالى كما يجري اسم الله العليم والقدير والرب والاله والموجود والذات ونحو ذلك على ظاهرها اللائق بجلال الله تعالى ، فان ظواهر هذه الصفات في حق المخلوقين إما جوهر محدث وإما عرض قائم ، فالعلم والقدرة والمشيئة والرحمة والرضا والغضب ونحو ذلك في حق العبد اعراض . والوجه واليدان والعين في حق المخلوق اجسام . فاذا كان الله موصوفا عند عامة اهل الاثبات بأن له علما وقدرة وكلاما ومشيئة وان لم تكن أعراضا يجوز عليها مايجوز على صفات المخلوقين ، فلم لايجوز ان

يكون وجه الله ويداه ليست اجساما لا يجوز عليها ما يجوز على صفات المخلوقين ؟ وهذا هو المذهب الذي حكيناه عن اهل السنة. وهو الذي نعتقده وندين الله به وهو الذي يدل عليه كلام علماء السنة ، وهذا امر واضح ولله الحمد والمنة ، ولا يلزم عليه شيء من اللوازم الباطلة، وذلك لانه حق ولازم الحق حق فان الصفات كالذات. فكما ان ذاته ثابتة حقيقة من غير ان تكون من جنس ذوات المخلوقات، فكذلك صفاته ثابتة حقيقة من غير ان تكون من جنس صفات المخلوقات ، فمن قال : لا اعقل علما ويداً واستواء إلا من جنس العلم واليد والاستواء المعهود ، قيل له فكيف تعقل ذاتا من غير جنس ذوات المخلوقين ؟

(الوجه الثامن) ان يقال: صفات كل موصوف تناسب ذاته ، وتلائم حقيقته، فمن لم يفهم من صفات الرب الذي ليس كمثله شيء الا ما يناسب المخلوقين فقد ضل في عقله ودينه، وخالف لغة العرب وما فطر الله عليه عباده

فتبين بما ذكرنا ان هذه اللوازم التي ذكرها هذا المعترض لا تلزم على قولنا الذي حكيناه عن اهل السنة والجماعة

(الوجه التاسع) ان يقال : اللوازم الشنيعة الفظيعة المخالفة لصحيح المعقول وصريح المنقول، انما تلزم على قول هـذا المعترض وسلفه المتكلمين من الجهمية والمعتزلة والقدرية، ومن نحا نحوهم من الشيعـة والزيدية. وبيان ذلك انه إذا كان الكتاب والسنة مملوءان ممـا ظاهره عندهم تشبيه وتجسيم وتكييف كيف يجوز على الله تعالى ثم على رسوله ﷺ ثم على الصحابة انهم يتكلمون دائما بما هو نص او ظاهر في خلاف الحق ، ثم الحق الذي يجب اعتقاده لا يبوحون به ، ولا يدلون عليه حتى يجيء انباط الفرس والروم والفلاسفة فيثبتون للامة العقيدة الصحيحة التي يجب على كل مكلف او كل فاضل اعتقادها؟ لئن كان الحق فيما يقوله هؤلاء المتكلمون لقد كان ترك الناس بلا كتاب ولا سنة اهدى لهم وأنفع على هذا التقدير ، بل

كان وجود الكتاب والسنة ضرراً محضا في اصل الدين ، فان حقيقة الامر على مايقوله هؤلاء : انكم معاشر العباد لاتطلبوا معرفة الله ولا مايستحقه من الصفات نفياً واثباتاً لامن الكتاب ولا من السنة ، ولا من طريق سلف الامة ، ولكن انظروا أنتم فما وجدتموه مستحقاً له من الصفات فصفوه به ، سواء كان موجوداً في الكتاب والسنة اولم يكن ومالم تجدوه مستحقاً له في عقولكم فلا تصفوه به ، واليه عند التنازع فارجعوا فانه الحق الذي تعبدتكم به . وما كان مذكوراً في الكتاب والسنة مما يخالف قياسكم هذا فاجتهدوا في تخريجه على شواذ اللغة ، ووحشي الالفاظ ، وغرائب الكلام ، او اسكتوا عنه مفوضين علمه إلى الله مع نفي دلالته على شيء من الصفات . هذا حقيقة الامر على رأي هؤلاء وهو لازم لهم لزوما لامحيد عنه .

ومضمونه ان كتاب الله لايهتدى به في معرفة الله ، وأن الرسول ﷺ معزول عن التعليم والاخبار بصفات من أرسله ، وما أشبه حال هؤلاء بالذين قال الله فيهم (ألم تر إلى الذين يزعمون انهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا ان يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيداً * واذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا — إلى قوله — إن أردنا إلا احساناً وتوفيقاً) فان الرد إلى الله هو الرد إلى كتابه . والرد الى الرسول هو إلى سنته بعد وفاته ، فان هؤلاء اذا دعوا إلى ذلك أعرضوا ورأيتهم يصدون عنه صدودا ويقولون : يلزم منه كذا . وما قصدنا إلا احسانا وتوفيقا بين هذه الطريقة التي سلكناها وبين الدلائل النقلية .

ثم عامة هذه الشبهات التي يسمونها دلائل انما قلدوا فيها طاغوتا من طواغيت المشركين والصابئين او بعض ورثته الذين أمروا ان يكفروا به ، وقد قال تعالى (فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا في

أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) وقال تعالى (كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه — إلى قوله — والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم)

(الوجه العاشر) قوله : أما مخالفة لغة العرب فلا يجوز لك أن تخالفها وتفسر كتاب الله جل وعلا بغيرها، لمخالفتك لما أنزل الله فيه فقد قال تعالى (نزل به الروح الامين) الآية، وقال (قرآنا عربيا)

فهذا الكلام حق أريد به باطل كما قال أمير المؤمنين علي رضي الله للخوارج ـ لما قالوا له ـ أشركت لانك حكمت الرجال في دين الله، وقد قال تعالى (لئن أشركت ليحبطن عملك) قال «كلمة حق اريد بها باطل» وهذا من أعظم حجج المشبهة القائلين بانا لا نعقل من هذه الصفات إلا مثل صفاتنا لأنه نزل بلغة العرب، فهم أسعد منك بهذه الحجة لان اللفظ يحمل على ظاهره عند العرب كما تزعم

وأما السلف واهل السنة والجماعة فلا تلزمهم هذه الحجة لانهم يقولون انها على ظاهرها في حقه تبارك وتعالى لكنها كما يليق بجلاله وعظمته لان الصفات تابعة الذات، كما تقدم تقريره قريباً

(الوجه الحادي عشر) قوله : هل يجوز لك ان تقول استوى بلا كيف بعد ان قال (مبين) وقال (لعلكم تعقلون)، ما كأنك إلا قلت ماتبين لنا ولا عقلناه فخاطبنا ربنا بما لا نتبينه ولا نعقله وليس هو من جنس لغة العرب، ولو كان عربياً لتبين لنا وعقلناه ـ إلى آخر كلامه

فيقال : هذا مما يدل على جهلك وعدم معرفتك بالحجج التي تحتج بها، وذلك لان المشبهة يردون عليك بكلامك هذا : نحن لا نعقل من لغة العرب إلا ماقلنا، والعرب يحملون الكلام على حقيقته، فما المانع من حمل هذه النصوص على ظواهرها في حقنا، والمجاز انما يصار اليه عند الضرورة ولاضرورة هنا ؟ وأيضاً

يقولون: من قاعدة المجاز جواز نفيه، ولا يجوز لأحد أن ينفي تلك الصفات عن الله عز وجل فيقول ليس بسميع، ليس بحي، ليس ببصير ، ليس بقادر، ليس بمتكلم، ليس بمستو على العرش، فكيف تقولون انها من المجاز ومن قاعدة العرب انهم يجوزون نفي المجاز ؟ فاذا قالوا للشجاع : هذا أسد اذا أرادوا وتشبيهه بالاسد في الشجاعة جوزوا أن ينفي ذلك عنه ويقال ليس بأسد ، بل هـذا انسان ناطق متكلم عاقل ، وكذلك اذا قالوا للبليـد حمار تشبيها له بالحمار في الجهالة جوزوا ان ينفي ذلك عنه فيقال ليس هذا بحمار، وانما هو شبه له بالجهل، واشباه ذلك كثير في كلامهم

وأما اذا قال أهل السنة: ان الله اخبرنا انه استوى على العرش ولم يخبرنا بكيفية ذلك فقلنا بما قال الله، وسكتنا عما سكت الله عنه ، وحملنا الاستواء على حقيقته في حق الباريء تعالى ، فاذا قيل لنا : كيف استوى؟ قلنا لم يخبرنا الله بذلك، فهذا معنى قولنا بلا كيف، فاين في هذا مايخالف لغة العرب

وما أحسن ماقال بعض أهل السنة اذا قال لك الجهمي كيف استوى، أو كيف ينزل الى سماء الدنيا، أو كيف يداه أو نحو ذلك ، فقل له كيف هو في نفسه ؟ فاذا قال لايعلم ماهو الا هو ؟ وذات الباريء غـير معلومة للبشر ، فقل له فالعلم بكيفية الصفة مستلزم للعلم بكيفية الموصوف فكيف يمكن أن يعلم كيفيته وانما تعلم الذات والصفات من حيث الجملة على الوجه الذي ينبغي لذلك الموصوف، بل هذه المخلوقات في الجنة قد ثبت عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه « ليس في الدنيا مما في الجنة الا الاسماء » وقد أخبر الله تعالى (انه لا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين) الآية وقال ﷺ « يقول الله أعدت لعبادي الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » فاذا كان نعيم الجنة وهو خلق من خلق الله كذلك، فما الظن بالخالق سبحانه وتعالى ؟ أفلا يعتبر العاقل بهذا عن الكلام في كيفية الله تعالى ؟ وقد قال تعالى (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير)

وبما ذكرنا يتبين للمنصف اللبيب أن أهل السنة والجماعة هم أسعد الناس بفهم كتاب الله وتعقله وتفهمه وتدبره، وقد هداهم الله لما اختلف فيه من الحق والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

(الوجه الثاني عشر) قوله (قد صرحت بأن قوله تعالى (الرحمن على العرش استوى) دل على الاستواء على العرش كما فهمناه من كلامك وخطابك. ولغة العرب حاكمة بأن حقيقة الاستواء على العرش الجلوس عليه وهو القعود مع تعطف الرجلين ورجوع بعضها الى بعض تعالى الله عن ذلك فهذا حقيقته عند العرب)

فيقال هذا كذب ظاهر على اللغة العربية، وليس هذا حقيقته عند العرب في حق الباري تعالى، واذا كان علماء العربية قد بينوا ان الاستواء في حق المخلوق يطلق على معاني كثيرة كالاستيلاء والاستقرار وغير ذلك فكيف يقول هذا الجاهل: ان لغة العرب حاكمة بان حقيقة الاستواء على العرش الجلوس عليه وهو القعود مع تعطف الرجلين ورجوع بعضها على بعض، تعالى الله عن ذلك، فهذا حقيقته عند العرب. ولكن هذا المعترض وشيعته لظلمة قلوبهم وزيغها عن الحق لا يفهمون من صفات الله الا ما يفهمونه من صفات المخلوقين، ولذلك زعموا أن ظاهر هذه النصوص الواردة في القرآن والسنة تشبيه وتجسيم وتكييف وكلامنا في هذا الوجه وما قبله من الوجوه شاف كاف في نقض كلامه وبيان بطلانه لمن أراد الله هدايته والله أعلم

فصل

وأما قوله (فان قلت قد ابنت خطأ المجيب وتخليطه وذكرت في كلامك أن المرجع عند الشبه الى قرناء كتاب الله تعالى أهل بيت رسول ﷺ فما تحقيق مذهبهم في الصفات ؟ وما أثبت الله تعالى لنفسه في صريح الآيات من اليد والاستواء وغيرهما حتى تطمئن القلوب اليه، ويكون المعول في الاعتقاد عليه) ثم نقل عن

محمد بن عز الدين المفتي في كتاب (البدر الساري شرح :واسطة الدراري ، في توحيد الباري) من نحو قادر وعالم وموجود وقديم وحي ، الى آخر كلامه ، وكذلك ماذكره عن عقد النظام وغيره . ثم قال : ولو اتسع المقام لذكرنا أقوال علماء الآل عليهم السلام قولا قولا ، والوجه على ماذهبوا اليه هو أنهم اطلعوا على حقيقة ما هو قرينهم كتاب الله تعالى الذين هم تراجمته وفهموه بفهم جدهم ﷺ حيث قال « فهمهم فهمي »

(فالجواب) أن يقال (اولا) نطالبك بصحة هذا عن زين العابدين رضي الله عنه ، ويقال (ثانيا) من رواه من الائمة المعروفين بالعلم ومعرفة الحديث كالامام أحمد ومالك بن أنس والشافعي والزهري والحسن بن أبي الحسن البصري وسعيد بن المسيب وقتادة وأمثال هؤلاء الذين اشتهر عند الامة أنهم أهل صدق فيما نقلوه عن أهل البيت وغيرهم ، ومجرد نقل من ذكرت عنه لايوجب صحة النقل عنه بذلك ، وهؤلاء الذين ذكرت انهم نقلوا ذلك عنه لا يُعرفون عند اهل العلم بصدق ولا امانة ولا ديانة، كما يعرف أئمة اهل البيت مثل زين العابدين وابنه زيد بن علي وأشباههم رضي الله عنهم

ويقال (ثالثا) قد نقل عن أهل البيت مايخالف مانقلته عمن ذكرت، فمن ذلك ما نقل البغوي في تفسيره المشهور قال فيه قال ابن عباس رضي الله عنه وأكثر المفسرين من السلف «استوى الى السماء ارتفع الى السماء » وكذلك قال الخليل ابن احمد، وهو من أئمة اللغه المشهورين

وروى البيهقي باسناده قل الفراء «استوى الى السماء أي صعد» قاله ابن عباس والتفاسير المأثورة عن النبي ﷺ والصحابه والتابعين مثل تفسير محمد بن جرير الطبري، وتفسير عبدالرحمن بن ابراهيم المعروف بدحيم، وتفسير عبدالرحمن بن ابي حاتم الرازي ، وتفسير ابن المنذر، وتفسير أبي بكر عبدالعزيز وتفسير أبي الشيخ

الاصبهاني، وتفسير أبي بكر بن مردويه ، وماقبل هؤلاء من التفاسير مثل تفسير الامام احمد بن حنبل واسحاق بن ابراهيم وبقي بن مخلد ، ومن قبلهم مثل تفسير عبد بن حميد وتفسير سنيد وتفسير عبد الرزاق ووكيع بن الجراح فيها من هذا الباب الموافق لقول أهل السنة والجماعة ما لا يحصى ، فمن أراد ذلك فليطالع في تلك الكتب . وهؤلاء الائمة هم الذين يعرفون مذهب أهل البيت ، ويميزون بين صحيح القول من ذلك والمكذوب منه وهم المتبعون لأهل البيت حقا ، وبهذا تبين بطلان قول المعترض

فصل

وأما قوله في الكلام على الاستواء (وقوله قال الامام الاعظم القاسم بن محمد في كتابه الاساس: جمهور أئمتنا ان العرش عبارة عن عز الله وملكه الى آخره) قال في شرحه: اعلم ان تأويل الاستواء على العرش متفق عليه الا عند مثل ابن عربي والمجسمة . ثم ذكر الحامل له على التأويل)

(فالجواب) أن يقال هذا يدل على جهل المعترض وانه لايعرف المذاهب في هذه المسئلة وجهل من نقل عنه ذلك ، فان مذهب اهل السنة في هذه المسئلة من التابعين وأتباعهم والائمة الاربعة وأصحابهم أمر مشهور معلوم عند من له أدنى معرفة بمذاهب الناس ، حتى المأولة من المعتزلة والاشعرية وغيرهم يقرون بذلك إذا ذكروا آيات الصفات وأحاديثها في تفاسيرهم وعقائدهم يقولون: فيها مذهبان مذهب السلف ، وهو إمرارها كما جاءت مع اعتقاد انها صفات لله لا تشبه صفات المخلوقين وقالوا ذلك أسلم، (والثاني) مذهب الخلف وهو تاويلها وصرفها عن ظاهرها كتأويل الاستواء بالاستيلاء ، واليد بالقدرة والنعمة وأشباه ذلك وقد نقل مذهب السلف في هذه المسئلة كما ذكرنا غير واحد من الائمة كحرب الكرماني صاحب الامام

احمد في مسائله ، والامام البخاري صاحب الصحيح في كتاب خلق أفعال العباد ، والخلال في كتاب السنة ، وأبي عثمان اسماعيل الصابوني وعثمان بن سعيد الدارمي الذي هو من أقران البخاري ومسلم وذكروا مذهب التاويل عن جهم بن صفوان وبشر المريسي وأشباههم ممن هو معروف بالبدعة والضلالة ، وهذا نص كلامهم بحروفه:

﴿ نقول مصنفي السلف في مذهب أهل السنة في صفات الله تعالى ﴾

قال ابو محمد حرب الكرماني في مسائله المعروفة التي نقلها عن الامام احمد وإسحاق وغيرهما وذكر من الآثار عن النبي ﷺ وأصحابه وغيرهم ماذكر وهو كتاب كبير صنفه على طريقة الموطأ ونحوه من المصنفات. قال في آخره في الباب الجامع

قول الامام الكرماني في مذهب السلف

(باب القول في المذهب) هذا مذهب أئمة العلم وأصحاب الاثر وأهل السنة المعروفين بها المقتدى بهم فيها ، وأدركت من أدركت من علماء أهل الشام والعراق والحجاز وغيرهم عليها ، فمن خالف شيئاً منها او طعن فيها او عاب قائلها فهو مبتدع خارج من الجماعة ، وزائل عن منهج السنة وسبيل الحق. وهو مذهب احمد وإسحاق بن ابراهيم وبقي ابن مخلد ، وعبدالله بن الزبير الحميدي وسعيد ابن منصور وغيرهم ممن جالسنا وأخذنا عنهم العلم ، وذكر الايمان في القدر والوعد والوعيد والامامة ، وما أخبر به الرسول ﷺ من اشراط الساعة وغير ذلك إلى أن قال

« وهو سبحانه بائن عن خلقه لا يخلو من علمه مكان ، ولله عرش ، وللعرش حملة يحملونه ، وله حد والله أعلم بحده ، ولله على عرشه عز ذكره وتعالى جده ، ولا إله غيره ، والله سبحانه سميع لا يشك ، بصير لا يرتاب ، عليم لا يجهل ، جواد لا يبخل ، حليم لا يعجل ، حفيظ لا ينسى ، رقيب لا يغفل ، يتكلم ويتحرك[1] ويسمع

(١) يعني بالتحرك ما ورد في مجيئه واتيانه وهو في القرآن ومن نزوله الى سماء الدنيا في الحديث ولكن لفظ التحرك لا نعرفه في الكتاب والسنة ولا آثار الصحابة

ويبصر وينظر، ويقبض ويبسط ويفرح، ويحب ويكره ويبغض ويرضى، ويسخط ويغضب، ويرحم ويعفو ويغفر، ويعطي ويمنع، وينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا كيف شاء وكما شاء (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) ـ إلى أن قال ـ ولم يزل الله متكلما عالما، فتبارك الله أحسن الخالقين »

قول الامام الاثرم في مذهب السلف

وقال الفقيه الحافظ ابو بكر الاثرم صاحب الامام احمد في كتاب السنة، وقد نقله عنه الخلال في السنة: حدثنا ابراهيم بن الحارث ـ يعني العبادي ـ حدثني الليث ابن يحيى، سمعت ابراهيم بن الاشعث، قال ابو بكر صاحب الفضيل: سمعت الفضيل ابن عياض يقول «ليس لنا أن نتوهم في الله كيف وكيف، لان الله وصف نفسه فأبلغ فقال (قل هو الله أحد* الله الصمد* لم يلد* ولم يولد* ولم يكن له كفواً أحد) فلا صفة أبلغ مما وصف به نفسه، وكل هذا النزول وهذه المباهاة وهذا الاطلاع كما شاء أن ينزل، وكما شاء أن يباهي، وكما شاء أن يطلع، وكما شاء أن يضحك، فليس لنا أن نتوهم كيف وكيف، وإذا قال لك الجهمي أنا كافر برب يتحرك او يزول عن مكانه. فقل أنا مؤمن برب يفعل مايشاء »

وقد ذكر هذا الكلام الاخير عن الفضيل بن عياض رحمه الله البخاري رحمه الله في كتاب خلق أفعال العباد، هو وغيره من أئمة أهل السنة وتلقوه بالقبول. قال البخاري: وحدث يزيد بن هارون عن الجهمية فقال: « من زعم ان (الرحمن على العرش استوى) على خلاف مايقر في قلوب العامة فهو جهمي »

قول اسحق بن ابراهيم في كتاب السنة

وقال إسحاق بن ابراهيم في كتاب السنة أخبرني عبيد الله بن حنبل أخبرني أبي حنبل بن اسحاق قال: قال عمي احمد بن حنبل «نحن نؤمن بأن الله على العرش كيف شاء بلا حد ولا صفة يبلغها واصف او يحده أحد، فصفات الله له ومنه، وهو

كما وصف نفسه لاتدركه الابصار بحد ولا غاية ، وهو يدرك الابصار ، وهو عالم الغيب والشهادة وعلام الغيوب ، ولا يدركه وصف واصف وهو كما وصف نفسه وليس من الله شيء محدود ، ولا يبلغ علم قدرته أحد. غاب الاشياء كلها بقدرته وسلطانه(ليس كمثله شيء وهو السميع البصير)وكان الله قبل أن يكون شيء . والله هو الاول والآخر لا يبلغ أحد حد صفاته »

قال وأخبرني علي بن عيسى أن حنبلا حدثهم قال سألت أبا عبد الله عن الاحاديث التي تروى « ان الله تبارك وتعالى ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا » «وان الله يرى» «وان الله يضع قدمه» وما أشبه هذه الاحاديث فقال ابو عبد الله « نؤمن بها ونصدق بها ولا كيف ولا معنى » أي لا نكيفها ولا نحرفها بالتأويل فنقول معناها كذا ، ولا نرد منها شيئا ، ونعلم أن ماجاء به الرسول حق،إذا كان باسانيد صحاح ، ولا نرد على الله قوله ، ولا يوصف الله با كثر مما وصف به نفسه بلا حد ولا غاية(ليس كمثله شيء وهو السميع البصير)

وقال حنبل في موضع آخر عن احمد قال« ليس كمثله شيء »في ذاته كما وصف به نفسه ، وقد أجمل تبارك وتعالى بالصفة لنفسه فحد لنفسه صفة ليس يشبهه شيء، فصفاته غير محدودة ولا معلومة إلا بما وصف نفسه،قال فهو سميع بصير بلا حد، ونؤمن بالقرآن كله محكمه ومتشابهه، ولا نزيل عنه صفات من صفاته لشناعة شنعت، لا نتعدى القرآن والحديث ،والخبر «يضحك الله» ولا يعلم كيف ذلك إلا بتصديق الرسول ﷺ . لا يصفه الواصفون ، ولا يحده أحد . تعالى الله عما يقول الجهمية والمشبهة »

قلت والمشبهة مايقولون ؟قال «من قال بصر كبصري ، ويد كيدي وقدم كقدمي،فقد شبه الله بخلقه، وهذا يحده، وهذا كلام سوء وهذا محدود ،والكلام في هذا لا أحبه » انتهى

والكتب الموجودة فيها ألفاظهم الثابتة بأسانيدها عنهم وغير أسانيدها كثير مثل كتاب الرد على الجهمية لابن أبي حاتم والرد عليهم لمحمد بن عبدالله الجعفي شيخ البخاري والرد عليهم للحكم بن معبد الخزاعي وكتاب السنة لعبد الله بن احمد بن حنبل والسنة لحنبل ابن عم الامام احمد والسنة لابي داود السجستاني ، والسنة للاثرم، والسنة لابي بكر الخلال والرد على الجهمية للدارمي ونقضه على الكاذب العنيد فيما افترى على الله في التوحيد ، وكتاب التوحيد لابن خزيمة والسنة للطبراني ولابي الشيخ الاصبهاني ، وشرح السنة للالكائي والابانة لابن بطة وكتب ابن منده والسنة لابي ذر الهروي ، والاسماء والصفات للبيهقي ، والاصول لابي عمر الطلمنكي ، وكتاب الفاروق لابي اسماعيل الانصاري ، والحجة لابي القاسم التيمي وغير ذلك من الكتب التي يذكر مصنفوها مذاهب السلف بالنقول الثابتة بألفاظهم الكثيرة المتواترة في اثبات علو الله على خلقه واستوائه على عرشه تبارك وتعالى فكيف يقول هذا الجاهل ان تأويل الاستواء متفق عليه إلا عند ابن عربي والمجسمة؟ اللهم إلا ان يريد بالمجسمة أهل السنة والحديث كالصحابة والتابعين والائمة الاربعة واتباعهم من أهل الحديث وغيرهم كما يلقبهم بذلك الجهمية والمعتزلة فانهم يسمون كل من أثبت صفات الله مجسما .

وأما ابن عربي وأمثاله من أهل وحدة الوجود فهم من غلاة الجهمية ، وانما حملهم على ذلك المبالغة في انكار الصفات ، وذلك ان الجهمية لما أنكروا ان يكون الله تكلم بالقرآن ، قالوا ان الله خلقه وأحدثه في بعض الاجسام ، فنسبة ذلك إلى الله مجاز ، فلزم ان يكون كلام جميع الخلق كلام الله لانه خلق ذلك فيهم ولهذا قال ابن عربي :

وكل كلام في الوجود كلامه   سواء علينا نثره ونظامه

ومعلوم ان من خالف ما جاءت به الرسل عن الله بمجرد عقله فهو أولى بالكفر والجهل والتشبيه والتجسيم ممن لم يخالف ما جاءت به الرسل ، وانما خالف

ماعلم بالعقل إن كان ذلك حقاً كما قال بعض نفاة الصفات لما تأمل أحوال أصحابه وحال مثبتيها قال لاريب ان حال هؤلاء عند الله خير من حالنا فانهم إن كانوا مصيبين نالوا الدرجات العالية والرضوان الاكبر ، وإن كانوا مخطئين ، فانهم يقولون: يارب نحن صدقنا مادل عليه كتابك وسنة رسولك إذ لم يتبين لنا بالكتاب والسنة نفي الصفات كما دل كلامك على اثباتها. فنحن أثبتنا مادل عليه كلامك وكلام رسولك محمد ﷺ فان كان الحق بخلاف ذلك فلم يبين لنا الرسول ﷺ مايخالف ذلك، ولم يكن خلاف ذلك مما يعلم ببدائه العقول ، بل ان قدر انه حق فانما يعلمه الافراد فكيف والمخالفون في ذلك يقرون بالحيرة والارتياب . قال النافي فان كنا نحن المصيبين فانه يقال لنا أنتم قلتم شيئاً لم آمركم بقوله ،وطلبتم علما لم آمركم بطلبه فالثواب انما يكون لاهل الطاعة وأنتم لم تمتثلوا أمري ، قال وإن كنا مخطئين فقد خسرنا خسرانا مبينا

فصل

وأما قوله في تأويل الاستواء بالاستيلاء ويساعده من كلام العرب مانقله الغزالي من قول الشاعر :

قد استوى عمرو على العراق　　من غير سيف أو دم مهراق

(فالجواب) ان يقال أنت قد نقضت كلامك المتقدم ،وقولك ولغة العرب حاكمة بأن حقيقة الاستواء على العرش الجلوس عليه وهو القعود مع تعطف الرجلين ورجوع بعضها على بعض وبيان ذلك ان الشاعر أخبر ان عمرا استوى على العراق أي ملكه فتقول ان معناه جلس على العراق كله وعطف رجليه على جميعه فان قلت هذا فهذا مكابرة ، وإن قلت ان المعنى باستواء عمرو على العراق ملكه فقد نقضت ما أصلته ، وهدمت ما قررته ، فاعجب لمن يخرب ما بنى ولم تعلم

بجهلك بلغة العرب ، وما يجوز على الله وما يمتنع عليه ان ذلك لايجوز في حقه تبارك وتعالى وذلك ان الله تعالى مستول على الكونين والجنة والنار وأهلها فأي فائدة في تخصيص العرش ؟ وأيضاً الاستيلاء يكون بعد قهر وغلبة والله تعالى منزه عن ذلك

وقد أخرج اللالكائي في السنة عن ابن الاعرابي -وهو من أكابر أئمة اللغة- انه سئل عن معنى (استوى على العرش) فقال: هو على عرشه كما أخبر ، فقيل ياأبا عبد الله معناه استولى ؟ فقال اسكت لايقال استولى على الشيء إلا اذا كان له مضاد ، فاذا غلب أحدهما قيل استولى .

وقد ذكر غير واحد من أهل العلم ان الاستواء في لغة العرب يطلق على معاني متعددة (أحدها) بمعنى الاستقرار كقوله (واستوت على الجودي) (ثانيها) بمعنى الاستيلاء ومنه قول الشاعر

فلما علونا واستوينا عليهم   تركناهم صرعى لنسر وكاسر

(وثالثها) القصد والاقبال على الشيء كقول القائل كان الامير يدبر أمر الشام ، ثم استوى إلى أهل الحجاز اي تحول فعله وتدبيره اليهم (رابعها) انه بمعنى التمام والكمال كقوله تعالى (فلما بلغ أشده واستوى) اي كمل عقله.

فتبين بذلك كذب هذا المفتري وجهله بلغة العرب ، وما أحسن ماقال بعضهم أكثر مايفسد الناس نصف متكلم ونصف متفقه ونصف متطبب ونصف نحوي ، هذا يفسد الاديان وهذا يفسد البلدان وهذا يفسد الابدان وهذا يفسد اللسان

فصل

أما قوله (وقد ذكر القاضي العلامة إسحاق بن محمد العبدي رحمه الله في كتاب الاحتراس بعد أن طول بما يشفي الصدور في تقرير حجة المؤولين للعرش بالعز والملك والاستواء بالاستيلاء والقهر ولكنه كلام طويل تضيق عنه هذه الرسالة فاقتصرنا على آخر كلامه، قال مالفظه (إذا استبان لك ماأشرنا اليه فأمر الاختيار مفوض اليك فاما جمهور العدلية من المعتزلة وغيرهم فقد جنحوا إلى التأويل، ورأوا ان ذلك أوفق وأليق لمن يرد إلى سواء السبيل . وأما المحافظون على بقاء الظواهر وكذلك التاركون للتفصيل والتأويل ، فقد ظنوا أن في ذلك نوعا من التعطيل، وماالتفتوا الى التأويل ،وما يرفع الشبه لابد منه عند الفريقين إما في نفس العرش او الاستواء عليه ، واما ان يكون التأويل تفصيليا أو اجماليا ،وإذا كان لابد من التأويل فالتأويل بما يرفع مطالبة الوهم بالكيف ، ويقطع مادة تلفته إلى ادراك تلك الحقيقه أحق وأوفق وأليق ، وقد كشفت لك الغطاء في التعيين والتوقف والتأويل ، وانت بعد ذلك مخير على أي جانبيك تميل ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل)

(فالجواب) أن يقال : هذا الذي نقلته من هذا الكلام قد نقض عليك مانقلته قبل ذلك باسطر يسيرة من ان تأويل الاستواء على العرش متفق عليه الا عند مثل ابن عربي والمجسمة ، وذلك انه ذكر في كلامه الاقوال في المسئلة فذكر أن جمهور العدلية من المعتزلة وغيرهم يميلون إلى التأويل فكلامه يدل على ان بعض المعتزلة يميل إلى القول المقابل لقول اهل التأويل . ولهذا قال : وأما المحافظون على بقاء الظواهر ، وكذا التاركون للتفصيل والتأويل، فقد ظنوا ان في ذلك نوعا من التعطيل ثم انه خير الناظر في كلامه على أي وجه يميل اليه من تلك الاقوال وان كان القول الاول هو الاوفق والاليق والراجح عنده . فلو ان هذا المعترض

قال مثل مقالة هذا الرجل لكان أليق به وأوفق .

وأما ماذكره من كلام الزمخشري وغيره من أئمة المعتزلة فكلامهم في نفي الصفات والقول بخلق القرآن مشهور معروف ، وليسوا من أئمة العلم والدين المقتدى بهم بل هم من أئمة البدع والضلال، ولهذا نقل عن بشر بن غياث المريسي حديثا عن ابن عباس رضي الله عنهما فاذا كان رجاله الذين ينقل عنهم كلام اهل البيت مثل بشر بن غياث المريسي واضرابه الذين كفرهم اهل العلم وبدعوهم واشتهروا بينهم بالزندقة والكفر والكذب تبين لك ان عامة ماينقله هذا وأشباهه عن أهل البيت كذب وافتراء عليهم نسأل الله أن ينتقم لاهل البيت ممن كذب عليهم وأبغضهم

وقد قال البخاري رحمه الله في كتاب (خلق أفعال العباد) حدثني أبو جعفر حدثني احمد بن خالد الخلال، قال سمعت يزيد بن هارون ذكر أبا بكر الاصم وبشر المريسي فقال : هما والله زنديقان، كافران بالرحمن، حلالا الدم . وقال الخطيب في تاريخه المشهور: وبشر بن غياث من أصحاب الرأي ، أخذ الفقه من أبي يوسف القاضي الا انه اشتغل بالكلام وجرد القول بخلق القرآن وحكى عنه اقوالا شنيعة ومذاهب مستنكرة، اساء اهل العلم قولهم فيه بسببها، وكفره أكثرهم لاجلها . ثم ذكر الخطيب كلام اهل العلم في تكفيره والامر بقتله . وقد صنف علماء السنة مصنفات كثيرة في الرد على بشر المريسي ونحوه من أئمة الجهمية والمعتزلة . فمن ذلك ماصنفه ابو سعيد عثمان بن سعيد الدارمي الامام المشهور من طبقة البخاري ومسلم والترمذي وأبي داود وطبقتهم وسماه (نقض عثمان بن سعيد، على المريسي الجهمي العنيد، فيما افترى على الله في التوحيد) قال فيه

وقد اتفقت الكلمة من المسلمين والكافرين ان الله في السماء الا المريسي الضال وأصحابه حتى الصبيان الذين لم يبلغوا الحنث قد عرفوه بذلك إذا ضرب الصبي رفع يده الى السماء يدعو ربه ؛ وكلامه بالله وبمكانه أعلم من الجهمية حدثنا

احمد بن منيع حدثنا معاوية عن شبيب بن شيبة عن عمران بن حصين ان النبي ﷺ قال لابيه « ياحصين كم تعبد اليوم؟ — قال سبعة، ستة في الارض وواحداً في السماء قال — فأيهم تعد لرغبتك ورهبتك ؟ — قال الذي في السماء» فلم ينكر النبي ﷺ على الكافر اذ عرف ان اله العالمين في السماء

فحصين الخزاعي في كفره يومئذ كان اعلم بالله الجليل من بشر المريسي وأصحابه مع ماينتحلون من الاسلام، اذ ميز بين الاله الخالق الذي في السماء وبين الآلهة والاصنام المخلوقة في الارض

(قال) وادعى المعارض أيضاً ان قول النبي ﷺ « ان الله ينزل الى سماء الدنيا حين يمضي ثلث الليل فيقول هل من مستغفر هل من داع هل من تائب ؟ » فادعى ان الله لاينزل بنفسه انما ينزل امره ورحمته وهو على العرش وبكل مكان من غير زوال، لانه الحي القيوم، والقيوم بزعمه لا يزول

(قال) فيقال لهذا المعارض: وهذا أيضا من حجج النساء والصبيان، ومن ليس عنده بيان ولا لمذهبه برهان، لان امر الله ورحمته ينزلان في كل ساعة ووقت وأوان، فما بال النبي ﷺ يحد لنزوله الليل دون النهار ؟ ويوقت من الليل شطره أو الاسحار، فأمره ورحمته يدعوان العباد الى الاستغفار؟ او يقدر الامر والرحمة أن يتكلما دونه فيقولان: هل من داع فأجيب؟ هل من مستغفر فأغفر ؟ هل من سائل فأعطي؟ فان قررت مذهبك لزمك أن تدعي أن الرحمة والامر هما اللذان يدعوان الى الاجابة والاستغفار بكلامهما دون الله. وهذا محال عند السفهاء، فكيف عند الفقهاء ؟ وقد علمتم ذلك، ولكن تكابرون. وما بال رحمته وأمره ينزلان من عنده شطراً من الليل، ثم لا يمكثان إلا الى طلوع الفجر، ثم يرفعان؟ لان رفاعة يرويه في حديثه حتى ينفجر الفجر، وقد علمتم إن شاء الله ان هذا التاويل أبطل باطل، ولا يقبله الا كل جاهل،

وأما دعواك ان تفسير الحي القيوم: الذي لا يزول عن مكانه ولا يتحرك، فلا يقبل هذا التفسير إلا بأثر صحيح ماثور عن رسول الله ﷺ او عن بعض اصحابه أو التابعين، لان الحي القيوم يفعل مايشاء ويتحرك اذا شاء، ويهبط ويرتفع أذا شاء، ويقبض ويبسط اذا شاء، ويجلس اذا شاء، لان امارة ما بين الحي والميت التحرك، فكل حي متحرك لامحالة، ومن يلتفت الى تفسيرك وتفسير صاحبك مع تفسير نبي الرحمة ورسول رب العزة، اذ فسر نزوله مشروحا منصوصا، ووقت لنزوله وقتا مخصوصا، لم يدع لك ولا لاصحابك فيه لبسا؟

(قال) ثم اجمل المعارض جميع ماتنكره الجهمية من صفات الله تعالى وذاته المسماة في كتابه، وفي آثار رسوله ﷺ فعد منها بضعة وثلاثين صفة نسقا، وأخذ يحكم عليها ويفسرها بما حكم به المريسي وفسرها وتأولها حرفا حرفا معتمداً فيهـا على تفسير الزائغ الجهمي بشر بن غياث المريسي متستراً عند الجهال بالتشنيع على قوم يؤمنون بها ويصدقون الله ورسوله فيها بغير تكييف ولا تمثيل فزعم أن هؤلاء مؤمنين بها يكيفونها ويشبهونها بذوات أنفسهم، وان العلماء بزعمه قالوا ليس في شيء منها اجتهاد رأي ليدرك كيفية ذلك، أو يشبه شيئا منها بشيء مما هو للخلق موجود. قال وهذا خطأ كما ان الله ليس كمثله شيء فكذلك ليس ككيفيته شيء.

قال ابو سعيد: فقلنا لهذا المعارض المشنع اما كقولك ان كيفية هذه الصفات وتشبيهها بما هو في الخلق خطأ فانا لا نقول انه خطأ كما قلت، بل هو عندنا كفر ونحن بكيفيتها وتشبيهها بما هو في الخلق موجود أشد اتقاء منكم غير انا كما انا لا نشبهها ولا نكيفها لا نكفر بها ولا نكذب بها، ولا نبطلها بتأويل الضلال كما أبطلها امامك المريسي في أماكن من كتابك، واما ماذكرت من اجتهاد الرأي في تكييف صفات الله فانا لا نجيز اجتهاد الرأي في كثير من الفرائض والاحكام التي نراها بأعيننا ونسمعها في آذاننا فكيف في صفات الله التي لم ترها العيون وقصرت عنها الظنون؟ غير أنا

لا نقول فيها كما قال امامك المريسي : ان هذه الصفات كلها كشيء واحد وليس السمع منه غير البصر ، ولا الوجه منه غير اليد ، ولا اليد منه غير النفس ، وان الرحمن ليس يعرف بزعمكم لنفسه سمعا من بصر ولا وجها من يدين ولا بصراً من سمع ، هو كله بزعمكم سمع وبصر ووجه ويد ونفس وعلم ومشيئة وارادة ، مثل الارضين والسماء والجبال والتلال والهواء التي لا يعرف لشيء منها شيء من هذه الصفات والذوات. والله تعالى عندنا متعال أن يكون كذلك. فقد ميز الله في كتابه السمع من البصر فقال (انني معكما أسمع وأرى ـ وقال ـ انا معكم مستمعون) وقال (لا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم) ففرق بين الكلام والنظر دون السمع فقال عند السماع (قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها ـ الى قوله ـ ان الله سميع بصير) وقال تعالى (لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء) ولم يقل قد رأى الله ، وقال في موضع الرؤية (الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين ـ وقال ـ وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله) ولم يقل سمع الله تقلبك وسمع عملكم فلم يذكر الرؤية فيما يسمع ولا السماع فيما يرى ، كما انهما عنده خلاف ما عندكم . وكذلك قال الله تعالى (تجري باعيننا ـ وقال ـ ولتصنع على عيني) ولم يقل لشيء من ذلك على سمعي. فكما انا لا نكيف هذه الصفات لا نكذب بها كتكذيبكم ، ولا نفسرها كباطل تفسيركم انتهى

فتأمل رحمك الله كلام هذا الامام بعين البصيرة يتبين لك بطلان كلام هذا المعترض وكذبه على أهل البيت وانه هو وشيعته من أبعد الناس عن اتباعهم وانما يتبعون اعداء الملة الاسلامية والطريقة المحمدية ، كجهم والمريسي وأحزابهما من أهل البدع والضلال والله أعلم

فصل

قال المعترض (فان قلت انت تروي اجماع أهل البيت في هذه المسائل، وقد عرفت تفرقهم في المذاهب فمنهم الاشعري والحنبلي وغير ذلك. قلت أجل ولكن لم يحدث التفرق إلا بعد انعقاد إجماع الآل في العصور المتقدمة ، ولا يضر ذلك التفرق بعد وشب فروخ من ذكر عن منهج أهل البيت الاولين نشأتهم بين من لم يعرف اهل البيت ولا كتبهم فأخذوا عن العلماء إلى آخره)

(فالجواب) ان يقال قد نقضت بكلامك هذا الاصل الذي أصلته ، وهو ان جميع اهل البيت لا يخالفون كتاب الله وانهم العصمة وباب حطة وجميع دلائلك التي استدللت بها من الآيات والاحاديث ينازعك خصومك في دلالتها على ماأردت ، وقد تقدم جواب ذلك مبيناً . وهذا على التقدير والتنزل والا فاكثر هذه الاحاديث التي رويتها عن رسول الله ﷺ قد طعن فيها أهل العلم بالاخبار ، وبينوا انها من وضع الكذابين على رسول الله ﷺ

فإذا كنت قد أقررت ان أهل البيت في هذا الزمان وقبله بازمنة متطاولة قد افترقوا وصار بعضهم مع خصومكم. فكذلك أهل البيت في العصر الاول ودعواك اجماعهم كذب ظاهر ، وهذه نصوص أهل البيت قد نقلناها لك فيما تقدم من الرد عليك . وهذا ابن عباس رضي الله عنهما من أكابر علماء أهل البيت وقد فسر الاستواء في حقه تبارك وتعالى بالاستقرار كما حكى ذلك مقاتل والكلبي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال « استوى بمعنى استقر »

وقد ذكر الطبرسي وهو من أئمة الشيعة في كتاب (مجمع البيان بعلوم القرآن) في تفسير قوله (وسع كرسيه السموات والارض) فقال مالفظه: اختلف فيه على أقوال (أحدها) وسع علمه السموات والارض، عن ابن عباس ومجاهد

وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله ويقال للعلماء «كراسي» كما يقال لهم «الاوتاد» لان بهم قوام الدين والدنيا ، (وثانيها) ان الكرسي ههنا هو العرش، عن الحسن وانما سمي كرسيا لتركيب بعضه على بعض (وثالثها) ان المراد بالكرسي ههنا الملك والسلطان والقدرة (ورابعها) ان الكرسي سرير دون العرش . وقد روي ذلك عن أبي عبد الله . وقريب منه ماروي عن عطاء انه قال «ما السموات والارض عند الكرسي إلا كحلقة في فلاة» ومنهم من قال ان السموات والارض جميعا على الكرسي، والكرسي تحت العرش والعرش فوق السموات. وروى الاصبغ بن نباتة ان عليا (رض) قال «السموات والارض ومافيهما من مخلوق في جوف الكرسي وله أربعة أملاك يحملونه باذن الله تعالى» انتهى .

وهذا يبين كذب هذا المعترض على اهل البيت في دعوى الاتفاق منهم في هذه المسائل

فصل

وأما قوله في الاعتراض على قول المجيب في قوله (وإذ أسر النبي الى بعض أزواجه حديثا) ثم ذكر أن مراد السائل عن ذلك استظهار ماعند المسئول ،هل يقدم أبا بكر (رض) على علي (رض) في الخلافة أم العكس ؟ وان المجيب أتى بما يعهده من تفسير الآية ،فأعرض عن غرض السائل وقصده .ثم انه قد اطلع على روايات مسندة ان الحديث الذي أسره رسول الله ﷺ هي خلافة علي على الامة وتقديمه على أبي بكر رضي الله عنه

ثم قال المعترض (وأنا أقول ينظر في تصحيح هذه الروايات،وإذا صحت فما فائدة الاسرار بولاية علي رضي الله عنه)

(فالجواب) أن يقال : هذا المعترض قد كفانا المؤنة في رد هذه الروايات الباطلة ،وذكر انها إذا صحت فما فائدة الاسرار بولاية علي رضي الله عنه.وذلك

ان الامر إذا صح عن رسول الله ﷺ انه فعله أو أمر به لا يقال فيه فما فائدة الاسرار بذلك ، بل إذا صح أن رسول الله ﷺ فعل شيئا أو أمر به فلا يفعله ولا يأمر به إلا لما فيه من الفائدة العظيمة ، والمصلحة العميمة ، ولا يقول مثل هذا الكلام إلا من هو من أجهل الجاهلين ، وأبطل المبطلين ، كيف يجوز عند من له أدنى مسكة من العقل والدين ان يصح عنده أن رسول الله ﷺ فعل شيئا أو أمر به ولا يكون في ذلك فائدة أصلا؟ ولكن هذا شأن أهل البدع والضلال لا يقدرون رسول الله ﷺ حق قدره ، نعوذ بالله من موجبات غضبه ، وأليم عقابه

فصل

وأما قوله (وقد علمنا بالتواتر المعنوي من السنة أن النبي ﷺ قد أعلن وأنذر وأفصح وأكثر في تقديم علي رضي الله عنه على غيره من الصحابة رضي الله عنهم في الولاية ، ولكن أهل البيت بعد علمهم بتقديم علي لم يخوضوا في جانب من تقدم إلا كخوضه رضي الله عنه ، من ابانة الحق للامة ، وانه الاقدم والتوجع فقط في مواطن ، خروجا منه عن التلبيس والمداهنة في الدين ، إذ الحق لله تعالى ، فاذا هو رضي الله عنه قد فرض انه أسقط حقه وجب عليه ابانة ماهو لله إذ هو المولي له ، فلم يسكت بل أعلن رضي الله عنه بما يجب عليه ، وأهل البيت وصفوة شيعته لم يصنعوا الا كما صنع علي ، فلم يغلوا غلو الامامية ولا الباطنية نسأل الله السلامة)

(فالجواب) من وجوه (أحدها) ان هذا من أظهر الكذب على الله وعلى رسوله ﷺ وعلى علي رضي الله عنه . وقد ثبت في صحيح البخاري وغيره بالاسانيد الثابتة قصة خروج علي والعباس من عند النبي ﷺ في مرضه الذي توفي فيه حين قال الناس لعلي ، ياأبا الحسن كيف أصبح رسول الله ﷺ ؟ فقال . «أصبح بحمد الله بارئا» فقال له العباس رضي الله عنه « انت والله بعد ثلاث عبد العصا اني لاعرف وجوه بني عبد المطلب عند الموت ، اذهب بنا الى رسول الله ﷺ نسأله :

فيمن هذا الامرفان كان فينا عرفنا ذلك ، وان كان فيغيرنا علمناه فاوصى بنا» فقال علي رضي الله عنه «إنا والله لئن سألناها رسول الله ﷺ فمنعناها لا يعطيناها الناس بعده ، واني والله لا أسألها رسول الله ﷺ» أخرجه البخاري عن إسحاق، أخبرنا بشر بن شعيب بن أبي حمزة حدثني أبي عن الزهري أخبرني عبد الله بن كعب بن مالك الانصاري، وكان كعب أحد الثلاثة الذين تيب عليهم: ان ابن عباس أخبره أن علي بن أبي طالب خرج من عند رسول الله ﷺ في وجعه الذي توفي منه وذكر الحديث كنحو ماسقناه ، وكل هؤلاء الذين رووا هذا الحديث أئمة مشاهير

(الوجه الثاني) ما أخرجه احمد والبيهقي بسند حسن عن علي أنه قال لما ظهر يوم الجمل «أيها الناس ان رسول الله ﷺ لم يعهد الينا في هذه الامارة شيئاً حتى رأينا من الرأي أن نستخلف أبا بكر فاقام واستقام حتى مضى لسبيله ثم ان أبا بكر رأى من الرأي أن يستخلف عمر فاقام واستقام، ثم ضرب الدين بجرانه ثم ان أقواما طلبوا الدنيا فكانت أمور يقضي الله فيها» .

(الوجه الثالث) ماروى جمع من اهل الحديث كالدارقطني وابن عساكر والذهبي وغيرهم: ان عليا أقام بالبصرة حين بايعه الناس: فقام اليه رجلان فقالا له، اخبرنا عن مسيرك هذا الذي سرت فيه لتستولي على الامر وعلى الامة ، تضرب بعضها ببعض ، أعهد من رسول الله ﷺ عهده اليك ؟ فحدثنا فانت الموثوق به والمأمون على ماسمعت . فقال «اما أن يكون عندي عهد من رسول الله ﷺ في ذلك فلا والله ، لأن كنت أول من صدق به فلا أكون اول من كذب عليه، ولو كان عندي منه عهد في ذلك ماتركت أخا بني تيم بن مرة وعمر بن الخطاب يثبان على منبره ولقاتلتهما بيدي ، ولو لم أجد الا بردي هذه ، ولكن رسول الله ﷺ لم يقتل قتلا ولم يمت فجأة ، ومكث في مرضه اياما وليالي يأتيه المؤذن فيؤذنه بالصلاة ، فيأمر أبا بكر فيصلي بالناس ، وهو يرى مكاني ، ولقد أرادت امرأة من

نسائه تصريفه عن أبي بكر فأبى وغضب وقال « أنتن صواحب يوسف، مروا أبا بكر فليصل بالناس » فلما قبض رسول الله ﷺ نظرنا في أمورنا فاخترنا لدنيانا من رضيه رسول الله ﷺ لديننا ،وكانت الصلاة أعظم شعائر الاسلام، وقوام الدين، فبايعنا أبا بكر رضي الله عنه فكان لذلك أهلا، لم يختلف عليه منا اثنان – وفي رواية – فاديت إلى أبي بكر حقه وعرفت له طاعته وغزوت معه في جنوده فكنت آخذ إذا أعطاني، وأغزو اذا أغزاني، وأضرب بين يديه الحدود بسوطي. فلما قبض رضي الله عنه بايعنا عمر، لم يختلف عليه منا اثنان، فأديت له حقه وغزوت معه وعرفت طاعته وكنت آخذ إذا أعطاني ، وأغزو اذا أغزاني، وأضرب بين يديه الحدود بسوطي. فلما قبض رضي الله عنه تذكرت في نفسي قرابتي وسابقتي وفضلي وأنا أظن ان لا يعدل بي ولكن خشي أن لا يعمل الخليفة بعده شيئا الا لحقه في قبره فاخرج منها نفسه وولده ، ولو كانت محاباة لآثر بها ولده وبريء منها لرهط أنا أحدهم فظننت الا يعدلوا بي فأخذ عبد الرحمن بن عوف (رضي الله عنه) مواثيقنا على أن نسمع ونطيع لمن ولاه الله أمرنا ثم بايع عثمان فنظرت فاذا طاعتي قد سبقت بيعتي وإذا ميثاقي قد أخذ لغيري فبايعنا عثمان ، فأديت له حقه وعرفت له طاعته وغزوت معه ، وكنت آخذ اذا اعطاني، وأغزو إذا أغزاني، واضرب بين يديه الحدود بسوطي . فلما أصيب فاذا الخليفتان اللذان اخذاها بعهد من رسول الله ﷺ اليهما بالصلاة قد مضيا . وهذا الذي أخذ له ميثاقي قد أصيب ، فبايعني أهل الحرمين واهل هذين المصرين – الكوفة والبصرة – فوثب فيها من ليس مثلي، ولا قرابته كقرابتي، ولا علمه كعلمي، ولا سابقته كسابقتي، وكنت أحق بها منه» يعني معاوية »أخرجه هؤلاء الأئمة واخرجه اسحاق بن راهويه من طرق اخرى. قال الذهبي وهذه طرق يقوي بعضها بعضا، قال وأصحها ماروواه اسماعيل بن علية فذكره، وفيه لما قيل لعلي : اخبرنا عن مسيرك اعهد عهده اليك النبي ﷺ أم رأى رأيته

فهذه الطرق كلها عن علي رضي الله عنه متفقة على نفي النص بامامته ووافقه على ذلك علماء أهل بيته فقد اخرج ابو نعيم عن المثني بن الحسن السبط انه لما قيل له «من كنت مولاه فعلي مولاه» نص في امامة علي فقال « أما والله لو اراد النبي ﷺ بذلك الامارة والسلطان لافصح لهم به فان رسول الله ﷺ كان افصح الناس ولقال لهم يا أيها الناس هذا ولي امري. والقائم عليكم بعدي، فاسمعوا له واطيعوا ما كان من هذا شيء فوالله لئن كان الله ورسوله اختارا عليا لهذا الامر والقيام به للمسلمين من بعده، ثم ترك علي امر الله ورسوله أن يقوم به، او يعذر فيه للمسلمين ـ إن كان اعظم الناس خطيئة لعلي اذ ترك امر الله ورسوله ـ وحاشاه من ذلك»

وكلام علي واهل بيته في الثنا على أبي بكر وعمر كثير جدا بعد ما افضت اليه الخلافة وتواتر عنه انه قال « خير هذه الامة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر »

وروى البخاري في صحيحه عن سفيان الثوري عن منذر عن محمد بن الحنفية قلت لأبي: يا أبت من خير الناس بعد رسول الله ﷺ؟ قال « يا بني أبو بكر» قلت ثم من؟ قال « عمر » فخشيت أن يقول ثم عثمان، فقلت: ثم أنت؟ فقال « يا بني انما أنا رجل من المسلمين» وصح هذا عنه من وجوه كثيرة وطرق متغايرة يصدق بعضها بعضا

قال بعض أهل الحديث انه رواه عن أكثر من ثمانين نفسا من خواص أصحابه وأهل بيته

فقد تبين بما ذكرنا بطلان دعوى المعترض أن رسول الله ﷺ نص على إمامته فاذا ادعوا أن هذا مكذوب على أهل البيت امكن خصومهم أن يدعوا الكذب فيما رووه عن أهل البيت والدلائل الصحيحة التي احتجوا بها على النص على امامة علي رضي الله عنه كقوله تعالى (انما وليكم الله ورسوله) وكحديث غدير خم وقوله « من كنت مولاه فعلي مولاه » فكل هذا ليس بصريح في

النص على امامته والله تبارك وتعالى قد فرض على رسوله ﷺ البلاغ المبين الذي يفهمه عامة الناس وخاصتهم وتلك الدلائل معارضة بما هو اصح منها واصرح ، لكن هؤلاء لا يقبلون رواية اهل السنة ، فلا حاجة الى الاطالة بذكرها

(الوجه الرابع) ان دعواهم النص على إمامته رضي الله عنه قد عارضها أقوام ادعوا النص على العباس وعلى غيره ، فالدعاوي الباطلة تمكن كل احد . وقد قال الامام أبو محمد بن حزم في كتاب (الملل والنحل)

«اتفق جميع فرق اهل القبلة وجميع المعتزلة وجميع المرجئة وجميع الشيعة وجميع الخوارج — حاشا النجدات من الخوارج خاصة[1] — على وجوب الامامة فرضا ، وان على الامة الانقياد لامام عدل يقيم فيهم أحكام الله عز وجل ، ويسوسهم بأحكام الشريعة . ثم اختلف القائلون بوجوب الامامة على فرقتين: فذهب أهل السنة وجميع الشيعة وجمهور المرجئة وبعض المعتزلة الى أن الامامة لا تجوز الا في قريش خاصة من كان من ولد فهر بن مالك . وذهبت الخوارج كلها وبعض المرجئة وبعض المعتزلة الى انها جائزة في كل من قام بالكتاب والسنة قرشيا كان أو عربيا او عجميا . قال أبو محمد : وبوجوب الامامة في ولد فهر بن مالك نقول، لنص رسول الله ﷺ على أن الأئمة من قريش . وهذه رواية جاءت مجيء التواتر ، رواها أنس بن مالك وعبد الله بن عمر بن الخطاب ومعاوية رضي الله عنهم ، وروى (جابر) ابن عبد الله وجابر بن سمرة وعبادة بن الصامت رضي الله عنهم معناها . ومما يدل على معناها اذعان الانصار يوم السقيفة وهم أهل الدار والمنعة والعدد والسابقة في الاسلام رضي الله عنهم ، ومن المحال الممتنع الباطل أن يتركوا اجتهادهم لاجتهاد غيرهم لولا قيام الحجة عليهم بنص رسول الله ﷺ على أن الحق لغيرهم في ذلك

ثم قال : ولا يخلو قول رسول الله ﷺ « الأئمة من قريش » من أحد

---

(١) وهم المنسوبون الى نجدة بن عمير الحنفي القائم باليمامة

وجهين لا ثالث لها : إما أن يكون أمراً وإما أن يكون خبراً ، فان كان أمرا فمخالف امر رسول الله ﷺ فاسق ، وعمله مردود ، وان كان خبرا فمجيز تكذيب رسول الله ﷺ كافر

«ثم اختلف القائلون بأن الامامة لاتكون إلا في صلبة قريش فقالت طائفة : هي جائزة في جميع ولد فهر بن مالك فقط ،وهذا قول اهل السنة وجميع المرجئة وبعض المعتزلة . وقالت طائفة لا تجوز الخلافة الا في ولد جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، ثم قصروها على عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر . وقال بعض بني الحارث بن عبد المطلب: لا تجوز الخلافة الا لبني عبد المطلب خاصة وهم أربعة فقط لم يعقب لعبد المطلب غيرهم وهم : العباس والحارث وأبو طالب وأبو لهب . وبلغنا عن رجل من أهل طبرية الاردن: لا تجوز الخلافة الا في بني امية بن عبد شمس وكان له في ذلك تأليف مجموع ورويناكتابا مؤلفا لرجل من ولد عمر بن الخطاب رضي الله عنه يحتج فيه بأن الخلافة لا تجوز إلا في ولد أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فقط

قال أبو محمد « وهذه الفرق الاربعة لم نجد لهم شبهة تستحق ان يشتغل بها الا دعاوي كاذبة لا وجه لها مع انقطاع القائلين بها ودثورهم

وقالت طائفة لاتجوز الخلافة الا في ولد العباس وهو قول الراوندية[1] واحتجوا بأن العباس كان عاصب رسول الله ﷺ ووارثه . قالوا فاذا كان كذلك فقد ورث مكانه، وهذا ليس بشيء لان الميراث لو صح له لما كان ذلك الا في المال خاصة، وأما المرتبة فما جاء قط في الديانة انها تورث فبطل هذا التمويه جملة ولله الحمد ،

«وقد صح باجماع جميع أهل القبلة — حاشا الروافض — ان رسول الله ﷺ قال « إنا لا نورث ، ماتركناه صدقة » فاعترضوا بقول الله عز وجل (وورث سليمان داود) وقوله تعالى حاكيا عن زكريا (فهب لي من لدنك وليا يرثه

(١) نسبة الى ابن الراوندي

ويرث من آل يعقوب) وهذا لا حجة لهم فيه لان الرواة وحملة الاخبار وجميع التواريخ القديمة وكواف بني اسرائيل ينقلون بلا خلاف نقلا يوجب العلم : ان داود عليه السلام كان له بنون ذكور جماعة غير سليمان فصح أن سليمان ورث النبوة وهكذا القول في ميراث يحيى بن زكريا عليهما السلام وبرهان ذلك من نص الآية نفسها قول زكريا عليه السلام (يرثني ويرث من آل يعقوب) فأي شيء كان يرث من آل يعقوب؟ لكل سبط من أسباط يعقوب عصبات عظيمات وهم مئو ألوف فصح انه انما رغب في ولد يرث عنه وعن آل يعقوب النبوة فقط وأيضا فمن المحال أن يرغب زكريا في ولد يحجب عصبته عن ميراث اذ انما يرغب في هذا ذو الحرص على الدنيا وحطامها ، وقد كان العباس حيا قائما إذ مات رسول الله ﷺ فما ادعى العباس لنفسه في ذلك حقا لا حينئذ ولا بعد ذلك فصح انه رأي محدث فاسد لا وجه للاشتغال به ومارضيه أحد قط من خلف ولده ولا من امثالهم ترفعا عن سقوط هذه الدعوى ووهنها وبالله التوفيق

«وأما القائلون بان الامامة لاتكون إلا في ولد علي بن أبي طالب رضي الله عنه فانهم انقسموا قسمين، فقالت طائفة: ان رسول الله ﷺ نص على علي رضي الله عنه بانه الخليفة بعده . وان الصحابة رضي الله عنهم بعد موته اتفقوا على ظلم علي رضي الله عنه وعلى كتمان ذلك النص وهؤلاء هم الروافض ، وطائفة قالت لم ينص النبي ﷺ على علي، لكنه كان أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ وأحقهم بالخلافة، وهؤلاء هم الزيدية نسبوا الى زيد بن علي بن الحسين رضي الله عنهم، ثم اختلفت الزيدية فرقا فقالت طائفة ان الصحابة ظلموه ، فكفروا كل من خالفه من الصحابة رضي الله عنهم، وهم الجارودية، وقالت طائفة لم يظلموه لكن طابت نفسه بتسليم حقه إلى ابي بكر وعمر رضي الله عنهما، وانهما اماما هدى ووقف بعضهم في عثمان رضي الله عنه وتولاه بعضهم وجميع الزيدية لا يختلفون في ان الامامة في جميع بني

علي بن أبي طالب رضى الله عنه من خرج منهم يدعو الى الكتاب والسنة وجب سل السيف معه

«وقالت الروافض باجمعهم: الامامة في علي رضي الله عنه وحده بالنص عليه، ثم في الحسن ثم في الحسين رضي الله عنهما، وادعوا نصا آخر من النبي ﷺ عليهما بعد أبيهما، ثم علي بن الحسين لقول الله عز وجل (وأولو الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله) قالوا فولد الحسين أحق من بني أخيه الحسن، ثم محمد بن علي بن الحسين، ثم في جعفر بن محمد، ثم افترقت الرافضة بعد موت هؤلاء المذكورين وموت جعفر بن محمد فقالت طائفة بامامة ابنه اسماعيل ابن جعفر وادعوا انه حي لم يمت، والذي لاشك فيه انه مات في حياة أبيه وهو كان أكبر بنيه. وقالت طائفة بامامة ابنه محمد بن جعفر. وقالت طائفة جعفر بن محمد حي لم يمت

«وقال جمهور الروافض بامامة ابنه موسى بن جعفر ثم علي بن موسى ثم محمد ابن علي بن موسى ثم علي بن محمد بن علي بن موسى، ثم الحسن بن علي ثم مات الحسن عن غير عقب فافترقوا فرقا وثبت جمهورهم على انه ولد للحسن ولد فأخفاه، وقيل بل ولد له بعد موته من جارية له اسمها صقيل

«وكانت طائفة قديمة رئيسهم المختار بن أبي عبيد الثقفي وكيسان المكنى بأبي عمرة وغيرهم يذهبون إلى ان الامام بعد الحسين بن علي رضي الله عنه اخوه محمد المعروف بابن الحنفية، ومن هذه الطائفة السيد بن اسماعيل الحميري الشاعر، وكثير عزة الشاعر، وكانوا يقولون ان محمد بن الحنفية حي بجبل رضوى، ولهم من التخليط ماتضيق عنه الصحف الكثيرة.

«وعمدة هذه الطوائف كلها في الاحتجاج أحاديث مكذوبة موضوعة لا يعجز عن توليد مثلها من لادين له ولا حياء

قال ابو محمد «لا معنى لاحتجاجنا عليهم بروايات تنافيهم لا يصدقونها وانما يجب أن

يحتج الخصوم بعضهم على بعض بما يصدقه الذي تقام به عليه الحجة سواء صدقه المحتج به اولم يصدقه لان من صدق شيئا لزمه القول به أو بما يوجب العلم الضروري فيصير الخصم حينئذ ان خالفه مكابراً بالباطل منقطعاً . إلا أن بعض مايشغبون به أحاديث صحيحة منها قول رسول الله ﷺ لعلي « أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا انه لا نبي بعدي »

قال أبو محمد « وهذا لايوجب فضل علي على من سواه ولا استحقاق الامامة بعده لان هارون عليه السلام لم يل أمر بني اسرائيل بعد موسى عليهما السلام وانما ولي الامر بعد موسى عليه السلام فتاه يوشع بن نون وهو صاحبه الذي سافر معه في طلب الخضر عليهما السلام كما ولي الامر بعد رسول الله ﷺ صاحبه في الغار الذي سافر معه إذ هاجر ﷺ إلى المدينة وإذا لم يكن علي نبيا كما كان هارون ولا كان هارون خليفة على بني أسرائيل بعد موسي عليهما السلام . فقد صح أن كونه من رسول الله ﷺ بمنزلة هارون من موسى عليهما السلام انما هو في القرابة فقط . وأيضا فانما قال رسول الله ﷺ هذا القول إذ استخلفه على المدينة في غزوة تبوك فقال المنافقون استثقله فخلفه فلحق علي رضي الله عنه برسول الله ﷺ حينئذ فشكا اليه فقال ﷺ « أنت مني بمنزلة هارون من موسى » لاستخلافه إياه على المدينة مختاراً له . ثم قد استخلف ﷺ قبل تبوك وبعدها على المدينة في غزواته وعمره وحجه رجالا سوى علي رضي الله عنه

فصح أن هذا الاستخلاف لايوجب لعلي فضلا على غيره ممن استخلفه ، ولا يوجب أيضا ولاية الامر بعده ﷺ كما لم يوجب ذلك لغيره من المستخلفين

قال أبو محمد « وعمدة ما احتجت به الامامية أنه لابد أن يكون إمام معصوم، عنده جميع علم الشريعة يرجع الناس اليه في أحكام الدين ليكونوا مما تعبدوا به على يقين

قال أبو محمد « هذا لا شك فيه وهو معروف ببراهينه الواضحة ، وأعلامه

المعجزة وآياته الباهرة ، وهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب رسول الله الينا ببيان دينه الذي الزمنا اياه ﷺ ، فكان كلامه وعهوده وما بين وبلغ من كلام الله عز وجل حجة باقية معصومة من كل آفة — الى كل من بحضرته وإلى من كان في حياته غائبا عن حضرته وإلى كل من يأتي بعد موته ﷺ الى يوم القيامة — من جن وانس قال عز وجل (اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون)

فهذا نص ما قلناوابطال اتباع أحد دون رسول الله ﷺ ، وانما الحاجة الى فرض الامامة لينفذ الامام عهود الله عز وجل الواردة الينا على من عند فقط لا لان يأتي الناس بما لا يشاؤونه في معرفته من الدين الذي أتاهم به رسول الله ﷺ. ووجدنا عليا رضي الله عنه اذ ادعي الى التحاكم بالقرآن اجاب. واخبر ان التحاكم الى القرآن حق ، فان كان علي رضي الله عنه أصاب في ذلك فهو قولنا ، وان كان أجاب الى الباطل فهذه غير صفته رضي الله عنه ، ولو كان التحاكم الى القرآن لا يجب الا بحضرة الامام لقال علي حينئذ كيف تطلبون تحكيم القرآن وأنا الامام المبلغ عن رسول الله ﷺ

فان قالوا إذ مات رسول الله ﷺ فلا بد من أمام يبلغ الدين . قلنا هـذا باطل ودعوى بلا برهان وقول لا دليل على صحته ، وانما الذي يحتاج اليه أهل الارض من رسول الله ﷺ فهو بيانه ﷺ وتبليغه فقط سواء في ذلك من كان بحضرته ومن غاب عنه ومن جاء بعده اذ ليس في شخصه المقدس ﷺ اذا لم يتكلم أو يعمل بيان عن شيء من الدين فالمراد عنـه ﷺ ق أبدا مبلغ الى كل من فى الارض .

وأيضا : فلو كان ما قالوا من الحاجة إلى أمام موجود ابدا لـكان ذلك منتقضا عليهم بمن كان غائبا عن حضرة الامام في أقطار الارض ، اذ لا سبيل

الى مشاهدة الامام لجميع أهل الارض في المشرق والمغرب من فقير وضعيف وامرأة ومريض ومشغول بمعاشه لذي يهلك أن أغفله ، فلا بد من التبليغ عن الامام. فالتبليغ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أولى بالاتباع من التبليغ عمن دونه . وهذا مالا انفكاك منه

قال أبو محمد « لا سيما وجميع أئمتهم الذين يدعون بعد علي ابن أبي طالب والحسن والحسين ابنيه رضي الله عنهم ما أمروا قط في غير منازل سكناهم ولا حكموا على قرية فما فوقها بحكم. فما الحاجة اليهم لاسيما منذ مائة ونيف وثمانين عاما فانهم ينتظرون اماما ضالة من الضوال لم يخلق كعنقاء مغرب هم أولو فحش وقحة وبهتان ودعوى كاذبة لا يعجز عنها أحد

«ويقال لهم أيضا كون الدين كله عند امام واحد معصوم من حين موت النبي ﷺ الى انقضاء الدهر لا يخلو من أن يكون أحكام الدين عند ذلك الامام من أحد ثلاثة أوجه لا رابع لها إما عن وحي من الله عز وجل فهذه نبوة ومن قال بنبوة بعد رسول الله ﷺ غير المسيح فقد كفر وارتد وحل دمه أو عن إلهام وهذا وسواس من الشيطان وليس هو اولى بدعوى الالهام من غيره او بتعليم من رسول الله ﷺ فان كان رسول الله ﷺ أعلم سائر الناس بما اعلم به علي بن ابي طالب فعلي وغيره في ذلك سواء ولا فرق وان كان ﷺ كتم من سائر الناس ما علمه علي بن ابي طالب فلم يبلغ كما امر . قال تعالى (لتبين للناس ما نزل اليهم) فمن قال انه ﷺ لم يبين للناس ما انزل الله اليه بل كتمهم إياه وخص به علي بن أبي طالب سرا فقد كفر اذ وصف النبي ﷺ بانه عصى أمر ربه تعالى له بالبيان للناس جهاراً فبطل ما ادعوه يقينا من كل وجه والحمد لله رب العالمين .

«وايضا فنقول لهؤلاء المخاذيل وبالله التوفيق : هل بين هؤلاء ما ادعوه من

الدين أو لم يبينوا ولا بد من أحدهما فان قالوا بينوا ما عندهم قلنا وتبيين أولهم يكفي عن الآخر منهم لانه يصير ما بين عند الناس ينقلونه جيلا عن جيل فبطلت الحاجة اليهم فان قالوا لم يبينوا وهو قولهم لانهم عندهم صامتون حتى يأتي الامام الناطق

(الثاني عشر) قلنا لهم فهل حاقت بهم اللعنة من الله تعالى بنص القرآن اذ لم يبينوا ما عندهم من الهدى . وبالجملة فما أمة أحمق من الروافض والنصارى جملة

قال ابو محمد «وبرهان آخر ضروري وهو أن رسول الله ﷺ مات وجمهور الصحابة رضي الله عنهم حضور ـ حاشا من كان منهم في النواحي ـ فما منهم أحد أشار إلى الناس في علي بكلمة يذكر فيها ان رسول الله ﷺ نص عليه ولا ادعى ذلك علي رضي الله عنه قط، لا في ذلك الوقت ولا بعده، ولا ادعاه أحد له ولا بعده في ذلك الوقت. ومن المحال الممتنع الذي لا يمكن ألبتة ولا يجوز اتفاق أكثر من عشرين ألف انسان متنابذي الهمم والنيات والانساب أكثرهم موتور من صاحبه في الدماء من الجاهلية على طي عهده ﷺ اليهم وما وجدنا قط رواية عن أحد بهذا النص المدعى إلا رواية موضوعة واهية عن قوم مجهولين لا يعرفهم أحد عن مجهول يكني أبا الحمراء لا يعرف من هو ، ووجدنا عليا رضي الله عنه قد توقف عن بيعة أبي بكر رضي الله عنه ستة أشهر فما أكرهه أبو بكر على البيعة حتى بايع طائعا مبادراً راجعا عن تأخره عنها مختاراً غير مكره، فكيف حل لعلي عند هؤلاء النوكي أن يبايع طائعا لرجل كافر أو فاسق جاحد لنص رسول الله ﷺ وأن يعينه على أمره ، وأن يشاهد في مجلسه وأن يواليه إلى أن مات . ثم بايع بعده عمر بن الخطاب رضي الله عنه مبادراً غير متردد ساعة فما فوقها غير مكره بل طائعاً ، وصحبه وأعانه على أمره ، وأنكحه ابنته من فاطمة رضي الله عنها، ثم قبل ادخاله في الشورى أحد ستة رجال؟ فكيف حل لعلي رضي الله عنه عند هؤلاء الجهال أن

يشارك بنفسه في شورى ضلالة أو كفر ، وأن يغر الامة هذا الغرور؟ هذا الامر أدى أبا كامل — وهو من أئمة الروافض — إلى تكفير علي لأنه زعم انه أعان الكفار على كفرهم، وأيدهم على كتمان الديانة، وعلى ستر مالا يتم الدين إلا به

قال ابو محمد « ولا يجوز أن يظن بعلي رضي الله عنه انه أمسك عن ذكر النص عنه خوف الموت وهو الاسد شجاعة قد عرض نفسه للموت بين يدي رسول الله ﷺ مرات ثم يوم الجمل وصفين، فما الذي جبنه بين هاتين الحالتين؟ وما الذي ألف بين بصائر الناس على كتمان حق علي رضي الله عنه ومنعه حقه مذ مات رسول الله ﷺ الى أن قتل عثمان رضي الله عنه ؟ ثم ما الذي جلى بصائرهم في عونه إذ دعا لنفسه فقامت معه طوائف من المسلمين عظيمة وبذلوا دماءهم دونه، ورأوه حينئذ صاحب الامر والاولى بالحق ممن نازعه ؟ فما الذي منعه ومنعهم من الكلام واظهار النص الذي يدعيه الكذابون إذ مات عمر رضي الله عنه وبقي الناس بلا رأس ثلاثة أيام، أو يوم السقيفة ؟

وأظرف من هذا كله بقاؤه ممسكا عن بيعة أبي بكر رضي الله عنه ستة أشهر فما سئلها، ولا أجبر عليها ولا كلفها ، وهو متصرف بينهم في أموره ، فلولا أن رأى الحق فيها فاستدرك أمره فبايع طالباً حظ نفسه في دينه راجعا عن الخطا الى الحق لما بايع . فان قالت الروافض انه بعد ستة أشهر رأى الرجوع عن الحق الى الباطل، فقولهم هو الباطل حقا ، لا مافعل علي رضي الله عنه ثم ولي علي رضي الله فما غير حكما من أحكام أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم. ولا أبطل عهداً من عهودهم، ولو كان ذلك عنده باطلا لما كان في سعة من أن يمضي الباطل وينفذه وقد ارتفعت التقية عنه.

«وأيضاً فقد نازع الانصار رضي الله عنهم أبا بكر رضي الله عنه ودعوا الى بيعة سعد بن عبادة . ودعا المهاجرون الى بيعة ابي بكر رضي الله عنه، وقعد علي رضي الله عنه في بيته لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء، ليس معه أحد غير الزبير بن العوام رضي الله عنه،

ثم استبان الحق للزبير فبايع سريعاً ، وبقي علي وحده لايرقب عليه ولا يمنع من لقاء الناس ، ولا يمنع أحد من لقائه، فلا يخلو رجوع الانصار كلهم الى بيعة أبي بكر رضي الله عنه من أن يكون عن أحد ثلاثة أوجه لارابع لهـا ألبتة : إما عن غلبة، وإما عن ظهور حقه اليهم فأوجب عليهم الانقيـاد لبيعته ، وإما فعلوا ذلك مطارفة لغير معنى . فان قالوا بايعوه بغلبة ظهر فاحش كذبهم ، لانه لم يكن هناك قتال ولا تضارب ولا سباب ولا تهديد، ولا وقت طويل ينفسح للوعيد ولا سلاح مأخوذ ، ومن المحال الممتنع أن يترك أزيد من ألفي فارس انجاد أبطال كلهم عشيرة واحدة ، وقد ظهر من شجاعتهم مالا مرمى وراءه، وهو أنهم بقوا ثمانية أعوام متصلة محاربين لجميع العرب في أقطار بلادهم ، موطنـين على الموت متعرضين مع ذلك لحرب قيصر والروم بمؤتة وغيرها، ولحروب كسرى والفرس ببصرى، من يخاطبهم يدعوه ويدعوهم الى اتباعه ، وأن يكونوا كأحد من بين يديه. هذه صفة الانصار التي لاينكرها الا رقيع مجاهر بالكذب

«فمن المحال الممتنع الذي لايمكن البتة أن يرهبوا أبا بكر ورجلين أتيا إلى مجلسهم فقط ، وابو بكر رضي الله عنـه لايرجـع الى عشيرة كـثيرة ولا إلى موالي، ولا الى عصبة ، ولا إلى مال،فرجعوا اليه ـ وهو عندهم مبطل ـ وبايعوه بلا تردد نصف يوم فأكثر

«وكذلك يبطل أن يرجعوا عن قولهم وما كانوا قد رأوه من أن الحق حقهم، وعن بيعة ابن عمهم مطارفة بلا معنى ولا خوف ولا ظهور الحق اليهم. فمن المحال اتفاق أهواء هذا العدد العظيم على ما يعرفون انه باطل دون خوف يضطرهم إلى ذلك ، ودون طمع يتعجلونه من مال أو جاه، بل فيمافيه ترك العز والرياسة والدنيا وتسليم كل ذلك لرجل أجنبي لا عشيرة له ولا منعـة ولا حاجب ولا حراس على بابه ،ولا قصر يمنعه ولا موالي ولامال، فأين كان علي وهو الذي لا نظير له في

الشجاعة ومعه جماعة بني هاشم وبني المطلب من قتل هذا الشيخ الذي لا دافع دونه لو كان عنده ظالما ، أو عن منعه وزجره إن لم يستحل قتله ، بل قد علم والله علي أن أبا بكر رضي الله عنه على الحق ، وان من خالفه على الباطل ، فأذعن للحق إذ تبينه بعدما عرضت له فيه كبوة

« وكذلك الانصار رضي الله عنهم انما رجعوا الى بيعته بلا شك ولا مرية لبرهان حق صح عندهم عن النبي ﷺ لا لاجتهاد كاجتهادهم ، ولا لظن كظنهم ، إذ لم يبق غير ذلك ، وبطل كل ما سواه يقيناً

« وإذ قد بطل أن يكون الامر في الانصار ، وزالت الرياسة عنهم فما الذي حملهم كلهم أولهم عن آخرهم على أن يتفقوا على جحد نص النبي ﷺ على إمامة علي رضي الله عنه ؟ ومن المحال الممتنع أن تتفق آراؤهم كلهم على معاونة من ظلمهم ، وغصبهم حقهم بالباطل ، إلا أن يدعي الروافض انهم كلهم اتفق لهم نسيان ذلك العهد . فهذه أعجوبة من المحال غير ممكنة ، ثم لو أمكنت لجاز لكل أحد أن يدعي فيما شاء من المحال انه قد كان وان الناس كلهم نسوه ، وهذا إبطال الحقائق كلها

« وأيضا فان كان جميع أصحاب رسول الله ﷺ اتفقوا على جحد ذلك النص وكتمانه ، واتفقت طبائعهم كلهم على نسيانه ، فمن أين وقع الى الروافض علمه ؟ ومن بلغه اليهم ؟ وهذا هوس ومحال . فبطل الامر في دعوى النص على علي رضي الله عنه بيقين لا يشك فيه ، والحمد لله رب العالمين

« فان قال قائل : ان علي بن أبي طالب رضي الله عنه كان قد قتل الاقارب بين يدي رسول الله ﷺ . فتولد له بذلك حقد في قلوب جماعة من الصحابة رضي الله عنهم ، فلذلك انحرفوا عنه ، قلنا لهم هذا تمويه ضعيف كاذب لانه ان ساغ لكم في بني عبد شمس وبني مخزوم وبني عبد الدار وبني عامر بن لؤي لانه قتل من كل قبيلة من هذه القبائل رجلا أو رجالا ، فقتل من بني عامر بن لؤي رجلا

واحداً فقط وهو عمرو بن عبدود ، وقتل من بني مخزوم وبني عبد الدار رجالا وقتل من بني عبد شمس الوليد بن عتبة بن ربيعة ، وقيل انه قتل عقبة بن أبي معيط ، وقيل لم يقتله الا عاصم بن ثابت الانصاري رضي الله عنه ولا مزيد ،

«فقد علم كل من له أقل علم بالاخبار انه لم يكن لهذه القبائل ولا لأحد منها يوم السقيفة عقد ولا حل ، ولا رأي ولا أمر ، اللهم الا أن أبا سفيان بن حرب بن أمية كان مائلا الى علي رضي الله عنه في ذلك تعصباً للقرابة لا تدينا ، وكان ابنه يزيد وخالد بن سعيد بن العاص والحارث بن هشام المخزومي رضي الله عنهم مائلين مع الانصار تدينا ، والانصار رضي الله عنهم قتلوا أبا جهل أخا الحارث ، وكان محمد بن أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة شديد الميل الى علي رضي الله عنه حين قصة عثمان رضي الله عنه وبعد ذلك ، ولذلك قتله معاوية رضي الله عنه صبراً على عثمان رضي الله عنه ، فعرفونا من قتل علي من بني تيم بن مرة أومن بني عدي بن كعب أومن بني الحارث بن فهر رهط أبي عبيدة رضي الله عنه حتى يظن أهل القحة انهم حقدوا عليه ؟ ثم أخبرونا من قتل علي من الانصار رضي الله عنهم أو من جرح منهم أو من آذى منهم؟ ألم يكونوا معه في تلك المشاهد كلها ، بعضهم متقدم ، وبعضهم مساوله ، وبعضهم متأخر عنه ؟ فأي حقد له في قلوب الانصار حتى يطبقوا كلهم على جحد النص عليه وعلى ابطال حقه ، وعلى ترك ذكر اسمه جملة ، وعلى إيثار سعد بن عبادة عليه ، وعلى إيثار أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم عليه ، والمسارعة إلى بيعتهم دونه بالخلافة ، وهو بين أظهرهم ، يرونه غدوا وعشيا لا يحول أحد بينهم وبينه ؟

«ثم أخبرونا من قتل علي من أقارب المهاجرين من العرب من مضر وربيعة واليمن وقضاعة حتى يطبقوا كلهم على كراهة ولايته ويتفقوا كلهم على جحد النص عليه ؟ وان هذه العجائب لا يمكن اتفاق مثلها في العالم أصلا

«ولقد كان لطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص من القتل في المشركين كالذي كان لعلي فما الذي خصه باعتقاد الاحقاد له لو كان للروافض حياء وعقل؟ ولقد كان لابي بكر رضي الله عنه في مضادة قريش في الدعاء الى الاسلام مالم يكن لعلي، فما منعهم ذلك من بيعته، وهو أسوأ الناس أثراً عندهم في حال كفرهم. ولقد كان لعمر بن الخطاب رضي الله عنه في مغالبة كفار قريش واعلانه الاسلام على زعمهم مالم يكن لعلي

«فليت شعرى ماالذي اذهب آثار هؤلاء وأوجب أن ينسى وأوجب أن يعادوا عليا من بينهم كلهم؟ لولا قلة حياء الروافض وصفاقة وجوههم، حتى بلغ الامر بهم الى أن عدوا على سعد واسامة وابن عمر رضي الله عنهم وعلى رافع بن خديج ومحمد بن مسلمة وزيد بن ثابت وابي هريرة وأبي الدرداء وجماعة من الصحابة رضي الله عنهم سواء هؤلاء من المهاجرين والانصار- انهم لم يبايعوا عليا إذ دعا الى نفسه، ثم بايعوا معاوية رضي الله عنه ويزيد ابنه-من أدركه منهم-وادعوا ان تلك الاحقاد حملتهم على ذلك.

قال ابو محمد «حمق الروافض وشدة ظلمة جهلهم وقلة حيائهم هورهم في الدمار والبوار والعار والنار وقلة المبالاة بالفضائح

«وليت شعري أي خماشة وأي كلمة خشنة كانت بين علي وبين هؤلاء او واحد منهم؟ وانما كان هؤلاء ومن جرى مجراهم لايرون بيعة، في فرقة فلما أصفق المسلمون على من أصفقوا عليه كائنا ما كان دخلوا في الجماعة، وهكذا فعل من أدرك من هؤلاء ابن الزبير ومروان، فانهم قعدوا عنهما فلما انفرد عبد الملك بن مروان دخلوا في الجماعة وبايعه من أدركه منهم لا رضا عنه ولا عداوة لابن الزبير ولا تفضيلا لعبد الملك على ابن الزبير، لكن لما ذكرناه. وهكذا كان أمرهم في علي ومعاوية رضي الله عنهما،

« فلاحت نوكة هؤلاء المجانين والحمد لله رب العالمين.

« فصح ضرورة بكل ماذكرنا أن القوم أنزلوه منزلته غير غالين فيه ، ولا مقصرين به رضي الله عنهم اجمعين ، وانهم قدموا الاحق فالاحق والافضل فالافضل ، وساووه بنظرائه منهم

«ثم أوضح برهان وأبين بيان في بطلان أكاذيب الروافض أن عليا رضي الله عنه اذ دعا لنفسه بعد قتل عثمان رضي الله عنه سارعت طوائف من المهاجرين والانصار الى بيعته، فهل ذكر أحد من الناس قط أن أحداً من الذين بايعوه اعتذر اليه مما سلف من بيعتهم لابي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم ؟ أوهل تاب أحد منهم من جحده للنص على امامته ؟ او هل قال أحد منهم لقد تذكرت النص الذي كنت نسيته في أمر هذا الرجل ؟ ان عقولا خفي عليها هذا الظاهر اللائح لعقول مخذولة لم يرد الله أن يهديها

«ثم مات عمر رضي الله عنه وترك الامر شورى بين ستة من الصحابة رضي الله عنهم علي أحدهم ، ولم يكن في تلك الايام الثلاثة سلطان يخافه أحد ولا رئيس يتوقع، ولا مخافة من أحد، ولا جند معد للتغلب

«أفترى لو كان لعلي رضي الله عنه حق ظاهر يختص به من نص عليه من رسول الله ﷺ، او من فضل بائن على من معه ينفرد به عنهم . اما كان الواجب على علي رضي الله عنه أن يقول : أيها الناس كم هذا الظلم لي ؟ وكم هذا الكتمان لحقي ؟ وكم هذا الجحد لنص رسول الله ﷺ علي ؟ وكم هذا الاعراض عن فضلي البائن على هؤلاء المقرونين بي ؟ فاذ لم يفعل فلا أدري لماذا ؟ أما كان في بني هاشم على كثرتهم يومئذ أحد له دين يقول هذا الكلام ؟ إما العباس عمه ـ وجميع المسلمين على توقيره وتعظيمه، حتى ان عمر رضي الله عنه توسل به إلى الله عز وجل بحضرة المسلمين في الاستسقاء ، واما أحد بنيه ، واما عقيل، وإما أحد بني جعفر وبني الحارث او بني أبي لهب او مواليهم. فاذا لم يكن أحد منهم يتقي الله عز وجل ولا يأخذه في قول

الحق مداهنة، اما كان في جميع اهل الاسلام من المهاجرين والانصار وغيرهم واحد يقول : يامعشر المسلمين قد زالت الرقبة ، وهذا الرجل علي بن أبي طالب له حق واجب بالنص عليه، وله فضل بائن ظاهر لا يمترى فيه، فبايعوه ، فامره بين اصفاق جميع الامة أولها عن آخرها من برقة إلى خراسان ومن اذربيجان وأرمينيه الى أقصى اليمن إذ بلغهم الخبر على السكوت عن حق هذا الرجل واتفاقهم على ظلمه ومنعه من حقه ، وليس هنالك شيء يخافونه - لأحدى عجائب المحال الممتنع ، وفيهم الذين بايعوه بعد ذلك إذ صار الحق حقه وقتلوا أنفسهم دونه ، فاين كانوا عن إظهار ماتنبهت له الروافض الانذال بعد مائة وخمسين عاما ؟ ثم مع هذا الكتمان والنسيان كيف بلغ الروافض علمه ؟ ومن بلغه اليهم ؟ ثم العجب اذا كان غيظهم عليه هذا الغيظ الذي تزعمه الروافض كذبا منهم ، واتفاقهم على جحد حقه هذا الاتفاق كيف تورعوا عن قتله ليستريحوا منه؟ ام كيف أكرموه وبروه » انتهى ماذكرته من كلام الامام ابي محمد بن حزم ملخصا وهو شاف كاف في الرد على هذا المعترض واهل مذهبه

فصل

﴿ في وصف العالم الزيدى الشيعة الامامية بالغلو كالباطنيه ، وإثباته غلو الزيدية دون غلوهما ﴾

وأما قوله (واهل البيت وصفوة شيعتهم لم يصنعوا إلا كما صنع علي، فلم يغلو غلو الامامية ولا الباطنية ، نسأل الله العافية)

(فالجواب) أن يقال: ماذكره هذا المعترض كاف في غلوه في حق علي رضي الله عنه ، وفي الكذب على الله وعلى رسوله ﷺ وفي قلة الحياء، ودعواه تشبه دعوى الامامية، لان دعوى الفريقين من أبطل الباطل وأبين المحال ، وان كان

قول الامامية والباطنية أظهر بطلانا وأبين ضلالا ، وعندهم من الدلائل الباطلة والاحاديث المكذوبة أكثر مما عند هذا وسلفا ، حتى انهم يستدلون بآيات كثيرة من القرآن كما رأيناه مسطوراً في كتبهم ، وفي هذا لك عبرة عظيمة تبين لك أن ليس كل من ادعى اتباع اهل البيت مصيب في دعواه . والله أعلم

وأما قوله: في المسئلة الرابعة — ما المراد بقوله تعالى (وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين) ثم ذكر ماذكره ابن مردويه عن أسماء بنت عميس سمعت رسول الله ﷺ يقول « وصالح المؤمنين: علي بن أبي طالب » فهذا أصل دعوى اهل البيت سلام الله عليهم وشيعتهم في تخصيص علي بالآية الكريمة — إلى قوله — وانظر بعين الانصاف في آية المباهلة حين جعل علي عليه السلام مع أخيه المصطفى نفس الانفس ، وهل أخرج رسول الله ﷺ بيانا للانفس غير علي؟ بل ترك القريب والبعيد وأبرز عليا وفطمة والحسين سلام الله عليهم)

(فالجواب) من وجوه (الوجه الاول) أن يقال ذكر صاحب الدر المنثور في تفسير الآية أقوالا عن المفسرين ، فأول ماذكر في ذلك قال: أخرج ابن عساكر من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: كان أبي يقرؤها وصالح المؤمنين ابو بكر وعمر . وأخرج ابن عساكر عن ميمون بن مهران مثله ، وأخرج ابن عساكر عن الحسن البصري في قوله (وصالح المؤمنين) عمر بن الخطاب رضي الله . وأخرج ابن عساكر عن مقاتل بن سليمان قال: ابو بكر وعمر وعلي . وأخرج ابن عساكر من طريق مالك بن أنس عن زيد بن زيد في قوله (وصالح المؤمنين) قال الانبياء ، وأخرج ابن عساكر عن ابن مسعود عن النبي ﷺ في قوله (وصالح المؤمنين) ابو بكر وعمر . وأخرج الطبراني وابن مردويه وابو نعيم في فضائل الصحابة عن ابن مسعود عن النبي ﷺ في قوله (وصالح المؤمنين) قال صالح المؤمنين ابو بكر وعمر ، وأخرج في الاوسط وابن مردويه عن ابن عمر

وابن عباس في قوله (وصالح المؤمنين) قال نزلت في أبي بكر وعمر. وأخرج سعيد ابن منصور وابن المنذر وابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير في قوله (وصالح المؤمنين) قال نزلت في عمر بن الخطاب خاصة . وأخرج الحاكم عن أبي أمامة في قوله (وصالح المؤمنين) قال أبو بكر وعمر

فكل هذه الروايات نقلها السيوطي، ثم ذكر الروايات في انها في علي ، وذكر ان اسنادها ضعيف، فهؤلاء أئمة التفسير قد نقضوا عليك ما ادعيت من الخصوص

(الوجه الثاني) قوله (الملازم له في جميع الطرائق، المؤنس له في مدلهمات المضايق)

فيقال : تخصيص علي بذلك دون سائر الصحابة كذب ظاهر ، ومكابرة عند أولي البصائر ، كما يعرف ذلك من طالع كتب السير والتواريخ ، وهو رضي الله عنه من صغار السابقين الاولين في السن

(الوجه الثالث) قوله (وعند ابتداء النبوة والتفرد عن الناس بدين الله الأتم المستنكر عند أهله وقومه ﷺ استوحش غاية الوحشة ، وكان علي هو الولي الأتم ، والفاضل الأقدم)

فيقال : تخصيص علي بذلك دون خديجة وزيد بن حارثة وأبي بكر الصديق رضي الله عنهم اجمعين كذب ظاهر فاحش، وغلو لا يمتري فيه إلا كل جاهل غبي، ومعلوم ان خديجة عليها السلام ورضي الله عنها أعظم من آنسه عند ابتداء الوحي، كما ثبت في الصحيحين والمسانيد والسنن والسير وكتب التفاسير «انه عليه السلام لما نزل عليه الوحي في غار حراء وغطه الملك ثلاث مرات حتى بلغ منه الجهد ثم أرسله وقال له (اقرأ باسم ربك الذي خلق ـ الى قوله ـ مالم يعلم) فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده حتى دخل على خديجة . وقال « زملوني زملوني » وأخبرها الخبر وقال « لقد خشيت على نفسي » فقالت له خديجة : ابشر فوالله لا يخزيك الله أبداً ، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتقري الضيف ، وتكسب المعدوم،

وتعين على نوائب الحق . ثم ذهبت به إلى ابن عمها ورقة بن نوفل ـ وكان قد تنصر في الجاهلية وقرأ الكتب ـ فقالت : يا ابن عم اسمع من ابن أخيك، فأخبره رسول الله ﷺ بما رأى . فقال ورقة: هذا الناموس الذي أنزل الله على موسى، ليتني فيها جذع، ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك . فقال رسول الله ﷺ «أومخرجي هم ؟» قال: نعم ، لم يأت أحد بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً — الحديث بطوله » ولهذا استحقت أن يرسل اليها ربها تبارك وتعالى بالسلام على لسان رسوليه جبرائيل ومحمد عليهما الصلاة والسلام ، كما ثبت ذلك بالاسانيد الصحيحة

(الوجه الرابع) انه من المعلوم المقرر عند اهل الاخبار والسير أن علي بن أبي طالب كان حال البعثة صغيرا قيل ابن ثمان سنين وقيل عشر . فهم متفقون على انه لم يبلغ الحلم حين البعثة. وأما أبو بكر الصديق وزيد بن حارثة وغيرهما من كبار الصحابة فلم يختلف احد من اهل العلم في انهم حال البعثة رجال بالغون ، وهم أعظم ملازمة ومؤانسة للنبي ﷺ إذ ذاك من علي . ولهذا ذكر أهل العلم أن زيد بن حارثة هو الذي كان معه حال خروجه الى الطائف يدعوهم الى الله، وان أهل الطائف لما ضربوه وأخرجوه وأمروا سفهاءهم وصبيانهم يرمونه بالحجارة حتى دميت قدماه جعل زيد بن حارثة يقيه بنفسه ، ولهذا ثبت في الصحيحين وغيرهما من حديث عائشة رضي الله عنها انها سألت رسول الله ﷺ : هل أتى عليك يوم اشد عليك من يوم أحد ؟ فقال « لقد أتى علي من قومك وكان اشد ما لقيت منهم اذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن كلال، فلم أستفق الا وأنا بقرن الثعالب » الحديث

وكذلك ابو بكر رضي الله عنه ثبت في الصحيحين من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص انه قيل له: أخبرنا باشد شيء صنعه المشركون برسول الله ﷺ؟

قال « بينا النبي ﷺ يصلي في حجر الكعبة، إذ أقبل عقبة بن أبي معيط فوضع ثوبه في عنقه فخنقه خنقا شديداً، فأقبل أبو بكر حتى أخذ بمنكبه ودفعه عن النبي ﷺ وقال: أتقتلون رجلا ان يقول ربي الله» الآية ـ الحديث، وكان رفيقه وأنيسه وصاحبه في الغار وسفر الهجرة. كما اتفق عليه الموافق والمخالف

(الخامس) قوله : حتى أحجم أصحاب أخيه ﷺ ـ ثم ذكر قصة قتل علي رضي الله عنه عمرو بن عبدود .

(فيقال) قوله ان الصحابة أحجموا عن عمرو كذب ظاهر ، وأما كون علي رضي الله عنه هو الذي قتله فأمر مشهور، وذلك لا يقتضي فضله على من سواه

وقد ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال يوم الخندق « من يأتينا بخبر القوم ؟» فقال الزبير: انا ، ثم قال « من يأتينا بخبر القوم ؟» فقال الزبير : انا ، فقال النبي ﷺ « ان لكل نبي حواري وان حواربي الزبير » وفي رواية: أن رسول الله ﷺ ندب الناس فانتدب الزبير، ثم ندبهم فانتدب الزبير، فقال النبي ﷺ « إن لكل نبي حواري وان حواري الزبير»

فالسابقون الاولون قد ورد لهم من الفضائل والخصائص مثل ماورد لعلي

(الوجه السادس) قوله : حتى ردت راية رسول الله ﷺ حتى قال «لأ بعثن بالراية رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله »

فيقال قد ثبت ان رسول الله ﷺ قال هذا لغيره من الصحابة وليست من خصائصه ، بل هي فضيلة شاركه فيها غيره ، بخلاف ماثبت من فضائل أبي بكر وعمر. فان كثيراً منها خصائص لهما لاسيما فضائل ابي بكر. فان عامتها خصائص لم يشركه فيها غيره كما ثبت في الصحيح عنه ﷺ انه قال « إن أمن الناس علي في صحبته وذات يده ابو بكر» وقال «مانفعني مال مانفعني مال أبي بكر »

(الوجه السابع) احتجاجه بحديث «أنت مني بمنزلة هارون من موسى» تقدم الجواب عليه في كلام ابن حزم بما يكفي

وأما احتجاجه بحديث المباهلة فنفس الحديث يدل على ان ذلك ليس من خصائص علي رضي الله عنه لانه قد شاركه فيه فاطمة وحسن وحسين كما شاركوه في حديث الكساء، فعلم أن ذلك لايختص بالرجال ولا بالذكور ولا بالأئمة ، بل شركه فيه المرأة والصبي فان الحسنين كانا صغيرين عند المباهلة فان المباهلة كانت لما قدم وفد نجران بعد فتح مكة سنة تسع او سنة عشر والنبي ﷺ مات ولم يستكمل الحسين سبع سنين والحسن أكبر منه بنحو سنة،وانما دعا هؤلاء لان الله أمر أن يدعو كل واحد من المتباهلين الابناء والنساء والانفس ، فيدعو الواحد من أولئك أبناءه ، ونساءه ، وأخص الرجال به نسبا ،وهؤلاء أقرب الناس إلى رسول الله ﷺ ، وإلا كان غيرهم أفضل منهم عنده، فلم يؤمر أن يدعو أفضل أتباعه لان المقصود ان يدعو كل واحد أخص الناس به، لما في جبلة الانسان من الخوف عليه وعلى ذوي رحمه الاقربين اليه. ولهذا خصهم في حديث الكساء لهم، والمباهلة مبناها على العدل فاولئك أيضاً يحتاجون ان يدعوا أقرب الناس اليهم نسباً ، فهم يخافون عليهم مالا يخافون على الاجانب. والله سبحانه وتعالى أعلم

فصل

وأما قوله (حتى روى المحدثون من فضائله قول رسول الله ﷺ « أنت مني كرأسي من جسدي »)

فالجواب أن يقال : هـذا الحديث لايعرف في شيء من الكتب المعتمدة كالصحيحين والسنن والمسانيد، ولم يصححه أحد من أهل الحديث المعروفين بنقد الحديث ، والتميز بين صحيحه من موضوعه ، ومجرد رواية بعض اهل الكتب لا توجب صحته، لان كثيرا من اهل الكتب يروون في كتبهم الصحيح والحسن والضعيف والموضوع . وذلك لانهم يميزون بين الحديث الذي تقوم به الحجة

مما لاتقوم به الحجة . ولهـذا كانوا يخرجون في كتبهم جميع الاحاديث الصحيحة والضعيفة والحسنة والموضوعة ، وأهل الخبرة بالحديث وعلله ورجاله يميزون الحديث الصحيح من غيره ، كما يميز الصيرف البصير الدراهم المغشوشة ، والله سبحانه وتعالى اعلم

فصل

ثم قال المعترض (فاذا تقرر ذلك فقد قال كثير من العلمـاء المحققين إن المطلق اذا ورد صرف وخص بالأغلب المألوف المعروف حال الورود مثل تحريم الميتة في قوله تعالى (حرمت عليكم الميتة) فانه ينصرف الى الاكل خاصة دون الانتفاع والترطب ، ولا يدخل تحريم غير الاكل بالآية بأدلة السـنة ، فكذلك نصنع في قوله (وصالح المؤمنين) فانه مطلق فيصرف الى تخصيص الولاية بعلي رضي الله عنه . ويؤيد التخصيص الاضافة لتتم فائدتها وهو التخصيص ، اذ هو اولى من جعلها للعموم كما ذكره المجيب ، لان العموم يوجب المصير الى كون الاضافة بيانيـة وهو خلاف الغالب في الاضافة ، ولو جازت غلبت الولاية وحصلت لصحابي بملازمته لرسول الله ﷺ مثل علي عليه السلام لتلقيناه بالقبول ووضعناه على الرأس ولا نحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله)

(فالجواب) من وجوه (احدها) أن يقال : امكنت والله الرامي من سواء الثغرة ، ونقضت الاصل الذي اصلت ، والدلائل التي اوردت من الاحاديث التي سطرت ، كحديث زيد بن ارقم في قوله « فانظروا كيف تخلفوني في الثقلين : كتاب الله وعترتي اهل بيتي » الخ . فيقول لك خصمك :هذا محمول على اهل بيته المعهودين المعروفين في زمانه ولا يدخل فيهم من بعدهم من الذرية . وهذا عكس مراد المعترض ، لانه قرر في كلامه ان اهل البيت كلهم ، من كان منهم من الصحابة ومن جاء بعدهم من ذرياتهم ـ انهم كلهم داخلون في عموم هـذه الآيات التي

أورد، والاحاديث التي ذكر، فكيف يقول هذا الجاهل بكلام الله ورسوله، وكلام اهل العلم: ان المطلق اذا ورد صرف وخص بالاغلب المألوف المعروف حال الورود. فيقول لك خصمك: دلالتك هذه التي اوردت محمولة على اهل بيته المعهودين المعروفين في زمانه كالعباس واولاده وجعفر واولاده وعقيل وأولاده وأبي سفيان بن الحارث وأولاده وأولاد أبي لهب، وعلي وأولاده منهم، ولا يدخل فيهم من بعدهم من الذرية، فما هذا الاعتراض البارد الذي كشف الله به عورتك وجعلك به ضحكة عند من نظر في كلامك؟ وهذا الوجه كاف في رد كلام هذا المعترض.

(الوجه الثاني) أن يقال قوله عن كثير من العلماء المحققين، ان المطلق إذا ورد صرف وخص بالاغلب المألوف المعروف حال الورود مثل تحريم الميتة في قوله (حرمت عليكم الميتة) فانه ينصرف الى الاكل خاصة دون الانتفاع والترطب الخ. فهذا يدل على جهل هذا المعترض بما ذكره علماء الاصول المحققون. فقد قال ابو زرعة أحمد بن الامام عبد الرحيم بن الحسين العراقي الشافعي في شرحه على جمع الجوامع لابن السبكي تقي الدين رحمه الله — وهذا لفظ المتن والشارح:

(العام لفظ يستغرق الصالح له من غير حصر) [ش] فهم من تصدير تعريف العام باللفظ انه من عوارض الالفاظ، والمراد لفظ واحد للاحتراز عن الالفاظ المتعددة الدالة على أشياء متعددة، وخرج بقوله (يستغرق) المطلق فانه لا يدل على شيء من الافراد اصلا، والنكرة في سياق الاثبات مفردة كانت أو مثناة أو مجموعة أو عددا، فانها انما تتناول الافراد على سبيل البدل، واحترز بقوله (الصالح له) عما لا يصلح، فعدم استغراق «ما» لمن يعقل انما هو لعدم صلاحيتها له أي عدم صدقها عليه لا لكونها غير عامة، وخرج بقوله (من غير حصر) أسماء العدد فانها متناولة للصالح لها لكن مع الحصر، وهذا مبني على انها ليست عامة، وتبع المصنف هناك، وزاد البيضاوي وغيره في هذا التعريف «بوضع واحد» ليخرج المشترك اذا أريد به معناه،

فانه مستغرق لما يصلح له لكن بوضعين لا بوضع واحد، فتناوله لهما ليس من العموم.

(ص) والصحيح دخول النادرة وغير المقصودة تحته ، وانه قد يكون مجازاً ، وانه من عوارض الالفاظ ،قيل والمعاني وقيل به في الذهن ويقال للمعنى أعم، وللفظ عام)

(ش) فيه مسائل (الاولى) الصحيح أن الصورة النادرة تدخل في العموم .

وقال الشارح: زعم المصنف ان الشيخ أبا اسحاق الشيرازي حكى فيه خلافا ولم أجده في كتبه وانما يوجد في كلام الاصوليين اضطراب فيه يمكن أن يؤخذ منه الخلاف ، وكذا في كلام الفقهاء ولهذا اختلفوا في المسابقة على الفيل على وجهين (أصحهما) نعم لقوله عليه السلام « لاسبق إلا في خف أو حافر » (والثاني) لا، لأنه نادر عند المخاطبين في الحديث

(الثانية) الصحيح دخول الصور التي ليست مقصودة في العموم، فان اللفظ متناول لها ولا انضباط للمقاصد ، وممن حكى الخلاف في ذلك القاضي عبد الوهاب ويوجد في كلام أصحابنا ، ولهذا قال في البسيط ـ بعد حكاية الخلاف في ذلك فيما لو وكله بشراء عبد فاشترى من يعتقه على الموكل . ومثار الخلاف التعلق بالعموم والالتفات إلى المقصود

(الثالثة) الصحيح ان المجاز كالحقيقة في انه قد يكون عاما، فلم ينقل عن أحد من أئمة اللغة ان الالف واللام أو النكرة في سياق النفي أو غيرهما من صيغ العموم ـ لاتفيد العموم إلا في الحقيقة، وخالف فيه بعض الحنفية، فزعم أن المجاز لا يعم بصيغته لانه على خلاف الاصل

(الرابعة) لا خلاف ان العموم من عوارض الالفاظ وليس المراد وصف اللفظ به مجرداً عن المعنى، بل باعتبار معناه الشامل للكثرة . وعطف المصنف ذلك على ماعبر فيه بالاصح يقتضي خلافا فيه . قال الشارح : وينبغي أن يجعل استئنافا لاعطفا على ماقبله ، قلت : يمكن انه أراد انه من عوارض الالفاظ فقط ، فيرجع

التصحيح إلى تضعيف القول بانه من عوارض المعاني أيضاً لا إلى كونه من عوارض الالفاظ ، ولذلك عقبه بقوله : قيل والمعاني . والذاهبون اليه اختلفوا في ان عروضه المعاني هل هو حقيقة أو مجاز، فقال بعضهم حقيقة، فكما صح في الالفاظ شمول أمر لمتعدد صح في المعاني شمول معنى لمعاني متعددة بالحقيقة فيها . وقال القاضي عبدالوهاب: مراد قائله حمل الكلام على عموم الخطاب وان لم يكن هناك صيغة تعمها ، كقوله تعالى (حرمت عليكم الميتة) ان نفس الميتة وعينها لما لم يصح تناول التحريم لها عممنا بالتحريم جميع التصرف فيها، من الأكل والبيع واللبس وسائر أنواع الانتفاع ، وإن لم يكن للاحكام ذكر في التحريم لا بعموم ولا بخصوص . انتهى ما ذكره ابن السبكي وابو زرعة احمد بن عبد الرحيم في الشرح المذكور ،

وقال المقدسي من الحنابلة: قوله (حرمت عليكم الميتة) هي ظاهرة في جميع انواع التصرف واستدل على ان المراد جميع أنواع التصرف فيها بأدلة ذكرها

وكذلك قال ابن عقيل يحرم جميع الافعال فيها ، وقد ذكر انه قول الجبائي وابنه وعبدالجبار ، فظاهر هذا ، بل صريحه ان هذه الآية عامة في كل نوع من الانتفاع ولهذا احتج بها احمد في دباغ جلود الميتة، قال في رواية صالح: إن الله قال (حرمت عليكم الميتة) فالجلد هو من الميتة وههنا احتج بها احمد على عدم الانتفاع بالجلد

فظهر بما ذكر عن هؤلاء الائمة بطلان ماذكره هذا المعترض في عدم شمول الآية في أنواع الانتفاع ، ولهذا ثبت في الصحيح والسنن من حديث جابر أن رسول الله ﷺ قال ـ عام الفتح وهو بمكة ـ « إن الله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والاصنام» فقيل يارسول الله: أرأيت شحوم الميتة، فانه يطلى بها السفن ويدهن بها الجلود، ويستصبح بها الناس؟ فقال رسول الله ﷺ «لا، هو حرام » قال رسول الله ﷺ عند ذلك « قاتل الله اليهود إن الله تعالى لما حرم عليهم شحوم الميتة جملوها ثم باعوها فأكلوا ثمنها »

وروى ابوداود في السنن عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: رأيت رسول الله ﷺ جالسا عند الركن، قال فرفع بصره الى السماء فضحك فقال «لعن الله اليهود - ثلاثا - ان الله تعالى حرم عليهم الشحوم فباعوها وأكلوا أثمانها وان الله عز وجل إذا حرم على قوم أكل شيء حرم عليهم أكل ثمنه»

فصل

واما قوله (فلو جاءت غلبة الولاية وحصلت لصحابي لملازمته لرسول الله ﷺ مثل علي لتلقيناه بالقبول ووضعناه على الرأس، ولا نحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله)

(فالجواب) ان يقال: قد كذبت في هذه الدعوى، فقد علمتم انه قد ورد لغيره من الفضائل ماهو مثل فضائل علي رضي الله عنه او أعظم، ولم تضعونها على الرأس، بل كذبتم به ورددتموه بمجرد الدعاوي الباطلة التي يمكن كل أحد أن يدعيها فيمن يحبه ويهواه. فان كنت صادقا كما زعمت فقل لنا، حتى نكتب لك ذلك وننقله من الكتب الصحيحة والتفاسير المأثورة.

فان قلتم لانقبل رواية خصومنا قال لكم خصومكم: لانقبل روايتكم لانكم خصومنا، والروايات التي رويناها في فضائل اهل البيت قد روينا في فضائل الصحابة ماهو مثلها او اعظم منها، ولم يمكنكم أن تحتجوا عليهم بحجة صحيحة لا معارض لها، فاستحيوا من الله تعالى ومن خلقه من هذا الجنون والخبال، الذي يفضحكم عند الرجال والنساء

فصل

واما قوله - في الاعتراض على كلام المجيب على حديث عمار رضي الله عنه - وذكر أن المجيب قد أقر على لسان اهل السنة والجماعة بان معاوية رضي الله عنه

قد أخطأ واذنب . وقد قال تعالى (ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه) ثم قال: وقد نص تعالى على موجب الظلم وما يحكم به لصاحبه فقال عز من قائل (ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع) ثم انك أقررت ببغي معاوية (رضي الله عنه) وأصحابه ثم حكمت له بالمغفرة وبالجنة بعد ثبوت الفاحشة منه، وهو البغي . وقد قال تعالى (إن الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون) ويقرنه بالفحشاء والمنكر ويدخل فاعله الذي لم يتب منه ومات مصرا عليه الجنة ؟ ماهذا حكم بالعدل ؟)

(فالجواب) من وجوه (أحدها) ان يقال : انت قد نقضت كلامك هذا كله في كلامك الذي قبل هذا بأسطر يسيرة، بقولك قال كثير من العلماء المحققين ان المطلق إذا ورد صرف وخص بالاغلب المألوف المعروف حال الورود - إلى آخره ، وذلك انه من المعلوم ان هذه الآيات التي جعلتها متناولة لاصحاب رسول الله ﷺ ، وهو معاوية رضي الله عنه ومن معه ، يقول لك منازعوك : ان المعروف المشهور عند اهل التفسير انها نزلت في اهل الشرك والكفر ، فكيف جعلتها في أصحاب رسول الله ﷺ ولم تخص بها اهل الكفر المألوف المعروف في حقهم ؟

(الوجه الثاني) ان المجيب ذكر ان الحديث على ظاهره ولم يغيره ولم يؤوله ولكن ذكر ان اثبات البغي لهم لايوجب فسقهم ولا كفرهم إذا كانوا متأولين مخطئين في ذلك ، والمجيب لاينزههم من الذنوب والخطأ ، لكنه ذكر مادل عليه كتاب الله من أن البغي لاينفي الايمان عمن فعله ، كما قال تعالى (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فان بغت إحداهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله) فسماهم الله مقتتلين مع الايمان

(الوجه الثالث) قوله: فأين فائدة كلام الحكيم ﷺ؟ فيقال انما يعرف فائدة كلام الرسول ﷺ أهل العلم والايمان ، فهم الذين يهتدون به ويعرفون معناه

ويعقلونه كعلي رضي الله عنه وأصحابه ومن شابههم من أهل الفهم والمعرفة بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وأما أهل الجهل والضلال فهو عليهم عمى وضلال كما قال تعالى (قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لايؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى ، أولئك ينادون من مكان بعيد) كهذا المعترض ومن شاكله الذي يتناقض في السطر الواحد ويرد كلامه بعضه بعضاً وهو لايشعر ولايدري. والفائدة في حديث عمار قد عقلها أهل السنة والجماعة، وهو انهم علموا أن قتلة عمار فئة باغية على الامام ، وان علياً رضي الله عنه وأصحابه أولى بالحق من معاوية رضي الله عنه وأصحابه وهذا هو الفائدة في الحديث ، ومن فهم منه غير ذلك فقد أبعد النجعة وتكلف مالا علم له به

(الوجه الرابع) أن يقال حمله هذه الآيات التي ذكرها على معاوية وأصحابه مثل حمل الخوارج آيات الشرك والكفر والظلم على علي رضي الله عنه وأصحابه سواء بسواء ، فكما ان كلام الخوارج معلوم البطلان بضرورة العقل فكذلك حمل هذه الآيات على معاوية رضي الله عنه وأصحابه معلوم البطلان بالضرورة فما هذه الوقاحة وقلة الحياء وصفاقة الوجوه ؟

(الوجه الخامس) أن يقال قوله ماهذه السوابق والحسنات التي لهم؟ هل قتل عمار وخزيمة ذي الشهادتين وأبي الهيثم بن التيهان وغيرهم من المهاجرين والانصار؟ فيقال الحسنات العظيمة التي لا مطمع لأحد فيها هي صحبتهم لرسول الله ﷺ وجهادهم معه الذي لو أنفق الرجل مثل أحد ذهبا مابلغ مد أحدهم ولا نصيفه، كما ثبت أن رسول الله ﷺ قال لخالد بن الوليد — لما جرى بينه وبين عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما كلام ومنازعة ، فقال له النبي ﷺ « ياخالد ، دع عنك أصحابي ، فوالذي نفسي بيده لو أنفقت مثل أحد ذهباً مابلغت مد أحدهم ولا نصيفه » هذا كلامه في خالد وهو من جملة الصحابة . لكنه ليس من السابقين الاولين ، فكيف بمن لم يصحبه ؟

وأما قتل عمار وخزيمة وأبي الهيثم وغيرهم رضي الله عنهم فانما فعلوا ذلك بتأويل واجتهاد وكل من الفريقين يظن أن الحق والصواب معه وعلي رضي الله عنه وأصحابه قتلوا الزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله وغيرهم من السابقين ومن الصحابة رضي الله عنهم فما ذكرت في معاوية وأصحابه ففي علي وأصحابه ماهو مثلهم

فصح يقيناً ان مذهب أهل السنة والجماعة هو الحق والصواب وهو محبة جميع الصحابة رضي الله عنهم ، والترضي عنهم ، والدعاء لهم ، والكف عما شجر بينهم رضي الله عنهم أجمعين

فصل

وأما قوله (فهذا ابن رسول الله ﷺ محمد بن علي بن القاسم ابو طالب حفظه الله قد حكمك وفوض اليك بسؤاله بان تحكم بين جده علي بن ابي طالب ومن معه من المهاجرين والانصار وشيعة اهل العراق واهل اليمن اهل الايمان ، من حمير وهمدان ، وبين معاوية ومن معه من اهل الشام الطغام أعداء الرحمن ، فحكمت بما قاله خصماء علي بن أبي طالب ، وهم ممن رضي فواقر معاوية وصنيعه ، وهم الموالون له المحبون له ولاصحابه المتسمون باهل السنة والجماعة . فكأن السائل عندكم لم يعرف كتاب الله ولا ماجاء به جده ﷺ - الى قوله - وهيهات أن يطمع في ذلك طامع ، فقلوبهم قد نبت فيها حب آل محمد ﷺ ورسخ لما رأوا من حلاوته ، وقد سقاه حسن الوفاء باجر سيد المرسلين من المودة لذريته المباركة نجوم اهل ض ، وباب حطة وباب السلام ، وسفينة نوح ، وقرناء القرآن ، والله المستعان)

(فالجواب) من وجوه (احدها) أن يقال قوله : فحكمت بما قاله خصماء علي ابن ابي طالب رضي الله عنه ، وهم ممن رضي فواقر معاوية وصنيعه كذب ظاهر ، فان المجيب قد بين ان قوله هو الذي يدل عليه كتاب الله وسنة رسوله ﷺ

وبما تواتر عن علي رضي الله عنه أنه كان يسمي اهل الشام اخوانه . وقال : « هؤلاء اخواننا قد بغوا علينا » كما ذكره غير واحد من علماء السير والتواريخ

(الوجه الثاني) قوله في اهل الشام: الطغام اعداء الرحمن ـ كذب وفجور ، وقول بلا دليل ، ومخالفـة لما عليه جماعة جميع اهل البيت ، ولازمه الطعن في أكابر اهل البيت كالحسن والحسين وابن عباس وابن جعفر لان هؤلاء كلهم قد بايعوا معاوية رضي الله عنه وصاروا من جملة رعيته بلا إكراه كما تقدم تقريره وكما سيأتي في فصل كلام اهل البيت رضي الله عنهم في معاوية رضي الله عنه

(الوجه الثالث) قوله في اهل السنة : وهم ممن رضي فواقر معاوية ـ وهذا ايضا كذب بين وبهتان فان المجيب وسلفه من اهل السنة لا يرضون بقتال معاوية واصحابه لعلي ، بل الصواب عندهم ان معاوية ومن معـه في طاعة امير المؤمنين وبيعته ، ولا يرضون بسب علي وأهل بيته، بل ينكرونه على من فعله اورضيه، كما ملئت كتبهم بذلك وهذا المعترض يعلم ولكنه ممن يجادل بالباطل

(الوجه الرابع)قوله: وهم الموالون له المحبون له ولاصحابه فهذا صدق وصواب فان اهل السنة يتولون جميع الصحابة كلهم ، ويطهرون ألسنتهم من الخوض في تلك الحروب الواقعة بينهم، بمعنى انهم يحملون ذلك على المحمل الحسن اللائق بهم لأن الله أثنى على جميع الصحابة في كتابه العزيز بقوله (لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل. اولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا ، وكلا وعد الله الحسنى) ويعرفون للسابقين الاولين حقهم على من بعدهم وينزلون كلا منزلته التي أنزله الله إياها فلم يفعلوا كفعل الروافض والزيدية والخوارج الذين يفرقون بينهم فيتولون بعضهم ويبغضون ويتبرءون من بعضهم ، وهذا هو الذي تدل عليه الدلائل الصحيحة من الآيات القرآنيـة والاحاديث النبوية الثابتة بالاسانيد المرضية

(الوجه الخامس) قوله : فوجدك قد قلت بمقالة أهل الانحراف عن الآل . وهذا أيضاً من نمط ماتقدم من كذبه وفجوره وقلة حيائه من الناس فان المجيب قد بين ان مقالته التي ذهب اليها هو وسلفه هي التي عليها آل محمد ﷺ . وقد نقل في كلامه لفظهم بحروفه ، وبين ان دعوى المعترض اتباع الآل كذب وجهل وخبال لايعجز عنه أحد من الناس

(الوجه السادس) قوله عن أهل السنة : انهم أصلوا اصولهم وقعدوا قواعدهم على اساس أسسه لهم بنو أمية وبنو العباس - وهذا أيضا من كذبه وفجوره ، وذلك ان اهل السنة انما أصلوا اصولهم على ما دل عليه كتاب الله وسنة رسوله ﷺ من وجوب طاعة أولي الامر كما تقدم ذكر الدلائل على ذلك من الكتاب والسنة اول هذا الجواب بما اغنى عن إعادته

فان قال : ان تلك الآيات والاحاديث لاتدل على ذلك ، او انها مخالفة لكتاب الله ، او انها مكذوبة على رسول الله ﷺ أمكن خصمك ان يقول مثل ذلك في الاصول التي أصلت ، والدلائل التي قررت

(الوجه السابع) أن يقال : أنت قد تبرأت وتنصلت من الملوك الظلمة من بني العباس ، وهم من آل محمد بالاجماع ، وداخلون في مسمى عترته عند جميع فرق الامة ، فهذا يبطل جميع ماأوردته من الدلائل التي معك في اتباع اهل البيت ، فاذا كان من اهل البيت من هو من الملوك الظلمة أئمة جور فكذلك يقال فيمن خالفوا الكتاب والسنة من آل علي سواء بسواء ، ولا يمكنك ان تأتي بحجة صحيحة لا معارض لها في دخول آل علي في تلك الدلائل وخروج غيرهم منها ، فأبطلت بكلامك ما أصلته ورددت على نفسك بنفسك ماقررته وأنت لاتشعر ، وهذا حال من يتكلم في مثل هذه الامور العظيمة بمثل هذه الجهالات والخبالات التي يأنف منها اهل العرفان ، بل ينفر منها الصبيان ، عياذا بالله من الخزي والخذلان

(الوجه الثامن) ان يقال قوله عن السائل وشيعته وهم اهل اليمن من همدان وحمير وذرية من قاتل معاوية وأهل الشام في صفين مع وصي رسول الله ﷺ وأخيه القائل في همدان ، حين شقت سيوفهم قلوب العدوان من اهل الشام الطغام في ذلك الاوان :

فلو كنت بوابا على باب جنة لقلت لهمدان ادخلوا بسلام

فهذا من اظهر الكذب وأفجر الفجور في انه قد مدحهم بما ليس فيهم ، والدليل على ذلك ماذكره اهل الاخبار والسير من ان عسكر علي اختلفوا عليه اختلافا كثيراً وآذوه اذى عظيما ، حتى مل منهم وتمنى الموت

وقد قال ابو عبيد القاسم بن سلام ـ وهو من ائمة الحديث والفقه واللغة ـ عمن حدثه عن ابي سنان العجلي قال قال ابن عباس لعلي رضي الله عنه « ابعثني إلى معاوية فوالله لأفتلن له حبلا لاينقطع وسطه » فقال « لست من مكري ومكره في شيء ، ولااعطيه الا السيف حتى يغلب الحق الباطل » فقال ابن عباس رضي الله عنه « اوغير ذلك » قال « كيف ؟ » قال « انه يطاع ولا يعصى ، وأنت عن قريب تعصى ولا تطاع » قال : فلما جعل اهل العراق يختلفون على علي رضي الله عنه قال « لله ابن عباس انه لينظر الى الغيب من ستر رقيق »

وحدثني خلاد بن يزيد الجعفي حـدثنا عمرو بن شمر عن جابر الجعفي عن الشعبي أو أبي جعفر الباقر — شك خلاد — قال : لما ظهر أمر معاوية (رض) دعا علي (رض) رجلا وأمره أن يسير إلى دمشق ، فيعقل راحلته على باب المسجد ، ويدخل بهيئة السفر ففعل الرجل وكان قد وصاه ، فسألوه : من أين جئت ؟ قال من العراق قالوا ماوراءك ؟ قال تركت عليا قد حشد اليكم ونهد في اهل العراق ، فبلغ معاوية رضي الله عنه فأمر أبا الاعور السلمي يحقق امره ، فأتاه فسأله فأخبره بالامر الذي شاع ، فنودي الصلاة جامعة ، فامتلأ الناس في المسجد ، فصعد معاوية المنبر وتشهد

ثم قال : ان عليا قد نهد اليكم في اهل العراق فما الرأي ؟ فضرب الناس أذقانهم على صدورهم، ولم يرفع اليه احد طرفه . فقام ذو الكلاع الحميري فقال : عليك الرأي وعلينا امفعال ـ يعني الفعال ـ فنزل معاوية و نودي في الناس، اخرجوا إلى معسكركم ، ومن تخلف بعد ثلاث أحل نفسه ، فخرج رسول علي حتى وافاه وأخبره بذلك ، فأمر علي رضي الله عنه فنودي الصلاة جامعة ، فاجتمع الناس فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : ان رسولي الذي أرسلته إلى الشام قد قدم علي وأخبرني ان معاوية قد نهد اليكم في اهل الشام فما الرأي ؟ قال فأضب اهل المسجد يقولون يا اميرالمؤمنين الرأي كذا الرأي كذا، فلم يفهم علي كلامهم من كثرة كلامهم وكثرة اللغط ، فنزل وهو يقول إنا لله وإنا اليه راجعون ، ذهب بها ابن أكالة الاكباد . يعني معاوية (رض)

وقال الاعمش حدثني من رأى علياً يوم صفين يصفق بيديه ويعض عليها ويقول « ياعجباً أعصى ويطاع معاوية؟ »

وذكر ابن الانباري عن ابيه عن احمد بن عبيد عن هشام بن محمد عن ابي مخنف لوط قال لما توجه بسر بن ابي ارطاة اخبر عبيدالله بن عباس بذلك وهو على اليمن عامل لعلي (رض) فدخل بسر بن ابي ارطاة اليمن فأتى بابني عبيدالله بن عباس فذبحهما وهما صغيران ، فنال امهما عائشة بنت عبد المدان من ذلك امر عظيم

وذكر ابو عمرو الشيباني في خروج بسر انه اغار على همدان فقتل وسبى نساءهم، وكن اول نساء سبين في الاسلام ، وبسر هذا له اخبار سوء بجانب علي (رض) ولا تصح له صحبة قاله الامام احمد ويحيى بن معين ، قال يحيى بن معين : كان رجل سوء ، وذكر ان عليا (رض) دعا عليه ان يطيل الله عمره ويذهب عقله ، فكان كذلك

قال ابن دحية : ولما ذبح الصغير بن وفقدت أمها عقلها كانت تقف بالمواسم تنشد شعرا يبكي العيون ، ويهيج بلابل الاحزان والشجون

ها من أحس بني اللذين هما كالدرتين تشظى عنهما الصدف
ها من أحس بني اللذين هما سمعي وعقلي فقلبي اليوم مختطف
حدثت بسراً وما صدقت ما زعموا من قولهم ومن الافك الذي اقترفوا
أحنى على ودجي ابني مرهفة مشحوذة وكذاك الاثم يقترف

ومعلوم عند من له أدنى معرفة بالاخبار ماجرى من أهل الكوفة مع الحسين ابن علي رضي الله عنهما حين كاتبوه وأمروه بالشخوص والقدوم عليهم ووعدوه أن يبايعوه فاغتر بهم وبمواعيدهم الكاذبة ، وامانيهم الباطلة ، فشخص اليهم باهله وولده ، وكان قد أرسل اليهم قبل ذلك ابن عمه مسلم بن عقيل رضي الله عنهما ، فلما قرب الحسين منهم خذلوه واسلموه للقتل ، وقتل معه اثنان وثمانون رجلا من اصحابه مبارزة ، ثم قتل جميع بنيه إلا عليا المسمى بعد ذلك بزين العابدين ، كان مريضا فأخذ أسيراً ، وقتل أكثر اخوة الحسين وبني اعامه

فهؤلاء شيعة اهل البيت الذين أثنى عليهم هذا المعترض ، وهم اهل اليمن من همدان وحمير ، وقد كان مع معاوية رضي الله عنه جموع كثيرة من حمير وغيرها من قبائل اليمن منهم ذو الكلاع الحميري كان من اشراف اصحاب معاوية وساداتهم وقتل يومئذ ومن اصحاب معاوية وأمرائه يومئذ كريب بن الصباح الحميري أحد الابطال قتل يومئذ جماعة ثم بارزه علي فقتله

فصل

﴿ في اعتدال اهل السنة بين غلو الشيعة وجفوة النواصب ﴾

واما قوله (وانظر تواريخ الاسلام وماقال الناس ، هل أحد روى ان معاوية واصحابه ضمنوا ماافسدوا من حقوق المسلمين ، وانهم تابوا من تلك الطامة ، والفاحشة العامة ، والمعصية الكبيرة ، وهو البغي الذي اقررت به ، وهل ودوا عماراً وخزيمة وابا الهيثم وأويسا القرني سيد التابعين وغيرهم وسلموا دياتهم إلى اهليهم ، ام ماتوا متلطخين بدمائهم وبالفسق والعصيان ؟)

(فالجواب) ان يقال كل ماذكرت في معاوية واصحابه قد جرى مثله لعلي واصحابه اوماهو أعظم من ذلك ، وهو قتل طلحة والزبير ومن معهما من المهاجرين والانصار ، واعظم من ذلك ان قتلة عثمان امير المؤمنين رضي الله عنه كانوا مع علي وكانوا من رءوس عسكره ، فما قلت في معاوية يقال في علي رضي الله عنه . فكما تأول علي رضي الله عنه في الدماء كذلك تأول معاوية وأصحابه فإن صحت هذه الدعوى ففيها من القدح والغضاضة في علي والحسن والحسين وابن عباس رضي الله عنهم مالا يخفى

وهذه الحجة التي ذكرت مما يحتج بها معاوية رضي الله عنه واصحابه على علي رضي الله عنه وأصحابه ، ولا يمكنك ان تأتي بحجة صحيحة تبريء بها عليا واصحابه دون معاوية واصحابه ، إلا بالمكابرة والمعاندة

فظهر بما ذكرناه ان مذهب اهل السنة والجماعة هو الصواب الذي لا يتناقض لأن الباغي قد يكون متأولا معتقدا انه على حق وقد يكون متعمدا يعلم انه باغ وقد يكون بغيه مركبا من شبهة وشهوة وهو الغالب ، وعلى كل تقدير فهذا لا يقدح فيما عليه اهل السنة . فاصلهم مستقيم مطرد في هذا الباب واما انتم فمتناقضون ،

وذلك ان النواصب من الخوارج وغيرهم الذين يكفرون عليا او يفسقونه او يشكون في عدالته من المعتزلة والمروانية وغيرهم لو قالوا لكم : ماالدليل على إيمان

علي وامامته وعدله ؟ لم يكن لكم حجة ، فانكم ان احتججتم بما تواتر من اسلامه وعبادته قالوا لكم: وهذا متواتر عن الصحابة والتابعين والخلفاء الثلاثة وغيرهم. فليس قد حنا في ايمان علي واصحابه الامثل قد حكم في ايمان معاوية واصحابه . وان احتججتم بما في القرآن من الثناء والمدح على الصحابة . قالوا: آيات القرآن عامة تتناول غير علي منهم مثل ماتتناول عليا رضي الله عنه ، وإن أخرجتم هؤلاء من المدح والثناء فاخراجنا عليا أيسر وأهون. فان احتججتم عليهم بالنص الذي تدعونه. كان احتجاجهم بالنصوص التي يدعونها في أبي بكر بل في العباس معارضا لذلك رضي الله عنهم، ولا ريب عند كل من يعرف الحديث ان تلك أولى بالقبول والتصديق فاذا قال الرافضي ان معاوية رضي الله عنه كان باغيا ظالما ، قال له الناصبي: وعلي كان باغيا ظالما ، قتل المسلمين على امارته وبدأهم بالقتال وصال عليهم، وسفك دماء الامة بغير فائدة لهم لا في دينهم ولا في دنياهم ، وكان السيف في خلافته مسلولا على أهل الملة مكفوفا عن الكفار

والقادحون في علي رضي الله عنه طوائف : طائفة تقدح فيه وفيمن قاتل جميعا ، وطائفة تقول : فسق أحدهما لا بعينه ، كما يقول ذلك عمرو بن عبيد وغيره من شيوخ المعتزلة ، يقولون في أهل الجمل: فسقت إحدى الطائفتين لا بعينها: وهؤلاء يفسقون معاوية ، وطائفة تقول هو الظالم دون معاوية كما تقوله المروانية، وطائفة تقول كان في أول الامر مصيباً فلما حكم الحكمين كفر وارتد، وهؤلاء الخوارج. وكلهم مخطئون في ذلك ضالون مبتدعون، وخطأ الشيعة مثله او أظهر بطلانا منه.

فان قال الذا... ن علي رضي الله عنه هؤلاء الذين قاتلهم علي كانوا بغاة ، لما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ قال لعمار « تقتلك الفئة الباغية » ؟ فللناس في هذا الحديث أقوال منهم من قدح في حديث عمار ومنهم من تأوله على ان الباغي الطالب ، وهو ضعيف . ومنهم من تأوله على علي وأصحابه ـ كما قال معاوية ، لما

قيل له . إن عماراً قتل، وقد قال النبي ﷺ «تقتلك الفئة الباغية» فقال . أفنحن قتلناه ؟ انما قتله علي وأصحابه. جاؤا به حتى ألقوه بين أسيافنا ورماحنا. وانما ندفع عن أنفسنا. وهذا تأويل باطل ولهذا رده أمير المؤمنين علي رضي الله عنه بما لاحيلة فيه فقال اذاً فرسول الله ﷺ قتل حمزة رضي الله عنه حين جاء به يقاتل المشركين

وأما أهل السنة والجماعة رحمهم الله فكلامهم مستقيم ولا مطعن فيه لأحد لأنهم اتفقوا على انه لاتفسق واحدة من الطائفتين ، وإن قالوا في إحداهما إنهم كانوا بغاة ،لأنهم كانوا متأولين مجتهدين، والمجتهد المخطيء لايكفر ولا يفسق ، وإن تعمد البغي فهو ذنب من الذنوب والذنوب يرفع عقابها باسباب متعددة كالتوبة والحسنات الماحية، والمصائب المكفرة، وشفاعة النبي ﷺ ودعاء المؤمنين وغير ذلك من الاسباب. ولهذا قال محمد بن شهاب الزهري ـ وهو من أئمة التابعين ـ «هاجت الفتنة وأصحاب رسول الله ﷺ متوافرون فأجمع رأيهم على ان كل دم او مال أصيب بتأويل القرآن فهو هدر» او كلاما هذا معناه . أخرجه غير واحد من الائمة

فصل

وأما قوله في تحقيق مذهب الزيدية في لعن معاوية (أنهم يظهرون — حيث يخشون التهمة — بموالاته المحرمة بنص الكتاب العزيز حيث قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا عدوي وعدوكم أولياء) فلا يوجبونها مطلقا ولا يستحبونها مطلقا) إلى آخر كلامه

(فالجواب) ان يقال: انت قررت في اول اعتراضك انه لو جاء ملك بلعن إبليس ـ لعنه الله ـ على المنابر لعد مبتدعا، فكيف استجزتم ايها المنتسبون إلى زيد رضي الله عنه لعن معاوية رضي الله عنه ؟ ما هذا التناقض العظيم والتهور فيما يوجب العذاب الاليم ؟

واما استدلاله بهذه الآية الكريمة (ياايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء — وقوله — واذا رأيت الذي يخوضون في آياتنا فاعرض عنهم) الآية — فهى دعوى باطلة، كدعوى الخوارج والمبغضين لعلي رضي الله عنه واهل بيته بان هذه الآيات فيهم، فكما ان دعواهم ظاهر البطلان فكذلك دعواكم

واما دعواه ان اهل السنة قد رضوا بسب علي رضي الله عنه فكذب عليهم لا يمتري فيه أحد، بل هم ينكرون سب علي رضي الله عنه اشد الانكار في قديم الزمان وحديثه، وهم الذين عملوا بقوله تبارك وتعالى (ياأيها الذين امنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء الله ولو على أنفسكم او الوالدين والاقربين) الآية

فصل

واما قوله (قد حكمت بدخوله الجنة)

(فالجواب) ان يقال هذا كذب ظاهر على المجيب، وذلك أنه هو وسلفه من أهل السنة والجماعة لا يشهدون لمعين بالجنة إلا لمن شهد له رسول الله ﷺ بانه من أهل الجنة، كالعشرة وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم الذين ثبتت الاحاديث في تعيينهم انهم من اهل الجنة. واما من سواهم فلا يشهدون له بذلك ولكنهم يرجون لجميع المؤمنين دخول الجنة ويخافون على من أذنب من النار. ولا يقطعون لمعين بانه من أهل الجنة او من اهل النار إلا من ثبت له ذلك في القرآن كابي لهب والوليد بن المغيرة وقوم نوح وجميع المهلكين من الامم، ومن ذكره رسول الله ﷺ

ويقال أيضا ان كان ماقلت حقا فاول من يدخل في هذه الآيات الحسن بن علي رضي الله عنهما وأخوه الحسين ومن معهما من اهل البيت وربيعة ومضر وهمدان، حين انخلع الحسن لمعاوية رضي الله عنه من الخلافة وولى عليهما من هو عدو لله ورسوله ﷺ عندكم، ووافقه على ذلك أخوه الحسين وكل من معه من

المسلمين ، ورضوا بذلك من غير اكراه ولا غلبة من معاوية واهل الشام ، بل بمجرد ماتقابل الجمعان جرت بينهما المفاوضة في الصلح قبل أن يقع بينهما قتال ، أفلا يستحي العاقل من هذه الخرافات ، التي تنادي على قائلها بالارتكاس في الظلمات ؟ وهذا كاف في بطلان كلامك

فصل

واما قوله (وإذا كان معاوية في الجنة فليت شعري ، أين تضع الاحاديث الواردة في دواوين الاسلام ، كقوله عليه الصلاة والسلام « يؤتى برجال من أصحابي فيؤخذ بهم ذات الشمال » الى آخره ؟ أفتنزه معاوية ومن معه مثل عمرو بن العاص وابنه عبدالله وتضعها في سعد بن معاذ وعمار وخزيمة ذي الشهادتين ، ومن قاتل مع علي رضي الله عنه بصفين؟ ام في العشرة المبشرة بالجنة رضي الله عنهم؟ فاختر لنفسك أين تضعها على مقتضى شهواتك أنت وأهل السنة والجماعة) إلى آخره

(فالجواب) أن يقال قد بينا فيما تقدم أن أهل العلم الذين رووا هذه الاخبار حملوها على من ارتد من جفاة الاعراب بعد موت الرسول ﷺ وماتوا على الردة ، كالاسود العنسي وأصحابه الذي تنبأ بصنعاء وتبعه خلق من أهل اليمن حتى قتله الله . وكمسيلمة صاحب اليمامة وأصحابه ، وكأصحاب طليحة الاسدي الذين قتلهم خالد وأصحاب رسول الله ﷺ وكانوا خلقا عظيما ، ومنهم من قدم على النبي ﷺ وصحبه . أفتنكر انه لم يقع ردة بعد النبي ولا كفر أحد ممن أسلم في حياة النبي ﷺ حتى جرى قتال معاوية لعلي رضي الله عنهما

ويقال أيضاً ، دعواك أن هذه الاحاديث محمولة على معاوية ومن معه من الصحابة من جنس دعوى الخوارج الذين يكفرون عليا ومن والاه ويحملون هذه الاحاديث عليهم ، فما يمكنك أن تأتي بحجة إلا عارضوك بما هو من جنسها ، فاتق الله ولا تكن من الذين يجادلون بالباطل فتكون مع الهالكين

فصل

وأما قوله (إن المراد بقوله تعالى (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا) أي أرادوا الاقتتال . وانها كقوله تعالى (من يرتد منكم عن دينه) وقول الرسول ﷺ « من بدل دينه فاقتلوه » إلى آخر كلامه)

(فالجواب) أن يقال هذا لو عارضناه بكلام أهل التفسير من أهل السنة والجماعة أو بما رووه من الاحاديث لم يقبل ذلك. فالواجب معارضته بما لا يقدر على انكاره ، وهو ما اتفقنا نحن وهم عليه وهو أن الحسن بن علي رضي الله عنهما انخلع من الخلافة لمعاوية مع حضور أهل البيت وجمهور المسلمين معه، أفتقول ان الحسن لا يفهم كلام الله ولا كلام رسوله ﷺ وانما عرفته أنت وشيعتك ؟ فيلزم من كلامك ان الحسن ومن معه هم الذين سلطوا الكفار والفساق على فساد الدين ، والكفر برب العالمين

(وجواب ثان) وهو انه تواتر عن علي رضي الله عنه انه لما قتل أهل الجمل لم يفعل فيهم كفعله في الكفار المرتدين من السبي وأخذ الاموال والاجهاز على الجريح كما احتج بهذه الحجة على الخوارج حبر الامة ، وترجمان القرآن ابن عباس رضي الله عنهما

(وجواب ثالث) وهو أن يقال الآية نفسها مصرحة بنقيض ما فسرها به هذا المعترض لان الله تبارك وتعالى قال في أولها (اقتتلوا) وهذا فعل ماض باجماع النحويين ثم قال (فان بغت إحداهما على الاخرى) أي بعد الاقتتال والاصلاح . ثم قال (فان فاءت) اي رجعت عن البغي (فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين) ثم قال (انما المؤمنون اخوة فأصلحوا بين

أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون) فالآية من أولها إلى آخرها تنادي بتكذيب هذا المعترض الذي يفسر كتاب الله برأيه

(وجواب رابع) وهو أن يقال: اذا جوزت أن يكون المراد بقوله تبارك وتعالى (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا) ان يكون المعنى أي ارادوا الاقتتال او قوله (فان بغت إحداهما) اى أرادوا البغي ـ جاز ان يقال ذلك في قوله ﷺ «من بدل دينه فاقتلوه» فيكون معنى الحديث عندكم من أراد تبديل دينه وهمّ بذلك وإن لم يتكلم ويعمل فاقتلوه. وهذا لايقوله من يفهم مايقول. وذلك لان مافي القلوب من الارادات والنيات لايعلمه إلا الله، وجاز أن يكون معنى قوله (ومن يقتل مؤمنا متعمداً فجزاؤه جهنم) اى يرد قتله وإن لم يقتله. وجاز أيضاً ذلك في جميع آيات الوعد والوعيد كقوله تعالى (ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها) اى يرد أن يعصي الله ورسوله ويتعد حدوده وإن لم يفعل ذلك. فان طردت ماقلت لزمك ان تقول ذلك في جميع ماشابهها في آيات الوعد والوعيد والامر والنهي.

وأما الحكاية التي ذكرها ان معاوية رضي الله عنه اظهر لأهل الشام ان علياً لايصلي، حتى حاج بذلك بعض اهل الشام هاشم بن عتبة رضي الله عنه ـ فهي من اظهر الكذب والبهتان عند من له ادنى معرفة بهذا الشأن، وقد ذكرنا بالنقول المتواترة أن اهل الشام انما قاتلوا عليا ومن معه للطلب بدم عثمان رضي الله عنه لان قتلة عثمان كانوا رءوس جيش علي، ولا يحكي مثل هذه الحكاية إلا من لايستحي من الكذب

فصل

وأما ماذكره من استدلاله بحديث غدير خم، وانه ورد من روايات جماعة من الصحابة فقد قدمنا الجواب عنه. وقد بين أهل العلم انه لا يدل على ما ذهب اليه الروافض والزيدية لان المولى يطلق على معاني متعددة.

وأما قوله « اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره وأعن من أعانه » فهذا ليس في الاحاديث الصحيحة التي صححها أهل العلم بالحديث، بل طعن كثير منهم في هذه الزيادة، قالوا: والواقع يشهد بكذبها لان النصر والغلبة والاعانة وقع لمن حاربه وقاتله، ومعلوم أن دعاء الرسول ﷺ مجاب، فلو كان هذا حقا وصدقا لوقع الامر بخلاف ما وقع، وأنت لا تنكر أن الغلبة والظفر والاعانة كان لمن قاتله وحاربه فبطل ما ذكرت ولله الحمد والمنة

وأكثر هذه الاحاديث التي ذكرها في أول هذا الاعتراض وآخره قد بين أهل العلم بالحديث انها كذب موضوعة مفتراة على رسول الله ﷺ

ثم من العجب استدلاله بكلام عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه حين ذكروا عثمان وعليا وطلحة والزبير رضي الله عنهم وما كان منهم فأكثروا وعمر ساكت. فقال القوم: ألا تتكلم يا أمير المؤمنين؟ قال « لا أقول شيئا. تلك دماء طهر الله منها كفي فلا أغمس فيها لساني » اه

وهذا هو الذي أراد المجيب لان الله أثنى عليهم في كتابه جملة قال تعالى (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم) وأثنى على من جاء بعدهم فدعا لهم بالمغفرة فقال تعالى (والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان، ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا، ربنا انك رءوف رحيم)

فان قلت: ان هؤلاء الآيات في السابقين الاولين من المهاجرين والانصار،

قائنا جاءتك قاصمة الظهر وهي قوله تبارك وتعالى (لايستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا ، وكلا وعد الله الحسنى)

ومعلوم باجماعنا وإجماعكم أن معاوية وعمرو بن العاص رضي الله عنهما ممن اسلم بعد الفتح . و لاحاديث الواردة في فضل معاوية وعمرو بن العاص رضي الله عنهما قد رواها من روى تلك الاحاديث في فضل علي رضي الله عنه وأهل البيت . فإما ان تقبل الجميع وإما ان ترد الجميع ، وأما أن تقبل ماوافق هواك وترد ماخالفه بلا برهان ولا حجة يوافقك عليها اهل المعرفة فهذا تناقض . وقد قال السيوطي، أخرج الترمذي وحسنه عن عبد الرحمن بن ابي عمرة الصحابي رضي الله عنه عن النبي ﷺ انه قال لمعاوية « اللهم اجعله هادياً مهدياً »

وأخرج الامام احمد في مسنده عن العرباض بن سارية سمعت رسول الله ﷺ يقول « اللهم علمه الكتاب والحساب وقه العذاب »

وأخرج ابن ابي شيبة في المصنف والطبراني في الكبير عن عبد الملك بن عمير قال قال لي معاوية (رض) مازلت اطمع في الخلافة منذ قال لي رسول الله ﷺ « يامعاوية إذا ملكت فأحسن »

وأخرج الترمذي عن ابي ادريس الخولاني قال لما عزل عمر بن الخطاب (رض) عمير بن سعد عن حمص وولى معاوية (رض) فقال الناس: عزل عميرا وولى معاوية فقال عمير : لا تذكروا معاوية إلا بخير فاني سمعت رسول الله ﷺ يقول « اللهم أهد به »

وقال آدم عن حماد بن سلمة عن محمد بن عمرو عن ابي سلمة عن ابي هريرة قال قال النبي ﷺ « ابناء العاص مؤمنان عمرو وهشام » وقال عبد الجبار ابن الورد عن ابن ابي مليكة قال طلحة ألا احدثكم عن رسول الله ﷺ

بشيء الا اني سمعته يقول « عمرو بن العاص من صالح قريش » وسمعته ﷺ يقول « نعم اهل البيت ابو عبد الله وام عبد الله وعبد الله » اه ماذكره الحافظ ابو الحجاج المزى في تهذيبه

فصل

واما ما ذكره من احداثات معاوية، منها إلحاقه زياد بن سمية بأبيه - فأهل العلم ينكرون ذلك على معاوية في قديم الزمان وحديثه ، وكذلك اخذ البيعة لابنه الظالم، ينكرون ذلك ولا يرضونه حتى أنكر من أنكر منهم ذلك عليه بنفسه في حياته . وأما قوله : انه أمر علماء السوء بأن يضعوا أحاديث في فضائل الصحابة الذين تقدموا علياً وفي مثالب علي - فهذا من أظهر الكذب عند الخاصة والعامة من اهل العلم بالاخبار والسير. وأهل الوضع للحديث هم الشيعة كما تقدم ذكره عن أهل الحديث ، وأما لعن علي (رض) فهو من المنكرات وأهل السنة والجماعة ينكرون على من فعله كائنا من كان

ومن العجب قوله : ولو لم يقطعه عمر بن عبد العزيز (رض) لبقي في الشام إلى اليوم . فيقال وما يدريك بذلك . أقرأت في اللوح المحفوظ فكتبت هذا الكلام منه ؟ام بلغك ذلك في حديث صحيح عن رسول الله ﷺ انه اخبر بذلك فهو الصادق فيما أخبر به ؟وأيضاً أنت ذكرت عن ابن تيميـة رحمه الله في أول كتابك وفي هـذا الموضع انه لم ينقطع إلا قبل وقته ، فهذا يرد قولك انه لو لم يقطعه عمر لبقي إلى اليوم ، وأيضاً أنت كذبت على ابن تيمية فانه لم يقل ذلك ، وابن تيمية رحمه الله أجلُّ من ان يقول مثل هذه الخرافات والجهالات في المنقولات

وأيضاً من المعلوم المتواتر أن بني امية بعد موت عمر بن عبد العزيز (رض) استمروا على سب علي ولم ينقطع من الشام ولا من غيره من بلاد الاسلام إلا بعد انقراض دولة بني أمية في ولاية بني العباس

وأما قوله: ومن احداثاته ترك الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم في أول السورة — فهذا كذب ظاهر ، وما ذكره عن الرازي دعوى مجردة لادليل عليها ، وأيضاً معارضة بما هو من اصح الاسانيد، وهو ماثبت في الصحيحين عن انس رضي الله عنه انه قال: صليت مع النبي ﷺ ومع ابي بكر وعمر فكانوا يستفتحون بالحمد لله رب العالمين ، لايذكرون بسم الله الرحمن الرحيم في اول القراءة ولا في آخرها

واما تشريعه الاقامة في صلاة العيدين — فكذب ظاهر، فان الذي احدثه بنو امية بعد معاوية في العيدين هو تقديم الخطبة على الصلاة كما في الصحيحين : ان اول من فعل ذلك مروان بن الحكم فانكر عليه ابو سعيد الخدري وغيره من الصحابة رضي الله عنهم اجمعين

فصل

واما دعواه العصمة لعلي رضي الله عنه وقوله (قد حصل القطع بها ولا ينكرها الا مكابر — الى آخره

(فالجواب) ان يقال (أولا) هذه الدعوي من جنس دعوى الامامية بالنص والعصمة لعلي وأولاده ، ومن جنس دعوى الباطنية وجنس دعوى السبائية في محمد ابن علي المعروف بابن الحنفية ، وما أحسن ماقال بعضهم :

لي حيلة فيمن ينم وليس في الكذاب حيلة
من كان يخلق ما يقو ل فحيلتي فيه قليلة

وقد تقدم الجواب عن أدلته التي ذكر مفصلا مبينا ولكن نذكر فصلا نختم به كتابنا هذا ، ننقل فيه كلام اهل البيت في الرد على هذا المعترض وأشباهه ليتبين الحق لمن أراد الله هدايته . وأما من أراد الله به الشقاء والخذلان فذلك لا حيلة فيه كما قال تعالى (ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا اولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم لهم في الدنيا خزي) الآية

فصل

﴿في كلام بعض أهل البيت في الثناء على معاوية﴾

في ذكر شيء من كلام اهل البيت رضي الله عنهم في الثناء على معاوية رضي الله عنه .

من ذلك ما أخرجه غير واحد من أهل العلم ان عليا رضي الله عنه قال « لاتكرهوا امارة معاوية فانكم لو فقدتموه لرأيتم الرؤس تندر على كواهلها » وثبت في صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنه أن رجلا قال له: هل لك في أمير المؤمنين معاوية، انه أوتر بركعة؟ فقال « أصاب انه فقيه » فهذه شهادة ابن عباس وهو من أكابر علماء اهل البيت

ومن ذلك انسلاخ الحسن رضي الله عنه عن الخلافة لمعاوية رضي الله عنه . قال ابو عمر بن عبد البر في (كتاب الاستيعاب في معرفة الاصحاب) في ترجمة الحسن بن علي رضي الله عنه : كان رحمه الله حليما ورعا، دعاه ورعه وفضله إلى أن ترك الملك والدنيا رغبة فيما عند الله . وقال: والله ماأحب منذ عرفت ماينفعني وما يضرني ان ألي امر امة محمد ﷺ على ان يهراق في ذلك محجمة دم. وكان من المبادرين الى نصرة عثمان رضي الله عنه والذابين عنه ، ولما قتل ابوه علي رضى الله عنه بايعه أكثر من أربعين الفا كلهم قد بايعوا أباه عليا قبل موته على الموت، وكانوا أطوع للحسن واحب فيه منهم في أبيه ، فبقي نحو سبعة أشهر خليفة في العراق وما وراءها من خراسان، ثم سار إلى معاوية وسار معاوية اليه - وذكر ماجرى بينهما ، إلى أن قال - وكان كما قال رسول الله ﷺ « ان بني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين » وكان أصحاب الحسن يقولون : ياعار المؤمنين فيقول [العار خير من النار] وذكر باسناده عن أبي روق الهمداني ان أبا العريف حدثه قال: كنا في مقدمة الحسن بن علي اثنى عشر الفا مستميتين تقطر

أسيافنا من الجد والحرص على قتال اهل الشام . وعلينا ابو العمرطة ، فلما جاءنا صلح الحسن بن علي كأنما كسرت ظهورنا من الغيظ والحزن ، فلما جاء الحسن الكوفة أتاه شيخ منا يكنى أبا عامر فقال : السلام عليك يامذل المؤمنين ، فقال لاتقل هكذا ياأباعامر فاني لم أذل المؤمنين، ولكني كرهت أن اقتلهم على طلب الملك قال ابو عمر: ورويناه من وجوه ان الحسن بن علي رضي الله عنه لما حضرته الوفاة قال للحسين أخيه « ياأخي إن أباك رحمه الله لما قبض رسول الله ﷺ استشرف لهذا الامر ورجا أن يكون صاحبه فصرف الله ذلك عنه ووليها ابو بكر ، فلما حضرت أبا بكر الوفاة تشوف اليها وصرفت عنه إلى عمر، فلما احتضر عمر جعلها شورى بين ستة هو أحدهم فلم يشك انها لاتعدوه فصرفت عنه إلى عثمان، فلما هلك عثمان بويع ثم نوزع حتى جرد السيف فطلبها وما صفاله شيء منها، واني والله ماأرى أن يجمع الله فينا — اهل البيت — النبوة والخلافة، فلاعرفن ربما استخفك سفهاء الكوفة فأخرجوك » انتهى. فانظر رحمك الله إلى كلام هذا السيد وما فيه من الرد على هذا المعترض من دعواه النص على علي رضي الله عنه وغير ذلك من الدعاوى الباطلة يتبين لك مخالفته لأهل البيت وان دعواه محبة اهل البيت كذب وافتراء ودعوى لاحقيقة لها

ومن العجب أن يدعي عصمة أهل البيت فيحتج بالاحاديث والآيات على ذلك وانهم كسفينة نوح وباب حطة ، ثم يخالفهم ويرد كلامهم ولازم كلامه ان فعل الحسن رضي الله عنه من نزوله عن الخلافة ومصالحته معاوية هو سبب افتراق الامة وضلالتها ، وان كلام الحسن لأخيه الحسين رضي الله عنهما كلام باطل بل الواجب على الحسين وغيره من المسلمين الخروج على معاوية رضي الله عنه ومقاتلته وانتزاع الخلافة منه ، ونحن نقول بل الحسن مصيب بار راشد ممدوح وليس يجد في صدره مما صنع حرجا ولا تلوما ولا ندما بل هو راض بذلك مستبشر به ، وإن كان هذا قد ساء خلقا من ذويه وشيعته ولا سيما بعد ذلك بمدد وهلم جرا

إلى يومنا هذا . والحق في ذلك اتباع السنة ، وقد مدحه جده ﷺ كما ثبت في صحيح البخاري ومسلم وغيرهما بالاسانيد الصحيحة عن الحسن البصري - وكان من سادات التابعين وأفاضلهم - قال : استقبل الحسن بن علي معاوية بكتائب أمثال الجبال ، فقال عمرو بن العاص لمعاوية اني لأرى كتائب لا تولى حتى تقتل أقرانها ، فقال له معاوية - وكان والله خير الرجلين - : أي عمرو إن قتل هؤلاء هؤلاء ، وهؤلاء هؤلاء من لي بامور المسلمين ، من لي بنسائهم ، من لي بضيعتهم . فبعث اليه رجلين من قريش من بني عبد شمس فقال اذهبا إلى هذا الرجل فاعرضا عليه وقولا له واطلبا اليه ، فأتياه فدخلا عليه وتكلما وقالا له وطلبا اليه ، فقال لهما الحسن رضي الله عنه « انا بنو عبد المطلب قد أصبنا من هذا المال وان هذه الامة قد عاثت في دمائها » قالا له فانه يعرض عليك كذا وكذا ويطلب اليك ويسألك ، قال : من لي بهذا ، من لي بهذا ؟ قالا : نحن لك به ، فما سألهما شيئاً إلا قالا نحن لك به ، قال الحسن فصالحه . قال الحسن : ولقد سمعت أبا بكرة رضي الله عنه يقول سمعت النبي ﷺ - والحسن بن علي رضي الله عنه إلى جنبه وهو ينظر إلى الناس مرة واليه مرة ويقول « ان ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين »

ففي هذا الحديث الصحيح ان معاوية رضي الله عنه هو الذي طلب اليه الصلح والذي ذكره أهل السير والاخبار ان الحسن هو الذى كتب إلى معاوية يخبره أنه يصير الامر اليه على شروط اشترطها عليه

وقد أخرج الحاكم عن جبير بن نفير قال قلت للحسن ان الناس يقولون انك تريد الخلافة ؟ فقال « قد كانت جماجم العرب في يدي يحاربون من حاربت ويسالمون من سالمت ، تركتها ابتغاء وجه الله وحقن دماء أمة محمد ﷺ من أهل الحجاز » أو كما قال

ففي هذا من الرد على المعترض مايعرفه كل منصف. وذلك أن هذا المعترض جعل هذا الصلح والاجتماع الذى فعله الحسن بن علي ووافقه عليه أهل بيته وجمهور المسلمين هو سبب فساد الامة وافتراقها فعلى كلامه يكون الحسن هو الذى تسبب في فساد الامة وظهور الفتن فيها

فان قال: ألجأه إلى ذلك الخوف والضعف. قلنا: هذا باطل من وجوه كثيرة (منها) ماتقدم من كثرة جيش الحسن رضي الله عنه ومحبة الناس له وانقيادهم معه. وقد بين رضي الله عنه أن الذى حمله على ذلك هو كف الفتنة وايثار الآخرة على الدنيا، ولهذا مدحه النبي ﷺ على فعله ذلك.

قال العلماء رحمة الله عليهم: فدل هذا على ان قتال أهل الشام ليس بواجب قد أوجبه الله ورسوله، ولو كان واجباً لم يمدح النبي ﷺ الحسن بتركه. فدل الحديث على ان مافعله الحسن بن علي مما يحبه الله ورسوله، وتواترت الاخبار عن علي رضي الله عنه بكراهة القتال في آخر الأمر، لما رأى اختلاف الناس واختلاف شيعته عليه وتفرقهم وكثرة الشر الذى أوجب أنه لو استقبل من أمره ماستدبر مافعل مافعل. وكان يقول رضي الله عنه ليالي صفين «لله در مقام قامه عبد الله بن عمر وسعد بن مالك: إن كان براً ان أجره لعظيم، وإن كان اثما ان خطره ليسير» وكان يقول لابنه الحسن رضي الله عنه: ياحسن ياحسن ماظن أبوك أن الامر يبلغ إلى هذا، ود أبوك لو مات قبل هذا بعشرين سنة»

حتى ذكر ابن كثير وغيره من أهل التواريخ ان في سنة أربعين بعد وقعة صفين جرت بين علي ومعاوية المهادنة على وضع الحرب وأن يكون ملك العراق لعلي ولمعاوية ملك الشام، ولا يدخل أحد على صاحبه في عمله بجيش ولا غارة ولا غيرها، ذكر ذلك من رواية زياد عن ابن اسحاق. وذلك لان معاوية رضي الله

عنه بعد أن رجع من صفين إلى الشام ورجع علي رضي الله عنه إلى الكوفة فرق معاوية رضي الله عنه جيوشاً كثيرة في أطراف معاملات علي رضي الله عنه، فبعث النعمان بن بشير في ألفي فارس على عين التمر وبها مالك بن كعب في ألف فارس مسلحة لعلي رضي الله عنه فلما سمعوا بقدوم الشاميين ارفضوا عنهم ، فلم يبق مع مالك إلا مائة رجل، فكتب إلى علي يخبره بأمر النعمان ، فندب علي الناس إلى إغاثته ، فتثاقلوا عليه ونكلوا ولم يجيبوا إلى الخروج ، فخطبهم علي رضي الله عنه فقال في خطبته «ياأهل الكوفة كلما سمعتم بمسير لاهل الشام قد أظلكم انجحر كل امرىء منكم في بيته وغلق عليه بابه انحجار الضب في جحره والضبع في وجاره ، المغرور من غررتموه ، ومن فاز بكم فاز بالسهم الاخيب ، لا احرار عند النداء ، ولا اخوان ثقة عند الالتجاء ، انا لله وانا اليه راجعون، ماهذا ملئت به منكم، عمي لاتبصرون ، وبكم لاتنطقون ، وصم لاتسمعون ، انا لله وانا اليه راجعون» قال أهل الاخبار حتى كره الحياة بينهم وتمنى الموت وكان يكثر أن يقول « ماذا يحبس أشقاها ؟ » أي ماينتظر ؟ ماله لايقتل ؟ ثم يقول « والله لتخضبن هذه ـ ويشير إلى لحيته ـ من هذه ـ ويشير الى هامته»

قال ابن كثير : في تاريخه وقد روى ذلك عن النبي ﷺ من طرق كثيرة ثم سرد تلك الطرق

وقال الاعمش عن عمرو بن مرة عن عبد الله بن الحارث عن زهير بن الارقم قال: خطبنا علي رضي الله عنه قال «نبئت أن قراءكم قد خلعوا الامام، واني والله لاحسب هؤلاء القوم سيظهرون عليكم، وما يظهرون عليكم إلا بعصيانكم امامكم وطاعتهم امامهم، وخيانتكم أماناتكم، وأدائهم أمانتهم، وافسادكم في أرضكم واصلاحهم في أرضهم، قد بعثت فلانا فخان وغدر وبعثت فلانا فخان وغدر، وبعث بالمال إلى معاوية، لو ائتمنت أحدكم على قدح لاخذ علاقته. اللهم سئمتهم وسئموني

وكرهتهم وكرهوني، اللهم فأرحني منهم وأرحهم مني. قال فما صلى الجمعة الاخرى حتى قتل . انتهى مانقله من تاريخ ابن كثير الذى سماه البداية والنهاية

وقد كان رآه عليا رضي الله عنه في دماء أهل القبلة لم يعهده اليه رسول الله ﷺ ولا أمره به، كما في سنن أبي داود وغيره عن قيس بن عباد قال قلت لعلي اخبرنا عن مسيرك هذا، عهد عهده اليك رسول الله ﷺ أم رأى رأيته؟ قال « ماعهد إلي النبي ﷺ شيئا » وهذا أمر ثابت عنه، ولهذا لم يرو علي في قتال أهل الجمل وصفين عن النبي ﷺ كما روى في قتال الخوارج، فانه روى هو وغيره من الصحابة في قتال الخوارج آحاديث كثيرة أخرجها علماء اهل السنة كالبخاري ومسلم وابي داود والترمذي والنسائي وابن ماجه. قال الامام احمد صح الحديث في الخوارج عن النبي ﷺ من عشرة اوجه .

واما الحديث الذي يروى انه امر بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين فقد قال اهل العلم بهذا الشأن انه حديث موضوع على النبي ﷺ

وقد روى البخاري وغيره عن سهل بن حنيف ـ وهو ممن قاتل مع علي بصفين « أيها الناس اتهموا الرأي على الدين لقد رأيتني يوم أبي جندل ، ولو أستطيع أن أرد أمر رسول الله ﷺ لرددته ، وما أردت بذلك إلا الخير ، وما رفعنا سيوفنا على عواتقنا الا اسلمنا بها الى امر نعرفه غير امركم هذا ، ماسددنا خصما إلا انفجر لنا خصم آخر » وذلك لان هذا القتال لم يحصل به مصلحة للمسلمين لافي دينهم ولا في دنياهم ، بل أريقت به دماء الوف مؤلفة من المسلمين ، ونقص الخير عما كان ، وزاد الشر على ما كان . ولما تولى معاوية رضي الله عنه الخلافة واستتم له الامر اتفقت الكلمة ، وكان الناس في ولايته متفقين يغزون العدو ويجاهدون في سبيل الله فلما مات معاوية رحمه الله جرت فتن عظيمة منها قتل الحسين واهل بيته ثم جرت فتنة الحرة بالمدينة ثم حصر ابن الزبير بمكة ثم لما مات

يزيد جرت فتنة بالشام بين مروان والضحاك بمرج راهط ، وجرت فتنة مصعب ابن الزبير وقتـل مصعب ، ثم حاصر الحجاج ابن الزبير وقتله ، وجرت فتنة لما تولى الحجاج العراق وخرج عليه عبدالرحمن بن الاشعث معه خلق عظيم من القراء ، وكانت فتنة كبيرة

وبالجملة فلم يكن ملك من ملوك الاسلام خيراً من معاوية ، ولا كان الناس في زمن ملك من ملوك المسلمين خيراً منهم في زمن معاوية إذا نسبت أيامه الى أيام من بعده .

وقد روى ابوبكر الاثرم حدثنا محمد بن عمرو حدثنا محمد بن مروان عن يونس عن قتـادة قال « لو أصبحت في مثل عمل معاوية لقال أكثركم هـذا المهدي » وكذلك رواه ابن بطة باسناده الثابت من وجهين عن الاعمش عن مجاهد قال « لو أدركتم معاوية لقلتم هذا المهدي »

ومعلوم باجماع المسلمين انه ليس قريبا من عثمان وعلي رضي الله عنهما فضلا عن ابي بكر وعمر رضي الله عنهما فكيف يشبه غير الصحابة بهم والله اعلم ،

وروى اسد بن موسى قال حدثنا محمد بن مسلم الطائفي عن ابراهيم بن ميسرة قال ما بلغني ان عمر بن عبدالعزيز جلد سوطا في خلافته إلا رجلا شتم معاوية عنده فجلده ثلاثة أسواط

وروى اسد أيضا قال حدثنا ابو هلال قال حدثنا قتادة قال قلت للحسن يا أباسعيد ان ههنا أناسا يشهدون على معاوية انه من اهل النار . قال : لعنهم الله وما يدريهم من في النار

فقد تبين بما ذكرنا لكل منصف اريب ، ولمن له قلب منيب ، جهل هذا المعترض وأشباهه بما عليه اهل البيت ، وان دعواه اتباعهم ومحبتهم كذب وافتراء ، ومجرد دعوى لا حقيقة لها ، كما ان اليهود والنصارى يدعون اتباع أنبيائهم وهم قد خالفوهم وسلكوا غير طريقهم ، وكذلك الامامية والغالية من الرافضة يدعون اتباع علي

واهل بيته وهم قد خالفوا طريقتهم وسلكوا غير منهاجهم

فقد تقرر وظهر ولله الحمد والمنة. ان أسعد الناس باتباع اهل البيت ومحبتهم هم اهل السنة والجماعة ، القائلون بما دل عليه كتاب الله وسنة نبيه ﷺ . وقد قال تعالى (ان أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه) الآية وقال تعالى (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعون) الآية .

ونسأل الله أن يوفقنا وسائر إخواننا المسلمين لما يحبه ويرضاه من القول والعمل ، وأن يجنبنا ما يسخطه من الخطأ والزلل ، ويرينا الحق حقا ويوفقنا الى اتباعه ، ويرينا الباطل باطلا ، ويوفقنا الى اجتنابه ، ولا يجعله ملتبسا علينا فنضل

وينبغي للمؤمن عند الاشتباه أن يلجأ الى الله ويضرع اليه ويدعو بما دعا به رسول الله ﷺ في صلاة الليل وهو « اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدي من تشاء الى صراط مستقيم » وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيراً انتهى

تم الكتاب

طبع عن نسخة كتب في آخرها :—

وقع الفراغ من نسخه نهار الاربعاء عاشر رجب سنة ١٣٤٣ بقلم الفقير الى رحمة ربه القدير ، المقر بالذنب والتقصير عبد الرحمن بن محمد بن براك غفر الله له ولوالديه ولاخوانه المسلمين آمين

كتاب

بيان المحجة

في الرد على اللجة

تأليف

شيخنا وامامنا ، ناصر السنة ، وقامع البدعة

الشيخ عبد الرحمن بن الشيخ حسن بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب

أجزل الله لهم الاجر والثواب آمين

من مطبوعات صاحب الجلالة السعودية ومحيي السنة المحمدية

الإمام عبد العزيز آل سعود

ملك الحجاز ونجد وملحقاتها

بسم الله الرحمن الرحيم

قال شيخنا الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ الامام محمد بن عبد الوهاب أجزل الله لهم الاجر والثواب ، وأدخلهم الجنة بغير حساب ولا عذاب :

اللهم لك الحمد أنت نور السموات والارض ومن فيهن ، ولك الحمد أنت قيوم السموات والارض ومن فيهن ، ولك الحمد أنت ملك السموات والارض ومن فيهن ، وأشهد ان لا إله إلا الله وحده لا شريك له (الذي له ملك السموات والارض ولم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل شيء فقدره تقديراً * واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئاً وهم يُخلقون ، ولا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعا ، ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشوراً) وأشهد ان محمداً عبده ورسوله الذي قال الله تعالى خطابا له (يأيها النبي انا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً * وداعيا إلى الله باذنه وسراجا منيرا) . اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وأصحابه من أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً

أما بعد : فاني وقفت على جواب للشيخ عبد الله بن عبد الرحمن ابي بطين وقد سئل عن أبيات من البردة وما فيها من الغلو والشرك العظيم المضاهي لشرك النصارى ونحوهم ممن صرف خصائص الربوبية والالهية لغير الله تعالى ، كما هو صريح الابيات المذكورة في البردة ، لا يخفى على من عرف دين الاسلام انه الشرك الاكبر الذي بعث الله رسله وأنزل كتبه بالنهي عنه ، وبين انه لا يغفره لمن لم يتب منه ، وان الجنة عليه حرام

وذكر الشيخ رحمه الله في جوابه : أن الابيات المذكورة تضمنت الشرك وصرف خصائص الربوبية والالهية لغير الله . فاعترض عليه جاهل ضال فقال مبرئا لصاحب الابيات من ذلك الشرك بقوله: حماه الله من ذلك، ويكفيه في نفي هذه الشناعة قوله أول المنظومة :

* دع ماادعته النصارى في نبيهم *

البيت المطابق لقول النبي ﷺ « لاتطروني كما أطرت النصارى ابن مريم

(الجواب) ان هذه التبرئة انما نشأت عن الجهل وفساد التصور ، فلو عرف الناظم وهذا المعترض ومن سلك سبيلهما حق الله على عباده وما اختص به من ربوبيته وإلهيته ، وعرفوا معنى كلام الله وكلام رسوله ﷺ لما قالوا ماقالوا هم وأمثالهم ممن جهل التوحيد ، كما قال تعالى في حق من هذا وصفه (وان كثيراً ليضلون باهوائهم بغير علم إن ربك هو أعلم بالمعتدين)

فالجهل بما بعث الله به رسله قد عم كثيراً من هذه الامة وظهر فيها ماأخبر به النبي ﷺ بقوله « لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا حجر ضب لدخلتموه » قالوا: يارسول الله اليهود والنصارى ؟ قال «فمن؟ » ونحو هذا من الاحاديث

وقوله : ويكفيه في نفي هذه الشناعة قوله أول المنظومة :

* دع ماادعته النصارى في نبيهم * البيت

(الجواب) ان هذا يزيده شناعة ومقتا ، لان هذا تناقض منه بين ، وبرهان على انه لايعلم مايقول، فلقد وقع فيما وقعت فيه النصارى من الغلو العظيم الذي نهى الله عنه ورسوله ، ولعن النبي ﷺ من فعله أو فعل مايوصل اليه بقوله « لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » يحذر ماصنعوا . وقال

« لاتطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، انما انا عبد ،فقولوا عبد الله ورسوله» وقوله ـ لما قال له رجل: ماشاء الله وشئت ؟ قال « أجعلتني لله نداً؟ بل ماشاء الله وحده » وقال « إنه لايستغاث بي وانما يستغاث بالله عز وجل » فلقدحذر أمته ﷺ وأنذرهم عن الشرك ووسائله ومادق منه وجل ، ودعا الناس إلى التوحيد ونهاهم عن الشرك ، وجاهدهم على ذلك ،حتى أزال الله به الشرك والاوثان من جميع الجزيرة وما حولها من نواحي الشام واليمن وغير ذلك ، وقد بعث السرايا في هدم الاوثان وإزالتها، كما هو مذكور في كتب الحديث والتفسير والسير، كما في حديث أبي الهياج الاسدي الذي في الصحيح ،قال قال علي بن أبي طالب رضي عنه « ألا أبعثك على مابعثني عليه رسول الله ﷺ ؟أن لا أدع قبرا مشرفا إلا سويته ولا تمثالا إلا طمسته » وقد بعثه النبي ﷺ يوم الفتح لهدم (مناة) وبعث خالد ابن الوليد يومئذ لهدم بيت العزى ، وقطع السمرات التي كانت تعبدها قريش وهذيل،وبعث المغيرة بن شعبة لهدم اللات ، فهدمها . وأزال عن جزيرة العرب وما حولها جميع الاصنام والاوثان التي كانت تعبد من دون الله

والصحابة رضي الله عنهم تعاهدوا هذا الامر واعتنو بازالته أعظم الاعتناء بعد وفاة رسول الله ﷺ . وقد أخبر النبي ﷺ بما يقع في أمته من الاختلاف، كما في حديث العرباض بن سارية قال « فانه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيراً » الحديث . فوقع ما أخبر به ﷺ وعظم الاختلاف في أصل الدين بعد القرون المفضلة كما هو معلوم عند العلماء ولو أخذنا نذكر ذلك او بعضه لخرج بنا عن المقصود من الاختصار

فانظر إلى ماوقع اليوم من البناء على القبور والمشاهد وعبادتها ،فلقد عمت هذه البلية كثيراً من البلاد ووقع ماوقع من الشرك وسوء الاعتقاد في أناس

ينسبون إلى العلم . قال سليمان التيمي :لو أخذت بزلة كل عالم لاجتمع فيك الشر كله. فانا لله وانا اليه راجعون

وقوله المطابق لقول النبي « لاتطروني كما أطرت النصارى ابن مريم »

(أقول) لاريب ان المطابقة وقعت منه ولا بد، لكنها في المنهي عنه لافي النهي فالذي نهى عنه النبي ﷺ من الاطراء طابقته الابيات من قوله :

يا أكرم الخلق مالي من ألوذ به سواك... إلى آخرها

فقد تضمنت غاية الاطراء والغلو الذي وقعت فيه النصارى وأمثالهم فانه قصر خصائص الالهية والربوبية التي قصرها الله على نفسه وقصرها عليه رسوله ﷺ فصرفها لغير الله فان الدعاء مخ العبادة ، واللياذ من أنواع العبادة

وقد جمع في أبياته الاستعانة والاستغاثة بغير الله ، والالتجاء والرغبة الى غير الله ، فان غاية مايقع من المستغيث والمستعين والراغب انما هو الدعاء واللياذ بالقلب واللسان ، وهذه هي أنواع العبادة ،ذكرها الله تعالى في مواضع كثيرة من كتابه وشكرها لمن قصرها على الله، ووعده على ذلك الاجابة والاثابة ، كقوله تعالى (هو الحي لا إله الا هو فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين) وقوله (وقال ربكم ادعوني أستجب لكم)الآية .وقوله (وانه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبداً * قل انما أدعو ربي ولا أشرك به أحداً * قل اني لا أملك لكم ضرا ولا رشدا * قل اني لن يجيرني من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحدا) الآيات

فهذا هو الدين الذي بعث الله به نبيه محمدا ﷺ وأمره أن يقول لهم (انما أدعو ربي ولا أشرك به أحدا) فقصر الدعاء على ربه الذي هو توحيد الالهية . وقال (قل اني لا أملك لكم ضرا ولا رشدا) الى آخر الآيات . وهذا هو توحيد الربوبية، فوحد الله في إلهيته وربوبيته ،وبين للامة ذلك كما أمر الله تعالى

وقال تعالى (فاذا فرغت فانصب * وإلى ربك فارغب) أمره بقصر الرغبة على ربه تعالى ، وقال (انهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً ، وكانوا لنا خاشعين) ونهى عن الاستعاذة بغيره بقوله تعالى عن مؤمني الجن (وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا)

واحتج الامام احمد رحمه الله تعالى وغيره على القائلين بخلق القرآن بحديث خولة بنت حكيم مرفوعا «من نزل منزلا فقال أعوذ بكلمات الله التامات» الحديث — على أن القرآن غير مخلوق إذ لو كان مخلوقا لما جاز أن يستعاذ بمخلوق لان الاستعاذة بالمخلوق شرك . وأمثال ذلك في القرآن والحديث كثير يظهر بالتدبر

وأما قول المعترض : ان النصارى يقولون ان المسيح ابن الله . نعم قاله طائفة منهم ، وطائفة قالوا هو الله ، والطائفة الثالثة قالوا هو ثالث ثلاثة . وبهذه الطرق الثلاث عبدوا المسيح عليه السلام ، فأنكر الله عليهم تلك الاقوال في المسيح ، وأنكر عليهم مافعلوه من الشرك كما قال تعالى (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم ، وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحدا ، لا إله الا هو سبحانه عما يشركون)

فأنكر عليهم عبادتهم للمسيح والاحبار والرهبان ، أما المسيح فعبادتهم له بالتأله وصرف خصائص الالهية له من دون الله كما قال تعالى (وإذ قال الله ياعيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله ؟ قال سبحانك مايكون لي أن اقول ماليس لي بحق) فأخبر أن الالهية وهي العبادة حق لله لا يشركه فيها اولو العزم ولا غيرهم ، يبين ذلك قوله (ما قلت لهم الا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم)

وأما عبادتهم للاحبار والرهبان فانهم اطاعوهم في تحليل ما احلوه لهم من الحرام ، وتحريم ماحرموه من الحلال عليهم

ولما قدم عدي بن حاتم على النبي ﷺ بعد فراره الى الشام ـ وكان قبل مقدمه على النبي ﷺ نصرانياً ـ فلما قدم على النبي ﷺ مسلماً تلا عليه هذه الآية (اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله) قال: يارسول الله ، لسنا نعبدهم فقال النبي ﷺ « أليسو يحلون لكم ماحرم الله فتحلونه، ويحرمون عليكم ما احل الله فتحرمونه؟ » قال: بلى، قال «فتلك عبادتهم »

ففيه بيان ان من أشرك مع الله غيره في عبادته او أطاع غير الله في معصيته فقد اتخذه رباً ومعبودا وهذا بين بحمد الله

فلو تأمل هذا الجاهل قول الله تعالى (ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله) لعلم ان الله قد انكر على النصارى قولهم وفعلهم . وعلى كل من عبد مع الله غيره بأي نوع من انواع العبادة . لكن هذا وأمثاله كرهوا التوحيد وألفوا الشرك وأحبوه وأحبوا اهله ، فترامى بهم هذا الداء العضال الى ماترى من التخليط والضلال والاستغناء بالجهل ووساوس الشيطان ، فمن وجد خيراً فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه ، ولا شفاء لهذا الداء العظيم إلا بالتجرد عن الهوى والعصبية والاقبال على تدبر الآيات المحكمات في بيان التوحيد الذي بعث الله به المرسلين كما قال تعالى(ياأيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين) ومثل قوله تعالى (قل ياأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله) أمره تعالى ان يدعو أهل الكتاب إلى ان يخلصوا العبادة لله وحده ولا يشركوا فيها أحداً من خلقه فانهم كانوا يعبدون أنبياءهم كالمسيح بن مريم ويعبدون أحبارهم ورهبانهم

وتأمل قوله (كلمة سواء بيننا وبينكم) وهذا هو التوحيد الذي بعث الله به رسوله ﷺ إلى جميع من أرسل اليه كما قال تعالى (قل إني أمرت أن أعبد

الله ولا أشرك به ، اليه أدعو واليه مآب) وقوله (ولا نشرك به شيئا) يعم كل شرك دق أوجل ، كثر او قل

قال العماد ابن كثير في تفسيره : هذا الخطاب مع أهل الكتاب من اليهود والنصارى ومن جرى مجراهم وقوله (سواء بيننا وبينكم) أي عدل ونصف نستوي نحن وأنتم فيها ، ثم فسرها بقوله (أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا) لا وثنا ولا صنما ولا صليبا ولا طاغوتا ولا ناراً ولا شيئا ، بل نفرد العبادة لله وحده لاشريك له(قلت) وهذا هو معنى لا إله إلا الله ـ ثم قال : وهذه دعوة جميع الرسل قال الله تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي اليه انه لا إله إلا أنا فاعبدون) وقال (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) انتهى المقصود منه

وقال رحمه الله تعالى في تفسير قوله (ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله) الآية — قال محمد بن اسحاق : حدثنا محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : قال ابو رافع القرظي — حين اجتمعت الاحبار من اليهود والنصارى من أهل نجران عند رسول الله ﷺ ، ودعاهم إلى الاسلام ـ : أتريد يا محمد أن نعبدك كما عبدت النصارى عيسى بن مريم ؟ فقال رجل من أهل نجران يقال له الرئيس أو ذاك تريد منا يامحمد ، واليه تدعونا ؟ أو كما قال . فقال رسول الله ﷺ « معاذ الله أن نعبد غير الله أو نأمر بعبادة غير الله ، مابذلك بعثني ولا بذلك أمرني » أو كما قال ﷺ فأنزل الله عز وجل في ذلك (ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله — الى قوله — بعد إذ أنتم مسلمون) قوله (ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله) أي ماينبغي لبشر آتاه الله الكتاب والحكم والنبوة أن يقول للناس

اعبدوني من دون الله أي مع الله ، واذا كان هذا لايصلح لنبي ولا لمرسل فلأن لايصلح لاحد من الناس بطريق الاولى والاحرى. ولهذا قال الحسن البصري: لاينبغي هذا لمؤمن أن يأمر الناس بعبادته وذلك ان القوم كان يعبد بعضهم بعضا ، يعني أهل الكتاب وقوله (أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا) أي لايأمركم بعبادة أحد غير الله لاملك مقرب ، ولا نبي مرسل (أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون) أي لايفعل ذلك لان من دعا إلى عبادة غير الله فقد دعا إلى الكفر ، والانبياء انما يأمرون بالايمان وهو عبادة الله وحده لا شريك له ، كما قال تعالى (وما رسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي اليه انه لاإله إلا أنا فاعبدون) وقال (واسئل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون؟) وقال في حق الملائكة (ومن يقل منهم اني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين) انتهى. وهو في غاية الوضوح . وبيان التوحيد ، وخصائص الربوبية والالهية ، ونظائر هذه الآيات كثير في القرآن ، وفي السنة من الاحاديث كذلك

فاذا كان من المستحيل عقلا وشرعا على رسول الله ﷺ هو وجميع الانبياء والمرسلين أن يأمروا أحداً بعبادتهم فكيف جاز في عقول هؤلاء الجهلة أن يقبلوا قول صاحب البردة :

يا أكرم الخلق مالي من ألوذ به سواك عند حلول الحادث العمم

وقد أخلص الدعاء الذي هو مخ العبادة واللياذ الذي هو من أنواع العبادة لغير الله وتضمن اخلاص الرغبة والاستكانة والاستغاثة والالتجاء الى غير الله؟ وهذه هي معظم أنواع العبادة كما أشير الى ذلك في قوله تعالى (له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء) الآية . وقوله (قل أندعوا من دون الله مالا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على أعقابنا بعد إذ هدانا الله كالذي

استهوته الشياطين في الارض حيران له أصحاب يدعونه الى الهدى ائتنا ـ الى قوله ـ قوله الحق وله الملك يوم ينفخ في الصور عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير) وعن أنس مرفوعا « الدعاء مخ العبادة » رواه الترمذي

وقوله :

ان لم تكن في معادي آخذا بيدي فضلا ، والا فقل يازلة القدم

المنافي لقوله تعالى (وما أدراك ما يوم الدين * ثم ما أدراك ما يوم الدين * يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً * والامر يومئذ لله) وقوله (قل اني لا أملك لكم ضراً ولا رشدا) وقوله (قل لا أملك لنفسي ضراً ولا نفعا) الآية

وفي الحديث الصحيح ان النبي ﷺ قال لابنته فاطمة وأحب الناس اليه «يافاطمة بنت محمد، سليني من مالي ما شئت لا أغني عنك من الله شيئا»

فتأمل ما بين هذا وبين قول الناظم من التضاد والتباين ثم المصادمة منه لما ذكره الله تعالى وذكره رسوله ﷺ كقوله (ليس لك من الامر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون) وتأمل ما ذكره العلماء في سبب نزول هذه الآية وأمثال هذه الآية كثير لم ينسخ حكمها ولم يغير . ومن ادعى ذلك فقد افترى على الله كذبا وأضل الناس بغير علم كقوله تعالى (ولله غيب السموات والارض واليه يرجع الامر كله فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل عما تعملون)

وبهذا يعلم ان الناظم قد زلت قدمه، اللهم الا ان يكون قد تاب قبل الوفاة والله أعلم

وأما قوله :

فان من جودك الدنيا وضرتها

فمن المعلوم ان الجواد لا يجود الا بما يملكه ، فمقتضي ذلك الدنيا والآخرة ليست لله بل لغيره ، وان أهل الجنة من الاولين والآخرين لم يدخلهم الجنة الرب الذي خلقهم وخلقها لهم ، بل ادخلهموها غيره (سبحان ربك رب العزة

عما يصفون). وفي الحديث الصحيح « لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله » قالوا: ولا أنت يارسول الله ؟قل « ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمته » وقد قال تعالى (من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة) وقوله تبارك وتعالى (تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير) وقوله (قل لمن ما في السموات والارض ؟ قل لله) وقوله (وان لنا الآخرة والاولى) فلا شريك لله في ملكه كما لا شريك له في الهيته وربوبيته. والآيات في هذا المعنى كثيرة جدا

وقوله * ومن علومك علم اللوح والقلم * وهذا أيضاً كالذي قبله لا يجوز ان يقال الا في حق الله تعالى الذي أحاط علمه بكل شيء، كما قال تعالى (عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير) وقال (وما يعزب عن ربك من مثال ذرة في الارض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر الا في كتاب مبين) وقوله (قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب) وقال تعالى (وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ، ويعلم ما في البر والبحر ، وما تسقط من ورقة الا يعلمها، ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين) وقال تعالى (قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله) والآيات في هذا المعنى كثيرة تفوت الحصر

وكل هذه الامور من خصائص الربوبية والالهية التي بعث الله رسله وانزل كتبه لبيانها واختصاصها بالله سبحانه وتعالى دون كل من سواه . وقال تعالى (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً الا من ارتضى من رسول) كقوله في آية الكرسي (ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء) الآية . فقد أطلع الله من شاء من انبيائه ورسله على ما شاء من الغيب بوحيه اليهم

فمن ذلك ما جرى من الامم السالفة وما جرى عليهم كما قال تعالى (تلك من أنباء الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا) وكذلك

مما تضمنه الكتاب والسنة من أخبار المعاد والجنة والنار ونحو ذلك أطلع الله عليه رسوله والمؤمنين عرفوه من كتاب الله وسنة رسوله وآمنوا به

وأما إحاطة العلم بالمعلومات كلياتها وجزئياتها، وما كان منها وما لم يكن، فذاك الى الله وحده لايضاف إلى غيره من خلقه. فمن ادعى ذلك لغير الله فقد أعظم الفرية على الله وعلى رسوله ﷺ

فما أجرأ هذا القائل على الله في سلب حقه وما أعداه لرسوله ﷺ ولمن تولاه من المؤمنين والموحدين

قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى -وذكر قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه « انما تنقض عرى الاسلام عروة عروة إذا نشأ في الاسلام من لايعرف الجاهلية » وهذا لانه إذا لم يعرف الجاهلية والشرك وماعابه القرآن وذمه وقع فيه وأقره، ودعا اليه وصوبه وحسنه، وهو لايعرف أنه الذي كان عليه أهل الجاهلية أو نظيره او شر منه أو دونه، فتنتقض بذلك عرى الاسلام ويعود المعروف منكراً والمنكر معروفا، والبدعة سنة والسنة بدعة، ويكفر الرجل بمحض الايمان وتجريد التوحيد، ويبدع بتجريد متابعة الرسول ﷺ ومفارقة الاهواء والبدع ومن له بصيرة وقلب حي يرى ذلك عيانا والله المستعان انتهى.

(قلت) وقد رأينا ذلك والله عيانا من هؤلاء الجهلة الذين ابتلينا بهم في هذه الازمنة، أشربت قلوبهم الشرك والبدع، واستحسنوا ذلك، وأنكروا التوحيد والسنة وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فضلوا وأضلوا.

وأما قول الناظم :

* فان لي ذمة منه بتسميتي محمداً * البيت

فهذا من جهله إذ من المعلوم عند كل من له أدنى مسكة من عقل ان الموافقة في الاسم لاتنفع إلا بالموافقة في الدين واتباع السنة. فأولياء الرسول ﷺ أتباعه

على دينه والعمل بسنته ، كما دل على ذلك الكتاب والسنة . قال تعالى (ورحمتي وسعت كل شيء فسأ كتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون * الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل — إلى قوله — فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه اولئك هم المفلحون)

وتأمل قصة أبي طالب عم النبي ﷺ وقد كان يحوطه ويحميه وينصره ويجمع القبائل على نصرته ﷺ وحمايته من أعدائه وقد قال في حق النبي ﷺ:

لقد علموا ان ابننا لا مكذب ... لدينا ولا يعنى بقول الاباطل

حدبت بنفسي دونه وحميته ... ودافعت عنه بالذرى والـكلاكل

ولما لم يتبرأ من دين أبيه عبدالمطلب ومات على ذلك ، وقال النبي ﷺ « لاستغفرن لك مالم أنه عنه » أنزل الله سبحانه (ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كان أولي قربى من بعد ماتبين لهم انهم أصحاب الجحيم)

فلا وسيلة للعبد إلى نيل شفاعة النبي ﷺ إلا بالايمان به وبما جاء به من توحيد الله واخلاص العبادة له وحده لاشريك له ومحبته واتباعه وتعظيم أمره ونهيه والدعوة إلى ما بعث به من دين الله والنهي عما نهى عنه من الشرك بالله والبدع ومالا فلا. فعكس الملحدون الامر وطلبوا الشفاعة التي بعث الله رسوله ﷺ بالنهي عنها وانكارها ، وقتال أهلها بالشرك ، واحلال دمائهم وأموالهم. وأضافوا إلى ذلك إنكار التوحيد وعداوة من قام به واقتفى أثر النبي ﷺ كما تقدم في كلام شيخ الاسلام رحمه الله تعالى من قوله : ويكفر الرجل بمحض الايمان وتجريد التوحيد. إلى آخر كلامه

وأما قول الناظم :

* وان يضيق رسول الله جاهك بي * البيت

فهذا هو الذي ذكر الله عن المشركين من اتخاذهم الشفعاء ليشفعوا لهم ويقربوهم إلى الله زلفى . قال الله تعالى (إنا أنزلنا اليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين ألا لله الدين الخالص) فهذا هو دين الله الذي لا يقبل الله من أحد دينا سواه . ثم ذكر بعد ذلك دين المشركين فقال (والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون * ان الله لا يهدي من هو كاذب كفار)

فتأمل كون الله تعالى كفرهم بقولهم (مانعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى) وقال في آخر هذه السورة (أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل اولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون * قل لله الشفاعة جميعا) الآية

(قلت) وقد وقع من هؤلاء من اتخاذهم شفعاء بدعائهم وطلبهم ورغبتهم والالتجاء اليهم وهم اموات غافلون عنهم لا يقدرون ولا يسمعون لما طلبوا منهم وأرادوه . وقد اخبر تعالى ان الشفاعة ملكه لا ينالها من اشرك به غيره وهو الذي له ملك السموات والارض كما قال تعالى (ومن اضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون * واذا حشر الناس كانوا لهم اعداء وكانوا بعبادتهم كافرين) فعاملهم الله بنقيض قصدهم من جميع الوجوه ، وسجل عليهم بالضلال ، ولهذه الآية نظائر كثيرة كقوله (ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير * إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ، ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير)

فبين ان دعوتهم غير الله شرك بالله وان المدعو من غيره لا يملك شيئا ، وانه

لا يسمع دعاء الداعي ولا يستجيب له، وان المدعو ينكر ذلك الشرك ويتبرأ منه ومن صاحبه يوم القيامة

فمن تأمل هذه الآيات، انزاحت عنه بتوفيق الله وفتحه جميع الشبهات،

ومما يشبه هذه الآية — في حرمان من أنزل حوائجه بغير الله واتخذه شفيعاً من دون الله بتوجيه قلبه وقالبه اليه، واعتماده في حصول الشفاعة عليه، كما قد تضمنه بيت الناظم — قول الله تعالى (ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم، ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله، قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض سبحانه وتعالى عما يشركون)

فانظر كيف حرمهم الله الشفاعة لما طلبوها من غيره، وأخبر أن حصولها مستحيل في حقهم بطلبها في دار العمل من غيره، وهذه هي الشفاعة التي نفاها القرآن كما قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة) وقال (وانذر به الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع)

فهذه الشفاعة المنفية هي التي فيها شرك. وأما الشفاعة التي أثبتها القرآن فانما ثبتت بقيدين عظيمين: إذن الرب تعالى للشفيع، ورضاه عن المشفوع له. وهو لا يرضى من الاديان الستة المذكورة في قوله (ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا) الآية — الا الايمان الذي أصله وأساسه التوحيد والاخلاص كما قال تعالى (من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه) وقال (ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون) وقال (وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا الا من بعد ان يأذن الله لمن يشاء ويرضى) وقال تعالى (ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض — الى قوله — ما من شفيع الا من بعد اذنه)

وفي الحديث الصحيح ان النبي ﷺ لما ذكر شفاعته قال « وهي نائلة من شاء الله ممن مات لا يشرك بالله شيئا » وقال له أبو هريرة رضي الله عنه: من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال « من قال لا اله الا الله خالصا من قلبه » قال شيخ الاسلام في هذا الحديث : فتلك الشفاعة لأهل الاخلاص باذن الله ولا تكون لمن أشرك بالله

وقد كشفنا بحمد الله بهذه الآيات المحكمات تلبيس هذا المعترض الملبس وإجاجه وافتراءه على الله ورسوله ، فان دعوة غير الله ضلال وشرك ينافي التوحيد ، وان اتخاذ الشفعاء انما هو بدعائهم ، والالتجاء اليهم ، وسؤالهم أن يشفعوا للداعي وقد نهى الله عن ذلك ، وبين أن الشفاعة له ، فاذا كانت له وحده فلا تطلب إلا ممن هي ملكه ، فيقول: اللهم شفع نبيك في. لانه تعالى هو الذي يأذن للشفيع أن يشفع فيمن يرضى دينه وهو الاخلاص كما تقدم بيانه

وأما قول المعترض : ان المعتزلة احتجوا بالآيات التي فيها نفي الشفاعة على انها لا تقع لأهل الكبائر من الموحدين

فأقول : لاريب ان قولهم هذا بدعة وضلالة ، وأنت ايها المجادل في آيات الله بغير سلطان مع المعتزلة في طرفي نقيض . تقول : ان الشفاعة تثبت لمن طلبها وسألها من الشفيع ، فجعلت طلبها منه موجباً لحصولها ، والقرآن قد نفى ذلك وأبطله في مواضع كثيرة بحمد الله . والحق انها لاتقع إلا لمن طلبها من الله وحده ورغب اليه فيها وأخلص له العبادة بجميع أنواعها

وهذا هو الذي تقع له الشفاعة قبل دخول النار أو بعده إن دخلها بذنوبه ، فهذا هو الذي يأذن الله للشفعاء أن يشفعوا له بما معه من الاخلاص كما صرحت بذلك الاحاديث والله أعلم

وقد قدمنا ما دل عليه الكتاب والسنة أن ما في القرآن من ذكر الشفاعة نفيا

واثباتا فحق لا اختلاف فيه بين أهل الحق، فالشفاعة المنفية انما هي في حق المشرك الذي اتخذ له شفيعا يطلب الشفاعة منه فيرغب اليه في حصولها، كما في البيت المتقدم وهو كفر كما صرح به القرآن

وأما الشفاعة التي أثبتها الكتاب والسنة فقد ثبتت للمذنبين الموحدين المخلصين، وهذا هو الذي تظاهرت عليه النصوص واعتقده اهل السنة والجماعة ودانوا به

والحديث الذي أشار اليه المعترض من قوله « انا لها انا لها » لا ينافي ماتقرر. وذلك ان الناس في موقف القيامة اذا فزعوا إلى الرسل ليشفعوا لهم إلى الله في اراحتهم من كرب ذلك المقام بالحساب ، وكل ذكر عذره ـ قال النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث « فيأتوني فأخر بين يدي الله ساجداً ـ او كما قال ـ فاحمده بمحامد يفتحها علي ، ثم يقال : ارفع رأسك وقل يسمع ، وسل تعطه ، واشفع تشفع ، قال : فيحد لي حداً فأدخلهم الجنة »

فتأمل كون هذه الشفاعة لم تقع إلا بعد السجود لله ودعائه وحمده والثناء عليه . وقوله « فيحد لي حداً » فيه بيان أن الله هو الذى يحد له

وهذا الذى يقع من الناس يوم القيامة مع الرسل هو من باب سؤال الحي الحاضر ، والتوسل إلى الله بدعائه كما كان الصحابة رضي الله عنهم يسألون رسول الله ﷺ في حياته أن يدعو لهم اذا نابهم شيء كما في حديث الاستسقاء وغيره

ولما توفي الله رسوله ﷺ لم يكونوا يفعلون عند قبره شيئا من ذلك البتة . ففرق أصحاب رسول الله ﷺ وهم أعلم الامة وأفضلها بين حالتي الحياة والممات وكانوا يصلون على النبي ﷺ عند دخول المسجد والخروج منه ، وفي الصلاة والخطب وعند ذكره، امتثالا لقوله ﷺ « لا تجعلوا قبري عيداً ولا بيوتكم قبوراً ، وصلوا علي فان صلاتكم تبلغني أينما كنتم »

ولما أراد عمر رضي الله عنه أن يستسقي بالناس أخرج معه العباس بن

عبد المطلب رضي الله عنه فقال «اللهم انا كنا اذا أجدبنا توسلنا اليك بنبينا فتسقينا وانا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا» فيدعو ، فلو جاز أن يتوسل عمر والصحابة بذات رسول الله ﷺ بعد وفاته لما صلح منهم ان يعدلوا عن النبي ﷺ إلى عمه العباس فلما عدلوا عنه إلى العباس علم ان التوسل بالنبي ﷺ بعد وفاته لا يجوز في دينهم وصار هذا اجماعا منهم

قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى: وقد أنكر أئمة الاسلام ذلك، فقال ابو الحسن القدورى في شرح كتاب الكرخي قال بشر بن الوليد: سمعت أبا يوسف يقول قال ابو حنيفة لا ينبغي لاحد أن يدعو الله إلا به، وأكره ان يقول بحق فلان او بحق أنبيائك ورسلك أو بحق البيت الحرام . قال ابو الحسن : أما المسئلة بغير الله فتكره في قولهم لانه لاحق لغير الله عليه وانما الحق لله على خلقه

وقال ابن بلدمي في شرح المختار: ويكره أن يدعو الله إلا به فلا يقول أسئلك بفلان او بملائكتك او بانبيائك ونحو ذلك، لأنه لاحق للمخلوق على خالقه ، وما يقول فيه ابو حنيفة وأصحابه أكره كذا ـ هو عند محمد حرام ، وعند ابي حنيفة وابي يوسف هو إلى الحرام أقرب، وجانب التحريم عليه أغلب[1] فاذا قرر الشيطان عنده ان الاقسام على الله به والدعاء به ابلغ في تعظيمه واحترامه وانجع لقضاء حاجته نقله درجة أخرى إلى أن يتخذ قبره وثنا يعكف عليه ويوقد عليه القنديل ويعلق عليه الستور ويبني عليه المسجد ، ويعبده بالسجود له والطواف وتقبيله

---

(١) لكن نقل الشافعي في الأم عن أبي يوسف أن الحرام ما كان يطلق عند السلف إلا على ما كان بينا في كتاب الله بلا تفسير ، وقال شيخ الاسلام ابن تيمية: ان السلف ما كانوا يحرمون شيئاً الا بدليل قطعي . نقله عنه ابن مفلح في الآداب الشرعية، وذكر ان في مذهب أحمد روايتين في المسألة الثانية ان التحريم يثبت بالدليل الظني ، أيضا اه بالمعنى ونحن نتبع السلف رضي الله عنهم

واستلامه والحج اليه والذبح عنده، ثم ينقله درجة اخرى الى دعاء الناس لعبادته واتخاذه عيداً ومنسكا ، وان ذلك أنفع لهم في دنياهم وأخراهم ،

قال شيخنا قدس الله روحه : وهذه الامور المبتدعة عند القبور مراتب ، أبعدها عن الشرع أن يسأل الميت حاجته ويستغيث به فيها كما يفعله كثير من الناس . قال : وهؤلاء من جنس عباد الاصنام، وهذا يحصل للكفار من المشركين وأهل الكتاب، يدعو أحدهم من يعظمه، ويتمثل لهم الشيطان أحيانا وقد يخاطبهم ببعض الامور الغائبة ثم ذكر المرتبة الثانية وهي أن يسأل الله به. قال وهو بدعة باتفاق المسلمين

(والثالثة) أن يظن ان الدعاء عند قبره مستجاب ، أو انه أفضل من الدعاء في المسجد، فهذا أيضا من المنكرات المبتدعة باتفاق المسلمين وهي محرمة . وما علمت في ذلك نزاعا بين أئمة الدين، وان كان كثير من الناس يفعل ذلك انتهى

ففرض على كل أحد أن يعلم ما أمر الله ورسوله به من اخلاص العبادة لله وحده، فانه الدين الذي بعثه الله به ، وأن يترك مانهى الله عنه ورسوله ﷺ من الشرك فما دونه كما قال تعالى (ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك فان فعلت فانك إذاً من الظالمين) الآية . وأن لا يدين الله تعالى إلا بما دل الدليل على انه من دين الله ، ولا يكون امعة يطير مع كل ريح

فان الناس من أمة محمد ﷺ والامم قبلها قد تنازعوا في ربهم وأسمائه وصفاته وما يجب له على عباده وقد قال تعالى (فان تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا)

فيا سعادة من تجرد عن العصبية والهوى والتجأ إلى حصن الكتاب والسنة ، فان العلم معرفة الهدى بدليله ، وما ليس كذلك فجهل وضلال

وأما قول المعترض: فانظر إلى (الشفاء) تجده حكى كفر من قال مثل هذه الكلمة

أي الكلمة التي ذكرها المجيب في معنى قوله (قل إني لا املك لكم ضراً ورشدا) الآيات ذكر عبارة النسفي في معناها وهي قوله : هو اظهار للعبودية وبراءة عما يختص بالربوبية من علم الغيب ، أي أنا عبد ضعيف لا املك لنفسي اجتلاب نفع ولا دفع ضر الى آخر كلامه: اذ من عادة هذا المعترض الجاهل رد الحق والمكابرة في دفعه والغلو المتناهي ، والا فمن المعلوم عند من له معرفة بدين الاسلام ان المجيب انما أتى في جوابه بتحقيق التوحيد ونفي الشرك بالله ، وذلك تعظيم لجانب الرسالة وكان النبي ﷺ ينهى أمته عن كل ما يؤل بهم الى الغلو . ولما قيل له ﷺ : انت سيدنا وابن سيدنا وخيرنا وابن خيرنا قال « يا أيها الناس قولوا بقولكم او بعض قولكم ، ولا يستهوينكم الشيطان أنا عبد الله ورسوله ، ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله تعالى » والنبي ﷺ هو أحق الخلق بالتواضع لله وحده سبحانه . وفي الحديث « فانك ان تكلني الى نفسي تكلني الى ضيعة وعورة وذنب وخطيئة ، واني لا أثق الا برحمتك » الحديث. والاحاديث في هذا المعنى كثيرة يخبر بذلك عن نفسه ، ويعترف بذلك لربه ، وهو الصادق المصدوق ، فاذا قال المسلم مثل هذا في حقه ﷺ وأخبر عنه بما أخبر به عن نفسه لم يكن منتقصا له بل هذا من تصديقه والايمان به

قال شيخ الاسلام رحمة الله تعالى : اذا كان الكلام في سياق توحيد الرب ونفي خصائصه عما سواه لم يجز أن يقال هذا سوء عبارة في حق من دون الله من الانبياء والملائكة. فان المقام أجل من ذلك وكل ماسوى الله يتلاشى عند تجريد توحيده ، والنبي ﷺ كان أعظم الناس تقريرا لما يقال على هذا الوجه ، وان كان نفسه المسلوب، كما في الصحيحين في حديث الافك لما نزلت براءة عائشة من السماء وأخبرها النبي ﷺ بذلك قالت لها أمها: قومي الى رسول الله ﷺ قالت« والله لا أقوم اليه ولا أحمده ولا اياكما، ولا احمد الا الله الذي أنزل براءتي»

فأقرها النبي ﷺ وابوها على هذا الكلام الذي نفت فيه أن يحمد رسول الله ﷺ . وفي رواية « بحمد الله لا بحمدك » ولم يقل أحد هذا سوء أدب عليه ﷺ

وأخرج البيهقي بسنده الى محمد بن مسلم سمعت حبان صاحب ابن المبارك يقول: قلت لعبدالله بن المبارك: قول عائشة للنبي ﷺ « بحمد الله لا بحمدك » اني لاستعظم هذا ؟ فقال عبدالله : ولت الحمد أهله

وكذلك الحديث الذي رواه الامام احمد بسنده عن الاسود بن سريع ان النبي ﷺ أتي باسير فقال : اللهم اني أتوب اليك ولا أتوب إلى محمد . فقال النبي ﷺ « عرف الحق لأهله »

وهذا المعترض وأمثاله ادعوا تعظيم أمر رسول الله ﷺ بما قد نهى عنه من الغلو والاطراء ، وهضموا ربوبيـة الله وتنقصوا إلهيتـه ، وأتوا بزخارف شيطانية ، وحاولوا أن يكون حق الله تعالى من العبادة التي خلق لها عباده نهبى بين الاحياء والاموات : هذا يصرفه لنبي ، وهذا لملك ، وهذا لصالح ، أوغير هؤلاء ممن اتخذوهم أنداداً لله وعبدوا الشياطين بما أمروهم به من ذلك الشرك بالله ، فان عبادتهم للملائكة والانبياء والصالحين انما تقع في الحقيقة على من زينها لهم من الشياطين وأمرهم بها كما قال تعالى (ويوم يحشرهم جميعاً ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون؟ * قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون)ونحو هذه الآية كثير في القرآن

ولما ذكر العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى ما وقع في زمانه من الشرك بالله قال : وهذا هضم للربوبية وتنقص الالهية وسوء ظن برب العالمين ، وذكر انهم إنما ساووهم بالله في العبادة كما قال تعالى عنهم وهم في النار (تالله إن كنا لفي ضلال مبين إذ نسويكم برب العالمين)

وأما ما ذكره عن خالد الازهري ، فخالد وما خالد؟ أغرك منه كونه شرح

التوضيح والآجرومية في النحو؟ وهذا لا يمنع كونه جاهلا في التوحيد الذي بعث الله به رسوله ﷺ كما جهله من هو أعلم منه وأقدم منه ممن لهم تصانيف في المعقول كالفخر الرازي وأبي معشر البلخي ونحوهما ممن غلط في التوحيد

وقد كان خالد هذا يشاهد أهل مصر يعبدون البدوي وغيره فما أنكر ذلك في شيء من كتبه ، ولا نقل عنه احد إنكاره ، فلو صح ماذكره خالد من حال الناظم لم يكن جسرا تذادعنه النصوص من الآيات المحكمات القواطع ، والاحاديث الواضحات البينات كقوله تعالى (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً) وقوله (ومن يدع مع الله إلها آخر لا برهان له به فانما حسابه عند ربه انه لا يفلح الكافرون) وقول النبي ﷺ « من مات وهو يدعو لله نداً دخل النار »

وقد يستدرج الله اهل الشرك بأمور تقع لهم يظنونها كرامات ـ عقوبة لهم وكثير منها احوال شيطانية أعانوا بها اولياءهم من الانس كما قد يقع كثيراً لعباد الاصنام . وما احسن ما قال بعضهم:

تخالف الناس فيما قد رأوا ورووا   وكلهم يدعون الفوز بالظفر
فخذ بقول يكون النص ينصره   إما عن الله أو عن سيد البشر

وقد حاول هذا الجاهل المعترض صرف ابيات البردة عما هو صريح فيها نص فيما دلت عليه من الشرك في الربوبية والالهية ومشاركة الله في علمه وملكه، وهي لا تحتمل أن تصرف عما هي فيه من ذلك الشرك والغلو . فما ظفر هذا المعترض من ذلك بطائل، غير انه وسم نفسه بالجهل والضلال والزور والمحال ،ولو سكت لسلم من الانتصار لهذا الشرك العظيم الذي وقع فيه

وأما قول المعترض : ورد في الحديث «لولا حبيبي محمد ماخلقت سمائي ولا ارضي ولا جنتي ولا ناري» فهذا من الموضوعات لا أصل له ، ومن ادعى خلاف ذلك فليذكر من رواه من اهل الكتب المعتمدة في الحديث وأنى له ذلك؟ بل هو

من اكاذيب الغلاة الوضاعين ، وقد بين الله تعالى حكمته في خلق السموات والارض في كثير من سور القرآن كما في الآية التي تأتي بعد وهي قول الله تعالى (الله الذى خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن ، لتعلموا ان الله على كل شيء قدير وان الله قد احاط بكل شيء علما) ولها نظائر تبين حكمة الرب في خلق السموات والارض

وقوله : وكيف ينكر تصرفه في اعطاء احد باذن الله من الدنيا في حياته ، او في الآخرة بعد وفاته؟

(أقول) هذا كلام من اجترأ وافترى وأساء الادب مع الله ، وكذب على رسوله ﷺ ولم يعرف حقيقة الشفاعة ، ولا عرف تفرد الله بالملك يوم القيامة، وهل قال رسول الله ﷺ او أحد من اصحابه اومن بعدهم من أئمة الاسلام: ان احداً يتصرف يوم القيامة مع الله في ملكه؟ ولو اطلقت هذه العبارة في حق رسول الله ﷺ لا دعاها كلٌّ لمعبوده من نبي أو ملك او صالح انه يشفع له اذا دعاه (سبحانك ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من اولياء) وقال تعالى (يوم يأتي لا تكلم نفس إلا باذنه) الآية وقال (لا يتكلمون إلا من اذن له الرحمن وقال صوابا) وهذا القول الذي قاله هذا الجاهل قد شافهنا به جاهل مثله بمصر، يقول: الذي يتصرف في الكون سبعة: البدوي والامام الشافعى والشيخ الدسوقي، حتى أكمل السبعة من الاموات ، هذا يقول : هذا ولي له شفاعة وهذا صالح كذلك ، وقد قال الله تعالى (لينذر يوم التلاق * يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شيء لمن الملك اليوم لله الواحد القهار) الى قوله (ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع) وأي ظلم أعظم من الشرك بالله ودعوى الشريك له في الملك والتصرف؟ وهذا غاية الظلم .

قال شيخ الاسلام رحمه الله تعالى في معنى قوله تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وما لهم

فيهما من شرك وما له منهم من ظهير * ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له) نفى الله عما سواه كل مايتعلق به المشركون ، فنفى ان يكون لغيره ملك أو قسط منه، أو يكون عونا لله ،ولم يبق الا الشفاعة ، فبين انها لا تنفع إلا لمن أذن له الرب ، فالشفاعة التي يظنها المشركون منتفية كما نفاها القرآن ، وأخبر النبي ﷺ انه يأتي فيسجد لربه ويحمده ، لا يبدأ بالشفاعة أولا ، ثم يقال له « ارفع رأسك ، وقل يسمع ، وسل تعطه ، واشفع تشفع » وقال له أبو هريرة رضي الله عنه ، من أسعد الناس بشفاعتك ؟ قال « من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه » فتلك الشفاعة لاهل الاخلاص باذن الله ولا تكون لمن اشرك بالله

وحقيقته ان الله سبحانه هو الذي يتفضل على أهل الاخلاص فيغفر لهم بواسطة دعاء من أذن له ان يشفع ليكرمه وينال المقام المحمود . فالشفاعة التي نفاها القرآن ما كان فيها شرك ، ولهذا أثبت الشفاعة باذنه في مواضع . وقد بين النبي ﷺ انها لا تكون الا لأهل الاخلاص والتوحيد . انتهى

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى في مدارج السالكين : وقد قطع الله الاسباب التي يتعلق بها المشركون جميعها ، فقال الله تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير * ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له) فالمشرك انما يتخذ معبوده لما يحصل له به من النفع ـ والنفع لا يكون إلا ممن فيه خصلة من هذه الاربع ، اما مالك لما يريد عابده منه، فان لم يكن مالكا كان شريكا المالك ، فان لم يكن شريكا له كان معيناً له وظهيراً، فان لم يكن معيناً ولا ظهيراً كان شفيعاً عنده . فنفى سبحانه المراتب الاربع نفياً مرتباً منتقلا من الأعلى الى الادنى ، فنفى الملك والشركة والمظاهرة والشفاعة التي يطلبها المشرك واثبت شفاعة لا نصيب فيها لمشرك وهي الشفاعة باذنه. فكفى بهذه الآية نوراً

وبرهاناً وتجريداً للتوحيد وقطعاً لأصول الشرك ومواده لمن عقلها ، والقرآن مملوء من أمثالها ونظائرها، ولكن أكثر الناس لا يشعرون بدخول الواقع تحته وتضمنه له ، ويظنه في نوع وقوم قد خلوا من قبل ولم يعقبوا وارثا، فهذا هو الذي يحول بين القلب وفهم القرآن . ولعمر الله ان كان أولئك قد خلوا فقد ورثهم من هو مثلهم أودونهم وتناول القرآن لهم كتناوله لأولئك-إلى ان قال : ومن أنواعه أي الشرك طلب الحوئج من الموتى والاستغاثة بهم والتوجه اليهم، وهذا أصل شرك العالم ، فان الميت قد انقطع عمله وهو لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً فضلاعن ان يملك لمن استغاث به وسأله قضاء حاجته أو سأله ان يشفع له الى الله ، وهذا من جهله بالشافع والمشفوع عنده ، فانه لا يقدر أن يشفع له عند الله إلا باذنه، والله لم يجعل استغاثته وسؤاله سبباً لاذنه، وإنما السبب لاذنه كمال التوحيد. فجاء هذا المشرك بسبب يمنع الاذن وهو بمنزلة من استعان في حاجته بما يمنع حصولها. وهذه حالة كل مشرك، فجمعوا بين الشرك بالمعبود وتغيير دينه ومعاداة أهل التوحيد ونسبة أهله الى النقص بالاموات، وهم قد تنقصوا الخالق بالشرك به، وأولياءه الموحدين له بذمهم وعيبهم ومعاداتهم، وتنقصوا من أشركوا به غاية التنقص إذ ظنوا أنهم راضون منهم بهذا وأنهم يوالونهم عليه ، وهؤلا هم أعداء الرسل في كل زمان ومكان وما أكثر المستجيبين لهم - قال - وما نجا من شرك هذا الشرك الاكبر إلا من جرد توحيده لله، وعادى المشركين في الله ، وتقرب بمقتهم إلى الله ، واتخذ الله وحده وليه واله ومعبوده ، فجرد حبه لله وخوفه لله ورجاءه لله وذله لله وتوكله على الله واستعانته بالله ، والتجاءه إلى الله ، وأخلص قصده لله متبعا لأمره متطلبا لمرضاته ، اذا سأل سأل الله ، واذا استعان استعان بالله ، واذا عمل عمل لله وبالله ومع الله. انتهى

فرحم الله هذا الامام وشيخه فلقد بينا حقيقة الشرك وطرقه وما يبطله

وفي حديث ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال له « اذا سألت فاسئل الله واذا استعنت فاستعن بالله » ولم يقل فاسألني أواستعن بي . فقصر السؤال والاستعانة على الله الذي لا يستحقه سواه، كما في قوله (إياك نعبد وإياك نستعين) فمن صرف ذلك لغير الله فقد عصى الله ورسوله وأشرك بالله .

والمعترض كلام ركيك لاحاجة لنا إلى ذكر ما فيه ، وانما نتتبع من كلامه ما يحتاج إلى رده وابطاله كجنس ماتقدم

***

واعلم أنه قال — لما ذكر قول المجيب — : انه لا يجتمع الايمان بالآيات المحكمات ، وتلك الابيات لما بينهما من التنافي والتضاد

قال المعترض أقول :يجتمعان بان يفرد الله بالعبادة ولا يقدح فيه تشفعه باحبابه اليه ، وكيف يحكم عليه بالضلال بمجرد طلبه الشفاعة ممن هو أهل لها كما في الحديث « انا لها انا لها » ومعلوم أن الضلال ضد الحق ؟

(فالجواب) لا يخفى مافي كلامه من التخليط والتلبيس والعصبية المشوبة بالجهل المركب، لايدري ولا يدري انه لايدري

وقد بينا فيما تقدم أن دعوة غير الله ضلال ، وأن اتخاذ الشفعاء الذي أنكره الله تعالى انما هو بدعائهم والالتجاء اليهم والرغبة اليهم فيما أراده الراغب منهم من الشفاعة التي لايقدر عليها إلا الله، وذلك ينافي الاسلام والايمان بلا ريب، فان طلبها من الاموات والغائبين طلب لما لا يقدر عليه إلا الله وهو خلاف لما أمر الله به تعالى وارتكاب لما نهى عنه كما تقدم بيانه في معنى قوله تعالى (ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) الآية وقوله (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا) الآية . وقوله (مانعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) فطلب الشفاعة من النبي

ﷺ أو غيره بعد وفاته وبعده عن الداعي لايحبه الله تعالى ولا يرضاه ولا رسوله ﷺ وهو التوسل الذي ذكره العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى وشيخه رحمه الله تعالى وصرحا بانه شرك ، وللعلامة من أبيات في المعنى وهي قوله :

والشرك فهو توسل مقصوده الز ... لفى من الرب العظيم الشان
بعبادة المخلوق من حجر ومن ... بشر ومن قبر ومن أوثان
والناس في هذا ثلاث طوائف ... مارابع أبداً بذي امكان
احدى الطوائف مشرك بالهه ... فاذا دعاه دعا إلها ثاني
هذا وثاني هذه الاقسام ذ ... لك جاحد يدعو سوى الرحمان
هو جاحد للرب يدعو غيره ... شركا وتعطيـلا له قدمان
هذا وثالث هذه الاقسام خير ... الخلق ذاك خلاصة الانسان
يدعو إله الحق لايدعو ولا ... أحداً سواه قط في الاكوان
يدعوه في الرغبات والرهبات وال ... حالات من سر ومن اعلان

وقد أنكر الله ذلك الدعاء على من زعم في الرسل والملائكة ذلك كما قال تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا) قال طائفة من السلف: كان أقوام يدعون المسيح وأمه وعزيراً والملائكة فأنكر الله ذلك وقال هؤلاء عبيدى كما أنتم عبيدى ، يرجون رحمتي كما ترجون رحمتي ، ويخافون عذابي كما تخافون عذابي ، وهؤلاء الذين نزلت هذه الآية في انكار دعوتهم هم من أوليائه وأحبائه . وقد تقدم ان الدعاء وجميع أنواع العبادة حق لله مختص به كما تقدم في الآيات

والحاصل ان الله تعالى لم يأذن لاحد أن يتخذ شفيعا من دونه يسأله ويرغب اليه ويلتجيء اليه، وهذا هو العبادة ، ومن صرف من ذلك شيئا لغير الله فقد أشرك مع الله غيره كما دلت عليه الآيات المحكمات ، وهذا ضد افراد الله بالعبادة.

وكيف يتصور افراده بالعبادة وقد جعل له العبد ملاذاً ومفزعا سواه ؟فان هذا ينافي الافراد، فاين ذهب عقل هذا وفهمه؟

قال شيخ الاسلام رحمه الله تعالى: العبادة اسم جامع لكل مايحبه الله ويرضاه من الاقوال والاعمال الباطنة والظاهرة . انتهى

وقد تبين أن الدعاء مخ العبادة وهو مما يحبه ويأمر به عباده ،وان يخلصوه له ، وقد تقدم من الآيات مايدل على ضلال من فعل ذلك وكفره

وبهذا يحصل الجواب عن قول المعترض: ان الشفاعة المنفية انما هي في حق الكفار (فنقول) فمن اتخذ معبوداً سوى الله يرجوه او يخافه فقد كفر . وتأمل قول الله تعالى (والذين يدعون من دون الله لايخلقون شيئا وهم يخلقون* أموات غير أحياء وما يشعرون أيان يبعثون* الهكم إله واحد) فبين تعالى ان المخلوق لا يصلح أن يدعى من دون الله ، وان من دعاه فقد أشرك مع الله غيره في الالهية، والقرآن من أوله إلى آخره يدل على ذلك ،وكذلك سنة رسول الله ﷺ، ولكن الملاحدين محجوبون عن فهم القرآن كما حجبوا عن الايمان بجهلهم وضلالهم واعراضهم عما أنزل الله في كتابه من بيان دينه الذي رضيه لنفسه ورضيه لعباده

قال شيخ الاسلام رحمه الله تعالى : وحقيقة التوحيد أن يعبد الله وحده ولا يدعى الا هو ،ولا يخشى ولا يتقي إلا هو ، ولا يتوكل الا عليه، ولا يكون الدين الا له ، وأن لاتتخذ الملائكة والنبيون أربابا فكيف بالائمة والشيوخ ؟فاذا جعل الامام والشيخ كانه إله يدعى مع غيبته وموته ، ويستغاث به ويطلب منه الحوائج كان مشبها بالله، فيخرجون عن حقيقة الاسلام الذي أصله شهادة أن لا إله الا الله وأن محمداً رسول الله. انتهى

وثبت عن النبي ﷺ انه قال لابن عباس رضي الله عنهما « اذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله » فلو جاز أن يسئل ﷺ لما قصر سؤاله

واستعانته على الله وحده ، وابن عباس من أحق الناس بان يعلمه النبي ﷺ ما فيه له منفعة ، فلو جاز صرف ذلك لغير الله لقال : واسألني واستعن بي ، بل أتى ﷺ في مقام الارشاد والابلاغ والنصح لابن عمه بتجريد إخلاص السؤال والاستعانة على الله تعالى ، فأين ذهبت عقول هؤلاء الضلال عن هذه النصوص؟ والله المستعان

وقال الشيخ رحمه الله تعالى: واعلم ان لفظ الدعاء والدعوة في القرآن يتناول معنيين : دعاء العبادة ودعاء المسئلة ، وكل عابد سائل ، فكل سائل عابد ، وأحد الاسمين يتناول الآخر عند تجرده عنه ، واذا جمع بينهما فانه يراد بالسائل الذي يطلب لجلب المنفعة ودفع المضرة بصيغ السؤال والطلب ، ويراد بالعابد من يطلب ذلك بامتثال الامر ، وان لم يكن هناك صيغة سؤال ، ولا يتصور أن يخلو داع لله دعاء عبادة او دعاء مسئلة من الرغب والرهب والخوف والطمع . انتهى

فتبين ان أبيات البردة التي قدمنا الكلام عليها تنافي الحق وتناقضه . وماذا بعد الحق إلا الضلال ؟

وقول المعترض : لاسيما ، والناظم على جانب عظيم من الزهد والورع والصلاح بل وله يد في العلوم كما حكى ذلك مترجموه . وهذا صار كله هباء منثوراً حيث لم يرضوا عنه

(أقول) هذه دعوى تحتمل الصدق والكذب . والظاهر انه لا حقيقة لذلك فانه لا يعرف إلا بهذه المنظومة فلو قدر ان لذلك أصلا فلا ينفعه ذلك مع تلك الابيات ، لان الشرك يحبط الاعمال كما قال تعالى (ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون) وقد صار العمل مع الشرك هباء منثورا . قال سفيان بن عيينة « احذروا فتنة العالم الفاجر ، والعابد الجاهل ، فان فتنتهما فتنة لكل مفتون »

فان كان في الرجل عبادة فقد فتن بابياته كثيراً من الجهال ، وعبادته ان كانت فلا تمنع كونه ضالا كما يرشد إلى ذلك آخر الفاتحة . قال سفيان ابن عيينة « من فسد

من علمائنا ففيه شبه من اليهود ، ومن فسد من عبادنا ففيه شبه من النصارى »

فالواجب علينا أن نبين ما في كلامه مما يسخط الله ورسوله من الشرك والغلو

وأما هذا الشخص وأمثاله ممن قدمات فيسعنا السكوت عنه لأنا لا ندري ما آل أمره اليه ، وما مات عليه ، وقد عرفت أن كلام خالد الازهري لا حجة فيه ،

وأهل الغلو والشرك ليس عندهم إلا المنامات والاحوال الشيطانية التي يحكيها بعضهم عن بعض كما قال لي بعض علماء مصر : ان شيخاً مشى بأصحابه على البحر وقال : لا تذكروا غيري ، وفيهم رجل ذكر الله ، فسقط في البحر ، فأخذ بيده الشيخ فقال : ألم أقل لكم لا تذكروا غيري ؟ فقلت : هذه الحكاية تحتمل أحد أمرين لا ثالث لهما ، أحدهما أن تكون مكذوبة مثل أكاذيب سدنة الاوثان . أو انها حال شيطانية . وأسألك أيها الحاكي لذلك : أيكون فيها حجة على جواز دعوة غير الله ؟ فأقر وقال : لا حجة فيها على ذلك

والمقصود انه ليس عند الغلاة من الحجة إلا ما زخرفوه أو حرفوه أو كذبوه وأما قال الله قال رسوله فهذا بحمد الله كله عليهم لا لهم وما حرفوه من ذلك رد إلى صحيح معناه الذي دل عليه لفظه مطابقة وتضمناً والتزاما ، قال الله تعالى (وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غروراً ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون)

وذكر المعترض حكاية يقول : عن غير واحد من العلماء العظام ـ انهم رأوا النبي ﷺ والمنظومة تنشد بين يديه ـ الى قوله ـ لكن للخصم منع ذلك كله بقوله انهم كفار

(فالجواب) أن يقال : ليس هذا وجه المنع ، وانما وجهه انها حكاية مجهولة عن مجهول ، وهذا من جنس اسناد الاكاذيب . فلو قيل من هؤلاء العظام ؟ وما أسماؤهم وما زمنهم ؟ وما طبقتهم ؟ لم يدر عنهم ، وأخبار المجهولين لا تقبل شهادة ولا رواية يقظة فكيف إذا كانت أحلاما ؟ والمعترض كثيرا ما يحكي عن هيان بن بيان

ثم قال المعترض-على قول المجيب: وطلب الشفاعة من النبي ﷺ ممتنع شرعا وعقلا، قال المعترض-من أين هذا الامتناع ؟ وما دليله من العقل والسمع؟

(فالجواب) أن يقال: معلوم أن دليله من الجهتين لا تعرفه أنت ومن كان مثلك وانما معرفتك في اللجاج، الذي هو كالعجاج الذي يحوم في الفجاج ، أما دليله من السمع فقد تقدم في آيات الزمر ويونس وغيرها، وقد بسطنا القول في ذلك بما يغني عن إعادته فليرجع اليه

وأما دليله من العقل فالعقل الصحيح يقضي ويحكم بما يوافق النقل بأن النجاة والسعادة والفلاح وأسباب ذلك كله لا تحصل إلا بالتوجه الى الله تعالى وحده، وإخلاص الدعاء والالتجاء له واليه ، لان الخير كله بيديه ، وهو القادر عليه ،

وأما المخلوق فليس في يده من هذا شيء كما قال تعالى (مايملكون من قطمير) فتسوية المخلوق بالخالق خلاف العقل كما قال تعالى (أفمن يخلق كمن لا يخلق؟ أفلا تذكرون؟) فالذي له الخلق والامر والنعم كلها منه، وكل مخلوق فقير اليه لا يستغنى عنه طرفة عين هو الذي يستحق أن يدعى ويرجى ويرغب اليه ويرهب منه ، ويتخذ معاذا وملاذا ويتوكل عليه ، وقد قال تعالى (يا أيها الناس أنتم الفقراء الى الله والله هو الغني الحميد)

وقال المفسرون المحققون السلفيون المتبعون في قول الله تعالى (وعلى ربهم يتوكلون) أي لا يرجون سواه ، ولا يقصدون الا إياه ، ولا يلوذون الا بجنابه ولا يطلبون الحوائج الا منه ، ولا يرغبون الا اليه ، ويعلمون انه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، وانه المتصرف في الملك وحده لا شريك له لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب ولهذا قال سعيد بن جبير : التوكل جماع الايمان . ذكره العماد ابن كثير في تفسيره

وليتأمل ماذكره الله تعالى عن صاحب يس من قوله (أأتخذ من دونه

آلهة ان يردن الرحمن بضر لاتغني عني شفاعتهم شيئا ولا ينقذون * اني اذاً لفي ضلال مبين) فهذا دليل فطري عقلي سمعي

وأما قول المعترض —: ان قول الناظم : ومن علومك علم اللوح والقلم —: ان « من » بيانية

(فالجواب) انه ليس كما قال بل هي تبعيضية ، ثم لو كانت بيانية فما ينفعه والمحذور بحاله وهو انه يعلم ما في اللوح المحفوظ ، وقد صرح المعترض بذلك فقال : ولاشك انه أوتي علم الاولين والآخرين ، وعلم ما كان وما يكون

(فالجواب) هذه مصادمة لما هو صريح في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ بان الاحاطة بما في اللوح المحفوظ علما ليس إلا لله تعالى وحده ، كذلك علم الاولين والآخرين ليس إلا لله وحده ، إلا ماأطلع الله عليه نبيه في كتابه كما قال تعالى (ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء) فلرجل في عمى عن قول الله تعالى (بشيء من علمه) وقال تعالى (الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير * وأن الله قد أحاط بكل شيء علما) وقد تقدم لهذه الآيات نظائر

فاحاطة العلم بالموجودات والمعدومات التي وجدت أو ستوجد لله وحده لم يجعل ذلك لاحد سواه ، وقال تعالى (يسئلونك عن الساعه أيان مرساها ، قل انما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو) فأسند علم وقت الساعة الى ربه بامره كقوله تعالى (يسئلونك عن الساعة أيان مرساها * فيم أنت من ذكراها * الى ربك منتهاها) وأمثال هذه الآيات مما يدل على أن الله تعالى اختص بعلم الغيب كله إلا مااستثناه بقوله (ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بماشاء) ومن تبعيضية ههنا بلا نزاع

وقد قال الخضر لموسى عليهما السلام «مانقص علمي وعلمك من علم الله إلا

كما نقص هذا العصفور من هذا البحر» فتأمل هذا وتدبر

وأما قول المعترض وتأويله لقول الله تعالى (قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب إلا الله) فتأويل فاسد ، ما قاله أحد غيره ولا يقوله مسلم من أنه يعلم الغيب بتعليم الله له ، والمنفي في الآية أن يعلمه بنفسه بدون أن يعلمه الله ذلك، فما أجرأ هذا الجاهل على هذا التأويل وما أجهله بالله وبكتابه

(فيقال في الجواب) لا ينفعك هذا التأويل الفاسد إذ لو كان يعلم أحد جميع الغيب بتعليم الله لصدق عليه أن يقال: هذا يعلم الغيب كله الذي يعلمه الله ، فما بقي على هذا لقصر علم الغيب على الله في هذه الآية معنى، وحصل الاشتراك، نعوذ بالله من الافتراء على الله وعلى كتابه وخرق مالم ينزل الله به سلطانا

وأما قوله في قول الناظم :

* إن لم تكن في معادي آخذاً بيدي * —: ان الاخذ باليد بالشفاعة

(فالجواب) أن حقيقة هذا القول وصريحه طلب ذلك من غير الله فلو صح هذا الحمل فالمحذور بحاله ، لما قد عرفت من أن الاستغاثة بالاموات والغائبين والاستشفاع بهم في أمر هو في يد الله ممتنع حصوله لكونه تأليها وعبادة . وقد أبطله القرآن، فهذا المعترض الجاهل يدور على منازعة الله في حقه وملكه وشمول علمه والله يجزيه بعمله

وأما قوله (وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو) فقيل المراد بها الخمس المذكورة في سورة لقمان ، وهذا قبل أن يطلع الله نبيه عليها ، وإلا فقد ذكر عامة أهل العلم أنه لم يتوفاه الله تعالى حتى علمه كل شيء حتى الخمس

(فالجواب) أنظر إلى هذا المفتري الجاهل البليد، كيف اقتفى أثر صاحب الابيات في جميع ما اختلقه وافتراه وأكثر من الاكاذيب على أهل العلم ؟ في قوله ذكر عامة أهل العلم انه لم يتوفاه الله حتى علمه كل شيء حتى الخمس ؟ فحاشا أهل

العلم الذين يعرفون بأنهم أهل العلم من هذه المقالة وعامة أهـل العلم بل كلهم على خلاف ماادعاه سلفا وخلفا

قال أبو جعفر محمد بن جرير الطبري رحمه الله تعالى — في تفسيره الكبير الذي فاق على أكثر التفاسير: ابتدأ تعالى ذكر الخبر عن علمه بمجيء الساعة فقال (إن الله عنده علم الساعة) التي تقوم فيها القيامة لا يعلم ذلك أحد غيره (وينزل الغيث) من السماء لا يقدر على ذلك أحد غيره (ويعلم ما في الارحام) أرحام الاناث (وما تدري نفس ماذا تكسب غداً) يقول وما تعلم نفس حي ماذا تعمل في غد (وما تدري نفس بأي أرض تموت) يقول وما تعلم نفس حي باى أرض تكون ميتتها (إن الله عليم خبير) يقول إن الذى يعلم ذلك كله هو الله دون كل أحد سواه. وذكر بسنده عن مجاهد (ان الله عنده علم الساعة) قال جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال امرأتي حبلى: فأخبرني ماذا تلد؟ وبلادنا مجدبة فأخبرني متى ينزل الغيث؟ وقد علمت متى ولدت فمتى أموت؟ فأنزل الله تعالى (إن الله عنده علم الساعة) إلى آخر السورة. قال فكان مجاهد يقول هن مفاتح الغيب التي قال الله تعالى (وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو)

وأخرج بسنده عن قتادة (إن الله عنده علم الساعة) الآية: خمس من الغيب استأثر الله بهن فلم يطلع عليهن ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا

وبسنده عن عائشة رضي الله عنها «من قال ان أحداً يعلم الغيب إلا الله فقد كذب» وأعظم الفرية على الله، قال الله تعالى (قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب إلا الله)

وبالسند عن عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « مفاتح الغيب خمس لا يعلمهن إلا الله » (ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي

أرض تموت ان الله عليم خبير) ثم قال «لا يعلم أحد ما في غد إلا الله، ولا يعلم أحد متى ينزل الغيث إلا الله، ولا يعلم أحد متى قيام الساعة إلا الله، ولا يعلم أحد ما في الارحام إلا الله، ولا تدري نفس بأي أرض تموت إلا الله»

وبسنده عن مسروق عن عائشة رضي الله عنها قالت «من حدثك انه يعلم ما في غد فقد كذب» ثم قرأت (وما تدري نفس ماذا تكسب غداً)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال «خمس لا يعلمهن إلا الله» (ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت ان الله عليم خبير) انتهى ما ذكره ابن جرير رحمه الله تعالى

وذكر البغوي في تفسيره حديث ابن عمر وعائشة رضي الله عنهما المتقدم ثم قال ـ وقال الضحاك ومقاتل: مفاتح الغيب خزائن الارض، وقال عطاء ما غاب عنكم من الثواب، وقيل انقضاء الاجل، وقيل أحوال العباد من السعادة والشقاوة وخواتيم أعمالهم، وقيل ما لم يكن بعد أنه يكون أم لا يكون، وما لا يكون كيف يكون، وما لا يكون ان لو كان كيف يكون. انتهى

(قلت) ولا يعرف عن أحد من أهل العلم خلاف ما دلت عليه هذه الآيات المحكمات، ونعوذ بالله من مخالفة ما أنزله الله في كتابه وما اخبر به عن نفسه أو أخبر به رسوله ﷺ واجمع العلماء عليه، فان الله استأثر بعلمه عن خلقه ووصف نفسه بانه علام الغيوب، ونعوذ بالله من حال أهل الافتراء والتكذيب.

وأما قوله: ولو ان عبارات أهل العلم مثل البيضاوي وأبي السعود والقسطلاني وأمثالهم تجدي لديكم شيئاً لذكرناها، لكنها تمحى بلفظة واحدة وهي انهم كلهم كفار. أنظر كيف خرج به البغض والتعصب لمذهبه وهواه الى البهت البحت فلا يقبل منهم أحداً ومن هذا حاله فلا حيلة به

(فالجواب) انه ليس للبيضاوي ومن ذكر عبارة تخالف ما قاله السلف والعلماء في معنى الآيات ، ومعاذ الله أن يقول المجيب: ان هؤلاء كفار ، ولا يوجد عن أحد من علماء المسلمين انه كفر أحداً قد مات من هذه الامة ممن ظاهره الاسلام، فلو وجد في كلامه زلة من شرك او بدعة فالواجب التنبيه على ذلك والسكوت عن الشخص، لما تقدم من انا لا ندري ما خاتمته ، واما هؤلاء الذين ذكرهم من المفسرين فانهم من المتأخرين الذين نشئوا في اغتراب من الدين، والمتأخرون يغلب عليهم الاعتماد على عبارات أهل الكلام المخالفة لما عليه السلف وائمة الاسلام من الارجاء ونفي حكمة الله وتأويل صفات الله تعالى وسلب معانيها ما يقارب ما في كشاف الزمخشري، والارجاء والجبر يقابل ما فيه من نفي القدر، وكلاهما في طرفي نقيض ، وكل خالف ما عليه اهل السنة والجماعة في ذلك ، ومعلوم ان صاحب الكشاف اقدم من هؤلاء الثلاثة وارسخ قدما منهم في فنون من العلم، ومع هذا فقد قال شيخ الاسلام البلقيني : استخرجت ما في الكشاف من دسائس الاعتزال بالمناقيش ، وقال ابو حيان وقد مدح الكشاف وما فيه من لطيف المعنى ثم قال:

ولكنه فيه مجال لناقد وزلات سوء قد اخذن المخانقا
فيثبت موضوع الاحاديث جاهلا ويعز والى المعصوم ما ليس لائقا
وينسب ابداء المعاني لنفسه ليوهم اغماراً وان كان سارقا
ويسهب في المعنى الوجيز دلالة بتكثير ألفاظ تسمى الشقاشقا
يقوّل فيها الله ما ليس قائلا وكان محبا في المخاطب وامقا
ويشتم اعلام الائمة ضلة ولا سيما ان اولجوه المضايقا

الى ان قال — :

لئن لم تداركه من الله رحمة لسوف يرى للكافرين مرافقا

فاذا كان هذا في تفسير مشهور وصاحبه معروف بالذكاء والفهم فمن دونه من المتأخرين أولى بان لا يتلقى من كلامه بالقبول إلا ماوافق تفسير السلف وقام عليه الدليل ؟

وهـذا المعترض من جهله يحسب أن كل بيضاء شحمة ، يعظم المفضول من الاشخاص والتصانيف ولا يعرف ماهو الافضل . ولو كان له أدنى مسكة من فهم ومعرفة للعلماء ومصنفاتهم لعلم ان أفضل مافي أيدى الناس من التفاسير هذه الثلاثة التي نقلنا منها: تفسير ابي جعفر محمد بن جرير الطبرى، وتفسير الحسين بن مسعود البغوى ، وتفسير العماد اسماعيل بن كثير . فهذه أجل التفاسير ومصنفوها أئمة مشهورون أهل سنة ليسوا بجهمية ولا معتزلة ولا قدرية ولا مجبرة ولا مرجئة بحمد الله

وأكثر مافي هذه التفاسير الاحاديث الصحيحة وآثار الصحابة وأقوال التابعين وأتباعهم، فلا يرغب عنها إلا الجاهلون الناقصون المنقوصون والله المستعان

والمصنفون في التفسير وغيره ـ غير ماذكر المعترض ـ كثيرون، وأحسن من البيضاوى وأبي السعود البحر لابي حيان لأنه كثيراً ماينقل في تفسيره عن السلف والائمة، وكذلك تفسير الخازن

وبالجملة فمن كان من المصنفين ابعد عن تقليد المتكلمين وذكر عباراتهم ويعتمد أقوال السلف فهو الذى ينبغي النظر اليه والرغبة فيه، وعلى كل حال فليس في تفسير البيضاوى وابي السعود وشرح القسطلاني ومواهبه ماينفع هذا الجاهل المفترى، وكل يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ

وقول المعترض على قول المجيب: علماؤهم شر من تحت اديم السماء ـ فيقال قد ورد هذا الحديث في اهل العراق، فهم على عهد النبي صلى الله عليه وسلم كفار مجوس او فيما يأتي فهذه شناعة على غالب علماء الامة ، ومنهم الامام ابو حنيفة والامام احمد وامثالهم

(فالجواب) ان هذا كلام من لا يعقل ولا يفهم شيئا ولا يفرق بين أهل السنة والجماعة ، واهل البدعة والضلالة

ففي الحديث الصحيح ان النبي ﷺ قال « لاتقوم الساعة حتى يعبد فئام من أمتي الاوثان ، ولا تزال طائفة من امتي على الحق ظاهرين لايضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك » رواه البرقاني في صحيحه وقد أخبر النبي ﷺ «ان أمته ستفترق كما افترقت اليهود والنصارى، فاليهود افترقت على إحدى وسبعين ، والنصارى على ثنتين وسبعين وهذه الامة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة » واول من فارق الجماعة في عهد الصحابة رضي الله عنهم الخوارج قاتلهم علي رضي الله عنه بالنهروان، والقدرية في ايام ابن عمر وابن عباس وأكثر الصحابة موجودون ، ومن دعاتهم معبد الجهني وغيلان القدري الذي قتله هشام بن عبد الملك . كذلك الغلاة في علي الذين خدلهم علي الاخاديد وحرقهم بالنار ، منهم المختار بن ابي عبيد الذى قتله مصعب بن الزبير ادعى النبوة وتبعه خلق كثير

ثم ظهرت فتنة الجهمية واول من أظهرها الجعد بن درهم قتله خالد بن عبدالله القسري، والصحابة رضي الله عنهم والتابعون والائمة متوافرون وقت ظهور مبادىء هذه البدع ،لم يلحقهم من ضلال هذه الفرق شناعة ولا غضاضة، لانهم متمسكون بالكتاب والسنة، منكرون لما خالف الحق

وصح من حديث أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « لا يأتي على الناس زمان إلا والذي بعده شر منه حتى تلقوا ربكم » سمعته من نبيكم ﷺ وظهرت بدعة جهم بن صفوان في زمن أبي حنيفة وأنكرها وناظرهم ،وانتشرت في زمان الامام أحمد رحمه الله تعالى والفقهاء وأهل الحديث . وامتحن الامام أحمد فتمسك بالحق وصبر ، وصنف العلماء رحمهم الله تعالى المصنفات الكبار في

الرد على الجهمية القائلين بخلق القرآن ، المعطلين لصفات الملك الديان ، كالامام احمد في رده المعروف ، وابنه عبد الله وعبد العزيز الكناني في كتابه (الحيدة) وأبي بكر الاثرم والخلال وعثمان بن سعيد الدارمي ، وإمام الائمة محمد بن خزيمة ، واللالكائي وأبي عثمان الصابوني وقبلهم وبعدهم ممن لا يحصى ، وهذا كله انما هو في القرون الثلاثة المفضلة

ثم بعدها ظهرت كل بدعة : بدعة الفلاسفة وبدعة الرافضة وبدعة المعتزلة وبدعة المجبرة وبدعة اهل الحلول وبدعة اهل الاتحاد وبدعة الباطنية الاسماعيلية وبدعة النصيرية والقرامطة ونحوهم

وأما اهل السنة والجماعة فيردون بدعة كل طائفة من هؤلاء الطوائف بحمد الله . فالأئمة متمسكون بالحق في كل زمان ومكان ، والبلد الواحد من هذه الامصار يجتمع فيها اهل السنة واهل البدعة ، وهؤلاء يناظرون هؤلاء ويناضلونهم بالحجج والبراهين . وظهر معنى قول النبي ﷺ « خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ، ثم انها تخلف من بعدهم خلوف يقولون مالا يفعلون ، ويفعلون مالا يؤمرون ، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن ، وليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل » وقال ﷺ « بدأ الاسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ ، فطوبى للغرباء الذين يصلحون إذا فسد الناس » وفي رواية « يصلحون ما أفسد الناس »

وقد صنف العلماء رحمهم الله تعالى في بيان الثنتين والسبعين الفرقة عدة مصنفات وبينوا ما انتحلته كل فرقة من بدعتها المخالفة لما عليه الفرقة الناجية ، وليس على الفرقة الناجية شناعة ولا نقص في مخالفة هذه الفرق لها . وانما ظهر فضل هذه الفرقة بتمسكها بالحق وصبرها على مخالفة هذه الفرق الكثيرة والاحتجاج بالحق ونصرته

وما ظهر فضل الامام أبي حنيفة والامام أحمد ومن قبلهما من الأئمة

ومن بعدها إلا بتمسكهم بالحق ونصرته وردهم الباطل. وما ضر شيخ الاسلام أحمد بن تيمية رحمه الله تعالى وأصحابه حين أجلب عليهم أهل البدع وآذوهم بل أظهر الله بهم السنة وجعل لهم لسان صدق في الامة. وكذلك من قبلهم ومن بعدهم، كشيخنا شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى لما دعا إلى التوحيد وبين أدلته وبين الشرك ومايبطله. وفيه قال الامام العلامة الاديب أبو بكر حسين بن غنام رحمه الله تعالى:

وعاد به نهج الغواية طامسا ... وقد كان مسلوكا بهالناس ترتع

وجرت به نجد ذيول افتخارها ... وحق لهـا بالالمعي ترفع

فآثاره فيها سوام سوافر ... وأنواره فيها تضيء وتسطع

فهذا المعترض لو تصور وعقل لتبين له أن ما احتج به ينقلب حجة عليه

***

وقول المعترض «وإن كان قد ورد في حق أهل الحرمين فهذا ظاهر البطلان، إذ هي مهبط الوحي ومنبع الايمان، ولو قيل ان هذا الحديث وأمثاله ورد في ذم نجد وأهلها فقد ورد في ذمهم أحاديث كثيرة شهيرة منها قوله ﷺ «لايزالون في شر من كذابهم إلى يوم القيامة»

(فالجواب) أن نقول: الاحاديث التي وردت في غربة الدين وحدوث البدع وظهورها لا تختص بمكة والمدينة ولا غيرهما من البلاد، والغالب ان كل بلد لايخلو من بقايا متمسكين بالسنة فلا معنى لقوله: وان كان قد ورد في حق أهل الحرمين. والواقع يشهد لما قلنا

وقد حدث في الحرمين في أواخر عهد الصحابة رضي الله عنهم، بل وفي وقت الخلفاء الراشدين ما هو معروف عند أهل العلم مشهور في السير والتاريخ، وأول ذلك مقتل أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه، ثم وقعة الحرة

المشهورة، ومقتل ابن الزبير في مكة ، وما جرى في خلال ذلك من الفتن، وصارت الغلبة في الحرمين وغيرها لأهل الاهواء ، فاذا كان هذا وقع في خير القرون، فما ظنك فيما بعد حين اشتدت غربة الاسلام وعاد المعروف منكراً والمنكر معروفا؟ نشأ على هذا الصغير، وهرم عليه الكبير؟

***

وأما قوله: اذ هي مهبط الوحي ومنبع الايمان

(فالجواب) ان نقول مهبط الوحي في الحقيقة قلب رسول الله ﷺ كما قال تعالى (نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين) وقال تعالى (بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم) فهذا محل الوحي ومستقره

وقوله : ومنبع الايمان

الايمان ينزل به الوحي من السماء لا ينبع من الارض ، ومحله قلوب المؤمنين، وهذه السور المكية في القرآن معلومة التي نزلت على النبي ﷺ وأكثر من في مكة المشركون وفيها ذمهم والرد عليهم كقوله (وكذب به قومك وهو الحق) وقوله (وهم ينهون عنه وينؤون عنه) وقوله (فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون) ونحو هذه الآيات كما في فصلت والمدثر وغيرهما ثم هاجر النبي ﷺ وأصحابه الى المدينة وأهل الشرك لم يزالوا بها ومنعوا رسول الله ﷺ وأصحابه من دخولها بالوحي ، وقاتلوهم ببدر وأحد والخندق، وهم كانوا آخر العرب دخولا في الاسلام، حاشا من هاجر . وكل هذا بعد نزول الوحي

ونحن بحمد الله لا ننكر فضل الحرمين بل ننكر على من أنكره ، ولكن، نقول الارض لا تقدس أحدا وانما يقدس المرء عمله ، فالمحل الفاضل قد يجتمع فيه المسلم والكافر وأهل الحق وأهل الباطل كما تقدم . فأهل الحق يزدادون بالعمل الصالح في المحل الفاضل لكثرة ثوابه ، وأهل الباطل لا يزيدهم ذلك الا شرا ، تعظم فيه

سيئاتهم كما قال تعالى في حرم مكة (ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم) فاذا كان هذا الوعيد في الارادة فعمل السوء أعظم، فالمعول عليه هو الايمان والعمل الصالح ومحله قلب المؤمن، والناس مجزيون بأعمالهم إن خيراً فخير، وان شرا فشر

***

وقوله: ولو قيل ان هذا الحديث ورد في ذم نجد وأهلها الى آخره

(فأقول) الذم انما يقع في الحقيقة على الحال لا على المحل ، والاحاديث التي وردت في ذم نجد كقوله ﷺ « اللهم بارك لنا في يمننا ، اللهم بارك لنا في شامنا » قالوا وفي نجدنا قال « هناك الزلازل والفتن وبها يطلع قرن الشيطان » قيل انه أراد نجد العراق لان في بعض ألفاظه ذكر المشرق ، والعراق شرقي المدينة ، والواقع يشهد له لا نجد الحجاز ، ذكره العلماء في شرح هذا الحديث، فقد جرى في العراق من الملاحم والفتن مالم يجر في نجد الحجاز ، يعرف ذلك من له اطلاع على السير والتاريخ كخروج الخوارج بها الذين قاتلهم امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه وكمقتل الحسين وفتنة ابن الاشعث وفتنة المختار وقد ادعى النبوة ، وقتال بني أمية لمصعب بن الزبير وقتله ، وما جرى في ولاية الحجاج بن يوسف من القتال وسفك الدماء وغير ذلك مما يطول عده

وعلى كل حال فالذم يكون في حال دون حال ، ووقت دون وقت بحسب حال الساكن ، لان الذم انما يكون للحال دون المحل وإن كانت الاماكن تتفاضل، وقد تقع المداولة فيها فان الله يداول بين خلقه حتى في البقاع، فمحل معصية في زمن قد يكون محل طاعة في زمن آخر وبالعكس

***

وأما قول المعترض منها قوله ﷺ « لا يزالون في شر من كذابهم»

(فالجواب) هذا من جملة كذبه على رسول الله ﷺ وجهله بالعلم لا يميز

بين الحديث وغيره ، وهذا الكلام ورد عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه في نفر من بني حنيفة سكنوا الكوفة في ولاية ابن مسعود عليها ، وكانوا في مسجد من مساجدها ، فسمع منهم كلمة تشعر بتصديق مسيلمة ، فأخذهم عبدالله بن مسعود وقتل كبيرهم ابن النواحة وقال في الباقين «لا يزالون في بلية من كذابهم» يعني ذلك النفر فلا يذم نجد بنفر أحدثوا حدثا في العراق ، وقد أفنى الله كل من حضر مسيلمة في القرن الاول ولم يبق بنجد من يصدق مسيلمة الكذاب ، بل من كان في اواخر عهد الصحابة رضي الله عنهم ومن بعدهم بنجد يكفرون مسيلمة ويكذبونه فلم يبق بنجد من فتنة مسيلمة لا عين ولا اثر . فلو ذم نجد بمسيلمة بعد زواله وزوال من يصدقه لذم اليمن بخروج الاسود العنسي ودعواه النبوة

وما ضر المدينة سكنى اليهود فيها ، وقد صارت مهاجر رسول الله ﷺ وأصحابه ومعقل الاسلام ، وماذمت مكة بتكذيب أهلها الرسول ﷺ وشدة عداوتهم له ، بل هي أحب أرض الله اليه ، فاذا كان الامر كذلك فارض اليمامة لم تعص الله وانما ضرت المعصية ساكنيها بتصديقهم كذابهم ، وما طالت مدتهم على ذلك الكفر بحمد الله ، فطهر الله تلك البلاد منهم ، ومن سلم منهم من القتل دخل في الاسلام ، فصارت بلادهم بلاد إسلام ، بنيت فيها المساجد ، وأقيمت فيها الشرائع ، وعبد الله فيها في عهد الصحابة رضي الله عنهم وبعدهم ، ونفر كثير منهم مع خالد بن الوليد لقتال العجم ، فقاتلوا مع المسلمين ، فنال تلك البلاد من الفضل ما نال غيرها من بلاد اهل الاسلام ، على انها تفضل على كثير من البلاد بالحديث الذي رواه البخاري في صحيحه ان النبي ﷺ قال وهو بمكة لاصحابه « أريت دار هجرتكم » فوصفها ثم قال « فذهب وهلي الى انها اليمامة اويثرب » ورؤيا النبي ﷺ وحي حق ، وكفى بهذا فضلا لليمامة وشرفا لها على غيرها ، فان ذهاب وهله ﷺ في رؤياه اليها لابد أن يكون له أثر في الخير يظهر ، فظهر ذلك

الفضل بحمد الله في القرن الثاني عشر ، فقام الداعي بها يدعو الناس الى ما دعت اليه الرسل من إفراد الله بالعبادة وترك عبادة ماسواه ، واقامة الفرائض والعمل بالواجبات ، والنهي عن مواقعة المحرمات ، وظهر فيها الاسلام اعظم من ظهوره في غيرها في هذه الازمان ، ولولا ذلك ماسب هؤلاء نجداً واليمامة بمسيلمة

إذا عرف ذلك فليعلم ان مسيلمة وبني حنيفة انما كفروا بجحودهم بعض آية من كتاب الله جهلا او عناداً ، وهذا المعترض وأمثاله جحدوا حقيقة مابعث الله به رسله من التوحيد الذي دلت عليه الآيات المحكمات التي تفوت الحصر ، وعصوا رسول الله ﷺ بارتكاب مانهى عنه من الغلو والشرك ، فجوزوا أن يدعى مع الله غيره . وقد نهى الله ورسوله عن ذلك في أكثر سور القرآن ، وجوزوا ان يستعان بغير الله . وقد نهى الله ورسوله عن ذلك وجوزوا الالتجاء إلى الغائبين والاموات والرغبة اليهم ، وقد نهى الله ورسوله عن ذلك أشد النهي وجعلوا لله شريكا في ملكه وربوبيته كما جعلوا له شريكا في الهيته ، وجعلوا له شريكا في احاطة العلم بالمعلومات كلياتها وجزئياتها . وقد قال تعالى مبينا لما اختص به من شمول علمه (الله يعلم ماتحمل كل أنثى وما تغيض الارحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار * عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال - إلى قوله - له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه) الآيات . وهذه الاصول كلها في الفاتحة

يبين تعالى انه هو المختص بذلك دون كل من سواه ففي قوله (الحمد لله رب العالمين) اختصاص الله بالحمد لكماله في ربوبيته والهيته وملكه ، وشمول علمه وقدرته وكماله في ذاته وصفاته (رب العالمين) هو ربهم وخالقهم ورازقهم ومليكهم والمتصرف فيهم بحكمته ومشيئته ليس ذلك إلا له (مالك يوم الدين) فيه تفرده بالملك كقوله (يوم لا تملك نفس لنفس شيئا * والامر يومئذ لله) وقوله (إياك نعبد

وإياك نستعين) فيه قصر العبادة عليه تعالى بجميع أفرادها وكذلك الاستعانة . وفي (إياك نستعين) أيضا توحيد الربوبية .

وهذه الاصول أيضا في (قل أعوذ برب الناس) فهو ربهم ورازقهم والمتصرف فيهم والمدبر لهم (ملك الناس) هو الذي له الملك كما في الحديث الوارد في الاذكار « لا إله إلا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير »

وقوله (اله الناس) هو مألوههم ومعبودهم لامعبود لهم سواه فأهل الايمان خصوه بالالهية ، وأهل الشرك جعلوا له شريكا يألهونه بالعبادة كالدعاء والاستعانة والاستغاثة والالتجاء والرغبة والتعلق عليه ونحو ذلك

وفي (قل ياأيها الكافرون) براءة النبي ﷺ من الشرك والمشركين (قل ياأيها الكافرون لا أعبد ماتعبدون -- إلى قوله — لكم دينكم ولي دين) فهذا هو التوحيد العملي وأساسه البراءة من الشرك والمشركين باطنا وظاهراً وفي (قل هو الله أحد) توحيد العلم والعمل

(قل هو الله أحد) يعني هو الواحد الاحد الذي لانظير له ولا وزير ، ولا ند ولا شبيه ولا عديل ، ولا يطلق هذا اللفظ في الاثبات إلا على الله عز وجل لأنه الكامل في جميع صفاته وأفعاله . وقوله (الله الصمد) قال عكرمة عن ابن عباس : يعني الذي يصمد الخلائق اليه في حوائجهم ومسائلهم

(قلت) وفيه توحيد الربوبية وتوحيد الالهية . وقال الاعمش عن شقيق ابي وائل (الصمد)السيد الذي قد انتهى سؤدده ، وقال الحسن أيضاً (الصمد) الحي القيوم الذي لازوال له ، وقال الربيع بن أنس : هو الذي لم يلد ولم يولد ، كأنه جعل ما بعده تفسيراً له ، وقال سفيان عن منصور عن مجاهد (الصمد) المصمت الذي لاجوف له ، قال ابو القاسم الطبراني في كتاب السنة : وكل هذه صحيحة وهي صفات ربنا عز وجل

وقال مجاهد (ولم يكن له كفواً أحد) يعني لا صاحبة له ؛ وهذا كما قال تعالى (بديع السموات والارض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم) أي هو مالك كل شيء وخالقه فكيف يكون له من خلقه نظير يساميه، أو قريب يدانيه؟ تعالى وتقدس وتنزه

(قلت) فتدبر هذه السورة وما فيها من توحيد الالهية والربوبية وتنزيه الله عن الشريك والشبيه والنظير وما فيها من مجامع صفات كماله ونعوت جلاله ومن له بعض تصور يدرك هذا بتوفيق الله (ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور)

***

وأما قول المعترض على قول المجيب : ونوع الشرك جرى في زمن شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى » أقول : هذه البردة متقدمة على زمن شيخ الاسلام ولم ينقل عنه فيها كلمة واحدة

(فالجواب) تقدم البردة على زمن شيخ الاسلام إن كان كذلك فماذا يجدي عليه ؟ وما الحجة منه على جواز الشرك ؟

وأيضا فشهادته هذه على شيخ الاسلام غير محصورة فلا تقبل، وهو لم يطلع إلا على النزر اليسير من كلام شيخ الاسلام ولم يفهم معنى ما اطلع عليه، وهو في شق وشيخ الاسلام في شق، وليس في كلام شيخ الاسلام إلا ما هو حجة على هذا المعترض لكنه يتعلق في باطله بمثل خيط العنكبوت ، فان كان يقنعه كلام شيخ الاسلام رحمه الله تعالى المؤيد بالبرهان فقد تقدم من كلامه ما يكفي ويشفي في تمييز الحق من الباطل . وكلامه رحمه الله تعالى في أكثر كتبه يبين هذا الشرك وينكره ويرده ، كما قد رد على البكري حين جوز الاستغاثة بغير الله . ولا يشك من له أدنى مسكة من عقل وفهم أن كلام صاحب البردة داخل تحت كلام شيخ الاسلام في الرد عليه والانكار

وأنا أورد هنا جوابا لشيخ الاسلام عن سؤال من سأله عن نوع هذا الشرك وبعض أفراده ، فأتى بجواب عام شامل كاف واف

قال السائل : ماقول علماء المسلمين فيمن يستنجد بأهل القبور ويطلب منهم إزالة الالم ، ويقول ياسيدي انا في حسبك ، وفيمن يستلم القبر ويمرغ وجهه عليه ، ويقول قضيت حاجتي ببركة الله وبركة الشيخ ونحو ذلك ؟

(الجواب) الحمد لله رب العالمين ، الدين الذي بعث الله به رسله وأنزل به كتبه هو عبادة الله وحده لاشريك له واستعانته والتوكل عليه ودعاؤه لجلب المنافع ودفع المضار كما قال تعالى (انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين ألا لله الدين الخالص) الآيات . وقال (وان المساجد لله فلا تدعو مع الله أحداً) وقال (فادعوه مخلصين له الدين) وقوله (قل ادعو الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا) الآيات

قال طائفة من السلف : كان أقوام يدعون المسيح وعزيراً والملائكة قال الله تعالى هؤلاء الذين تدعونهم عبادي يرجون رحمتي كما ترجون رحمتي ، ويخافون عذابي كما تخافون عذابي) فاذا كان هذا حال من يدعو الانبياء والملائكة فكيف بمن دونهم ؟ قال تعالى (أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء) الآية . وقال (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لايملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير * ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له)

فبين سبحانه أن من دعي من دون الله من جميع المخلوقات الملائكة والبشر وغيرهم أنهم لايملكون مثقال ذرة في ملكه وانه ليس له شريك في ملكه (له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير) وانه ليس له عون كما يكون للملك أعوان وظهراء ، وأن الشفعاء لايشفعون عنده إلا لمن ارتضى فنفى بذلك وجوه الشرك

وذلك ان من دعي من دونه إما ان يكون مالكا وإما أن لايكون مالكا ، واذا لم يكن مالكا فاما أن يكون شريكا ، وإما أن لايكون شريكا ، واذا لم يكن شريكا فاما ان يكون معاونا ، وإما ان يكون سائلا طالبا

فاما الرابع فلا يكون إلا من بعد اذنه ، كما قال تعالى (من ذا الذي يشفع عنده إلا باذنه) وكما قال تعالى (وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئاً إلا من بعد ان يأذن الله لمن يشاء ويرضى) وقال (ام اتخذوا من دون الله شفعاء قل أولو كانو لا يملكون شيئاً ولا يعقلون * قل لله الشفاعة جميعاً له ملك السموات والارض ثم اليه ترجعون) وقال (ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع) وقال (ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع) وقال (ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله — الى قوله — ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر بعد إذ انتم مسلمون)

فبين سبحانه ان من اتخذ الملائكة والنبيين أربابا كان كافراً فكيف بمن اتخذ من دونهم من المشايخ وغيرهم أربابا؟ فلا يجوز ان يقول لملك ولا لنبي ولا لشيخ سواء كان حياً أو ميتاً : اغفر ذنبي وانصرني على عدوي أو اشف مريضي أو ما أشبه ذلك ، ومن سأل ذلك مخلوقاً كائناً من كان فهو مشرك بربه من جنس المشركين الذين يعبدون الملائكة والانبياء والتماثيل التي يصورونها على صورهم ومن جنس دعاء النصارى المسيح وأمه ، قال الله تعالى (واذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي آلهين من دون الله ؟ قال سبحانك ما يكون لي ان أقول ما ليس لي بحق ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك انك انت علام الغيوب * ما قلت لهم الا ما أمرتني به ان اعبدوا الله ربي وربكم) الآية ، وقال (اتخذوا احبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح

ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا الهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون)

وان قال انا أسأله لانه أقرب الى الله مني ليشفع لي لأني اتوسل الى الله به كما يتوسل الى السلطان بخوصه واعوانه ، فهذا من افعال المشركين والنصارى فانهم يزعمون انهم يتخذون احبارهم ورهبانهم شفعاء يستشفعون بهم في مطالبهم ولذلك اخبر الله عن المشركين انهم قالوا (ما نعبدهم إلا ليقربونا الى الله زلفى) وقد قال سبحانه (ام اتخذوا من دون الله شفعاء — الى قوله — ترجعون) وقال (ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع افلا تذكرون) وقال (من ذا الذي يشفع عنده إلا باذنه)

فبين الفرق بينه وبين خلقه فان من عادات الناس ان يستشفعوا الى الكبير بمن يكرم عليه، فيسأله ذلك الشفيع فيقضي حاجته إما رغبة واما رهبة واما حياء واما غير ذلك ، فالله سبحانه لا يشفع عنده أحد حتى يأذن هو للشافع ، فلا يفعل إلا ما يشاء ، وشفاعة الشافع عن أذنه والامر كله له ، فالرغبة يجب أن تكون اليه كما قال تعالى (فاذا فرغت فانصب والى ربك فارغب) والرهبة تكون منه ، قال تعالى (فاياي فارهبون) وقال (فلا تخشوا الناس واخشون) وقد امرنا ان نصلي على النبي ﷺ في الدعاء وجعل ذلك من أسباب اجابة دعائنا ،

وقول كثير من الضلال : هذا اقرب الى الله مني وانا بعيد منه لا يمكن ان ندعوه الا بهذه الواسطة ونحو ذلك — هو من قول المشركين ، فان الله تعالى يقول (واذا سألك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداعي اذا دعاني) .

وقد روي ان الصحابة رضي الله عنهم قالوا : يارسول الله، ربنا قريب فنناجيه، أم بعيد فنناديه ؟ فنزلت الآية . وقد أمر الله تعالى العباد كلهم بالصلاة له ومناجاته وأمر كلا منهم أن يقول (اياك نعبد واياك نستعين)

*
* *

ثم يقال لهذا المشرك: أنت اذا دعوت هذا فان كنت تظن انه أعلم بحالك

أو يقدر على اجابة سؤالك أو أرحم بك من ربك ـ فهذا جهل وضلال وكفر . وان كنت تعلم ان الله تعالى أعلم وأقدر وأرحم فلماذا عدلت عن سؤاله الى سؤال غيره ؟ وان كنت تعلم انه أقرب الى الله منك وأعلى منزلة عند الله منك فهـذا حق أريد به باطل ، فانه اذا كان أقرب منك وأعلى درجة فان معناه أن يثيبه، ويعطيه ليس معناه إنك اذا دعوته كان الله يقضي حاجتك أعظم مما يقضيها اذا دعوته أنت، فانك ان كنت مستحقا للعقاب ورد الدعاء فالنبي والصالح لا يعين على مايكرهه الله ولا يسعى فيما يبغضك اليه، وان لم يكن كذلك فالله أولى بالرحمة والقبول منه .

فان قلت : هـذا اذا دعا الله أجاب دعاءه أعظم مما يجيب اذا دعوته أنا ، فهذا هو القسم الثاني، وهو ان يطلب منه الفعل ولا يدعوه ، ولـكن يطلب أن يدعو له، كما يقال للحي: ادع لي وكما كان الصحابة يطلبون من النبي ﷺ الدعاء فهذا مشروع في الحي . وأما الميت من الانبياء والصالحين وغيرهم فلم يشرع لنا أن نقول : ادع لنا ولا اسئل لنا ربك ونحو ذلك، ولم يفعل ذلك احد من الصحابة والتابعين ولا امر به احد من الائمة ولا ورد في ذلك حديث ، بل الذي ثبت في الصحيح انهم لما أجدبوا زمن عمر استسقى بالعباس رضي الله عنهما فقال: اللهم إنا كنا اذا أجدبنا نتوسل اليك بنبينا فتسقينا ، وإنا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا فيسقون ، فلم يجيئوا الى قبر النبي ﷺ قائلين: يارسول الله ادع الله أو استسق لنا ونحن نشكو اليك ماأصابنا ونحو هذا، ولم يقله احد من الصحابة قط، بل هو بدعة ماأنزل الله بها من سلطان، بل كانوا اذا جاءوا عند قبر النبي ﷺ يسلمون عليه ثم اذا ارادوا الدعاء لم يدعوا الله مستقبلي القبر بل ينحرفون فيستقبلون القبلة ويدعون الله وحده لا شريك له كما كانوا يدعونه في سائر البقاع .

وفي الموطأ وغيره ان النبي ﷺ قال « اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبـد ،

اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور انبيائهم مساجد » وفي السنن أيضاً انه قال « لاتتخذوا قبري عيداً ، وصلوا عليّ حيثما كنتم ، فان صلاتكم تبلغني »

وفي الصحيح انه قال في مرضه الذي لم يقم منه « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور انبيائهم مساجد » يحذر مافعلوا . قالت عائشة رضي الله عنها : ولولا ذلك لأبرز قبره لكن خشي أن يتخذ مسجدا ، وفي سنن ابي داود عنه انه قال « لعن الله زوارات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج » ولهذا قال العلماء لايجوز بناء المساجد على القبور ، وقالوا: انه لايجوز ان ينذر لقبر ولا للمجاورين عند القبر شيئاً، لا من دراهم ولا زيت ولا شمع ولا حيوان ولا غير ذلك، كله نذر معصية ، ولم يقل احد من أئمة المسلمين ان الصلاة عند القبور وفي المشاهد مستحبة ، ولا أن الدعاء هناك افضل ، بل اتفقوا كلهم على ان الصلاة في المساجد وفي البيوت افضل من الصلاة عند قبر لا قبر نبي ولا صالح سواء سميت مشاهد ام لا. وقد شرع الله ذلك في المساجد دون المشاهد ، وقال (ومن اظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها)ولم يقل في المشاهد ، وقال تعالى (قل أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد) وقال (انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر) الآية

وذكر البخاري في صحيحه والطبري وغيره في تفاسيرهم في قوله تعالى (وقالوا لاتذرن آلهتكم ولا تذرن وداً ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا)قالوا :هذه اسماء قوم صالحين في قوم نوح ، فلما ماتوا عكفوا على قبورهم ، ثم طال عليهم الامد فاتخذوا تماثيلهم اصناماً . فالعكوف على القبور والتمسح بها وتقبيلها والدعاء عندها هو أصل الشرك وعبادة الاوثان، ولهذا اتفق العلماء على أن من زار قبر النبي ﷺ او قبر غيره من الانبياء والصالحين فانه لا يتمسح به ولا يقبله . وليس في الدين ما شرع تقبيله الا الحجر الاسود

وقد ثبت في الصحيحين ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : والله اني لأعلم انك حجر لاتضر ولا تنفع ، ولولا اني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك. ولهذا لايسن أن يقبل الرجل ويستلم ركني البيت اللذين يليان الحجر ولا جدران البيت ولا مقام ابراهيم ولا صخرة بيت المقدس ، ولا قبر أحد من الانبياء والصالحين اه

وقال رحمه الله تعالى في الرد على البكري — بعد كلام له سبق: لكن من هو الذي جعل الاستغاثة بالمخلوق ودعاءه سببا في الامور التي لا يقدر عليها الا الله؟ ومن الذي قال انك اذا استغثت بميت او غائب من البشر ، نبياً كان أو غير نبي، كان ذلك سبباً في حصول الرزق والنصر والهدى وغير ذلك مما لا يقدر عليه إلا الله؟ ومن الذي شرع ذلك وأمر به؟ ومن الذي فعل ذلك من الانبياء والصحابة والتابعين لهم باحسان ؟فان هذا المقام يحتاج الى مقدمتين : (احداهما) ان هذه اسباب لحصول المطالب التي لا يقدر عليها الا الله (والثانية) ان هذه الاسباب مشروعة لايحرم فعلها ، فانه ليس كل ما كان سبباً كونيا يجوز تعاطيه — إلى أن قال — وهذا المقام مما يظهر به ضلال هؤلاء المشركين خلقاً وأمرا ، فانهم مطالبون بالادلة الشرعية على أن الله شرع لخلقه ان يسألوا ميتا او غائبا وأن يستغيثوا به ، سواء كان ذلك عند قبره أو لم يكن عند قبره ، بل نقول: سؤال الميت والغائب نبياً كان او غير نبي من المحرمات المنكرة باتفاق ائمة المسلمين، لم يأمر الله به ولا رسوله ولا فعله أحد من الصحابة ولا التابعين لهم باحسان ولا استحبه احد من ائمة المسلمين ، وهذا مما يعلم بالاضطرار من دين المسلمين ، فان أحدا منهم ما كان يقول إذا نزلت به شدة ، أو عرضت له حاجة لميت يا سيدي فلان أنا في حسبك ، او اقض حاجتي ، كما يقوله بعض هؤلاء المشركين لمن يدعونهم من الموتى والغائبين ولا أحد من الصحابة استغاث بالنبي

ﷺ بعد موته ولا بغيره من الانبياء ، لا عند قبورهم ولا إذا بعدوا عنها ، بل ولا اقسم بمخلوق على الله أصلا ، ولا كانوا يقصدون الدعاء عند قبور الانبياء ولا قبور غير الانبياء. ولا الصلاة عندها. وقد كره العلماء كمالك وغيره ان يقوم الرجل عند قبر النبي ﷺ يدعو لنفسه وذكروا ان هذا من البدع التي لم يفعلها السلف

وأما ما يروى عن بعضهم انه قال: قبر معروف الترياق المجرب ، وقول بعضهم: فلان يدعى عند قبره . وقول بعض الشيوخ : اذا كانت لك حاجة فاستغث بي ، او قال استغث عند قبري ، ونحو ذلك ، فان هذا قد وقع فيه كثير من المتأخرين وأتباعهم ؛ ولكن هذه الامور كلها بدع محدثة في الاسلام بعد القرون الثلاثة المفضلة وكذلك المساجد المبنية على القبور التي تسمى المشاهد محدثة في الاسلام ، والسفر اليها محدث في الاسلام لم يكن شيء من ذلك في القرون الثلاثة المفضلة ، بل ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ انه قال « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور انبيائهم مساجد » يحذر ما فعلوا — قالت عائشة رضي الله عنها : ولولا ذلك لأبرز قبره ولكن كره ان يتخذ مسجدا . وثبت في الصحيح عنه انه قال قبل ان يموت بخمس « ان من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فاني أنهاكم عن ذلك » وقد تقدم أن عمر لما أجدبوا استسقى بالعباس فقال : اللهم انا كنا اذا أجدبنا نتوسل اليك بنبينا فتسقينا وانا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا ، فيسقون . فلم يذهبوا إلى القبور ولا توسلوا بميت ولا غائب ، بل توسلوا بالعباس وكان توسلهم به توسلا بدعائه كالامام مع المأموم وهذا تعذر بموته

فأما قول القائل : عن ميت من الانبياء والصالحين اللهم اني أسئلك بفلان او بجاه فلان او بحرمة فلان ، فهذا لم ينقل لا عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن الصحابة ولا التابعين وقد نص غير واحد من العلماء انه لا يجوز ، فكيف يقول القائل للميت انا أستغيث بك وأستجير بك وانا في حسبك ، او سل لي الله ونحو ذلك ؟

فتبين ان هذا ليس من الاسباب المشروعة لو قدر ان له تأثيراً فكيف اذا لم يكن له تأثير صالح؟ وذلك ان من الناس الذين يستغيثون بغائب او ميت من تتمثل له الشياطين وربما كانت على صورة ذلك الغائب، وربما كلمته، وربما قضت له أحيانا بعض حوائجه، كما تفعل شياطين الاصنام، فان أحداً من الانبياء والصالحين لم يعبد في حياته إذ هو ينهي عن ذلك. وأما بعد الموت فهو لا يقدر ان ينهى فيفضي ذلك إلى اتخاذ قبره وثنا يعبد. ولهذا قال النبي ﷺ « لا تتخذوا قبري عيداً الخ » وقال « اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد »

وقال غير واحد من السلف في قوله تعالى (وقالوا لاتذرن آلهتكم) الآية ان هؤلاء كانوا قوما صالحين في قوم نوح، فلما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم ثم طال عليهم الامد فعبدوهم. ولهذا المعنى لعن النبي ﷺ الذين اتخذوا قبور الانبياء والصالحين مساجد. انتهى ملخصا

وأخرج ابن ابي شيبة عن ابن الزبير انه رأى قوما يمسحون المقام فقال: لم تؤمروا بهذا، انما أمرتم بالصلاة عنده

وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن قتادة في قول الله تعالى (واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى) قال : انما أمروا ان يصلوا عنده ولم يؤمروا بمسحه، ولقد تكلفت هذه الامة أشياء ما تكلفته الامم قبلها

فاذا كان المعترض يستدل بكلام شيخ الاسلام فهذا صريح كلامه المؤيد بالادلة والبراهين، وكلام العلماء كمثل كلام شيخ الاسلام في هذا المعنى كثير جداً لو ذكرناه لطال الجواب

واما قول المعترض : بل مدح الصرصري واثنى عليه بقوله : قال الفقيه الصالح يحيى بن يوسف الصرصري في نظمه المشهور

(فالجواب) ان هذا من جملة أكاذيب المعترض على شيخ الاسلام وغيره

وقد كذب على الاقناع والشفاء، وليس في الكتابين إلا مايبطل قوله. وفي الحديث « ان مما أدرك الناس من كلام النبوة الاولى اذا لم تستح فاصنع ماشئت » وإلا فكلام شيخ الاسلام في رد مايقوله الصرصري وانكاره موجود بحمد الله

قال رحمه الله تعالى في رده على البكري بعد وجهين ذكرهما :

(الثالث) انه أدرج سؤاله أيضاً في الاستغاثة به وهذا جائز في حياته لكنه أخطأ في التسوية بين المحيا والممات، وهذا ماعلمته ينقل عن أحد من العلماء لكنه موجود في كلام بعض الناس مثل الشيخ يحيى الصرصري ففي شعره قطعة، وكمحمد ابن النعمان وهؤلاء لهم صلاح ودين ولكنهم ليسوا من أهل العلم العالمين بمدارك الاحكام الذين يؤخذ بقولهم في شرائع الاسلام وليس معهم دليل شرعي ولا نقل عن عالم مرضي، بل عادة جروا عليها كما جرت عادة كثير من الناس بانه يستغيث بشيخه في الشدائد ويدعوه، وأكثر منه من يأتي إلى قبر الشيخ يدعوه ويدعو به ويدعو عنده وهؤلاء ليس لهم مستند شرعي من كتاب أو سنة أو قول عن الصحابة والائمة وليس عندهم إلا قول طائفة أخرى: قبر معروف ترياق مجرب والدعاء عند قبر الشيخ مجاب ونحو ذلك، ومعهم: أن طائفة استغاثوا بحي أو ميت فرأوه قد أتى في الهواء وقضى بعض تلك الحوائج. وهذا كثير واقع في المشركين الذين يدعون الملائكة والانبياء والصالحين أو الكواكب والاوثان فان الشياطين كثيراً ماتتمثل لهم فيرونها وقد تخاطب أحدهم ولا يراها، ولو ذكرت ماأعلم من الوقائع الموجودة في زماننا لطال المقال، وكلما كان القوم أعظم جهلا وضلالا كانت هذه الاحوال الشيطانية عندهم أكثر، وقد يأتي الشيطان أحدهم بمال أو طعام أو لباس أو غير ذلك وهو لا يرى أحداً أتاه به فيحسب ذلك كرامة وانما هو من الشيطان وسببه شركه بالله وخروجه عن طاعة الله ورسوله إلى طاعة الشيطان فأضلتهم الشياطين بذلك كما كانت تضل عباد الاصنام. انتهى ماذكره شيخ

الاسلام رحمه الله تعالى من انكاره مافي شعر الصرصري وغيره من هذه الامور الشركية وبيان أسبابها

*
* *

وأما قول المعترض : وفيه توسل عظيم ان لم يزد على قول صاحب البردة لم ينقص عنه .

(فالجواب) ان هذا من عدم بصيرته وكبير جهله ، فان من له أدنى معرفة وفهم يعلم ان بين قول صاحب البردة وقول الصرصري في أبياته تفاوتا بعيدا فقد نبهنا على مايقتضيه كلام صاحب البردة من قصر الالهية والربوبية والملك وشمول العلم على عبد شرفه الله بعبوديته ورسالته ودعوة الخلق الى عبادته وحده وجهاد الناس على ذلك وبلغ الأمة ما أنزله الله تعالى عليه في الآيات المحكمات من تجريد التوحيد والنهي عن الشرك ووسائله كما قدمنا الاشارة اليه

وأما الصرصري ففي كلامه التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم والاستغاثة به، لكن لاقصر ولا حصر للاستعانة والاستغاثة في جانب المخلوق ، وقد أنكره شيخ الاسلام رحمه الله تعالى وذكر انه لا دليل من كتاب ولا سنة عليه ولا قال به أحد من الصحابة والتابعين والأئمة ، وقد بين رحمه الله تعالى ان استغاثة الحي بالحي انما هو بدعائه وشفاعته. وأما الميت والغائب فلا يجوز أن يستغاث به، وكذلك الحي فيما لايقدر عليه إلا الله، وان اهل الاشراك ليس معهم إلا الجهل والهوى وعوائد نشؤا عليها بلا برهان ، وقد عرفت ان هذا المعترض لم يأت إلا بشبهات واهية وحكايات سوفسطائية أو منامات تضليلية كما قال كعب ابن زهير :

فلا يغرنك مامنت وما وعدت ان الاماني والاحلام تضليل

وليس مع هؤلاء المشركين إلا دعوى مجردة محشوة بالاكاذيب ، وليس معهم بحمد الله دليل من كتاب أو سنة أو قول واحد من سلف الأمة وأئمتها

وقد جئناهم بأدلة الكتاب والسنة وما عليه الصحابة والأئمة ولو استقصينا ذكر الأدلة وبسط القول لا احتمل مجلداً ضخما

وسبب الفتنة بقصائد هؤلاء المتأخرين كقصائد البوصيري والبرعي واختيارها على قصائد شعراء الصحابة كحسان بن ثابت وكعب بن مالك وكعب بن زهير وغيرهم من شعراء الصحابة رضي الله عنهم ، وفيها من شواهد اللغة والبلاغة مالم يدرك هؤلاء المتأخرون منه عشر المعشار ، وما ذاك إلا لان قصائد هؤلاء المتأخرين تجاوزوا فيها الحد الى ما يكرهه الله ورسوله ، فزينها الشيطان في نفوس الجهال والضلال فمالت اليها نفوسهم عن قصائد الصحابة التي ليس فيها إلا الحق والصدق وما قصروا فيها جهدهم عما يصلح أن يمدح به رسول الله ﷺ وتحروا فيها ما يرضيه وتجنبوا مايسخطه ﷺ وما نهى عنه من الغلو . فما أشبه هؤلاء بقول أبي الوفاء بن عقيل - وهو في القرن الخامس: لما صعبت التكاليف على الجهال والطغام عدلوا عن أوضاع الشرع الى أوضاع وضعوها لانفسهم فسهلت عليهم إذ لم يدخلوا بها تحت أمر غيرهم . قال: وهم عندي كفار بهذه الاوضاع - الى آخره

ومما يتعين أن نختم به هذا الجواب فصل ذكره العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى ونفعنا بعلومه ، قال - بعد أن ذكر زيارة الموحدين للقبور وان مقصودها ثلاثة أشياء :

(أحدها) تذكير الآخرة والاعتبار والاتعاظ (الثاني) الاحسان الى الميت وأن لا يطول عهده به فيتناساه ، فاذا زاره وأهدى اليه هدية من دعاء أو صدقة ازداد بذلك سروره وفرحه ، ولهذا شرع النبي ﷺ للزائر أن يدعو لاهل القبور بالمغفرة والرحمة ويسأل لهم العافية فقط ، ولم يشرع أن يدعوهم ولا يدعو بهم ولا يصلي عندهم (الثالث) احسان الزائر الى نفسه باتباع السنة والوقوف عند ما شرعه الرسول ﷺ

وأما الزيارة الشركية فأصلها مأخوذ عن عباد الاصنام ، قالوا: الميت المعظم الذي لروحه قرب ومزية عند الله تعالى لايزال تأتيه الالطاف من الله تعالى وتفيض على روحه الخيرات ، فاذا علق الزائر روحه به وأدناها منه فاض من روح المزور على روح الزائر من تلك الالطاف بواسطتها كما ينعكس الشعاع من المرآة الصافية والماء على الجسم المقابل له، قالوا: فتمام الزيارة أن يتوجه الزائر بروحه وقلبه الى الميت ويعكف بهمته عليه ويوجه قصده كله واقباله عليه بحيث لايبقى فيه التفات الى غيره. وكلما كان جمع القلب والهمة عليه أعظم كان أقرب الى الانتفاع به.

وقد ذكر هذه الزيارة ابن سينا والفارابي وغيرهما وصرح بها عباد الكواكب في عبادتها ، وهذا بعينه هو الذي أوجب لعباد القبور اتخاذها أعيادا وتعليق الستور عليها وايقاد السرج وبناء المساجد عليها، وهو الذي قصد رسول الله ﷺ ابطاله ومحوه بالكلية وسد الذرائع المفضية اليه ، فوقف المشركون في طريقه وناقضوه في قصده . وكان رسول الله ﷺ في شق وهؤلاء في شق ، وهذا الذي ذكره هؤلاء في زيارة القبور والشفاعة التي ظنوا ان آلهتهم تنفعهم بها وتشفع لهم عند الله ، قالوا فان العبد اذا تعلقت روحه بروح الوجيه المقرب عند الله وتوجه بهمته اليه وعكف بقلبه عليه صار بينه وبينه اتصال يفيض عليه نصيب مما يحصل له من الله ، وشبهوا ذلك بمن يخدم ذا جاه وحظوة وقرب من السلطان وهو شديد التعلق به فما يحصل لذلك من السلطان من الانعام والافضال ينال ذلك المتعلق به بحسب تعلقه به ، فهذا سر عبادة الاصنام ، وهو الذي بعث الله رسله وأنزل كتبه بابطاله وتكفير أصحابه ولعنهم وأباح دماءهم وأموالهم وسبي ذراريهم وأوجب لهم النار.

والقرآن من أوله الى آخره مملوء من الرد على أهله وابطال مذهبهم، قال الله تعالى (أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أولو كانوا لايملكون شيئا ولا يعقلون*

قل لله الشفاعة جميعا له ملك السموات والارض ثم اليه ترجعون) فأخبر ان الشفاعة لمن له ملك السموات والارض وهو الله وحده وهو الذي يشفع بنفسه الى نفسه ليرحم عبده فيأذن هو لمن يشاء أن يشفع فيه

فصارت الشفاعة في الحقيقة انما هي له ، والذي يشفع عنده انما يشفع باذنه وأمره بعد شفاعته سبحانه الى نفسه وهي ارادته من نفسه أن يرحم عبده ، وهذا ضد الشفاعة الشركية التي أثبتها هؤلاء المشركون ومن وافقهم، وهي التي أبطلها الله سبحانه وتعالى بقوله (واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة) وقوله (من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة) وقال (وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع)

وأخبر سبحانه انه ليس للعباد شفيع من دونه بل اذا أراد سبحانه رحمة لعبده أذن هو لمن يشفع فيه كما قال تعالى (ما من شفيع الا من بعد اذنه) وقال (من ذا الذي يشفع عنده إلا باذنه) فالشفاعة باذنه ليست شفاعة من دونه ولا الشافع شفيع من دونه بل يشفع باذنه ، والفرق بين الشفيعين كالفرق بين الشريك والعبد المأمور ، فالشفاعة التي أبطلها شفاعة الشريك فانه لا شريك له والتي أثبتها شفاعة العبد المأمور الذي يشفع ولا يتقدم بين يدي مالكه حتى يأذن له ويقول أشفع في فلان

ولهذا كان أسعد الناس بشفاعة سيد الشفعاء يوم القيامة اهل التوحيد الذين جردوا التوحيد وخلصوه من تعلقات الشرك وشوائبه ، وهم الذين ارتضى الله سبحانه . قال تعالى (ولا يشفعون إلا لمن ارتضى) وقال تعالى (يومئذ لاتنفع الشفاعة الا من أذن له الرحمن ورضي له قولا) فاخبر انه لاتحصل يومئذ شفاعة تنفع إلا بعد رضا قول المشفوع له واذنه للشافع ، فاما المشرك فانه لايرضاه ولا

يرضي قوله ، فلا يأذن للشفعاء أن يشفعوا فيه فانه سبحانه علقها بامرين : رضاه عن المشفوع له واذنه للشافع . فما لم يوجد مجموع الامرين لم توجد الشفاعة

وسر ذلك ان الامر كله لله وحده ، فليس لاحد معه من الامر شيء ، واعلى الخلق وأفضلهم واكرمهم عنده هم الرسل والملائكة المقربون وهم عبيد محض لايسبقونه بالقول ، ولا يتقدمون بين يديه ، ولا يفعلون شيئا إلا من بعد إذنه لهم ، ولا سيما يوم لاتملك نفس لنفس شيئا فهم مملوكون مربوبون ، أفعالهم مقيدة بأمره واذنه ، فاذا أشركهم به المشرك واتخذهم شفعاء من دونه ظنا منه انه إذا فعل ذلك تقدموا وشفعوا له عندالله فهو من اجهل الناس بحق الرب سبحانه وما يجب له ويمتنع عليه . فان هذا محال ممتنع يشبه قياس الرب سبحانه على الملوك والكبراء ، حيث يتخذ الرجل من خواصهم واوليائهم من يشفع له عندهم في الحوائج.

وبهذا القياس الفاسد عبدت الاصنام ، واتخذ المشركون من دون الله الشفيع والولي . والفرق بينهما هو الفرق بين الخالق والمخلوق ، والرب والمربوب ، والسيد والعبد والمالك والمملوك والغني والفقير ، والذي لاحاجة به إلى أحد قط ، والمحتاج من كل وجه إلى غيره

فالشفعاء عند المخلوقين هم شركاؤهم فان قيام مصالحهم بهم وهم أعوانهم وأنصارهم الذين قيام أمر الملوك والكبراء بهم ، ولولا هم لما انبسطت أيديهم وألسنتهم في الناس فلحاجتهم اليهم يحتاجون إلى قبول شفاعتهم ، وان لم يأذنوا فيها ولم يرضوا عن الشافع لانهم يخافون أن يردوا شفاعتهم فتنقص طاعتهم لهم ويذهبون إلى غيرهم فلا يجدون بدا من قبول شفاعتهم على الكره والرضا

فاما الذي غناه من لوازم ذاته وكل ماسواه فقير اليه لذاته ، وكل من في السموات والارض عبيد له مقهورون لقهره ، مصرفون بمشيئته ، لو أهلكهم جميعا لم ينقص من عزه وسلطانه وملكه وربوبيته والهيته مثقال ذرة . قال تعالى

(لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم ، قل فمن يملك من الله شيئا إن اراد أن يهلك المسيح بن مريم وامه ومن في الارض جميعا ولله ملك السموات والارض) وقل في سيدة آي القرآن آية الكرسي (له ما في السموات وما في الارض من ذا الذي يشفع عنده إلا باذنه) وقال (قل لله الشفاعة جميعا له ملك السموات والارض) فأخبر ان ملكه السموات والارض يوجب أن تكون الشفاعة كلها له وحده ، وان أحداً لا يشفع عنده إلا باذنه ، فانه ليس بشريك بل مملوك محض بخلاف شفاعة اهل الدنيا بعضهم عند بعض

فتبين ان الشفاعة التي نفاها الله سبحانه في القرآن هي هذه الشفاعة الشركية التي يفعلها بعضهم مع بعض . ولهذا يطلق نفيها تارة بناء على انها هي المعروفة عند الناس ، ويقيدها تارة بأنها لا تنفع إلا باذنه . وهذه الشفاعة في الحقيقة هي منه فانه الذي أذن والذي قبل والذي رضي عن المشفوع ، والذي وفقه لفعل ما يستحق به الشفاعة وقوله

فمتخذ الشفيع لا تنفعه شفاعته ولا يشفع فيه ، ومتخذ الرب وحده الهه ومعبوده ومحبوبه ومرجوه ومخوفه الذي يتقرب اليه وحده ويطلب رضاه ، ويتباعد من سخطه هو الذي يأذن الله سبحانه للشفيع أن يشفع له ، قال تعالى (ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله * قل اتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض سبحانه وتعالى عما يشركون) فبين سبحانه وتعالى ان متخذي الشفعاء مشركون ، وان الشفاعة لا تحصل باتخاذهم ، وسر الفرق بين الشفاعتين ان شفاعة المخلوق للمخلوق وسؤاله المشفوع عنده لا يفتقر فيها إلى المشفوع عنده لا خلقاً ولا أمراً ولا إذناً ، بل هو سبب محرك له من خارج كسائر الاسباب ، وهذا السبب المحرك قد يكون عند المحرك لاجله ما يوافقه كمن يشفع عنده في أمر يحبه ويرضاه ، وقد يكون

عنده ما يخالفه كمن يشفع اليه في أمر يكرهه ، ثم قد يكون سؤاله وشفاعته أقوى من المعارض فيقبل شفاعة الشافع ، وقد يكون المعارض الذي عنده أقوى من شفاعة الشافع فيردها ، وقد يتعارض عنده الامران فيبقى متردداً بين ذلك المعارض الذي يوجب الرد ، وبين الشفاعة التي تقتضي القبول فيتوقف الى ان يترجح عنده أحد الامرين بمرجح وهذا بخلاف الشفاعة عند الرب سبحانه وتعالى ، فانه ما لم يخلق شفاعة الشافع ويأذن له فيها ويحبها منه ويرضى عن الشافع لم يمكن ان توجد ، والشافع لا يشفع عنده بمجرد امتثال أمره وطاعته له. فهو مأمور بالشفاعة مطيع بامتثال الامر ، فان أحداً من الانبياء والملائكة وجميع المخلوقات لا يتحرك بشفاعة ولا غيرها إلا بمشيئة الله وخلقه

فالرب تعالى هو الذي يحرك الشفيع حتى يشفع ، والشفيع عند المخلوق هو الذي يحرك المشفوع اليه حتي يقبل ، والشافع عند المخلوق مستغن عنه في أكثر أموره ، وهو في الحقيقة شريكه ولو كان مملوكه وعبده ، فالمشفوع عنده محتاج اليه فيما يناله من النفع والضر والمعاونة وغير ذلك . كما ان الشافع محتاج اليه فيما يناله من رزق أو نصر أو غيره فكل منهما محتاج الى الآخر

ومن وفقه الله لفهم هذا الموضوع تبين له حقيقة التوحيد والشرك والفرق بين ما اثبته الله من الشفاعة وما نفاه وأبطله. ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور ، ومن له خبرة بما بعث الله به رسوله وبما عليه أهل الشرك والبدع اليوم علم ان بين السلف وبين هؤلاء الخلوف من البعد أبعد مما بين المشرق والمغرب ، وانهم على شيء والسلف على شيء كما قيل :

سارت مشرقة وسرت مغربا ... شتان بين مشرق ومغرب

والامر والله أعظم مما ذكرناه انتهى .

وبه كمل الجواب ، والحمد لله الذي هدانا لدينه الذي رضيه لعباده ، وما كنا

لنهتدي لولا ان هدانا الله ، وصلى الله على سيد المرسلين ، وامام المتقين ، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وسلم تسليما كثيراً .

تم نسخ ذلك في ٥ رمضان سنة ١٣٤٦ ، بقلم الفقير الى الله
عبد الله بن ابراهيم الربيعي ، غفر الله له ولوالديه ولجميع
المسلمين خصوصاً أهل هذه الدعوة النجدية ، والطريقة
المحمدية ، أئمتنا ومشائخنا ، عليهم الرضوان
والرحمة ماتعاقب الملوان ، ونطقت
شفة ولسان
آمين

كتاب

المورد العذب الزلال

في كشف شبه أهل الضلال

تأليف

شيخنا وامامنا ، ناصر السنة ، وقامع البدعة

الشيخ عبد الرحمن بن الشيخ حسن بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب

أجزل الله لهم الاجر والثواب آمين

من مطبوعات صاحب الجلالة السعودية ومحي السنة المحمدية

الإمام عبد العزيز آل سعود

ملك الحجاز ونجد وملحقاتها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله معز الاسلام بنصره ، ومذل الشرك بقهره ، ومصرف الامور بأمره، ومستدرج العاصين بمكره ، الذي أظهر دينه على الدين كله، القاهر فوق عباده فلا يمانع ، الظاهر على خلقه فلا ينازع، الحكيم فيما يريد فلا يدافع

أحمده على إعزازه لأوليائه، ونصرته لأنصاره وخفضه لأعدائه. حمد من استشعر الحمد باطن سره وظاهر جهاره . وأشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد شهادة من طهر بالتوحيد قلبه، وأرضى بالمعاداة فيه والموالاة ربه، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله رافع الشك وخافض الشرك ، وقامع الكذب والافك ، اللهم صل على محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيراً

(وبعد) فاعلم أيها الطالب للسلامة، الساعي في أسباب تحصيل الفوز والكرامة ، أني وقفت على رسالة لمن لم يسم نفسه، مشعرة بأنه من بلاد الخرج (1) متضمنة لأنواع من الكذب والمرج، جامعة لأمور من الباطل لا يسع مسلماً السكوت عليها خشية أن يفتن بها بعض الجاهلين فيعتمد عليها ، فان كل عصر لا يخلو من قائل بلا علم ، ومتكلم بغير إصابة ولا فهم

وقد جعل الله في كل زمان فترة ، بقايا من أهل العلم يدعون من ضل إلى الهدى، ويبصرون بدين الله أهل العمى ، ويحيون بكتاب الله الموتى ، فكم من قتيل لابليس قد أحيوه ، وتائه ضال قد هدوه ، فما احسن اثرهم على الناس وما اقبح أثر الناس عليهم

(1) في بلاد نجد

وقد عنّ لي الجواب ، لنميز الخطأ من الصواب ، فلابد من ذكر مقدمة نافعة لتكون هي المقصودة بالذات رجاء أن تكون سبباً موصلا إلى رضوان الله ، يستبصر بها طالب الهدى من عباد الله، وذلك بتوفيق الله الذي لا إله سواه، ولا حول ولا قوة إلا بالله

اعلم أيها المنصف أن دين الله القويم، وصراطه المستقيم، انما يتبين بمعرفه امور ثلاثة هي مدار دين الاسلام ، وبها يتم العمل بأدلة الشريعة والاحكام ، ومتى اختلت وتلاشت وقع الخلل في ذلك النظام

(الامر الاول) أن تعلم أن أصل دين الاسلام وأساسه، وعماد الايمان ورأسه، هو توحيد الله تعالى الذي بعث به المرسلين، وأنزل به كتابه المحكم المبين، قال تعالى (الر * كتاب احكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير * أن لا تعبدوا الا الله انني لكم منه نذير وبشير) وهذا هو مضمون شهادة ان لا اله الا الله . فان أصل دين الاسلام ان لا يعبد الا الله وان لا يعبد الله إلا بما شرع، لا بالاهواء والبدع

وقد قال شيخنا رحمه الله تعالى إمام الدعوة الاسلامية ، والداعي الى الملة الحنيفية : اصل دين الاسلام وقاعدته امران: الامر بعبادة الله وحده والتحريض على ذلك والموالاة فيه، وتكفير من تركه. والنهي عن الشرك بالله في عبادته والتغليظ فيه والمعاداة فيه وتكفير من فعله . والمخالف في ذلك انواع ذكرها رحمه الله تعالى

وهذا التوحيد له اركان وفروع ومقتضيات وفرائض ولوازم لا يحصل الاسلام الحقيقي على الكمال والتمام الا بالقيام بها علما وعملا . وله نواقض ومبطلات تنافي ذلك التوحيد

فمن اعظمها امور ثلاثة (الاول) الشرك بالله في عبادته كدعوة غير الله ، ورجائه والاستعانة به والاستغاثة به والتوكل عليه ونحو ذلك من انواع العبادة، فمن صرف منها شيئاً لغير الله كفر ولم يصح له عمل . وهذا الشرك هو أعظم

محبطات الاعمال كما قال تعالى (ولو اشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون)وقوله (ولقد اوحي اليك والى الذين من قبلك لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين * بل الله فاعبد وكن من الشاكرين)

في هذه الآية نفي الشرك وتغليظه والامر بعبادة لله وحده . ومعنى قوله (بل الله فاعبد) اي لا غيره ، فان تقديم المعمول يفيد الحصر عند العلماء قديماً وحديثا

(الامر الثاني من النواقض)انشراح الصدر لمن اشرك بالله وموادة اعداء الله[1] كما قال تعالى (ولكن من شرح بالكفر صدراً فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم) الآية الى قوله (ان الله لا يهدي القوم الكافرين). فمن فعل ذلك فقد ابطل توحيده ولو لم يفعل الشرك بنفسه . قال الله تعالى (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله) الآية

قال شيخ الاسلام : اخبر سبحانه انه لا يوجد مؤمن يواد كافرا فمن واده فليس بمؤمن . قال : والمشابهة مظنة الموادة فتكون محرمة

قال العماد ابن كثير في تفسيره: قيل نزلت في ابي عبيدة حين قتل اباه يوم بدر (أو ابناءهم) في الصديق يومئذ هم بقتل ابنه عبدالرحمن (او اخوانهم) في مصعب بن عمير قتل اخاه عبيد بن عمير (اوعشيرتهم) في عمر قتل قريباً له يومئذ ايضا ، وحمزة وعلي وعبيدة بن الحارث قتلوا عتبة وشيبة والوليد بن عتبة يومئذ

قال : وفي قوله (رضي الله عنهم ورضوا عنه) سر بديع وهو انهم لما

---

(١) أي موادتهم وانشراح الصدر لهم لاجل شركهم وعداوتهم لان تعليق الحكم على المشتق يدل على انه علة له كما قالوه في آية حد السارق ، ولذلك استدل هنا بآية (ولكن من شرح بالكفر صدراً) الخ ولا يدخل في ذلك الصحبة بالمعروف لاجل القرابة ونحوها مع كراهة الكفر نفسه لقوله تعالى في الوالدين المشركين (وان جاهداك على ان تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا) الآية

سخطوا على القرائب والعشائر في الله عوضهم الله بالرضا عنهم ورضاهم عنه بما أعطاهم من النعيم المقيم ، والفوز العظيم ، والفضل العميم ، ونوه بفلاحهم وسعادتهم ونصرتهم في الدنيا والآخرة في مقابلة ماذكر عن اولئك من انهم حزب الشيطان (ألا ان حزب الشيطان هم الخاسرون)

(الامر الثالث) موالاة المشرك والركون اليه ونصرته واعانته باليد او اللسان او المال كما قال تعالى (ولا تكونن ظهيراً للكافرين)وقال (رب بما أنعمت علي فلن أكون ظهيراً للمجرمين) وقال (إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم ان تولوهم ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون) وهذا خطاب من الله تعالى للمؤمنين في هذه الامة . فانظر ايها السامع أين تقع من هذا الخطاب وحكم هذه الآيات

ولما أعانت قريش بني بكر على خزاعة سراً وقد دخلوا في صلح رسول الله ﷺ انتقض عهدهم وغضب رسول الله ﷺ لذلك غضبا شديداً ، وتجهز لحربهم. ولم ينبذ اليهم لما كتب لهم حاطب كتابا يخبرهم بذلك إخباراً أنزل الله تعالى في ذلك هذه السورة بكمالها ، ابتدأها بقوله تعالى (ياايها الذين آمنوا لاتتخذوا عدوي وعدوكم اولياء تلقون اليهم بالمودة ـ الى قوله ـ ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل)

ثم أمر تعالى بالتأسي بخليله عليه السلام واخوانه من المرسلين بالعمل بدينه الذي بعثهم به فقال (قد كان لكم اسوة حسنة في ابراهيم والذين معه) اي من اخوانه المرسلين (اذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده)

فذكر اموراً خمسة لايقوم التوحيد إلا بها علما وعملا ، وعند القيام بهذه الخمسة ميز الله الناس لما ابتلاهم بعدوهم كما قال تعالى (الم *أحسب الناس أن يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لايفتنون*ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا

وليعلمن الكاذبين) وحذر تعالى عباده عن توليهم عدوهم . قال تعالى (ياأيها الذين آمنوا لاتتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار اولياء واتقوا الله ان كنتم مؤمنين)

وقال تعالى (بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما * الذين يتخذون الكافرين اولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فان العزة لله جميعا) الآية

وقال تعالى (ترى كثيراً منهم يتولون الذين كفروا لبئسما قدمت لهم أنفسهم ان سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون * ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما انزل اليه ما اتخذوهم اولياء ولكن كثيراً منهم فاسقون)

فتأمل ما في هذه الآيات وما رتب الله سبحانه وتعالى على هذا العمل من سخطه والخلود في عذابه، وسلب الايمان وغير ذلك

وذكر ابن جرير رحمه الله تعالى في تفسير سورة آل عمران عند قوله تعالى (ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء) انه ردة عن الاسلام . وفي سورة محمد ﷺ مايدل على ذلك قال الله تعالى (ان الذين ارتدوا على أدبارهم — الى قوله — ذلك بانهم قالوا للذين كرهوا مانزل الله سنطيعكم في بعض الامر) والسين حرف تنفيس تفيد استقبال الفعل فدل على انهم وعدوهم ذلك سراً بدليل قوله تعالى (والله يعلم اسرارهم * فكيف اذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم * ذلك بأنهم اتبعوا ما اسخط الله وكرهوا رضوانه) والآيات في هذا المعنى كثيرة

والمقصود بيان عظم هذا الذنب عند الله وما رتب عليه من العقوبات عاجلا وآجلا. نسأل الله الثبات على الاسلام والايمان ، ونعوذ بالله من الخيبة والخذلان.

وقد ذكر شيخنا رحمه الله تعالى في مختصر السيرة له: ذكر الواقدي ان خالد ابن الوليد لما قدم العارض قدم مائتي فارس فأخذوا مجّاعة بن مرارة في ثلاثة عشر رجلا من قومه بني حنيفة ، فقال لهم خالد بن الوليد : ماتقولون في صاحبكم ؟ فشهدوا انه رسول الله ، فضرب أعناقهم حتى اذا بقي سارية بن عامر قال :

يا خالد إن كنت تريد بأهل اليمامة خيراً او شراً فاستبق مجاعة وكان شريفاً فلم يقتله وترك سارية أيضاً ، فأمر بهما فاوثقا في مجامع من حديد، فكان يدعو مجاعة وهو كذلك فيتحدث معه وهو يظن ان خالداً يقتله ، فقال ياابن المغيرة إن لي اسلاما والله ما كفرت ، فقال خالد: ان بين القتل والترك منزلة وهي الحبس حتى يقضي الله في أمرنا ماهو قاض، ودفعه إلى أم متمم زوجته وأمرها ان تحسن اساره، فظن مجاعة ان خالداً يريد حبسه ليخبره عن عدوه ، وقال: ياخالد قد علمت أني قدمت على رسول الله ﷺ فبايعته على الاسلام وانا اليوم على ما كنت عليه بالامس، فان يك كذاب قد خرج فينا فان الله يقول (ولا تزر وازرة وزر أخرى) فقال: يامجاعة تركت اليوم ماكنت عليه أمس، وكان رضاك بأمر هذا الكذاب وسكوتك عنه وأنت من أعز أهل اليمامة ـ اقراراً له ورضاء بما جاء به، فهل أبديت عذراً فتكلمت فيمن تكلم؟ فقد تكلم ثمامة فرد وأنكر ، وتكلم اليشكري، فان قلت أخاف قومي فهلا عمدت إلي او بعثت إلي رسولا ؟

فتأمل كيف جعل خالد سكوت مجاعة رضى بما جاء به مسيلمة واقراراً، فأين هذا ممن أظهر الرضاء وظاهر وأعان وجد وشمر مع أولئك الذين أشركوا مع الله في عبادته وأفسدوا في أرضه؟ فالله المستعان

(الامر الثاني) من الامور التي لايصلح الاسلام إلا بها العمل بشرائعه وأحكامه ، وبالقيام بذلك يقوم الدين وتستقيم الاعمال كما قال تعالى (ولو انهم فعلوا مايوعظون به لكان خيراً لهم وأشد تثبيتاً) الآية ، وقال تعالى (إن الله يأمركم أن تؤدوا الامانات إلى أهلها ، واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعما يعظكم به إن الله كان سميعاً بصيراً * ياأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم ، فان تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر، ذلك خير وأحسن تأويلا) وقال تعالى (وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه الى الله) الآية ، وقال تعالى (وما كان لمؤمن ولا

مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمراً ان يكون لهم الخيرة من أمرهم ، ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا) وقال تعالى (واذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم اذا فريق منهم معرضون * وإن يكن لهم الحق يأتوا اليه مذعنين * أفي قلوبهم ام ارتابوا؟ أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله؟ بل أولئك هم الظالمون) وقال تعالى (فان لم يستجيبوا لك فاعلم انما يتبعون أهواءهم) الآية، وقال تعالى (أرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا * أم تحسب ان أكثرهم يسمعون او يعقلون؟ إن هم إلا كالانعام بل هم أضل سبيلا) وفي هذا المعنى قال أبو تمام :

وعبادة الاهواء في تطويحها   بالدين مثل عبادة الاوثان

هذا هو الغالب على كثير من الناس: رد الحق لمخالفة الهوى ومعارضته بالآراء وهذا من نقص الدين وضعف الايمان واليقين

(الامر الثالث) أداء الامانات واجتناب المحرمات والشهوات ، والجد في أداء الفرائض والعبادات الواجبات، والقيام بالامر بالمعروف والنهي عن المنكرات. وقد وقع الخلل العظيم في ذلك كما قال تعالى (فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غياً) الآية ، وبذلك وقعت الغفلة والاعراض عن كتاب الله تعالى، واشتغل أكثر الناس بدنياهم عن طاعة مولاهم، وزهدوا في كل مايعود نفعه اليهم في دنياهم وأخراهم مما يوجب رضا ربهم ومولاهم

فيجب على من نصح نفسه ممن جعل الله له القدرة والسلطان ونفوذ الكلمة أن يهتم بحفظ هذه الثغور الثلاثة، فانها ثغور الاسلام، وقد سعى في خرابها، من ليس من أهلها

ومن أسباب حفظها الاخلاص لله والصدق واللجأ اليه وتعظيم امره ونهيه والتوكل عليه وتمييز الخبيث من الطيب. فان الله تعالى ميزهم لعباده لما ابتلاهم فعليك ببغض اعداء الله والاهتمام بما يرضيه ومحبة ما يحبه وكراهة مايكرهه ، وخشيته ومراقبته ، والله المستعان

فصل

في الاشارة الى ما تضمنته لا إله الا الله من نفي الشرك وإبطاله ، وتجريد التوحيد لله تعالى، والاشارة الى بعض ماتنتقض به عرى الدين الذي بعث الله به المرسلين

والباعث لذلك مابلغني عن رجل كان قبل طروق الفتن يغلو في التكفير ويكفر بأشياء لم يكفر بها احد من اهل العلم ثم انه بعد ذلك قال : من قال لا إله الا الله فهو المسلم المعصوم ، وإن قال ما قال

فأقول وبالله التوفيق: اعلم ان لا إله الا الله كلمة الاسلام، ومفتاح دار السلام . وقد سماها الله تعالى كلمة التقوى والعروة الوثقى وهي كلمة الاخلاص التي جعلها ابراهيم الخليل عليه السلام كلمة باقية في عقبه . ومضمونها نفي الالهية عما سوى الله واخلاص العبادة بجميع أفرادها لله وحده كما قال تعالى (واذ قال ابراهيم لأبيه وقومه انني براء مما تعبدون* الا الذي فطرني فانه سيهدين) وقال عن يوسف عليه السلام (واتبعت ملة آبائي ابراهيم واسحاق ويعقوب ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء) وقال بعدها (إن الحكم الا لله أمر أن لا تعبدوا الا اياه ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لايعلمون) وقال تعالى لخاتم رسله (قل انما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به)الآية وقال (ان لاتعبدوا الا الله) وقال (ان إلهكم لواحد * رب السموات والارض ومابينهما ورب المشارق)

وقد تفاوت الناس في هذه الكلمة بحسب حالهم علماً وعملاً، فمنهم من يقولها وهو يجهل مدلولها ومقتضاها ، فلا يعرف الاله المنفي باداة النفي، ولا الالهية المثبتة لله تعالى ، فهذا لاتنفعه بلاريب . تجده يأتي بما يناقضها وهو لا يدري

واعلم أن لها شروطا ثقالا (منها) العلم بمدلولها ومقتضاها وحقوقها ولوازمها ومكملاتها . ومن شروطها الصدق واليقين وإرادة وجه الله والكفر بما يعبد من

دون الله كما قال تعالى (إلا من شهد بالحق وهم يعلمون) قال ابن جرير : يعلمون حقيقة ما شهدوا به . وقال (فاعلم أنه لا إله الا الله) وصحت الاحاديث عن النبي ﷺ بذكر هـذه الشروط كلها ، ومن لم يكن كذلك لم تنفعه لا إله الا الله ، لان القول بلا علم هباء

قال شيخ الاسلام : ومن فقد الدليل ، ضل السبيل

وكذلك من يقولها وهو لا يجهل مضمونها ومقتضاها ، لكن يمنعه من قصد ذلك واتباع الحق والعمل به موانع من آفات النفوس ، فتجده ينكر التوحيد تارة ويبغض اهله ويحب الشرك واهله ، كحال الذين قالوا (نشهد انك لرسول الله) قال الله تعالى (والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون) فلو ان مجرد القول ينفع بدون الاخلاص والصدق واليقين القلبي لنفع هؤلاء ، فكذلك من يقول ظانا انه أتى بمضمونها ومقتضاها ، ويأتي بما يناقضها من موالاة المشركين ومظاهرتهم على المسلمين والاستبشار بنصرهم وظهورهم وغير ذلك من الامور التي عدها العلماء من نواقض الاسلام ، قال الله تعالى (وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم) الآية ، وقال تعالى (وما كنت ترجو أن يلقى اليك الكتاب إلا رحمة من ربك فلا تكونن ظهيرا للكافرين * ولا يصدنك عن آيات الله بعد إذ أنزلت اليك وادع الى ربك ولا تكونن من المشركين) ومعنى: وادع الى ربك اي الى توحيده واتباع امره وترك نهيه ثم قال(ولا تدع مع الله إلهاً آخر لاإله إلا هو كل شيء هالك إلا وجهه)

فذكر اموراً اربعة كلها تنافي قول لاإله إلا الله. يحقق ذلك نهي الله تبارك وتعالى عباده المؤمنين عن موالاة أعدائه في أول سورة الممتحنة وفي غيرها وقال (ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل)

وتدبر تلك الآيات وما رتب الله تعالى من الوعيد الاكيد والعذاب الشديد

ونفي الايمان وحبوط الاعمال على هذه الامور التي لا يعدها من وقعت منه كبير ذنب فانا لله وإنا اليه راجعون .

وبالجملة فلو بقي لهؤلاء دين مع ذلك لسلموا من العقوبات لان الايمان أمن والاسلام سلامة كما قال تعالى (الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون) فان تدارك الله من شاء منهم بتوبة نصوح فهو فضله سبحانه وإلا فياخسرهم .

وقد بين الله تعالى في كتابه كثيرا من نواقض الاسلام والايمان فان سبب نزول قوله تعالى (لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم) أن أناساً كانوا مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك يجاهدون عدوه فنال رجل منهم : مارأينا مثل قرائنا هؤلاء، ارحب بطونا وأكذب ألسنة ، وأجبن عند اللقاء . فأنزل الله هذه الآية . والقصة مشهورة في التفسير وكتب الحديث

فانظر كيف أبطلوا إيمانهم وكفروا بربهم ، فلم ينفعهم قول لاإله إلا الله ولا صلاتهم ولا جهادهم مع رسول الله ﷺ

وقال تعالى (يحلفون بالله ماقالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم) نزلت على ماذكره المفسرون في الجلاس بن عمرو ، قال : إن كان ما يقول محمد حقا فنحن شر من الحمير ، ولو يقولها أحد في زماننا هذا لم يعد كافراً ولا عاصيا .

ولا ريب أن هؤلاء كانوا يشهدون أن لاإله إلا الله وان محمداً رسول الله ، ويصلون ويزكون ويجاهدون ولم يظاهروا على المسلمين عدواً .

وكذلك أهل مسجد الضرار كانوا من جملة الانصار وفعلوا ماهو في الظاهر قربة ، فلما أضمروا خلاف ماأظهروا أنزل الله في شأنهم (والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقا بين المؤمنين وارصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل) وهو ابو عامر الفاسق قال الله تعالى (وليحلفن ان اردنا إلا الحسنى

والله يشهد انهم لكاذبون — إلى قوله تعالى — لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم إلا ان تقطع قلوبهم) اي بالموت .

أيظن من عرف موقع كتاب الله وآياته انه ينفع من أحب المشركين قول بقوله او عمل بعمله؟ وهو يعلم ما وقع بهؤلاء من عقوبة الله على ما أسروه ؟ هذا لا يظنه من له مسكة من عقل لان ما كاف به عوقب به من بعدهم على مثل ما عوقبوا به بلا ريب اللهم، إلا ان يتدارك الله تعالى من شاء بتوبة ماحية والا فالخطر عظيم .

وكذلك قوله تعالى (فاعقبهم نفاقا في قلوبهم إلى يوم يلقونه) وسبب نزولها ومن نزلت فيه معروف في كتب التفسير

ومن زعم ان المراد من لا إله إلا الله مجرد القول فقد خالف ما جاءت به الرسل والانبياء من دين الله واتبع غير سبيل المؤمنين ، قال الله تعالى عن نوح عليه السلام انه قال لقومه (أني لكم نذير مبين * ان اعبدوا الله واتقوه واطيعون) فاجابوه بقولهم (لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا) الآية. علموا ــ على كفرهم وضلالهم ــ انه لم يرد منهم مجرد الاقرار ، وانما أراد منهم الاتباع والعمل وترك عبادة الاصنام ، واخبر تعالى عن هود عليه السلام انه قال لقومه (ان اعبدوا الله ما لكم من اله غيره افلا تتقون) وذكر تعالى عنهم في جوابهم له (اجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا) علموا انه أراد منهم قصر العبادة على الله وترك عبادة من سوى الله ، وهذا هو مضمون لا اله إلا الله ومعناها .

ولما دعا الخليل عليه السلام أباه إلى التوحيد بقوله (يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا) اجابه بقوله (أراغب أنت عن آلهتي يا ابراهيم ؟) عرف انه أراد ترك عبادة ما سوى الله والرغبة عن ذلك الى اخلاص العبادة لله وحده ، ثم قال الخليل عليه السلام (وأعتزلكم وما تدعون من دون

الله واعو ربي) فذكر مضمون لا إله إلا الله ولازمها، كما ذكر تعالى مثل ذلك عن أهل الكهف في قولهم (واذ اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله*فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيء لكم من أمركم مرفقا)وقال تعالى عن صاحب ياسين (ياقوم اتبعوا المرسلين*اتبعوا من لا يسئلكم أجراً وهم مهتدون * ومالي لا أعبد الذي فطرني واليه ترجعون * أأتخذ من دونه الهة ان يردني الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئا ولا ينقذون * اني اذاً لفي ضلال مبين)

وتأمل أيضاً قوله تعالى (انهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون * ويقولون أإنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون) عرفوا وهم كفار أن مطلوب النبي ﷺ من قولهم لا إله إلا الله انه ترك عبادة الاوثان، فيا له من بيان ما أوضحه

والمقصود ان القرآن من أوله الى آخره يحقق معنى لا إله إلا الله بنفي الشرك وتوابعه ويقرر الاخلاص وشرائعه . لكن لما اشتدت غربة الدين بهجوم المفسدين، وقع الريب والشك بعد اليقين، وانتقض اكثر عرى الاسلام ، كما قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه « انما تنقض عرى الاسلام عروة عروة اذا نشا في الاسلام من لا يعرف الجاهلية » ومما انتقض من عراه الحب في الله والبغض في الله والمعاداة والموالاة لله، كما في الحديث الصحيح «أوثق عرى الايمان الحب في الله والبغض في الله » وانت ترى حال الكثير حبه لهواه وبغضه لهواه ، فلا يسكن الا إلى ما يلائم طبعه ويوافق هواه، ولو غره واغواه . فتأمل تجد هذا هو الواقع ، فلا حول ولا قوة إلا بالله

والحاصل ان كل قول وعمل صالح يحبه الله ويرضاه فهو من مدلول كلمة الاخلاص، فدلالتها على الدين كله اما مطابقة واما تضمنا واما التزاما، يقرر ذلك ان الله سماها كلمة التقوى ، والتقوى ان يتقى سخط الله وعقابه بترك الشرك والمعاصي وإخلاص العبادة له واتباع أمره على ماشرعه ، وقد فسرها ابن مسعود

رضي الله عنه « أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ، ترجو ثواب الله ، وان تترك معصية الله على نور من الله تخاف عقاب الله »

وقد اخرج الترمذي وابن ماجه من حديث عبد الله بن زيد عن النبي ﷺ قال « لا يبلغ العبد ان يكون من المتقين حتى يدع مالا باس به حذرا مما به باس »

وقال شيخ الاسلام احمد بن عبد السلام بن تيمية رحمه الله تعالى في قوله تعالى (ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا) قال ابو بكر الصديق: فلم يلتفتوا عنه يمنة ولا يسرة ، اي لم يلتفتوا بقلوبهم إلى ماسواه ، لا بالحب ولا بالخوف ولا بالرجاء ولا بالتوكل عليه ، بل لايحبون إلا الله ولا يحبون الا الله. اه

***

وقال شيخنا شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى: سألني الشريف عما نقاتل عليه وما نكفر به ؟ فقلت في الجواب: انا لا نقاتل إلا على ماأجمع عليه العلماء كلهم ، وهو الشهادتان بعد التعريف ، اذا عرف ثم انكر ، فنقول أعداؤنا معنا على أنواع :

الاول : من عرف ان التوحيد دين الله ورسوله وان هذه الاعتقادات في الحجر والشجر والبشر الذي هو دين غالب الناس اليوم انه الشرك الذي بعث الله رسوله بالنهي عنه وقتال أهله ليكون الدين كله لله ، ولم يلتفت إلى التوحيد ولا تعلمه ولا دخل فيه ولا ترك فيه الشرك ، فهذا كافر نقاتله لانه عرف دين الرسول فلم يتبعه ، وعرف دين المشركين فلم يتركه ، مع انه لم يبغض دين الرسول ولا من دخل فيه ، ولا يمدح الشرك ولا يزينه

النوع الثاني : من عرف ذلك ولكن تبين في سب دين الرسول مع ادعائه انه عامل به وتبين في مدح من عبد يوسف والاشقر وابي علي والخضر وفضلهم على من وحد الله وترك الشرك ـ فهذا أعظم كفراً من الاول وفيه قوله تعالى (فلما جاءهم ماعرفوا كفروا به) الآية . وممن قال الله فيهم (وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر) الآية

النوع الثالث : من عرف التوحيد وأحبه واتبعه وعرف الشرك وتركه، لكن يكره من دخل في التوحيد ويحب من بقي على الشرك، فهذا أيضاً كافر وفيه قوله تعالى (ذلك بانهم كرهوا ماأنزل الله فأحبط أعمالهم)

النوع الرابع : من سلم من هذا كله لكن أهل بلده يصرحون بعداوة التوحيد واتباع أهل الشرك ويسعون في قتالهم ، وعذره ان ترك وطنه يشق عليه فيقاتل أهل التوحيد مع أهل بلده ويجاهد بماله ونفسه، فهذا أيضاً كافر لانهم لو أمروه بترك صيام رمضان ولا يمكنه ذلك إلا بفراق وطنه فعل، ولو أمروه ان يتزوج امرأة أبيه ولا يمكنه مخالفتهم إلا بذلك فعل. وأما موافقته على الجهاد معهم بماله ونفسه مع انهم يريدون قطع دين الله ورسوله ﷺ فأكبر مما ذكرنا بكثير ، فهذا أيضا كافر ممن قال الله فيهم (ستجدون آخرين يريدون أن يأمنوكم ويأمنوا قومهم كلما ردوا إلى الفتنة اركسوا فيها فان لم يعتزلوكم ويلقوا اليكم السلم ويكفوا أيديهم فخذوهم واقتلوهم) الآية

والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم

فصل

وهذا شروع في الجواب المشار اليه سابقا، وقد كنت عزمت أن أتتبع كلامه وأجيب عنه تفصيلا ، ثم انه عرض لي مايجب ان يكون هو المقصود بالذات مما قدمته حماية لجانب التوحيد والشريعة ، ثم بدا لي أن اقتصر في جواب الرجل لما في الاقتصار من رعاية الصبر والاصطبار، لانا لو أجبناه بكل مايليق في الجواب لم نسلم من أمثاله ممن ينسج على منواله، كما هو الواقع من أكثر البشر قديما وحديثا مع كل من قام بالحق أو نطق بالصدق، فكل من كان أقوم في دين الله كان أذى الناس اليه أسرع والعداوة له أشد وأفظع ، وأفضل خلق الله رسله وقد عالجوا من الناس أشد الاذى، حكمة بالغة قال الله تعالى (وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً من المجرمين وكفى بربك هاديا ونصيراً) والآيات والاحاديث في ذلك كثيرة جداً. ينبئك عن تفصيل هذا ماذكره الله تعالى في كتابه عن أنبيائه لما دعوا أممهم إلى التوحيد كيف قيل لهم وما خوطبوا به

وتأمل ماجرى لخيار هذه الامة كالخلفاء الراشدين وسادات أصحاب سيد المرسلين من اعدائهم كالرافضة والخوارج ونحوهم ، وما جرى لاعيان التابعين ومن بعدهم من أعيان الائمة كالامام احمد بن حنبل ومحمد بن نوح واحمد بن نصر الخزاعي وأمثال هؤلاء ممن لايمكن حصرهم ، ولو ذكرنا جنس ماجرى لهم من الاذى لطال الجواب. والقصد هو الاقتصار، ومن أراد الوقوف على ذلك فعليه بالسير والتاريخ . ولله در ابي تمام حيث يقول :

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت اتاح لها لسان حسود

وقال ابو الطيب :

وشان صدقك عند الناس كذبهم وهل يطابق معوج بمعتدل

اذا علمت ذلك فان هذا الرجل ذكر عن الشيخ عبد الرحمن بن حسين انه لا يصلي بهم ، ولا يقدم من يهوونه، ولا يقطع خصومة، وعدوه من نظر في كتاب او نطق بصواب. هذا كلامه فيه. عد هذه الامور من المثالب. والبصير إذا تأمل رآها من المناقب ، لان المسلم لا يجوز ان يحمل إلا على الخير فيما خفي عذره فيه حتى يتبين مايرفع الاحتمال . وهذه العيوب الخمسة محتملة لامور :

(الاول) منها يحتمل انه فعله تأثما من الصلاة بالناس لعذر خفي يوجب ذلك فان الاعذار عن الامامة كثيرة

(الثاني) يحتمل نصحه لهم فيختار لهم من يصلح لذلك المقام ، ونظره لهم خير من نظرهم لانفسهم

(والثالث) فيه التثبت في الفتيا بالنظر والتأمل والمراجعة في كتب الاحكام وهذا مطلوب من كل مفت لاسيما في هذا الوقت

(والرابع والخامس) فيه حماية جانب العلم عمن يجهل، ولا يدري انه يجهل، والمطلوب سد ابواب الاختلاف في أحكام الدين ، فان الله ذمه في كتابه ، فاذا حمل مثله على غير ذلك اوقع في اغتياب المسلم ، وقد حرمه الله في كتابه، فان عده المغتاب له نصيحة فقد أحل ماحرمه الله ورسوله ، وهو أمر عظيم ، وفيه تشيين المسلم بما يحتمل ضد ذلك .

***

وأما تحذير هذا الرجل للامام من اولاد الشيخ كلهم وانه لا يجوز له أن يصغى اليهم ولا يدين لهم جانبا

(فالجواب)نعم هذا رأيه للامام وهو الذي يحبه له ويرضاه لكن رأى المسلمين خصوصا من ينسب منهم إلى الدين ، والحب في الله والبغض فيه ، وكذلك العقلاء يخالفونه في ذلك ، وفي نصيحة المسلمين للامام الحث على طاعة اولئك

والاخذ منهم ، وقبول نصيحتهم ورأيهم كما هو الواقع من الامام ، فلا يخلو إما أن يكون الصواب مع هذا الرجل ، واما أن يكون مع أعيان المسلمين واهل الدين الذين لهم لسان صدق ومحبة في الناس والله يعلم المفسد من المصلح

***

وأما قوله ان ابن ثنيان يلقمهم الحرام

(فالجواب)ان يقال : وهل شاهدت ذلك وعرفت ان ماأعطاهم حرام بعينه او رأى ذلك من يوثق بخبره ، هذا امر لايقدر هو ولا غيره ان يثبت ذلك لكنه كما قيل :

يقولون اقوالا ولا يعلمونها وان قيل هاتوا حققوا لم يحققوا

والذي يأخذون منه ومن غيره من الائمة هو مما أفاءالله على المسلمين المسمى بيت المال او من الزكاة ونحوها ، وهذا لايقول احد من العلماء انه حرام ، والذي نص عليه الفقهاء من اهل الحديث وغيرهم انه يجوز الاخذ لمن يستحقه مالم يعلم انه حرام بعينه ، ذكره ابن رجب عن الزهري ومكحول ، قال: ورخص قوم من السلف في الاكل ممن يعلم في ماله حرام مالم يعلم انه حرام بعينه . قال : وروي في ذلك آثار كثيرة عن السلف ، وكان النبي ﷺ واصحابه يعاملون المشركين واهل الكتاب مع علمهم انهم لايجتنبون الحرام كله

قال : وروى الحارث عن علي رضي الله عنه انه قال ـ في جوائز السلطان: لابأس بها، مايعطيكم من الحلال أكثر مما يعطيكم من الحرام ، وقال ابن مسعود : إنما الهناء لكم والوزر عليهم

وذكر في المغني ان الحسن البصري أخذ جائزة عمرو بن هبيرة وردها ابن سيرين فعتب الحسن عليه ذلك . ونقل عن الامام احمد انه قال : جوائز السلطان

أحب إلي من الصدقة. يعني ان الصدقة اوساخ الناس صين عنها آل رسول الله ﷺ ولم يصانوا عن جوائز السلطان

وذكر عنه أيضا انه احتج بان جماعة من الصحابة تنزهوا عن مال السلطان منهم حذيفة وابو عبيدة ومعاذ وابو هريرة وابن عمر ، قال ولم ير ابو عبد الله ذلك حراما ، فانه سئل فقيل له مال السلطان حرام؟ قال لا . وفي رواية قال : ليس أحد من المسلمين إلا وله في هذه الدراهم حق ، فكيف أقول سحت ؟

وقد كان الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر وكثير من الصحابة يقبلون جوائز معاوية . قال: ولان جوائز السلطان لها وجه في الاباحة والتحليل فان لها جهات كثيرة من الفيء والصدقة وغيرهما اه

(قلت) وما زال العلماء في كل عصر يأخذون أرزاقهم من بيت المال ولم ينكر ذلك أحد من اهل الورع ولا غيرهم ويرونه حلالا . أما اولئك الظلمة الذين جاروا على أهل نجد بغياً وعدوانا فلا ريب أن ما أخذوه كله ظلم، لانهم انما جاءوا بالباطل والظلم والعدوان فلا يسوغ لهم أخذ شيء مما أباح الله لولاة أهل الاسلام أخذه من زكاة وفيء أو غير ذلك ، فما اخذه اولئك ظلم بحت ،

فلينظر في حال هذا الطاعن على اهل العلم وأمثاله ، فان كانوا قد كرهوا ما أخذه هؤلاء المسرفون المعتدون ولم يقبلوا شيئاً منه ولم يبق إلا انهم جهلوا حكم اموال الفيء فالمصيبة أهون . وأما إذا كانوا أخذوا من أولئك من تلك الاموال على الوجه الذي ذكرناه فالمصيبة أعظم ، وذلك انهم حرموا على علماء المسلمين أن يأخذوا ما حل لهم ، ويأخذونه من أولئك ويأكلونه حراما صرفاً من غير تأويل ، وعلى كل حال فانهم لما رأوا هؤلاء الاشياخ من أقرب الناس دعوة إلى التوحيد وإرشاداً الى طاعة ربهم واتباع نبيهم فتوصل شرار اهل نجد بمسبتهم الى مسبة

الذين لمخالفته أهواءهم ، ولا ريب أن هذا تحته كل عيب، ويستدل به العارف على انه انما صدر منهم عن شك في حقيقة الاسلام وريب

***

ثم إن هذا المعترض قال في سبابه لأهل العلم المشار اليهم سابقا : انهم نظروا إلى سد باب القبلة ومصر ولم ينظروا إلى أبواب السماء . يشير إلى انهم وسعوا المتولي أمرهم في مداهنة تلك الجهات

(فالجواب) انه لا يخلو إما أن يكون هذا الرجل من أشد الناس غباوة وأجهلهم بأحوال الناس ، ولا معرفة له بالواقع أصلا ، وإما انه تعمد الكذب والتشبين لأولئك الائمة وهو يعرف انه قد كذب عليهم وافترى ، فان من المعلوم من طريقتهم ورأيهم ونصحهم انهم لا يجوزون المداهنة في الدين ، ولا يرضون ذلك من كبير ولا صغير ، ولهذا صار الاعداء يطعنون عليهم بذلك عند مبغضيهم ويقولون انهم يكفرونكم ، وحقيقة أمرهم انهم لا يكفرون أحدا الا بعمل صرح القرآن بتكفير فاعله ، ولا يقولون على شخص بعينه انه كافر ولا على جماعة انهم كفار الا اذا ارتكبوا أعمالا من المكفرات وثبت ذلك بطريق من طرق العلم إما مشاهدة أو سماعا او تواترا .

وقد تقدم عن شيخنا إمام الدعوة الاسلامية انه قال في جوابه للشريف إنا لا نكفر الا بما اجمع العلماء عليه انه كفر

وعلى هذا فيقال لهذا الرجل: اذا كان هذا الذي تنسبه اليهم من مداهنة اهل القبلة ومصر عيبا يعاب به من فعله فأنت ممن داهنهم وأطاعهم وتابعهم وخدمهم ، فهلا عبت على نفسك هذا الذي اعترفت بأنه عيب كبير ؟ وما مثلك الا كما قيل في المثل « رمتني بدائها وانسلت »

فيقال لامام المسلمين ، أعزه الله بالدين ، تأمل ما ذكره الله في كتابه المبين ، واتبعه، فان هذا هو الواجب على كل أحد، لاسيما من ولاه الله امر الناس ، فان الله

افترض عليه أن يعمل فيهم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، فانه لا صلاح لهم بدون ذلك اصلا ، علما وعملا ، وعليه ان يصلح نفسه بما يرضي الله من إقامة دينه وأن لا يخف في الله لومة لائم ، وان يحب في الله ويبغض فيه ويوالي لله ويعادي فيه ، وان يميز الناس بتمييز الله فان الله ميز اولياءه من اعدائه ، ولا شك أن هذا من فرائض التوحيد ، وليكن على حذر من الناس وأهوائهم فانهم لا يرضون إلا بمتابعة أهوائهم ، وقد قال تعالى (ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون * انهم لن يغنوا عنك من الله شيئاً وان الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين)

واعتبر بما جرى من أكثر الناس من أنواع الشرك والظلم والفساد كما قد جرى فيما مضى ، كما ذكر العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى حيث يقول :

ولقد رأينا من فريق يدعي الـ ... إسلام شركا ظاهر التبيان
جعلوا له شركاء والوهم وسا ... ووهم به في الحب لا السلطان
والله ما ساووهمو بالله بل ... زادوا لهم حباً بلا كتمان

وهذا وأمثاله هو الواقع في هذه الازمنة يعرفه من تدبر القرآن وفهم أدلة التوحيد ، فلقد كثر هذا الشرك بنوعيه من دعوة غير الله والاستغاثة به وتعظيمه والحلف به ، حتى إن بعض الجهال يستنكفون من قول القائل: محمد عبد الله ورسوله فينكرون قوله : عبد الله . ولا ريب أن الله تبارك وتعالى شرفه بعبوديته له الخاصة والرسالة

وأما أهل الاسلام على الحقيقة والايمان فيخلصون إرادتهم وأعمالهم لله تعالى وحده دون من سواه فلا يدعون ولا يرجون ولا يستغيثون ولا يتوكلون ولا يتقربون بنوع من أنواع العبادة الا الى ربهم ومليكهم وخالقهم والقائم عليهم والمتصرف فيهم بمشيئته وإرادته . ويعملون بما شرعه لهم في كتابه ، وسنه لهم نبيهم ﷺ من شريعته ، معتصمون

بحبل الله متعاونون على طاعة الله. فاعرف كلا من الفريقين بشواهد الاحوال والاعمال، واستشهد على كل من الفريقين بصريح القرآن وصحيح الاخبار، واستدع بكتب العلماء المحققين العدول الاخيار فان البهرج لا يميزه الا أولو البصائر والاستبصار. ومن لم يميز الناس بتمييز الله لهم عظمت مصيبته ودامت حسرته ، فان الله ـ وله الحمد ـ اجرى العادة بمقتضى الحكمة البالغة ان يبتلي عباده بوقوع الفتن ليميز الصادق من الكاذب والمؤمن من المنافق ، بما يضمرونه ويظهرونه من ترك طاعته والعمل بمعصيته ، ومن هو بخلاف ذلك (ليجزي الذين اساؤا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى) قال الله تعالى (ألم * أحسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون * ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا و ليعلمن الكاذبين — الى قوله — ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا أوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله) — الى آخر السياق — وقال تعالى (ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب) وقال تعالى (أم حسبتم ان تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة والله خبير بما تعلمون)

وقد بلا الله أخبار الناس بما جرى في هذه الاعوام وميز بها من قاتل أهل الاسلام وسبهم ، ممن ولاهم وأحبهم ، والله يعلم انا لم نرد بهذا تشيين أحـد أو عداوته ، ولكننا تأثمنا من كتمان العلم ، ورغبنا في إرشـاد العبـاد الى طاعة ربهم ومعبودهم ، لما ابتلينا باناس من أهل نجد يقولون على الله بلا علم ، ويتكلمون في أشياء من غير رواية ولا فهم ، فكان الواجب على من منحه الله علما ان ينشر منه ما تيسر وقت الاحتياج اليه ، وخصوصاً في هذه الازمنة لما قل العلم وكثر الجهل وغلبت الاهواء ـ اشتغل الناس فيه بمحبة دنياهم ، وإيثارها على طاعة مولاهم والعمل لاخراهم

والله تعالى هو المرجو المسؤل ان يرفع عنا وعن المسلمين العقوبة وان يكتب لنا المثوبة بتحري رضاه ، وان يوفقنا للاستقامة على طاعته وتقواه ، وان يحقق لنا واخواننا ماطلبناه ورجوناه ، انه هو البر الرحيم . وحسبنا الله ونعم الوكيل

*
* *

واعلم أن هذا الرجل وأمثاله لما امتلأت قلوبهم بالعداوة والبغض وظهرت على صفحات وجوههم وفلتات ألسنتهم، وأتوا بكل بلية ورزية ـ كما تقدم ـ طمعوا فيما هو أعظم من ذلك، وأكبر ضرراً مما هنالك . فاوردوا على الجهال شبهات تحسيناً لما قد فعلوه ، وتزييناً لسبيلهم الذي سلكوه . والعارف إذا نظر اليها علم انهم قد أقروا على انفسهم وعلى الذين والوهم وآووهم بما قد لا يصرح به غيرهم فيهم ابتداء

فمن ذلك قول بعضهم : ان الله تعالى يقول (فلولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم ان تطؤوهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم) الآية .

يشير إلى انه معذور باقامته مع هؤلاء كما عذر من اقام من المؤمنين بمكة مع المشركين

فيقال له (أولا) ان هؤلاء الذين سماهم الله مؤمنين لم يظاهروا على المؤمنين مشركا ولا منافقاً ولا باغياً ولا ظالماً ولا سبوا مؤمناً ولا عادوه ، ومنهم من قيده اهله بمكة ومنعوه من الهجرة كأبي جندل بن سهيل . فانه خرج يوم الحديبية من مكة يرسف بقيوده، فلو ان أحداً منهم سب المسلمين او عابهم أو اعان عدوهم انتقض إسلامه بلا ريب ، لكن الله تعالى حفظهم من هذه الامور وعذرهم باستضعافهم وعجزهم. ولهذا ثبت في الصحيح وغيره ان رسول الله ﷺ كان يدعو لهم في الفريضة ، كما اخرج البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ كان إذا اراد ان يدعو على احد او يدعو لاحد قنت بعد الركوع ، وربما قال اذا قال « سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد اللهم انج الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام وعياش

ابن ابي ربيعة والمستضعفين من المؤمنين » وقوله والمستضعفين من المؤمنين هو من عطف العام على الخاص بلا ريب

ومن المحال أن يسميهم الله ورسوله مؤمنين وقد وقع منهم ماينافي الايمان قال الله تعالى (لاتجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم وأبناءهم او اخوانهم أو عشيرتهم) فعلم من هذه الآية ان أولئك المستضعفين من المؤمنين لما كانوا بمكة مع قريش أنهم لم يتخذوهم أولياء من دون المؤمنين ولم يطمعوا منهم بموادة ولا ركون، وحاشاهم من ذلك. فلهذا وصفهم الله بالايمان . وقد أخبر تعالى ان الايمان ينتفي بموالاة أعدائه كما قال تعالى (ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل اليه مااتخذوهم أولياء ولكن كثيراً منهم فاسقون)

قال بعض المفسرين ـ في الآية الاولى ـ من الممتنع ان تجد قوما من المؤمنين يوادون من حاد الله ورسوله . ويقال أيضاً : ان الله تعالى بين حال الذين عذرهم عن الهجرة وميزهم بالوصف ممن لم يعذرهم فقال تعالى (إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم) قال في شرح البخاري والسؤال للتوبيخ ، أي لم تركتم الجهاد والهجرة والنصرة؟ (قالوا كنا مستضعفين في الارض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فاولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً)

وروى البخاري في صحيحه عن عبد الرحمن بن الاسود قال « قطع على أهل المدينة بعث فاكتتبت فيه، فلقيني عكرمة فأخبرته فنهاني أشد النهي وقال : أخبرني ابن عباس ان أناسا من المسلمين كانوا مع المشركين يكثرون سواد المشركين يأتي السهم فيصيب أحدهم فيقتله او يضربه فيقتله ، فأنزل الله تعالى (إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم، قالوا فيم كنتم ؟ قالوا كنا مستضعفين في الارض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة) الآيتين

فتأمل كيف ترتب عليهم هذا الوعيد وأوجب لهم النار وقد ورد انهم كانوا مكرهين على تكثير سواد المشركين فقط، فكيف بمن كثر سوادهم بغير اكراه واعان وظاهر، وقال وفعل من غير استضعاف ولا اكراه؟ أترى بقي مع هذا شيء من الايمان والحالة هذه؟

ثم ان الله تعالى بين في هذه الآية من خرج من هذا الوعيد بأوصاف لاتخفى على البليد فقال (إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لايستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا * فاولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفواً غفورا) فذكر انهم الذين لايستطيعون حيلة ولايهتدون سبيلا وهم العاجزون عن الهجرة من كل وجه، وهؤلاء هم الذين دعا لهم رسول الله ﷺ في حديث ابي هريرة المتقدم، بخلاف من لم يعجز عن الهجرة، بل اختارهم ورغب اليهم وسكن اليهم ووافقهم وتأيد بهم واستنصر مثل عبد الله بن ابي سرح ومقيس بن صبابة الليثي وأمثالهما مما تزين له الباطل، كجبلة بن الايهم الغساني وأمثال هؤلاء كثيرون. نسأل الله الثبات على الاسلام والعفو والعافية في الدنيا والآخرة

والامر الثاني: استدلالهم على جواز الاقامة مع المشركين اوتركهم الهجرة لان الصحابة هاجروا إلى الحبشة وفيها نصارى

فيقال (أولا) لايجوز عند من له أدنى معرفة ان يستدل على ترك الهجرة بان الصحابة هاجروا، وكيف يجوز في عقل من له ادنى مسكة من عقل ان يستدل لترك شيء بان ذلك الشيء الذي تركه قد فعله غيره

وقد عرفت أن الله سجل على من ترك الهجرة بالوعيد الشديد وبريء منه رسول الله ﷺ وأثنى على من هاجر، ووعدهم على الهجرة بخيري الدنيا والآخرة كما قال تعالى (والذين هاجروا في الله من بعد ماظلموا لنبوئنهم في الدنيا حسنة ولاجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون) وقال (فالذين هاجروا وأخرجوا من

ديارهم وأوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لاكفرن عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار ثوابا من عند الله والله عنده حسن الثواب) واي جهل أعظم من جهل من يسوي بين حسنات المقربين الابرار، وسيئات العصاة الاشرار؟ (أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا؟ لايستوون)

***

وهذا سياق قصة مهاجرة الحبشة . قال ابو نعيم في منتقاه من سيرة ابن هشام، قال ابن اسحاق : حدثنا محمد بن مسلم الزهري عن ابي بكر بن عبدالرحمن بن الحارث بن هشام عن ام سلمة زوج النبي ﷺ قالت « لما نزلنا أرض الحبشة جاورنا بها خير جار - النجاشي - آمنا على ديننا وعبدنا الله، لانؤذى ولا نسمع شيئا نكرهه . فلما بلغ ذلك قريشا ائتمروا بينهم أن يبعثوا إلى النجاشي فينا رجلين جلدين، وان يهدوا للنجاشي هدايا مما يستطرف من متاع مكة، وكان من أعجب مايأتيه منها الادم، فجمعوا له ادما كثيراً ولم يتركوا من بطارقته بطريقا إلا أهدوا له هدية، ثم بعثوا بذلك عبدالله بن ابي ربيعه وعمرو بن العاص وأمروهما بامرهم، وقالوا لهما ادفعا إلى كل بطريق هديته قبل ان تكلما النجاشي فيهم، ثم قدما إلى النجاشي هداياه، ثم اسألاه أن يسلمهم اليكما قبل أن يكلمهم - قالت: فخرجا حتى قدما على النجاشي ونحن عنده بخير دار عند خير جار - إلى أن قالت - وكان الذي كلمه جعفر بن ابي طالب وقال له: أيها الملك كنا قوما اهل جاهلية نعبد الاصنام ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الارحام، ونسيء الجوار، ويأكل القوى الضعيف، وكنا على ذلك حتى بعث الله الينا رسولا منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والاوثان، وأمرنا بصدق الحديث وأداء الامانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات، وأمرنا ان نعبد الله لانشرك

به شيئاً، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام - قالت : فعدد عليه أمور الاسلام - فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ماجاء به من الله، فعبدنا الله وحده فلم نشرك به شيئاً، وحرمنا ماحرم علينا ، وأحللنا ما احل لنا، فعدا علينا قومنا وعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الاوثان من عبادة الله، وان نستحل من الخبائث ماحرم الله علينا، فلما قهرونا وظلمونا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلادك، واخترناك على من سواك، ورغبنا في جوارك، ورجونا ان لانظلم عندك ايها الملك

قالت : فقال له النجاشي هل معك مما جاء به عن الله من شيء ؟ قالت : فقال جعفر نعم ، فقال له النجاشي : اقرأه عليّ، فقرأ عليه صدراً من (كهيعص) قالت فبكى النجاشي حتى اخضل لحيته ، وبكت اساقفته حتى اخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلي عليهم ، ثم قال النجاشي: ان هذا والله والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة، انطلقا فلا والله لااسلمهم اليكم ولا اكاد » ثم ساقت القصه

قال ابن اسحاق وحدثني يزيد بن رومان عن عروة عن عائشة قالت: لما مات النجاشي كان يتحدث : انه لايزال على قبره نور . انتهى

(قلت) وقد أنزل الله في النجاشي وأصحابه آيات في سورة المائدة من قوله (ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى — إلى قوله — وانهم لا يستكبرون) (١)

وكل من له أدنى معرفة لايفهم من هذه القصة إلا انها حجة عظيمة على الهجرة الواجبة من وجوه لا تخفى على البليد، اللهم الا من ابتلى بسوء الفهم وفساد التصور وكابر العقل والشرع فلا حيلة فيه . ياربنا نسألك الثبات على الاسلام .

وأورد أيضاً حديث « انا بريء من مسلم بين أظهر المشركين ، لاتراءى ناراهما » والحجة منه ان النبي ﷺ سماه مسلما فيفيد ان اقامته بين أظهر المشركين لاتخرجه عن الاسلام

(١) الغاية التي ذكرها سهو فان الآيات الثلاث التي بعدها فيهم أيضاً

(فالجواب) أن براءة النبي صلى الله عليه وسلم ممن جلس بين ظهرانيهم انما كان عقوبة له على مجرد الاقامة بين أظهرهم . وأما إيواؤهم ونقض العهد لهم ومظاهرتهم ومعاونتهم والاستبشار بنصرهم وموالاة وليهم ومعاداة عدوهم من أهل الاسلام ، فكل هذه الامور زائدة على مجرد الاقامة بين أظهرهم ، وكل عمل من هذه الاعمال قد توعد الله عليه بالعذاب والخلود فيه وسلب الايمان ، وحلول السخط به وغير ذلك مما هو مضمون الآيات المحكمات التي قد تقدمت ، وكل ذنب من هذه الذنوب له عقوبة تخصه ، وكلما ازداد منه زاد الله له في العقوبة ، فان لم يؤمن بتلك الآيات المحكمات ويعترف بصدور تلك الاعمال منه فما أشبه حاله بحال من قال الله فيهم (أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون * أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون)

واعلم أن هؤلاء المشركين لا يرضون من هذا وأمثاله بمجرد الموالاة والنصرة دون عبادتهم وتسويتهم لهم بالله في التعظيم والاجلال والتودد اليهم . فمن ذلك الانحناء لهم والاشارة باليد إلى أشرف أعضاء السجود وهو الجبهة والانف ، وكل ذلك من خصائص الالهية ، وذلك أمر لا محيد لهم عنه ، كما قال تعالى عن أهل الكهف (فانهم إن يظهروا عليكم يرجموكم أو يعيدوكم في ملتهم ولن تفلحوا اذاً ابدا) ولهذا لم يجدوا من مفارقتهم بداً ، حتى ذهبوا إلى غار في رأس جبل خوفا من ذهاب دينهم فآثروا الله على كل ماسواه

قال شيخنا : في هذه القصة فيه اعتزال أهل الشرك واعتزال معبوداتهم وقوله (فأووا إلى الكهف) فيه شدة صلابتهم في دينهم حيث عزموا على ترك الرياسة الكبرى والنعمة العظيمة واستبدلوا بها كهفا في رأس جبل

(قلت) ومثل ذلك ماذكره الله عن سحرة فرعون لما استنارت قلوبهم

بالايمان قالوا لفرعون لعنه الله (لن نؤثرك على ماجاءنا من البينات والذي فطرنا فاقض ماأنت قاض انما تقضي هذه الحياة الدنيا)

واعلم ان حقيقة حال هؤلاء المشبهة ان الله تعالى أمر بقتال المشركين فقاتلوا معهم، وامرهم بالبعد عنهم فآووهم وقربوا منهم، وامر بمعاداتهم فوالوهم، وأمرهم ببغضهم فوادوهم ، وامرهم بان ينصروا اهل الاسلام فاستنصروا بالكفرة عليهم، ونهوا عن مداهنتهم فداهنوهم، ونهاهم عن كتمان ماأنزل الله من هذا وغيره فكتموه وشبهوا كما قال تعالى (ان الذين يكتمون ماأنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا اولئك مايأكلون في بطونهم إلا النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم) وقال (ان الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب) الآية. فجمعوا بين الكتمان والرد على من بين ولم يكتم، والتشبيه والجدال بالباطل، فتركوا ماأوجب الله عليهم وارتكبوا ماحرم عليهم ، وهذا ظاهر جداً لايرتاب فيه من له ادنى معرفة بالناس وما وقع منهم فلا يأمنهم ويقربهم بعد هذه العظائم إلا من سفه نفسه

***

ولهم شبهة أخرى وهي ان أبابكر استأجر عبدالله بن اريقط في طريق الهجرة إلى المدينة وكان هاديا خريتا يدلهم على الطريق فاحسن رسول الله صلى الله عليه وسلم صحبته فتكون صحبة العسكر واعانتهم على المسلمين ونصرتهم لا بأس بها

فيقال (أولا) قد ذكرت في الشبهة التي قبل هذه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أنا بريء من مسلم بين اظهر المشركين » وهذا يناقض ما استدللت به هنا وحاشا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتبرأ من صاحب عمل وهو يفعله ، ومثل هذا قوله « من جامع المشرك اوساكنه فهو مثله » والآيات المحكمات صريحة في التحذير من موالاتهم ناطقة بالوعيد الشديد على موادتهم ونصرتهم

إذا عرف هذا فالفرق بين الدليل والمدعى ابعد مما بين المشرق والمغرب

وذلك ان ابن اريقط أعان رسول الله ﷺ على أبر البر بعد الاسلام، وافرض الفرائض بعد الايمان، وسعى لرسول الله ﷺ في مصالحه التي يتوصل بها إلى رضاء مولاه، ومراغمة أعدائه. ولا ريب ان هذا لو صدر من ابن اريقط بنية لكان من افضل الاعمال، فاذا أسلم كتب له ذلك من افضل حسناته على حديث حكيم « أسلمت على ما أسلفت من خير » بخلاف من آوى المشركين ورضي بهم بدلا من المسلمين وأعانهم واستنصر بهم وفرح بنصرهم وظهورهم، ودعا الناس إلى متابعتهم.

فالفرق بين الفعلين كالفرق بين فعل ابي طالب من النصرة والحياطة والحماية، وفعل ابي جهل وعقبة بن ابي معيط والنضر بن الحارث، فلو أسلم ابو طالب لكان فعله من اعظم القربات، وفعل ابي جهل وأمثاله من اعظم الكفر الموصل إلى الدركات في العذاب وحلول المثلات، فأين من أعان الباطل وواد أهله ونصرهم وظاهرهم ممن أعان المسلمين وسعى في مصالحهم وراغم عدوهم ؟

سارت مشرقة وسرت مغربا شتان بين مشرق ومغرب

فابن اريقط فعل خيراً جره إلى الاسلام كما جر سراقة بن مالك وقد فعل من النصيحة في حال كفره مايحمد به باطنا وظاهراً بخلاف من والى المشركين ونصح لهم فانه قد وقع في الوعيد والسخط والمقت وفساد الدين، ومفارقة المؤمنين، والله أعلم بما يؤول اليه حال أعيان اولئك الضلال، لكنه يخشى عليهم أن يصيبهم مثل ماقصه الله في شأن بلعام، وكذلك اهل مسجد الضرار، وقد كانوا قبل ذلك في عداد الانصار. فيا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على الايمان

ولا ريب ان عدول هذا المستدل عن الآيات المحكمات وصحيح الاخبار ترك للمحكم واتباع للمتشابه وقد قال تعالى (فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون

ما تشابه منه ابتغاء الفتنة) الآية . وعن عائشة رضي الله عنها مرفوعا « إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فاولئك الذين سمى الله فاحذروهم »

وحاصل ماقدمنا من الجواب على ماأورده المشبه هنا يتضمن خمسة اوجه

(الاول) ان ابن أريقط أجير ومن شأن الاجير أن يخدم المستأجر لأنه ملك منافعه بعقد الاجارة ، والاجير تحت المستأجر

(الوجه الثاني) ان ذلك مستأجر في مصلحة دينية هي من أكبر مصالح الدين ، فاعانته للمسلم وقت الحاجة اليه لامحذور فيها لكونها مصلحة محض، فكيف يجوز أن يستدل بذلك على ماهو أعظم المفاسد في الدين من موالاة المشركين واعانتهم على باطلهم والصد عن سبيل الله ؟

شتان بين الحالتين فمن يرد جمعا فما الضدان يجتمعان

(الوجه الثالث) ان استئجار الكافر للمصلحة نظير استرقاق الكافر وذلك جائز بخلاف العكس، فانه لايجوز،لان الاسلام يعلو ولايعلى عليه . وهذا المشبه كأمثاله صاروا لأهل مصر[1] كالماليك في طاعتهم ، ومتابعتهم ، واعانتهم اختياراً منهم لااضطراراً

(الوجه الرابع) ان مافعله ابن اريقط لايعاب عليه عقلا ولا شرعا بل قد يثاب عليه في حال كفره في الدنيا ، وربما صار سببا لاسلامه لقربه من الاسلام باعانة أهله على طاعة ربهم ، بخلاف من أعان على معصية الله والصد عن سبيله ، فأين من كان مع أهل الحق ممن كان مع عدوهم ، وهل سمعت بتفاوت أعظم من هذا التفاوت ؟

والله مااجتمعا ولن يتلاقيا حتى تشيب مفارق الغربان

---

(١) المراد من أهل مصر الجنود الذين قاتلوا جماعة المؤلف وكانوا من شعوب مختلفة . وأصل الكلام في الذين ساعدوهم من أهل الحجاز وغيرهم

(الوجه الخامس) ان مافعله ابن اريقط يغيظ كفار قريش، واغاظة الكفار يحبها الله تعالى، بخلاف من يفعل معهم مايسرهم ويغيظ عدوهم من المؤمنين فأين هذا من هذا لو كانوا يعلمون؟

والبصير يعلم أن هذا التشبيه من هؤلاء على العوام صدّ لهم عن سبيل الله وانه من آثار عقوبة تلك الاعمال

اللهم انا نعوذ بك أن نفتن عن ديننا ، وأن نرد على أعقابنا ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيد المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم تسليما

وهذا آخر ماتيسر جمعه والله أسئل ان يعم بنفعه

أملاه وجمعه الفقير إلى الله تعالى عبده عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب

وكتبه الفقير إلى الله عبده علي بن عبد الله البواردي

وذلك في سنة ١٣٦١ من هجرته ﷺ

وكتبه من قلم كاتبه حرفا بحرف عبده الفقير اليه عبد الله بن ابراهيم الربيعي

وذلك في ٢٥ صفر سنة ١٣٤٦ وصلى الله على محمد

وآله وصحبه وسلم تسليما كثيراً

آمين

كتاب

بيان كلمة التوحيد

والرد على الكشميرى عبد المحمود

تأليف

شيخنا وامامنا ، ناصر السنة ، وقامع البدعة

الشيخ عبد الرحمن بن الشيخ حسن بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب

أجزل الله لهم الاجر والثواب آمين

من مطبوعات صاحب الجلالة السعودية ومحيي السنة المحمدية

الإمام عبد العزيز آل سعود

ملك الحجاز ونجد وملحقاتها

قال الشيخ الامام شيخ الاسلام عبد الرحمن بن حسن بن شيخ الاسلام محمد بن عبدالوهاب رحمهم الله تعالى آمين ورضي عنهم

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

الحمد لله رب العالمين * الرحمن الرحيم * مالك يوم الدين ، واشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ولا مثل ولا معين ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله سيد الاولين والآخرين ، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن تبعهم باحسان إلى يوم الدين، وسلم تسليما ، اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات ، وألف بين قلوبهم ، واصلح ذات بينهم ، وانصرهم على عدوك وعدوهم ، واهدهم سبل السلام ، واخرجهم من الظلمات إلى النور ، وجنبهم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، واجعلهم شاكرين لنعمتك ، مثنين بها عليك ، قابليها منهم وأتمها عليهم ، اللهم انصر دينك وكتابك ورسولك وعبادك المؤمنين ، اللهم اظهر دينك دين الهدى ، ودين الحق الذي بعثت به نبيك محمداً ﷺ على الدين كله ، اللهم عذب الكفار والمنافقين الذين يصدون عن سبيلك، ويبدلون دينك، ويعادون عبادك المؤمنين ، اللهم خالف بين كلمتهم، وشتت بين قلوبهم، واجعل تدميرهم في تدبيرهم ، وادر عليهم دائرة السوء، اللهم انزل بأسك الذي لايرد عن القوم المجرمين ، اللهم منزل الكتاب، ومجري السحاب، وهازم الاحزاب ، اهزمهم وزلزلهم وانصرنا عليهم ، اللهم اعنا ولا تعن علينا ، واهدنا ويسر الهدى لنا ، وانصرنا على من بغى علينا ، اللهم اجعلنا شاكرين

ذا كرين مطاويع اليك مخبتين، اواهين منيبين ، اللهم تقبل توبتنا واغسل حوبتنا واهد قلوبنا وثبت حجتنا ، واسلل سخيمة صدورنا يارب العالمين

(أما بعد) فاعلموا معشر الاخوان ان الله تعالى أرسل رسوله محمداً ﷺ بالهدى ودين الحق ليخرج الناس من الظلمات إلى النور ، وعرفهم ماخلقوا له من اخلاص العبادة لله وحده لاشريك له ، وترك عبادة ما كانوا يعبدونه من دون الله ، والرغبة عن عبادة غيره والبراءة منها والكفر بالطاغوت وهو الشيطان ومازينه من عبادة الاوثان ، فدعا قريشا والعرب إلى أن يقولوا لاإله إلا الله لما دلت عليه من بطلان عبادة كل مايعبد من دون الله ، واخلاص العبادة لله وحده دون كل ماسواه . وهذا هو التوحيد الذي خلق الله الخلق لاجله ، وأرسل الرسل لاجله ، وأنزل الكتب لاجله . وهو أساس الايمان والاسلام ورأسه وهو الدين الذى الحق لايقبل الله من عبد ديناً سواه . قال الله تعالى (وماخلقت الجن والانس إلا ليعبدون) اي يوحدون ، وقال تعالى (وقضى ربك أن لاتعبدوا إلا إياه وبالوالدين احسانا)وهذه الآية تفسر الآية قبلها وتبين أن المراد بالعبادة التوحيد وأن يكون سبحانه وتعالى هو المعبود وحده دون كل ماسواه ، والقرآن كله في تقرير هذا التوحيد وبيانه، وبين ذلك قوله تعالى (إن الحكم إلا لله أمر أن لاتعبدوا إلا إياه)

والرسل عليهم الصلاة والسلام افتتحوا دعوتهم لقومهم بهذا التوحيد(أن اعبدوا الله مالكم من إله غيره) وقال تعالى (وابراهيم إذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه وأطيعون ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون* انما تعبدون من دون الله أوثانا وتخلقون افكا ، ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له اليه ترجعون * وإن تكذبوا فقد

كذب أمم من قبلكم وما على الرسول إلا البلاغ المبين) وقوله (فقد كذب أمم من قبلكم) يعني قوم نوح وعاد وثمود وأصحاب مدين والمؤتفكات، وهم قوم لوط ، وقد قال تعالى (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت، فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة)

وكل رسول يدعو قومه الى ان يخلعوا عبادة ما كانوا يعبدونه من دون الله ويخلصوا أعمالهم كلها عن الاصنام والاوثان التي اتخذوها وجعلوها أنداداً لله بعبادتهم ، كما قال تعالى (واتخذوا من دون الله آلهة لعلهم ينصرون)

وهذا هو معنى لا إله إلا الله لا يشك في هذا مسلم كما قال تعالى (والى عاد أخاهم هوداً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره) فأجابوه بقولهم (يا هود ما جئتنا ببينة، وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك، وما نحن لك بمؤمنين * إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء، قال اني أشهد الله، واشهدوا، أني بريء مما تشركون * من دونه فكيدوني جميعاً ثم لا تنظرون) وهذا هو المنفي في كلمة الاخلاص(اني بريء مما تشركون من دونه) كما قال تعالى مخبراً عن جميع رسله أنهم قالوا لقومهم (انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده)

والايمان بالله وحده هو البراءة مما كانوا يعبدونه من الاصنام والاوثان واخلاص العبادة لله وحده، لا يرتاب في هذا مسلم

فمن شك في أن هذا هو معنى لا إله إلا الله فليس معه من الاسلام ما يزن حبة خردل .

والقرآن أفصح عن معنى لا إله إلا الله في آيات كثيرة يطول الكتاب بذكرها ويأتي بعضها ان شاء الله في هذا الجواب .

وأنتم معشر المخاطبين بهذا قد تقرر عند من له علم فيكم حتى العامة من أكثر

من مائة وثلاثين سنة أن هذا هو التوحيد الذي بعث الله به رسله وأنزل به كتبه، فما بال أناس يرغبون عما عرفوه وعُرفوه من كتاب الله وسنة رسوله إلى طالب العلم ممن لم يعرف هذا التوحيد ولا نشأ في تعلمه ولا عرفه، كما هو ظاهر في كلامه؟ يعرف من له عقل وبصيرة انه لا يتكلم به إلا من لم يعرف ما بعث الله به المرسلين من توحيد رب العالمين

وقد علمتم معشر الموحدين ما حال بين كثير من الناس وبين معرفة التوحيد من العوائد الشركية، والشبهات الخيالية لما افترقت الامة إلى ثلاث وسبعين فرقة، فلقد عظمت نعمة الاسلام على من عرفها وقبلها وأحبها وصار مستيقنا بها قلبه، مخلصا صادقا، ورزق الثبات والاستقامة على ذلك، فيالها من نعمة ما أعظمها وموهبة ما أجلها، نعوذ بالله أن يصدف عنها صادف أو يصرف عنها صارف، ونعوذ بالله من مضلات الفتن ماظهر منها وما بطن،

فاتقوا الله عباد الله وارغبوا فيما كنتم فيه من نعمة الاسلام والايمان، وجددوا وجدوا واجتهدوا في معرفته على الحقيقة بأدلته وبراهينه التي نصبها عليه رب العالمين في كتابه المبين، وبينها لكم نبيه الصادق المصدوق الامين، صلوات الله وسلامه عليه وعلى من اتبعه إلى يوم الدين.

ثم انه قد تكلم غريب في معنى لا إله إلا الله لا يعرف ما هو ولا ممن هو؟ وكتب في ذلك ورقة تبين فيها من الجهل والضلال ما سنذكره لكم حذراً وتحذيراً واعذاراً وتعذيراً، والقلوب بين أصابع الرحمن، نسأل الله الثبات على الاسلام والايمان

ذكر ما في الورقة. قال (الحمد لله المتوحد بجميع الجهات)

(الجواب وبالله التوفيق) لا يخفى على من له ذوق وممارسة ومعرفة بمذاهب المبتدعة أن هذا لفظ لا معنى له إلا على قول أهل الحلول من الجهمية ومن تابعهم فانهم يقولون: ان الله تعالى حال في جميع الجهات وفي كل مكان، ويجحدون ما تقرر

في القرآن من علو الله على جميع خلقه واستوائه على عرشه (تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً)

وهذا الرجل انما تكلم بألسنتهم، فهذا محصوله من العلم الذي ادعاه قد ظهر واستبان على صفحات وجهه ، وفلتات اللسان . وأهل السنة ينكرون هذه الالفاظ ، ويشيرون إلى ما فيها من دسائس أهل البدع أسوة أمثال هذا من الفلاسفة وأهل الوحدة وغيرهم ممن لم يستضيء بنور العلم ، ولم يلجأ إلى ركن وثيق ، فلا تنظر الى منظر الرجل وانظر إلى مخبره

وقد غلط أكثر الفرق الثلاث والسبعين في مسمى التوحيد ، وكل فرقة لها توحيد تعتقد أنه هو الصواب حتى الاشاعرة القائلين بان معنى الاله : الغني عما سواه، المفتقر اليه ما عداه[١] ويقولون انهم أهل السنة وهيهات هيهات، ولم يصبر منها على الحق إلا فرقة واحدة وهم الذين عرفوا التوحيد على الحقيقة من الآيات المحكمات وصحيح السنة . جعلنا الله وإياكم من الفرق الناجية

وقد أشار شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى إلى هذا المعنى فقال: وقد غلط في مسمى التوحيد طوائف من أهل النظر والكلام ، ومن أهل الارادة والعبادة وهذا يفيد الحذر من مخالطة كل من لا يعرف دينه

وقد كان بعض العلماء اذا دخل عليه مبتدع جعل أصبعيه في أذنيه حتى يفارقه حذراً من أن يلقي اليه كلمة تفتنه .

فارجعوا رحمكم الله الى صريح القرآن فانه حبل الله المتين والذكر الحكيم والصراط المستقيم وهو النور كما قال تعالى (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين* يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم)

---

(١) هذه العبارة هي التي بنى عليها السنوسي عقيدته الصغري المشهورة وزعم انها معنى كلمة التوحيد واستنبط الصفات السلبية والثبوتية منها وماهي الا من لوازمها، وماكل الاشعرية يقول بأنها معناها

ثم ان هـذا قال في ورقته (اعلم ان الاله هو المعبود فقط غير مقيـد بقيد الحقيقة والبطلان ، إذ اشتقاقه من أله ، اذا عبده- يوجب اتحاده معه في المعنى لعدم وجوده بدونه،إذ الاشتقاق وجود التناسب في اللفظ والمعنى)

(فالجواب)أن نقول : سبحان الله ، كيف يشكل على من له أدنى مسكة من عقل ما في هذا القول من الكذب والضلال والالحاد والمحال ؟ فلقد صادم الكتاب والسنة والفطر والعقول واللغة والعرف ،

أما مصادمته الكتاب والسنة فان الله تعالى يقول (ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل) في عدة مواضع من الكتاب والسنة، فالله تعالى الحق وعبادته وحده هي الحق أزلا وأبداً ،وما يدعى من دونه هو الباطل، قبل وضع اللغات وبعدها. وهذا لا يمتري فيه مسلم أصلا .

وأما مصادمته للعقل فان كل مألوه معبود ،ولا بد أن يكون حقا أو باطلا، فان كان هو الله فهو الحق سبحانه كما في حديث الاستفتاح الذي رواه البخاري وغيره « ولك الحمد أنت الحق ووعدك حق »وان كان المعبود غيره فهو باطل بنص القرآن ، والقرآن كله يدل على ان الله هو الحق وان ما يدعى من دونه فهو باطل .

وأما مخالفته للفطر فباتفاق الناس على مادل عليه الكتاب والسنة والمعقول ، حتى أهل البدع من كل طائفة لا يقول بهـذا القول الذي قاله هذا أحد منهم ، لكن كل طائفة تدعي انها أسعد من غيرها بالدليل، على ما في أدلة كل طائفة من التحريف والتأويل .

وأما مخالفته للغة فلا ريب ان الواضع وضع الالفاظ بازاء معانيها . فكل لفظ وضع لمدلوله الذي وضع له لاجل الدلالة عليه ، والواضع وضع الالفاظ دالة على معانيها ، فاللفظ دال والمعنى مدلوله .يعرف هذا كل من له أدنى مسكة من عقل وكل ما ذكرناه لا نزاع فيه ولا يعرف ان أحداً قال بخلاف ما ذكرنا .

وواضع اللغة قال بعض العلماء : هو الله تعالى ، وقال بعضهم وضعها غيره من بني آدم المتقدمين بالهام منه تعالى وجبلة جبلهم عليها . واللغات وان تعددت فهي بالهام من الله وبها يعرف مراد المتكلم ومقصوده .

اذا عرفت ذلك فيلزم على قول هذا الجاهل ان الملائكة قبل خلق آدم وذريته كانت عبادتهم لله تعالى غير مقيدة بحق ولا باطل ، وهذا اللازم باطل فبطل الملزوم وكذلك عبادة آدم وذريته قبل حدوث الشرك في قوم نوح لا توصف عبادتهم لله بانها حق أو باطل ، وهذا اللازم باطل فبطل الملزوم ، وكذلك قوم نوح لما عبدوا آلهتهم وقالوا لما دعاهم نوح عليه السلام (لا تذرن آلهتكم ولا تذرن وداً ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا) فيلزم على قول هذا ان عبادتهم لتلك الاصنام ليست باطلة ، وهذه اللوازم الباطلة تلزمه وببطلانها يبطل ملزومها الذي ذكرناه عنه ،

وأيضا ففي قوله هذا مضاهاة لقول ابن عربي امام أهل الوحدة :

وعباد عجل السامري على هدى ولائمهم في اللوم ليس على رشد

فمن وجد خيراً فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه . فلا تعجب فكل صاحب بدعة لابد أن يجادل عن بدعته ، والعلم نور يهبه الله لمن يشاء من عباده وهو معرفة الهدى بدليله ، والناس ليسوا كلهم كذلك إلا أقل القليل الذين تمسكوا بالكتاب والسنة وما عليه سلف الأمة وأئمتها علما وعملا ،

ومن تدبر القرآن رأى العجب فيما قصه الله تعالى عن الرسل مع أممهم قديما وحديثا كما قال تعالى (ما يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا فلا يغررك تقلبهم في البلاد * كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب من بعدهم وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فأخذتهم فكيف كان عقاب)

فاذا كان الكلام في بيان معنى لا إله إلا الله فان الله تعالى هو الذي تولى بيانه في مواضع

من كتابه وأجمعت عليه الرسل من أولهم الى آخرهم، كما قال تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي اليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون) بل القرآن كله في بيان معناها، كما قال تعالى (وإذ قال ابراهيم لابيه وقومه انني براء مما تعبدون إلا الذي فطرني فانه سيهدين * وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون) أي اليها من البراءة من عبادة كل معبود سوى الله، واخلاص العبادة له تعالى كقول امام الحنفاء عليه الصلاة السلام في هذه الآية (فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها) وهي لا إله إلا الله، وقال تعالى (والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وأنابوا الى الله) والطاغوت الشيطان وما زينه المشركين من عبادة معبوداتهم التي كانوا يعبدونها من دون الله تعالى كاصنام قوم نوح وأصنام قوم ابراهيم واللات والعزى ومناة، ومالا يحصى كثرة في العرب والعجم وغيرهم وهي موجودة في الخارج معينة معلومة الوجود كاصنام قوم نوح وغيرها مما لا يحصى كثرة. فمن قال لا إله إلا الله بصدق واخلاص وتعيين فقد بريء من كل معبود يعبد من دون الله ممن كان يعبده اهل الارض ، وهذه الكلمة دلت على البراءة من الشرك والكفر به تضمنا ، ودلت عليه وعلى اخلاص العبادة لله تعالى مطابقة ، قال تعالى (وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون) بين تعالى ان الحكمة في خلق الجن والانس أن يعبدوه وحده لا شريك له ومن المعلوم انه خلق الجن قبل الانس

فيلزم على هذا القول الفاسد الذى أبداه هذا الجاهل ان العبادة التي خلق تعالى لها الثقلين لا توصف بحق ولا باطل حين خلقهم لها. واللازم باطل فبطل الملزوم

وهذا الموضع الذي بينا بطلانه بالمعقول والمنقول هو ثاني موضع زلت فيه قدم هذا الذي يدعي انه على شيء وليس معه شيء يلتفت اليه بما يوجب إنكاره عليه، وقد قال تعالى (اولم يكفهم انا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم؟ ان في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون) وقال تعالى (ثم جعلناك على شريعة من الامر

فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون * انهم لن يغنوا عنك من الله شيئا وان الظالمين بعضهم اولياء بعض والله ولي المتقين) وقال تعالى (اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ماتذكرون) وعن زياد بن حدير قال : قال لي عمر : هل تعرف ما يهدم الاسلام ؟ قلت : لا . قال « يهدمه زلة العالم ، وجدال المنافق بالكتاب ، وحكم الائمة المضلين » رواه الدارمي

فرضي الله تعالى عن امير المؤمنين عمر كانه ينظر إلى ما وقع في هذه الامة من جدال اهل الاهواء بالكتاب ، وكثرة الآراء المخالفة للحق التي بها كثر أهل الضلال ، وكثرت بها البدع ، وتفرقت الامة واشتدت غربة الاسلام ، حتى عاد المعروف منكرا والمنكر معروفا ، والسنة بدعة والبدعة سنة ، نشأ على هذا الصغير ، وهرم عليه الكبير ، وما أحسن ماقال بعض السلف: « لا تستوحش من الحق لقلة السالكين ، ولا تغتر بالباطل لكثرة الهالكين » وقال بعضهم « ليس العجب ممن هلك كيف هلك ، انما العجب ممن نجا كيف نجا » فالناصح لنفسه يتهم رأيه وهواه ، ويرجع إلى تدبر كتاب الله سبحانه لا إله غيره ولا رب سواه ، والى ماسنه الرسول ﷺ وما عليه سلف الامة وأئمتها قبل حدوث الاهواء وتفرق الآراء ، وليكن من الشيطان وجنده على حذر

اللهم اجعلنا هادين مهتدين غير ضالين ولا مضلين ، سلماً لاوليائك . حربا لاعدائك ، نحب بحبك من أحبك ، ونعادي بعداوتك من خالفك . اللهم هذا الدعاء وعليك الاجابة ، اللهم هذا الجهد وعليك التكلان .

وأما قول هذا في ورقته (إذ اشتقاقه من اله يوجوب اتحاده معه في المعنى)

(أقول) قد عرفتم ماذكرناه من تناقضه في هذه العبارة وماقبلها ، وقد أخطأ أيضا فيما عبر به عن الاشتقاق من وجهين :

(الاول) انه جعل أله مشتقاً منه وهو فعل يشتق ولا يشتق منه ، والمصدر

هو الذي يشتق منه الفعل كما قال في الخلاصة[١] * وكونه أصلا لهذين انتخب*
ومصدره أله إلاهة قال في قاموس: أله إلاهة وألوهة والوهية: عبد عبادة. ومنه لفظ الجلالة وأصله آله كفعال بمعنى مألوه وكل ما اتخذ معبوداً اله عند متخذه. انتهى

(الوجه الثاني) قوله أَلهه إذا عبده فجعل عبده مشتقاً من أَلهه وهو من غير مادته وهو فعل ايضاً فان عبده مشتق من عبادة يقال : عبده عبادة فمادته عبد لـكن عبد تفسير لأله فاتفقا في المعنى لا في اللفظ . وأيضاً فقوله أَلهه إذا عبده يناقض ماسلف من كلامه

واما قوله (يوجب اتحاده معه في المعنى لعدم وجوده بدونه)

(فالجواب) ان قوله يوجب اتحاده معه في المعنى ليس كذلك بل لابد أن يتضمن أحدهما وهو الفعل معنى المصدر وزيادة لدلالته على الحدث والزمان. والمصدر انما يدل على الحدث فقط، وهذا أمر معروف عند النحاة وغيرهم محسوس فعبارته تدل على انه لايعرف معنى الاشتقاق الذي ذكره العلماء ، ولو سئل عن معناه لما أجاب ، ولـكنه خلا بأناس عظموه في نفسه فأراد أن يأخذ العلوم بمجرد الدعوى

ومن نظر في كلامه عرف انه لاشيء هناك فتجده يأتي بعبارات متضمنة لجهالات لم يسبقه اليها سابق كما قد عرفتم وتعرفونه فيما يأتي من كلامه ومافيه من التناقض، فما أقبح جهل من يدعي العلم ، وما أفحش خطأ من يدعي الفهم

والله أسأل أن يوزعنا شكر ما انعم به علينا مما علمناه وفهمناه فلله الحمد لانحصي ثناء عليه ،ونسأله الثبات والاستقامة ، والعفو والعافية في الدنيا والآخرة ولكل من عرف الاسلام وقبله ودان به ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

وأما قوله (ثم استعمل في العرف على الاغلب والا كثر على المعبود بحق لعدم تحقق العبادة إلا بعد اعتقاد العابد استحقاق المعبود لها. والافلاتسمى عبادة

(١) المعروفة بألفية ابن مالك

(فالجواب) أن قوله ثم استعمل في العرف أي بعد ان كان الاله المعبود لغة غير مقيد بقيد الحقيقة والبطلان كما تقدم صريحا في كل أمة ، فليت شعري متى هذا العرف الذي وضع الالفاظ اللغوية معناها ؟ ومن هم أهل هذا العرف؟ هل كانوا في قوم نوح أو قوم هود، فيسأل هذا متى كانوا ؟ فما أقبح هذه الاقوال المختلقة التي غايتها التمويه والتلبيس ، فلا منقول ولا معقول ولم يسبقه اليها أحد . وقدم تقدم ما يلزم على هذا القول من اللوازم الباطلة

فتبين أن قوله هذا كذب على اللغة لايعرف عن أحد لغوي ولا عن عربي والعرف لايغير اللغة عن أصلها لفظا ومعنى. وهذه كتب اللغة كالقاموس وصحاح الجوهري وغيره ليس فيها مايدل على هذا القول الباطل فيكون قد كذب على اللغة والعربية وعلى غيرها من اللغات وعلى كتاب الله وسنة رسوله

وقال شيخ الاسلام أحمد بن تيمية رحمه الله تعالى : الاله هو الذي تألهه القلوب محبة ورجاء وتوكلا وغير ذلك من أنواع العبادة.وهذا قول أهل السنة قاطبة لايختلف فيه اثنان

وأما قوله (على الاغلب والاكثر على المعبود بحق) فمفهومه أنه يستعمل في غير الاغلب والاكثر على غير المعبود بحق. فهذا صحيح لكنه لايختص بالعرف بل هو في اللغة كذلك ، فاذا كان يطلق على غير المعبود بحق كما تفهمه كل أمة فهذا حجة عليه فان جميع الاصنام والاوثان وما يعبد من دون الله كلها آلهة معبودة بغير حق باطلة بكلمة الاخلاص لا إله الا الله. ففيها النفي والاثبات، كما سيأتي بيان ذلك وكل ما نفته لا إله إلا الله من الاصنام والانداد فليس كليا لايوجد إلا ذهناً كما يقوله المفتري افلاطون الفيلسوف وشيعته ، وانما كانت أشخاصا متعددة يباشرها عبادها بالعبادة بالدعاء ، والاستغاثة والاستشفاع بها ، والعكوف عندها ، والتبرك بها كأصنام قوم نوح ، وأصنام قوم عاد القائلين (إن نقول إلا اعتراك بعض

آلهتنا بسوء) وأصنام نمروذ التي تبرأ منها خليل الرحمن بقوله (انني برء مما تعبدون إلا الذي فطرني فانه سيهديني وجعلها كلمة باقية في عقبه) أي هذه الكلمة وهي عبادة الله وحده لاشريك له وخلع ماسواه من الاوثان، وهي لا إله الا الله، وجعلها في ذريته باقية (لعلهم يرجعون) أي اليها .

فالخليل عليه السلام فسر لا إله إلا الله بمدلولها من النفي والاثبات فالنفي في قوله (انني براء مما تعبدون) فالبراءة منها وابطالها نفيها ، وقوله (إلا الذي فطرني) استثنى الاله الحق الذي لا تصلح العبادة إلا له ، وهو الذي فطره أي خلقه ،وخلق جميع المخلوقات (رب السموات والارض وما بينهما ورب المشارق) وقد قال تعالى (ياأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله ، فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون) فان تولوا اي عما تدعوهم اليه من عبادة الله وحده لاشريك له ، والرغبة عما كانوا يعبدونه من دون الله كالمسيح وأمه عليهما السلام .

فان سبب نزول الآية في نصارى نجران وكانوا يعبدون آلهة أخرى ، فقوله (أن لا نعبد الا الله) ينفي كل معبود سوى الله ويثبت العبادة لله وحده التي لا يستحقها غيره . وهذا ظاهر جلي لا يخفى على من له أدنى بصيرة ، وسبب النزول لا يمنع عموم النهي لجميع الامة كما هو ظاهر في قوله (أن لا تعبدوا الا الله) فلم يستثن أحداً سواه لا ملكا ولا نبيا ولا من دونهما كما قال تعالى (وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين انما هو إله واحد فاياي فارهبون) وقوله (ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله) أي من جميع المخلوقات من بشر وحجر وغير ذلك، لكن قوله (ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا) يختص بالبشر لما تقدم من انهم كانوا يعبدون المسيح وامه وغيرهما من الانبياء والصالحين، ويشمل غيرهم من باب أولى، وقد قال تعالى (وأن المساجد لله فلا تدعو مع الله أحدا)

وأحداً نكرة في سياق النهي وهي تعم كل مدعو من دون لله من اهل السموات والارض .وتأمل قوله (مع الله)

وخبر « لا » التي لنفي الجنس محذوف تقديره حق كما دل عليه القرآن قال تعالى (ذلك بأن الله هو الحق وانما يدعون من دونه هو الباطل) وهذا قول اهل السنة والجماعة اتباعا لما دل عليه القرآن . ومن قدر الخبر المحذوف غير ذلك كقول بعضهم ان المحذوف « أحد » فلا حجة له ولا برهان

ينبئك عن هذا المعنى العظيم ما قرره ابن القيم رحمه الله تعالى قال : فان قوام السموات والارض والخليقة بأن تأله الاله الحق ، فلو كان فيهما آلهة أخرى غير الله لم يكن إلهاً حقاً، إذ الاله الحق لا شريك له ولا سمي له ولا مثل له ، فلو تألهت غيره لفسدت كل الفساد بانتفاء ما فيه صلاحها إذ صلاحها بتأله الاله الحق كما انها لا توجد إلا باستنادها الى الرب الواحد القهار ، ويستحيل أن تستند في وجودها الى ربين متكافئين فكذلك يستحيل أن تستند في تألهها الى إلهين متساويين ، وقد قال رحمه الله في قوله تعالى (ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله) الآية ، قال فالمؤمنون أشد حباً لربهم ومعبودهم من كل محب لكل محبوب ، وليست هذه المسألة من المسائل التي للعبد عنها غنى أو منها بد . بل هذه أفرض مسئلة على العبد وهي أصل عقد الايمان الذي لا يدخل فيه الداخل الا بها ولا فلاح للعبد ولا نجاة له من عذاب الله الا بها .

فليشتغل العبد بها أو ليعرض عنها ، ومن لم يتحقق بها علما وعملا وحالا لم يتحقق شهادة أن لا إله إلا الله، فانها سرها وحقيقتها ومعناها ، وان أبى ذلك الجاحدون وقصر عن علمه الجاهلون ، فان الاله هو المحبوب المعبود الذي تألهه القلوب بحبها وتخضع له وتذل له وتخافه، وترجوه وتنيب اليه في شدائدها وتدعوه في مهماتها ، وتتوكل عليه في مصالحها ، وتلجأ اليه وتطمئن بذكره وتسكن الى

حبه . وليس ذلك الا لله وحده. ولهذا كانت أصدق الكلام وكان إهلها اهل الله وحزبه، والمنكرون لها اعداؤه وأهل غضبه ونقمته .

فهذه المسألة قطب رحا الدين الذي عليه مداره واذا صحت صح بها كل مسئلة وحال وذوق، واذا لم يصححها العبد فالفساد لازم له في علومه واعماله واحواله واقواله ولا حول ولا قوة إلا بالله ، انتهى فما أحسن هذا من بيان .

***

وأما قول الملحد في ورقته (لعدم تحقق العبادة الا بعد اعتقاد استحقاق المعبود لها) (فالجواب) هذا القيد ممنوع وهو من جملة اختلاقاته وأكاذيبه لانه فاسد شرعا ولغة وعرفا ، ومما يبين فساده مافي الحديث من قصة الرجلين اللذين مرا على صنم قوم لايجاوزه احد الا قرب له شيئا فقالوا لأحد الرجلين قرب فقال: ماعندي شيء اقرب . قالوا : قرب ولو ذبابا ، فقرب ذبابا فخلوا سبيله فدخل النار، اي بتقريبه الذباب لصنمهم . وهو انما قربه للتخلص من شرهم من غير اعتقاد استحقاقه لذلك ، فصار عبادة للصنم دخل بها النار، وهذا يدل على ان هذا الفعل منه هو الذي اوجب له دخول النار لانه عبد مع الله غيره بهذا الفعل . وقالوا للآخر: قرب فقال : ماكنت لاقرب لاحد شيئا دون الله عز وجل ، فضربوا عنقه فدخل الجنة .

وايضاً فقد قال ابو طالب :

لقد علموا ان ابننا لا مكذب ... لدينا ولا يعنى بقول الاباطل

وقوله يخاطب النبي ﷺ :

ودعوتني وعرفت انك ناصحي ... ولقد صدقت وكنت ثم امينا
وعرضت دينا قد عرفت بأنه ... من خير اديان البرية دينا
لولا الملامة او حذار مسبة ... لوجدتني سمحا بذاك مبينا

فثبت بهذا ان ابا طالب لم يعتقد ان ما كان قومه عليه من الشرك حقا ولم يمنعه من الدخول في الاسلام الا خوف أن يسب أسلافه فقط ، ومع هذا مات مشركا كما ثبت في الصحيح ، وهذا يبين فساد هذا القيد .

فاذا عرف ذلك تبين ان هذا الرجل يختلق أقوالا لا برهان عليها ولا حجة ثم ان من المعلوم ان كل من عبد معبوداً غير الله وأصر على عبادته له انه يعتقد استحقاقه للعبادة ، وهذا هو الغالب على المشركين في حق معبوداتهم ، ولهذا تجدهم يجادلون عنها ويناضلون مجادلة من يعتقد انها تستحق ما كانوا يفعلونه لها من العبادة .

وقوله (في كل أمة أيضاً) اعتراف منه بأن الاله يطلق على كل معبود يعتقد عابده انه يستحق العبادة كما هو حال أكثر المشركين ، فاحفظ هذا الاعتراف منه فسيأتي في كل أمة ما يناقضه .

وأما قوله (ولهذا ذهب كثير من المتبحرين الى انه عبارة عن المعبود بحق وما قيل من ان كثيراً ما يطلق على الآلهة الباطلة كما ورد في أكثر موارد القرآن وهو يوجب عدم صحة المدعى فمدفوع بأن اطلاقه عليها بالنظر الى اعتقاد عبادها لا باعتبار نفس الامر)

(فالجواب أن يقال) هذا يناقض ما تقدم له من أن العابد اذا اعتقد استحقاق معبوده للعبادة صار إلها ، ولا يخفى مناقضة هذا له ، فانه أقر فيما تقدم قريباً ان المعبود يكون إلها باعتقاد عابده استحقاقه للعبادة في نفس الامر ، وقد عرفت ان القيد ممنوع ، فأخطأ في الموضعين أي في هذا والذي قبله وتناقض

وأما قوله : ولهذا ذهب كثير من المتبحرين الخ فهذا القول مجهول قائله لا يعرف ان أحداً من المسلمين قاله ، والقائل به مجهول لا يقبل له قول

وقد أجمع العلماء قديما وحديثا على ان المجهول لا يقبل له قول ولا خبر ، ولا

تقوم به حجة في شيء من أبواب العلم، فكيف اذا كان إلحاداً وطعنا في أصل الدين؟ وقد أجمع المحدثون على ان رواية المجهول لاتقبل كذلك، فسقط هذا القول من أصله وفسد

وقوله (كما ورد في أكثر موارد القرآن) انظر إلى هذا الجهل العظيم في محاولته رد ماورد في أكثر موارد القرآن، بقول المجهولين الذين لايعتد بقولهم عند أحد من طوائف العلماء، وموارد القرآن يحتج بها لا يحتج عليها بقول أحد، وهي الحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه كما قال تعالى (فان تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) الآية، فما وافق القرآن سواء كان نصا أوظاهراً قبل، وما خالفه رد على من قاله كائنا من كان، فقد ارتقى هذا مرتقى صعبا بتهجينه القرآن وابطال دلالته عنه بما زخرفه ونسبه إلى مجهولين، فسبحان الله كيف يخفى هذا على أحد؟ فمن تدبر هذا المحل تبين له ضلاله.

وأما قوله (فمدفوع بان اطلاقه عليها بالنظر إلى اعتقاد عبادها)

(فالجواب) ان هذا يبطله القرآن كما قال تعالى (وإذ قال ابراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناما آلهة؟إني أراك وقومك في ضلال مبين) وقال (أئفكا آلهة دون الله تريدون؟) فسماها الخليل آلهة مع كونها باطلة، وكونها باطلة لاينافي تسميتها آلهة، كما قال موسى عليه الصلاة والسلام، لما قال له بنواسرائيل (اجعل لنا إلها كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون * إن هؤلاء متبر ماهم فيه وباطل ما كانوا يعملون) وقال (أفغير الله أبغيكم إلها) فسماه الكليم إلها مع انكاره عليهم ماطلبوا وهو قد أقر فيما تقدم ان يطلق على غير الاله الحق، فتناقض والالهية المنفية في كلمة الاخلاص بدخول اداة النفي عليها، وهي لا النافية. فالمراد بنفيها ابطالها والبراءة منها والكفر بها واعتزالها وغير ذلك مما سيأتي ذكره إن شاء الله تعالى، فكما تسمى آلهة وأنداداً وأربابا وشركاء وأولياء، لان من عبدها فقد جعلها مألوهة له وجعل

لها شركة في العبادة التي هي حقه ومثلها بالله في عبادته لها واتخذها أربابا وأولياء وكل هذا في القرآن كما قال تعالى (ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله)

وقد تقدم كلام العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى على هذه الآية العظيمة . وقال تعالى(وقيل ادعوا شركاءكم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم) وقال تعالى (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله)وقال (أفحسب الذين كفروا ان يتخذوا عبادي من دوني أولياء)وهذا في القرآن كثير، فصارت تطلق عليها هذه الاوصاف بجعل عابديها واتخاذهم لها كذلك بعبادتهم وارادتهم كما تقدم بيانه في هذه الآيات ، كما في قوله تعالى (واتخذوا من دون الله آلهة لعلهم ينصرون)(واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزاً)فصارت آلهة بالفعل والاتخاذ والارادة والقصد، واستشهد العلماء على ذلك بقول رؤبة بن العجاج :

لله در الغانيات المدّه سبحن واسترجعن من تألهي

أي من تعبدي ، وتقدم كلام صاحب القاموس على هذا المعنى . وقرأ ابن عباس رضي الله تعالى عنهما (ويذرك وإلاهتك) أي عبادتك قال لأنه كان يعبد، وتقدم تقرير هذا في كلام العلماء. وهذا يبين ان كل معبود إله، حقا كان او باطلا لأنه قد الهه العابد بالعبادة ، وتبين بهذا ان هذا الرجل يتكلم في هذه الامور بلا علم ويأتي بما يخالف القرآن واللغة والسلف والعلماء ويتناقض

ومن فرط جهله قوله (وبهذا تعين فساد ماتوهم من ان الاله المنفي بلا ، في الكلمة الطيبة ـ هو المطلق غير المقيد بالحق أو الباطل) وهذا القول الذي أقر بفساده هو الذي قاله آنفا وبينا فساده في محله

فتأمل مافي هذا الكلام من الفساد والضلال، فانه جعل المنفي في كلمة الاخلاص قابلا للوصفين اي الحق والباطل ، فانه لاشك أن الاله المنفي باطل . ولا بد من

تقييده بالبطلان لان المنفي في كلمة الاخلاص هي الطواغيت والاصنام وكل ماعبد من دون الله ، وكلها باطلة بلا ريب: كما قال لبيد في شعره الذي سمعه منه النبي صلى الله عليه وسلم

* ألا كل شيء ماخلا الله باطل *

ومن لم يعتقد هذا فليس من الاسلام في شيء ، وتقدم في الآيات أن المستثنى في كلمة الاخلاص «بالا» هو الله الحق كما قال تعالى (ذلك بان الله هو الحق وانما يدعون من دونه هو الباطل)

وهذا الرجل قد افترى على اللغة وكذب عليها بقوله المتقدم : ان الاله هو المعبود لا بقيد الحقيقة ولا البطلان ، فهو دائما يتناقض ، يذكر قولا وينفيه ثم يذكره بعده ويثبته ثم ينفيه ، ومن وقف على ما كتبته في هذا المعنى عرف ذلك من حاله ومقاله ، ومحط رحله هو قول الفلاسفة كابن سينا والفارابي وابن العلقمي القائلين بان مدلول لا إله إلا الله نفيا واثباتا فرد هو الوجود المطلق، او قول الاتحادية انه الوجود بعينه

وكلام هذا وعبارته المتقدم منها والآتي يدل على انه يقول بقولهم ، ويحمل معنى كلمة الاخلاص « لا إله إلا الله» على إلحادهم، يعرف هذا من له فهم واطلاع على ما ذكره العلماء في بيان حقيقة قول هاتين الطائفتين الكفريتين كما سيأتي في كلام شيخ الاسلام وابن القيم وغيرهم

وهذا اعراب كلمة الاخلاص الذي يعرفه اهل العربية وغيرهم من العلماء في اعرابها فيقولون :

لا نافية للجنس، واسمها اله، مبني معها على الفتح، منفي بلا، والاله جنس يتناول كل معبود من بشر او حجر أو شجر أو مدر او غير ذلك ، فهذا الجنس على تعدد افراده منفي بلا، وخبر لا محذوف على الصحيح كما في الآيات ، وتقدم ذكره،

والاستثناء من الخبر ، وإلا أداة الاستثناء ، والله هو المستثنى بالا ، وهو الاله الحق وعبادته حق وقوله الحق . والصحيح انه مخرج من اسم لا وحكمه كما قرره العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى ، والادلة على هذا في القرآن أكثر من أن تحصر ، وقد صرحت بذلك الآيات المحكمات كقوله تعالى (قل يأيها الناس ان كنتم في شك من ديني فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم) وهذا هو المنفي بلا في كلمة الاخلاص. وقوله (ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم) هو معنى إلا الله، وهذا هو الذي أمر الله نبيه ﷺ أن يدعو أمته اليه، وماخالف هذا فهو تلبيس وتشبيه وبهرج وباطل . نعوذ بالله من كل قول يؤخذ عن غير القرآن ، وعن غير ما دان به اهل الاسلام والايمان

***

ثم ان هذا الرجل انتهى امره فيما كتبه الى ان زعم ان المنفي بلا كلي وهذا الكلي منوي ذهنا لايوجد منه في الخارج إلا فرد ، وذلك الفرد المنفي بلا هو المستثنى بعينه وهذا صريح كلامه وأتى فيه بثلاث عظائم هي إلى الكفر اقرب منها إلى الايمان :

(الاولى) انه زعم ان المنفي بلا كلي لايوجد إلا ذهنا فعنده انها لم تنف طاغوتا ولا وثنا ولا صنما ولا غيرها مما يعبد من دون الله. فخالفوا أيضا أهل المنطق. فان الكلي عندهم مقول على كثيرين مختلفين بالعدد دون الحقيقة ، ولم يقولوا انه منوي لايوجد منه في الخارج إلا فرد

(الثانية) انه زعم أن ذلك الفرد الذي لايوجد غيره لما كان منفيا بلا صار ثابتاً بالا وهو فرد واحد ، فصار الاله عنده متصفا بالنفي والاثبات ، والنفي والاثبات في فرد نقيضان ، ومقتضاه أن هذا الفرد صار اولا باطلا لانه منفي ثم صار حقا لانه استثني بالا ، فاجتمع فيه الوصفان. نعوذ بالله من هذا التهافت والالحاد والتناقض والعناد

وقد عرفت ان النحاة واهل الكلام كالرازي وغيره ومن قبلهم يعلمون ان المنفي غير المثبت كما سنذكر عنهم اتفاقهم على ذلك ، وانه لا يحصل التوحيد إلا بذلك ، وهذا امر يعرفه كل أحد حتى مشركو العرب ومن ضاهاهم من الامم أعداء الرسل يعلمون انها نفت الالهة التي كانت تعبد من دون الله واثبتت الهية الحق الذي اقروا انه رب كل شيء ومليكه ، وخالق كل شيء ورازق كل حي، وذلك هو الله العلي الاعلى القاهر فوق عباده

(والثالثة) انه صرح ان المنفي كلي . والفرد الموجود في الخارج جزئي (تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا) وهذا هو حقيقة قول هذا ولهذا مثله بقوله : لا شمس إلا الشمس

ومن أشكل عليه فساد قول هـذا وضلاله فليتدبر القرآن وليراجع كلام المفسرين في معنى كلمة الاخلاص وماوضعت له ومادلت عليه هذه الكلمة العظيمة، فقد قال تعالى (فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم) فدلت الآية على أنه لا يكون مستمسكا بلا إله إلا الله إلا إذا كفر بالطاغوت وهي العروة الوثقى التي لا انفصام لها ، ومن لم يعتقد هذا فليس بمسلم لانه لم يتمسك بلا إله إلا الله

فتدبر واعتقد ماينجيك من عذاب الله وهو تحقيق معنى لا إله إلا الله نفياً واثباتاً ، وتدبر قوله تعالى عن خليله عليه السلام (واذ قال ابراهيم لابيه وقومه انني براء مما تعبدون إلا الذي فطرني فانه سيهدين ، وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون) والكلمة هي لا إله الا الله باجماع المفسرين . فلا احسن من هذا التفسير ولا أبين منه ، وليس للجنة طريق الا بمعرفته وقبوله واعتقاده والعمل به

نسأل الله أن يوزعنا شكر ما أنعم به علينا من هذا التوحيد والبصيرة فيه ولا حول ولاقوة الا بالله

فتأمل كيف عبر الخليل عليه السلام عن هذه الكلمة بمدلولها الذي وضعت له من البراءة من عبادة كل معبود سوى الله من وثن وصنم وغير ذلك وقصر العبادة على الله وحده بقوله (الا الذي فطرني) ودلت على ان المنفي جنس تحته افراد موجودة في الخارج يعبدها المشركون وليست آلهة الا في حق من يعبدها ويتألهها دون من يكفر بها ويتبرأ منها ويعاديها ويعادي من عبدها

اذا ثبت ذلك وعرفت ان الحق فيما دل عليه كتاب الله وسنة رسوله في بيان معنى هذه الكلمة فاعلم ان النحاة والمتكلمين اختلفوا: هل تحتاج لا النافية لخبر مضمر أم لا ؟ فمنعه الرازي والزمخشري وابو حيان ، وقالوا : انه يكفي في الدلالة على التوحيد ماتضمنته من النفي والاثبات. بناء على ان اصلها مبتدأ وخبر ثم قدم الخبر على المبتدأ ، ثم دخل حرف النفي على الخبر المقدم ، ودخل حرف الاستثنى على المبتدأ فانتفت الالهية عن كل ماسوى لله من كل مايعبد من دونه من صنم ووثن وطاغوت وغير ذلك. هذا مضمون ماذهب اليه هؤلاء . وغيرهم وافقهم في المعنى فاتفقوا ان المستثنى مخرج بالا ولولا الاستثناء لدخل ، قال الكسائي : هو مخرج من اسم لا ، وقال الفراء : مخرج من حكم اسمها وهو النفي . والصحيح انه مخرج منهما كما قرره العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى

اذا عرفت ذلك فا كثر النحاة وغيرهم يقولون لا بد لها من خبر مضمر قال بعض من صنف في أعراب هذه الكلمة ومعناها ـ بعد كلام له سبق أقول: قد عرفت أن المضمر على تقدير ان يكون في الكلام اضمار اما الخبر او المرفوع بالا المكتفى به عن الخبر ، وقد عرفت ايضا ان المعنى المقصود في لا اله الا الله هو قصر الالوهية على الله تعالى

والعلامة الدواني قائل بهذا كما يشير اليه في البحث الخامس من رسالته وصرح به في شرحه للعقائد العضدية حيث قال : واعلم ان التوحيد اما بحصر وجوب

الوجود او بحصر الخالقية او بحصر العبودية ـ ثم قال :الاول كذا والثاني كذا ـ وساق الكلام وحقق المقام ، أي في رده الى ان قال ـ والثالث وهو حصر العبودية، وهو ان لا يشرك بعبادة ربه أحداً فقد دلت عليه الدلائل السمعية ، وانعقد عليه اجماع الانبياء عليهم السلام ، وكلهم دعوا المكلفين أولا إلى هذا التوحيد ، ونهوهم عن الاشراك في العبادة قال تعالى (وتعبدون ماتنحتون والله خلقكم وما تعلمون) انتهى

ثم قال الناقل : ومصداق اجماع الانبياء قوله تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لاإله الا أنا فاعبدون) بعد قوله تعالى (أم اتخذوا من دونه آلهة، قل هاتوا برهانكم؟ هذا ذكر من معي وذكر من قبلي، بل أكثرهم لايعلمون * الحق فهم معرضون) وقوله تعالى (ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده ان أنذروا انه لاإله الا أنا فاتقون) وقوله تعالى (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) وقال تعالى (واسأل من قبلك من أرسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون ؟)

الى أن قال : فاثبات الالوهية له تعالى على وجه الانحصار فرع على أصل ثبوتها له تعالى ، وأصل ثبوتها له تعالى فرع على ثبوته تعالى في نفسه بل اصل ثبوت الالوهية له تعالى أيضاً على مايقتضيه دلالة هذا الكلام لغة أمر مسلم الثبوت مفروغ منه لانزاع فيه. وانما النزاع ـ اي مع المشركين ـ في قصر الالوهية عليه تعالى فالموحد يخصها به فيقول لاإله الا الله، والمشرك ينكر ذلك استكباراً ، فيقول (اجعل الآلهة الها واحداً ان هذا لشيء عجاب) قال تعالى (انهم كانوا اذا قيل لهم لا إله الا الله يستكبرون * ويقولون أئنا لتاركو آلهتنا لشاعر مجنون ؟)

الى ان قال : فاذا تمهد هذا فنقول : لما كان في لا إله الا الله نفي واثبات فهي في الحقيقة جملتان اسميتان ، لان كلا من النفي والاثبات يقتضي طرفين

ينعقد الحكم بينهما، فطرف الاثبات هو الاسم الجليل مع صحة الايجاب من آله فصح ان يقصر بالاولى استمرار الثبوت الممتنع الانفكاك، وبالثانية استمرار النفي الممتنع الانفكاك ، ومقام الدعوة الى كلمة التوحيد قرينة على ان المعنى المراد من لا إله الا الله نفيا واثباتا هو هذا الاستمرار الممتنع الانفكاك ضرورة ان الشارع لا يقول الا صدقا

واستمرار ثبوت الالهية له تعالى على سبيل امتناع الانفكاك واستمرار انتفاء الالوهية عن غيره تعالى هو المطابق لما في نفس الامر، فهو المقصود للشارع فلم يبق الا ان أهل اللسان: هل فهموا ذلك منه حتى يكون دلالته لغوية أم لا؟ فنقول: انهم قد فهموا منه ذلك بدليل قوله تعالى (انهم كانوا اذا قيل لهم لا إله الا الله يستكبرون ويقولون: أئنا لتاركو آلهتنا لشاعر مجنون؟)

ووجه دلالته على ماذكرناه هو ان الصادق أخبر بان انكارهم لما يلزم من الاعتراف بلا إله الا الله من تركهم آلهتهم واختصاصه تعالى بالالوهية ـ انكار بمحض استكبار لا لتمسك عقلي. انتهى مانقلته. وهو تقرير حسي موافق لما دل عليه الكتاب والسنة كما عرفت من صريح الآيات والاحاديث

لكن قوله وأصل ثبوتها له تعالى فرع على ثبوته تعالى في نفسه أمر فطري مسلم حتى عند أعداء الرسل فانهم يعرفونه ويعبدونه لكن عبدوا معه غيره. فدلالتها على وجوده تعالى دلالة التزام، فيلزم من اختصاصه بالالهية وجوده وكماله في ذاته وصفاته ومباينته للمخلوقين وانه أحد صمد لا كفء له ولا مثل له ولا شريك له، ولا ظهير له ولا ند له تعالى وتقدس كما قال تعالى (قل هو الله أحد * الله الصمد * لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد) وقال تعالى (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) إلى أمثال هذه الآيات

رجعنا الى تقرير معنى هذه الكلمة العظيمة قال الله تعالى (ذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق الا الضلال ؟)

قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى في هذه الآية (فماذا بعد الحق الا الضلال) فالآية انما سيقت فيمن يعبد غير الله ، فما عبد إلا الضلال المحض والباطل البحت . انتهى

وقد فسر العلماء من المفسرين وغيرهم سلفا وخلفا معنى قوله تعالى (فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى) ان الطاغوت هو الشيطان وما زينه من عبادة الاوثان كما تقدم .

ولا ريب أن الكفر بالشيطان يحصل بالبراءة منه ومعصيته في كل ماأمر به ونهى عنه . وكان موجوداً اعاذنا الله من عبادته ، وكذلك الاوثان يكفر بها المؤمنون ويتبرءون من عبادتها مع وجودها ومن عبادة المشركين لها

والمقصود ان نفي الاوثان الذي دلت عليه كلمة الاخلاص يحصل بتركها والرغبة عنها والبراءة منها ، والكفر بها وبمن يعبدها واعتزالها واعتزال عابديها وبغضها وعداوتها. وكل هذا في القرآن مبينا ، وقد انتفت عبادة كل ماعبد من دون الله مما هو موجود في الخارج مما يعبده المشركون سلفا وخلفا بهذه الكلمة كما تقدم

وقد ذكر تعالى عن خليله عليه السلام انه قال (فانهم عدو لي إلا رب العالمين * الذي خلقني فهو يهديني) الآيات وبالله التوفيق

وصح عن أهل السير والمغازي وغيرهم من العلماء : ان الله تعالى لما أرسل محمداً ﷺ يدعو الناس الى ان يشهدوا ان لا إله الا الله وانه رسول الله، وكان حول الكعبة ثلاثمائة وستون صنما تعبدها قريش ،وكانوا يعبدون اللات والعزى ومناة — وهي أكبر الطواغيت التي يعبدها أهل مكة والطائف ومن حولهم —

فاستجاب للنبي ﷺ من استجاب من السابقين الاولين، وهاجر من هاجر منهم الى الحبشة، وكل من آمن منهم يشهد ان لا إله الا الله وان محمداً رسول الله رغبة عن الشرك وعبادة الاوثان وكفراً بها، وبراءة منها، ومسبة لها، فصح اسلامهم وايمانهم بذلك مع كونها موجودة يعبدها من يعبدها ممن لم يرغب عنها وعن عبادتها

فبهذا يتبين انه ليس المراد من نفي الاوثان والاصنام وغيرها في كلمة الاخلاص زوال ماهية الاصنام ونفي وجودها، وانما المراد انكار عبادتها والكفر بها وعداوتها كما تقدم بيانه، وكل من تبرأ منها ورغب عنها فقد نفاها بقول لا إله الا الله، وأثبت الالوهية لله تعالى دون كل مايعبد من دونه. فلما تمكن ﷺ من إزالة هذه الاصنام كسرها وبعث من يزيل ما بعد عنه منها، فخلت الجزيرة من أعيانها، وهذا معنى قوله تعالى (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله) وفيه الرد على الفلاسفة واهل الاتحاد القائلين بان المنفي كلي يوجد ذهنا ولا يوجد منه في الخارج إلا فرد بناء على ما اعتقدوه في الله تعالى من الكفر به وبكتابه وبرسوله، وقد عرفت ان المنفي بها أفراد متعددة من الاصنام والانداد والشركاء والاولياء من حين حدث الشرك بعبادة الاصنام في قوم نوح إلى أن تقوم الساعة. فيجب بلا إله إلا الله البراءة من كل مايعبده المشركون من دون الله. فلا بد من نفي هذا كله بالبراءة من عبادته ومن عابديه فمن تبرأ من عبادتها كلها وأنكرها وكفر بها فقد قال لا إله الا الله وأخلص العبادة لله وحده، وصار بهذا التوحيد مسلما مؤمنا

وتأمل ماذكره المفسرون في قول الله تعالى (وعجبوا ان جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا ساحر كذاب *أجعل الالهة إلها واحدا؟ إن هذا لشيء عجاب)

قال ابوجعفر ابن جرير رحمه الله تعالى: أنبأ ابو كريب وابن وكيع قال ثنا ابو اسامة أنبأ الاعمش ثنا عباد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: لما مرض

أبو طالب دخل عليه رهط من قريش فيهم ابو جهل، فقالوا ان ابن أخيك يشتم آلهتنا ويفعل ويفعل ويقول ويقول، فلو بعثت اليه فنهيته، فبعث اليه، فجاء النبي ﷺ فدخل البيت وبينهم وبين ابي طالب قدر مجلس رجل، قال فخشي ابو جهل ان جلس النبي ﷺ الى جنب ابي طالب ان يكون ارق عليه فوثب فجلس في ذلك المجلس، ولم يجد رسول الله ﷺ مجلسا قرب عمه فجلس عند الباب فقال له ابو طالب اي ابن اخي، مابال قومك يشكونك. يزعمون انك تشتم آلهتهم وتقول وتقول؟ قال وا كثروا عليه القول وتكلم رسول الله ﷺ فقال «ياعم اني أريدهم على كلمة واحدة يقولونها تدين لهم بها العرب، وتؤدي اليهم بها العجم الجزية» ففزعوا لكلمته ولقوله، فقال القوم كلمة واحدة؟ نعم وأبيك عشراً، فقالوا وماهي؟ وقال ابو طالب: واي كلمة هي يا ابن أخي؟ قال «لا إله الا الله» فقاموا فزعين ينفضون التراب عنهم (ويقولون اجعل الآلهة إلها واحداً ان هذا لشيء عجاب ـ الى قوله ـ لما يذوقوا عذاب) لفظ أبي كريب. وهكذا رواه الامام احمد والنسائي من حديث محمد بن عبدالله بن نمير كلاهما عن أبي اسامة عن الاعمش عن عباد منسوبا به نحوه، ورواه الترمذي والنسائي وابن أبي حاتم وابن جرير كلهم من تفاسيرهم من حديث سفيان الثوري عن الاعمش عن يحيى بن عمارة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس. وقال الترمذي حسن

ففي هذا من البيان والعلم، ان لا اله إلا الله تبطل عبادة كل ما يعبده المشركون من دون الله، وتنفي ما كان بينهم من معبوداتهم الموجودة في الخارج باعيانها وفيه ان المشركين عرفوا معناها الذي وضعت له ودلت عليه من ابطال عبادة كل معبود سوى الله.

فاذا كان معناها هذا يعرفه كل أحد حتى المشركون يعرفون ما نفته وما أثبتته، فاذا جاء ملحد لا يعرف معناها من كتاب الله ولا سنة رسوله ولا لغة

ولا عرف ولا عرف من معناها ماعرفه المشركون . وقال ان لااله الا الله لم تنف الا كليا منويا لايوجد منه في الخارج الا فرد وهذا الفرد المنفي هو المثبت ، فاين هذا من معناها الذي يعرفه المسلمون وبه يدينون ، ويعرفه المشركون أيضاً ويشمئزون منه وينفرون ، كما قال تعالى (انهم كانوا اذا قيل لهم لااله الا الله يستكبرون ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون)

فالمشركون عرفوا وأنكروا مدلولها ، وهذا الملحد أنكر مدلولها مع الجهل بمعناها الذي يعرفه كل أحد حتى أعداء الرسل القائلون (أجئتنا لنعبد الله وحده؟)

فسبحان الله ماأبين ضلال هذا الملحد عند أهل البصيرة من أهل التوحيد ، وعند أهل الفطر والعقول قاطبة، فكل ذي عقل ينكر هذا القول ويعرف بطلانه ،

ونذكر وجوها تبين بطلان هذا القول مع ماتقدم(الاول)ان هذا يناقض ما شهد الله به وشهدت به ملائكته وألو العلم من عباده قل تعالى (شهد الله أنه لااله الاهو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم) فلم يبق معبود يعبده الاولون والآخرون من دون الله الا بطلت عبادته والهيته بشهادة الله عز وجل وملائكته وأولي العلم قاطبة ، وأن المعبودات التي بطلت بشهادة الله ليست كليا لايوجد منه في الخارج إلا فرد كما يقوله الملحد بل كل مايوجد في الامم وفي العرب من الاوثان والاصنام التي لا تحصى كثرة كاصنام قوم نوح وغيرها . ومن لم يعتقد ان هذا هو الذي شهد الله به وملائكته وأنبياؤه بنفيه عن هذه الاصنام ، وكل ماعبد من دون الله فما قال لا إله الا الله ، وما عرف من الإسلام مايعصم دمه وماله ، وصار عما شهد الله به في معزل

(الوجه الثاني) ان هذا القول ينافي مابينه الله تعالى في كتابه من ملة الخليلين لقوله تعالى (واذ قال ابراهيم لابيه وقومه انني براء مما تعبدون) الآية وقد تقدمت . وقال تعالى (وابراهيم اذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه وأطيعون ذلكم

خير لكم ان كنتم تعلمون * انما تعبدون من دون الله أوثاناً وتخلقون افكا ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا) فذكرها عليه السلام بصيغة الجمع. أيجوز في عقل عاقل ان ماذكره تعالى عن خليله من انكاره لعبادة هذه الاوثان واخباره إنهم لا يملكون لعابديهم رزقا انها لا توجد في الخارج ؟ ولا ريب انه لا يجحد هذا الامكابر معاند مخالف لما جاءت به الرسل من التوحيد . وقوله تعالى عن خليله وقال (انما اتخذتم من دون أوثانا مودة بينكم في الحياة الدنيا) الآية . أيشك من له عقل ان تلك الاوثان موجودة عند عابديها يباشرونها بالعبادة ؟وهل يعرف أحد من هذا السياق إلا انها موجودة معبودة منتفية بلا إله إلا الله

وكذلك قول الله تعالى (واذ قال ابراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناما آلهة ؟ اني أراك وقومك في ضلال مبين)

ولا خلاف ان الصنم شيء مصور على صورة شخص يعبد من دون الله، وذلك لا يكون إلا موجودا في الخارج فسماه الخليل أوثانا وآلهة وأنكرها وتبرأ منها وممن عبدها .

(الوجه الثالث) ان الله بعث محمداً ينهى قريشاً والعرب وغيرهم من المشركين عن أن يعبدوا مع الله غيره كاللات والعزى ومناة والاصنام التي كانت حول الكعبة كما تقدم ، وقد قال تعالى (أفرأيتم اللات والعزى — الى قوله — إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان) أيشك احد بعد هذا انها موجودة تعبد من دون الله ؟ بل لا يشك مسلم ولا مشرك في وجودها وان قريشاً وغيرهم يعبدونها .

(الوجه الرابع) ان الله تعالى قال (إنا أرسلنا نوحا الى قومه أن أنذر قومك من قبل أن ياتيهم عذاب أليم * قال ياقوم اني لكم نذير مبين * أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون) فأجابوا رداً عليه فيما دعاهم اليه وقالوا (لا تذرن آلهتكم ولا تذرن وداً ولا سواعا ، ولا يغوث ويعوق ونسرا)

ومعلوم عند العلماء قاطبة بل وعند العامة انها اسماء رجال صالحين صورها قومهم أصناما على صورهم وسموها بأسمائهم ، فآل بهم الامر الى أن عبدوها وهي موجودة في الخارج لايشك في وجودها أحد ،ولا ريب انها منتفية بكلمة الاخلاص لا إله إلا الله . وهذه الاصنام استخرجها عمرو بن لحي الخزاعي الكاهن، لما كان والياً على مكة قبل قريش وفرقها في العرب فعبدوها كما عبدها قوم نوح كما ذكره البخاري في صحيحه .

(الوجه الخامس) ماذكره الله عن قوم هود لما دعاهم هود عليه السلام الى أن يعبدوا الله وحده ويتقوه قال لهم (ماتعبدون من دونه الا اسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ماأنزل الله بها من سلطان)(١) فأجابوا بقولهم (أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا) فظهر ان لهم ولآبائهم معبودات في الخارج يعبدونها من دون الله ، ودعوة الرسل تبطل عبادتها .وتقدم ماذكره الله تعالى في سورة هود من قولهم لهود عليه السلام (إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء) وهذا لا يقال إلا على آلهة موجودة تعبد ، ودلت هذه الآيات على ان الالهية هي العبادة وان المشركين وضعوها فيمن لا يستحقها من صنم ووثن وطاغوت وغير ذلك .

(الوجه السادس) قول يوسف عليه السلام (يا صاحبي السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار؟ * ما تعبدون من دونه إلا اسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ماأنزل الله بها من سلطان) فسبحان الله أين ذهب عقل الفيلسوف حين اعتقد ان المنفي كلي لايوجد إلا ذهنا . ومعلوم انه لا يكون له اعداد على هذا الاعتقاد الباطل

وتبين ان كلمة الاخلاص نفت أربابا متفرقين وضعت عليها أسماء ماأنزل

(١) هذه الآية في قول يوسف عليه السلام . أما قول هود عليه السلام فهو (أتجادلونني في أسماء الخ) من سورة الاعراف

الله بها من سلطان كما كان اهل الاوثان يسمون آلهتهم ، وفيما ذكرنا في هذه الوجوه كفاية . فلو ذكرنا مايبطل قوله من الوجوه لبلغ مائة أو أكثر

***

وقد قدمنا عن أئمة اللغة في معنى الاله موافقتهم في لغتهم لما دل عليه الكتاب والسنة من معنى كلمة الاخلاص وما دلت عليه مطابقة وتضمنا والتزاما، وكذلك النحاة وجميع العلماء من المفسرين وغيرهم أجمعوا قاطبة على ان الاله هو المعبود وان العبادة حق لله لايجوز أن يصرف منها شيء لغير الله كائنا ما كان وان المنفي في كلمة الاخلاص كل ما كان يعبد من دون الله من بشر أو ملك او شجر او حجر او غير ذلك ، ولولا قصد الاختصار لبسطت القول في هـذا المعنى العظيم الذي لا يصلح لاحد دين إلا اذا عرفه على الحقيقة وقبل مادل عليه الكتاب والسنة من بيان توحيد الله وقصر العبادة عليه دون كل ماسواه

***

واعلم انني لما كتبت قبل هذا في رد قول هذا الملحد ان المنفي بلاإله إلا الله كلي منوي لايوجد منه في الخارج الا فرد وهو المستثني ، فأجبت بما حاصله :

اذا كانت لاإله إلا الله لم تنف إلا كليا منويا ، فعلى هذا القول الباطل لم تنف لاإله إلا الله صنما ولا وثنا ولا طاغوتا وصار النفي منصباً على الفرد ، فهو المنفي وهو المستثني ، وتناقض هذا لايخفى على من له عقل وفهم ، وقد عرفت ان هذه دعوى منه مخالفة لما بعث الله به رسله من توحيده ، وعلى قول هذا لم يكن للاإله إلا الله مدخل في الكفر بالطاغوت والبراءة من الاوثان التي صرح القرآن بنفيها بكلمة الاخلاص ـ لاإله إلا الله ـ كما في آية البقرة وغيرها وقد تقدم بيان ذلك، وبهذا يتبين لمن له فهم ان قول هذا الرجل من أبطل الباطل وأبين الضلال وأمحل المحال .

والمسلم الموحد يعلم من الكتاب والسنة ومن قول اهل العقول الصحيحة والفطر السليمة أن لاإله إلا الله لها موضوع عظيم ومدلولها هو حقيقة الاسلام والايمان فانها انما وضعت للرغبة عن عبادة كل مايعبد من دون الله والبراءة منه والكفر به وانكار ذلك وبغضه وعداوته وعداوة من اتخذ الشرك في العبادة دينا ، وهذا هو أظهر مافي القرآن، وأبينه ايضاحا وتقريراً

وجواب ثان وهو قولي : كيف يجوز أن يكون الفرد الذي وجد من الكلي المنفي داخلا في المنفي بالا خارجا بالاستثناء فيكون متصفا بالنفي والاثبات وأحدهما نقيض الآخر ، وأن لاإله إلا الله لاتدل الا على هذا الفرد خاصة نفياً واثباتا ؟ هذا لايقبله إلا من كان عقله فاسداً لايعرف حقا من باطل ولا هدى من ضلال، كيف يصح استثناء فرد منفي ويكون هو المستثني فأين المستثنى والمستثنى منه الذي يعرفه العرب من لغتهم المستعمل في الكتاب والسنة وأقوال سلف الامة وأئمتها وأهل العربية وغيرهم ويعرفه اهل اللغات؟ فما أبعد ضلال هذا وأجهله وأبعده عن العلم واهله.

***

ثم ان هذا الرجل سمع بما كتبته على قوله من الرد والابطال . فأجاب بقوله: قلنا إنما يلزم هذا لو أريد بالمستثني منه فرد خاص جزئي وانما أريد منه المفهوم العام المتناول لافراد المعبود بحق سواء كانت في الذهن أو في الخارج

(فالجواب) انه عدل عن قوله الاول الى ماهو أفظع منه وأشنع فزعم ان المستثنى منه انما أريد منه المفهوم العام المتناول لافراد المعبود بحق، فصرح بأن المستثنى منه انما أريد منه المفهوم العام المنفي مراداً، فصار المفهوم العام المنفي له افراد ومعلوم ان الافراد لاتوجد في الذهن وانما توجد في الخارج فتراه يحوم حول الباطل ويتهافت . وأعظم من هـذا قوله ان المفهوم العام المنفي متناول لافرد!

المعبود بحق فجمل للمعبود بحق افرادا منفية بلا، و كلها حق، فكيف يجوز أن ينفى ماهو حق؟ وكيف تكون الافراد كلها حقا ؟

فتدبر يتضح لك الحال. فهذه فنون من الضلال والالحاد يبديها تارة ثم يأتي بما هو أعظم منها وأبين في الضلال والمحال ، والمنفي بلا في كلمة الاخلاص لايكون حقا بل هو الباطل كما دل عليه الكتاب والسنة وما عليه المسلمون، والحق في كلمة الاخلاص هو المستثنى وهو الله تعالى (الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش الرحمن فاسئل به خبيرا) لاشريك له في الهيتة ولا في ربوبيته ولا في أفعاله ولا مثل له ولا كفء له ولا ند له ، وكل معبود سواه فباطل ، ومن لم يعتقد هذا فليس بمسلم .

ولا يخفى انه يلزم على قول هذا ان للكلي افراداً معبودة فاذا كانت كلها معبودة بحق جاز أن تقصد بالعبادة وهذا دين المشركين الذي بعث الله رسله بانكاره وابطاله كما قال تعالى (وقال الله لاتتخذوا إلٰهين اثنين انما هو إله واحد) وقال تعالى (ولا تدع مع الله إلهاً آخر) والآيات في المعنى كثيرة جداً ، فمن عبد مع الله غيره فقد ألحد وأشرك . وكل هـذه العبارات التي ذكرها هذا في ورقته ينكرها كل من له عقل .

***

وأصل هذا الرجل الذي اعتمده وعبر عنه هو بعينه الذي ذكره شيخ الاسلام رحمه الله عن افلاطون الفيلسوف واتباعه بناء منهم على كفرهم فانهم يقولون :ان الله هو الوجود المطلق.

ومعلوم ان هذا لايكون له وجود متميز بنفسه مباين للمخلوقات إذ الكلي كالجنس والفصل والخاصة والعرض العام لا يوجد في الخارج منفصلا عن الاعيان الموجودة وهذا معلوم بالضرورة متفق عليه بين العقلاء.

قال شيخ الاسلام : وانما يحكى الخلاف في ذلك عن شيعة افلاطون ونحوه الذين يقولون باثبات المثل الافلاطونية وهي الكليات المجردة عن الاعيان خارج الذهن

(قلت) وهذا قول هذا الرجل في ورقته تبع فيه افلاطون وهو قوله: إن المنفي في لا إله إلا الله كلي لا يوجد منه في الخارج الا فرد واحد وهو المستثنى وقد عرفت بطلان هذا القول من الكتاب والسنة وان العلماء أنكروا هذا القول غاية الانكار كما سيأتي في كلام شيخ الاسلام، لان المنفي بلا إله إلا الله كل مايعبد من دون الله وهي أجناس موجودة في الخارج، كما قال الخليل عليه السلام (انني براء مما تعبدون * إلا الذي فطرني فانه سيهدين) وقال تعالى عن اهل الكهف (وإذ اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله) ولا ريب ان المنفي ما كان اهل الشرك يباشرونه بعباداتهم وهي أنداد موجودة في الخارج .

قال شيخ الاسلام رحمه الله تعالى ـ في رده قول افلاطون ومن تبعه : والمعلم الاول ارسطو واتباعه متفقون على بطلان قول هؤلاء، فلو ظنوا ان الباريء هو الوجود المطلق بهذا الاعتبار لوقعوا فيما منه فروا، فان هذا يستلزم مباينته لجميع المخلوقات وانفصاله عنها مع ان عاقلا لايقول ان الكليات هي المبدعة لمعيناتها، بل هم يقولون : ان العلم بالقضية المعينة المطلوب اثباتها - -وهو علو الله على العالم — معلوم بالضرورة والفطرة، ويعلمون بطلان نقيضها بالفطرة والضرورة، ويعلمون انه اذا لم يكن مباينا كان داخلا محايدا فيلزم الحلول والاتحاد .

وذكر رحمه الله تعالى في موضع آخر : ان قدماء الفلاسفة خالفوا افلاطون واتباعه في الكلي والجزئي لانه قول غير معقول

(قلت) وبهذا يعلم ان قول هذا الرجل ان المنفي كلي لا يوجد في الخارج قول غير معقول .

وذكر شيخ الاسلام رحمه الله تعالى ان جميع الطوائف من المسلمين وغيرهم

خالفوا هذا القول وذكروا انه لايعقل، وذكر رحمه الله تعالى ان الفلاسفة واهل الاتحاد لم يفرقوا بين القديم والحديث ولا بين المأمور والمحظور ، وقد وقع كثير من الصوفية في هذا الضلال ، وكلتا الطائفتين ضلوا وأضلوا عن سواء السبيل .

وقال رحمه الله تعالى : ان ابن سينا ومن تبعه أخذوا اسماء جاء بها الشرع ووضعوا لها مسميات مخالفة لمسميات صاحب الشرع ،فأخذوا مخ الفلسفة وكسوه ثوب الشريعة، وهذا كلفظ الملك والملكوت والجبروت واللوح المحفوظ كما يوجد في كلام أبي حامد يعني الغزالي ونحوه من أصول هؤلاء الفلاسفة الملاحدة الذين يحرفون كلام الله ورسوله

(قلت) ومن ذلك ماذكره العلامة ابن القيم عنهم من انهم يقولون عناية الهية وتحت هذه الكلمة نفي القدر والحكمة.

*
* *

ثم ان هذا في ورقته صرح بأن معنى لاإله لا الله، مثل لا شمس الا الشمس، استثناء للشيء من نفسه وهذا قول في غاية الضلال والجهل باطل بأدلة الكتاب والسنة لايقوله أحد من الأولين والآخرين ولا في لغة أحد ، وليس في المعقول والمنقول الا رده وابطاله ، ومن لم يعرف بطلان هذا القول فلا حيلة فيه

وتأمل قول هـذا أيضا : وخلاصة المعنى سلب مفهوم الاآه لما سوى الله وايجابه له وانحصاره فيه وصرح بهذا المراد بالا الله

(قلت) فمن يسمع كلامه هذا ظن انه حق وقد بناه على مامثل به لاشمس الا الشمس وحقيقة هذا القول ان الاله واحد يبينه قوله سلب مفهوم الاله على ماتقدم له من ان المنفي كلي لايوجد منه في الخارج الا فرد ، وقد عرفت مما قدمناه ان توحيد الانبياء والمرسلين البراءة من عبادة الاصنام والاوثان والطواغيت وكلها موجودة في الخارج بأعيانها كما قال تعـالى عن قوم نوح (وقالوا لاتذرن آلهتكم

ولا تذرن وداً ولا سواعا، ولا يغوث ويعوق ونسرا) فتبين ان نوحا عليه السلام دعا قومه الى ترك عبادة هذه الاصنام والبراءة منها والكفر بها وكذلك هود عليه السلام دعا قومه الى عبادة الله وحده وترك ما كان يعبده آباؤهم كما أخبر تعالى عنهم انهم قالوا له (أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا)

ومعلوم ان آباءهم لم يكونوا يعبدون كلياً ذهنيا لا يوجد الا في الذهن، بل يعبدون اشخاصا موجودة في الخارج وقد قالوا لهود عليه السلام (إن نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء) وقد تقدم من الادلة مايدل على ان المنفي والمنهي عنه هو عبادة الاصنام والاوثان والطواغيت التي تعبد من دون الله كما قال تعالى (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) (والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وأنابوا إلى الله) فلا يشك مسلم بل كل من له عقل ان الطواغيت التي يعبدها المشركون موجودة في الخارج، والقرآن من اوله إلى آخره يدل على هذا

فيا من لا يعرف من كلمة الاخلاص ماعرفه عوام المسلمين، ارجع إلى نفسك وتأمل ماوقعت فيه، أما علمت ان لا النافية انما وضعت لغة لنفي الجنس تنصيصا؟ والجنس الذي وضعت له لا بد له من أشخاص متعددة في الخارج قديمة وحديثة يعبدها كل مشرك؟ وليست كليا لا يوجد إلا في الذهن، فان هذه الدعوى الباطلة لم يقل بها مسلم في معنى كلمة الاخلاص حتى المشركين في لغاتهم لا يعرفون أن هذا معناها ولا انها لمبت مفهوم الاله، بل عرفوا كلهم أن من دعاهم إلى أن يقولوا لا إله إلا الله فانما أراد منهم ترك ماكانوا يعبدونه من أصنامهم وأوثانهم وطواغيتهم التي كانت عندهم يعبدونها من دون الله

أما قريش والعرب فأخبر الله تعالى عنهم انهم لما قال لهم رسول الله ﷺ «قولوا لا إله الا الله» (قالوا اجعل الآلهة الها واحداً ـ الى قوله ـ وانطلق الملأ منهم ان امشوا واصبروا على آلهتكم ان هذا لشيء يراد) وآلهتهم اللات والعزى ومناة التي

كانت حول الكعبة، فهذا هو المراد من هذه الكلمة من لغتهم لايعرفون غير ذلك. فمعنى النفي في هذه الكلمة ترك عبادة الاوثان والبراءة منها ،والكفر بها وعداوتها وعداوة من عبدها ، وقد كان العرب يقولون في تلبيتهم: لبيك لاشريك لك، إلا شريكا هو لك، تملكه وما ملك، والشريك انما هو أوثانهم، أشركوها مع الله في العبادة واتخذوها أنداداً كما قال تعالى (ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله) ومفهوم الاله الذي لايوجد إلا ذهنا لا يوصف بالاتخاذ ولا بالمحبة بل ولا له ثبوت .

وتأمل ما فهمه أعداء الرسل لما دعتهم الرسل الى أن يعبدوا الله وحده . قال تعالى عن قوم هود (ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء) وقالوا (أجئتنا لتأفكنا عن آلهتنا) عرفوا انه دعاهم الى ترك عبادتها والبراءة منها قال تعالى (فما أغنت عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من شيء)

والمفهوم الكلي الذي لايوجد في الخارج لا يوصف بهذه الصفات ولا يجمع بهذا الجمع بل ولا يتصور أن يدعى من دون الله . وقال تعالى عن قوم صالح (ياصالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا * أتنهانا أن نعبد مايعبد آباؤنا) عرفوا أنه أراد منهم ونهاهم أن يعبدوا مايعبد آباؤهم من الاوثان . وقال تعالى عن قوم شعيب (أتنهانا أن نعبد مايعبد آباؤنا) عرفوا في لغاتهم انه نهاهم عن عبادة ما كان يعبد آباؤهم من الاوثان الموجودة في الخارج

وتأمل قول الله تعالى (واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا) وقال (واتخذوا من دون الله آلهة قل هاتوا برهانكم) وقال(أم اتخذوا من دون الله شفعاء) وقال (أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء انا أعتدنا جهنم للكافرين نزلا) وقال (والذين اتخذوا من دونه أولياء الله حفيظ عليهم وما أنت عليهم بوكيل) ولا شك عند من له أدنى مسكة من عقل ان

الذي اتخذه المشركون يعبدونه من دون الله أشخاصاً متعددة في القرآن من هذا النمط لا تحصى . والمقصود أن الرسل من أولهم الى آخرهم دعوا أممهم الى عبادة الله وحده لاشريك له، وترك عبادة ما كانوا يعبدونه من دونه ، والكفر به والبراءة منه كما أفصح عن ذلك خليل الرحمن ابراهيم كما قال تعالى (واذ قال ابراهيم لابيه آزر أتتخذ أصناما آلهة اني أراك وقومك في ضلال مبين) وقال (انما تعبدون من دون الله أوثانا وتخلقون افكا) وقال (قد كانت لكم أسوة حسنة في ابراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده)

فالنهي عن عبادة الاصنام والطواغيت والبراءة منها والكفر بها واخلاص العبادة لله وحده هو التوحيد الذي دعت اليه الرسل ، وأفصح القرآن عنه ، وجرى بسبب جحوده على الامم والمشركين ماجرى من العذاب والذهاب والعقاب فان هذا من سلب مفهوم ذهني لا يفيد شركا ولا براءة ولا عداوة

فسبحان من طبع من شاء من عباده عن فهم مابعث الله به رسله من توحيده في العبادة، وصرفهم عن فهم الادلة التي أظهر فيها لعباده مراده ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

وبهذا يتبين فساد ما لبس به هذا المفتري في معنى كلمة التوحيد ، وانه مصادم لما في كتاب الله من تفسير هذه الكلمة العظيمة ومناقض لما بعث الله به رسله من اخلاص العبادة له وترك عبادة ماسواه والبراءة منها ،وهذا أظهر شيء في القرآن وأبينه ، لا يمتري فيه مسلم

ونشير الى ما ذكره بعض العلماء في أصل هذه المقالة وبطلانها .

***

قال ابراهيم بن سعد الكوراني في مصنفه في بيان معنى لا اله الا الله واعرابها،

وانها دلت على توحيد الالهية مطابقة وتضمنا ومادلت عليه التزاماء وذكر كلاما في تقرير هذا المعنى ، وذكر أن بعضهم اشترط في لا النافية للجنس في هذه الكلمة الوحدة الذهنية فجعلوا الجنس المنفي واحداً لا يوجد الا ذهنا ـ قال : وبما ذكرناه يتضح انه لا يصح أن يقال نأخذ الجنس بشرط الوحدة الذهنية فتكون القضية طبيعية (اما أولا) فالمراد بالجنس ـ بلا شرط ـ الصالح للصدق على الافراد كما هو الشأن في موضوع القضايا (واما ثانياً) فلان الكلام يخرج عن افادة التوحيد بالكلية لان حاصله حينئذ هذا الجنس المأخوذ بشرط الوحدة الذهنية المغايرة لله تعالى منتف وليس هذا من التوحيد في شيء ولا شم من رائحة الدلالة عليه

ويقال ثالثاً ان أريد ان هذا الجنس منتف في الذهن فهو قطعي البطلان اذ كل من ينطق بهذا التوحيد مستحضراً لمعناه قد تحقق هذا الجنس في ذهنه فكيف يصاح نفيه ، وعلى كل حال فلا يصح تفسيراً لهذه الكلمة، لان المراد من لا إله إلا الله هو الدلالة على توحيد الالوهية وهذا معلوم بالضرورة . وعلى تفسيرهم يكون بينه وبين الدلاله على التوحيد بعد المشرقين

(قلت) وهذا الذي ذكره ابراهيم ابن سعد من اشتراطهم أن يكون الجنس فرداً لا يؤخذ الا ذهنا ، هو الذي صرح به هذا الملحد في ورقته وهو ان لا في كلمة التوحيد سلبت مفهوم الاله الذي لا يوجد إلا ذهنا ، وقد عرفت بعد هـذا عن التوحيد الذي دلت عليه كلمة الاخلاص

ولقد صرفوا هذه الكلمة العظيمة عما وضعت له وأريد بها لغة وشرعا وعقلا وفطرة فانها وضعت للبراءة من كل ما يعبد من دون الله وابطال عبادته والكفر به وقد عرف هذا كل أحد حتى مشركو الامم ومشركو العرب كما تقدم بيانه .

***

وأما قوله : وخلاصة المعنى سلب مفهوم الاله لما سوى الله وايجابه له وانحصاره

فيه ، وصرح بهذا المراد بالا الله ، فمراده بقوله وايجابه له وانحصاره فيه ، هذا هو توحيد الفلاسفة وأهل الوحدة ، فان الله عندهم مسماه الكون المطلق ، فكل ما كان خارجا عن الذهن من الاشخاص فقد دخل في مسمى الله ، فكل مافي الكون من خبيث وطيب فهو الله، كما ذكره شيخ الاسلام وابن القيم وغيره عنهم فواجب الوجود والممكن كله داخل في هذا المسمى عندهم ؛ وقد صرحوا بهذا في كتبهم فلم يفرقوا بين الخالق والمخلوق ، وقد قدمنا التنبيه في كلام شيخ الاسلام وابن القيم رحمهما تعالى كما ذكر ابراهيم بن سعد ذلك عنهم وكما قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى :

يا أمة معبودها موطوءها أين الاله وثغرة الطعان؟

والناصح لنفسه يكون من هؤلاء الملبسة على حذر ، ولا يهمل السؤال عنهم وعن مذاهبهم وما يخدعون به العامة من زخرف القول الذي ربما يظن الجاهل انه حق وهو عبارة هؤلاء عن باطلهم كما نبه على ذلك شيخ الاسلام من وضعهم اسماء الحق على باطلهم، وكل طائفة من اهل البدع لها توحيد ، وهذا الذي ذكرناه هو توحيد الفلاسفة والاتحادية وقد أضلوا بما موهوا به كثيرا ممن ينتسب الى العلم

ياقومنا ، الله في اسلامكم لا تفسدوه لنخوة الشيطان

وتأمل ماذكره الفخر الرازي في معنى لا إله إلا الله فانه قال : التحقيق ان المضمر المرفوع باله راجع بالحقيقة الى نفي الاعيان التي سموها آلهة من حيث انها آلهة لا الى وجودها في حد ذاتها ضرورة انها موجودة في الخارج بالفعل محسوسة .

وحاصله نفي كل فرد من افراد إله من تلك الحيثية غير الله راجع الى نفي الالوهية عن كل موجود غير الله انتهى

فتأمل قوله راجع الى نفي الاعيان التي سموها آلهة (قلت) وهو الحق لانها نفت إلٰهية كل مالوه يألهه المشركون غير الله من كل صنم ووثن وشريك

وطاغوت ، وهذا هو مدلول لاإله الا الله ، نفى إلهية كل مايؤله من دون الله وقوله لا الى وجودها دفعا لقول من قال ان الخبر المضمر موجود ، وقد بين وجه ذلك ، وتقديره للخبر بأحد قريب مما تقدم في المعنى .

وتأمل قوله : وحاصله نفي كل فرد من افراد إله ، فبين ان المنفي له افراد كثيرة وهذا ظاهر بين لا يمنعه أحد كما هو ظاهر في الكتاب والسنة واللغة والفطرة خلافا للفلاسفة ، وكذلك قوله راجع الى نفي الآلهية عن كل موجود غير الله ، وهذا هو الذي يعرفه الناس كلهم إلا ما كان من هذه الطائفة ومن اهل الوحدة فانهم ألحدوا في التوحيد وأتوا بكل مايستحيل عقلا وشرعا ، فسبحان الله والله أكبر أيجوز في عقل ان المشركين من أولهم الى آخرهم الذين عبدوا مع الله غيره انهم انما عبدوا فردا في الذهن لا وجود له في الخارج؟ هذا أمحل المحال وابطل الباطل

وقد نبهت فيما تقدم على انهم أرادوا بهذا ان الاصنام والاوثان والطواغيت لا تدخل في المنفي لانها من جملة الوجود الذي يسمونها الله

وأقول أيضا : الآلهة هي الانداد والطواغيت والشركاء وقد قال تعالى (فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون) فذكرها مجموعة لكثرة افرادها في الخارج ، وقال (ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله) فذكرها بصيغة الجمع يدل على كثرة افرادها وقال تعالى (فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى) وقال (والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها) وهذه الآيات تدل على ان المعبودات التي تعبد من دون الله كثيرة من الطواغيت وغيرها كقوله في آية البقرة (والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات) وكقوله (وجعلوا لله شركاء الجن) ولا ريب ان الجن لهم وجود في الخارج ، وقوله (أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله) فدلت هذه الآيات على ان لهذه المعبودات افرادا كثيرة وكلها منتفية بلا إله إلا

الله ، كما قال تعالى (أم اتخذوا من دون الله آلهة ، قل هاتوا برهانكم هذا ذكر من معي وذكر من قبلي بل أكثرهم لايعلمون الحق فهم معرضون) وهذا واضح بحمد الله فبطل ما اختلقه الفيلسوف وتبين به إلحاده في التوحيد الذي بعث الله به رسله وأنزل به كتبه (فاعتبروا ياأولي الابصار)

***

واعلم ان هؤلاء الزنادقة قد طردوا أصلهم هذا حتى في الايمان كما قال شيخ الاسلام رحمه الله تعالى في كتاب الايمان عن هؤلاء: انهم يثبتون لهذه المسميات وجودا مطلقا مجردا عن جميع القيود والصفات وهـذا لا حقيقة له في الخارج وانما هو شيء يقدره الانسان في ذهنه كما يقدر موجودا لا قديما ولا محدثا ، ويقدر انسانا لا موجوداً ولا معدوما ، ويقول الماهية من حيث هي لاتوصف بوجود ولا عدم ، ويقول الماهية من حيث هي هي شيء يقدره الذهن ، وذلك موجود في الذهن لا في الخارج ، فهكذا الايمان يقدر ايمانا لا يتصف به مؤمن بل هو مجرد عن كل قيد كتقدير انسان لا يكون موجودا ولا معدوما بل ما ثم ايمان الا مع المؤمنين

(قلت) وكذلك إله لا يوجد إلا مع مألوه تألهه القلوب بالعبادة ، وقد أشرت الى ما ذكره شيخ الاسلام عن هذه الطائفة كابن سينا ومن سبقه أخذوا أسماء جاء بها الشرع ووضعوا لها مسميات مخالفة لمسميات صاحب الشرع ، ثم صاروا يتكلمون بتلك الاسماء فيظن الجاهل انهم قصدوا بها ما قصده صاحب الشرع ، فأخـذوا مخ الفلسفة فكسوه ثوب الشريعة ، وهـذا كلفظ الملك والملكوت والجبروت واللوح المحفوظ ، والملك والملكوت والشيطان والحدث والقدم وغير ذلك ، وقد ذكرنا من ذلك طرفا في الرد على الاتحادية لما ذكرنا قول ابن سبعين وابن عربي وما يوجد في كلام ابي حامد وغيره من أصول الفلاسفة

والملاحدة التي يحرفون بها كلام الله ورسوله عن مواضعه كما فعلت القرامطة الباطنية انتهى كلامه رحمه الله تعالى .

والمقصود من هذا الجواب بيان ماقد يفتريه الجاهل من كلام هؤلاء الذين يلبسون على العامة فيأتونهم بما لا يعرفون انه حق أو باطل فربما اعتقدوه تعليلا لهؤلاء فيقعون في حيرة وشك، وهم قبل الابتلاء بهؤلاء في عافية .فسبحان مقلب القلوب

والاصل في ذلك ماأشار اليه شيخ الاسلام رحمه الله تعالى في مثل هؤلاء انه ليس عندهم من علم القلب ومعرفته ويقينه مايدفع الريب ولا عندهم من قوة الحب لله ورسوله مايقدمونه على الاهل والمال،وهؤلاء ان عوفوا من المحنة وماتوا دخلوا الجنة، وإن ابتلوا بمن يدخل عليهم شبهات توجب ريبهم فان لم ينعم الله عليهم بما يزيل الريب والا صاروا مرتابين وانتقلوا الى نوع من النفاق انتهى كلامه رحمه الله تعالى .

فليكن العبد المؤمن من المحنة بأهل الاهواء على حذر ومن دنياه على خطر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم .

اللهم مصرف القلوب اصرف قلوبنا على توحيدك وطاعتك وتقواك ، وأقم لنا ديننا الذي ارتضيته لنا وثبتنا عليه ،اللهم زينا بزينة الايمان واجعلنا هداة مهتدين

ونختم الجواب بذكر ماذكر العلماء رحمهم الله تعالى في معنى لاإله إلا الله:

قال ابن رجب رحمه الله تعالى : الكلام على لاإله الا الله :الاله هو الذي يطاع فلا يعصى هيبة له واجلالا ومحبة وخوفا ورجاء وتوكلا وسؤالا منه ودعاء له ، ولا يصلح ذلك كله الا لله عز وجل ، فمن أشرك مخلوقا في شيء من هذه الامور التي هي من خصائص الالهية كان ذلك قدحا في اخلاصه في قول لااله الا الله ، وكان فيه من عبودية المخلوق بحسب مافيه من ذلك .

وقال البقاعي : لا اله الا الله أي انتفى انتفاء عظيما أن يكون معبوداً بحق

غير الملك الاعظم ،فان هذا العلم هو أعظم الذكرى المنجية من اهوال الساعة ، وانما يكون علما نافعاً اذا كان مع الاذعان والعمل بما تقتضيه والا فهو جهل صرف .

وقال الطيبي: الاله فعال بمعنى مفعول كالكتاب بمعنى المكتوب من أله إلاهة أي عبد عبادة

(قلت) وهذا الذي ذكره الطيبي رحمه الله تعالى على معنى ماثبت عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قرأ (ويذرك وإلاهتك) قال لانه كان يعبد ولا يعبد، وهذا ظاهر بحمد الله لمن تدبر القرآن وعرف حقيقة الاسلام والايمان

والله المستعان وعليه التكلان ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبو بطين وفقه الله تعالى ورحمه وغفر له، لما ذكر له الشيخ عبد الرحمن بن حسن أن يرد على عبد المحمود لما غلط في معنى لا إله إلا الله وقال بعد السلام ورحمة الله وبركاته وغير ذلك ذكرت لي أني أكتب على كلام الدرويش الذي عندكم في بيان بعض مافيه من العيب، والذي كتبتم عليه فيه كفاية لكن نذكر على بعض ألفاظه بيان مخالفته للحق

منها قوله (الحمد لله المتوحد بجميع الجهات) فنقول: لايشك من سمع هذا الكلام في ان المراد بالجهات الجهات الست التي يقول المعطل فيها ان الرب سبحانه وتعالى من الجهات الست خالي والاتحادي يقول: انه سبحانه متحد فيها. والحلولي يقول: ان الله سبحانه حال فيها. تعالى الله عما يقول الجميع علوا كبيرا. وأهل السنة والجماعة يقولون: ان الرب سبحانه مستو على عرشه بائن من خلقه.

وظاهر قول الرجل المتوحد بجميع الجهات يشبه قول الاتحادية، وان حملت الباء على الظرفية شابه قول الحلولية وربما يظن انه لعجمته يعبر بعبارات لا يعرف معناها لكن سمعت انه قد شرع في وضع حاشيه على النونية، ولا يتنزل لذلك إلا من يدعي تمام المعرفة، وحكي عنه أنه يقول: مرادي بالجهات جهات التوحيد الثلاث وهو توحيد الربوبية والالهية والاسماء والصفات، وهذا بعيد من كلامه لان هذه تسمى أنواعاً لا جهات، وبكل حال فظاهر كلامه يخالف ماعليه أهل السنة والجماعة لكن ينبغي أولا احضاره ويبين له ما في كلامه مما ظاهره خلاف الحق، وتبين له الادلة الشرعية على خلاف ما يوهمه كلامه فان اعترف فهو المطلوب والحمد لله

وفي كلامه من العيب والركالة كثير كقوله لا شريك له في الذات ولا في

الصفات فنفى الشركة في الذات ولم يقل أحد من بني آدم إن الله سبحانه وتعالى شريكا في ذاته حتى يحتاج الى نفي ذلك ، وإنما يقول أهل الحق لاشبيه له في ذاته ولا في صفاته رداً لقول المشبهة . فهذا من قوله لا شريك له في ذاته يدل على قلة معرفته في هذا الباب

وكذلك قوله لا شريك له في الملك فضلا عن الملكوت فأشار بقوله فضلا عن الملكوت الى بعد ما بينهما ، وقد ذكر العلماء ان الملكوت هو الملك وانما زيدت التاء للمبالغة في التعظيم

وكذلك قوله في اعراب لا إله الا الله «من قبيل استثناء الجزئي من الكلي» فجعله استثناء للاسم الكريم من نوع استثناء الجزئي من الكلي غلط بل الجزئي مقابل الكلي وقسيمه لاقسم منه، فالكلي ما اشترك في معناه كثيرون كالانسان والحيوان ، والجزئي يراد به الاسماء الاعلام كزيد وعمرو ، والاسم الكريم أعرف المعارف كما قال سيبويه وغيره ،

وكذلك قوله في اعراب لا اله الا الله انه كقولنا لاشمس الا الشمس لان قول القائل لاشمس الا الشمس لفظ لافائدة فيه ، وأيضا فاسم الشمس من الالفاظ الكلية لقولهم في تعريف الكلي ما لا يمنع تصور معناه من وقوع الشركة فيه فهو الكلي سواء وقعت الشركة كالانسان أولم تقع وأمكنت كالشمس أو استحالت كالاله. فان استحالة ذلك للادلة القاطعة عليه فجعل الاسم الكريم الذي هو أرفع الاعلام وأعرف المعارف مثل الشمس التي هي من الالفاظ الكلية غلط بل الموافق لقولنا لاشمس الا الشمس قول القائل لا اله الا الاله ، وهذا لفظ مع الاطلاق لا يستفاد منه توحيد الالهية لله رب العالمين

هذا وكثير من كلامه جعجعة بلاطحن فنسأل الله سبحانه وتعالى أن يهدينا وجميع الامة الى صراطه المستقيم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم

مسائل وفتاوى

تأليف

شيخنا وامامنا، ناصر السنة، وقامع البدعة

الشيخ عبد الرحمن بن الشيخ حسن بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب

أجزل الله لهم الاجر والثواب آمين

من مطبوعات صاحب الجلالة السعودية ومحي السنة المحمدية

الإمام عبد العزيز آل سعود

ملك الحجاز ونجد وملحقاتها

وقد وقفه على من ينتفع به من أهل العلم والدين

لا يحل لمن وقع بيده بيعه

بسم الله الرحمن الرحيم

سئل الشيخ عبد الرحمن بن حسن متع الله المسلمين بحياته ، وبارك لهم في ساعاته عن قول الخطيب :

الحمد لله الذي تحيرت العقول في مبدأ أنواره ، وتاهت الالباب في صمديته وكنه ذاته ،

فهذه الالفاظ ابتدعها من تمسك بقول أهل الكلام الحادث المذموم ، فانهم الذين تاهوا وتحيروا في الايمان الذي دعت اليه الرسل ، ونزلت به الكتب ، والا فطريقة القرآن حمد الله لنفسه باسمائه وصفاته وما يعرف به ويوجب الايمان به ، ومعرفته واثبات ربوبيته وصفات كماله ، فهذا هو توحيد المعرفة والاثبات الذي هو توحيد المرسلين ،ودعوا به الامم الى توحيد الارادة والقصد الذي هو توحيد الالهية ، فان الرب الذي أبدع لخلقه ما يشاهدونه من عظيم مخلوقاته وتعرف اليهم بذلك وبما دلهم عليه من كمال صفاته وتصرفه في مخلوقاته ، وهو الرب الذي لايستحق العبادة غيره ، واستدل بادلة ربوبيته على مايستلزمه منه الهيته فقال (ثم الذين كفروا بربهم يعدلون) فأنكر الشرك في حق من هذا وصفه، وانكار الشرك يقتضي توحيد العبادة بأن لايراد غيره ولايقصد سواه، فانتظم ذلك نوعي التوحيد . وقال (الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما) فحمد نفسه على انزال الكتاب الذي هو أعظم نعمة أنعمها على أهل الارض ، وهو يقتضي الايمان بالكتب والرسل ، وهو صراط الله المستقيم الذي لاتزيغ به الاهواء ، فهذا وأمثاله هو طريقة القرآن يحمد نفسه على ما يتعرف به الى خلقه ليعرفوه بذلك الذي أبدعه وأوجده وأنعم به، كقوله (الحمد لله فاطر السموات والارض) الآية . وأمثال هذا في القرآن كثير وتدبره والعلم به

يحصل كمال الايمان ، وتنتفي الحيرة ، ويحصل كمال الهداية ويعصم القلوب أن تتيه في ربها وصفاته، فكل ما وصف به نفسه فلا حيرة فيه عند أهل الايمان الذين عرفوه بما تعرف به اليهم في كتابه ، واطمأنت قلوبهم بالايمان به، وجعلوه قصدهم ومرادهم وأما أهل الجدل من أهل الكلام فهم الذين تحيروا وتاهوا كما أخبر بذلك نفر من متقدميهم كما هو معروف لديكم بحمد الله ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الفرق بين الرخصة والعزيمة

﴿ وحكم الشرع فيهما ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد اللطيف بن عبد الرحمن الى الاخ المكرم صالح الشثري

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وموجب الخط ابلاغك السلام، وما أشرت اليه في تحرير قول الفقهاء في الرخصة: انها ما ثبتت على خلاف دليل شرعي لمعارض راجح وضدها العزيمة . فأقول :

اعلم أن العزيمة شرعاً حكم ثابت بدليل شرعي خال عن معارض راجح فقوله بدليل شرعي احتراز عما ثبت بدليل عقلي ، وقوله خال عن معارض احتراز عما ثبت بدليل ، فالرسل وأتباع الرسل كمل الله ايمانهم بذلك العلم والعمل، فقد قال تعالى (الحمد لله الذي خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور) فحمد نفسه بما يوجب الايمان به ومعرفته من عظيم مخلوقاته ، لكن لذلك الدليل معارض مساو او راجح لانه ان كان المعارض مساويا لزم الوقوف وانتفت العزيمة ووجب طلب المرجح الخارجي ، وان كان راجحاً لزم العمل بمقتضاه وانتفت العزيمة وثبتت الرخصة كتحريم الميتة عند عدم المخمصة . فالتحريم فيها عزيمة لانه

حكم ثابت بدليل شرعي خال عن معارض ، فاذا وجدت المخمصة حصل المعارض لدليل التعليم وهو راجح عليه حفظا للنفس فجاز الاكل وحصلت الرخصة

وأما الرخصة فهي ماثبت على خلاف دليل شرعي لمعارض راجح ، فقوله ما ثبت على خلاف دليل شرعي احتراز عما ثبت على وفق الدليل فانه لا يكون رخصة بل عزيمة كالصوم في الحضر ، وقوله لمعارض راجح احتراز عما كان لمعارض غير راجح بل اما مساويا فيلزم الوقوف على حصول المرجح ، او قاصراً عن مساواة الدليل الشرعي فلا يؤثر وتبقى العزيمة بحالها ، وعلى التعريف المذكور يدخل في العزيمة الاحكام الخمسة الثابتة بالادلة الشرعية ، ويدخل في الرخصة ماعارض تلك الاحكام وخالفها لمعارض راجح عليها كا كل الميتة عند المخمصة. انتهى

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبدالرحمن بن حسن إلى الاخ الشيخ محمد بن عجلان سلمه الله تعالى

وبعد ماذكرت من مسألة الجد والاخوة ، فذكر في الاختيارات: ان الجد يحجب الاخوة وهو قول أبي بكر ، وقال به غيره من الصحابة وهو رواية عن أحمد رحمه الله تعالى وهو الذي يختاره أشياخنا. والله أعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وآله وصحبه والتابعين والعلماء العاملين .

من عبدالرحمن بن حسن إلى من يصل اليه من الاخوان ، وفقني الله وإياهم لسلوك منهج العلم والايمان آمين

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد : فقد سألني بعض الاخوان عن يقلب الدين ان كان له عقار وعوامل ونواصح ونحوها

فأجبت إلى أنه لا يخلو من ثلاثة أحوال . الحال الاولى أن يضيق المال عن الدين فهذا مفلس عند العلماء رحمهم الله ، إذا سأل غرماؤه الحاكم ولو بعضهم لزمه الحجر عليه في ماله ، وذهب جمع من المحققين إلى أنه يكون محجوراً عليه بدون حكم الحاكم ، وهذا لا يجوز قلب الدين عليه بحال لعجزه عن وفاء ما عليه من الدين

في الرد على الجهمية والرافضة

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، محمد وعلى آله وصحبه ومن أحبه ووده .

من عبد الرحمن بن حسن الى أخيه راشد بن مطر سلمه الله تعالى وزاده علما وايمانا وتوفيقا وتحقيقا واذعانا . سلام عليكم ورحمة الله وبركاته :

(وبعد) فقد وصل إليّ خطك وسرنا ما أشعر به من حسن الحال من معرفة الاسلام ومحبته وقبوله ، فتلك النعمة التي لا أشرف منها ولا أنفع (قل بفضل الله وبرحمته ، فبذلك فليفرحوا ، هو خير مما يجمعون) فرحمته الاسلام والايمان وقيل القرآن ، وهما متلازمان ، ورحمتــه أن جعلكم من اهله كما فسر الصحابي رضي الله عنه الآية بهذا

وما ذكرت من قيام الجهمية والرافضه والمعتزلة عليكم فلا يخفاك ان هــذه الفرق الثــلاث قد ابتلي بهم اهل السنة والجماعة قديما وحديثا وتشعبت هــذه الاهواء شعبا وكل من اقامه الله بدينه والدعوة اليه ناله منهم عناء ومشقة، فهم اعداء اهل الحق في كل زمان ومكان ، حكمة بالغة ليمتحن حزبه بحربه كما جرى

للرسل من اعدائهم في الدين ، قال تعالى (وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً من المجرمين) ليتميز الصادق بصدقه وصبره على دينه وليتخلف من ليس كذلك ممن ليس له قدم راسخ في الايمان (ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين)

وبعد الابتلاء والامتحان يحصل النصر والتمكين للمؤمنين الصادقين الصابرين كما قال تعالى (وان جندنا لهم الغالبون)(ياأيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم) الآية ، فمن قامت عليه الحجة فلم يقبل وجادل بالباطل وجبت عداوته والبراءة منه ومفارقته بالقلب والبدن

وأما قول الاشاعرة في نفي علو الله تعالى على عرشه فهو قول الجهمية سواء بسواء. وذلك يرده ويبطله نصوص الكتاب والسنة كقول الله تعالى (الرحمن على العرش استوى) (ثم استوى على العرش) في سبعة مواضع وكقوله (تعرج الملائكة والروح اليه) والعروج إنما هو من أسفل الى فوق، وقوله(يخافون ربهم من فوقهم) (إني متوفيك ورافعك إليّ)(أأمنتم من في السماء) الآيتين . وكل هذه الآيات نصوص في علو الله تعالى على خلقه واستوائه على عرشه على مايليق بجلاله بلا تكييف

وقول هؤلاء الاشاعرة:انه من الجهات الست خالي ، قد وصفوه بما يوصف به المعدوم وهو قد وصف نفسه بصفات الموجود القائم على كل نفس بما كسبت ،

وفي الاحاديث من أدلة العلو مالا يكاد يحصر إلا بكلفة كقوله في حديث الرقية « ربنا الله الذي في السماء تقدس اسمك » الحديث

وجوهرة السنوسي ذكر فيها مذهب الاشاعرة وأكثره مذهب الجهمية المعطلة لكنهم تصرفوا فيه تصرفا لم يخرجهم عن كونهم جهمية، ومذهبهم ان القرآن عبارة عن كلام الله لا انه كلامه الذي تكلم به وخالفوا الكتاب والسنة، قال تعالى(يريدون أن يبدلوا كلام الله)(وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله)

(وكلم الله موسى تكليما) (ولو ان مافي الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر مانفدت كلمات الله) والادلة على هذا كثيرة جدا

والاشعري له كتب في اثبات الصفات وهذا المذهب الذي نسبه اليه هؤلاء تبرأ منه في كتابيه (الابانة. والمقالات) وغيرهما ، وكثير من اهل العلم يكفرون نفاة الصفات لتركهم ما دل عليه الكتاب والسنة وعدم ايمانهم بآيات الصفات

***

وأما من جحد توحيد الالهية ودعا غير الله فلا شك في كفره وقد كفره القرآن ، والسنوسي وأمثاله من المتأخرين ليس من السلف ولا من الخلف المعروفين بالنظر والبحث ، بل هو من جهلة المتأخرين المقلدين لاهل البدع ، وهؤلاء ليسوا من اهل العلم ، والخلف فيهم من انحرف عن السنة الى البدع . وفيهم من تمسك بالسنة، فلا يسب منهم إلا من ظهرت منه البدعة .

وأما ابن حجر الهيتمي فهو من متأخري الشافعية وعقيدته عقيدة الاشاعرة النفاة للصفات ففي كلامه حق وباطل ،

وأما الدعاء بعد المكتوبة ورفع الايدي فليس من السنة ، وقد أنكره شيخ الاسلام لعدم وروده على هذا الوجه .

وأما أهل البدع فيجب هجرهم والانكار عليهم اذا ابتليتم بهم . وتأملوا مصنفات الشيخ وتأملوا كلامه رحمه الله تعالى تجدوا فيه البيان والفرقان

وحديث افتراق الامة الى ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار الا واحدة وهي التي تمسكت بما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه

***

وأما الافغانيون الذين جاؤا فبلغنا انهم يرون رأي الخوارج، معهم غلو ، وقد شدد النبي ﷺ في الغلو وأخبر عن الخوارج «انهم يمرقون من الاسلام كما يمرق السهم من الرمية» وأمر بقتلهم

وسبب غلوهم الجهل بما دل عليه الكتاب والسنة فأداهم جهلهم وقصورهم في الفهم الى أن كفروا أصحاب رسول الله ﷺ من السابقين الاولين ، فاذا كان قد جرى في عهد النبوة من يطعن على رسول الله ﷺ ويكفر أصحابه فلا يبعد أن يجيء في آخر هذه الامة من يقول بقولهم ويرى رأيهم ، وهؤلاء الناس الذين هاجروا الينا وبايعونا ماندري عن حقيقة أمرهم

وعلى كل حال اذا عملتم بالتوحيد وأنكرتم الشرك والضلال وفارقتم اهل البدع فلا يلزمكم هجرة عن الوطن ، والمال بل يجب عليكم الدعوة الى الله وطلب أدلة التوحيد في كتاب الله ، وتأمل كلام الشيخ في مصنفاته فانه رحمه الله تعالى بين وحقق وأنتم سالمين والسلام

مسائل شتى سئل عنها الشيخ عبد الله أبو بطين

﴿ مسئلة ﴾ قول الشيخ عثمان رحمه الله تعالى :

والحاصل ان الصفة تارة تعتبر من حيث هي هي ، وتارة من حيث قيامها به وتارة من حيث قيامها بغيره ، وليست الاعتبارات الثلاث متماثلة ، إذ ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في شيء من صفاته ، ولا في شيء من أفعاله وهو السميع البصير

فاحفظ هذه القاعدة فانها مهمة جداً ، بل هي التي أغنت السلف الصالح عن تأويل آيات الصفات وأحاديثها ، وهي العاصمة لهم من أن يفهموا من الكتاب والسنة مستحيلا على الله تعالى من تجسيم أو غيره

ثم بعد إثباتي لهذه القاعدة رأيتها منصوصة في كلام السيد المعين، ثم رأيته قد سبقه اليها العلامة ابن القيم انتهى

بين لنا هذه الاعتبارات الثلاث التي ذكر ، ومايتعلق بها من ذكر الدليل ومن هو السيد الذي ذكر؟

﴿ مسئلة أيضاً ﴾ قوله عز وجل (ألا له الخلق والامر) قال سفيان رحمه الله: فرق الله بين الخلق والامر ، فمن جمع بينهما فقد كفر

بين لنا قول سفيان قدس الله روحه ونور ضريحه ، وما صفة الجمع وضده في قوله فمن جمع الخ ؟

﴿ مسئلة أيضاً ﴾ مايروى عن ابن عمر « نهى رسول الله ﷺ أن نشرب على بطوننا ، ونهانا أن نغرف باليد الواحدة كما يشرب القوم الذين سخط الله عليهم ، ولا نشرب بالليل في اناء حتى نحركه الا أن يكون مخمراً ، ومن شرب بيد وهو يقدر على اناء يريد التواضع كتب الله له بعدد أصابعه حسنات وهو اناء عيسى بن مريم عليه السلام » في إسناده بقية ابن الوليد

جواب

الشيخ عبدالله بن عبد الرحمن أبو بطين أتاه الله أجره مرتين

قول الشيخ عثمان: الصفة تعتبر من حيث هي هي الخ يعني لها ثلاث اعتبارات تارة تعتبر من حيث هي هي أي تعتبر منفردة من غير تعلقها بمحل، مثال ذلك البصر فيقال البصر من حيث هو هو : ماتدرك به المبصرات، ومن حيث تعلقه بمخلوق فيقال هو نور في شحمة تسمى انسان العين تحت سبع طبقات في حدقة ينطبق عليها جفنان ، وأما بالنسبة الى الرب سبحانه فنقول : هو سبحانه سميع بسمع ، بصير ببصر ، ليس كسمع المخلوق ولا كبصر المخلوق. وهكذا سائر الصفات ،

ومراده بالسيد معين الدين هو أبو المعالي محمد بن صفي الدين الحنبلي

*
* *

وأما قول سفيان في قوله سبحانه (ألا له الخلق والامر) فمراده بذلك الرد على من يقول ان كلام الله مخلوق ، يقول ان الله سبحانه وتعالى عطف الامر على

الخلق وأمره هو كلامه ، فمن قال: ان كلام الله مخلوق فقد جعل أمره مخلوقا فجمع بين الخلق والامر، والله سبحانه قد فرق بينهما بعطفه الأمر على الخلق . فالمعطوف غير المعطوف عليه . والمراد بسفيان هو سفيان بن عيينة الامام المعروف رحمه الله تعالى .

***

وما ذكرت من النهي عن الشرب باليد الواحدة وحديث الترغيب في الشرب باليد فلا أظن لذلك أصلا

وأما الشرب على البطن يراد به الكرع في الماء ، فقد ورد حديث يدل على جواز الكرع . ففي البخاري ان النبي ﷺ دخل على رجل من الانصار فقال له « ان كان عندك ماء بات هذه الليلة في شنة وإلا كرعنا » والكرع هو الشرب من النهر ونحوه بالفم من غير اناء ولا يد ، وورد حديث رواه ابن ماجه بالنهي عن الشرب كذلك ، فيحمل هذا ان صح على ما اذا انبطح الشارب على بطنه . وحديث البخاري اذا لم ينبطح ، أو يحمل النهي على التنزيه وحديث البخاري على الجواز . والله سبحانه وتعالى أعلم

***

وسئل أيضاً : الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن عن معنى قول الشيخ محمد بن اسماعيل الامير الصنعاني رحمة الله عليه : ولا ينفع المشرك قوله : أنا لا أشرك بالله شيئا لان فعله أكذب قوله ، فان قلت :هم جاهلون انهم مشركون بما يفعلون (قلت) قد صرح الفقهاء في باب الردة ان من تكلم بكلمة الكفر يكفر وإن لم يقصد معناها . وهذا دال على انهم لا يعرفون حقيقة الاسلام ولا ماهية التوحيد فصاروا حينئذ كفاراً كفراً أصليا ، فان الله تعالى قد فرض على عباده افراده بالعبادة أن لا يعبدوا الا إياه ، ذكره في تطهير الاعتقاد

فأجاب رحمه الله تعالى: قول محمد بن اسماعيل الامير انه لا ينفع قول من فعل الشرك أنا لا أشرك بالله ، يعني انه اذا فعل الشرك فهو مشرك وإن سماه بغير اسمه ونفاه عن نفسه .

وقوله: قد صرح الفقهاء في كتبهم بأن من تكلم بكلمة الكفر يكفر وإن لم يقصد معناها ، فمرادهم بذلك من تكلم بكلام كفر مازحا وهازلا وهو عبارة كثير منهم في قولهم : من أتى بقول أو فعل صريح في الاستهزاء بالدين وإن كان مازحا ، لقوله تعالى (ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب ، قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون * لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم) وأما من تكلم بكلمة كفر لا يعلم انها كفر يعرف بذلك ، فان رجع فانه لا يحكم بكفره كالذين قالوا : اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط.

وقوله : فصاروا كفاراً كفرا أصليا، يعني انهم نشأوا على ذلك فليس حكمهم كالمرتدين الذين كانوا مسلمين ثم صدرت منهم هذه الامور الشركية. والله سبحانه وتعالى أعلم . وصلى الله على محمد وآل محمد وأصحاب محمد وسلم تسليما كثيرا .

معنى قوله في الاستفتاح ((ولا اله غيرك))

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبدالرحمن بن حسن إلى الاخ المحب الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن غمره الله بانعمه ، وزاده من فواضل جوده وكرمه . سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد : فالخط وصل وبه الانس والسرور حصل ، حيث أنبأ عن حال الاخ جعلها الله حالا مرضية ، وبالتوفيق مرعية ، وحيث سألت عني فأحمد الله اليك وأنا بخير وعافية جعلنا الله وإياكم من الشاكرين ، والاحوال من فضل الله جميلة نسأل الله تعالى أن يصلح قلوبنا ويغفر ذنوبنا ، ويستر عيوبنا ، وأن يمن على الجميع

بالهدى والسداد ، والفوز بالرضوان يوم المعاد ، انه هو الكريم الجواد ، اللطيف بالعباد

ويا أخي مر عاينا في شرح الزاد في معنى قوله في الاستفتاح « ولا إله غيرك » أي لا يستحق أن يعبد غيرك وهو يؤيد ما قد قلته لك من أن المقدر في كلمة الاخلاص إذا قال الموحد لا إله إلا الله أي لا إله حق إلا الله ، والعامل في هذا المقدر « لا » على انه خبرها في قول الاخفش ، وعلى قول سيبويه لم تعمل فيه « لا » وانما عمل فيه المبتدأ وهو « لا » مع اسمها ، فان «لا » مع اسمها في محل رفع على الابتداء

والمقصود ان المقدر « حق » ليطابق ما في الآيتين في سورة الحج ولقمان

وأبلغ محمد بن مانع ومن بحضرتك من الطلبة والاخوان والجماعة السلام ومن لدينا العيال وخواص اخوانكم بخير وينهون السلام وأنت سالم والسلام

مسئلة في بعض ما يتعلق بغلة الوقف

بسم الله الرحمن الرحيم

وما ذكرت من وصول الجواب فالحمد لله على ذلك ، ونسأله التوفيق والاصابة والاعانة مع السداد والاثابة أنه هو الكريم الجدير بالاجابة

وتذكر أن عدم الاجبار في المسئلة التي وصل اليكم جوابها عندكم ظاهر أما عدم جوازها بالتراضي فمشكل

فأقول نص العلماء رحمهم الله تعالى على المنع من قسمة مثل هذا إذا كان الوقف شيئاً مقدراً من الغلة . ودليل المنع ظاهر في كلامهم سأشير اليه بعد إن شاء الله

وأما ماسنح لك من القول بالجواز فمشكل حتى على قولك لان التراضي من جهة الموقف متعذر لكونه على الوجوه التي ذكرت ، ولعدم أهلية ناظر الوقف

وأما قولك ان العقار المذكور مقدم في غلته صبرة وباقيه طلق

فهذا علة المنع من القسمة والبيع ، لان غلة الاصل قد تنقص فلا يبقى منها إلا بقدر المقدر للوقف أو دونه فيستغرق الاصل . وأما قولكم فهي كالخراج في الارض الخراجية إلى آخره

فأقول: لايقاس الوقف على أرض الخراج وما علمت من العلماء أحدا سبق له مثل هذا القياس وهو أيضاً قياس مع الفارق فان الزكاة لاتجب في الوقف على غير معين بخلاف الخراجية فانه يجب فيها العشر والخراج ففارقها بذلك ، والخراج الذى وضعه عمر رضي الله عنه لاينقص الغلة ولا يمنع من هي في يده استغلالها لقلة الخراج ، وكل امام عدل لايضع على الارض من الخراج إلا ماتطيقه فلا يمنع أهلها من الاستغلال ، فلذلك قال العلماء رحمهم الله تعالى: انه لايزاد فيه ولا ينقص الا اذا تغير السبب ، ففارقت مسألتنا هذه من هاتين الجهتين أيضاً.

فتأمل فان هذا الوقف لايزاد ولا ينقص ، ولو لم يبق من المغل إلا قدره ، وقولكم :كما منعوا بيع أرض العنوة لوقفها

أقول: هذا مما يؤيد المنع من البيع . والقسمة في هذه الصورة وإن كنا نرى ان سبب المنع غير هذا

وأما قولكم : الثانية انهم قد صرحوا بجواز قسمة الوقف على جهة واحدة على ماظهر صاحب الفروع من كلام الاصحاب

أقول: مانقلته عن صاحب الفروع صحيح لكن ذكر في الانصاف عن القواعد مايخالف مافي الفروع فقال : وقال في القواعد هل يجوز قسمته ؟ فيه طريقان : (احدهما) انه كافراز الطلق من الوقف وهو المجزوم به في المحرر (والطريق الثاني) انه لايصح قسمته على الوجهين جميعا على الأصح وهي طريقة صاحب الترغيب وعلى القول بالجواز فهو مختص بما اذا كان وقفا على جهتين لا على جهة واحدة صرح به الاصحاب ، نقله الشيخ تقي الدين انتهى .

اذا عرفت ان القول بالجواز الذي هو خلاف الاصح بهذه الصورة بعينها فأين هذه من مسئلتنا وهي لايمكن فيها معرفة مقدار مايخص هذه الغلة الموقوفه من أصلها التي عينت فيه مع مافي ذلك أيضاً من الضرر الظاهر على الوقف من تفريقه في أيدي أناس لايمكن تمييز نصيبهم بدون مشاركة الوقف لهم

وقولكم فليس هو كالوقف المحض الذي فيه كلام الشيخ

أقول نعم : ليس كهو فاذا كان الشيخ قد منع من قسمة الوقف اذا كان على جهة واحدة مع امكان افراز نصيب كل واحد من العدد الموقوف عليهم المحصورين مع مافي ذلك من مصلحة انتفاء ضرر المشاركة فلأن يمنع من قسمة وقف لايمكن معرفة مايخصه من الاصل لتطرق النقصان على الغلة غالبا من باب أولى .

وقولكم ان قسمته تقلل أيدي الملاك عليه فلا يكونون شركاء متشاكسين

أقول : تقليل أيدي الملاك مما يزيد التشاكس في الوقف ويفرقه مع مايفضي اليه استيلاء هذه الايدي من اتلاف هذا الوقف واتعاب ناظره بتكثير الطامع فيه

فقد ظهر من هـذا الجواب بعض مآخـذ المانعين . فتأمله يظهر لك صحة مأخذهم وحسن مداركهم .

وأما ماذكرته عن الاقناع في قسمة المهايآت ، فقد ذكرت في الجواب قبل هـذا عبارة لشيخ الاسلام رحمـه الله ، وقال في الانصاف : اذا اقتسما المنافع بالزمان والمكان صح وكان ذلك جائزاً على الصحيح من المذهب قدمه في المغني والشرح والنظم والرعايتين والحاوي الصغير والفروع وغيرهم ثم قال عن الشيخ تقي الدين : لاتنفسخ حتى ينقضي الدور ويستوفي كل واحد حقه انتهى .

وآثرنا الايجاز والاختصار على التطويل والاكثار وبالله التوفيق ، والسلام وافراً على من نظر اليه من الاخوان

نصيحة لولي الامر بالحرص على اقامة الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبدالرحمن بن حسن الى امام المسلمين ، وخليفة سيد المرسلين في اقامة العدل والدين ، وهو سبيل المؤمنين والخلفاء الراشدين ، فيصل بن تركي جعله الله في عدادهم متبعاً لسيرهم وآثارهم آمين

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد : اعلم أن الله تعالى أنعم علينا وعليكم وعلى كافة أهل نجد بدين الاسلام الذي رضيه لعباده ديناً ، وعرفنا ذلك بادلته وبراهينه دون الكثير من هذه الامة الذين خفي عليهم ماخلقوا له من توحيد ربهم الذي بعث به رسله ، وأنزل به كتبه ، ولا صلاح للعباد في معاشهم ومعادهم الا بمعرفة هذا الدين وقبوله ومحبته والعمل به ، واستفراغ الوسع الى ذلك علماً وعملا ودعوة اليه ورغبة فيه ، وان يكون أكبر هم الانسان ومبلغ علمه ليحصل له النعيم الابدي ، والسرور السرمدي ، وقد وقع أكثر من أنعم الله عليه بهذه النعمة في التفريط في شكرها والتهاون بها ، وعدم الرغبة فيها ، والتحدث بها ، والعمل بموجبها ، وقد وقع بالغفلة عن شكر هذه النعمة من التفريط فيها والاشتغال بما يشغل عنها من الرغبة في الدنيا ، والاقبال عليها مالا يخفى على ذوي البصائر

وقد ذم الله تعالى في كتابه أهل الغفلة والاعراض أعاذنا الله وإياكم من اتباع سبلهم فقال (ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالانعام بل هم أضل اولئك هم الغافلون) فعلينا وعليكم أن نقوم على من قدرنا على القيام عليه ببذل الجهد والاجتهاد بالنصيحة لجميع المسلمين بتذكيرهم ما أنعم الله عليهم به من الدين ،

وتعليمهم ما يجب عليهم تعلمه مما فيه صلاحهم وفلاحهم ونجاحهم وسعادتهم ونجاتهم من شرور الدنيا والآخرة . وقد قال تعالى (أولا يرون انهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون) فاذا كان هـذا في أناس في عهد النبوة والقرآن ينزل فمن بعدهم أحرى أن يكونوا كذلك ، فيجب على من أقدره الله من المسلمين أن يقوم بنصيحة العباد بهذا الدين علماً وعملا ، ودعوة اليه وتعلما وتعليما ، ولا يخفى ان العامة تتبع الخاصة فيما أحبوه وقالوه وعملوا به ، وقد حذر الله تعالى عباده من عقوبات الدنيا والآخرة على الاعراض عما خلقوا له كما قال تعالى (ففروا إلى الله اني لكم منه نذير مبين) وقال تعالى (وأنذرهم يوم الآزفة إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين * ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع) وقال في حق نبيه ﷺ (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم) وعلينا أن نحذر ونحذر عما حذرنا الله تعالى منه من التفريط في طاعة الله وطاعة رسوله ، والقيام بدينه كما ينبغي

وبسبب الغفلة عن هذه الامور الواجبة وقع في كثير من الناس أشياء مما لا يحبه الله ويرضاه كما لا يخفى على من ينظر بنور الله ، وقد قال تعالى (ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون) والفساد المعاصي وآثارها في الارض ولكن كما قيل : إذا كثر الامساس قل الاحساس ، نعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا

ومن موجبات الغفلة الاعراض عن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فانه لا صلاح للعباد في دينهم ودنياهم إلا بالقيام بحقه . واليوم ما في البلدان من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر إلا على ضعف ، وفي تركه الوعيد الشديد وفعله علامة الايمان وهو من فروض الكفايات التي إذا قام بها البعض سقط الوجوب عن الباقين ، وإذا لم يحصل القيام بذلك أثموا كلهم

قال بعض العلماء : فروض الكفاية أشد على الناس من فروض العين لان فرض العين تخص عقوبته تاركه ، وفرض الكفاية تعم عقوبته كل من كان له قدرة . فأوصيكم معشر الاخوان من الخاصة والعامة أن ترغبوا فيما رغبكم الله فيه وأن تهتموا به كاهتمامكم بدنياكم لتسعدوا وتسلموا وتغنموا ، الشأن كل الشأن بالاهتمام فيما يرضي الله عنكم ويدفع الله به عنكم عقوبات الدنيا والآخرة ، وعلى الامام وفقه الله أن يبعث للدين عمالا كما يبعث للزكاة عمالا ليعلموهم دينهم ويأمروهم وينهوهم ، وهذا مما يجب على الامام أعانه الله على ذلك ووفقه للقيام بوظائف الدين نصيحة لله ولكتابه ولرسوله وللمسلمين

وأوصيكم بالتوبة إلى الله عما فرطتم فيه من العمل بدينه وتعلمه وتعليمه وتكميله فان الله تعالى أكمله لكم وهو أعظم نعمة أنعم بها عليكم

فالله الله في الاخذ باسباب الفلاح والنجاة ، وعلى كل منكم أن يحاسب نفسه لربه قبل القدوم عليه والرجوع اليه ، ولا ينفع قول الا بعمل ولا عمل إلا بنية فاشكروا الله تعالى على ما أعطاكم ومن به عليكم من دين الاسلام وما حصل به من النعم التي لا تحصى .

وقد خطب نبيكم ﷺ أصحابه وأنذرهم وحذرهم فقال « إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد » فاحذروا وحذروا فان الامر عظيم ، قال الله تعالى (قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا)

قال بعض العلماء في قوله (ان تقوموا) فيه وجوب القيام لله فيما شرعه وأمر به وقوله (لله) فيه التنبيه على اخلاص العبد في قيامه لربه وطاعته فجمعت هذه الآية العمل بالتوحيد وحقوقه ولوازمه والقيام بذلك جداً واجتهاداً ، ويشبه هذه الآية قوله تعالى (ولا تحسبن الله غافلا عما يفعل الظالمون ـ إلى قوله ـ وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا أخرنا إلى أجل قريب نجب دعوتك

ونتبع الرسل) فجمع تعالى الدين كله في هاتين الكلمتين (نجب دعوتك) فيه التوحيد لانه الذي دعا اليه ودعت اليه رسله وفي قوله (ونتبع الرسل) العمل بكتابه واتباع رسوله ﷺ لان من اتبع كتابه ورسوله فقد اتبع الرسل جميعهم ، فمن عمل بهاتين الكلمتين فيما كان طاعة لله ولرسوله فقد فاز ونجا وحصل ماتمناه المفرطون يوم القيامة

فالله الله في الاهتمام بهذا الشأن والقيام به حسب الامكان (وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت واليه أنيب)

ومما يدفع الله به العقوبات ، ويزيد به الحسنات الصدقة على الفقراء والمساكين كما قال تعالى (وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير) وقال تعالى (وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيراً وأعظم أجرا واستغفروا الله إن الله غفور رحيم) وقد ورد « باكروا بالصدقة فان البلاء لا يتخطاها ، والحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة » وفي الحديث « اتقوا النار ولو بشق تمرة » والآيات والاحاديث في فضل الصدقة كثيرة وهي من الباقيات الصالحات . وقد قال تعالى (والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا)

نسأل الله لنا ولكم العفو والعافية ، والعون على مرضاته فانه ولي ذلك والقادر عليه ، ولا ملجأ منه إلا اليه بالتوبة النصوح والايمان والعمل الصالح ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وهو حسبنا ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيراً إلى يوم الدين

جواب فيصل للشيخ عبد الرحمن

عن نصيحته المتقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

من فيصل بن تركي إلى من وصلت اليه هذه النصيحة وسمعها أن يعمل بما ذكر فيها ، ولا لاحد عذر الا من منع أو ردع ،فلا يعذر حتى يبلغنا ، فاذا بلغنا من منعه فهو معذور

والموجب ان حوائج الناس ماتقف غنا ، القوي يوصل حاجة الضعيف ويعين عليه بذكر حاله ، ولا بأس في هذا ويثاب عليه فليكن الي لله أعظم وألزم فتوكلوا على الله وافعلوا ماأمركم به ، وتآمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر ويكون ذلك على علم وحلم ، فان جبتم فالله حسيب عليكم وهو حسبنا ونعم الوكيل وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم

الرد على من قال بقول الفلاسفة في دعاء الموتى والتعلق بأرواحهم

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

قال الشيخ الامام العالم العلامة عبد الرحمن بن حسن .

اعلم انه ورد من مصر جواب عن سؤال . وذلك الجواب يتضمن القول بجواز بناء المساجد على القبور والتعلق بأرواح أربابها وحصول البركات والمنافع بما يفيض عليه من تلك الارواح كما كان يعتقده عباد الاصنام المصورة بصور الملائكة والصالحين. فتعين علي وعلى أمثالي رد ذلك وابطاله فأقول ـ مستعينا بالله

طالبا في ذلك رضى الله وجزيل ثوابه . والحمد لله رب العالمين :

(الجواب) وبالله التوفيق: لا ريب ان الذي أجاب به هذا المجيب باطل من وجوه (أحدها) ان لفظة الاستظهار بأرواح الاموات انما أراد بها التعلق بالاموات والالتجاء والرغبة اليهم، لكنه قصد أن يزخرف العبارة اضلالا للعوام والجهال فكم تحت هذه اللفظة من شرك ومحادة لدين الله ولاخلاص العبادة له وحده لا شريك له وقد قال تعالى (فادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون) وقال تعالى (وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين) الآية وقال (إنا أنزلنا اليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصاً له الدين ألا لله الدين الخالص) وقال تعالى (فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها) الآية .

واقامة الوجه هو اخلاص الدين له وافراده بجميع أنواع العبادة كما ذكره المفسرون ، والحنيف المقبل على الله المعرض عن كل ماسواه ، وهذا الذي ذكره هؤلاء المحرفون عن التوحيد لاريب ان الله تعالى لم يشرعه ولا رسوله بل نهى عنه أشد النهي كما سنذكره ان شاء الله تعالى . فقد أكمل الله لنا ديننا وأتم علينا نعمته وبين رسوله ﷺ ماشرعه الله من دينه أتم بيان ، قال الله تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا) وقد بين تعالى أصل دين الاسلام وأساسه الذي تبني عليه الاعمال وتصح به كما قال تعالى (بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) ومالم يشرعه الله فليس من دين الاسلام كما في حديث عائشة الذي في الصحيحين « من أحدث في أمرنا هذا ماليس منه فهو رد »

وفي الصحيح عن النبي ﷺ انه قال « وإياكم ومحدثات الامور فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة» وقد بين ﷺ ماشرعه في زيارة القبور فثبت عنه ﷺ انه قال « كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فانها تذكركم الآخرة » وقد

شرع الله تعالى ورسوله الدعاء الميت في الصلاة عليه وغـيرها لانه محتاج لدعاء الحي لانقطاع عمله .

وأما الاستظهار بروحه فانه لايعرف له معنى غـير ماعبر به المجيب عنه من الرغبة الى الميت والتعلق به والالتجاء اليـه ، وذلك هو أصل دين المشركين ، ويترتب على ذلك من أنواع العبـادة جلها ومعظمها كالمحبة والدعاء والتوكل والرجاء ونحو ذلك ، وكل هذا عبادة لايصلح منه شيء لغير الله أبدا ، وهؤلاء كما قال الله تعالى (ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك فان فعلت فانك إذاً من الظالمين * وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله) الآية . والله تعـالى هو المتفرد بالخلق والتدبير والنفع والضر والعطاء والمنع ، والميت غافل عاجز لايسمع ولا ينفع كما قال تعالى (ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون) الآية وقال تعالى (ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير * إن تدعوهم لايسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم) الآية .

وقد قصر الله رغبة عباده عليه بل كل العبادة بأنواعها كما قال تعالى (فاذا فرغت فانصب والى ربك فارغب) وقال (بل الله فاعبد) وتقديم المعمول يفيد الحصر والاختصاص

والشفعاء يوم القيامة لا يشفع أحد منهم إلا باذنه ولا يشفعون إلا لمن ارتضى كما قال تعالى (قل لله الشفاعة جميعا) فهي ملكه يشفع من شاء فيمن شاء باذنه للشافع ورضاه عن المشفوع له كما قال تعالى (من ذا الذي يشفع عنده إلا باذنه) وقال تعالى (لايشفعون إلا لمن ارتضى) وقال (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لايملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وما لهم فيهما

من شرك وما له منهم من ظهير* ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له) الآية

قال أبو العباس ابن تيمية: نفى الله عما سواه كل ما يتعلق به المشركون فنفى أن يكون لغيره ملك أو قسط منه أو يكون عونا لله ولم يبق إلا الشفاعة، فبين انها لاتنفع إلا لمن أذن له الرب كما قال (ولا يشفعون إلا لمن ارتضى) فهذه الشفاعة التي يظنها المشركون هي منفية يوم القيامة كما نفاها القرآن.

فالشفاعة لاهل الاخلاص باذنه ولا تكون لمن أشرك، وحقيقتها ان الله سبحانه هو الذى يتفضل على أهل الاخلاص فيغفر لهم بواسطة دعاء من أذن له أن يشفع ليكرمه وينال المقام المحمود. وقد بين النبي ﷺ ان الشفاعة لاتكون الا لاهل التوحيد والاخلاص انتهى ملخصاً

وهو سبحانه لا يرضى من عبده إلا التوحيد الذي هو دينه الذى بعث به رسله وأنزل به كتبه كما قال تعالى (قل اني أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين) وقال تعالى (قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت) فهذا هو حكم الله الشرعي الذي حكم به على خلقه بأن يصرفوا أعمالهم له وحده دون كل من سواه ولهذا قال (وبذلك أمرت) وقال في سورة يوسف (أمر أن لا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم)

فالعبد وأعماله الظاهرة والباطنة كلها ملك لله لا يصلح أن يصرف منها شيء لغير الله، فان صرف العبد منها شيئا لغير الله فقد وضعه في غير موضعه وذلك هو الظلم العظيم كما قال (ان الشرك لظلم عظيم)

وأنفع ما للعبد في معاشه ومعاده ان يوجه وجهه وقلبه الى الله ويجمع همته عليه في جميع مطالبه الدنيوية والأخروية كما قال العارف بالله الذي استنار قلبه بآيات الله وحججه وبيناته

وإذا تولاه امرؤ دون الورى طراً تولاه العظيم الشان

فالعبد مضطر الى الله الذي محياه ومماته له، فهو قبلة قلبه ووجهه كما أخبر عن خليله عليه السلام انه قال (اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما أنا من المشركين) وانما شرع الله ورسوله زيارة القبور لتذكر الآخرة كما قال ﷺ « كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فانها تذكركم الآخرة » أي اتسعوا لها سعيها (فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم) فجعلوها محطا للرحال، ومطلبا للآمال، ومعاذاً وملاذاً. وهذا هو الشرك الذي لم يشرعه الله بل شدد النهي عنه والوعيد عليه وأخبر انه لا يغفره، قال تعالى (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ماتولى ونصله له جهنم وساءت مصيرا) وقال تعالى (ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به فانما حسابه عند ربه انه لا يفلح الكافرون) وقال (حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم قالوا أينما كنتم تدعون من دون الله قالوا ضلوا عنا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين) وقال تعالى (وأن المساجد لله فلا تدعو مع الله أحدا) وهي نكرة في سياق النهي فتعم.

فلو جاز الاستظهار بأرواح الاموات كما قاله هذا الجاهل بالله وبدينه لجاز أن يستظهر العبد بالحفظة من الملائكة الذين هم معه لا يفارقونه بيقين، وهم كما وصف الله (عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون) وهذا لا يقوله مسلم أصلا بل لو فعله أحد كان مشركا بالله، فاذا لم يجز ذلك في حق الملائكة الحاضرين فان لا يجوز في حق أرواح اموات قد فارقت أجسادها لا يعلم مستقرها الا الله أولى، قال تعالى (والذين تدعون من دون الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون * أموات غير أحياء وما يشعرون * أيان يبعثون * إلهكم إله واحد فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون) وأنت ترى أكثر الناس انصرفت قلوبهم عن فهم الحق ومعرفته بدليله حتى تمكنت الشبهات منهم

فظنوها بينات فأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل

وهذا هو الواقع لا يخفى على ذوي البصائر وقد أنزل الله كتابه موعظة وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين كما قال تعالى (ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون * انهم لن يغنوا عنك من الله شيئا) الى قوله (والله ولي المتقين)

(الوجه الثاني) ان رسول الله ﷺ حذر فيما تواتر عنه من النهي عن وسائل هذا التعلق والالتجاء بالاموات والرغبة اليهم فنهى عن اتخاذ القبور مساجد ، وصرح طوائف من أصحاب الامام أحمد وغيرهم كأصحاب مالك والشافعي بالتحريم لذلك

وقد حكى شيخ الاسلام رحمه الله الاجماع على التحريم لذلك وهو الامام الذي لا يجارى في ميدان معرفة الخلاف والاجماع لما في صحيح مسلم عن جندب ابن عبد الله سمعت رسول الله ﷺ قبل أن يموت بخمس وهو يقول « إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل فان الله قد اتخذني خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا ولو كنت متخذاً من أمتي خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ، ألا وان من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد ، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فاني أنهاكم عن ذلك »

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « قاتل الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » وفي رواية لمسلم « لعن الله اليهود والنصارى » الحديث

وفي الصحيحين عن عائشة وابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال في مرضه « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » يحذر ما صنعوا ، ولولا ذلك لأبرز قبره غير انه خشي أن يتخذ مسجداً

قوله : خشي تعليل لمنع ابراز قبره . فقد نهى ﷺ عن اتخاذ القبور مساجد

في آخر حياته ، ثم انه لعن وهو في السياق من فعله وذلك لان الفتنة بالصلاة عند القبور ومشابهة عباد الاوثان أعظم من الصلاة عند طلوع الشمس وعند غروبها وقد نهى عن الصلاة في هذه الاوقات سداً لذريعة التشبه بالمشركين التي لا تكاد تخطر ببال المصلي فكيف بهذه الذريعة القريبة التي تدعو فاعلها إلى الشرك الذي صله التعظيم بما لم يشرع والغلو فيها

وقد أخرج الامام أحمد وأهل السنن عن ابن عباس رضي الله عنهما قال «لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج »

ومعلوم أن إيقاد السرج انما لعن فاعله لكونه وسيلة إلى تعظيمها وجعلها نصباً يوفض اليها المشركون ، وكذلك اتخاذ المساجد على قبور الانبياء والصالحين

ووجه الدلالة من هذه الاحاديث أنه اذا لعن من فعل ماهو وسيلة إلى التعظيم والغلو وإن كان المصلي عندها ومتخذها مساجد انما وجه وجهه وقلبه إلى الله وحده فكيف اذا وجه وجهه إلى أرباب القبور وأرواح الاموات وأقبل عليها بكليته وطلب النفع منها من دون الله تعالى، فانه قد صرف ماهو من خصائص الربوبية لمن لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً ولا موتا ولا حياة ولا نشوراً. فمن جعل لله شريكا يلتجيء اليه ويعلق به قلبه ويوجه اليه وجهه ويرغب اليه دون الله فقد جعله لله نداً كما في الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله عنه: قلت يارسول الله أي الذنب أعظم ؟ قال « أن تجعل لله نداً وهو خلقك » الحديث

وقد بين تعالى في كتابه دينه الحنيف فيما ذكر عن خليله ابراهيم عليه السلام أنه (قال ياقوم اني بريء مما تشركون * اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما أنا من المشركين) وقال تعالى (قل ياأيها الناس إن كنتم في شك من ديني فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم وأمرت أن أكون من المؤمنين * وأن أقم وجهك للدين حنيفا ولا تكونن من

المشركين) وبهاتين الآيتين وأمثالهما في القرآن يميز المؤمن دين المرسلين من دين المشركين . فاقامة الوجه لله باخلاص العبادة لله بجميع أنواعها هو دين المرسلين ، وتوجيه الوجه بشيء من أنواعها لغير الله هو الشرك الذي لا يغفره الله

وتدبر قول الله تعالى في وصف أهل الاخلاص (إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغباً ورهبا وكانوا لنا خاشعين) فالرهبة والرغبة والخشوع وغير ذلك من أنواع العبادة كالمحبة والدعاء والتوكل ونحو ذلك مختص بالله تعالى لا يصلح منه شيء لغيره كائنا من كان

وتأمل قوله تعالى (وكانوا لنا خاشعين) فانه ظاهر بان ذلك الخشوع ونحوه مختص بالله تعالى كما ذكر اختصاصه بالعبادة عموما في قوله (بل الله فاعبد وكن من الشاكرين)

ولا يخفى أن هذا المجيب قد صرف جل العبادة ومعظمها لغير الله وقد قال تعالى (له دعوة الحق) وقال (والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير * إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير) فالخبير سبحانه أبطل الاكاذيب الشيطانية والتعلقات الشركية في هذه الآية ونظائرها

فتدبر إن كنت للتوحيد طالبا، وفي دين المرسلين راغباً ، وقد أجرى الله سبحانه العادة بوقوع الامراض العامة والمصائب العظام في كل مدينة فيها بعض من قبور الاولياء والصالحين فلا يجد أهلها تأثيراً للتعلق بهم في دفع ما نزل من تلك المصائب ، وذلك برهان على ان الميت لا ينفع ولا يضر ولا يغني عمن تعلق به شيئاً كما قال تعالى (قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هي كاشفات ضره، أو أرادني برحمة هل هي ممسكات رحمته؟ قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون)

***

(الوجه الثالث) أن رسول الله ﷺ نهى أمته أن يجعلوا قبره عيداً . أخرج أبو داود بسند حسن عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « لا تجعلوا بيوتكم قبوراً ، ولا تجعلوا قبري عيداً ، وصلوا عليّ فان صلاتكم تبلغني حيثما كنتم »

وأخرج أبو يعلى في مسنده والحافظ الضياء في المختارة عن علي بن الحسين انه رأى رجلا يجيء إلى فرجة كانت عند قبر النبي ﷺ فيدخل فيها فيدعو فنهاه وقال: ألا أحدثكم حديثا سمعته من أبي عن جدي عن رسول الله ﷺ أنه قال « لا تتخذوا قبري عيداً ، ولا بيوتكم قبوراً ، فان تسليمكم يبلغني أين كنتم »

وأخرج سعيد بن منصور في سننه عن سهل بن سهيل قال : رآني الحسن بن الحسن بن علي رضي الله عنه عند القبر فناداني - وهو في بيت فاطمة يتعشى - فقال هلم إلى العشاء . فقلت لا أريده ، فقال مالي رأيتك عند القبر ؟ فقلت سلمت على النبي ﷺ ، فقال : سلم اذا دخلت المسجد ، ثم قال ان رسول الله ﷺ قال « لا تتخذوا قبري عيداً ، ولا تتخذوا بيوتكم مقابر ، لعن الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ، صلوا علي فان صلاتكم تبلغني حيثما كنتم » ما أنت ومن بالاندلس إلا سواء .

فهذا علي بن الحسين أفضل التابعين من أهل البيت والحسن بن الحسن سيد أهل البيت في زمانه لم يفهموا من نهي النبي ﷺ بقوله « لا تتخذوا قبري عيداً » الا نهى أمته عن اعتياد المجيء إلى قبره وملازمته لان الصلاة عليه تبلغه ﷺ من المصلي وإن كان بعيداً عن قبره . ولما في ذلك النهي من سد الذريعة عن العكوف عند القبر وتعظيمه بما لم يشرع

والعكوف عبادة شرعها رسول الله ﷺ في المساجد تقربا بها إلى الله فلا يجوز أن يفعل ماهو مشروع في المساجد عند القبور فان الملازمة والعكوف عندها

ذريعة قريبة إلى عبادتها ، فتعظيمها بما لم يشرعه الله ورسوله غلو ، والغلو أعظم وسائل الشرك

والذي فهمه هذان السيدان الجليلان هو الذي فعله السابقون الاولون من المهاجرين والانصار، فان الثابت عنهم المتواتر أنهم كانوا اذا دخلوا المسجد صلوا على النبي ﷺ واكتفوا بذلك عن المجيء الى قبره ﷺ وذلك لعلمهم بما شرعه الله ورسوله . وكان ابن عمر رضي الله عنه اذا قدم من سفر سلم على النبي ﷺ ثم على ابي بكر ثم على أبيه ثم انصرف

فهذا حال الصحابة رضي الله عنهم وهم أشد الناس تمسكا بالسنة وأعلم الناس بما يجوز وما لايجوز

قال شيخ الاسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام رحمهم الله تعالى : ووجه الدلالة من هذا الحديث ان قبر النبي ﷺ أفضل قبر على وجه الارض وقد نهى عن اتخاذه عيداً فغيره أولى ، قال: والعيد مايعتاد قصده ومجيئه من مكان أو زمان .

قال العلامة ابن القيم رحمه الله وقد حرف هذه الاحاديث بعض من أخذ شبها من اليهود بالتحريف ، وشبها من النصارى بالشرك ،مراغمة لما قصده الرسول ﷺ وقلبا للحقائق ، ولا ريب أن ارتكاب كل كبيرة دون الشرك أقل اثما وأخف عقوبة من تعاطي مثل ذلك في دينه وسنته ، ولو أراد الرسول ﷺ بقوله « لاتجعلوا قبري عيداً » أمراً بملازمة قبره واعتياد قصده لما نهى عن اتخاذ قبور الانبياء مساجد ، ولعن من فعل ذلك ولما قال أعلم الخلق به ، ولولا ذلك لأبرز قبره غير انه خشي أن يتخذ مسجداً. انتهى

(قلت) وفي هـذه الاحاديث مايبطل هذا التحريف الذي أشار اليه العلامة كتحريف شارح المشارق فان قوله صلى الله عليه وسلم «لاتتخذوا قبري

عيداً » مسبوق وملحوق بما يبين معناه كقوله « وصلوا عليَّ فان صلاتكم تبلغني حيثما كنتم » وكقوله في الحديث الذي رواه الحسن بن الحسن « لعن الله اليهود ، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » وغير ذلك مما هو ظاهر يبين مراده ﷺ انه خشي على أمته تعظيم القبور والغلو فيها كما في الموطأ عن عطاء بن أبي رباح أن رسول الله ﷺ قال «اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد ، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » وهذا الحديث صريح في بيان مراد النبي ﷺ بالجملة الاولى من الحديث والجملة الثانية ،فقد حمى ﷺ حمى التوحيد . ومثل هذه الاحاديث قوله ﷺ « لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم ، انما أنا عبد فقولوا : عبد الله ورسوله »

فقد عرفت مما تقدم ان من أعظم أسباب الشرك تعظيم القبور والعكوف عندها ، ولا ريب أن ذلك يفضي إلى الالتجاء اليها، والتعلق بها ، والرغبة اليها، ونحو ذلك من المحبة وخطابها بالحوائج وغير ذلك مما لا يمكن عده كالخشوع والبكاء والنحيب رغبة ورهبة اليها . وهذا هو العبادة التي قصرها الله تعالى عليه دون كل من سواه . قال الله تعالى (قل انما يوحى إلي انما إلهكم إله واحد فهل أنتم مسلمون ؟) وقوله(صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون *قل أتحاجوننا في الله وهو ربنا وربكم، ولنا اعمالنا ولكم أعمالكم ونحن له مخلصون؟) وقال تعالى (ويعبدون من دون الله مالم ينزل به سلطانا وما ليس لهم به علم ، وما للظالمين من نصير) الآيات

فتدبر هذه الآيات وما فيها من البيان والحجة القاطعة على أن كل من وجه وجهه وقلبه الى غير الله فهو مشرك شركا ينافي الاخلاص . وتأمل مافيها من اختصاص الرب تعالى بجميع أنواع العبادة كالالتجاء والتعلق والرغبة والرهبة وغير ذلك من انواع العبادة والله المستعان،

ولقد احسن العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى في كافيته إذ يقول :

ولقد نهى ذا الخلق عن إطرائه ... فعل النصارى عابدي الصلبان
ولقد نهانا ان نصير قبره ... عيداً حذار الشرك بالرحمن
ودعا بأن لا يجعل القبر الذي ... قد ضمه وثناً من الاوثان
فأجاب رب العالمين دعاءه ... وأحاطه بثلاثة الجدران
حتى غدت ارجاؤه بدعائه ... في عزة وحماية وصيان
ولقد غدا عند الوفاة مصرحاً ... باللعن يصرخ فيهم بأذان
وعنى الأولى جعلوا القبور مساجداً ... وهم اليهود وعابدوا الصلبان
والله لولا ذاك أبرز قبره ... لكنهم حجبوه بالحيطان

(قلت) والآيات المحكمات اصرح شيء وأوضحه في بيان حقيقة الشرك في الالهية وهو صرف العبد شيئاً من أنواع العبادة التي يصلح التقرب بها إلى الله فيتقرب بها إلى غيره ، فان العبادة بجميع أنواعها حق لله ومختصة به وكذلك هذه الاحاديث المذكورة ونحوها أبين شيء وأجلاه في تحريم وسائل هذا الشرك لكن الكثير من متأخري هذه الامة وقعوا في هذا الشرك لما طال عليهم الامد وبعدوا عن عصر سلف هذه الامة ، وزمن أتباعهم من الائمة ، الذين اجمع العلماء من أهل السنة على هدايتهم ودرايتهم ، فانتشرت البدع بعدهم ، والتبس الحق بالباطل بظهور علم الكلام والفلسفة. فيالها مصيبة ما أعظمها

فلما استمكنت اصول تلك البدع في قلوب من ينتسب إلى العلم من المتأخرين حاولوا صرف المعنى الذي دلت عليه النصوص وأراده الله ورسوله بالنهي عنه والتغليظ فيه إلى ضروب من التحريف فراراً من ان يدخل الواقع منهم تحت ذلك النهي ، فلما لبسوا لبس عليهم ، فانا لله وإنا اليه راجعون (من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً)

***

(الوجه الرابع) ان هذا الذي يدعيه المجيب من الاستظهار بأرواح اهل القبور لا حقيقة له فانه اعتقاد فاسد من تضليل الشيطان لجهال الامة ، والا فمن اين لهذا المدعي أن الارواح تنزل كذلك وقد عرفت ان التعلق بها وعبادتها شرك بالله ، وهذا من التخيلات الشيطانية الشركية بلا ريب نظير ما ادعا المشركون في قولهم في معبوداتهم (هؤلاء شفعاؤنا عند الله) قال تعالى (قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض سبحانه وتعالى عما يشركون) فأكذبهم الله في دعواهم هذه ، وبين انه لا حقيقة لها ، وان اتخاذهم شفعاء من دون اذنه شرك نزه نفسه عنه ، ونظائر هذه الآية في القرآن كثير كقوله تعالى (أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت وجعلوا لله شركاء * قل سموهم ام تنبئونه بما لا يعلم في الارض ام بظاهر من القول) الآية فأخبر تعالى عن اهل الشرك انهم يدعون في معبوديهم اشياء لا حقيقة لها في الخارج أصلا ، وانما هي تصورات وخيالات ذهنية شيطانية (إن يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس ، ولقد جاءهم من ربهم الهدى) وقوله (أمن يبدأ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والارض أإله مع الله ؟ قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين) ولقد بين تعالى في كتابه دينه وأمره الشرعي في آيات كثيرة ، من ذلك ما ذكر عن نبيه يوسف عليه السلام من قوله (يا صاحبي السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار * ما تعبدون من دونه الا اسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما انزل الله بها من سلطان إن الحكم الا لله امر أن لا تعبدوا الا اياه ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون)

وقد عرفت مما تقدم ان الله تعالى قصر انواع العبادة من خلقه عليه ، و يأذن لهم ان يصرفوا منها شيئاً لغيره اصلا كما في فاتحة الكتاب (اياك نعبد واياك نستعين) وتوحيد الالهية من اسمه تعالى (الله) فهذا الاسم الاعظم دل على انه سبحانه هو المألوه المعبود كما ذكر في الدر المنثور وغيره عن ابن عباس قال : معنى

الله أي ذو الالوهية والعبودية على خلقه أجمعين

فمن تدبر هذه الآيات ونظائرها علم أن هؤلاء القبوريين المفتونين بالاموات قد خالفوا ما أمرهم الله تعالى به من إفراده بالالوهية والعبودية الخاصة له فتألهت قلوبهم غيره وتعلقت أفئدتهم بمن لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً ولا موتا ولا حياة ولا نشوراً . قال الله تعالى (ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه مايملكون من قطمير) الآية وتقدمت ، وقال تعالى (ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون * وإذا حشر الناس كانوا لهم اعداء وكانوا بعبادتهم كافرين)

فتأمل هذه الآية وما فيها من البيان والبرهان على ضلال من وجه وجهه وقلبه لغير الله بأي نوع كان من انواع العبادة ، وهذا لايخفى إلا على من عميت بصيرته ، وضل سعيه ، وفسد فهمه (ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور)

***

(الوجه الخامس) ان المجيب ومن يقول بقوله انما وجهوا وجوههم وقلوبهم إلى أرواح الاموات وقد فارقت تلك الارواح أجسادها لا يعلم أين صارت ولا إلى ماصارت إلا الله إلاماورد ان أرواح الشهداء والسعداء تسرح في الجنة وقد جعل الله موتهم دليلا وبرهانا على بطلان عبادتهم ، قال الله تعالى (والذين تدعون من دون الله لايخلقون شيئاً وهم يخلقون *أموات غير احياء وما يشعرون أيان يبعثون *إلهكم إله واحد فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون) ولا ريب أن من له بصيرة يعلم أن الميت لاشعور له بحاله فكيف بغيره وقد تقدم دليله

فبطل بهذه الآيات المحكمات وما في معناها كل ما تعلق به المشركون من طلب وأمل ورجاء ورغبة صرفوه لغير الله ، وبين تعالى أن ذلك يعود عليهم وبالا في الدار الآخرة . نعوذ بالله من ضلال السعي والخيبة والخسران ،

ولقد أحسن من قال

يقضى على المرء في ايام محنته حتى يرى حسناً ما ليس بالحسن

***

(الوجه السادس) ان المجيب أجاب بما يخالف مطلوب السائل ، فان السائل انما طلب منه قول الائمة الذين يرجع اليهم في اصول الدين وفروعه ممن اجمع أهل السنة على هدايتهم ودرايتهم وعلمهم وصدقهم وتمسكهم بالحق وهم كثير في القرون المفضلة وبعدها ، ولم يسأله عن قول من لا يعرف بعلم ولا ثقة ولا صدق ولا عدالة ، وكلامه الذي نقله عن المجيب من شرحه كلام محرف للسنة قد دخل في الكلام المذموم والفلسفة ومثل هذا لا يحتج بقوله من له ادنى فهم ومعرفة بأحوال العلماء

فسبحان الله ياهذا ، كيف تقلد في دينك من لا يعرف بعلم ولا صدق وأمانة وعدالة ؟ فما أكثر من اغتر بأقوال من هو مثله ممن أخذ عن أرباب أهل البدع فهلا أجبت بأقوال الصحابة والتابعين كالفقهاء السبعة وكالزهري والحسن وابن سيرين والحمادين والاوزاعي والثوري والليث بن سعد والائمة الاربعة واسحاق بن ابراهيم وأبي عبيد ومحمد بن نصر المروزي وابن جرير الطبري وأبي عمر بن عبد البر النمري صاحب التمهيد والاستذكار وأمثال هؤلاء من أئمة الاسلام اهل العروة الوثقى ؟ فانهم بحمد الله كثير في الأمة ، يعرفهم من له إلمام بالعلم والعلماء والفضل والفضلاء ، ومعاذ الله أن تجد في كلام هؤلاء وأمثالهم من يجوز تعلق القلب والهمم والارادات بغير الله سبحانه وتعالى وتقدس عن الشرك في الارادات والنيات والاعمال

ولو قيل لهذا المجيب عرفنا بشارح المشارق هذا ومن ذكره من المصنفين من اهل الجرح والتعديل ، لم يجد الى ذلك من سبيل

وعلى كل حال فليس في كلامه حجة ولا دليل ، فان كلامه يعرف بحقيقة حاله

والحجة التي لاتعارض ولا تدافع انمـا هي فيما قاله الله ورسوله وما كان عليه المسلمون في عصر الخلفاء الراشدين والائمة المهتدين قبل حدوث البدع وتشعب الاهواء واختلاف الآراء، قال الله تعالى (وإن تطع أكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله * إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون * ان ربك هو أعلم من يضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين)

ولا يخفى على من له دين وإلمام بالعلم النافع ان رسول الله ﷺ حمى حمى التوحيد وسد كل طريق يوصل الى الشرك الاكبر والاصغر، فقد ثبت عنه انه لما قال له رجل: ماشاء الله وشئت . قال « أجعلتني لله ندا؟ بل ماشاء الله وحده »

وفي المسند عن عمران بن حصين رضي الله عنه ان النبي ﷺ رأى رجلا في يده حلقة من صفر . فقال « ماهذه ؟ » قال من الواهنة . فقال « انزعها فانها لاتزيدك إلا وهنا وانك لو مت وهي عليك ماأفلحت أبداً » فانظر الى هـذه العقوبة العظيمة لمن علق قلبه بحلقة دون الله .

وثبت عنه ﷺ انه قال « من تعلق شيئا وكل اليه » أخرجه النسائي من حديث ابي هريرة . ولاحمد عن عقبة بن عامر « من تعلق تميمة فلا أتم الله له، ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له » وفي رواية « من تعلق تميمة فقـد أشرك »

ومن المعلوم ان التعلق بأرواح الاموات أعظم شركا من تعليق التمائم وهذا لايخفى على من له بصيرة في الدين فان الفتنة بها أعظم والتعلق بها أشد والعبادة عبادة حيثما صرفت ، فان قصرت على المستحق لهـا وهو الله فهو التوحيد، وان صرف منها نوع فأكثر لغير الله فهو شرك بالله، قال الله تعالى (ان الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء) والصحابة رضي الله عنهم قد تمسكوا بما علموه من حال نبيهم ﷺ من تحقيق التوحيد وحمايته عن الشرك . فقد ثبت عن حذيفة بن اليمان صاحب رسول الله ﷺ انه رأى رجلا في يده خيط من

الحمى فقطعه وتلا قوله (وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون)

ومن المعلوم ان الشرك في عصر الصحابة رضي الله عنهم كان قليلا جداً فاذا رأوا شيئامنه أعظموه وأنكروه، وحذيفة رضي الله عنه استدل بهذه الآية الكريمة على ان هذا شرك بالله ، فأين هذا مما وقع فيه أكثر الناس اليوم من طلب النفع ودفع الضر من الاموات الذين لا احساس لهم بما يطلبه الداعي منهم ولم يدفعوا عن أنفسهم فضلا عن غيرهم .

وأما التابعون للصحابة واتباعهم فانهم سلكوا سبيل النبي ﷺ فانهم أبدوا وأعادوا في انكار ماحدث من الشرك ، فقد ثبت عن سعيد بن جبير رضي الله عنه انه قال: من قطع تميمة من انسان كانت كعدل رقبة . فانظر الى هذا التشديد من هذا الامام في تعليق التميمة.

فأين هذا مما قرر المجيب جوازه من التعلق بأرواح الاموات التي لا يعلم مستقرها الا الله ولا تنفع ولا تضر (قل أندعوا من دون الله مالا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على اعقابنا بعد إذ هدانا كالذي استهوته الشياطين في الارض حيران له اصحاب يدعونه الى الهدى ائتنا، قل ان هدى الله هو الهدى وأمرنا لنسلم لرب العالمين)

وقد عرفت ان الاسلام لرب العالمين هو اسلام الوجه والقلب باخلاص العبادة بجميع أنواعها لله تعالى ، فمن صرف شيئا من العبادة لغير الله فقد أشرك بالله ، قال الله تعالى (ضرب لكم مثلا من أنفسكم هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء فيما رزقناكم فأنتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم؟ كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون * بل اتبع الذين ظلموا اهواءهم بغير علم فمن يهدي من أضل الله وما لهم من ناصرين * فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون) الآيات

فيا له من بيان ماأوضحه وحجة ماأقطعها للشرك. والحمد لله الذي هدانا لهذا

وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله (قل يأيها النـاس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنـين * قل بفضل الله وبرحمتـه فبذلك فليفرحوا هو خير ممـا يجمعون) ولقد أحسن من قال في بيان التوحيد أي توحيد الالهية:

فالقصد وجه الله بالأقوال وا لأعمـال والطاعات والشكران

فبذاك ينجو العبد من اشراكه ويصير حقا عابد الرحمن

وبهذا يعلم ان الشرك بالله مسبة لله وتنقيص له ورغبة عنه الى غيره وهضم لربوبيته تعالى فعظم هؤلاء الجاحدون لتوحيدالله مخلوقه وعبده لتنقصهم لله تعالى ومسبتهم له بزعمهم ان معبوديهم صالحون وأولياء، فأنزلوهم منزلة الله وسلبوا لهم حقه، والنبي والصالح حقه متابعته فيما هو فيـه من التوحيد والعمل الذي صار به صالحا ، فلم يقتدوا بهم في الدين ولا في العمل فأخذوا حقهم من الاقتداء بهم في الدين واتباعهم وحرفوه لجهال المتفاسفة ومن أخذ عنهم كشارح المشارق وأمثاله من المحرفين .

(الوجه السابع) ان مما يبين خطأ المجيب وضلاله مع ماتقدم من الأوجه ماأخرجه الترمذي بسنده عن ابي واقد الليثي قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ الى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر والمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها اسلحتهم يقال لها ذات أنواط ، فمررنا بسدرة، فقلنا: يارسول الله اجعل لنا ذات انواط كما لهم ذات انواط ، فقال النبي ﷺ «الله أكبر ، انها السنن، قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو اسرائيل لموسى(اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون * إن هؤلاء متبر ماهم فيه وباطل ما كانوا يعملون * قال أغير الله ابغيكم إلهاً وهو فضلكم على العالمين)لتركبن سنن من كان قبلكم » وفي هذا الحديث من الفوائد ان التبرك بالاشجار ونحوها شرك وتأليه لغير الله ، ولهذا شبه قولهم

« اجعل لنا ذات انواط» بقول بني اسرائيل اجعل لنا إلهاً .

ومنها ان حقيقة الشيء لاتتغير بتغير الاسم ، ومنها خطر الشرك والجهل ، فكادوا ان يقعوا في الشرك لما جهلوه ، فاذا كان هذا في عهد النبوة واقبال الدين فكيف لايقع بعد تقادم العهد وتغير الاحوال واشتداد غربة الدين .

ومنها مشابهة هذه الامة لاهل الكتاب فيما وقع منهم كما في الحديث الآخر « لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه» قالوا يارسول الله اليهود والنصارى ؟ قال «فمن » فاذا تبين ان التعلق بالاشجار ونحوها عبادة لها من دون الله ووضع للعبادة في غير موضعها فلا فرق بين ان يصرف لشجرة أو قبر أو غير ذلك .

ومعلوم ان الشجر له حياة بحسبه مطيع لربه يسبح بحمده ، وما عبدت اللات والعزى ومنات إلا بمثل ذلك التعلق والاعتقاد ، قال مجاهد : اللات ، كان رجلا صالحا يلت السويق للحاج فمات فعكفوا على قبره ، وكذا قال ابو الجوزاء عن ابن عباس. وصح عن النبي ﷺ انه قال « بدأ الاسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدا ، فطوبى للغرباء» فقد والله اشتدت غربة الاسلام حتى عاد الشرك بالله دينا وقربة يتقرب به الى الله وهو أعظم ذنب عصي الله به كما قال تعالى (لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم) وقال (انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من انصار) وقال (ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق)

(الوجه الثامن) ان هذا الذي أجازه هذا المجيب هو بعينه قول الفلاسفة المشركين فانهم قالوا : ان الميت المعظم الذي لروحه قرب ومزية عند الله لاتزال تأتيه الالطاف من الله ، وتفيض على روحه الخيرات ، فاذا علق الزائر روحه به

وأدناها منه فاض من روح المزور على روح الزائر من تلك الالطاف بواسطتها، كما ينعكس الشعاع من المرآة الصافية والماء ونحوه على الجسم المقابل له قالوا فتمام الزيارة أن يتوجه الزائر بوجهه وقلبه وروحه إلى الميت ويعكف بهمته عليه ويوجه قصده كله واقباله عليه، بحيث لايبقى فيه التفات إلى غيره، فكلما كان جمع الهمة والقلب عليه أعظم كان أقرب إلى انتفاعه به وشفاعته له

قال ابن القيم رحمه الله: وقد ذكر هذه الزيارة على هذا الوجه ابن سينا والفارابي وغيرهما، وصرح بها عباد الكواكب في عبادتها وقالوا: إذا تعلقت النفس الناطقة بالارواح العلوية فاض عليها منها النور، وبهذا السر عبدت الكواكب، واتخذت لها الهياكل، وصنفت لها الدعوات، واتخذت الاصنام المجسدة لها، وهذا بعينه هو الذي أوجب لعباد القبور اتخاذها أعياداً، وتعليق الستور عليها، واتخاذ السرج وبناء المساجد عليها، وهو الذي قصد رسول الله ﷺ ابطاله ومحوه بالكلية وسد الذرائع المفضية اليه، فوقف المشركون في طريقه وناقضوه في قصده، وكان النبي ﷺ في شق وهؤلاء في شق، هذا الذي ذكره هؤلاء المشركون في زيارة القبور والشفاعة التي ظنوا أن آلهتهم تنفعهم بها وتشفع لهم عند الله، قالوا فان العبد إذا تعلقت روحه بروح الوجيه المقرب عند الله وتوجه بهمته اليه، وعكف بقلبه عليه، صار بينه وبينه اتصال يفيض به عليه نصيب مما يحصل له من الله، وشبهوا ذلك بمن يخدم ذا جاه وحظوة يقرب من السلطان فهو شديد التعلق به فيما يحصل لذلك من السلطان من الانعام والافضال، ينال ذلك المتعلق منه بحسب تعلقه وهذا شر عبادة الاصنام، وهو الذي بعث الله رسله وأنزل كتبه بابطاله وتكفير أصحابه، ولعنهم وإباحة دمائهم وأموالهم، وسبي نسائهم وذراريهم، وأوجب لهم النار. والقرآن من أوله إلى آخره مملوء من الرد على أهله وابطال مذهبهم. انتهى

(قلت) وتأمل ماذكره الله في سورة (يس) من قوله (وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى قال ياقوم اتبعوا المرسلين * اتبعوا من لا يسألكم أجراً وهم مهتدون * ومالي لاأعبد الذي فطرني واليه ترجعون * أأتخذ من دونه آلهة ان يردن الرحمن بضر لاتغن عني شفاعتهم شيئاً ولا ينقذون * إني إذاً لفي ضلال مبين) الآية ففي هذه الآية العظيمة وما في معناها مايكفي ويشفي في ابطال هذا المذهب الخبيث من تعلق أهل الاشراك بغير الله ، وافترائهم على الله ، واضلالهم العباد عن توحيد الله، والتوجه اليه وحده بالاخلاص الذي هو دينه الذي لا يرضى لعباده ديناً سواه ، كما قال تعالى (انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصاً له الدين ألا لله الدين الخالص * والذين اتخذوا من دونه أولياء مانعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ان الله يحكم فيما هم فيه يختلفون * إن الله لايهدي من هو كاذب كفار)

ففرق تعالى في هذه الآية بين دينه الذي أرسل به رسله وأنزل به كتبه ، ودين هؤلاء المشركين الذي أنكره عليهم ، وأكذبهم فيمازعموه، وأكفرهم بما انتحلوه واعتمدوه من الشرك العظيم الذي لايحبه ولا يرضاه ، وينكره ويأباه كما قال تعالى (ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حباً لله * ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعاً وأن الله شديد العذاب * إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الاسباب) والاسباب هي الوصلة والمودة التي كانت بين العابد والمعبود . أخبر سبحانه انها تتقطع يوم القيامة (وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرءوا منا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وماهم بخارجين من النار) فهذا مايؤول اليه أمر هؤلاء المشركين يوم القيامة . ونظائر هذه الآية كثير في القرآن كقوله (وقال إنما اتخذتم من دون الله أوثانا مودة بينكم في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا ومأواكم النار ومالكم من ناصرين)

فتأمل مايؤول اليه أمر أهل هذه التوجهات والتعلقات بغير الله من كفرهم بمن تعلقوا عليهم ، ولعنهم لهم وجزائهم عند الله بعذاب النار وغير ذلك مما أخبر به تعالى عن أحوالهم ، فلا شافع يشفع لهم ولا ناصر ينصرهم فعادت تلك التعلقات الشركية والهمم الشيطانية ، والاماني الكاذبة عليهم حسرة ووبالا .

هذا ماتيسر تعليقه بحمد الله في هدم أصول هؤلاء المشركين ، وفيه الكفاية لمن نور الله قلبه ، ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور وصلى الله على سيد المرسلين وامام المتقين محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا

***

نصائح وفتاوى فقهية للشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمه الله وأحسن اليه

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الرحمن بن حسن إلى الاخوان صالح بن محمد الشثري وزيد بن محمد آل سليمان واخوانهم سلمهم الله تعالى

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد : فموجب الخط ابلاغكم السلام ، والسؤال عن الحال ، جعلنا الله وإياكم ممن عرف الحق فاتبعه ، وقابل النعم بشكرها وقد خطيت لك في أول رمضان خطاً أراد الله ان الطروش(١) فاتونا ولا راح ، مضمونه بعض الاشارات النافعة ، منها اني أوصيك بتدبر أنوار الكتاب التي هي أظهر من الشمس في نحر الظهيرة ، ليس دونها قتر ولا سحاب ، لاسيما دوال التوحيد والتفكر في مدلولاته ولوازمه وملزوماته ومكملاته ومقتضياته ثم التفطن

(١) الطروش هم المسافرون

فيما يناقضه وينافيه من نواقضه ومبطلاته ، فالخطر فيه شديد ولا يسلم منه إلا من وفق للصبر والتأييد ، والفعل الحميد ، والقول السديد ، وخالط قلبه آيات الوعد والوعيد ، وعرف الله باسمائه وصفاته التي تجلو الريب والشك عن قلب كل مريد واعتصم بها عن كل شيطان مريد (ان بطش ربك لشديد * انه هو يبدىء ويعيد * وهو الغفور الودود * ذو العرش المجيد * فعال لما يريد) الآيات فقد عمت البلوى بالجهل المركب والبسيط (والله بما يعملون محيط)

فالله الله في التحفظ على القلب بكثرة الاستغفار من الذنب ، جعلنا الله وإياكم ممن نجا من ظلمة الجهالة ، وأخلص لله أقواله وأعماله ، وبلغ حمد والعيال والاخوان السلام ومن لدينا العيال والاخوان بخير وينهون السلام وأنت سالم والسلام

نصيحة في الزجر عن طلب العلم لغير الله

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الرحمن بن حسن إلى الاخ فايز بن علي واخوانه من طلبة العلم سلمهم الله تعالى

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد : وصل خطك وصلك الله بما يرضيه والذي أوصيكم به جميعاً ونفسي بتقوى الله تعالى ، والاخلاص لوجهه الكريم في طلب العلم وغيره لتفوز بالاجر العظيم ، وليحذر كل عاقل أن يطلب العلم للمباراة والمباهات فان في ذلك خطراً عظيما ، ومثل ذلك طلب العلم لغرض الدنيا أو لجاهها ، والترؤس بين أهلها ، وطلب المحمدة وذلك هو الخسران المبين ، ولو لم يكن في الزجر عن ذلك الاقول الله تعالى (من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون * أولئك الذين ليس لهم في الآخرة

إلا النار وحبط ماصنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون) وفي حديث أنس مرفوعاً « من تعلم العلم ليباهي به العلماء أو ليماري به السفهاء ، أو ليصرف به وجوه الناس اليه فهو في النار » وهذا القول كاف في النصيحة وفقنا الله وايا كم لحسن القبول

وقد بلغني انكم اختلفتم في مسائل أدى إلى النزاع والجدال، وليس هذا شأن طلاب الآخرة ، فاتقوا الله وتأدبوا بآداب العلم ، واطلبوا الثواب من الله في تعلمه وتعليمه ، وأتبعوا العلم العمل فانه ثمرته في حصوله، كما في الاثر «من عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم » وكونوا متعاونين على البر والتقوى

ومن علامة اخلاص طالب العلم أن يكون صموتا عما لا يعنيه ، متذللا لربه متواضعاً لعباده، متورعا متأدبالا يبالي ظهر الحق على لسانه أو لسان غيره ، ولا ينتصر لنفسه ولا يفتخر ولا يحقد ولا يحسد ، ولا يميل به الهوى، ولا يركن إلى زينة الدنيا

* * *

وأما المسئلة الاولى وهي :هل يصح من الحائض إذا قدمت مكة أن تسعى قبل الطواف أم لا

(الجواب) لا يصح السعي إلا بعد طواف صحيح لنسك من الانساك ، أما المفرد والقارن فسعيهما بعد طواف القدوم مجزيء لحجتهما كما يجزيء للقارن لعمرته وأما المتمتع فيسعى بعد طواف العمرة لها ولا يجزئه للحج الا ان يسعى بعد طواف الافاضة

قال بعضهم : يطوف للقدوم ويسعى بعده ،والمختار انه لا يطوف للقدوم وليس إلا طواف الزيارة ، وعليه أن يسعى بعده للحج فان سعى قبله لم يجزه

قالوا ويجب أن يكون السعي بعد طواف واجب او مستحب ، هذا كلام الحنابلة لا اختلاف بينهم في ذلك ، وقال الشافعية لو سعى ثم تيقن انه ترك شيئا من الطواف لم يصح سعيه فيلزمه ان يأتي ببقية الطواف ، فاذا أتى ببقيته أعاد

السعي ، نص عليه الشافعي ، وبنحوه قال مالك وأبو حنيفة . ومما يستدل لذلك حديث عائشة وفيه « فلما كنا في بعض الطريق حضت فدخل علي رسول الله ﷺ وأنا ابكي فقال ما يبكيك ؟ قلت وددت أني لم اكن خرجت العام ، فقال: ارفضي عمرتك وانقضي رأسك وامتشطي ، وأهلي بالحج » ومعنى ارفضي العمرة رفض أعمالها ، فلو صح سعي قبل الطواف لما منع منه حيضها كما لا يمنع من سائر المناسك . والله أعلم

وأما السؤال الثاني عن قوله ﷺ في شأن الرجل الذي صلى بالتيمم فلم يعد لما وجد الماء « أصبت السنة وأجزأتك صلاتك » وقال للذي أعاد « لك اجرك مرتين » فلا شك ان الذي لم يعد اصاب الحكم الشرعي بدليل قوله ﷺ « اصبت السنة وأجزأتك صلاتك » واما الذي اعاد فهو مجتهد فيما فعل فأثيب على الصلاة الاولى والثانية لكونه صلى الثانية مجتهداً فأثيب على اجتهاده للصلاة الثانية كما اثيب على الصلاة الاولى

ومن المعلوم ان الفريضة افضل من التطوع من جنسه او غير جنسه الا في اربعة اشياء ذكرها الجلال السيوطي ضمنها بيتين والاخير لمحمد الخلوتي الحنبلي

الفرض أفضل من تطوع عابد حتى ولو قد جاء منه باكثر
إلا التوضؤ قبل وقت وابـ تداء بالسلام وإبرا المعسر
وكذا ختان المرء قبل بلوغه تمم به نظم الامام المكثر

وأما السؤال الثاني فيمن نوى جمع التأخير حيث يجوز الجمع فدخل وقت الثانية قبل أن يصلوا إلى الماء فالافضل في حقهم أن يؤخروا الصلاة الى ان يصلوا الى الماء مالم يدخل وقت الضرورة فان صلوا قبل وصولهم اليه أجزأتهم الصلاة بالتيمم ولا اعادة عليهم. وقول السائل فهل يكون وقت الاختيار للثانية وقتا للاولى أم لا؟

(الجواب) نعم يكون وقتا لهما في حق من يجوز له الجمع اذا نواه . فتنبه والله أعلم وصلى الله على محمد وسلم

﴿ فتاوى فقهية في خروج النساء ولبس الحرير وغير ذلك ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الرحمن بن حسن الى الاخ علي بن فواز سلمه الله تعالى سلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد فهذا جواب السائل : أما خروج النساء من البيوت بالزينة فيحرم مخافة الفتنه بالنساء فانهن فتنة لكل مفتون

وأما الدف فيحصل الاعلام بضربه في الزفاف وقبل الدخول في وقت من النهار ، وأما ضربه في الليل ففيه من المفاسد مالايخفى ، ومن أقرهم على ذلك ممن له قدرة على منعهم فقد ظلم نفسه ،

وأما الاحتكار فاذا شراه أحد من الاسواق ينتظر الغلاء فهو احتكار

وأما خلط البر بالشعير للبيع فلا يجوز لما ورد في ذلك من الآثار التي رواها ابن ابي شيبة في مسنده ،

وأما تلقي الركبان للشراء منهم ما جلبوه فيلزم منعهم من ذلك ، وأما التزعفر فقد ورد مايدل على جوازه فلا ينكر والحالة هذه

وأما مذهب الخوارج فانهم يكفرون أهل الايمان بارتكاب الذنوب ماكان منها دون الكفر والشرك ، وانهم قد خرجوا في خلافة علي رضي الله عنه ، وكفروا الصحابة بما جرى بينهم من القتال ، واستدلوا على ذلك بآيات وأحاديث لكنهم أخطأوا في الاستدلال. فما دون الشرك والكفر من المعاصي فلا يكفر فاعله ، لكنه ينهى عنه اذا أصر على كبيرة ولم يتب منها فيجب نهيه والقيام عليه وكل منكر يجب انكاره ، من ترك واجب أو ارتكاب محرم لكن لايكفر إلا من فعل مكفراً دل الكتاب والسنة على انه كفر ، وكذا ماتفق العلماء على ان

من فعله أو اعتقده كفر كما اذا جحد وجوب ماهو معروف من الدين بالضرورة أو استحل ماهو معروف بالضرورة انه محرم . فهذا مما أجمع العلماء على انه كفر اذا جحد الوجوب إلا اذا ترك الصلاة تهاونا وكسلا ، فالمشهور في مذهب أحمد انه يستتاب فان تاب وإلا قتل كافراً ، وأما الثلاثة فلا يكفرونه بالترك ، بل يعدونه من الكبائر ، وكذلك اذا فعل كبيرة كما تقدم ولا يكفر عند أهل السنة والجماعة الا اذا استحلها

وأما السفر إلى بلاد المشركين للتجارة فقد عمت به البلوى وهو نقص في دين من فعله لكونه عرض نفسه للفتنة بمخالطة المشركين فينبغي هجره وكراهته فهذا هو الذي يفعله المسلمون معه من غير تعنيف ولا سب ولا ضرب ، ويكفي في حقه اظهار الانكار عليه وانكار فعله ولو لم يكن حاضراً ، والمعصية اذا وجدت أنكرت على من فعلها أو رضيها اذا اطلع عليها

وأما المعاصي التي فيها الحدود فلا يقيمه إلا الامام او نائبه ،وأما الحدود اذا بلغت السلطان فالمراد بالسلطان الائمة والقضاة كمن يستنيبهم الامام ويوليهم في بلدهم وذكرت في جوابي للربع (١) إلي في خاطري مما يوجب اجتماع الكلمة والسلام

قوله ﷺ « الدين النصيحة »

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الملك العلام ، ذي الجلال والاكرام ، أحمده ان منّ علينا بالاسلام وأشهد ان لا إله الا الله وحده لاشريك له ذو الطول والانعام ، وأشهد ان محمداً عبده ورسوله الذي أكمل به الشرائع والاحكام ، وجعله مبيناً لحدود الحلال والحرام ، اللهم صل على محمد وأصحابه هداة الانام وسلم تسليما

(١) هم جماعة الرجل وأصحابه

أما بعد . فانه قد صح عن النبي ﷺ من حديث تميم الداري رضي الله عنه انه قال « الدين النصيحة ثلاثا » قلنا لمن يارسول الله ؟ قال « لله ، ولكتابه ، ولرسوله ، ولأئمة المسلمين وعامتهم » رواه مسلم ، فما أعظم شأن هذا الحديث وأنفعه لمن عقله ورزق العمل به . ولقد أحسن من قال :

لقد نصحت لأقوام وقلت لهم ... أنا النذير فلا يغرركم أحد

وقد بعث الله محمداً ﷺ بالهدى ودين الحق ليخرج الناس من الظلمات إلى النور باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد ، وأوجب على الخلق طاعته واتباعه كما قال سبحانه (قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فان تولوا فانما عليه ما حمل) الآية ، وقال تعالى (فليحذر الذين يخالفون عن أمره) الآية ، وقال فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه) الآية

قال شيخ الاسلام : الايمان به تصديقه وطاعته واتباعه انتهى. والآيات في هذا المعنى كثيرة جداً

فاذا عقلت هذا الاصل فاعلم أن الاحاديث قد تظاهرت عن رسول الله ﷺ بالنهي عن الحرير وتحريمه على ذكور هذه الامة. فقد أخرج البخاري ومسلم والنسائي عن حذيفة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « لاتلبسوا الحرير ولا الديباج ، ولا تشربوا في آنية الذهب والفضة، ولاتأكلوا في صحافهما فانها لهم في الدنيا ولكم في الآخرة »

وأخرج الامام احمد والترمذي والنسائي عنه عن ابي موسى رضي الله عنه ان النبي ﷺ قال « أحل الذهب والحرير لاناث أمتي وحرم على ذكورها »

وأخرج ابو داود والنسائي وابن ماجه عن علي رضي الله عنه قال : رأيت رسول الله ﷺ أخذ حريراً فجعله في يمينه ، وذهباً فجعله في شماله ثم قال « ان هذين حرام على ذكور أمتي » وأحاديث هذا الباب يتعذر استقصاؤها فننبهت ببعضها على نوعها

وقد حكى الاجماع على تحريم الحرير على الذكور غير واحد من الائمة إلا ما ستثناه الشارع، كما في حديث عمر، وهو عند البخاري ومسلم وأهل السنن عن أبي عثمان النهدي « أتانا كتاب عمر ونحن مع عقبة بن فرقد باذربيجان ان رسول الله ﷺ نهى عن الحرير الا هكذا ـ وأشار بأصبعيه اللتين تليان الابهام ـ قال فيما علمنا انه يعني الاعلام » ولابي داود في الحديث « نهى عن الحرير الا هكذا وهكذا أصبعين او ثلاث او اربع » وبهذا الحديث احتج أهل العلم على انه لا يباح من الحرير في الثوب ونحوه الا مقدار اربع أصابع

قال في الفروع : ويباح منه العلم اذا كان اربع أصابع مضمومة فأقل ونص عليه انتهى ، وقال في المبدع : ويباح العلم الحرير وهو طراز الثوب اذا كان اربع أصابع مضمومة فما دون، نص عليه ، وجزم به في المغني والشرح ، وقال في الانصاف ويباح علم الحرير في الثوب اذا كان اربع اصابع فما دون

وقال في جمع الجوامع : ولبنة الجيب وسجف الفراء كالعلم في الاباحة والقدر . وفي حاشية المنتهى على قول المصنف : لا فوق أربع أصابع . يعني ان ما ذكر من العلم والرقاع والسجف ولبنة الجيب انها تباح إذا كان اربع اصابع معتدلة مضمومة فما دون لا ان كان أكثر منها انتهى

وهذا الذي ذكره هؤلاء كغيرهم من الفقهاء انما هو فيما إذا كان الحرير مفرداً متميزاً سواء كان منسوجا في الثوب كالعلم او مجعولا فيه بعد النسج كلبنة الثوب والسجف ، وسواء كان مفرقا او مجموعاً ، وكذا إذا كان مشوبا بغيره على الصحيح المعتمد عند جمع من كبار الائمة المحققين ، كما صرح به شارح المنتقى ونقله عن تقي الدين بن دقيق العيد .

قال الشارح : وقد عرفت مما سلف من الاحاديث الواردة في تحريم الحرير بدون تقييد والظاهر منها تحريم ماهية الحرير سواء وجدت منفردة أو مختلطة

بغيرها ، ولا يخرج عن التحريم إلا ما استثناه الشارع من مقدار الاربع الاصابع من الحرير الخالص سواء وجد ذلك القدر مجتمعاً كما في القطعة الخالصة او متفرقا كما في الثوب المشوب

وقد نقل الحافظ في الفتح عن العلامة ابن دقيق العيد انه انما يجوز من المخلوط ما كان مجموع الحرير فيه اربع أصابع لو كانت منفردة بالنسبة الى جميع الثوب اه

(قلت) وقد قرن هذا الحافظ في فتح الباري بأدلته فقال: واستدل بالنهي عن لبس القسي على منع لبس ماخالطه الحرير من الثياب لتفسير القسي بانه ماخالط غير الحرير فيه الحرير ، ويؤيده عطف الحرير على القسي في حديث البراء . ووقع كذلك في حديث علي عند احمد وأبي داود والنسائي بسند صحيح على شرط الشيخين من حديث عبيدة بن عمرو عن علي (رض) قال «نهى رسول الله ﷺ عن القسي والحرير » فعلى هذا يحرم الذي يخالطه الحرير اه

فهذا حافظ الدنيا في عصره صرح بتحريم لبس ما خالطه الحرير وهذا مقتضى الدليل . وقال البخاري في صحيحه : قال عاصم عن ابي بردة قلنا لعلي ما القسية؟ قال « ثياب أتتنا من الشام اومصر مضلعة فيها حرير ، وفيها امثال الاترج» وقال جرير عن يزيد «ثياب مضلعة يجاء بها من مصر فيها الحرير » ثم ساق بسنده حديث البراء بن عازب قال «نهانا النبي ﷺ عن المياثر الحمر والقسي» وفي رواية له « ونهانا عن لبس الحرير والديباج والقسي والاستبرق ومياثر الحمر » اه

وقال النسائي: القسي ثياب من كتان مخلوط بحرير يؤتى بها من مصر نسبت الى قرية على ساحل البحر قريب من تنيس يقال لها القس بفتح القاف اه وقال أبو عبيد هي ثياب يؤتى بها من مصر فيها حرير . قال في جمع الجوامع : قال شيخ الاسلام : وقد اتفقوا كلهم على انها ثياب فيها حرير وليست بحرير مصمت اه

وأخرج البخاري وأبو داود والنسائي عن عمر رضي الله عنه انه رأى حلة

سير اءتباع فقال يا رسول الله، لو ابتعتها تلبسها للوفد اذا أتوك والجمعة ؟ فقال : « انما يلبس هذا من لا خلاق له في الآخرة » قال ابو داود والنسائي : السيراء المضلع بالقز ، وقال في النهاية : السيراء بكسر السين وفتح الياء والمدنوع من البرود يخالطه حرير كالسيور . وأخرجه الائمة من حديث علي رضي الله عنه

قال شيخ الاسلام رحمه الله تعالى: حديث السيراء والقسي يستدل به على تحريم ماظهر فيه الحرير لان مافيه خيوط أو سيور لابد أن تنسج مع غيرها من الكتان والقطن . فالنبي ﷺ حرمها لظهور الحرير فيها ولم يسأل هل وزن ذاك الموضع من الكتان والقطن أكثر أم لا ، مع ان عادته انه أقل. انتهى .

وقال : والمنصوص عن احمد وقدماء الاصحاب إباحة الخز دون الملحم وغيره اه من جمع الجوامع .

ومما يدل لما قرره هؤلاء الائمة الحفاظ ماأخرجه البزار والطبراني عن معاذ ابن جبل رضي الله عنه قال: رأى رسول الله ﷺ جبة مجيبة بحرير فقال « طوق من نار يوم القيامة » قال الحافظ المنذري : رواته ثقاة ، مجيبة بضم الميم وفتح الجيم بعدها ياء مثناه تحت مفتوحة ثم باء موحدة أي لها جيب من حرير وهو الطوق انتهى .

وبهذا يتبين لك ان هذه المحارم المسماة بأخضر قز ونحوها لايجوز استعمالها للذكور مطلقا لما فيها من الحرير الخالص الزائد على أربع أصابع بأضعاف كثيرة من باب الاضافة البيانية وتعريفها بأخضر قز من الاضافة البيانية

والقز من الحرير فلا يجوز استعمال ماظهر فيه الحرير اذا زاد على القدر المستثني في حديث عمر وتقدم تقريره . اللهم اجعلنا ممن يقبل هداك ويتبع رضاك

ولقد أحسن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه حيث يقول : لا عذر لأحد بعد السنة في ضلالة ركبها يحسب انه على هدى .

وقال أبو الوفاء بن عقيل في الفنون : من أعظم منافع الاسلام وآكد قواعد الاديان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتناصح. فهذا أشق ما تحمله المكلف لانه مقام الرسل ، حيث يثقل صاحبه على الطباع ، وتنفر منه نفوس اهل اللذات ، ويمقته اهل الخلاعة ، وهو احياء السنن وإماتة البدع - الى أن قال : لو سكت المحقون ونطق المبطلون لتعود السوى ماشاهدوا وأنكروا مالم يشاهدوا ، فمتى رام المتدين إحياء سنة أنكرها الناس فظنوها بدعة .وقد رأينا ذلك في جمع الجوامع

وكلما حرم من الثياب وغيرها حرم بيعه وخياطته وأجرته نص عليه كبيع عصير لمن يتخذه خمرا .

قال : ويحرم بيع الحرير والمنسوج بالذهب والفضة للرجل قطع به جماعة من اصحابنا . والمراد به اذا كان يلبسه وكذا خياطته وأخذ أجرتها ، وذكر ابن أبي المجد ماحرم استعماله من حرير ومصور وغيرهما حرم بيعه وشراؤه وعمله وأخذ اجرته لاعانته على الاثم. انتهى.

وما أحسن ماقال شيخ الاسلام ابن تيمية رضي الله عنه : ثم لو فرض أنا علمنا إن النـاس لايتركون المنكر ولا يعرفون بأنه منكر لم يكن ذلك مانعاً من ابلاغ الرسالة وبيان العلم ، بل ذلك لايسقط وجوب الابلاغ ولا وجوب الامر والنهي في احدى الروايتين عن احمد وقول كثير من اهل العلم اه . وبه تمت الرسالة والله المستعان ، وصلى الله على أشرف المرسلين محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(تقريظ للرسالة الماضية)

في حكم الحرير ، لبعض الافاضل

نظرت في هذه الرسالة لوحيد دهره وفريد عصره شيخنا الشيخ عبد الرحمن ابن حسن فرأيت صحة ماضمنها من تحريم المحرمة المسماة بأخضر قز وفقنا الله واياه للصواب ، قال ذلك وكتبه عبد الله بن عبد الرحمن ابا بطين . ونقل ذلك

حمد بن عبد الله المذكور من نقل عبد الله المسطور . وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

ماذكره شيخنا الشيخ عبد الرحمن بن حسن في هذه الرسالة من حظر المحرمة المسماة بأخضر قز هو الصواب جزاه الله عن المسلمين خيراً ، أملاه ابراهيم ابن سيف وكتبه ابنه ونقله حمد بن عبد الله من كلام شيخه من نقل ابنه رفع الله لنا ولهم ولمشايخنا ولأئمتنا وعامة اخواننا المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الدرجات العلى ، وأسكننا أعلى الفردوس مع نبيه المصطفى ، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿ الكتب التي يؤخذ منها التوحيد والنهي عن الحرير ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الرحمن بن حسن الى من يراه من الاخوان سلام عليكم ورحمة الله وبركاته

(وبعد) طلبنا أخوكم سعد بن كسران الفائدة في أصل الدين فأجبناه ، فأحسن ما نجد في بيان اصل الدين في الآيات المحكمات . فتدبر ما قص الله تعالى عن رسله وما دعوا اليه من بعثوا اليهم يتبين لك أصل الدين وما ينافيه من الشرك

وذكر شيخ الاسلام رحمه الله تعالى في كتاب التوحيد على اختصاره كثيراً من الأدلة المعرفة بأصل الدين ، كذلك كتاب كشف الشبهات وأربع القواعد ومعنى شهادة أن لا إله إلا الله . فأوصيك بالاشتغال والمطالعة في كتبه وتأمل ما فيها من الأدلة .

وأما المحرمة التي أخضرها حرير فلا شك في انها حرام ، فان رسول الله ﷺ نهى عن لبس الحرير فقال « انما يلبس هذا من لا خلاق له في الآخرة » وقال « من لبسه في الدنيا لم يلبسه في الآخرة » وفي الصحيح انه أخذ حريراً

فجعله في يمينه وذهبا فجعله في يساره ثم قال « ان هذين حرام على ذكور أمتي »

وفي حديث عمر نهى عن الحرير الا موضع أصبعين أو ثلاثة أو أربعة ، وبعد الاستثناء يقتصر على القدر المستثنى ، فما زاد على الاربع الاصابع حرام ، سواء كان مفرقا أو مجتمعاً كما عليه جماهير العلماء وهو ظاهر الاحاديث وفيها مايدل على المنع منه وإن لم يكن مجموعا . فاجتنب هذه المحرمة فانها محرمة ، فان كان عندك شيء منها فلا تبعها على مسلم ، بعها في غير بلاد المسلمين

هذا وبلغ سلامنا الاخوان ، وكاتبه وخواص الاخوان يسلمون عليكم وأنتم سالمين وسلام ، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿ فتاوى ومسائل فقهية ـ في الطلاق الثلاث وغيره ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد . هذه مسائل سأل عنها ابراهيم بن عبيد الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله، فمنها إذا قال إنسان لزوجته الله يرزقك بالثلاث ناويا الطلاق لكنه لم يرد الثلاث

(الجواب) تقع الثلاث ولا يقبل قوله انه لم يردها مع وجود اللفظ منه والله أعلم

وسئل عن سكوت المرأة عن بيع نصيبها من العقار هل يوجب صحة البيع أم لا الخ

(الجواب) لا يجب به بيعاً لعدم وجود الرضا منها صريحاً ، وهي على ملكها والمشتري يرجع على من باعه سواء أدرك منه الثمن أم لا ، والمرأة لا رجوع عليها والحالة هذه ، وما استغل من عقارها رده اليها أو مثله ان تلف

وأما طلبها بالشفعة في نصيب الباقي من الشركاء فان كان قد تقدم منها طلب بالشفعة وقت البيع فلم تجب لوجود معارض فلها الشفعة. أما إذا لم تطلب أو طلبت

ولا معارض فأعرضت رغبة عنه سقطت شفعتها ، فحقق الواقعة وانظر فيها ، فان ظهر لك أحد الامرين وإلا فالتوقف أسلم والله أعلم

***

﴿ وهذه مسائل ﴾ (الاولى) إذا قال الرجل لامرأته: الله يرزقك وطلعت من العدة فلا له طريق عليها الاهلاك ، وأيضاً إن كان الرجل القائل لحرمته الله يرزقك ثلاث مرات ، ونيته أنها ثلاث طلقات فلا له طريق إلا عقب ماتأخذ رجل آخر ويطلقها

(الثانية) إذا طلق امرأة زوجها الطلاق ، وتبريه من النفقة وطلقها ثم طلبت النفقة ، ان كانت الحرمة مبغضة للرجل يوم يطلقها البغضاء المعروفة ، فلا لها عليه طريق في النفقة ، وإن كان يوم تطلبه الطلاق وهو مضيق عليها ومشين عليها الطبع فنفقتها تلزمه إلى أن تعتد ، وإن كانت حاملا فالى أن تضع

(الثالثة) إذا عصت المرأة وخرجت من بيت الرجل فالمعصية عليها ولا نفقة عليه

(الرابعة) إذا طلق الرجل امرأته الطلقة الثالثة ففيما يظهر مالها عليه نفقة

(الخامسة) اذا كان لرجل امرأتين ، فالتي يأتيها الحيض فهو يقسم لها في وقت الحيض والنفاس ، في عرفنا انها لا تشره عليه[1] انه يقاضيها (السادسة) اذا طلق الرجل امرأته عدد خوص النخل فلا له طريق عليها (السابعة) اذا سلم الامام فقال بعض الجماعة نقص ركعة وبعضهم يقول تامة فهو يعمل بقول الذين عليهم العمل ، وأكثر ظنه إلا إن كان يلحق شك فيعمل بقول الآخرين (الثامنة) اذا قرأ الرجل في الركعتين الاخيرتين غير الفاتحة ساهيا فلا علمنا عليه شيء .

(التاسعة) اذا طلق الرجل امرأته مرة أو مرتين ، ولو قال أنا طايبة نفسي

(١) أي لا تطمع

فهو يراجعها ، فان كانت طالعة من العدة فهو يراجعها ان اشتهته (العاشرة) اذا طلق الرجل امرأته عقب ماتملك قبل أن يدخل بها فلها نصف الجهاز مثل أبناء جنسها .

(الحادية عشرة) اذا قال الرجل لامرأته أنت عليّ مثل أمي فعليه كفارة الظهار (الثانية عشر) اذا قال الرجل عليّ الحرام لأفعل شيء ففعل ما هو حالف عنه فعليه كفارة (الثالثة عشر) اذا رضعت بنت من امرأة وهي أم أربع أو خمس فهي ماتحرم (الرابعة عشر) اذا قال الرجل لامرأته الله يرزقك ثم طلقها طلقتين تتالا فهو ينشد عن نيته هو ناوي ثلاث أو هويبي[1] يسمعها وقصده طلقة واحدة فان كان قصده واحدة فهي تحل له ، والله أعلم . وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

***

وهذ مسائل (الاولى) اذا أصاب ثوب المسافر نجاسة فلم يجد الماء فانه يصلي فيه ، وإن وجد الماء غسله ويزيلها بما استطاع . فان كان عليه ثوب آخر صلى في الطاهر وترك النجس (الثانية) الذي يصلي الرواتب في البر لاينكر عليه والافضل تركه الرواتب إلا الوتر أو سنة الفجر (الثالثة) اذا تنخم الرجل في صلاته فلا يبطلها ان شاء الله تعالى .

أفتى بهذا عبد الله بن الشيخ والله أعلم . وصلى الله على محمد واله وصحبه وسلم

(١) أي يبتغي ويريد

معنى التقوى وتفسير قول الله تعالى

(ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته — الى قوله — وأولئك لهم عذاب عظيم)

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الرحمن بن حسن إلى من يصل اليه هذا الكتاب من الاخوان، وفقنا الله وإياهم لاقامة شرائع الدين، واستعملنا فيما استعمل فيه أهل الايمان واليقين، وجعلنا من الشاكرين لنعمة الاسلام، المثنين بها عليه، ونسأله أن يتقبلها منا، ويتمها علينا بالرغبة فيما يوجب الفوز لديه

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته (أما بعد) فأوصيكم وإياي بتقوي الله تعالى في الغيب والشهادة، قال الله تعالى (ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله) الآية. قال طلق بن حبيب رحمه الله: التقوى ان تعمل بطاعة الله على نور من الله، ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله على نور من الله تخاف عقاب الله

ولا وصية اعظم ولا انفع مما وصى الله به عباده المؤمنين، قال الله تعالى (ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون * واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم اعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون * ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون * ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم)

وينبغي أن نشير إلى بعض ما ورد عن السلف رحمهم الله تعالى في معنى هذه الوصية العظيمة المتضمنة لاصول الدين وما يقوم عليه من الاعمال

فعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه موقوفا — وروي مرفوعا — والموقوف اشهر (حق تقاته) أن يطاع فلا يعصى ، ويذكر فلا ينسى ، ويشكر فلا يكفر ، وأصل الاسلام وأساسه أن ينقاد العبد لله تعالى بالقلب والاركان ، مذعنا له بالتوحيد ، مفرداً له بالالهية والربوبية دون كل ماسواه ، مقدما مراد ربه على كل ما تحبه نفسه وتهواه . وهذا معنى قول النبي ﷺ « الاسلام أن تشهد أن لا إله الا الله وأن محمداً رسول الله ، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت اليه سبيلا » الحديث

وحبل الله دينه الذي أمركم به وعهده اليكم في كتابه من الالفة والاجتماع على كلمة الحق والتسليم لامر الله

قال ابوجعفر ابن جرير رحمه الله تعالى: وهو جامع لكل ما ورد عن السلف في معناه كما روي عن ابن مسعود قال: حبل الله الجماعة، وعن ابي العالية اعتصموا بالاخلاص لله وحده ، وعن ابن زيد قال الحبل الاسلام ، وقيل هو القرآن لما روى ابن مردويه عن ابن مسعود رضي الله عنه قل قال رسول الله ﷺ « ان هذا القرآن هو حبل الله المتين وهو النور المبين ، وهو الشفاء النافع ، عصمة لمن تمسك به ، ونجاة لمن اتبعه »

ثم قال تعالى (ولا تفرقوا) عن عبد الله بن مسعود انه قال « يا ايها الناس عليكم بالطاعة والجماعة فانها حبل الله الذي امر به . وان ما تكرهون في الطاعة والجماعة هو خير مما تحبون في الفرقة »

وأخرج محمد بن نصر المروزي وغيره من حديث عبد الله بن يحيي أبي عامر ان معاوية رضي الله عنه قام حين صلى الظهر بمكة فقال « ان رسول الله ﷺ

قال « ان اهل الكتاب افترقوا في دينهم على ثنتين وسبعين فرقة وان هذه الامة ستفترق على ثلاث وسبعين ملة - يعني الاهواء - كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة » والله يا معشر العرب إن لم تقوموا بما جاء به نبيكم ﷺ لغيركم من الناس أحرى أن لا يقوم به » وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال « اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم فكل بدعة ضلالة »

ثم قال تعالى (واذكروا نعمة الله عليكم) اي اذكروا ما أنعم به عليكم من الالفة والاجتماع على الاسلام حين كنتم أعداء على شرككم يقتل بعضكم بعضاً ، عصبية في غير طاعة الله ولا طاعة رسوله فألف الله بين قلوبكم تواصلون بألفة الاسلام واجتماع كلمتكم عليه

وذكر عن قتادة: كنتم تذابحون يأكل شديدكم ضعيفكم حتى جاء الله بالاسلام فألف به بينكم ، فوالله الذي لا إله إلا هو ان الالفة رحمة ، وان الفرقة لعذاب

وقوله (وكنتم على شفى حفرة من النار فأنقذكم منها) يقول تعالى : وكنتم على طرف جهنم بكفركم الذي كنتم عليه فأنقذكم الله بالايمان الذي هداكم به، وذكر عن قتادة في الآية : كان هذا الحي من العرب أذل الناس ذلا ، وأشقاه عيشاً ، وأبينه ضلالة ، وأعراه جلوداً ، وأجوعه بطونا مكفوفين على رأس حجر بين الاسدين: فارس والروم، لا والله مافي بلادهم يومئذ من شيء يحسدون عليه ، من عاش منهم عاش شقياً ، ومن مات ردي في النار، يؤكلون ولا يأكلون ، والله مانعلم قبيلا يومئذ من حاضر الارض كانوا فيها أصغر حظاً وأدق شأنا منهم حتى جاء الله بالاسلام فورثكم به الكتاب ، وأحل به دار الجهاد ، ووضع لكم به الرزق وجعلكم به ملوكا على رقاب الناس ، وبالاسلام أعطى الله ما رأيتم فاشكروا نعمه فان ربكم منعم يحب الشاكرين ، وان أهل الشكر في مزيد من الله فتعالى ربنا وتبارك

وقوله (كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون) اي يعرفكم في

كل ذلك مواقع نعمه وصنائعه فيكم، ويبين لكم حجته في تنزيله على رسوله ﷺ لتهتدوا الى سبيل الرشاد، وتسلكوها فلا تضلوا عنها .

وقوله (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير) الآية قال ابن كثير في تفسيره : المقصود من هذه الآية أن تكون فرقة من الامة متصدية للقيام بامر الله في الدعوة الى الخير، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر، وان كان ذلك واجباً على كل فرد من الامة بحسبه، كما ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول لله ﷺ « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فمن لم يستطع فبلسانه فمن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان » وفي المسند عن حذيفة أن النبي ﷺ قال « والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أوليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا من عنده ثم لتدعنه فلا يستجيب لكم » انتهى

(قلت) وروى محمد بن نصر من حديث يزيد بن مرثد مرسلا قال : قال رسول الله ﷺ « كل رجل من المسلمين على ثغرة من ثغور الاسلام الله الله لايؤتى الاسلام من قبلك » وروى بسنده عن الحسن بن حي « انما المسلمون على الاسلام بمنزلة الحصن، فاذا أحدث المسلم حدثا ثغر في الاسلام من قبله. فان أحدث المسلمون كلهم فاثبت أنت على الامر الذي لو اجتمعوا عليه لقام الدين لله بالامر الذي أراده من خلقه »

وقوله (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم)

قال ابن عباس في الآية : أمر الله المؤمنين بالجماعة ونهاهم عن الاختلاف والفرقة وأخبرهم أنه انما هلك من كان قبلهم بالمراء والخصومات في دين الله

(قلت) فتأمل كيف نهى الله سبحانه في هذه الآيات عن التفرق في موضعين، وأخبر انه من موجبات العذاب العظيم، وأرشد إلى أسباب الاجتماع على دينه وشرعه.

ومن أعظمها الاعتصام بكتابه ودينه علما وعملا ، واداء شكره ، والقيام بما فرضه على عباده من الدعوة الى الخير والامر بالمعروف والنهي عن المنكر

ومن هنا تعلم ان من أعظم الفساد الاعراض عن كتاب الله وما بعث الله به رسوله من الهدي والعلم. واتباع الاهواء والآراء المضلة. نعوذ بالله من ذلك، فاذا وقع ذلك ترتب عليه من أنواع الفساد مالا يكاد يبلغه الوصف. فمن ذلك الاختلاف في الدين والتحاسد والتدابر والتقاطع، فلا تكاد ترى إلا من هو معجب برأيه ، منتقص لغيره ، مخلد الى الارض عن تعلم العلم وتعليمه

فلو اجب على من أعطاه الله شيئا من العلم ان يبذله لطالبيه ، وأن يقوم بما أوجب الله تعالى عليه من النصيحة لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم، وعلى الخاصة والعامة ان يعظموا كتاب ربهم ودينه وشرعه ، ويقبلوا بكليتهم على ماينفعهم من تعلم دينهم وطاعة ربهم، وترك معاصيه ، وأن يقوموا بما وجب عليهم مع ذلك من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر على علم وبصيرة ، وأن يهتموا بما يصلح ذلك من الاخلاص لله تعالى في أمور دينهم

وعلى من نصح نفسه أن يكون حذراً من الاسباب التي تضعف الايمان ، وتجلب أسباب المآثم والعصيان، من الهلع والطمع والرضاء بالدنيا والاطمئنان بها وفي الحديث « حب الدنيا رأس كل خطيئة »

وأخرج البخاري وغيره من حديث ابي سعيد أن النبي ﷺ جلس ذات يوم على المنبر وجلسنا حوله فقال « ان مما أخاف عليكم من بعدي مايفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها » فقال رجل : يارسول الله أفيأتي الخير بالشر ؟ فسكت النبي ﷺ ، فقيل له ماشأنك تكلم النبي ﷺ ولا يكلمك ؟ فرأينا انه ينزل عليه ، قال فمسح عنه الرحضاء فقال « أين السائل ؟ » وكانه حمده فقال « انه لايأتي الخير بالشر ، وان مما ينبت الربيع يقتل او يلم، إلا آكلة الخضر اذا أكلت

حتى اذا امتدت خاصرتاها استقبلت عين الشمس فثلطت وبالت ورتعت ، وان هذا المال خضرة حلوة ، فنعم صاحبه المسلم ما أعطى منه المسكين واليتيم وابن السبيل» أو كما قال النبي ﷺ « وان من يأخذه بغير حقه كالذي يأكل ولا يشبع فيكون شهيداً عليه يوم القيامة » انتهى

فهذا مثل ضربه رسول الله ﷺ وبين فيه ان من جمع الدنيا او طلبها من غير حلها ، وصرفها في غير حقها ، صارت عليه وبالا ، ومن أجمل في طلبها وأخذها من حلها ، وأدى حق الله فيها ولم يشتغل بها عن طاعة مولاه فانها تكون في حقه نعمة وعطية ، ولغيره محنة وبلية

هذا وقد أعطاكم الله من أصناف نعمه ما تحبون ، وصرف عنكم ماتكرهون ، ابتلاءً وامتحانا لتعرفوا نعمه وتشكروها (وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها)

فانظروا رحمكم الله بماذا تقابلونها ، أبستعمالها في طاعته ودينه ومراضيه ، أم تجعلونها سلما الى الاعراض عن دينه وارتكاب معاصيه ؟ من الظلم والبغي والاشر والبطر ، واللهو ، واللعب ، وقول الزور ، والسخرية ونحو ذلك مما لايحبه الله ولا يرضاه ،

نسأل الله السلامة من أسباب التغيير ، قال الله تعالى (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ، واذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له ، ومالهم من دونه من وال)

اللهم انا نعوذ بك من زوال نعمتك ، وتحول عافيتك ، وفجأة نقمتك ، وجميع سخطك ، اللهم انا نعوذ بك من جهد البلاء ، ودرك الشقاء ، وسوء القضاء ، وشماتة الاعداء

الله الله عباد الله ، قيدوا نعم الله بشكرها واتباع مايرضيه ، وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه ، فان الله خولكم نعمه لتطيعوه ولا تعصوه ، وتعملوا بدينه وشرعه

وتعظموه ، لا لتشتغلوا بها عن ذلك او تمتهنوه

اللهم أوزعنا شكر ما أنعمت به علينا من هذه النعم الظاهرة والباطنة ، واستعملنا فيما يرضيك عنا ، وعافنا واعف عنا برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم

﴿ كتابه الى محمد بن عمر وفيه ذكر تآليف ابن منصور ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الرحمن بن حسن إلى الاخ محمد بن عمر ، عمر الله دارهم بالايمان والقرآن ، ووفقهم لاتباع داعي الاسلام والايمان

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته (وبعد) وصل الخط ، وصلك الله بما يرضيه وسرنا طيبك وعافيتك ، جعلنا الله وإياكم من الطيبين المهتدين

ومن طرف تصانيف ابن منصور فلا يستنكر ذلك منه، كما قيل: ليس العجب ممن هلك كيف هلك انما العجب ممن نجا كيف نجا. ولا ضر إلا نفسه، رد على الشيخ رحمه الله تعالى في دعوته اناس متشبهون بأهل العلم، فأبطل الله كيدهم وصار وبالا عليهم ولكن هذا الرجل فعل فعلا ما فعله أحد قبله ممن كره هذا الدين ، والله أعلم بما وافى به الله من إصرار أو توبة ، نسأل الله تعالى أن يجعلنا وإياكم ممن عرف لله حقه، وجرد إخلاصه وصدقه، وذلك فضله سبحانه ورحمته. فلو أنت طرشت الكتاب [1] مع ابراهيم ابن عبد الرحمن ما كرهنا الاشراف عليه . وسلم لنا على الوالد ومحمد بن عبد الله وسهل وعبد الرحمن بن جاسر ومطلق وعبد الله بن ثاقب وربعة وموسى بن صالح وفرحان ابن خير الله واخوانهم الذين ما سمينا . ومن لدينا الامام وأولاده واخوانه ، وعبد اللطيف واخوانه وخواص الاخوان بخير وينهون السلام

كاتبه ابراهيم يسلم على الاخوان المحبين وانت سالم والسلام حرر نقل سنة ١٢٨٦

(١) أي أرسلته وبعثت به

كتاب اخر الى محمد بن عمر

(وفيه الرد على من زعم أنه لا يصح تبديع مسلم ولا تفسيقه)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

من عبد الرحمن بن حسن إلى الاخ محمد بن عمر بن سليم سلمه الله تعالى سلام عليكم ورحمة الله وبركاته (وبعد) وصل الخط وصلك الله بما يرضيه وسرنا طيبكم وعافيتكم جعلنا الله وإياكم من الطيبين، ونحمد اليكم الله تعالى على ما أولاه من النعم، وما صرف من النقم، نسأل الله لنا ولكم معرفة الحق، والعمل به والصبر والاستقامة والثبات على الاسلام. وما ذكرت من الورقة التي رميت يقول صاحبها: نكم جعلتم الناس بين مشرك ومبتدع وفاسق وجاهل ظالم ولا سبقكم أحد بهذا الاعتقاد. فهذا ما ضر إلا نفسه وهذه الشبهة قد تلقاها الجهال في وقت ظهور شيخنا رحمه الله، وهذه من افسد شبههم لان الذي تدخل معه يدل على جهله وانحرافه عن دين الله ومخالفته للكتاب والسنة، لان الله تعالى ذكر الكفار والمشركين من هذه الامة وأمر بقتالهم وأباح دماءهم وأموالهم، وكذلك أهل البدع هم الكثير وهم دول، وأهل الفسوق كذلك، وهذا الامر مايخفى على أبلد الناس، ولكن ما حصل إلا المسبة مثل من أغار على فريق وأخذوه ولا أبقوا له شيئاً، وصار هذا باعث على رد هذه الشبهة وان كان شيخنا قد ردها في كشف الشبهات، لكن بسطنا الرد عليها على سبيل الاختصار، وإلا فردها يحتمل مجلداً وصار جوابا نافعاً لكل موحد وأرسله الامام للاحساء يقرأ في المدارس والمساجد والمجالس لانه ربما دخل على بعض من ينتسب الى العلم وهم جهال، وماجرى منهم فهو خير بلا شر، وهو في الحقيقة نعمة، ووباله على من أبداه، ولا هذا بأول نار قد أضرمها علينا ناس من الاشرار، ولا ندري عنهم، ويكفيناهم الله، ولله الحمد وسلم لنا على الوالد ومحمد بن عبدالله وخواص الاخوان، ومن لدينا عبداللطيف بخير وينهون السلام وكاتبه يسلم وانت سالم والسلام ٢٧ شعبان سنة ١٢٧٧

(جواب سؤال عمن يجتمع للصلاة على النبي ﷺ يوم الجمعة في المسجد . وعن صلاة الجمعة قبل الزوال . ومسائل أخرى)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

من عبد الرحمن بن حسن الى جناب الاخ ابراهيم بن محمود سلمه الله تعالى سلام عليكم ورحمة الله وبركاته (وبعد) فهذا جواب سؤال المسئلة الاولى عن أناس يجتمعون ويصلون على النبي ﷺ

(فالجواب) ان هذا ليس مشروعاً وانما المشروع الصلاة وقراءة القرآن قبل دخول الامام فاذا دخل الامام وأخذ في الخطبة وجب الانصات للخطبة كما في الحديث « اذا قلت لصاحبك أنصت والامام يخطب فقد لغوت »

وأما تقدم الخطيب في المسجد يصلي ويقرأ قبل الخطبة والصلاة فلا باس به لكن ينبغي ان يكون في ناحية يراه المأمومون إذا خرج اليهم للخطبة

وأما صلاة الجمعة قبل الزوال فهو وقت لها عند الامام أحمد رحمه الله وخالفه بعض الائمة وقال: وقتها بعد الزوال، فتأخيرها الى الزوال خروجا من خلاف العلماء لكن هذا القول الثاني مجمع عليه

كذلك الامراض الحادثة وقع مثلها في وقت الصحابة رضي الله عنهم فلم يفتوا فيها ولو كان خيرا سبقونا اليه

وأما جعل الذهب في الجنبين والسيف وفي خاتم رجل فلا يجوز الا الفضة واما الذهب فلا

وأما صاحب السفينة وقوله: سلفني، فلا ولو يجعله من الاجرة ويقدمها عليه جاز

وأما كفارة اليمين فيطعم عشرة مساكين قدرها العالى لكل مسكين مد من البر، والمد وزن ثلاثين ريالا، فان كان شعيرا فمدان وكذلك التمر

وأما قوله اذا حلف وقال وعهد الله فهو كقوله والله .

واما الحج فإن أخذها ليحج صح وأما اذا حج ليأخذ فلا يصح[١] كذلك ما يصح له ان يوكل غيره لا في بلد الميت ولا في غيرها فان استأجر من يحج بدله من بلد هي أقرب الى مكة من بلد الميت فهذا لا يصح أيضا . وقولك من يأخذ الحجة لاشتياقه إلى البيت ومشاعر الحج وللعمل الصالح لما فيه من زيادة الفضل ، فهذا هو الذي يصح نيابته كما تقدم فان كان قصده التوصل الى البيت فلواجب لقصده ذلك . وما فعله غير المناسك التي هي أركان الحج وواجبات وسنن فثوابه له وأما الاركان والواجبات والسنن فثواب ذلك يرجع للذي هو نائب عنه وفضل الله واسع

وأما اذا أخذ مالا من عمان لصاحب له في نجد فلا يجوز لان الواجب الحج للميت من بلده التي هي أبعد من مكة . وسلم لنا على أخوانك وعبد اللطيف وأخوانه والامام وأولاده والاخوان بخير وينهون السلام. حرر سنة ١٢٨٢

(جوابه عن كتاب من محمد آل عمر السليم)

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الرحمن بن حسن الى الاخ المكرم محمد آل عمر السليم سلمه الله تعالى من كل آفة وآمنه من كل مخافة ، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد وصل الخط وصلك الله بما يرضيه ونحمد اليك الله تعالى على ما اسبغ من نعمه الباطنة والظاهرة جعلنا الله واياكم من الشاكرين الذاكرين ، ونعمة الله عليكم عظيمة حيث أقامكم في ناحية أهلها جهال بالتوحيد ما له عندهم قدر ولا قيمة وجعلكم تدعون اليه وتبينونه وتحملون الناس عليه وجعل لكم أصحاب قابلين هذه

(١) الظاهر انه هذا جواب عمن يحج بالنيابة عن غيره بالاجرة فالمراد أخذ الدراهم

الدعوة(١) ومحبينها ومعادين فيها وموالين فيها ويا أخي هذه النعمة علينا وعليكم عظيمة واحمدوا الله سبحانه وتعالى وتبرأوا من الحول والقوة وانسبوا النعمة الى ربكم

قال ابن القيم رحمه الله تعالى ـ لما ذكر حياة القلب وصف القلب الحي بقوله ان يكون مدركا للحق مريدا له مؤثرا له على غيره ، والكتاب وصل وشرعنا نقرأ فيه ووجدناه صحيح ولله الحمد وموافق ولو ثمنه غالي كل ثمن يساق فيه ليس بكثير

وسلم لنا على الوالد ومحمد وجميع الاخوان بالتخصيص والتنصيص ومن لدينا الامام وتركي ومحمد وعبد اللطيف واسماعيل وجميع العيال بخير ويبلغون السلام وانت سالم والسلام ، وصلى الله على محمد وعلى آله وسلم . خطه سنة ١٢٨٤ ونقلته من خطه وعليه ختمه . غرة ربيع أول سنة ١٣٤٥

﴿ نصيحه بالعمل بما دلت عليه الشهادتان ﴾

(كتبها الى أمير الاحساء وأعيانها)

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الرحمن بن حسن الى الاخوان الامير محمد بن احمد والشيخ عبد اللطيف بن مبارك وأعيان أهل الاحسا وعامتهم رزقنا الله وإياهم الاعتصام بالكتاب والسنة وجنبنا وإياهم سبل أهل البدع والاهواء ووفقنا وإياهم لمعرفة ما بعث الله به رسوله من الهدى والنور

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد فان الباعث على هذا الكتاب هو النصيحة لله ولكتابه ورسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم ، وأوصيكم بما دلت عليه شهادة ان لا إله الا الله وما تضمنته من نفي الآلهية عما سوى الله ، واخلاص العبادة لله وحده لا شريك له والبراءة من كل دين يخالف ما بعث الله به رسله من التوحيد

---

(١) قوله أصحاب الخ ترك فيه وفي أمثاله مقتضى الاعراب مجاراة للغة العوام في خطابهم

كما قال تعالى (قل انما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد فاستقيموا اليه واستغفروه) وقال تعالى (فان أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود إذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم أن لا تعبدوا الا الله) وهذه الآيات وما في معناها تتضمن النهي عن الشرك في العبادة والبراءة منه ومن المشركين من الرافضة وغيرهم. والقرآن من أوله الى آخره يقرر هذا الاصل العظيم فلا غنى لأحد عن معرفته والعمل به باطنا وظاهراً

قال بعض السلف : كلمتان يسئل عنهما الاولون والآخرون : ماذا كنتم تعبدون وماذا أجبتم المرسلين ؟ وقال تعالى (قل إني أمرت ان أعبد الله مخلصاً له الدين وأمرت ان أكون أول المسلمين) وهذا هو مضمون شهادة ان لا إله الا الله كما تقدم الاشارة اليه

ومضمون شهادة ان محمد رسول الله وجوب اتباعه والرضاء به نبيا ورسولا ونفي البدع والاهواء المخالفة لما جاء به صلى الله عليه وسلم فلا غناء لأحد عن معرفة ذلك وقبوله ومحبته والانقياد له قولا وعملا ، باطنا وظاهراً ،

ومما أوجب ذكر ذلك ما بلغنا وتحققناه من غفلتكم عن هذا الاصل العظيم الذي لا نجاة للعبد الا بمعرفته والعمل به ، فالعامة منكم ما يبالون بحقوق الاسلام ولو ضيعت ، وصار اشتغال أهل العلم بالعلوم التي هي فرع عن هذا الاصل العظيم ، ولا تنفع بدونه ، ولا اصلاح للعباد في معاشهم ومعادهم الا بالعلم بالله وما يجب له على عباده من دينه الذي رضيه لهم ، فبالقيام به صلاح الدنيا والآخرة ، وفي الغفلة عنه زوال النعم وحلول النقم ، وقد وقع فيكم بسبب الغفلة عن هذا ما قد علمتم كما قال تعالى (وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون)

اذا عرفتم ذلك فيلزم الامير ان يأمر على جميع المدرسين وأئمة المساجد بالحضور عند قاضي البلد الشيخ عبد اللطيف بن مبارك ، ويلزمهم القراءة فيما جمعه

شيخنا رحمه الله في كتاب التوحيد من أدلة الكتاب والسنة التي فيها الفرقان بين الحق والباطل ، فقد جمع على اختصاره خيراً كثيراً وضمنه من أدلة التوحيد مايكفي من وفقه الله ، وبين فيه الادلة في بيان الشرك الذي لايغفره الله، ويلزمهم سؤال العامة عن أصول الدين الثلاثة بادلتها وأربع القواعد ، فما أعظم نفعها على اختصارها لطالب الهدى

وكذلك يلزمهم تفقد الناس في المساجد حتى يعرف من يتخلف عن الصلاة ويتهاون بها ويجعل للناس نوابا في القيام على الناس بالاجتماع للصلاة في جميع البلدان والقرى، فان هذا مما شرعه الله ورسوله وأوجبه كما دل على ذلك الكتاب والسنة ، وقد ورد الزجر والوعيد للمتخلفين عن الصلوات الخمس في المساجد حيث ينادى لها والاحاديث في هذا المعنى كثيرة

ومن المعلوم ان الصلاة لاتقام إلا بالاجتماع لها والتهاون بذلك من أسباب إضاعتها وذلك يوجب عقوبة الدنيا والآخرة كما قال تعالى (فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا) نسأل الله لنا ولكم العون على مرضاته وأنتم سالمين والسلام

(بعض رسائل الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن)

﴿ رسالة في الكلام على أما بالتخفيف ، واعراب « عدد خلقه » الخ ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبداللطيف بن عبدالرحمن إلى الاخ المكرم عبدالعزيز بن حسن سلك الله بنا وبه أهدى السنن

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد : فاحمد اليك الله الذي لاإله إلاهو على سوابغ نعمائه ، وجزيل فضله

وعطائه ، جعلنا الله وإياك ممن عرف نعمة الله عليه فاستعان بها على مايقربه اليه ، والخط وصل وصلك الله بالرضى ، وما أشرت اليه صار لدينا معلوما

أما الخطوط التي تذكر انك أرسلتها الينا قبل هذا الخط الاخير فلم تصل ولم يصل منك في هذا العام قبل هذا خط . وأما الجواب عن المسئلتين فلا يخفى ان « أما » بالتخفيف تأتي على وجهين :

(أحدهما) أن تكون حرف استفتاح كما في قوله « اما اني لم أكن في صلاة » ويكثر ذلك قبل القسم كما في قوله :

أما والذي أبكى وأضحك والذي   أمات وأحيا والذي أمره الامر
لقد تركتني أحسد الوحش ان أرى   أليفين منها لا يروعهما الذعر

وقول الآخر :

اما والذي حجت له العيس وارتمى   لمرضاته شعث طويل ذميلها
لئن نائبات الدهر يوما ادان لي   على أم عمرو دولة لا أقيلها

وقال الآخر :

أما يستفيق القلب أنى بدا له   توهم صيف من سعاد ومربع
أخادع عن اطلالها العين انه   متى تعرف الاطلال عيني تدمع
عهدت بها وحشاً عليها براقع   وهذي وحوش أصبحت لم تبرقع

وهذا اذا قصد به تنبيه المخاطب لما بعدها ، والاشارة إلى أن ما بعدها مما يهتم به ويلتفت اليه كما في قوله ﷺ « ألا لعنة الله على اليهود والنصارى » « الا هل بلغت » « الا ليبلغ الشاهد منكم الغائب » وكقول الشاعر

الا لا يجهلن أحد علينا

وكما في قوله:

ألا ليت حظي من عطاياك انني   علمت وراء الرمل ماأنت صانع

(والثاني) بمعنى حقاً أو أحقاً ، وزعم بعض الناس انها تكون حرف عرض بمعنى لولا ، فتختص بالفعل ، كما في قولك، اما يقوم امايقعد ونحوه

واما نحو اما كان فيهم من يفهم ، فالهمزة للاستفهام ، وما حرف نفي وليست مما نحن فيه فتنبه

وأما المسئلة الثانية وهي : قولك ماوجه نصب «عدد خلقه ، ورضى نفسه ، وزنة عرشه ، ومداد كلماته» فاعلم ان نصب هذه المصادر على انه نعت لسبحان، لانه اسم محذوف العامل وجوبا لكونه بدلا من اللفظ بفعل مهمل، كقول الشاعر :

ثم قالوا تحبها ؟ قلت بهراً عدد الرمل والحصى والتراب

فبهراً اسم منصوب على المفعولية المطلقة لكونها هنا بمعنى عجباً ، لكن فعله مهمل غير مستعمل، فلذلك حذف وجوبا ، وعدد الرمل في البيت نعت له ، ويحتمل ان «عدد» وما عطف عليه ، نصب على المفعولية المطلقة، والعامل يقدر سبحته او نزهته فهو كقوله (فاجلدوهم ثمانين جلدة) لان سبحان علم على معنى التنزيه والبراءة أو على لفظه فلا يعمل في المفعول

ويمكن أن يقال : لاحاجة الى هذا التقدير لان الاسم قد يعمل لمافيه من رائحة الفعل ويكون النصب بسبحان ، ويقويه قول ابن مالك :

بمثله أو فعل أو وصف نصب وكونه أصلا لهذين انتخب

وأما «زنة» فمعناها الموازنة والثقل بخلاف ما اذا كان من بعده الفعل مستعمل كقوله :

أذلا اذا شب العدى نار حربهم وزهو اذاً مايجنحون الى السلم؟

وقول الآخر :

خمولا واهمالا وغيرك مولع بتثبيت أسباب السيادة والمجد؟

تمت وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم

﴿ حكمة الله في ابتلائه المؤمنين ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن في رسالته الى البويري :

فمن حكمة الرب تعالى انه ابتلى عباده المؤمنين الذين يدعون الناس الى مادعا اليه النبي صلى الله عليه وسلم من الدين بثلاثة اصناف من الناس ، وكل صنف له أتباع: الصنف الاول ، من عرف الحق فعاداه حسداً وبغياً كاليهود، فانهم أعداء الرسول والمؤمنين كما قال تعالى (بئسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بغيا أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده فباؤا بغضب على غضب وللكافرين عذاب مهين)(وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون)

(الصنف الثاني) الرؤساء أهل الاصول الذين فتنتهم دنياهم وشهواتهم لما يعلمون من ان الحق يمنعهم من كثير مما أحبوه وألفوه من شهوات الغي فلم يعبأوا بداعي الحق ولم يقبلوا منه دعوته

(الصنف الثالث) الذين نشأوا في باطل وجدوا عليه أسلافهم فهم يظنون انهم على حق وهم على الباطل ، فهؤلاء لم يعرفوا إلا مانشأوا عليه وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا . وكل هـذه الاصناف الثلاثة واتباعهم أعداء الحق من لدن زمن نوح الى أن تقوم الساعة .

فأما الصنف الاول فقد عرفت ماقال الله فيهم ، وأما (الصنف الثاني) فقد قال الله فيهم (فان لم يستجيبوا لك فاعلم انما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ان الله لا يهدي القوم الظالمين) وقال عن (الصنف الثالث) (إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون) وقال(إنهم ألفوا آباءهم ضالين * فهم على آثارهم يهرعون)

شكر النعمة يوجب زيادتها

ومعنى قوله تعالى (واذ قال موسى لقومه ياقوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا) الآية

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد اللطيف بن عبد الرحمن إلى من يصل اليه هذا الكتاب من الاخوان سلمهم الله تعالى

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته (وبعد) فموجب هذا والباعث عليه هو نصح الذي يجب علينا من حقكم . وقد قال تعالى (وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين) فاذكروا مامن الله به عليكم وخصكم به في هذا الزمان من نعمة الدين التي هي أشرف النعم وأجلها ، وما حصل في ضمنها من المصالح التي لا تعد ولا تحصى .وقد اخبر الله تعالى عن كليمه موسى عليه السلام انه ذكر قومه هذه النعمة كما قال تعالى (واذ قال موسى لقومه ياقوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم انبياء وجعلكم ملوكا) الآية .

فذكرهم أولا بالنعمة العظمى وهي ان جعل فيهم أنبياء يرشدونهم الى ما فيه صلاحهم وخلاصهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة

وقد امتن الله سبحانه على عباده في كتابه بهذه النعمة وذكرهم بها في مواضع كما قال تعالى (لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من انفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين) وقال (هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين)

وأخبر عن مراده فيما شرعه في تحويل القبلة الى بيته الحرام وان ذلك قد قصد به وأراد منه إتمام نعمته وليحصل لهم الاهتداء . وذكرهم عند ذلك هذه النعم وانه فعل ذلك كما من عليهم قبل ببعث الرسول فقال (كما ارسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون)

فبعث الانبياء وإرسال الرسل هو الذي حصل به العلم النافع والعمل الصالح كمعرفة الله بصفات كماله ، ونعوت جلاله ، والاستدلال بآياته ومخلوقاته ، والقيام له بما أوجب على خلقه من العبادة والتوحيد ، والعمل بما يرضي الرب ويريده ، فان بهذا تحصل زكاة العبد ونموه ، وصلاحه وفلاحه ، وسعادته في الدنيا والآخرة. وفي ضمن تعليمه الكتاب والحكمة من تفاصيل العلوم والاعمال والمعارف والامثال الدالة على وحدانيته وقدرته ورحمته وعدله وفضله ، وإعادته لخلقه وبعثه إياهم ، ومجازاتهم على أعمالهم وذكر أيامه في أنبيائه وأوليائه ، وما فعل ويفعل بأعدائهم وأعدائه ، وإخباره بالحاق النظير بالنظير ، والشبيه بالشبيه ، والمثل بالمثل ، مايوجب للعبد من العلم بالله ومعرفة قدرته وحكمته في أقداره ومراده من شرعه وخلقه ، وغير ذلك من الاحكام الكلية والجزئية ما لا يمكن حصره ولا استقصاؤه

فما أنعم الله على أهل الارض من نعمة إلا وهي دون نعمة إرسال الرسل وبعث النبيين ، خصوصا رسالة محمد سيد ولد آدم ﷺ صاحب اللواء المعقود ، والمقام المحمود ، والحوض المورود ، فانه قد حصل برسالته من عموم الرحمة لكافة العالمين ، ومن السعادة والفلاح والتزكية والهدى والرشاد لمن اتبعه مالم يحصل مثله ولا قريب منه ببعث غيره من الانبياء

فمن كان له من قبول ما جاء به والايمان به حظ ونصيب فعليه من شكر الله على هذه النعمة وطاعته وإدامة ذكره والثناء بنعمه ما ليس على من قل حظه ونصيبه من ذلك

وقد منّ الله عليكم رحمكم الله في هـذا الزمن الذي غلبت فيـه الجهالات وفشت بين اهله الضلالات، والتحق بعصر الفترات ـ من يجدد لكم أمر هذا الدين ويدعو الى ماجاء به الرسول الامين، من الهدى الواضح المستبين، وهو شيخ الاسلام والمسلمين، ومجدد ما اندرس من معالم الملة والدين، الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى: فبصر العدد العديد من العماية، وهدى بما دعا اليه من الضلالة، وأغنى بما فتح عليكم وعليه من العالة، وحصل من العلم مايستبعد على أمثالكم في العادة، حتى ظهرت الحجة البيضاء التي كان عليها صدر هذه الأمة وأئمتها في باب توحيد الله باثبات صفات كماله، ونعوت جلاله، والايمان بقدره وحكمه في أفعاله، فانه قرر ذلك، وتصدى رحمه الله للرد على من نكب عن هذا السبيل، واتبع سبل التحريف والتعطيل، على اختلاف نحلهم وبدعهم، وتشعب مقالاتهم وطرقهم، متبعا رحمه الله مامضى عليه السلف الصالح من اهل العلم والايمان، وما درج عليه القرون المفضلة بنص الحديث. ولم يلتفت رحمه الله الى ماعدا ذلك من قياس فلسفي أو تعطيل جهمي أو الحاد حلولي أو اتحادي أو تأويل معتزلي أو أشعري، فوضح معتقد السلف الصالح بعد ماسفت عليه السوافي وذرت عليه الذواري، وندر من يعرفه من اهل القرى والبوادي، إلا ما كان مع العامة من أصل الفطرة، فانه قد يبقى ولو في زمن الغربة والفترة، وتصدى أيضاً للدعوة الى مايقتضيه هـذا التوحيد ومايستلزمه وهو وجوب عبادة الله وحده لا شريك له، وخلع ما سواه من الانداد والآلهة، والبراءة من عبادة كل ماعبد من دون الله،

وقد عمت في زمنه البلوى بعبادة الاولياء والصالحين وغيرهم، وأطبق على ترك الاسلام جمهور أهل البسيطة وفي كل مصر من الامصار وبلد من البلدان وجهة من الجهات من الآلهة والانداد لرب العالمين ما لا يحصيه الا الله، على اختلاف معبوداتهم، وتباين اعتقاداتهم، فمنهم من يعبـد الكواكب ويخاطبها

بالحوائج ويبخر لها التبخيرات ، ويرى انها تفيض عليه أو على العالم وتقضي لهم الحاجات ، وتدفع عنهم البليات ، ومنهم من لا يرى ذلك ويكفر أهله ويتبرأ منهم ، لكنه قد وقع في عبادة الانبياء والصالحين ، فاعتقد انه يستغاث بهم في الشدائد والملمات ، وانهم هم الواسطة في اجابة الدعوات وتفريج الكربات . فترة يصرف وجهه اليهم ويسوى بينهم وبين الله في الحب والتعظيم والتوكل والاعتماد والدعاء والاستغاثة والاستعانة وغير ذلك من أنواع العبادات

وهذا هو دين جاهلية العرب الاولى ، كما ان الاول هو دين الصابئة الكنعانيين وقد بعث الله محمداً ﷺ بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، وكانت العرب في وقته وزمن مبعثه معترفين لله بتوحيد الربوبية والافعال ، وكانوا على بقية من دين ابراهيم الخليل عليه السلام ، قال تعالى (قل من يرزقكم من السماء والارض أم يملك السمع والابصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله ، فقل أفلا تتقون) وقال تعالى (قل لمن الارض ومن فيها إن كنتم تعلمون * سيقولون لله قل أفلا تذكرون — الى قوله — فأنى تسحرون) والآيات في المعنى كثيرة ، ولكنهم أشركوا في توحيد العبادة والآلهية فاتخذوا الشفعاء والوسائط من الملائكة والصالحين وغيرهم وجعلوهم أنداداً لله رب العالمين فيما يستحقه عليهم من العبادات والارادات كالحب والخضوع والتعظيم والانابة والخشية ، وغير ذلك من أنواع العبادات والطاعات ، لاجل جاههم عند الله والتماس شفاعتهم والاعتقاد والتدبير والتأثير كما ظنه بعض الجاهلين ، قال تعالى (ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) الآية ، وقال (أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون)

وقال تعالى (والذين اتخذوا من دونه أولياء مانعبدهم إلا ليقربونا إلى الله

زلفى) الآية. فنهاهم رسول الله ﷺ عن هذا الشرك وكفر أهله وجهلهم وسفه أحلامهم، ودعاهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وبين ان مدلولها الالتزام بعبادة الله وحده لا شريك له، والكفر بما يعبد من دون الله

وهذا هو أصل الدين وقاعدته، ولهذا كانت هذه الكلمة كلمة الاسلام، ومفتاح دار السلام، والفارق بين الكافر والمؤمن من الانام، ولها جردت السيوف وشرع الجهاد، وامتاز الخبيث من طيب العباد، وبها حقنت الدماء وعصمت الاموال، وقد بلغ الشيطان مراده من اكثر الخلق، وصدق عليهم ابليس ظنه فاتبعه الاكثر، وتركوا ما جاءت به الرسل من دين الله الذي ارتضاه لنفسه، وتلطف الشيطان في التحيل والمكر والمكيدة حتى أدخل الشرك وعبادة الصالحين وغيرهم على كثير ممن ينتسب الى دين الاسلام في قالب محبة الصالحين والانبياء والتشفع بهم، وان لهم جاها ومنزلة يشفع بها من دعاهم ولاذ بحماهم، وان من أقر لله وحده بالتدبير واعتقد له بالتأثير والخلق والرزق فهو مسلم ولو دعا غير الله واستعاذ بغيره ولاذ بحماه، وان مجرد شهادة أن لا إله إلا الله تكفي مثل هذا، وان لم يقارنها علم ولا عمل ينتفع به، وان الدعاء والاستغاثة والاستعانة والحب والتعظيم ونحو ذلك ليس بعبادة، وانما العبادة السجود والركوع ونحو هذه الزخرفة والمكيدة وهذا بعينه هو الذي تقدمت حكايته عن جاهلية العرب

وذكر المفسرون واهل التاريخ من اهل العلم في سبب حدوث الشرك في قوم نوح مثل هذه المكيدة، فان ودا وسواعا ويغوث ويعوق ونسرا أسماء رجال صالحين في قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن ينصبوا تماثيلهم ويصوروا صورهم ليكون ذلك أشوق الى العبادة وأنشط في الطاعة فلما هلك من فعل هذا اوحى الشيطان إلى من بعدهم أن أسلافهم كانوا يعبدونهم، وبهم يسقون المطر فعبدوهم لذلك فأصل الشرك هو تعظيم الصالحين بما لم يشرع، والغلو في ذلك،

فأتاح الله بمنه في هذه البلاد النجدية والجهات العربية من أحبار الاسلام وعلمائه الاعلام من يكشف الشبهة ، ويجلو الغمة ، وينصح الامة ، ويدعو إلى محض الحق وصريح الدين ، الذي لايخالطه ولا يمازجه دين الجاهلية المشركين، فنافح عن دين الله ودعا إلى مادعا اليه رسول الله ﷺ ، وصنف الكتب والرسائل، وانتصب للرد على كل مبطل ومما حل ، وعلم من لديه كيف يطلب العلم وأين يطلب ، وباي شيء يقهر المشبه المجادل ويغلب ، واجتمع له من عصابة الاسلام والايمان طائفة يأخذون عنه وينتفعون بعلمه ، وينصرون الله ورسوله ، حتى ظهر واستنار مادعا اليه ، واشرقت شموس ما عنده من العلم وما لديه ، وعلت كلمة الله حتى أغشى اشراقها وضوءها كل مبطل ومما حل ، وذل لها كل منافق مجادل ، وحقق الله وعده لاوليائه وجنده كما قال تعالى(انا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد) وقوله(وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم) الآية

فزال بحمد الله ما كان بنجد وما يليها من القباب والمشاهد والمزارات والمغارات وقطع الاشجار التي يتبرك بها العامة ،وبعث السعاة لمحو آثار البدع الجاهلية ، من الاوتاد والتعاليق والشركيات ، وألزم باقام الصلاة وايتاء الزكاة وصيام رمضان وحج البيت وبسائر الواجبات ، وحث من لديه من القضاة والمفتين على تجريد المتابعة لما صح وثبت عن سيد المرسلين ، مع الاقتداء في ذلك بأئمة الدين ،والسلف الصالح المهديين. ونهاهم عن ابتداع قول لم يسبقهم اليه إمام يقتدى به،أو علم يهتدى به

وأنكر ما كان عليه الناس في تلك البلاد وغيرها من تعظيم الموالد والاعياد الجاهلية التي لم ينزل في تعظيمها سلطان ،ولم يرد به حجة شرعية ولا برهان،لان ذلك فيه مشابهة للنصارى الضالين،في أعيادهم الزمانية والمكانية ماهو باطل مردود في شرع سيد المرسلين

وكذلك أنكر ما أحدثه جهلة المتصوفة وضلال المبتدعة من التدين والتعبد باللهو واللعب والمكاء والتصدية، والاغاني التي صدهم بها الشيطان عن سماع آيات القرآن، وصاروا بها من اشباه عباد الاوثان، الذين قال الله فيهم (وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية) وكل من عرف ماجاء به الرسول تبين له أن هؤلاء من اضل الفرق وأخبثهم نحلة وطريقة، والغالب على كثيرمنهم النفاق وكراهة سماع كلام الله ورسوله

وأنكر رحمه الله ما احدثته العوام والطغام من اعتقاد البركة والصلاح في أناس من الفجار والطواغيت الذين يترشحون لتأله العباد بهم وصرف قلوبهم اليهم باسم الولاية والصلاح وان لهم كرامات ومقامات ونحو هذا من الجهالات فان هؤلاء من أضر الناس على اديان العامة

وأنكر رحمه الله مايعتقده العامة في البله والمجاذيب وأشباههم الذين احسن أحوال احدهم أن يرفع عنه القلم ويلحق بالمجانين .

وأرشد رحمه الله إلى مادل عليه الكتاب وسنة رسول الله ﷺ من الفرقان بين اولياء الرحمن وأولياء الشيطان . وساق الادلة الشرعية التي يتميز بها كل فريق ويعتمدها اهل الايمان والتحقيق . فان الله جل ذكره وصف الابرار ونعتهم بما يمتازون به ويعرفون، بحيث لا يخفى حالهم ولا يلتبس أمرهم وكذلك وصف تعالى اولياء الشيطان من الكفار والفجار ونعتهم بما لايخفى معه حالهم ولا يلتبس أمرهم، على من له ادنى نظر في العلم وحظ من الايمان

وكذلك قام بالنكير على اجلاف البوادي وأمراء القرى والنواحي فيما يتجاسرون عليه ويفعلونه، من قطع السبيل وسفك الدماء ونهب الاموال المعصومة حتى ظهر العدل واستقر وفشا الدين واستمر والتزمه كل من كانت عليه الولاية من البلاد النجدية وغيرها، والحمد لله على ذلك

والتذكير بهذا يدخل فيما امتن الله به على المؤمنين وذكرهموه من بعث الانبياء والرسل .

ومدار العبادة والتوحيد على ركنين عظيمين هما الحب والتعظيم . وبمشاهدة النعمة يحصل ذلك ويخبت القلب لطاعة من أنعم بها عليه، وكلما ازداد العبد علما بذلك ومعرفة لحقيقة النعمة ومقدارها ازداد طاعة ومحبة وإنابة وإخباتا وتوكلا ، ولذلك يذكر تعالى عباده بنعمه الخاصة والعامة، وآلائه الظاهرة والباطنة، ويحث على التفكر في ذلك والتذكر وان يعقل العبد عن ربه فيقوم بشكره ويؤدي حقه

ومبنى الشكر على ثلاثة أركان: معرفة النعمة وقدرها ، والثناء بها على مسديها، واستعمالها فيما يحب موليها ومعطيها . فمن كملت له هذه الثلاث فقد استكمل الشكر وكلما نقص العبد منها شيئا فهو نقص في إيمانه وشكره ، وقد لا يبقى معه من الشكر، ما يعتد به ، ويثاب عليه

والمقصود ان الذكرى فيها من المصالح الدينية والشعب الايمانية ماهو أصل كل فلاح وخير ،

وبدأ في هذه الآية بأعظم النعم وأجلها على الاطلاق وهو جعله الانبياء فيهم يخبرونهم عن الله بما يحصل لهم به السعادة الكبرى، والمنة الجليلة العظمى وكل خير حصل في الارض من ذلك فأصله مأخوذ عن الرسل والانبياء ، إذ هم الأئمة الدعاة الامناء ، واهل العلم عليهم البلاغ ونقل ذلك الى الامة فانهم واسطة في ابلاغ العلم ونقله

وأما قوله (وجعلكم ملوكا) فهذه نعمة جليلة يجب شكرها وتتعين رعايتها فانها من افضل النعم واجلها ، والشكر قيد النعمة ، ان شكرت قرت ، وان كفرت فرت ، ولم تحصل هذه النعمة الا باتباع الانبياء وطاعة الرسل فان بني اسرائيل انما صاروا ملوك الارض بعد فرعون وقومه باتباع موسى وطاعة الله ورسوله ، والصبر على ذلك قال تعالى (وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون

مشارق الارض ومغاربها التي باركنا فيها ، وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا)

وقد حصل باتباع محمد ﷺ لمن آمن به من العرب الاميين وغيرهم من أجناس الآدميين من الملك وميراث الارض فوق ماحصل لبني اسرائيل ، فانهم ملكوا الدنيا من أقصى المغرب إلى أقصى المشرق ، وحملت اليهم كنوز كسرى ملك الفرس ، وقيصر ملك الروم ، وصارت بلادهم وبلاد المغرب والمشرق ولاية لهم ورعية تنفذ فيهم أحكامهم ، ويجبى اليهم خراجهم ، ومكثوا على ذلك ظاهرين قاهرين لمن سواهم من الامم حتى وقع فيهم ماوقع في بني اسرائيل من الخروج عن اتباع الانبياء وترك سياستهم ، والانهماك في أهوائهم وشهواتهم ، فجاء الخلل وسلط العدو ، وتشتت الناس وتفرقت الكلمة ، وصارت الدول الاسلامية يسوسها في كثير من البلاد وفي اوقات كثيرة من الملوك اهل النفاق والزندقة والكفر والالحاد ، الذين لايبالون بسياسات الانبياء وما جاءوا به من عندالله ، وربما قصدوا معاكستهم فذهب الملك بذلك ، وضاعت الامانة ، وفشا الظلم والخيانة ، وصار بأسهم بينهم ، وسلط عليهم العدو ، وأخذ كثيراً من البلاد ، ولم يقنع منهم ابليس عدو الله بهذا حتى اوقع كثيراً منهم في البدع والشرك ، وسعى في محو الاسلام بالكلية . وكلما بعد عهد الناس بالعلم وآثار الرسالة ، ونقص تمسكهم بعهود أنبيائهم ، تمكن الشيطان من مراده في أديانهم ونحلهم واعتقاداتهم ، ولكن من رحمة الله ومنته جعل في هذه الامة بقية وطائفة على الحق ظاهرين لايضرهم من خذلهم حتى يأتي امر الله وهم على ذلك

وكلما حصل لهذه الطائفة قوة وسلطان في جهة او بلد حصل من الملك والعز والظهور لهم بقدر تمسكهم بما جاء به محمد ﷺ . ولذلك صار لشيخنا شيخ الاسلام محمد بن عبدالوهاب ولطائفته وأنصاره من الملك والظهور والنصر بحسب نصيبهم

وحظهم من متابعة نبيهم ﷺ والتمسك بدينه فقهروا جمهور العرب من الشام إلى عمان ، ومن الحيرة إلى اليمن . وكلما كان اتباعهم وأنصارهم أقوى تمسكا كانوا أعز وأظهر وربما نال منهم العدو وحصل عليهم من المصائب ماتقتضيه الذنوب والمخالفة والخروج عن متابعة نبيهم ومايعفو الله من ذلك أكثر وأعظم

والمقصود ان كل خير ونصر حصل ، وعز وسرور اتصل ، فهو بسبب متابعة الرسول ﷺ وتقديم امره في الفروع والاصول ، وقد من الله عليكم في هذه الاوقات بما لم يعطه سواكم في غالب البلاد والجهات ، من النعم الدينية والدنيوية والأمن في الاوطان ، فاذكروا الله يذكركم ، واشكروا نعمه يزدكم ، وقوا أنفسكم ، وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة بمعرفة الله ومحبته وطاعته وتعظيمه وتعلم اصول الدين وتعظيم ماجاء به الرسول ﷺ من الامر والنهي والتزامه والمحافظة على توحيد الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان وحج بيت الله الحرام والجهاد في سبيله والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وترك الفواحش الباطنة والظاهرة ، وسد الوسائل التي توقع في المحذور وتفضي الى ارتكاب الآثام والشرور ،

ويجمع ذلك قوله تعالى (ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون)

والله المسؤول ان يمن علينا وعليكم بسلوك سبيله وأن يجعلنا ممن عرف الهدى بدليله وصلى الله على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

كتاب منه الى سهل بن عبد الله

﴿ يرشده فيه الى تدبر كتاب الله ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد اللطيف بن عبدالرحمن الى الاخ المكرم سهل بن عبد الله سلمه الله تعالى وسهل أمره وشرح لدينه صدره

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

(وبعد) فاحمد اليك الله الذي لا إله إلا هو على جزيل نعمه ووافر عطائه ، والخطوط وصلت وسرت وقرت ، حيث أشعرت وأخبرت بسلامة المحب وطيبه وعمارة الاوقات بالقراءة في كتب الاصول والصحاح والتفاسير ، وان الاخوان في ازدياد ، وان الاشرار والاضداد في انقماع وانقباض

فالحمد لله وحده ، والشكر له على نصر دينه ، واظهار حجته ، الله المسؤول أن يمن علينا وعليكم باليسر في الامر ، والعزيمة على الرشد ، وأن يوزعنا شكر نعمه ، وحسن عبادته وتطلب الفائدة ، وأرشدك الى التأمل في قوله تعالى : (أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب) الآية

فاحذروا معاشرة الغر واخلصوا العمل لوجهه الكريم الأعلى ، وقد حدثني بعض الثقات انه اجتمع ببعض الافاضل من أولاد الشيخ محمد بمكة سنة ١٢٢١ قال فشيعته لما أراد الذهاب الى وطنه وسألته الوصية فقال لي ـ وقد ثنى رجله على رحله : تأمل قوله تعالى (وما يكون في شان وما تتلو منه من قرآن ـ الى قوله ـ إلا في كتاب مبين) ثم ودعني وانفتلت به راحلته

ونخبرك ان الشيخ والاولاد والامام وأولاده وكافة الاخوان يهدوك السلام وبلغ سلامنا الاخوان محمد ومحمد وسائر القراء والطلبة وأنت في أمان الله وحفظه والسلام

﴿ جواب كتاب منه اليه يشنع فيه على حج المشاهد والمقابر ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد اللطيف بن عبد الرحمن الى الاخ المحب المكرم سهل بن عبد الله سهل الله له الطريق الموصلة اليه ووالى إفضاله وانعامه عليه

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وبعد : فاحمد اليك الله الذي لاإله الا هو على انعامه ، والخط وصل وصلك الله بما يرضيه ، وجعلك ممن يخافه ويتقيه ، وسرنا سلامتك وعافيتك الحمد لله على ذلك ، وخطك لابن عجلان وجوابه لك وصلنا ، والواجب على من عوفي في دينه من هذه الورطات ان يكثر من ذكر الله وشكره ، وفي جوابه من الفهاهة والظلمة مالا يعرفه إلا ارباب البصائر ، ولو سلم دينه وصح معتقده لكانت له مندوحة عن معاشرة اعداء الله ومداهنتهم والصلاة خلفهم ولو نوى الانفراد

واما مانقل عن داود من قصد الزيارة وانه ماقصد الحج فنعم وهكذا الحال عند الغلاة في الانبياء والصالحين حتى صنف بعضهم كتابا سماه حج المشاهد ، وربما فضل هذه الزيارة على حج بيت الله ، فاوصيك بتقوى الله وطلب العلم والايمان عله ان يجعل لك نوراً تسير به الى الاله الحق الذي في وصولك اليه كل السعادة والهداية والسيادة في دورك الثلاثة

واعلم ان من حقوق الاخوة في الله ادامة الدعاء لاخوانك في اوقات الاجابة وبلغ سلامي اخوانك اجازة عامة مطلقة ، ولدينا الوالد والاولاد بخير وينهون السلام

التحذير عن البطالة

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد اللطيف بن عبد الرحمن الى الاخ المحب المكرم محمد بن عمر سلمه الله تعالى واسبغ عليه نعمه ووالى

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد فاحمد اليك الله على سوابغ نعمه ، وخفي لطفه وكرمه ، المحب في أنس بالاشتغال بالعلوم الشرعية، جعلها الله وصلة الى الدرجات العالية في دار السعادة الابدية ، الا ان بعد مثلك يشوش بعض الاحيان ، ونشكو الى الله فساد اهل الزمان ، ونسأله ان يصلح الحال والشأن، والخطوط وصلت وسرت بما ابدته من اخبار سلامتك ، وما يتيسر لك من الكتب المفيدة الشرعية جعلك الله تعالى من وعاة العلم ورواته ، الفائزين بحسن ثواب الله ومرضاته ، فاياك اياك والبطالة والاهمال والاشتغال بتحصيل عرض ومال . وقد قيل في المثل: ومن خطب الحسناء لم يغله المهر ، وبلغ سلامي الوالد والاولاد والاخ محمد وسهل ومن لديك من الاخوان والسلام .

الوصية الجامعة لزوم التقوى فى كل حال

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد اللطيف بن عبد الرحمن الى الاخ المحب المكرم محمد بن عمر الرسلي سلمه الله تعالى وسلك به الطريق المستقيم

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد فاحمد اليك الله الذي لا إله الا هو

على نعمه ومزيد احسانه وكرمه جعلنا الله وإياكم من عباده الشاكرين ، وأحبابه التائبين، وسبق اليك مع اخويا(١) مهنا خطوط ولا جانا لك جواب فلعلها وصلت وأنت بخير وعافية ، وحرر هـذا لابلاغ السلام والتحية ، وتذكر تلك العهود السالفة المرضية ، وتعاهد الاخوة الدينية الشرعية ، جعلنا الله وإياكم ممن رعاها حق رعايتها ، وحفظها في ذات الله وما ضيعها ،

والوصية الجامعة لزوم التقوى من حيث كنت مع النظر في حقيقتها وما اشتملت عليه من أعمال القلوب والجوارح وتوقفها على العلم ومعرفة حدود ما انزل الله على رسوله من باب توقف اللازم على الملزوم ، والسبب على سببه ،

والجملة شرحها يطول ولكن الاشارة كافيـة ، وهي عند اللبيب تقوم مقام العبارة الوافية ، هذا ومن حق الاخوة ملازمة الدعاء بظهر الغيب والظن بك عدم الاهمال ، وبلغ سلامي الاخوان محمد وسهل ومطلق وابن جاسر ومن عز عليك ، ومن لدينا الوالد والاولاد وجملة الاخوان بخير ويهدوك السلام والسلام .

﴿ كتابه الى محمد آل عمر وفيه ذكر شرحه كتاب الكبائر ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد اللطيف بن عبد الرحمن الى الاخ المكرم محمـد آل عمر بن سليم سلمه الله تعالى وتولاه وأسعده بالايمان به وتقواه

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

(وبعد) فنحمد اليك الله الذي لا إله إلا هو ، على نعمه ، والخطوط وصلت وصلك الله بما يرضيه ، وجعلك ممن يخافه ويتقيه ، وقد سرتني سلامتك وعافيتك

(١) أي اخوان

جعلنا الله وإياك من اهل العافية في الدنيا والآخرة . والمحب لم ينس عهدكم ولم يؤخر جواب خطكم عن ريبة جفا ، أو تغير مودة وصفا ، كيف ولكم من المنزلة والتكريم مايشهد به كل مصاحب وحميم ، لكن الامور بأوقاتها منوطة ، وبآجالها مربوطة ، والمرء غالبا يؤتي من قبل التسويف ، والسماحة خلق جليل شريف ، وما أحسن ماقيل :

وما الود إدمان الزيارة من فتى ولكن على مافي القلوب المعول

والمحب والشيخ الوالد على ماتظنون من القيام بحقكم ومراعاة غيبتكم عند الامام وابنه ، ولا ندخر الذب والحماية مااستطعنا ، وما أشرت اليه من جهد شرح كتاب الكبائر ، فقد هممت به وسودت منه ماتيسر .

ونسأل الله أن يمن بالاتمام ، وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم ، انه ولي ذلك وهو على كل شيء قدير .

فان حصل المقصود نسخنا لكم نسخة ان شاء الله ، وبلغ سلامي محمد آل عبدالله وسهل وابراهيم القصير وابن جاسر ومطلق ومحمد آل عثمان وعلي بن صنيع . ومن لدينا الوالد والعيال والطلبة بخير ويهدون اليكم السلام انتهى

﴿ كتاب منه الى صالح آل عثمان ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد اللطيف بن عبد الرحمن الى الاخ صالح آل عثمان سلمه الله تعالى وحفظه من طائف الشيطان

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

(وبعد) فاني أحمد اليك الله الذي لاإله إلا هو ، على ماأولاه من الانعام

جعلنا الله وإياك من أوليائه الذاكرين الشاكرين . والخط وصل أوصلك الله الى ما يرضيه ، وسرنا ما أخبرت به عن نفسك من المجاهدة والعبادة ، نسأل الله لنا ولك ، الثبات في الامر ، والعزيمة على الرشد

وأما المسألة التي سألت عنها في معنى قوله ﷺ « ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة »

فمن أحسن ما قيل في معناه : قول العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى — في باب المعاينة من شرح المنازل — لما تكلم على ما يزعمه القوم من إدراك نفس الحقيقة والانوار التي يجدونها وانها أمثلة وشواهد ، قال : وحقيقتها هي وقوع القوة العاقلة على المثال العلمي المطابق للخارجي فيكون إدراكه له بمنزلة إدراك العبد للصورة الخارجية ، وقد يقوى سلطان هذا الادراك الباطن بحيث يصير الحكم له ، ويقوى استحضار القوة العاقلة لمدركها بحيث يستغرق فيه ويغلب حكم القلب على حكم الحس والمشاهدة ويستولي على السمع والبصر بحيث يراه ويسمع خطابه في الخارج او في النفس والذهن لكن لغلبة الشهود وقوة الاستحضار وتمكن حكم القلب واستيلائه على القوى صار كأنه مرئي بالعين مسموع بالاذن بحيث لا يشك المدرك في ذلك ولا يرتاب ألبتة ، ولا يقبل عذلا ، وحقيقة الامر ان ذلك كله شواهد وأمثلة علمية تابعة للمعتقد — إلى أن قال : وليس مع القوم الا الشواهد والامثلة العلمية والرقائق التي هي ثمرة قرب القلب من الرب وأنسه واستغراقه في محبته ، وذكره واستيلاء سلطان معرفته عليه ، والرب تبارك وتعالى وراء ذلك كله منزه مقدس عن اطلاع البشر على ذاته وانوار ذاته او صفاته ، وانما هي الشواهد التي تقوم بقلب العبد كما يقوم بقلبه شاهد الآخرة والجنة والنار وما أعد الله لاهلهما . وهذا هو الذي وجده عبد الله بن حرام يوم أحد لما قال : واها لريح الجنة ، اني لأجد ريحها دون أحد ، ومنه قوله ﷺ « اذا مررتم برياض الجنة

فارتعوا » وقوله « مابين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنـة » فهي روضة لاهل العلم والايمان لما يقوم بقلوبهم من شواهد الجنة حتى كانها لهم رأي العين واذا قعد المنافق هناك لم يكن ذلك المكان في حقه روضة من رياض الجنة، فالعمل انما هو على الشواهد وعلى حسب شاهد العبد يكون عمله ، انتهى ملخصاً

وبه يظهر معنى الحديث ، وان اختصاص هذا المكان بكونه روضة من رياض الجنة لما يقوم بقلب العبد من المثال والشاهد الذي يقوي سلطانه هناك وتظهر ثمرته، ويجد المؤمن من لذته وروحه حتى كانه رأي عين

وفي هذا القدر كفاية والله الموفق . ولا تدخر عمارة مجالسك بذكر الله والدعوة اليه ونشر العلم الذي أنزله على رسوله ﷺ من الكتاب والحكمة

حسن الالتجاء الى الله والثقة به

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله وحده . أنشدنا شيخنا الشيخ عبد اللطيف دامت افادته هذه الابيات:

يامن له الفضل محضا في بريتـه ... وهو المؤمل في الضراء والباس

عودتني عادة أنت الـكفيل بها ... فلا تـكلني إلى خلق من الناس

ولا تذل لهم من بعـد عزته ... وجهي المصون ولا تخفض لهم رأسي

وابعث على يد من ترضاه من بشر ... رزقي وصنه عمن قلبـه قاسي

فان حبـل رجائي فيك متصل ... بحسن صنعك مقطوعا عن الناس

أنشدنا هذه الابيات شيخنا شرف الدين الشيخ عبد اللطيف بن الشيخ عبد الرحمن أدام الله افادتهما وذكر شيخنا عبد اللطيف ان الله بعث لمنشئها رزقا بسبب فأرة خرجت من جحر وبفيها دينار فحفره فوجد دنانير كثيرة

نقل من خط الشيخ محمد آل عمر آل سليم . قال الشيخ محمد بن عمر آل سليم رحمه الله

أملى على شيخنا الشيخ عبداللطيف دامت افادته هذه النصيحة وهي من عبداللطيف بن عبدالرحمن الى جناب الامام المكرم فيصل بن زكي وفقه الله لقبول النصائح ، وجنبه أسباب الندم والفضائح آمين . سلام عليكم ورحمة الله وبعد فلا يخفى عليك مامن الله به تعالى

﴿ في تعظيم أوامر الله ومجاهدة أعدائه ﴾

﴿ والولي في النكاح وسؤال الله بحق نبيه ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد اللطيف بن عبد الرحمن إلى الاخ المكرم حمد بن عبدالعزيز العريني سلمه الله تعالى، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد : فاحمد اليك الله الذي لاإله إلا هو على نعمه ، والخط وصل ، وما ذكرت من غربة الدين فالامر أجل وأكبر من الغربة ، أكثر أصوله وشعبه معدومة في الخواص فكيف بالسوقة ، ومن لانهمة لهم في معرفة ماجاءت به الرسل كالغيرة لله ولحرماته ، وتعظيم أوامره ومجاهدة أعداء دينه والبراءة من موالاة المشركين وأعداء رب العالمين ، والتحيز إلى أهل الايمان وموالاتهم ونصرهم ولزوم جماعة المسلمين، وغير ذلك من حقائق الدين ، وشعب الايمان. وهذه معدومة نسأل الله لنا ولكم الثبات على دينه والتمسك به عند فساد الزمان

وما ذكرت من مسئلة الولي فالمشهور الذي عليه الاكثر تقديم المكلف الرشيد في تزويج مولاته على من هو أقرب منه ممن لم يبلغ التكليف ولم يعرف مصالح النكاح

وأما سؤال الله بحق نبيه أو وليه فلا تصدر إلا من جاهل باحكام الشريعة وما يستحب ومايكره . والاولى تنبيه هذا الخطيب على ان هذا قد منعه أئمة الاسلام وأهل الحل والعقد في الاحكام

(تمت)

رسالة

في القول فيما يذهب اليه الناس اليوم من العقيدة الاشعرية وإمامة من يعتقدها وتوليه القضاء

بسم الله الرحمن الرحيم

ومن رسائل الشيخ رسالة أرسلها إلى محمد بن عبد الله وعبد الله بن سالم وسببها ان الشيخ عبد اللطيف بن مبارك نصب في بعض مساجد الاحساء من يتهم بمذهب الاشاعرة من غير اذن الامام فيصل بن تركي آل سعود رحمه الله قال فيها :

من عبد الله بن حسن الى الاخوين المكرمين محمد بن عبد الله وعبد الله بن سالم. سلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد : فقد وصل الكتاب وفهمت ماتضمنه من الخطاب وما ذكرتما من نصب الشيخ عبد اللطيف لهؤلاء الاولاد الثلاثة فالعادة ان مثل هذا يراجع فيه الامام لان نصبه له في أمر خاص وهو فصل القضايا بين الناس

وأما النظر فيمن يصلح للامامة والتدريس فيرد إلى الامام وربما ان الامام يجعل لنا فيه بعض الشورى لان كثيراً من الناس ماتخفانا حالهم وعقائدهم ، ونصب الامام لقضاة نجد كذلك

والشيخ احمد بن مشرف يسامي الاكابر ومثلهم ماينسب له ، والذي نعلم منه صحة المعتقد في توحيد الانبياء والمرسلين الذي جهله أكثر الطوائف، كذلك هو رجل سلفي يثبت من صفات الرب تعالى ماوصف به نفسه ووصفه به رسوله ﷺ على مايليق بجلال الله وعظمته

وأما أهل بلدكم في السابق وغيرهم فهم أشاعرة والاشاعرة أخطؤا في ثلاث مسائل من أصول الدين (منها) تأويل الصفات وهو صرفها عن حقيقتها التي تليق بالله

وحاصل تأويلهم سلب صفات الكمال عن ذي الجلال ، أيضاً أخذوا ببدعة عبدالله ابن كلاب في كلام الرب تعالى وتقدس ، ورد العلماء عليهم في ذلك شهير مثل الامام احمد والشافعي (١) وأصحابه والخلال في كتاب السنة وامام الائمة محمد بن خزيمة واللالكائي وابي عثمان الصابوني الشافعي وابن عبدالبر وغيرهم من أتباع السلف كمحمد بن جرير الطبري وشيخ الاسلام الانصاري

وقد رجع كثير من المتكلمين الخائضين كالشهرستاني شيخ أبي المعالي والغزالي وكذلك الاشعري قبلهم في كتابي الابانة والمقالات ، ومع هذا وغيره فبقي هذا في المتاخرين المقلدين لاناس من المتاخرين ليس لهم اطلاع على كلام العلماء وكانوا يعدون من العلماء ، وأخطؤا أيضاً في التوحيد ولم يعرفوا من تفسير لا إله إلا الله إلا ان معناها: القادر على الاختراع ، ودلالة لا إله إلا الله مع هذا دلالة التزام لان هذا من توحيد الربوبية الذي أقرت به الامم ومشركو العرب كما قال تعالى (قل لمن الارض ومن فيها إن كنتم تعلمون * سيقولون لله ، قل أفلا تتقون) الآيات وهي كثيرة في القرآن

يحتج تعالى عليهم بذلك على ما أنكروه من توحيد الالهية الذي هو معنى لا إله الا الله مطابقة وتضمنا ، وهو الذي دعا اليه الناس فى أول سورة البقرة وفي سورة آل عمران والنساء وغيرها ودعت اليه الرسل (ألا تعبدوا إلا الله) وهو الذي دعا اليه رسول الله ﷺ وفد نصارى نجران ودعا اليه العرب قبلهم كما قال أبو سفيان لهرقل لما سأله عما يقول رسول الله ﷺ قال يقول « اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا» وكل السور المكية في تقرير معنى لا إله إلا الله وبيانه

فاذا كان العلماء في وقتنا هذا وقبله في كثير من الامصار مايعرفون من لا إله إلا الله إلا توحيد الربوبيـة كمن كان قبلهم في عصر شيخ الاسلام ابن تيمية ، وابن القيم ، وابن رجب ، اغتروا بقول بعض العلماء من المتكلمين ان

(١) بياض في الاصل

معنى لا إله إلا الله القادر على الاختراع ، وبعضهم يقول معناها الغنى عما سواه ، الفقير اليه ماعداه .

وعلماء الاحساء ماعادوا شيخنا رحمه الله في مبدأ دعوته إلا من أجل انهم ظنوا أن عبادة يوسف والعيدروس وأمثالهم لايستفاد بطلانها من كلمة الاخلاص والله سبحانه بين لنا معنى هذه الكلمة في مواضع كثيرة من القرآن، قال تعالى عن خليله عليه السلام (وإذ قال ابراهيم لابيه وقومه انني براء مما تعبدون إلا الذي فطرني فانه سيهدين ، وجعلها كلمة باقية في عقبه) فعبر عن هذه الكلمة بمعناها وهو نفي الشرك في العبادة وقصرها على الله وحده . وقال عن أهل الكهف (وإذ اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله)

فاذا كان هذا التوحيد الذي هو حق الله على العباد خفي على أكابر العلماء في أزمنة سلفت فكيف لايكون بيانه أهم الامور؟ خصوصا اذا كان الانسان لايصح له اسلام ولا ايمان إلا بمعرفة هذا التوحيد وقبوله ومحبته والدعوة اليه، وتطلب أدلته واستحضارها ذهنا وقولا وطلبا ورغبة

فهذه نصيحة مني لكل انسان ، دعاني اليها غربة الدين وقلة المعرفة فيه . فينبغي أن تشاع وتذاع في محاضر أهل العلم يقبلها من وفقه الله تعالى للخير فانها خير مما كتبت فيه باضعاف أضعاف والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم

فتاوى في مسائل مختلفة

﴿ في الديات والجروح ودم الذمي والمعاهد والحربي ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

(ولاحول ولا قوة إلا بالله)

من عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن ، إلى الاخ سعيد بن أحمد

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته (وبعد) وصل خطك ، تسأل عن اليد إذا قطعت من المرفق ولم يبق فيها إلا جلدة يسيرة (الجواب) ان في اليد نصف الدية ولا عبرة في الجلدة

(المسئلة الثانية) عن رجل ضرب في فخذه بسهم فخرجت منه وأصابت الفخذ الآخر فأبانت اللحم والجلد (والجواب) ان الجروح في الرجل والفخذ لا تقدير فيها إذا سلم العظم ولم تتعطل منفعة العضو ، ولكن فيها حكومة وهي ان يقوّم المجني عليه قيمة عبد ثم ينظر ما نقصته الجروح، فان نقصت عُشر القيمة أو ثُمنها مثلا فيعطى من دية الحر الخمس أو العشر

(المسئلة الثالثة) رجل ضرب في كفه الأيمن وحصل بالكف عيب، فان تعطل بالكلية ففيه الدية، وإن تعطل بعض الاصابع ففي كل أصبع اذا تعطلت عشر الدية

(المسئلة الرابعة) لا يمنع المسلم عن قتل المشرك الحربي ولو كان جاراً للمسلم أو معه في الطريق إلا اذا أعطاه ذمة أو أمنه أحد من المسلمين ، ففي الحديث « ذمة المسلمين واحدة يسعى بها أدناهم »

(المسئلة الخامسة) إذا ضرب المشرك وجرح فدمه هدر ، الا الذمي والمعاهد والمستأمن فديتهم اذا اصيبت نفس أحدهم ثمانمائة درهم ، والجروح ينظر فيها على قدر دياتهم

(المسئلة السادسة) المساقاة هل يصح من كل نخلة عذقا (الجواب) لاتصح المساقاة بعذق معين أو ثمرة نخلة معينة ، وأما بالسدس او السبع او اقل او اكثر من غير تعيين الشجر فيصح

(المسئلة السابعة) هل يصح أخذ الزكاة دراهم عن ثمرة النخل اذا بيعت ؟ (الجواب) أكثر العلماء لا يجيزون هذا ، وأجازه شيخ الاسلام ابن تيمية ، وهو إمام جليل رحمه الله

(المسئلة الثامنة) نفقة الحامل والمرضع (الجواب) الحامل ينفق عليها بحسب يسار الزوج وعسره وبحسب حالها ، فلا تجعل بنت الاغنياء المتنعمين مثل الفقيرة وأما المرضع اذا لم تكن في عدة فتعطى أجرة المثل

(المسئلة التاسعة) المعتدة من الوفاة ماتفعل؟ (والجواب) تعتد أربعة أشهر وعشراً تلزم فيها البيت الذي توفي زوجها عنها فيه ، ولا تخرج الا لحاجة لابد منها ، وتجتنب الزينة من الثياب والكحل والحنا والحلي والادهان

(المسئلة العاشرة) اذا حاضت المرأة حيضتين بعد الطلاق وتزوجت قبل الثالثة فالنكاح باطل ، وتعتد من الاول والثاني

(المسئلة الحادية عشر) هل للمشرك ولاية على المسلمة ؟ (الجواب) ليس للمشرك على المسلمة ولاية ، فان لم يكن لها ولي مسلم فأمرها الى الامير

(المسئلة الثانية عشرة) اذا امتنع المسلم عن تزويج موليته من غير وجه شرعي فهو عاضل تنتقل الولاية الى اقرب عصبتها بعده ، ويزوجها اذا عضل من هو أقرب منه

(المسئلة الثالثة عشر) الصغير قبل البلوغ لايصح ان يلي العقد ، فان زوج يعاد العقد على يد الولي البالغ الرشيد

(المسئلة الرابعة عشر) متى يجب على الصبي الصوم ؟

(الجواب) العبادات كلها لاتجب إلا بعد البلوغ ، وأما ولي الصغير فيجب عليه أمره وتدريبه على العبادات اذا ميز وعقلها ليعتادها ويألف الخير

(المسئلة الخامسة عشر) متى يدفع الى اليتيم ماله ؟

(الجواب) اذا بلغ خمسة عشر سنة أو نبتت العانة أو احتلم مع رشده ، فاذا ظهر رشده في المال دفع اليه

(المسئلة السادسة عشر) اذا زوج ولي الامر والاولياء حاضرون بغير إذنهم لم يصح العقد لحديث « لا نكاح إلا بولي وشاهدي عدل» وأما اذا امتنع الولي ولم يكن سواه من الاولياء إلا ولي الامر فيزوج اذا كان القريب عاضلا يمنع الكفء أو يطلب دراهم لنفسه

(المسئلة السابعة عشر) الخضرة أو ثمرة القطن أو غيره اذا أكلته الدواب ما حكمه؟

(الجواب) على أهل الدواب أن يحفظوها ليلا وما أكلته بالليل فهو مضمون لصاحبه بقيمته ، وما أكلته نهاراً فلا ضمان فيه لان الحفظ والحراسة في النهار على أهل المزارع والخضرة ، إلا أن فتح صاحب الدابة لها بابا مغلقا أو هدم جداراً وأدخلها فيضمن حينئذ

(المسئلة الثامنة عشر) الشجرة المثمرة يحرم قطعها بغير إذن المالك وعلى من قطع الضمان بالقيمة ، وكذلك اذا قطع السعف من النخل ففيه القيمة بحسب حال البلد

(المسئلة التاسعة عشر) المشرك اذا أودع المسلم أو أودعه المسلم ؟

(الجواب) يصح الايداع والتوديع والرهن وشبهه وعليه الحذر من المداهنة والمجالسة التي يرى أو يسمع فيها المنكر

(المسئلة العشرون) من طلب من الثمرة عند الجذاذ يعطى اذا كان فقيرا أو مسكينا مايسد جوعته ، وأما اذا طلب من الزكاة فيعطى بحسب الزكاة وقدرها وكثرة المساكين

(وأما الحادية والعشرون) اذا طلق على عوض هل رجعتها بيده أم لا ؟ الطلاق بائن اذا كان على عوض لا رجعة له بل لا بد من عقد جديد أن استكمل ثلاث طلقات للحر واثنتين للعبد

(الثانية والعشرون) الأم أولى بحضانة أولادها إلا اذا تزوجت فتنتقل الحضانة الى غيرها كالجدة والاخت والخالة ، واليتيم اذا كان له مال فيتولاه الوصي من جهة أبيه ، فان لم يكن هناك وصي فيجب على الحاكم الشرعي وهو قاضي البلد أو الامير أن يولي على مالهم من يحفظه من أهل الامانة والديانة

(الثالثة والعشرون) الوصي على صدقة الميت فطرة او غيرها أحق بالولاية من الورثة والعصبة لان الميت اختاره ورضيه والله أعلم

(الرابعة والعشرون) اذا زوج غير الولي فالنكاح فاسد ولا ترث بالنكاح الفاسد والله أعلم

﴿ حكم وطء الرجل مملوكة ولده ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

(مسئلة) ماقولكم في رجل وطيء جارية ابنته ولم يتملكها قبل ذلك وبنته محتاجة إليها وهي قد ملكتها بالميراث من زوجها

فاجاب الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بقوله : لايجوز له أن يطأ مملوكة ولده مادامت في ملك الولد ، واما إذا تملكها تملكا شرعياً بشرط ان لا يضر بولده ولا تتعلق بها حاجة الولد ولا يقصد اعطاءها لولد آخر ، فاذا تمت هذه الشروط وقبضها جاز له بعد الاستبراء ان يطأها والله اعلم

رسالة

(في الاعتصام والاتباع والنهي عن التفرق والابتداع)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب اليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات اعمالنا من يهده الله فلا مضل له. ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله الا الله وحده لاشريك له. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله . من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعص الله ورسوله فقد غوي، ولن يضر الا نفسه ولن يضر الله شيئا. وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيراً .

أما بعد فقد قال الله تعالى(قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين)

وقال تعالى (ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم) وقال تعالى (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) وقال تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا)

فأخبر سبحانه انه أكمل الدين وأتمه على لسان رسوله ﷺ وأمرنا بلزوم ما انزل الينا من ربنا وترك البدع والتفرق والاختلاف فقال تعالى (اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه اولياء قليلا ما تذكرون) وقال تعالى (وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون) والرسول ﷺ قد أخبر بان أمته تأخذ مأخذ القرون قبلها شبراً بشبر وذراعا بذراع

وثبت في الصحيحين وغيرهما عنه ﷺ انه قال « لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة، حتى لودخلوا جحر ضب لدخلتموه - قالوا يارسول الله

اليهود والنصارى ـ قال فمن؟» وأخبر في الحديث الآخر « ان امته ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة ـ قالوا من هي يارسول الله؟ ـ قال من كان على مثل ماأنا عليه اليوم وأصحابي »

اذا عرف هذا فمعلوم ماقد عمت به البلوى من حوادث الامور التي أعظمها الاشراك بالله ، والتوجه الى الموتى وسؤالهم النصر على الاعداء، وقضاء الحاجات وتفريج الكربات التي لايقدر عليها الا رب الارض والسموات ، وكذلك التقرب اليهم بالنذور، وذبح القربان والاستغاثة بهم في كشف الشدائد وجلب الفوائد ، الى غير ذلك من أنواع العبادة التي لاتصلح إلا لله

وصرف شيء من انواع العبادة لغير الله كصرف جميعها لانه سبحانه أغنى الاغنياء عن الشرك ، ولا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً كما قال تعالى (فاعبد الله مخلصاً له الدين * ألا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون ان الله لايهدي من هو كاذب كفار)

فأخبر سبحانه انه لايرضى من الدين الا ما كان خالصا لوجه الله، وأخبر أن المشركين يدعون الملائكة والانبياء والصالحين ليقربوهم الى الله زلفى ويشفعوا لهم عنده، وأخبر انه لايهدي من هو كاذب كفار ، فكذبهم في هذه الدعوى وكفرهم فقال (ان الله لايهدي من هو كاذب كفار) وقال تعالى (ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ، قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولافي الارض ؟سبحانه وتعالى عما يشركون)

فاخبر أن من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسالهم الشفاعة فقد عبدهم وأشرك بهم ، وذلك ان الشفاعة كلها لله كما قال (قل لله الشفاعة جميعا) ولا يشفع عنده أحد الا باذنه كما قال تعالى (من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه)

وقال تعالى (فيومئذ لاتنفع الشفاعة الا لمن أذن له الرحمن ورضي له قولا)

وهو سبحانه لايرضى الا التوحيد كما قال تعالى (ولايشفعون الا لمن ارتضى) وقال تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير * ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له) فالشفاعة حق ، ولا تطلب في دار الدنيا الا من الله كما قال تعالى (وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً) وقال (ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك ، فان فعلت فانك اذاً من الظالمين)

فاذا كان الرسول ﷺ وهو سيد الشفعاء ، وصاحب المقام المحمود ، وآدم فمن دونه تحت لوائه لا يشفع الا باذن الله ، لايشفع ابتداء بل يأتي فيخر ساجداً فيحمد الله بمحامد يعلمه اياها ثم يقال : ارفع رأسك وقل يسمع ، وسل تعط واشفع تشفع ، ثم يحد له حداً فيدخلهم الجنة — فكيف بغيره من الانبياء والاولياء؟

وهذا الذي ذكرناه لايخالف فيه أحد من علماء المسلمين بل قد أجمع عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين والائمة الاربعة وغيرهم ممن سلك سبيلهم ، ودرج على منهجهم

وأما ما حدث من سؤال الانبياء والاولياء الشفاعة بعد موتهم ، وتعظيم قبورهم ببناء القباب عليها وإسراج السرج والصلاة عندها ، واتخاذها أعياداً وجعل السدنة والنذور لها . فكل ذلك من حوادث الامور التي أخبر بوقوعها النبي ﷺ «انه لاتقوم الساعة حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين وحتى يعبد فئام من أمتي الاوثان» وهو ﷺ حمى جناب التوحيد أعظم حماية ، وسد كل طريق يوصل الى الشرك . فنهى أن يجصص القبر وأن يبنى عليه كما ثبت في صحيح مسلم من حديث جابر

وثبت فيه أيضاً انه بعث علي بن أبي طالب وأمره «أن لايدع قبرا مشرفا الا

سواه ، ولا تمثالا إلا طمسه» ولهذا قال غير واحد من العلماء : يجب هدم القباب المبنية على القبور لانها اسست على معصية الرسول ﷺ

هذا هو الذي أوجب الاختلاف بيننا وبين الناس حتى آل بهم الامر الى أن كفرونا وقاتلونا واستحلوا دماءنا وأموالنا حتى نصرنا الله عليهم ، وأظفرنا بهم، وهو الذي ندعوا الناس اليه، ونقاتلهم عليه، مع ماتقيم عليهم من الحجة من كتاب الله وسنة رسوله وإجماع السلف الصالح من الائمة ممتثلين لقوله سبحانه (وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة ويكون الدين كله لله)

فمن لم يجب الدعوة بالحجة والبيان ، دعوناه بالسيف والسنان، كما قال تعالى (لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ان الله قوي عزيز)

وندعو الناس الى إقام الصلاة في الجماعة على الوجه المشروع ، وإيتاء الزكاة وصوم شهر رمضان وحج بيت الله الحرام ، ونأمر بالمعروف وننهى عن المنكر كما قال تعالى (الذين إن مكناهم في الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ،ولله عاقبة الامور)

فهذا هو الذي نعتقده وندين الله به ، فمن عمل بذلك فهو أخونا المسلم ، له مالنا وعليه ما علينا

ونعتقد أيضا ان امة محمد ﷺ المتبعين لسنته لا تجتمع على ضلالة ، وانه لاتزال طائفة من أمته على الحق منصورة لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى ياتي امر الله وهم على ذلك

وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيراً

رسائل وفتاوى

تأليف

شيخنا وامامنا ، ناصر السنة ، وقامع البدعة

العلامة الشيخ عبد الله بن الشيخ عبد الرحمن أبي بطين

أجزل الله لهم الاجر والثواب آمين

من مطبوعات صاحب الجلالة السعودية ومحيي السنة المحمدية

الإمام عبد العزيز آل سعود

ملك الحجاز ونجد وملحقاتها

وقد وقفه على من ينتفع به من أهل العلم والدين

لا يحل لمن وقع بيده بيعه

بسم الله الرحمن الرحيم

تشديد الشيخ ابن تيمية وتلاميذه في أمر الشرك

(انما هو اتباع لما جاء عن الله ورسوله في ذلك)

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبدالله بن عبد الرحمن أبا بطين الى جناب الاخ ابراهيم بن عجلان، وفقه الله لطاعته ، وهداه بهدايته آمين .

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته · والخط وصل وصلك الله الى الخير وصرف عنا وعنكم كل ضير ، وذكرت في خطك أشياء ينبغي تنبيهك عليها .

(منها) قولكم «ان الشيخ تقي الدين ابن تيمية شدد في أمر الشرك تشديداً لا مزيد عليه » فالله سبحانه هو الذي شدد في ذلك لقوله سبحانه (ان الله لا يغفر أن يشرك به) في موضعين من كتابه ، وقال على لسان المسيح لبني اسرائيل (انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة) الآية ، وقال الله تعالى لنبيه ﷺ (ولقد أوحي اليك والى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك) الآية وقال (ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون) وقال سبحانه (فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد)

وفي السنة الثابتة عن النبي ﷺ من التحذير عن الشرك والتشديد فيه مالا يحصى . وغالب الاحاديث التي يذكر فيها ﷺ الكبائر يبدأها بالشرك . ولما سئل ﷺ :أي الذنب أعظم عند الله ؟ قال « أن تجعل لله نداً وهو خلقك»

اذا عرف ذلك تعين على كل مكلف معرفة حد الشرك وحقيقته لا سيما في هذه الازمنة التي غلب فيها الجهل بهذا الامر العظيم

والشيخ تقي الدين وتلميذه انما بالغا في بيان هذا الشرك وايضاحه لما شاهدا من ظهوره في زمنهما وكثرته في بلاد الاسلام وبينا بطلانه بالادلة والبراهين القاطعة الواضحة ، كما قال أبو حيان في حق الشيخ :

قام ابن تيمية في نصر شرعتنا   مقام سيد تيم اذ عصت مضر
وأظهر الحق إذ آثاره اندرست   وأخمد الكفر إذ طارت له شرر

وقولك : ان هذه الامور المحدثة منها ماهو شرك أكبر ومنها ماهو أصغر فالامر كذلك ، لكن يتعين معرفة الاكبر المخرج من الملة الذي يحصل به الفرق بين المسلم والكافر ، وهو عبادة غير الله ، فمن جعل شيئا من العبادة لغير الله فهو المشرك الشرك الاكبر

من ذلك الدعاء الذي هو مخ العبادة كالتوجه الى الموتى والغائبين بسؤالهم قضاء الحاجات وتفريج الكربات ، كذلك الذبح والنذر لغير الله .

كذلك يتعين البحث عن الشرك الاصغر ، فمنه الحلف بغير الله ونحو تعليق الخرز والتمائم من العين ، وكيسير الرياء في أنواع كثيرة لاتحصى

ومن كلام الشيخ تقي الدين وقد سئل عن الوسائط ، فقال بعد كلام: وإن أراد بالواسطة انه لابد من واسطة يتخذها العباد بينهم وبين الله في جلب المنافع ودفع المضار ، مثل أن يكونوا واسطة في رزق العباد ونصرهم وهداهم يسألونهم ذلك ويرجعون اليهم فيه ، فهذا من أعظم الشرك الذي كفر الله به المشركين حيث اتخذوا من دون الله أولياء وشفعاء يجلبون بهم المنافع ويدفعون بهم المضار ، الى أن قال : قال تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا ــ الى قوله ــ ان عذاب ربك كان محذورا)

قال طائفة من السلف : كان أقوام من الكفار يدعون عيسى وعزيراً والملائكة والانبياء فبين الله لهم أن الملائكة والانبياء لا يملكون كشف الضر عنهم ولا تحويله، وانهم يتقربون اليه، ويرجون رحمته ، ويخافون عذابه - إلى أن قال رحمه الله -

فمن جعل الملائكة والانبياء وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم ويسالهم جلب المنافع ودفع المضار ، مثل أن يسالهم غفران الذنوب ، وهداية القلوب ، وتفريج الكربات ، وسد الفاقات ، فهو كافر مشرك باجماع المسلمين - الى أن قال :

فمن أثبت وسائط بين الله وبين خلقه كالحجاب الذين يكونون بين الملك ورعيته بحيث يكونون هم يرفعون الى الله حوائج خلقه ، وان الله انما يهدي عباده ويرزقهم وينصرهم بتوسطهم ، بمعنى أن الخلق يسألونهم وهم يسالون الله كما ان الوسائط عند الملوك يسالون حوائج الناس لقربهم منهم والناس يسالونهم أدبا منهم لكونهم أقرب الى الملك من الطالب . فمن أثبتهم وسائط على هذا الوجه فهو كافر مشرك يجب أن يستتاب فان تاب وإلا قتل ، وهؤلاء مشبهون شبهوا الخالق بالمخلوقين وجعلوا لله أنداداً

وفي القرآن من الرد على هؤلاء مالا تتسع له هذه الفتوى فان هذا دين المشركين عباد الاوثان الذين كانوا يقولون انها تماثيل الانبياء والصالحين، وانها وسائل يتقربون بها الى الله . وهو من الشرك الذي أنكره الله على النصارى - إلى أن قال :

وأما الشفاعة التي نفاها القرآن كما عليه المشركون والنصارى ومن ضاهاهم من هذه الامة فينفيها أهل العلم والايمان، مثل انهم يطلبون من الانبياء والصالحين والغائبين والميتين قضاء حوائجهم ويقولون إنهم إن أرادوا ذلك قضوها، ويقولون إنهم عند الله كخواص الملوك عند الملوك ، ولهم على الملوك ادلال يقضون به حوائجهم فيجعلونهم لله بمنزلة شركاء الملك . والله سبحانه قد نزه نفسه عن ذلك انتهى ملخصاً .

فهذا الذي ذكر الشيخ رحمه الله اجماع المسلمين على أن مرتكبه مشرك كافر يقتل، هو الذي زعم داود البغدادي أنه جائز ، بل زعم ان الله أمر به وأنه معنى الوسيلة التي أمر الله بها في قوله(يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة)

وزعم أن الوسيلة التي أمر الله بها أمر ايجاب أو استحباب بطلب الحاجات وتفريج الكربات من الاموات والغائبين

وزعم أن الشرك هو السجود لغير الله فقط ، وان دعاء الاموات والغائبين والتقرب اليهم بالنذور والذبائح ليس بشرك بل هو مباح ، ثم زاد على ذلك بالكذب على الله وعلى رسوله ، وزعم أن الله أمر بذلك وأحبه، لم يقتصر على دعوى اباحة ذلك ، بل زعم ان الله أمر عباده المؤمنين أن يقصدوا قبور الاموات ويسألوتهم قضاء حاجاتهم ، وتفريج كرباتهم ، فسبحان الله ما أجرأ هذا على الافتراء والكذب على الله

فلو ان انسانا ادعى اباحة بعض صغائر الذنوب كأن يزعم انه يباح للرجل تقبيل المرأة الاجنبية لكان كافراً باجماع المسلمين ، وان زاد على ذلك بان قال ان الله يحب ذلك ويرضاه فقد ازداد كفراً على كفره فكيف بمن زعم ان الله أباح الشرك الاكبر ثم زاد على ذلك بان قال : ان الله امر به وأحب من عباده المؤمنين أن يسارعوا اليه ؟ ما أعظم هذه الجراءة ،

وكلام شيخ الاسلام في هذه المسئلة كثير لايخلو غالب مصنفاته من الكلام عليها . وذكر رحمه الله عن بعض علماء عصره انه قال : هذا من أعظم ما بينته لنا

وذكر رحمه الله في الرسالة السنية لما ذكر حديث الخوارج قال : واذا كان في زمن رسول الله ﷺ من قد مرق من الدين مع عبادته العظيمة، فليعلم ان المنتسب الى الاسلام في هذا الزمان قد يمرق أيضاً . وذلك بامور : منها الغلو الذي

ذمه الله كالغلو في بعض المشائخ، مثل الشيخ عدي[1] بل الغلو في علي بن ابي طالب، بل الغلو في المسيح ، فكل من غلا في نبي او رجل صالح وجعل فيه نوعاً من الالهية مثل ان يدعوه من دون الله بأن يقول : ياسيدي فلان أغثني او اجرني او توكلت عليك او أنا في حسبك، فكل هذا شرك وضلال يستتاب صاحبه فان تاب والا قتل ، فان الله ارسل الرسل وانزل الكتب ليعبد وحده ، ولا يجعل معه إله آخر ،

والذين يجعلون مع الله آلهة أخرى مثل الملائكة والمسيح وعزير والصالحين او قبورهم لم يكونوا يعتقدون انها ترزق ، وتدبر أمر من دعاها ، وانما كانوا يدعونهم يقولون : هؤلاء شفعاؤنا عند الله، فبعث الله الرسل تنهى ان يدعى أحد من دونه لادعاء عبادة ولا دعاء استعانة ، وكلامه رحمه الله في هذا الباب كثير

وكذلك ابن القيم بالغ في إيضاح هذا الامر وبين بطلانه كقوله في شرح المنازل : ومنه — اي الشرك — طلب الحوائج من الموتى والاستغاثة بهم والتوجه اليهم ، فان هذا اصل شرك العالم فان الميت قد انقطع عمله وهو لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً فضلا عمن استغاث به وسأله أن يشفع له انتهى

وهذا الذي قال انه أصل شرك العالم ـ هو الذي يزعم داود البغدادي ان الله امر به تعالى الله عما يقول المفترون علواً كبيرا

وقال ابن القيم في الهدي ـ في فوائد غزوة الطائف ـ ومنها انه لا يجوز ابقاء مواضع الشرك والطواغيت بعد القدرة على هدمها وابطالها يوما واحداً فانها شعائر الكفر والشرك ، ولا يجوز الاقرار عليها ألبتة . قال : وهذا حكم المشاهد التي بنيت على القبور التي اتخذت اوثانا وطواغيت تعبد من دون الله وكذا الاحجار

(١) لعله الشيخ عدي بن مسافر الذي تؤلهه فرقة اليزيدية بالعراق الذين يقال عنهم أنهم يعبدون الشيطان

التي تقصد بالتعظيم والتبرك والنذر والتقبيل فلا يجوز ابقاء شيء منها على وجه الارض مع القدرة على إزالتها ، وكثير منها بمنزلة اللات والعزى ومناة الثالثة الاخري ، بل اعظم شركا عندها وبها . والله المستعان

ولم يكن أحد من أرباب هـذه الطواغيت يعتقد انها تخلق وترزق وتحيي وتميت ، وانما كانوا يفعلون عندها وبها مايفعله اخوانهم من المشركين اليوم عند طواغيتهم، اتبع هؤلاء سنن من كان قبلهم وسلكوا سبيلهم حذو القذة بالقذة ، وأخذوا مأخذهم شبراً بشبر وذراعا بذراع. وغلب الشرك على أكثر النفوس لظهور الجهل وخفاء العلم ؛ وصار المعروف منكرا ، والمنكر معروفا ، والسنة بدعة ، والبدعة سنة . ونشأ في ذلك الصغير ، وهرم عليه الكبير ، وطمست الاعلام، واشتدت غربة الاسلام ، وقل العلماء ، وغلب السفهاء ، وتفاقم الامر واشتد البأس ، وظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس . ولكن لا تزال طائفة من العصابة المحمدية بالحق قائمين ، ولاهل الشرك والبدع مجاهدين، الى أن يرث الله الارض ومن عليها وهو خير الوارثين. انتهى

فانظر قوله في المشاهد التي بنيت على القبور كونها اتخذت أوثانا وطواغيت وربما ينفر قلب الجاهل من تسمية قبر نبي أو رجل صالح وثنا ، وقد قال النبي ﷺ « اللهم لاتجعل قبري وثنا يعبد »

فهذا الحديث يبين انه لو قصد قبر النبي ﷺ بعبادة له كان قاصده بذلك قد اتخذه وثنا ، فكيف بغيره من القبور ؟

وقوله رحمه الله : كثير منها بمنزلة اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى ، بل أعظم شركا عندها وبها. صدق رحمه الله لما شاهدنا في هذه الازمنة من الغلو والشرك العظيم ، من كون كثير من الغلاة عند الشدائد في البر والبحر يخلصون الدعاء لمعبوديهم ، وكثير منهم ينسون الله عند الشدائد كما هو مستفيض عند الخاصة

والعامة ، وقد أخبر الله عن المشركين الاولين انهم يخلصون عند الشدائد الدعاء لله سبحانه وتعالى وينسون آلهتهم . ونصوص القرآن في ذلك كثيرة كما قال سبحانه (فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين * واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه) وقال (قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون إن كنتم صادقين ؟ * بل إياه تدعون فيكشف ما تدعون اليه إن شاء وتنسون ماتشركون * واذا مس الانسان ضر دعا ربه منيباً اليه ثم اذا خوله نعمة منه نسي ما كان يدعو اليه من قبل وجعل لله أندادا)

فهذا اخباره سبحانه عن المشركين الذين بعث اليهم رسول الله ﷺ ينهاهم عن الشرك ويأمرهم بالتوحيد . وغالب مشركي أهل هذا الزمان بعكس ذلك

وقول ابن القيم رحمه الله : غلب الشرك على أكثر النفوس، وسبب ذلك كله ظهور الجهل وقلة العلم . فهذا قوله فيما شاهده في زمانه ببلاد الاسلام، فكيف لو رأى هذا الزمان ؟ وفي الحديث « لايأتي زمان إلا والذي بعده شر منه ». قال ابن مسعود «لاأقول زمان أخصب من زمان ولا أمير خير من أمير ، ولكن بذهاب خياركم وعلمائكم » فكيف لوشاهد من يقول: ان الله أمر بطلب الحاجات من الاموات، ويقول انما الشرك هو السجود لغير الله لا غير، كما قال ذلك داود البغدادي مشافهة لي، فيلزمه ان قصد المشركين الاولين لآلهتهم كاللات والعزى ومناة وكذلك هبل إذ طلب الحاجات منها وكشف الكربات والتقرب اليها بالنذور والذبائح ، ان هذا ليس بشرك اذا لم يسجدوا لها . فياسبحان الله كيف يبلغ الجهل بمن ينسب الى علم الى هذه الفضيحة ؟

وقال ابن القيم رحمه الله : رأيت لأبي الوفاء ابن عقيل فصلا حسنا فذكرته بلفظه قال : لما صعبت التكاليف على الجهال والطغام عدلوا عن أوضاع الشرع الى أوضاع وضعوها لانفسهم، فسهلت عليهم، إذ لم يدخلوا بها تحت أمر غيرهم

قال : وهم عندي كفار بهذه الاوضاع مثل تعظيم القبور وإكرامها بما نهى عنه الشرع من ايقاد السرج عليها وتقبيلها وتخليقها[١] وخطاب أهلها بالحوائج وكتابة الرقاع فيها: يامولاي افعل بي كذا وكذا ، وأخذ تربتها تبركا ، وإفاضة الطيب على القبور ، وشد الرحال اليها وإلقاء الخرق على الشجر اقتداء بمن عبد اللات والعزى

وقولك: ان الشيخ تقي الدين وابن القيم يقولان ان من فعل هذه الاشياء لايطلق عليه انه كافر مشرك حتى تقوم عليه الحجة الاسلامية من امام او نائبه فيصر ، وانه يقال هذا الفعل كفر وربما عذر فاعله لاجتهاد أو تقليد اوغير ذلك: فهذه الجملة التي حكيت عنهما لا أصل لها في كلامهما

وأظن اعتمادك في هذا على ورقة كتبها داود نقل فيها نحو هذه العبارة من اقتضاء الصراط المستقيم للشيخ تقي الدين لما قدم عنيزة المرة الثانية معه هذه الورقة يعرضها على ناس في عنيزة يشبه بها ويقول : لو سلمنا أن هذه الامور التي تفعل عند القبور شرك كما تزعم هذه الطائفة فهذا كلام امامهم ابن تيمية الذي يقتدون به يقول: إن المجتهد المتأول والمقلد والجاهل معذورون مغفور لهم فيما ارتكبوه

فلما بلغني هذا عنه أرسلت اليه وحضر عندي وبينت له خطأه ، وانه وضع كلام الشيخ في غير موضعه . وبينت له أن الشيخ انما قال ذلك في أمور بدعية ليست بشرك ، مثل تحري دعاء الله عند قبر النبي ﷺ وبعض العبادات المبتدعة فقال في الكلام على هذه البدع ، وقد يفعل الرجل العمل الذي يعتقده صالحا ولا يكون عالما انه منهي عنه فيثاب على حسن قصده ويعفى عنه لعدم علمه . وهذا باب واسع وعامة العبادات المنهي عنها قد يفعلها بعض الناس ويحصل له نوع من الفائدة وذلك لايدل على انها مشروعة ، ثم العامل قد يكون متأولا أومجتهداً مخطئا او مقلداً فيغفر له خطأه ويثاب على ما فعله من المشروع المقرون بغير المشروع . فهذا كلامه في الامور التي ليست شركا

«١» تخليقها تطييبها بالخلوق ومثله كل عطر وطيب

وأما الشرك فقد قال رحمه الله : إن الشرك لايغفر وإن كان أصغر نقل عنه ذلك تلميذه صاحب الفروع فيه وذلك والله أعلم لعموم قوله تعالى (إن الله لايغفر أن يشرك به) مع أن الشيخ رحمه الله لم يجزم أنه يغفر لمن ذكرهم وانما قال قد يكون

وقد قال رحمه الله في شرح العمدة لما تكلم في كفر تارك الصلاة فقال : وفي الحقيقة فكل رد لخبر الله او أمره فهو كفر ، دق أو جل ، لكن قد يعفى عما خفيت فيه طرق العلم وكان أمراً يسيراً في الفروع ، بخلاف ماظهر أمره وكان من دعائم الدين من الاخبار والاوامر ، يعني فانه لايقال قد يعفى عنه

وقال رحمه الله في أثناء كلام له في ذم أصحاب الكلام قال : والرازي من أعظم الناس في باب الحيرة ، له نهمة في التشكيك والشك في الباطل خير من الثبات على اعتقاده ، لكن قل ان يثبت أحد على باطل محض ، بل لابد فيه من نوع من الحق وتوجد الردة فيهم كثيراً كالنفاق

وهذا اذا كان في المقالات الخفية فقد يقال لم تقم عليه الحجة التي يكفر صاحبها لكن يقع ذلك في طوائف منهم في أمور يعلمها العامة والخاصة ، بل اليهود والنصارى يعلمون أن محمداً بعث بها وكفر من خالفها مثل عبادة الله وحده لاشريك له ، ونهيه عن عبادة غيره ، فان هذا أظهر شرائع الاسلام ، ومثل أمره بالصلوات الخمس ، ومثل معاداة المشركين وأهل الكتاب ومثل تحريم الفواحش والربا والميسر ونحو ذلك

وقولك ان الشيخ يقول : إن من فعل شيئاً من هذه الامور الشركية لايطلق عليه انه كافر مشرك حتى تقوم عليه الحجة الاسلامية. فهو لم يقل ذلك في الشرك الاكبر وعبادة غير الله ونحوه من الكفر ، وانما قال هذا في المقالات الخفية كما قدمنا من قوله وهذا اذا كان في المقالات الخفية فقد يقال لم تقم عليه الحجة التي يكفر صاحبها فلم يجزم بعدم كفره وانما قد يقال

وقوله قد يقع ذلك في طوائف منهم يعلم العامة والخاصة ، بل اليهود والنصارى يعلمون أن محمداً بعث بها وكفر من خالفها مثل عبادة الله وحده لاشريك له ونهيه عن عبادة غيره فان هذا أظهر شرائع الاسلام . يعني فهذا لايمكن أن يقال لم تقم عليه الحجة التي يكفر تاركها ، والامر بعبادة الله وحده لاشريك له والنهي عن عبادة غيره هو مانحن فيه ، قال تعالى (رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل)

وقوله رحمه الله : بل اليهود والنصارى يعلمون ذلك. حكى لنا عن غير واحد من اليهود في البصرة أنهم عابوا على المسلمين مايفعلون عند القبور ، قالوا إن كان نبيكم أمركم بهذا فليس بنبي ، وإن لم يأمركم فقد عصيتموه ،

وعبادة الله وحده لاشريك له هي أصل الاصول الذي خلق الله الجن والانس لاجله ، قال تعالى (وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون) اي يعبدوني وحدي وهو الذي أرسل به جميع الرسل قال تعالى (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) والطاغوت اسم لكل ماعبد من دون الله ، وقال تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي اليه انه لاإله إلا انا فاعبدون) وكل رسول أرسله الله فأول مايدعوهم اليه هذا التوحيد قال تعالى (لقد أرسلنا نوحا الى قومه فقال ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره) (وإلى عاد أخاهم هوداً قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره) (والى ثمود أخاهم صالحا قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره) (والى مدين أخاهم شعيبا قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره)

فمن جعل شيئاً من العبادة لغير الله فهذا هو الشرك الاكبر الذي لايغفره الله ، قال الله تعالى (إن الله لايغفر أن يشرك به)فمن زعم ان الله سبحانه يغفره فقد رد خبر الله سبحانه

وحد العبادة وحقيقتها طاعة الله فكل قول وعمل ظاهر وباطن يحبه الله فهو عبادة كل فهي ما أمر به شرعا أمر إيجاب أو استحباب فهو عبادة . فهذا حقيقة العبادة عند جميع العلماء التي من جعل منها لغير الله شيئا فهو كافر مشرك

ومما يبين ان الجهل ليس بعذر في الجملة قوله ﷺ في الخوارج ما قال مع عبادتهم العظيمة ، ومن المعلوم انه لم يوقعهم فيما وقعوا فيه الا الجهل ، وهل صار الجهل عذراً لهم ؟

يوضح ما ذكرنا أن العلماء من كل مذهب يذكرون في كتب الفقه (باب حكم المرتد) وهو المسلم الذي يكفر بعد إسلامه ، وأول شيء يبدءون به من انواع الكفر الشرك ، يقولون من أشرك بالله كفر ، لان الشرك عندهم اعظم انواع الكفر ، ولم يقولوا ان كان مثله لا يجهله كما قالوا فيما دونه

وقد قال النبي ﷺ لما سئل : اي الذنب اعظم إثما عند الله ؟ قال « أن تجعل لله نداً وهو خلقك » ولو كان الجاهل أو المقلد غير محكوم بردته إذا فعل الشرك لم يغفلوه . وهذا ظاهر

وقد وصف الله سبحانه أهل النار بالجهل كقوله (وقالوا لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير) وقال (ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها ، اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون) وقال (قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا ؟ الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا) وقال تعالى (فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة * انهم اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله ويحسبون انهم مهتدون) قال ابن جرير عند تفسير هذه الآية وهذا يدل على ان الجاهل غير معذور

ومن المعلوم ان اهل البدع الذين كفرهم السلف والعلماء بعدهم اهل علم وعبادة

وفيهم زهد ولم يوقعهم فيما ارتكبوه الا الجهل ، والذين حرقهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه بالنار هل آفتهم إلا الجهل ؟

ولو قال انسان انا اشك في البعث بعد الموت لم يتوقف من له ادنى معرفة في كفره ، والشاك جاهل . قال تعالى (واذا قيل ان وعد الله حق والساعة لاريب فيها قلتم ماندري ما الساعة إن نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين) وقد قال الله سبحانه عن النصارى (اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح ابن مريم) الآية . قال عدي بن حاتم للنبي ﷺ : ما عبدناهم . قال « أليس يحلون ما حرم الله فتحلونه ويحرمون ما احل الله فتحرمونه ؟ » قال : بلى . قال « فتلك عبادتهم » فذمهم الله سبحانه وسماهم مشركين مع كونهم لم يعلموا ان فعلهم معهم هذا عبادة لهم فلم يعذروا بالجهل

ولو قال إنسان عن الرافضة في هذه الازمان انهم معذورون في سبهم الشيخين وعائشة لانهم جهال مقلدون لانكر عليه الخاص والعام

وما تقدم من حكاية شيخ الاسلام رحمه الله إجماع المسلمين على ان من جعل بينه وبين الله وسائط يتوكل عليهم ، ويسألهم جلب المنافع ودفع المضار انه كافر مشرك ، يتناول الجاهل وغيره ، لانه من المعلوم انه اذا كان انسان يقر برسالة محمد ﷺ ويؤمن بالقرآن ويسمع ما ذكر الله سبحانه في كتابه من تعظيم أمر الشرك بأنه لايغفره وان صاحبه مخلد في النار ، ثم يقدم عليه وهو يعرف انه شرك ، هذا ما لا يفعله عاقل وانما يقع فيه من جهل انه شرك

وقد قدمنا كلام ابن عقيل في جزمه بكفر الذين وصفهم بالجهل فيما ارتكبوه من الغلو في القبور . نقله عنه ابن القيم مستحسنا له

والقرآن يرد على من قال ان المقلد في الشرك معذور . وقد افترى وكذب على الله ، وقد قال الله عن المقلدين من اهل النار (إنا اطعنا سادتنا وكبراءنا

فأضلونا السبيلا) وقال سبحانه حاكيا عن الكفار قولهم (إنا وجدنا آباءنا على امة وإنا على آثارهم مهتدون) وفي الآية الاخرى (إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون)

واستدل العلماء بهذه الآية ونحوها على انه لا يجوز التقليد في التوحيد والرسالة وأصول الدين ، وان فرضا على كل مكلف ان يعرف التوحيد بدليله ، وكذلك الرسالة وسائر أصول الدين ، لان أدلة هذه الاصول ظاهرة ولله الحمد لا يختص بمعرفتها العلماء

وقولك : حتى تقوم عليه الحجة الاسلامية من إمام أو نائبه . معناه أن الحجة الاسلامية لا تقبل إلا من إمام أو نائبه ، وهذا خطأ فاحش ، لم يقله أحد من العلماء ، بل الواجب على كل أحد قبول الحق ممن قاله كائنا من كان . ومقتضى هـذا ان من ارتكب أمراً محرما شركا فما دونه بجهل وبين له من عنده علم بأدلة الشرع ان ما ارتكبه حرام وبين له دليله من الكتاب والسنة انه لا يلزمه قبوله الا أن يكون ذلك من امام او نائبه وان حجة الله لا تقوم عليه إلا أن يكون ذلك من الامام أو نائبه ، وأظنك سمعت هذا الكلام من بعض المبطلين وقلدته فيه وما فطنت لعيبه ، وانما وظيفة الامام او نائبه إقامة الحدود واستتابة من حكم الشرع بقتله كالمرتد في بلاد الاسلام .

وأظن هذه العبارة مأخوذة من قول بعض الفقهاء في تارك الصلاة انه لا يقتل حتى يدعوه امام أو نائبه الى فعلها ، والدعاء الى فعل شيء غير بيان الحجة على خطأه أو صوابه أو كونه حقا أو باطلا بأدلة الشرع . فالعالم مثـلا يقيم الادلة الشرعية على وجوب قتل تارك الصلاة ثم الامام أو نائبه يدعوه الى فعلها ويستتيبه

وقولك : انك رأيت كثيراً من هذه الامور التي نقول انها شرك ظاهرة في الشام والعراق والحجاز ولم تسمع منكراً . فمن رزقه الله بصيرة بدينه ماراج عليه

ذلك. والمتعين على الانسان معرفة الحق بدليله ، فاذا عرف الحق بالادلة الشرعية عرض أعمال الناس عليه ، فما وافق الحق عرفه وقبله ، وما خالفه رده ، ولا يغتر بكثرة المخالف .

قال رجل لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: أترى اننا نظن انك على الحق وفلانا على باطل ؟ فقال علي : ويحك يافلان ان الحق لا يعرف بالرجال ، اعرف الحق تعرف أهله . وقد سبق كلام ابن القيم في وصفه أهل زمانه

وقوله : غلب الشرك على أكثر النفوس لظهور الجهل وخفاء العلم وصار المعروف منكرا والمنكر معروفا ، والسنة بدعة والبدعة سنة ، ونشأ في ذلك الصغير وهرم عليه الكبير ، وطمست الاعلام واشتدت غربة الاسلام ، وقل العلماء ، وغلب السفهاء : هذا وصفه لزمانه ، فما ظنك بأهل زمان بعده بخمسمائة عام لانه لا يأتي عام إلا والذي بعده شر منه بخبر الصادق المصدوق ﷺ مع قوله « لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة » مع اننا قد سمعنا وبلغنا عن كثير من علماء الزمان انكار هذه الامور المبتدعة الشركية. سمعنا من ناس في الحرمين واليمن وبلغنا عن أناس في مصر والشام انكار هذه المحدثات ، لكن همتهم تقصر عن اظهار ذلك لان عمارة هذه المشاهد الشركية أكثرها من تحت أيدي ولاة الامور وأهل الدنيا ، ووافقهم على ذلك وزينه لهم بعض علماء السوء بسبب ذلك استحكم الشر وتزايد ، والشر في زيادة والخير في نقصان

وفي حديث عن النبي ﷺ قال «هلكت بنو اسرائيل على يدي قرائهم وفقهائهم وستهلك هذه الأمة على يدي قرائها وفقهائها » فما أصدق قول عبدالله ابن المبارك رحمه الله :

وهل أفسد الدين إلا الملو ك وأحبار سوء ورهبانها

ومما يبين لك عدم الاغترار بالكثرة ان أكثر أهل هـذه الامصار التي ذكرت مخالفون للصحابة والتابعين وأئمـة الاسلام خصوصاً الامام أحمد ومن وافقه في صفات الرب تبارك وتعالى، يتاولون أكثر الصفات بتحريف الكلم عن مواضعه ، من ذلك قولهم : ان الله لايتكلم بحرف وصوت وان حروف القرآن مخلوقة ويقولون: الايمان مجرد التصديق . وكلام السلف والائمة في ذم أهل هذه المقالات كثير ، وكثير منهم صرح بكفرهم ، وأكثر الأئمـة ذما لهم وتضليلا الامام أحمد رحمه الله وأفاضل أصحابه بعده . وأكثر هذه الامصار اليوم على خلاف ماعليه السلف والائمة ، ومن له بصيرة بالحق لم يغتر بكثرة المخالف ، فان أهل الحق هم أقل النـاس فيما مضى فكيف بهذه الازمان التي غلب فيها الجهل وصار بسبب ذلك ، المعروف منكرا والمنكر معروفا؟

نسأل الله أن يهدينا واخواننا صراطه المستقيم، صراط الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين . وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

﴿ انتهت الرسالة ﴾

طبعت عن نسخة كتب في آخرها مانصه :

بقلم الفقير الى الله عبـد الله الرشيد الفرج ، من خط المصنف رحمه الله سنة ١٣٤٥

رسالة

في دحض شبهات على التوحيد

من سوء الفهم لثلاثة احاديث

(حديث : يئس الشيطان من عبادته في جزيرة العرب . وحديث :
يا عباد الله احبسوا ، وحديث : عصمة كلمة التوحيد
لدم قائلها وماله)

تأليف

﴿العلامة مفتي الديار النجدية وعالم الطائفة السلفية﴾

الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن المشتهر بأبا بطين
رحمه الله تعالى

من مطبوعات صاحب الجلالة السعودية ، ومحيي السنة المحمدية

الإمام عبد العزيز آل سعود

ملك الحجاز ونجد وملحقاتها

(وقد وقفها على من ينتفع بها من أهل العلم والدين)

لا يحل لمن وقعت بيده بيعها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبينا وآله وصحبه أجمعين

قال الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن مفتي الديار النجدية المعروف بابا بطين عليه الرحمة والغفران

أما بعد: فقد طلب مني بعض الاخوان أن أكتب له جوابا عما يورده بعض الناس من قوله ﷺ « ان الشيطان يئس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب » ويستدل به على استحالة وقوع شيء من الشرك في جزيرة العرب . والحديث المروي « ياعباد الله احبسوا احبسوا » وعما يورده بعضهم من قوله ﷺ لاسامة « أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله ؟ » وقوله « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله الا الله » ويستدل بذلك على أن من قال لا إله الا الله لا يجوز قتاله ولا قتله

(فالجواب) اما قوله ﷺ « ان الشيطان يئس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب » فيقال

(أولا) من المعلوم بالضرورة ان الله سبحانه بعث محمداً ﷺ يدعو إلى التوحيد وهو توحيد الالوهية ، وينهى عن الشرك وهو عبادة غير الله

وأما الشرك بالربوبية ، فمن المعلوم بنصوص الكتاب ان المشركين الذين بعث اليهم رسول الله وقاتلهم يقرون بتوحيد الربوبية ، وان شركهم هو في توحيد العبادة وهو توحيد الالوهية الذي هو مضمون شهادة أن لا إله إلا الله ، فعبدوا من عبدوه من دون الله ليشفعوا لهم عنده في نصرهم ورزقهم وغير ذلك كما قال تعالى اخباراً عنهم (مانعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) . (هؤلاء شفعاؤنا عندالله) فبعث الله رسوله محمداً ﷺ ينهاهم عن هذا الشرك ويدعوهم إلى توحيد

العبادة ، وهذه دعوة الرسل من أولهم إلى آخرهم . قال تعالى (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) وقوله (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي اليه انه لا اله الا أنا فاعبدون)

وهذا الاصل هو الذي خلق الله الجن والانس لاجله . قال تعالى (وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون)

فاذا تبين ان هذا هو اصل الاصول علمنا يقينا ان الله سبحانه لا يترك هذا الامر ملتبساً بل لابد أن يكون بيناً واضحاً ، لالبس فيه ولا اشتباه ، لانه أصل الدين ، ومعرفته فرض على كل مسلم مكلف ، ولا يجوز فيه التقليد

وحقيقة ذلك ان الشرك هو عبادة غير الله تعالى . والعبادة هي الطاعة بفعل ماامر الله به ورسوله من واجب ومندوب ، فمن أخلص ذلك لله فهو الموحد ، ومن جعل شيئاً من العبادة لغير الله فهو مشرك . قال تعالى (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً) اي في العبادة . وقال تعالى (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا) الآية

فاذا علم الانسان حقيقة الشرك عرف يقينا ان الشرك وقع في الجزيرة كثيراً : عند مشاهد وقبور يمنا وحجازاً ، من دعاء الاموات والغائبين ، والاستغاثة بهم وسؤال الحاجات ، وتفريج الكربات والتقرب اليهم بالنذور والذبائح ، وكذلك الذبح للجن والاستغاثة بهم . وهذا أمر معلوم بالتواتر عند من شاهد ذلك ،

فاذا تحقق الانسان ذلك علم ان قوله ﷺ « ان الشيطان قد يئس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب » ليس فيه معارضة لهذا الاصل العظيم الذي هو أصل الاصول ، وليس فيه دلالة على استحالة وجود الشرك في أرض العرب ،

فمن استدل بهذا الحديث على استحالة وجود الشرك في أرض العرب . يقال له بين لنا الشرك الذي حرمه الله واخبر انه لا يغفره فان فسره بالشرك في توحيد

الربوبية، فنصوص القرآن تبطل قوله، لانه سبحانه أخبر عن المشركين انهم يقرون بتوحيد الربوبية كما في قوله (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم) والآيات في ذلك كثيرة

وان فسر الشرك ببعض أنواع العبادة دون بعض، فهو مكابر، ويخاف على مثله أن يكون من الذين في قلوبهم زيغ، يتركون المحكم ويتبعون المتشابه، مع انه ليس في الحديث حجة لهم ولا شبهة، وانما معنى الحديث: انه يئس أن يجتمعوا كلهم على الكفر

قال ابن رجب على الحديث: المراد انه يئس أن تجتمع الامة كلها على الشرك الاكبر. وأشار ابن كثير الى هذا المعنى عند تفسير قوله تعالى (اليوم يئس الذين كفروا من دينكم) قال ابن عباس رضي الله عنه: يعني يئسوا ان تراجعوا دينهم وكذا قال عطاء والسدي ومقاتل - قال: وعلى هذا يرد الحديث الصحيح « ان الشيطان يئس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب »

فأشار الى ان معنى الحديث موافق لمعنى الآية، وان معنى الحديث انه يئس أن يرجع المسلمون عن دينهم الى الكفر. قال غير واحد من المفسرين: ان المشركين كانوا يطمعون في عود المسلمين الى دينهم. فلما قوي الاسلام وانتشر يئسوا من رجوعهم عن الاسلام الى الكفر، وكذا معنى إياس الشيطان لما رأى من ظهور الاسلام وانتشاره وتمكنه من القلوب ورسوخه فيها، وعلى هذا فلا يدل الحديث: ان الشيطان يئس من وجود شرك في جزيرة العرب أبد الآبدين

ويدل لما ذكرناه مارواه الامام أحمد عن ابن عباس قال: لما افتتح رسول الله ﷺ مكة رنّ ابليس رنة اجتمع اليه جنوده فقال: ايئسوا أن تردوا أمة محمد الى الشرك بعد يومكم هذا، ولكن افتنوهم فافشوا فيهم النوح

وأيضا ففي الحديث نسبة اليأس الى الشيطان مبنياً للفاعل لم يقل أيس بالبناء

للمفعول ، ولو قدر انه يأس من عبادته في أرض العرب إياساً مستمراً فانما ذلك ظن منه وتخمين، لاعن علم لانه لايعلم الغيب، وهذا غيب لايعلمه إلا الله (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول) فانه يطلعه على مايشاء من الغيب وقد قال تعالى (وما تدري نفس ماذا تكسب غدا) أي من خير وشر ، وهـذا من مفاتيح الغيب التي لايعلمها الا الله ، وقال النبي ﷺ « مفاتح الغيب خمس لايعلمها الا الله، لايعلم ماتغيض الارحام إلا الله، ولا يعلم مافي غد إلا الله» الحديث

وكانت الشياطين في زمن سليمان بن داود عليهما السلام يدعون علم الغيب فلما مات سليمان لم يعلموا بموته إلا بعد سنة وهم في تلك السنة دائبون في التسخير والاعمال الشاقة ، فلما علموا بموته تبين لهم انهم لايعلمون الغيب ، قال تعالى (فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته إلا دابة الارض تأ كل منسأته - الى قوله - فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العـذاب المهين)

ونبينا ﷺ أخبر «أنه يجاء برجل من أمته يوم القيامة فيؤخذ بهم ذات الشمال الى النار فيقول: أصحابي أصحابي ، فيقال له انك لاتدري ماأحدثوا بعدك» فكيف يقال ان الشيطان يعلم ما تستمر عليه الامة من خير وشر وكفر واسلام وهذا غيب لايعلمه الا الله ومن يطلعه عليه من رسله؟

فتبين بما ذكرنا انه لادلالة في الحديث على استحالة وقوع الشرك في جزيرة العرب

ويوضح ذلك ان أكثر العرب ارتدوا بعد وفاة النبي ﷺ فكثير منهم رجعوا الى الكفر وعبادة الاوثان ، وكثير صدقوا من ادعى النبوة كمسيلمة وغيره ، ومن أطاع الشيطان في نوع من أنواع الكفر فقد عبـده ، لا تختص عبادة الشيطان بنوع من الشرك لقوله تعالى (ألم أعهد اليكم يابني آدم أن لا تعبدوا الشيطان) أي لا تطيعوه ، فعبادته طاعته

يوضح ذلك تفسير النبي ﷺ لقوله تعالى (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من

دون الله والمسيح بن مريم) الآية ـ ان طاعتهم في التحريم والتحليل . فسمى الله ذلك شركا وعبادة منهم للاحبار والرهبان . وأيضاً فقد صح عن النبي ﷺ انه قال « لا تقوم الساعة حتى تعبد اللات والعزى » (١) وقال « لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليات نساء دوس حول ذي الخلصة » (٢) وهو صنم كان لهم في الجاهلية بعث النبي ﷺ لهدمه جرير بن عبد الله

فتبين ان عبادة الشيطان وجدت بعد موت النبي ﷺ في جزيرة العرب وتوجد آخر الزمان بهذه النصوص الثابتة ، وقال النبي ﷺ « لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا حجر ضب لدخلتموه » قالوا يارسول الله اليهود والنصارى ؟ قال « فمن؟ » وقل « لتأخذن هذه الامة مأخذ الامم قبلها شبراً بشبر وذراعا بذراع » قالوا يارسول الله فارس والروم ؟ قال « ومن الناس إلا أولئك ؟ »

فاخبر النبي ﷺ ان هذه الامة تفعل كما فعلت الامم قبلها : اليهود والنصارى وفارس والروم وان هذه الامة لا تقصر عما فعلته الامم قبلها ، وقال « لا تزال طائفة

---

(١) هو في صحيح مسلم من حديث عائشة مرفوعا بلفظ « لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى » قالت فقلت يارسول الله ان كنت لأظن حين أنزل الله (هو الذي أرسل رسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون) ان ذلك تام . قال « انه سيكون من ذلك ماشاء الله » الخ

(٢) رواه مسلم. وذو الخلصة : بيت كان فيه صنم لدوس وخثعم وبجيلة وغيرهم وقيل ذو الخلصة الكعبة اليمانية التي كانت باليمن، فأنفذ رسول الله ﷺ جرير ابن عبد الله فخربها وقيل : ذو الخلصة الصنم نفسه . والمعنى انهم يرتدون ويعودون الى جاهليتهم في عبادة الاوثان فتسعى نساء بني دوس طائفات حول ذي الخلصة فترتج أعجازهن اه من النهاية لابن الاثير

من أمتي على الحق منصورة لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله»
نسأل الله أن يجعلنا منهم بفضله ورحمته وكرمه

***

وأما الجواب عن الحديث المروي فيمن انفلتت دابته في السفر أن يقول : « ياعباد الله احبسوا » فأجيب بأنه غير صحيح لانه من رواية معروف بن حسان وهو منكر الحديث، قاله: ابن عدي .

ومن المعلوم ـ إن كان صحيحاً ـ ان النبي ﷺ لا يأمر من انفلتت دابته أن يطلب ردها وينادي من لا يسمعه ولا يقدر على ردها، بل نقطع انه انما أمره أن ينادي من يسمعه وله قدرة على ذلك ، كما ينادي الانسان أصحابه الذين معه في سفره ليردوا دابته . وهذا يدل ـ إن صح ـ على ان لله جنوداً يسمعون ويقدرون (وما يعلم جنود ربك إلا هو) وروي زيادة لفظة في الحديث «فان الله حاضر» فهذا صريح في انه انما ينادي حاضراً يسمع ، فكيف يستدل بذلك على جواز الاستغاثة باهل القبور والغائبين

فمن استدل بهذا الحديث على دعاء الاموات لزمه أن يقول: ان دعاء الاموات ونحوهم ، إما مستحب أو مباح ، لان لفظ الحديث « فليناد » وهـذا أمر أقل أحواله الاستحباب أو الاباحة . ومن ادعى ان الاستغاثة بالاموات والغائبين مستحب أو مباح فقد مرق من الاسلام

فاذا تحققت ان الرسول ﷺ لا يأمر من انفلتت دابته أن ينادي من لا يسمعه ولا قدرة له على ذلك، وكما دل عليه قوله «فان الله حاضر» تبين لك ضلال من استدل به على دعاء الغائبين والاموات الذين لا يسمعون ولا ينفعون ، وهل هذا إلا مضادة لقول الله تعالى (ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك فان فعلت فانك إذاً لمن الظالمين) وقوله (ان الذين تدعون من دونه مايملكون

من قطمير ﴿ إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم) الآية ، وقوله (ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون) (وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا) وقال (له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء إلا كباسط كفيه إلى الماء) الآية .

فهذه الآيات وأضعافها نص في تضليل من دعا من لا يسمع دعاءه ولا قدرة له على نفعه ولا ضره ، ولو قدر سماعه فانه عاجز ،

فكيف تترك نصوص القرآن الواضحة وترد بقوله « ياعباد الله احبسوا » مع أنه ليس في ذلك معارضة لما دل عليه القرآن ولا شبهة معارضة ؟ ولله الحمد .

*
* *

وأما من ادعى ان من قال لا إله إلا الله فانه لا يجوز قتله ولا قتال الطائفة الممتنعة اذا قالو هذه الكلمة وإن فعلوا أي ذنب ، فهذا قول مخالف للكتاب والسنة والاجماع ، ولو طرد هذا القائل أصله لكان كافراً بلا شك .

أما الكتاب فقول الله تعالى (اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ـ الى قوله ـ فان تابوا ـ اي عن الشرك ـ وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم) فجعل قتالهم ممدوداً الى اقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ، بعد الاتيان بالتوحيد . وقال تعالى (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ـ أي شرك ـ ويكون الدين كله لله)

وأما السنة فكثير جداً (منها) ماثبت في الصحيحين من حديث ابن عمر رضي الله عنهما ان النبي ﷺ قال « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ، فاذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها »

وفي الصحيحين عن ابي هريرة قال : لما توفي رسول الله ﷺ استخلف

ابو بكر وكفر من كفر من العرب . قال عمر لابي بكر: كيف تقاتل الناس ـ وقد قال رسول الله ﷺ « أمرت أن اقاتل الناس حتى يقولوا لا إله الا الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها »؟ فقال ابو بكر «لاقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فان الزكاة حق المال ، فوالله لو منعوني عقالا كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعه » فقال عمر « فوالله ماهو إلا أن رأيت الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت انه الحق» فقد جعل الصديق رضي الله عنه المبيح للقتال مجرد المنع لاجحد الوجوب

وقال النووي في شرح مسلم (باب الامر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله الا الله محمد رسول الله ، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ، ويؤمنوا بجميع ماجاء به النبي ﷺ ، وان من أبى بذلك عصم نفسه وماله إلا بحقها ، ووكلت سريرته الى الله ، وقتال من منع الزكاة وغيرها من حقوق الاسلام ، واهتمام الامام بشرائع الاسلام) ثم ساق الحديث ـ ثم قال : قال الخطابي في شرح هذا الكتاب كلاما حسناً لا بد من ذكره لمافيه من الفوائد :

قال رحمه الله: مما يجب تقديمه ان يعلم ان أهل الردة كانوا صنفين ارتدوا عن الدين ، ونابذوا الملة وعادوا لكفرهم، وهم الذين عنى ابو هريرة بقوله «وكفر من كفر من العرب»

(والصنف الثاني)فرقوا بين الصلاة والزكاة فأقروا بالصلاة وأنكروا فرض الزكاة ووجوب ادائها الى الامام

وقد كان في ضمن هؤلاء المانعين من يكاد يسمح بالزكاة ولا يمنعها إلا أن رؤساءهم صدوهم عن ذلك الرأي، وقبضوا على أيديهم في ذلك، كبني يربوع، فانهم جمعوا صدقاتهم وأرادوا أن يبعثوا بها الى أبي بكر فمنعهم مالك بن نويرة من ذلك وفرقها فيهم ، وفي أمر هؤلاء عرض الخلاف ، ووقعت الشبهة عند عمر رضي الله

عنه ، فراجع ابا بكر وناظره واحتج عليه بقول النبي ﷺ « أمرت ان أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فمن قال لا إله إلا الله فقد عصم نفسه وماله »

وكان هذا من عمر تعلقا بظاهر الكلام قبل أن ينظر في آخره ويتأمل شرائطه فقال له أبو بكر «الزكاة حق المال» يريد أن القضية قد تضمنت عصمة دم ومال معلقة بايفاء شرائطها. والحكم المعلق بشرطين لا يحصل باحدهما والآخر معدوم. ثم قايسه بالصلاة ورد الزكاة اليها. وكان في ذلك من قوله دليل على قتال الممتنع من الصلاة وان كان اجماعا من الصحابة رضي الله عنهم، ولذلك رد المختلف فيه إلى المتفق عليه

فلما استقر عندهم رأي ابي بكر رضي الله عنه وبان لعمر صوابه تابعه على قتال القوم ، وهو معنى قوله « فلما رأيت الله شرح صدر ابي بكر للقتال عرفت انه الحق » يريد انشراح صدره بالحجة التي أدلى ، والبرهان الذي أقامه نصاً ودلالة انتهى

وقال النووي أيضاً : وقال الخطابي - ويبين لك ان حديث أبي هريرة مختصر - أن عبد الله بن عمر وأنساً روياه بزيادة لم يذكرها أبو هريرة

في حديث ابن عمر عن رسول الله ﷺ قال « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ، فاذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها »

وفي رواية أنس « أمرت ان أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله الا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وأن يستقبلوا قبلتنا ، وأن يأكلوا ذبيحتنا ، وأن يصلوا صلاتنا ، فاذا فعلوا ذلك حرمت علينا دماؤهم الا بحقها ، ولهم ما للمسلمين، وعليهم ما على المسلمين » انتهى

(قلت) وقد ثبت في الطريق الثالث المذكور في الكتاب من رواية أبي

هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « أمرت ان أقاتل الناس حتى يشهدوا ان لاإله الا الله ويؤمنوا بي وبما جئت به ، فاذا قالوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم الا بحقها »

وفي استدلال أبي بكر واعتراض عمر رضي الله عنهما دليل على انهما لم يحفظا عن رسول الله ﷺ ماحفظه ابن عمر وأنس وأبو هريرة، وكان هؤلاء الثلاثة سمعوا هذه الزيادة في روايتهم في مجلس آخر ، فان عمر لو سمع ذلك لما خالف ولما كان احتج بالحديث ، فان هذه الزيادة حجة عليه ، ولو سمع أبو بكر هذه الزيادة لاحتج بها ولما كان احتج بالقياس والعموم . والله أعلم . انتهى كلام النووي رحمه الله

وقال النووي في شرح قوله ﷺ « أمرت ان أقاتل الناس حتى يقولوا لاإله الا الله ، فمن قالها عصم مني ماله ونفسه الا بحقه وحسابه على الله »

قال الخطابي : معلوم ان المراد بهذا أهل الاوثان دون أهل الكتاب، لانهم يقولون لاإله الا الله ثم يقاتلون ولا يرفع عنهم السيف . قال: ومعنى «وحسابه على الله» اي فيما يسرونه ويخفونه، ففيه ان من أظهر الاسلام وأسر الكفر يقبل اسلامه في الظاهر. وهذا قول أكثر العلماء ، وذهب مالك الى أن توبة الزنديق لا تقبل ويحكى ذلك عن احمد بن حنبل. هذا كلام الخطابي

وذكر القاضي عياض معنى هذا وزاد عليه ووضحه فقال: اختصاص عصمة المال والنفس لمن قال لاإله الا الله تعبير عن الاجابة الى الايمان ، وان المراد مشركو العرب وأهل الاوثان ومن لا يوحد ، وهم أول من دعي الى الاسلام وقوتل . فأما غيرهم ممن يقر بالتوحيد فلا يكتفى في عصمته بقول لا إله الا الله اذ كان يقولها في كفره، وهي من اعتقاده فلذلك جاء في الحديث الآخر « اني رسول الله ، ويقيموا الصلاة ، ويؤتوا الزكاة » وهذا كلام القاضي

(قلت) ولا بد من الايمان بما جاء به الرسول كما جاء في الرواية الاخرى عن ابي هريرة «حتى يشهدوا أن لاإله الا الله ، ويؤمنوا بي وبما جئت به». انتهى كلام النووي

ولازم قول من قال: انه لايجوز قتال من قال لاإله إلا الله تخطئة أصحاب رسول الله ﷺ في قتالهم مانعي الزكاة ، وإجماعهم على قتال من لا يصلي ، إذا كانوا طائفة ممتنعين ، بل يلزم من ذلك تخطئة جميع الصحابة في قتالهم بني حنيفة ، وتخطئة علي بن أبي طالب رضي الله عنه في قتال الخوارج. بل لازم ذلك رد النصوص بل رد نصوص القرآن كما قدمناه ورد نصوص رسول الله ﷺ التي لا تحصى

ويلزم صاحب هذه المقالة الفاسدة انه لا يجوز قتال اليهود لانهم يقولون لا إله إلا الله

فتبين بما قررناه ان صاحب هذا القول مخالف للكتاب والسنة والاجماع

ونذكر بعض ما اطلعنا عليه من كلام فقهاء المذاهب :

قال الشيخ على الاجهوري المالكي : من ترك فرضاً أخره لبقاء ركعة بسجدتيها من غير الضرورة ، قتل بالسيف حداً على المشهور . وقال ابن حبيب وجماعة ظاهر المذهب كفر ، واختاره ابن عبد السلام. وقال: في فضل الاذان معنيان (أحدهما) إظهار الشعائر والتعريف بأن الدار دار إسلام، وهو فرض كفاية يقاتل أهل القرية حتى يفعلوه وإن عجز عن قهرهم على إقامته إلا بقتال (والثاني) الدعاء إلى الصلاة والاعلام بوقتها

وقال الأبي في شرح مسلم : والمشهور أن الاذان فرض كفاية على أهل المصر لانه شعار الاسلام، فقد كان رسول الله ﷺ ان لم يسمع أذانا أغار والا أمسك. وقول المصنف: يقاتلون عليه - ليس القتال عليه من خصائص القول بالوجوب لانه نص عن عياض في قول المصنف - والوتر غير واجب - لانهم اختلفوا في التمالؤ

على ترك السنن، هل يقاتلون عليها ؟ والصحيح قتالهم وإكراههم لان في التمالؤ على تركها إماتتها اهـ

وقال في فضل صلاه الجماعة: صلاة الجماعة مستحبة للرجل في نفسه، فرض كفاية في الجملة يعني اهل المصر، قال ولو تركوها قوتلوا كما تقدم اهـ

وقال الشيخ أحمد بن حمدان الادرعي الشافعي - في كتاب قوت المحتاج في شرح المنهاج : من ترك الصلاة جاحداً وجوبها كفر بالاجماع ، وذلك جار في جحود كل مجمع عليه معلوم من الدين بالضرورة فان تركها كسلا قتل حداً على الصحيح والمشهور . أما قتله فلأن الله قال (اقتلوا المشركين) ثم قال (فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم) فدل على أن القتل لا يرفع إلا بالايمان وإقام الصلاة وايتاء الزكاة . ولما في الصحيحين « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وان محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ، فاذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم الا بحقها » إلى أن قال في الروضة : تارك الصلاة يقتل على الصحيح ، جزم به الشيخ ابو حامد

وفي البيان : لو صلى عريانا مع القدرة على السترة أو صلى الفريضة قاعداً بلا عذر — قتل — الى أن قال — والصحيح قتله بصلاة واحدة بشرط إخراجها عن وقت الضرورة .

وقال ابن حجر الهيتمي في التحفة — في باب حكم تارك الصلاة : إن ترك الصلاة جاحدا وجوبها كفر بالاجماع ، أو تركها كسلا مع اعتقاد وجوبها قتل للآية (فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم) وحديث « أمرت أن أقاتل الناس » الحديث ، فانهما شرطا في الكف عن القتل والمقاتلة: الاسلام وإقام الصلاة وايتاء الزكاة . لكن الزكاة يمكن الامام أخذها ولو بالمقاتلة ممن امتنعوا وقاتلوا ، فكانت فيها على حقيقتها بخلافها في الصلاة فانه لا يمكن فعلها بالمقاتلة، فكانت فيها بمعنى القتل اهـ

وأما كلام الحنابلة فصرحوا بأن أهل البلد إذا تركوا الاذان والاقامة قوتلوا . أي قاتلهم الامام او نائبه حتى يفعلوهما . وكذا قالوا في صلاة الجماعة يقاتل تاركها ، وكذا قالوا في صلاة العيد يقاتل أهل بلد تركوها ، وكذا قالوا في قتال مانعي الزكاة ، وان الواحد إذا امتنع من أداء الزكاة ولم يمكن أخذها منه قهراً قتل بعد الاستتابة

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : كل طائفة ممتنعة عن التزام شريعة من شرائع الاسلام الظاهرة المتواترة فانه يجب قتالهم حتى يلتزموا شرائعه وان كانوا مع ذلك ناطقين بالشهادتين وملتزمين بعض شرائعه ، كما قاتل الصديق رضي الله عنه مانعي الزكاة ، وعلى ذلك اتفق الفقهاء بعدهم بعد سابقة مناظرة عمر لأبي بكر رضي الله عنهما ، فاتفق الصحابة رضي الله عنهم على القتال على حقوق الاسلام عملا بالكتاب والسنة

وكذلك ثبت عن النبي ﷺ من عشرة أوجه الحديث عن الخوارج ، وأخبر أنهم شر الخلق والخليقة مع قوله «تحقرون صلاتكم مع صلاتهم ، وصيامكم مع صيامهم» فعلم ان مجرد الاعتصام بالاسلام مع عدم التزام شرائعه ليس بمسقط للقتال . فالقتال واجب حتى يكون الدين كله لله ، وحتى لاتكون فتنة ، فمتى كان الدين لغير الله فالقتال واجب ، فأيما طائفة ممتنعة امتنعت من بعض الصلوات المفروضة أو الصيام أو الحج أو عن التزام تحريم الدماء والاموال ، والخمر والميسر ونكاح ذوات المحارم ، أو عن التزام جهاد الكفار أو ضرب الجزية على أهل الكتاب أو غير ذلك من التزام واجبات الدين أو محرماته التي لاعذر لاحد في جحودها أو تركها التي يكفر الواحد بجحودها . فان الطائفة الممتنعة تقاتل عليها ، وان كانت مقرة بها . وهذا مما لا أعلم فيه خلافا بين العلماء ، وانما اختلف الفقهاء في الطائفة إذا أصروا على بعض ترك السنن كركعتي الفجر والاذان ، والاقامة عند

من لا يقول بوجوبهما ونحو ذلك من الشعائر فهل تقاتل الطائفة الممتنعة على تركها أم لا . فاما الواجبات أو المحرمات المذكورة ونحوها فلاخلاف في القتال عليها ، انتهى

وأيضاً فالمقصود من لا اله الا الله البراءة من الشرك ، وعبادة غير الله تعالى ومشركو العرب يعرفون المراد منها لأنهم أهل اللسان ، فاذا قال أحدهم لااله الا الله فقد تبرأ من الشرك وعبادة غير الله تعالى، فلو قال : لااله إلا الله وهو مصر على عبادة غير الله لم تعصمه هذه الكلمة لقوله سبحانه وتعالى (وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة ـ أي شرك ـ ويكون الدين كله لله) وقوله (اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم)

وقال النبي ﷺ « بعثت بالسيف بين يدي الساعة حتى يعبد الله وحده لاشريك له » وهذا معنى قوله تعالى (وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة ويكون الدين ـ أي الطاعة ـ لله) وهذا معنى لا اله الا الله

نسأل الله أن يجعلها آخر كلامنا ويتوفانا مسلمين برحمته
فهو أرحم الراحمين. وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد
وعلى آله وصحبه والتابعين لهم
باحسان الى يوم الدين

تمت هذه النسخة الشريفة المحتوية على الالفاظ المنيفة اللطيفة
أسكن الله تعالى مؤلفها الغرف العالية الرفيعة آمين
وصلى الله على عبده ورسوله محمد وعلى آله
وصحبه وسلم تسليما
كثيرا

﴿رسالة﴾

معنى قوله ﷺ « ان لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة »

ومحاجة آدم لموسى عليهما السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله بن عبد الرحمن أبا بطين الى الاخوان محمد آل عمر وصالح آل عثمان ومحمد آل ابراهيم ثبتهم الله على الاسلام ووفقهم للتمسك بسنة سيد الانام ، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

(وبعد) فموجب الخط ابلاغ السلام والوصية بالتمسك بما من الله به عليكم من معرفة التوحيد ، الذي هو حق الله على العبيد ، فاعرفوا حق هذه النعمة وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ، نسأل الله أن يجعلنا وإياكم ممن اذا أنعم الله عليه شكر ، واذا ابتلي صبر ، واذا أذنب استغفر ،

وما سألتم عنه من معنى قوله ﷺ « ان لله تسعة وتسعين اسما فمن أحصاها دخل الجنة » فقد ذكر ابن القيم رحمه الله تعالى ما معناه : ان الاحصاء يتناول ثلاثة أمور (الاول) حفظها (الثاني) معرفة معانيها (الثالث) اعتقاد ما دلت عليه والعمل بمقتضاه

***

وأما معنى محاجة آدم موسى عليهما السلام ولوم موسى لآدم ، فذكر شيخ الاسلام وغيره : ان لوم موسى لآدم انما هو على المصيبة التي لحقت الذرية بسبب الذنب ، وآدم انما احتج بالقدر على المصيبة لا على الذنب .

يوضح ذلك : انه لو جاز الاحتجاج بالقدر على الذنب وانه حجة صحيحة لكان حجة لابليس وجميع العصاة ، وهذا باطل بدلائل الكتاب والسنة ، واجماع أهل الحق من الامة والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم

الطلاق على عوض

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبدالله بن عبدالرحمن أبا بطين الى الاخ المكرم ابراهيم آل علي سلمه الله تعالى ، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

(وبعد) موجب الخط ابلاغك السلام، والخط وصل، أوصلك الله إلى ماتحب، وما ذكرت من حال طلاق الذي يذكر أنه طلق زوجته طاقة على عوض منها ثم بعد ذلك طلقها ثلاثا ، فاذا صدقته الزوجة على قوله انه طلقها الاولى على عوض منها فلا يلحقها الطلاق الذي بعد ذلك وتجوز له بعقد جديد

وما ذكرت من حال الذي يبغي يعطي الامير . فالذي تراه مبارك إن أعطى سعر مثله فهو المطلوب، فان قصر عن السعر ولا سمحت نفسه بالتمام فهذا شيء زهيد مايسوى يكتب من طرفه ، ومتى ما شفت له مبيعه تبيعه ان شاء الله . وسلم لنا على العيال والامير وولدنا عبد العزيز واخوانه وآل محمد والطلبة يسلمون عليكم وأنت في حفظ الله وأمانه والسلام

(نصيحة في التمسك بالتوحيد. والامر بانكار المنكر)

بسم الله الرحمن الرحيم

(وبه نستعين)

من عبد الله بن عبد الرحمن أبا بطين الى الاخوان عبد الله آل علي وحمود وعلي آل عبدالله التويجر وفقهم الله لطاعته وحفظهم بكلاءته .

سلام عليكم ورحمته وبركاته .

وبعد موجب الخط ابلاغكم السلام والسؤال عن حالكم أصلح الله لنا ولكم الدين والدنيا والآخرة ، وخطكم وصل أوصلكم الله الى الخير نسأل الله أن يحيينا وإياكم حياة طيبة وهي الحياة في الطاعة ، وأوصيكم بتقوى الله والاستكثار من أعمال الخير والتمسك بما تعرفون من التوحيد الذي دعا اليه الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله

فأكثر الناس اليوم صار المعروف عندهم منكرا والمنكر معروفا وهذا زمان القابض فيه على دينه كالقابض على الجمر ، وكل زمان شر مما قبله ، وتصدر للفتوى جهال أضلوا الناس، اجتمع فيهم الجهل والفجور

وبعض من عنده معرفة صار يناظر وجوه أهل الدنيا (١) والمنصف اليوم أعز من الكبريت الاحمر والحق ولله الحمد عليه نور .

قال ﷺ « تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها » والحق مع ظهوره في غاية الغربة ويرى المؤمن ما يذوب من قلبه

ونرجو ان المتمسك بدين الله اليوم يحصل له أجر خمسين من أصحاب رسول ﷺ لاجل ظهور الشرك في الامصار وظهور المنكرات، واضاعة الصلوات ،

فلم يبق والله من الاسلام إلا اسمه ، وهذا مصداق ما أخبر به الصادق المصدوق صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر الانبياء والمرسلين

نسأل الله ان يهدينا وإياكم صراطه المستقيم ، ويتوفانا مسلمين ، ويجعلنا وإياكم مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين

هذا وأنتم في امان الله وحفظه والسلام وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم

---

(١) أي يجتهد أن يكون نظيرهم في الجاه والمال

فتاوى في الاستشفاع والاستغاثة وغيرها

سئل الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن ابا بطين عن المسائل الآتية فاجاب عنها بما نصه :—

وما سألت عنه من انكار النبي ﷺ على من قال: نستشفع بالله عليك، ولم ينكر قوله نستشفع بك على الله، لان معنى قوله : نستشفع بك على الله اي نطلب منك ان تدعو الله ان يغيثنا لان الداعي شافع، ومعنى نستشفع بالله عليك نطلب من الله ان يطلب منك ان تدعو لنا وتستسقي لنا، فالله سبحانه وتعالى يُشفع اليه ولا يشفع هو الى أحد

وأما آخر الحديث الذي أشار اليه بعد قوله « لا يستشفع به على أحد، شأن الله أعظم من ذلك، ان الله على عرشه، وان عرشه على سمواته وارضه هكذا» وقال باصابعه مثل القبة وفي لفظ «وان عرشه فوق سماواته، وسمواته فوق أرضه هكذا » — وقال باصابعه مثل القبة (١)

واما قوله في الحديث الآخر « انه لا يستغاث بي » الحديث ، فان كان(٢)

---

١ » يراجع ماقاله شيخ الاسلام في هذا الحديث في رسالة العرش

٢ » هكذا في الاصل وليس بعد هـذا الشرط جزاء له . ومن المعلوم ان الاستغاثة كالاستعانة والدعاء ، منها ما هو عادي وما هو عبادة . فالعادي ما يطلب من الناس من الامور العادية التي تدخل في كسبهم وقدرتهم ، واما العبادة فهو طلب مالا يدخل في كسب العباد ولا في نظام الاسباب والمسببات ، وهذا لا يطلب الا من الله القادر على كل شيء ، فاذا وجه الى مخلوق كان عبادة له وشركا بالله تعالى ومن ذلك دعاء الموتى والاستغاثة بهم وقد انقطع كسبهم وصاروا في عالم الغيب الذي لا يعلم شأنهم فيه الا الله تعالى

النبي ﷺ اراد بهذا الحماية لجانب التوحيد ، وإن كانت الإستغاثة بالمخلوق فيما يقدر عليه جائزة كقوله تعالى (فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه) واذا أقبل عليك عدو ونخيت على ربعك(١) يعاونونك فهذا استغاثة بهم، والاستغاثة بالمخلوق فيما يقدر عليه جائزة

والحديث المروي « يأتي على الناس زمان يذوب فيه قلب المؤمن» الحديث فهذه الازمنة والله كذلك ، ولكن لضعف الايمان ما يحس بذلك على حقيقته ، وقد اشتدت والله غربة الاسلام. واي غربة اعظم من غربة من وفقه الله لمعرفة التوحيد الذي اتفقت عليه جميع الرسل الذي هو حق الله على عباده مع جهل أكثر الناس اليوم به وانكارهم له والامر كما قال الله تعالى (قل بفضل الله ورحمته ، فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون) نسأل الله لنا ولكم الوفاة على التوحيد الذي هو اخلاص العبادة لله وحده

وقول الحسن رحمه الله . فما احسن ذلك واجله ، وتوجعه وتأوهه ، فما راى في زمانه المثني على اهله ، ولا يأتي زمان الا والذي بعده شر منه كما قال الصادق المصدوق ، لكن لغلبة الجهل وقلة العلم ، وإلف العادة ضعف استنكار المنكر وعدم . فالله المستعان ، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

---

(١) الربع: جماعة الرجل وقبيلته. ونخيت، أصله : أنخت بعيرك، والمعنى: نزلت عليهم واستنصرت بهم على العدو

معنى كلمة التوحيد

وحكم من قالها ولم يكفر بما يعبد من دون الله

بسم الله الرحمن الرحيم

سئل الشيخ أبا بطين [1] رحمه الله عن معنى لا إله إلا الله وعمن قالها ولم يكفر بما يعبد من دون الله ، وهل من قالها ودعا نبياً أو ولياً هل تنفعه؟ أو هو مباح الدم والمال ولو قالها ؟

أجاب رحمه الله وعفا عنه : معنى لا إله إلا الله عند جميع أهل اللغة وعلماء التفسير والفقهاء، كلهم يفسرون الاله بالمعبود ، والتأله التعبد .

وأما العبادة فعرفها بعضهم بأنها ما أمر به شرعا من غير اطراد عرفي ولا اقتضاء عقلي . والمأثور عن السلف تفسير العبادة بالطاعة ، فيدخل في ذلك فعل المأمور وترك المحظور من واجب ومندوب ، وترك المنهي عنه من محرم ومكروه .

فمن جعل نوعا من أنواع العبادة لغير الله كالدعاء والسجود والذبح والنذر وغير ذلك لغير الله فهو مشرك ،

ولا إله إلا الله متضمنة للكفر بما يعبد من دونه ، لان معنى لا إله إلا الله اثبات العبادة لله وحده والبراءة من كل معبود سواه ، وهذا معنى الكفر بما يعبد من دونه لان معنى الكفر بما يعبد من دونه البراءة منه واعتقاد بطلانه ، وهـذا معنى الكفر بالطاغوت في قول الله تعالى (فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقـد استمسك بالعروة الوثقى) والطاغوت اسم لكل معبود سوى الله ،

« ١ » هذا اللفظ علم محكي كما كانوا ينطقون به في أحوال الاعراب الثلاثة فهو هنا محله الرفع كما هو ظاهر

كما في قوله تعالى (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) وقول النبي ﷺ في الحديث الصحيح « من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله ».

فقوله « وكفر بما يعبد من دون الله » الظاهر ان هذا زيادة ايضاح لأن لا إله إلا الله متضمنة للكفر بما يعبد من دون الله ؛ ومن قال لا إله إلا الله ومع ذلك يفعل الشرك الاكبر ، كدعاء الموتى والغائبين وسؤالهم قضاء الحاجات وتفريج الكربات والتقرب اليهم بالنذور والذبائح فهذا مشرك شاء أم أبى ، والله لا يغفر أن يشرك به (ومن يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار) ومع هذا فهو مشرك ومن فعله كان كافرا

ولكن على ما قال الشيخ لا يقال فلان كافر حتى يبين له ما جاء به الرسول ﷺ فان أصر بعد البيان حكم بكفره وحل دمه وماله ، وقال تعالى (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة) أي شرك (ويكون الدين كله لله) فاذا كان في بلد وثن يعبد من دون الله قوتلوا لاجل هذا الوثن أي لازالته وهدمه وترك الشرك حتى يكون الدين كله لله .

والدعاء دين سماه الله دينا كما في قوله تعالى (فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين) أي الدعاء .

وقال ﷺ « بعثت بالسيف بين يدي الساعة حتى يعبد الله وحده لا شريك له » فمتى كان شيء من العبادة مصروفا لغير الله فالسيف مسلول عليه والله أعلم . وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم

سأل بعض الاخوان الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن رحمة الله تعالى علينا وعليه عن معنى لاإله إلا الله وما تنفي وما تثبت

فأجاب رحمه الله تعالى : وما سألت عن معنى لاإله الا الله وما تثبت وما تنفي (فأول) واجب على الانسان معرفة معنى هذه الكلمة قال الله تعالى لنبيه ﷺ (فاعلم انه لاإله الا الله) وقال (ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة إلا من شهد بالحق) أي بلاإله الا الله (وهم يعلمون) بقلوبهم ماشهدوا به بألسنتهم، فأفرض الفرائض معرفة معنى هذه الكلمة ثم التلفظ بمقتضاها، فالاله هو المعبود والتأله التعبد ،لامعبود الا الله نفت الالهية عمن سوى الله وأثبتها لله تعالى وحده

فاذا عرفت أن الاله هو المعبود والالهية هي العبادة ، والعبادة اسم جامع لكل مايحبه الله ويرضاه من الاقوال والافعال . فالاله هو المعبود المطاع ، فمن جعل شيئاً من العبادة لغير الله فهو مشرك، وذلك كالسجود والدعاء والذبح والنذر ، وكذلك التوكل والخوف والرجاء وغير ذلك من أنواع العبادة الظاهرة والباطنة وافراد الله سبحانه بالعبادة ونفيها عمن سواه هو حقيقة التوحيد وهو معنى لاإله إلاالله ، فمن قال لاإله إلا الله بصدق ويقين أخرجت من قلبه كل ما سوى الله محبة وتعظيما واجلالا ومهابة وخشية وتوكلا ، فلا يصير في قلبه محبة لما يكرهه الله ولا كراهة لما يحبه ، وهذا حقيقة الاخلاص الذي قال فيه ﷺ « من قال لا إله إلا الله مخلصا من قلبه دخل الجنة ـ أو حرم الله عليه النار »

قيل للحسن البصري: ان ناسا يقولون: من قال لاإله إلا الله دخل الجنة، فقال :من قال لا إله إلا الله فأدى حقها وفرضها

وغالب من يقول لاإله إلا الله إنما يقولها تقليداً ولم يخالط الايمان بشاشة قلبه

فلا يعرف ما (١) ومن لا يعرف ذلك يخشى عليه أن يصرف عنها عند الموت وفي القبور أمثال هؤلاء يقولون كما في الحديث « سمعت الناس يقولون شيئا فقلته » نسأل الله أن يثبتنا وإياكم بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة والله أعلم اهـ

(نقل من خط من يزعم أنه نقله من خط الشيخ العلامة والعالم الفاضل البحر الفهامة، وحيد زمانه، وفائق أقرانه، وفارس المعاني والالفاظ، وأوحد الاجلة الحفاظ، ذي الهمم السنية، والمفاخر العلية، مفتي الديار النجدية، نادرة العصر، وزينة الدهر، عبد الله بن عبد الرحمن أبا بطين رحمه الله تعالى)

فتاوى فقهية ومسائل

(في تصرف وصي الصبي في ماله وفي الطلاق وايهما يقدم من مال الميت سداد الدين او الحج عنه ؟)

بسم الله الرحمن الرحيم

افتني عفا الله عنك: اذا كان هنا وكيل لميال صغار قاصرين والوكيل كأخ أو عم أو أجنبي هل تمضي وكالته بكل حال كقسم عقار أو تصرف بمال أو غيره أو تمضي بشيء دون شيء ؟

(مسئلة) اذا طلق رجل امرأته في حال صحته بائنا بعوض أو ثلاث فمات وهي في عدته هل يجب عليها حداد أو يستحب أم لا ؟

(مسئلة) اذا مات انسان وفي ذمته دين آدميين وحجة الاسلام وتركته ماتوفي الجميع هل يقدم الدين أو الحجة أو يتحاصان ؟ افتنا مأجورا انتهى .

---

(١) بياض بالاصل ولعله «لتنقيه وتنبته»

أجاب الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبا بطين رحمه الله تعالى:

(الجواب) من طرف المسئلة الاولى فالوصي على الصغار انما يملك التصرف فيما وصي عليه به ، فاذا أوصاه أبو الصغار عليهم في النظر في مالهم وما يصلح لهم ملك التصرف فيما فيه مصلحة لهم ، وكذلك اذا كان لهم شريك في شيء وطلب القسمة فالوصي عليهم يقسم لهم وتمضي قسمته ولا يملك الوصي تزويج صغير إلا إن نص له الاب على التزويج بأن يقول : وصيت اليك بتزويج بناتي ونحو هذا

وأما البائن في الصحة فلا يلزمها إحداد اذا مات زوجها وهي في عدته، ولا تنتقل عن عدة الطلاق بل تتم عدة طلاق فقط ولا يستحب لها الاحداد أيضاً لانها غير وارثة منه .

وأما من مات وعليه حجة الاسلام بأن يكون قد وجب عليه الحج في حياته لاستكمال شروطه حج عنه من ماله ، فان كان عليه دين وماله لا يفي فالدين ونفقة الحج سواء يقسم بالحصص. والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم

﴿ رسالة في هبة ثواب الاعمال الى الميت هل يجوز أم لا؟ ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

هذا جواب مسائل وردت على شيخنا فقال :

أما ماذكرت من ايراد عثمان بعض عبارات الاصحاب على جواز التشريك في نفس العمل، فهو ايراد غير صحيح ، ولا ينبغي للطالب العدول عن صريح كلامهم ومعارضته بما يحتمل من موافقة الصريح من كلامهم ويحتمل ضده ثم يحمله على مايخالف الصريح ، بل الذي ينبغي رد المحتمل من كلامهم على صريحه ومنصوصه كما يجب رد المتشابه الى المحكم

وأما مارواه الكحال عن أحمد قال : قيل لابي عبد الله الرجل يعمل الشيء

من الخير من صلاة وصدقة أو غير ذلك فيجعل نصفه لابيه أو لامه. قال أرجوا ، فهذا يحتمل ان المراد جعل نصف نفس العمل ، ويحتمل نصف ثوابه ، ويتعين حمله على الاحتمال الثاني لوجهين.

(أحدهما) ان الاصحاب لما ذكروا جواز اهداء ثواب العمل احتجوا لقولهم برواية الكحال عن الامام ، فدل على ان هذا معنى الرواية عندهم

(الوجه الثاني) انهم لما نصوا على انه اذا أحرم عن اثنين وقع عن نفسه قاسوا ذلك على الصلاة ، فدل على ان كون الصلاة لاتقع عن اثنين لا خلاف فيه عندهم لانهم جعلوه أصلا وقاسوا عليه الحج ، فدل على انهم لم يفهموا من رواية الكحال الا التشريك في نفس العمل ، وانما معناها التشريك في الثواب

ولما ذكر ابن القيم رحمه الله تعالى وصول ثواب القربات الى الاموات ، وذكر مافي المسئلة من الخلاف وصحح القول بوصولها وذكر حجج المخالفين وذكر من حججهم قولهم : لو ساغ ذلك لساغ اهداء نصف الثواب وربعه الى الميت.

فأجاب بوجهين (أحدهما) منع الملازمة (الثاني) التزام ذلك والقول به ، نص عليه الامام أحمد من رواية محمد بن يحيى الكحال قال : ووجه هذا ان الثواب ملك له فله أن يهديه جميعه وله أن يهدي بعضه . يوضحه انه لو أهداه الى أربعة مثلا تحصل لكل منهم ربعه ، فاذا أهدى الربع وأبقى لنفسه الباقي جاز كما لو أهداه الى غيره اه.

وأما الوصي في الاضحية فقاسوه على من أوصى اليه بتفرقة شيء مثلا على الفقراء وهو فقير . المشهور في المذهب انه لايأخذ شيئا ، وأجاز جماعة له الاخذ وفيه قول يجوز له الاخذ إن دلت قرينة على الاذن وإلا فلا ، وتعليلهم على انه يجوز مع الاذن ، فكذلك اذا أذن الموصي للوصي في الأكل من الاضحية جاز وصرح ابن عبد الهادي بجواز الاكل له كغيره.

وأما ماأفهمه كلام أحمد بن محمد من انه لا يجوز له الاكل حتى مع الاذن فالظاهر انه ليس بصواب ، لان كلام الاصحاب قد دل على جواز الاخـذ لمن أوصى اليه بتفرقة شيء أو وكل اليه فيـه اذا أذن له في الاخذ ، فكذلك اذا أذن الموصي للوصي في الاخذ من لحم الاضحية، وأي فرق ؟

وأما اذا قال الموصي لوصيه في الاضحية لك جلدها ونحوه على سبيل الوصية له بذلك أو على طريق العوض ، فالظاهر عدم جواز ذلك ، وأما اذا قال أذنت لك في الاكل من لحمها فلا مانع منه والله أعلم

(وأما المسئلة الثالثة) وهي العمل بالخط في اثبات الوقف وهل ينزع العقار ونحوه ممن هو في يده بخط قاض معروف ويحكم به بمجرد الخط ، فالذي يظهر ان هذا مبني على جواز العمل بمجرد الخط في الحكم والشهادة .

ومن المعلوم ان الذي عليه أكثر متقدمي الاصحاب انه لايجوز العمل بمجرد الخط ، وقد علمتم ماشرطوه في كتاب القاضي الى القاضي وغير ذلك ، والذي عليه عمل المتأخرين جواز العمـل بالخط والكلام الذي نقلتموه مضمونه عدم جواز العمل بالخط لانه أخرجه عن كونه بينة ، ولا شك ان هـذا هو مقتضى قول أكثر المتقدمين

وأما ما اعتمده كثير من المتأخرين من العمل بالخط
فمقتضى قولهم جواز العمل بذلك والاعتماد عليه
بشرط تحقق الحاكم انه خط القاضي
المعروف خطه وثقته فلا يجوز
الاعتماد على خط لايتيقنه
ولا يعرف ثقة كاتبه
والله سبحانه
وتعالى أعلم

رسالة

في حكم من يكفر غيره من المسلمين

والكفر الذي يعذر صاحبه بالجهل

(فلا يحكم عليه به إلا بعد أن تقوم عليه الحجة)

﴿ والذي لا يعذر ﴾

من فتاوى

﴿ العلامة مفتي الديار النجدية، وعالم الطائفة السلفية ﴾

الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن المشهور بأبا بطين

رحمه الله تعالى

(علق عليه بعض الحواشي الضرورية في هذه المسألة المهمة)

السيد محمد رشيد رضا

منشئ مجلة المنار

بسم الله الرحمن الرحيم

استفتاء

(مسئلة) قال الشيخ تقي الدين رحمه الله تعالى في رده على ابن البكري « فلهذا كان أهل العلم والسنة لا يكفرون من خالفهم وان كان ذلك المخالف يكفرهم لان الكفر حكم شرعي ، فليس للانسان أن يعاقب بمثله ، كمن كذب عليك وزنى بأهلك ليس لك أن تكذب عليه وتزني بأهله ، لان الزنا والكذب حرام لحق الله تعالى ، وكذلك التكفير حق لله تعالى فلا نكفر إلا من كفره الله ورسوله

وأيضاً فان تكفير الشخص المعين وجواز قتله موقوف على أن تبلغه الحجة النبوية التي يكفر من خالفها ، وإلا فليس كل من جهل شيئا من الدين يكفر . الى أن قال : ولهذا كنت أقول للجهمية من الحلولية والنفاة الذين ينفون أن يكون تعالى فوق العرش : أنا لو وافقتكم كنت كافراً لاني أعلم ان قولكم كفر ، وأنتم عندي لا تكفرون لانكم جهال الخ »

افتونا مامعنى قيام الحجة أثابكم الله بمنه وكرمه

(الجواب) الحمد لله رب العالمين . تضمن كلام الشيخ رحمه الله مسئلتين :

(احداهما) عدم تكفيرنا لمن كفرنا

وظاهر كلامه انه سواء كان متاولا أم لا ، وقد صرح طائفة من العلماء انه اذا قال ذلك متأولا لا يكفر . ونقل ابن حجر الهيتمي عن طائفة من الشافعية انهم صرحوا بكفره اذا لم يتأول فنقل عن المتولي انه قال : اذا قال لمسلم يا كافر بلا تأويل كفر ، قال وتبعه على ذلك جماعة واحتجوا بقوله ﷺ « اذا قال الرجل لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما » والذي رماه به مسلم فيكون هو كافراً قالوا : لانه سمي الاسلام كفراً ، وتعقب بعضهم هذا التعليل وهو قوله : لانه

سمى الاسلام كفرا فقال : هذا المعنى لا يفهم من لفظه ولا هو مراده. انما مراده ومعنى لفظه انك لست على دين الاسلام الذي هو حق وانما انت كافر دينك غير الاسلام وأنا على دين الاسلام. وهذا مراده بلاشك لانه انما وصف بالكفر الشخص لادين الاسلام ، فنفى عنه كونه على دين الاسلام، فلايكفر بهذا القول وانما يعزر بهذا السب الفاحش بما يليق به ، ويلزم على ما قالوه ان من قال لعبد : يافاسق: كفر لانه سمي العبادة فسقا ،ولا احسب أحدا يقوله وانما يريد انك تفسق وتفعل مع عبادتك ما هو فسق لأن عبادتك فسق انتهى

وظاهر كلام النووي في شرح مسلم يوافق ذلك فانه لما ذكر الحديث قال : وهذا مما عده العلماء من المشكلات فان مذهب أهل الحق ان المسلم لا يكفر بالمعاصي كالقتل والزنا وكذا قوله لاخيه يا كافر من غير اعتقاد بطلان دين الاسلام

ثم حكى في تأويل الاحاديث وجوها (أحدها) انه محمول على المستحل ومعنى «باء بها» بكلمة الكفر وكذا «حارت عليه» في رواية أي رجعت عليه كلمة الكفر فباء وحار ورجع بمعنى (الثاني) رجعت عليه نقيصته لاخيه ومعصية تكفيره (الثالث) انه محمول على الخوارج المكفرين المؤمنين ، وهذا نقله القاضي عياض عن مالك وهو ضعيف لان المذهب الصحيح المختار الذي قاله الاكثرون والمحققون ان الخوارج لا يكفرون كسائر أهل البدع (الرابع) معناه انه يئول الى الكفر فان المعاصي كما قالوا بريد الكفر ويخاف على المكثر منها ان يكون عاقبة شؤمها المصير الى الكفر. ويؤيده رواية أبي عوانة في مستخرجه على مسلم «فان كان كما قال والا فقد باء بالكفر (الخامس) فقد رجع بكفره ، وليس الراجع حقيقة الكفر بل التكفير كونه جعل أخاه المؤمن كافرا ، فكانه كفر نفسه ، اما لانه كفر من هو مثله واما لانه كفر من لا يكفره الا كافر يعتقد بطلان الاسلام انتهى

وقال ابن دقيق العيد في قوله ﷺ « ومن دعا رجلا بالكفر وليس

كذلك الا حار عليه » أي رجع عليه وهذا وعيد عظيم لمن كفر أحدا من المسلمين، وليس هو كذلك وهي ورطة عظيمة وقع فيها خلق من العلماء اختلفوا في العقائد وحكموا بكفر بعضهم بعضا

ثم نقل عن الاستاذ أبي اسحاق الاسفرائيني انه قال: لا أكفر إلا من كفرني ، قال وربما خفي هذا القول على بعض الناس وحمله على غير محمله الصحيح والذي ينبغي ان يحمل عليه انه لمح هذا الحديث الذي يقتضي ان من دعا رجلا بالكفر وليس كذلك رجع عليه الكفر ، وكذلك قوله ﷺ « من قال لاخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما »

وكان هذا المتكلم أي أبو اسحق يقول: الحديث دل على انه يحصل الكفر لاحد الشخصين إما المكفر وإما المكفر ، فاذا كفرني بعض الناس فالكفر واقع بأحدنا وانا قاطع أني لست بكافر، فالكفر راجع اليه، انتهى

وظاهر كلام أبي اسحق انه لا فرق بين المتأول وغيره والله أعلم .

وما نقله القاضي عن مالك من حمله الحديث على الخوارج موافق لاحدى الروايتين عن أحمد في تكفير الخوارج ، اختارها طائفة من الاصحاب وغيرهم لانهم كفروا كثيرا من الصحابة واستحلوا دماءهم وأموالهم متقربين بذلك الى الله تعالى فلم يعذروهم بالتأويل الباطل ،لكن أكثر الفقهاء على عدم كفرهم لتأويلهم وقالوا من استحل قتل المعصومين وأخذ اموالهم بغير شبهة ولا تأويل كفر . وان كان استحلاله ذلك بتأويل كالخوارج لم يكفر والله أعلم وأحكم

(المسئلة الثانية) ان تكفير الشخص المعين وجواز قتله موقوف على أن تبلغه الحجة النبوية التي يكفر من خالفها الخ

يشمل كلامه من لم تبلغه الدعوة وقد صرح بذلك في موضع آخر . ونقل ابن عقيل عن الاصحاب انه لا يعاقب . وقال ان عفو الله عن الذي كان يعامل ويتجاوز

لانه لم تبلغه الدعوة وعمل بخصلة من الخير ، واستدل لذلك بما في صحيح مسلم مرفوعا « والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الامة - يهودي أو نصراني - ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار » قال في شرح مسلم : خص اليهود والنصارى لان لهم كتابا ، قال : وفي مفهومه ان من لم تبلغه دعوة الاسلام فهو معذور . قال: وهذا جار على ما تقرر في الاصول « لا حكم قبل ورود الشرع على الصحيح » اه

وقال القاضي أبو يعلى في قوله تعالى (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) في هذا دليل على أن معرفة الله تعالى لا تجب عقلا ، وانما تجب بالشرع وهو بعثة الرسل ، وانه لو مات الانسان قبل ذلك لم يقطع عليه بالنار اه وفيمن لم تبلغه الدعوة قول آخر أنه يعاقب(١) اختاره ابن حامد واحتج بقوله تعالى (أيحسب الانسان أن يترك سدى) والله أعلم

فمن بلغته رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وبلغه القرآن فقد قامت عليه الحجة(٢) فلا يعذر في عدم الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فلا عذر له بعد ذلك بالجهل ، وقد أخبر الله سبحانه بجهل كثير من الكفار مع تصريحه بكفرهم(٣) ووصف النصارى بالجهل مع انه لا يشك مسلم في كفرهم ، ونقطع ان اكثر اليهود والنصارى اليوم جهال مقلدون ، ونعتقد كفرهم وكفر من شك في كفرهم

وقد دل القرآن على ان الشك في أصول الدين كفر ، والشك هو التردد بين

---

١) أجاب القائلون بهذا عن الآية بأن المراد بها عذاب الاستئصال لمعاندي الرسل لا عذاب الآخرة ، وهو الذي يدل عليه السياق الذي وردت فيه

٢) لان القرآن مشتمل على الحجج العقلية على ما يجب الايمان به

٣) الكفر كله جهل ، والجهل عذر للكافر الذي لم تبلغه الدعوة بالعلم ، وحجة الاسلام تزيل هذا الجهل فيزول بها هذا العذر

شيئين كالذي لا يجزم بصدق الرسول ولا كذبه ، ولا يجزم بوقوع البعث ولا عدم وقوعه ونحو ذلك كالذي لا يعتقد وجوب الصلاة ولا عدم وجوبها ، أو لا يعتقد تحريم الزنا ولا عدم تحريمه ، وهـذا كفر باجماع العلماء ، ولا عذر لمن كان حاله هكذا بكونه لم يفهم حجج الله وبيناته لانه لا عذر له بعد بلوغها له وان لم يفهمها(١) وقد أخبر الله عن الكفار انهم لم يفهموا فقال (وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا) وقال (انهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ، ويحسبون انهم مهتدون)

فبين سبحانه انهم لم يفقهوا فلم يعذرهم لكونهم لم يفهموا بل صرح القرآن بكفر هذا الجنس من الكفار كما في قوله تعالى (قل هل ننبئكم بالاخسرين أعمالا ؟ الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعاً * أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا) الآية

قال الشيخ أبو محمد موفق الدين بن قدامة رحمه الله تعالى لما انجر كلامه في مسئلة : هل كل مجتهد مصيب أم لا ؟ ورجح انه ليس كل مجتهد مصيباً بل الحق في قول واحد من اقوال المجتهدين . قال وزعم الجاحظ ان مخالف ملة الاسلام إذا نظر فعجز عن درك الحق فهو معذور غير آثم(٢) ـ الى أن قال ـ وأما ماذهب اليه الجاحظ فباطل يقينا وكفر بالله تعالى ورد عليه وعلى رسوله ، فانا نعلم قطعاً ان النبي ﷺ أمر اليهود والنصارى بالاسلام واتباعه وذمهم على إصرارهم وقاتل جميعهم(٣) يقتل البالغ منهم ، ونعلم ان المعاند العارف ممن يقل ، وانما الاكثر مقلدة

«١» من لم يفهم الدعوة لم تقم عليه الحجة ، وما ذكره من إجماع العلماء محله جحود المسلم الذي نشأ بين المسلمين لما ذكر ونحوه مما هو معلوم من الدين بالضرورة فلا يقبل منه دعوى الجهل (٢) وصرح بهذا بعض الاشعرية أيضاً ، وسيأتي تفصيل الكلام فيه

«٣» كذا في الاصل

اعتقدوا دين آبائهم تقليداً ولم يعرفوا معجزة الرسول ﷺ وصدقه . والآيات الدالة في القرآن على هذا كثيرة كقوله تعالى (ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار * وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين * إن هم إلا يظنون) وقوله (ويحسبون انهم على شيء * ويحسبون انهم مهتدون * الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا * ولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا) وفي الجملة ذم المكذبين لرسول الله ﷺ لا ينحصر في الكتاب والسنة اه

فبين رحمه الله تعالى انا لو لم نكفر إلا المعاند العارف لزمنا الحكم باسلام أكثر اليهود والنصارى ، وهذا من أظهر الباطل(١)

فقول الشيخ تقي الدين رحمه الله تعالى : ان التكفير والقتل موقوف على بلوغ الحجة ، يدل كلامه على أن هذين الامرين ـ وهما التكفير والقتل ـ ليسا موقوفين على فهم الحجة مطلقاً بل على بلوغها ، ففهمها شيء وبلوغها شيء آخر ، فلو كان هذا الحكم موقوفا على فهم الحجة لم نكفر ونقتل إلا من علمنا انه معاند خاصة ، وهذا بين البطلان (٢) بل آخر كلامه رحمه الله يدل على انه يعتبر فهم الحجة في الامور

---

١) من يقول ان الكافر الذى لم تبلغه الدعوة على وجه يفهمه وتقوم به عليه الحجة معذور ، لا يعني أنه يحكم باسلامه ولا انه غير كافر ، وانما يعني ان الله تعالى لا يعذبه عذاب من قامت عليه الحجة وجحدها ، ولا عذاب من تولى وأعرض عن آياتها

٢) في هذه المسألة نظر ، وقد اختلف فيها كبار علماء نجد المعاصرون في مجلس الامام عبد العزيز بن فيصل آل سعود الملك بمكة المكرمة فكانت الحجة للشيخ عبد الله ابن بليهد بأن العبرة بفهم الحجة لا بمجرد بلوغها من غير فهم . وأورد لهم نصاً صريحاً في هذا من كلام المحقق ابن القيم رحمه الله تعالى فقنعوا به . وسيأتي تحقيق المسألة في مواضع أخرى

التي تخفى على كثير من الناس ، وليس فيها مناقضة للتوحيد والرسالة ، كالجهل ببعض الصفات

وأما الامور التي هي مناقضة للتوحيد والايمان بالرسالة فقد صرح رحمه الله تعالى في مواضع كثيرة بكفر أصحابها وقتلهم بعد الاستتابة ،ولم يعذرهم بالجهل مع انا نتحقق أن سبب وقوعهم في تلك الامور انما هو الجهل بحقيقتها فلو علموا انها كفر تخرج عن الاسلام لم يفعلوها (١) وهذا في كلام الشيخ رحمه الله تعالى كثير كقوله في بعض كتبه : فكل من غلا بنبي أو رجل صالح وجعل فيه نوعا من الالهية مثل أن يدعوه من دون الله ، نحو أن يقول : يا فلان أغثني او اغفرلي او ارحمني او انصرني او اجبرني او توكلت عليك وأنا في حسبك وأنت حسبي ، ونحو هذه الاقوال التي هي من خصائص الربوبية التي لاتصلح لا لله فكل هذا شرك وضلال يستتاب صاحبه فان تاب وإلا قتل :

وقال أيضاً : فمن جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم ويسألهم كفر اجماعاً .

وقال : من اعتقد أن زيارة اهل الذمة في كنائسهم قربة إلى الله فهو مرتد ، وإن جهل أن ذلك محرم،عرف ذلك ،فان أصر صار مرتداً

وقال : من سب الصحابة او واحداً منهم او اقترن بسبه دعوى ان علياً إله او نبي او ان جبريل غلط فلا شك في كفر هذا بل لاشك في كفر من توقف في تكفيره

وقال أيضاً : من زعم ان الصحابة ارتدوا بعد رسول الله ﷺ إلا نفراً قليلا لايبلغون بضعة عشر أو انهم فسقوا فلا ريب في كفر قائل ذلك بل من شك في كفره فهو كافر . انتهى

---

١) فيه ان الاستتابة تتضمن إزالة الجهل لانها تكون باعلام فاعل ماينافي الايمان بأن فعله كفر يجب عليه تركه والتوبة منه . ويجب التفريق في هذا المقام بين الكافر الاصلي الذي لم يفهم حجة الاسلام وبين المسلم الذي يفعل ماذكر من مناقضة التوحيد والايمان بالرسل لجهله بأنه من الاسلام . وفيه تفصيل سيأتي قريباً

فانظر كيف كفر الشاك، والشاك جاهل فلم ير الجهل عذراً في مثل هذه الامور (١)

وقال رحمه الله في أثناء كلام له : ـ ولهذا قالوا من عصى مستكبراً كابليس كفر بالاتفاق، ومن عصى مشتهياً لم يكفر عند أهل السنة، ومن فعل المحارم مستحلا فهو كافر بالاتفاق، قال : والاستحلال اعتقاد انها حلال (٢) وذلك يكون تارة باعتقاد أن الله لم يحرمها وتارة بعدم اعتقاد أن الله حرمها، وهذا يكون لخلل في الايمان بالربوبية او الرسالة ويكون جحداً محضاً غير مبني على مقدمة، وتارة يعلم ان الله حرمها ثم يمتنع من التزام هذا التحريم ويعاند فهذا أشد كفراً ممن قبله انتهى

١» علماء الامة متفقون على أن الجهل بأمور الدين القطعية المجمع عليها التي هي معلومة منه بالضرورة كالتوحيد والبعث وأركان الاسلام وحرمة الزنا والخمر ليس بعذر للمقصر في تعلمها مع توفر الدواعي. وأما غير المقصر كحديث العهد بالاسلام والذي نشأ في شاهق جبل مثلا أي حيث لا يجد من يتعلم منه فهو معذور . وهم متفقون أيضاً على عذر العوام بجهل المسائل الاجماعية غير المعلومة بالضرورة ويمثلون بها في الكتب المختلفة بكون بنت الابن إذا وجدت مع بنت الصلب فانها ترث الثلث تكملة للثلثين في قوله تعالى ﴿ فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك ﴾ وهذا التفصيل هو الذي يظهر به كلام شيخ الاسلام في المواضع المختلفة .وفي معناه مايذكره المؤلف قريباً من نص السلف والائمة وما ذكرناه أوضح

٢) هذا التفسير للاستحلال هو الذي تلقيناه من المشايخ فيكون داخلا في عموم عدة المذكورة آنفاً فيما يعذر بجهله وما لا يعذر وهو قسمان فقط : عدم اعتقاد الحكم أو اعتقاد خلافه. وأما القسم الثالث وهو عدم التزام التحريم مع العلم به فلا يدخل في التفسير المذكور للاستحلال ولكنه هو المعنى المتبادر منه فيما يعد كفراً مطلقاً . فالمستحل للحرام الذي أطلقوا القول بكفره هو من يعلم أنه حرام ولا يذعن لما جاء به الشرع من تحريمه. وشرط صحة الايمان الذي هو الاعتقاد :الاذعان النفسي الذي هو مفهوم الاسلام وهو الذي يقتضي العمل عند عدم المانع. وأما الاستحلال بالمعنى الاول فلا يعد كفراً مطلقاً بل هو جهل يزول بالعلم. والمتأول به لما يحتمل التأويل معذور باتفاق العلماء ومنه مايأتي قريباً من استحلال بعض الصحابة الخمر للمؤمن الصالح التقي

وكلامه رحمه الله في مثل هذا كثير. فلم يخص التكفير بالمعاند مع القطع بان أكثر هؤلاء جهال لم يعلموا أن ما قالوه أو فعلوه كفر، فلم يعذروا بالجهل في مثل هذه الاشياء لان منها ماهو مناقض للتوحيد الذي هو أعظم الواجبات، ومنها ماهو متضمن معارضة الرسالة ورد نصوص الكتاب والسنة الظاهرة المجمع عليها بين علماء السلف

وقد نص السلف والائمة على تكفير أناس بأقوال صدرت منهم مع العلم انهم غير معاندين. ولهذا قال الفقهاء رحمهم الله تعالى: من جحد وجوب عبادة من العبادات الخمس، أو جحد حل الخبز ونحوه او جحد تحريم الخمر ونحوه أو شك في ذلك ومثله لايجهله كفر، وإن كان مثله يجهله عرف ذلك، فإن أصر بعد التعريف كفر وقتل ولم يخصوا الحكم بالعاند

وذكروا في باب حكم المرتد أشياء كثيرة - أقوالا وأفعالا - يكون صاحبها بها مرتداً ولم يقيدوا الحكم بالمعاند

وقال الشيخ أيضاً: لما استحل طائفة من الصحابة والتابعين الخمر كقدامة وأصحابه وظنوا انها تباح لمن آمن وعمل صالحا على ما فهموه من آية المائدة (١) اتفق علماء الصحابة كعمر وعلي وغيرهما على انهم يستتابون، فإن أصروا على الاستحلال كفروا، وإن أقروا به جلدوا، فلم يكفروهم بالاستحلال ابتداء لأجل الشبهة حتى يبين لهم الحق فإن أصروا كفروا

وقال أيضاً: ونحن نعلم بالضرورة أن رسول الله ﷺ لم يشرع لأمته ان يدعوا أحداً (٢) من الاحياء والاموات - لا الانبياء ولا غيرهم - لا بلفظ الاستغاثة ولا بلفظ الاستعانة ولا بغيرهما، كما انه لم يشرع لهم السجود لميت ولا الى ميت

١» يعني آية ﴿ ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ﴾ الخ «٢» يعني دعاء العبادة وهو طلب ما لا يقدر عليه الناس بكسبهم المراد بقوله تعالى ﴿ فلا تدعوا مع الله أحداً ﴾

ونحو ذلك بل نعلم انه نهى عن ذلك كله وانه من الشرك الذي حرمه الله ورسوله لكن لغلبة الجهل وقلة العلم بآثار الرسالة في كثير من المتأخرين لم يمكن تكفيرهم بذلك حتى يبين لهم ماجاء به الرسول . انتهى

فانظر إلى قوله لم يمكن تكفيرهم حتى يبين لهم ماجاء به الرسول، ولم يقل حتى يتبين لهم(١) ونتحقق منهم المعاندة بعد المعرفة

وقال أيضاً لما انجر كلامه في ذكر ما عليه كثير من الناس من الكفر والخروج عن الاسلام قال : وهذا كثير غالب لاسيما في الاعصار والامصار التي تغلب فيها الجاهلية والكفر والنفاق ، فلهؤلاء من عجائب الجهل والظلم والكذب والكفر والنفاق والضلال مالا يتسع لذكره المقال

واذا كان في المقالات الخفية فقد يقال انه فيها مخطيء ضال لم تقم عليه الحجة التي يكفر صاحبها لكن ذلك يقع في طوائف منهم في الامور الظاهرة التي يعلم الخاصة والعامة من المسلمين انها من دين الاسلام بل اليهود والنصارى والمشركون يعلمون أن محمداً صلى الله عليه وسلم بعث بها وكفر من خالفها مثل أمره بعبادة الله وحده لاشريك له ونهيه عن عبادة أحد سوى الله من الملائكة والنبيين أو غيرهم، فان

«١» في هذا ان الله تعالى قال « ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ماتولى ونصله جهنم » والدعوة الصحيحة انما تكون بالآيات والبينات والغرض من بيان الآيات أن تتبين لمن توجه اليهم كما قال تعالى « سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق » وهذه المسائل التي قال فيها شيخ الاسلام ان الجاهل لها لايمكن الحكم بكفره فيها « حتى يبين له ماجاء به الرسول » لايحتاج المسلم الجاهل في تبينها إلا إلى بيانها. أعني انه لما كان مؤمناً برسالة الرسول كان مقتضى هذا الايمان أن يقبل كل ماعلم انه من الدين الذي جاء به. ولا يتحقق بيانه إلا بما يفهمه بحسب لغته ودرجة فهمه . فذكر النص العربي للجاهل العجمي لايعد بيانا له وكذلك ذكره للعربي العامي بألفاظ غريبة أو اصطلاحية لايفهمها

هذا أظهر شعائر الاسلام ، ومثل معاداة اليهود والنصارى والمشركين ، ومثل تحريم الفواحش والربا والخمر والميسر ونحو ذلك، ثم تجد كثيراً من رءوسهم وقعوا في هذه الانواع فكانوا مرتدين، وإن كانوا قد يتوبون من ذلك أو يعودون. إلى أن قال :

وبلغ من ذلك ان منهم من يصنفون في دين المشركين والردة عن الاسلام كما صنف الرازي كتابه في عبادة الكواكب وأقام الادلة على حسن ذلك ومنفعته ورغب فيه(١) وهذه ردة عن الاسلام باتفاق المسلمين وإن كان قد يكون تاب عنه وعاد إلى الاسلام انتهى

فانظر إلى تفريقه بين المقالات الخفية والامور الظاهرة فقال في المقالات الخفية التي هي كفر قد يقال انه فيها مخطيء ضال لم تقم عليه الحجة التي يكفر صاحبها ولم يقل ذلك في الامور الظاهرة

فكلامه ظاهر في الفرق بين الامور الظاهرة والخفية . فيكفر بالامور الظاهر حكمها مطلقاً ، وبما يصدر منها من مسلم جهلا ، كاستحلال محرم او فعل أو قول شركي بعد التعريف، ولا يكفر بالامور الخفية جهلا كالجهل ببعض الصفات فلا يكفر الجاهل بها مطلقاً(٢) وان كان داعية، كقوله للجهمية: أنتم عندي لا تكفرون

(١) في طبقات السبكي انكار نسبة هذا الكتاب اليه

(٢) الاقسام التي ذكرها ثلاثة (الاول) مايكفر به مطلقا ولا يعذر بجهله وهو ماعبر بالامور الظاهر حكمها وعبر عنه المحققون بالامور المعلومة من الدين بالضرورة المجمع عليها ، واستثنوا من عموم الاطلاق قريب العهد بالاسلام ومن نشأ بعيداً عن المسلمين الذين يمكنه التعلم منهم . ومنه أن تقنع رجلا كافرا في بلاد الكفر بتوحيد الله ورسالة محمد ﷺ وما جاء به من البعث والجزاء . ويموت قبل أن تتمكن من تعليمه شرائع الاسلام . أو تعلمه بعضها كالصلاة والصيام دون بعض ، وتتركه وتسافر من بلاده فهو يعذر بجهل مالم يعلمه من الضروريات الاخرى

لانكم جهال. وقوله «عندي» يبين ان عدم تكفيرهم ليس أمراً مجمعاً عليه لكنه اختياره اهـ.

وقوله في هذه المسئلة خلاف المشهور في المذهب. فان الصحيح من المذهب تكفير المجتهد الداعي الى القول بخلق القرآن او نفي الرؤية أو الرفض ونحو ذلك وتفسيق المقلد

قال المجد ابن تيمية رحمه الله: الصحيح ان كل بدعة كفرنا فيها الداعية فانا نفسق المقلد فيها، كمن يقول بخلق القرآن او ان علم الله مخلوق، او ان أسماءه مخلوقة او انه لا يرى في الآخرة او يسب الصحابة تديناً، او ان الايمان مجرد الاعتقاد، وما أشبه ذلك، فمن كان عالماً في شيء من هذه البدع يدعو اليه ويناظر عليه فهو محكوم بكفره. نص احمد على ذلك في مواضع انتهى

فانظر كيف حكموا بكفرهم مع جهلهم، والشيخ (١) رحمه الله يختار عدم كفرهم ويفسقون عنده

ونحوه قول ابن القيم رحمه الله تعالى فانه قال: وفسق الاعتقاد كفسق أهل البدع الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر، ويحرمون ما حرم الله، ويوجبون

الى أن يتمكن من تعلمها إن علم ان هنالك أموراً أخرى لا بد له من العلم والايمان بها «الثاني» مالا يكفر بجهله مطلقا وهو الامور الخفية من الدين ويقال باصطلاح جمهور العلماء هي ماليس مجمعا عليه ولا معلوما من الدين بالضروة كالمسائل التي اختلف فيها أئمة المسلمين من تفويض وتأويل (الثالث) ما لا يكفر به اذا فعله جاهلا الا بعد إعلامه بحكم الله فيه وهو المجمع عليه مما يجب عليه وجوبا عينيا بنص قطعي وتعرض فيه الشبهة وسوء الفهم كمسألة استحلال الخمر المتقدمة ومسألة الاعرابي الذي فهم من الخيط الابيض والخيط الاسود في آية الصيام ظاهر اللفظ فأعلمه النبي ﷺ أن المراد بهما الليل والنهار. وهنالك قسم رابع وهو المسائل الاجتهادية التي ليس فيها نص قطعي الرواية والدلالة. فهذه يعذر فيها كل مجتهد باجتهاده

«١» يعني شيخ تقي الدين ابن تيمية. وقاعدة الشيخ محمد عبد الوهاب عدم التكفير بما اختلف فيه العلماء فهو على رأي الشيخ تقي الدين في هذه المسألة

ما أوجب الله ، ولكن ينفون كثيراً مما أثبت الله ورسوله جهلا وتأويلا وتقليداً للشيوخ ، ويثبتون ما لم يثبته الله ورسوله كذلك ، وهؤلاء كالخوارج المارقة وكثير من الروافض والقدرية والمعتزلة وكثير من الجهمية الذين ليسوا غلاة في التجهم

وأما غلاة الجهمية فكغلاة الرافضة (١) ليس للطائفتين في الاسلام نصيب ، ولذلك أخرجهم جماعة من السلف من الاثنتين والسبعين فرقة ، وقالوا : هم مباينون للملة انتهى

وبالجملة فيجب على من نصح نفسه أن لا يتكلم في هذه المسئلة إلا بعلم وبرهان من الله ، وليحذر من اخراج رجل من الاسلام بمجرد فهمه واستحسان عقله فان اخراج رجل من الاسلام أو ادخاله فيه أعظم أمور الدين ، وقد كفينا بيان هذه المسئلة كغيرها بل حكمها في الجملة أظهر أحكام الدين

فالواجب علينا الاتباع وترك الابتداع كما قال ابن مسعود رضي الله عنه «اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم» وأيضاً فما تنازع العلماء في كونه كفراً فالاحتياط للدين التوقف وعدم الاقدام ما لم يكن في المسئلة نص صريح عن المعصوم ﷺ

وقد استزل الشيطان أكثر الناس في هذه المسئلة فقصر بطائفة فحكموا باسلام من دلت نصوص الكتاب والسنة والاجماع على كفره ، وتعدى بآخرين فكفروا من حكم الكتاب والسنة مع الاجماع بانه مسلم

ومن العجب ان أحد هؤلاء لو سئل عن مسئلة في الطهارة او البيع لم يفت بمجرد فهمه واستحسان عقله ، بل يبحث عن كلام العلماء ويفتي بما قالوه فكيف

«١» غلاة الجهمية ينكرون جميع صفات الله تعالى الوجودية المنصوصة في القرآن بتأويلات تتبرأ منه اللغة . وغلاة الرافضة هم الباطنية الذين ذهبوا إلى أن باطن الاسلام المقصود بالذات هو غير ظاهره الذي تناقله المسلمون بالعلم والعمل عن النبي ﷺ وأصحابه وان الباطن الذي هو الحق يجب تلقيه عن أئمتهم المعصومين

يعتمد في هذا الامر العظيم الذي هو أعظم أمور الدين وأشدها خطراً على مجرد فهمه واستحسانه؟ فيامصيبة الاسلام من هاتين الطائفتين، ومحنته من تينك البليتين. ونسألك اللهم أن تهدينا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم

فائدة عظيمة

من كلام مفتي الديار النجدية عبدالله بن عبدالرحمن أبا بطين قدس الله سره في موضوع التكفير المتقدم عنه

قال رحمه الله تعالى: وأما ما سئلت عنه من أنه هل يجوز تعيين انسان بعينه بالكفر إذا ارتكب شيئاً من المكفرات؟ فالامر الذي دل الكتاب والسنة واجماع العلماء عليه أنه كفر مثل الشرك بعبادة غير الله سبحانه، فمن ارتكب شيئاً من هذا النوع أو حسنه فهذا لاشك في كفره، ولا بأس بمن تحققت منه شيئاً من ذلك أن تقول كفر فلان بهذا الفعل

يبين هذا أن الفقهاء يذكرون في باب حكم المرتد أشياء كثيرة يصير بها المسلم مرتداً كافراً، ويستفتحون هذا الباب بقولهم: من أشرك بالله كفر وحكمه أن يستتاب فان تاب والا قتل، والاستتابة انما تكون مع معين، ولما قال بعض أهل البدع عند الشافعي: ان القرآن مخلوق، قال: كفرت بالله العظيم. وكلام العلماء في تكفير المعين كثير

وأعظم أنواع الكفر الشرك بعبادة غير الله وهو كفر باجماع المسلمين ولا مانع من تكفير من اتصف بذلك كما ان من زنى قيل فلان زان، ومن رابى قيل فلان مراب والله أعلم (منقولة حرفا بحرف وصلى الله على محمد وصحبه وسلم)

رسالة أخرى

في سكوت أكثر الناس عن المنكرات

﴿ وكونه لا يعد إجماعا يحتج به على مشروعيتها ؟ ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

(وبه نستعين)

من علي بن عبد الله الى الوالد المكرم عبدالله بن عبد الرحمن ، سلمه الله تعالى ، وأسبغ عليه نعمه

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته (وبعد) ان قال قائل: تقرون ان إجماع الامة حجة، وانها لا تجتمع على ضلالة، وأنتم قد خالفتم جميع العلماء من أهل الامصار قاطبة ، وادعيتم مالم يدعيه غيركم ، وأنكرتم مالم ينكر في جميع الارض ، والاشارة هنا الى التوحيد ، وإلى ما دعا اليه الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى وتكفير من أشرك بالله في ألوهيته عند المشاهد وغيرها ، فما الجواب لذلك ؟ أفدنا جزاك الله خيراً جوابا سديداً

(فأجاب) سلام عليكم ورحمة الله وبركاته (وبعد) دعوى هذا المبطل إجماع العلماء على جواز دعاء اهل القبور ، والاستغاثة بهم ، والتقرب اليهم بالنذور والذبائح فهذا كذب . وشبهته ان هذه الامور ظاهرة في جميع الامصار ، ولم يسمعوا أن عالما أنكرها

فيقال: قد أنكرها كثير من علماء هذا الزمان، ووافق عليه خواص من علماء الحرمين واليمن ،وسمعنا منهم مشافهة ، ولكن الشوكة لغيرهم ، وصنف فيه جماعة كالنعيمي من أهل اليمن، له مصنف في ذلك حسن ، وكذلك الشوكاني ومحمد بن اسماعيل الامير الصنعاني وغيرهم . ورأيت مصنفا لعالم من أهل جبل سليمان في

إنكار ذلك . وهذا مصداق قول النبي ﷺ « لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين » وليس المراد بالظهور بالسيف بل بالحجة دائما ، وبالسيف أحيانا

ولو قال هذا المجادل : ان اكثر الناس على مايرى ـ لكان صادقا وهذا مصداق الحديث « بدأ الاسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ »

وأيضاً فالبناء على القبور واسراجها وتجصيصها ظاهر غالب في الامصار التي تعرف ،مع ان النهي عن ذلك ثابت عن النبي ﷺ . ومنصوص عليه في جميع المذاهب، فهل يمكن هذا المبطل أن يقول : ان الامة مجمعة على جواز ذلك لكونه ظاهراً في الامصار ، والله سبحانه انما افترض على الخلق طاعته وطاعة رسوله ﷺ وأمرهم أن يردوا الى كتابه وسنة رسوله ما تنازعوا فيه . وأجمع العلماء على انه لايجوز التقليد في التوحيد والرسالة

فاذا عرف ان الشرك عبادة غير الله ، وعرف معنى العبادة وانها كل قول وعمل يحبه الله ويرضاه(١) ومن أعظم ذلك الدعاء لانه مخ العبادة ، وعلم ما يفعل عند القبور من دعاء أصحابها وسؤالهم قضاء الحاجات ، وتفريج الكربات ، والتقرب اليهم بالنذور والذبائح . علم ان هذا هو الشرك الاكبر الذي هو

---

(١) يعني ان عبادة الله تعالى تشمل جميع الاقوال والافعال المذكورة. وليس هذا تعريفاً للعبادة بمعناها الاعم الذي يشمل عبادات الكفار كطواف المشركين بالبيت عراة. وأكثر العلماء يعرفونها بما يسمى تعريف الرسم. وأدق تعريف لها أن يقال: هي كل قول وعمل بدني أو نفسي يوجه ويتقرب به إلى من يعتقد فاعله أن له قدرة على النفع ودفع الضرر فوق الاسباب التي يقدر عليها البشر، إما بذاته كالرب الخالق تعالى وإما بالوساطة والتأثير عنده تعالى. ومن الاخير قوله تعالى في المشركين ﴿ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون: هؤلاء شفعاؤنا عند الله﴾ يعنون ان الله تعالى ينفعهم ويدفع عنهم الضر بشفاعتهم عنده التي يدعونهم لاجلها لا لذواتهم

عبادة غير الله ، فاذا تحقق الانسان ذلك عرف الحق ولم يبال بمخالفة أكثر الناس ويعتمد ان الامة لا تجتمع على ضلالة

فان قال هذا المجادل ان هذه الامور التي تفعل عند القبور جائزة شرعا فهو محاد لله ورسوله . فان قال هذه الامور ما تجوز لكنها ليست بشرك : مع دعواه ان علماء الزمان أجمعوا على ذلك فيلزمه ان الامة أجمعت على ضلالة ، والانسان اذا تبين له الحق لم يستوحش من قلة الموافقين وكثرة المخالفين لاسيما في هذا الزمان

وقول الجاهل : لو كان هذا حقاً ماخفي على فلان وفلان. هذه دعوى الكفار في قولهم (لو كان خيراً ماسبقونا اليه) (أهؤلاء من الله عليهم من بيننا ؟) وقد قال علي رضي الله عنه «اعرف الحق تعرف أهله»

وأما الذي في حيرة ولبس فكل شبهة تروج عليه فلو ان أكثر الناس اليوم على الحق لم يكن الاسلام غريباً ، وهو والله اليوم في غاية الغربة ، ولما ذكر ابن القيم رحمه الله تعالى الشرك وظهوره قال: فما أعز من يخلص من هذا بل ما أعز من لا يعادي من أنكره يعني ما أقل من لا يعادي من أنكره

وهذا قوله في زمانه ولا يأتي زمان إلا والذي بعده شر منه كما قال النبي ﷺ

وقد نقلنا في الاوراق التي كتبنا وهي عندكم طرفا من كلام العلماء في أنواع الشرك

ومن ذلك قول الشيخ تقي الدين رحمه الله تعالى : من جعل الملائكة والانبياء وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم ، ويسألهم جلب المنافع ودفع المضار فهو كافر باجماع المسلمين انتهى . وهذا الذي يفعل عند هذه المشاهد . وهذا أظهر أمور الدين (ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور) نسأل الله أن يهدينا صراطه المستقيم ، صراط الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين آمين وصلى الله على محمد

رسالة له أخرى

(في الرد على من احتج على جواز الشرك والضلال بعمل الناس وكثرة السواد)

بسم الله الرحمن الرحيم

(رب يسر وأعن يا كريم)

من عبد الله بن عبد الرحمن الى الولدين المكرمين محمد آل عبد الله ومحمد آل عمر آل سليم، زادهما الله علما وفهما، ووهب لنا ولهما حلما وحكما. سلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد موجب الخط ابلاغ السلام، والخط وصل أوصلكما الله إلى كل خير، وكذلك الابيات التي نقلتم كتبنا عليها ما اتسع له المحل، وبطلان ما تضمنته ظاهر ولله الحمد مايخفى إلا على من أعمى الله بصيرته، ولكن اذا تحققتم بقول الصادق المصدوق ان هذه الامة تتبع اليهود والنصارى فيما أحدثوا حذو القذة بالقذة مع قوله ﷺ « بدأ الاسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدا »(١) فاذا صدق الانسان بذلك لم يستنكر (٢) ماحدث من الشرك والبدع وظهور المنكرات، وتضييع شرائع الاسلام، وتعطيل حدود الله

فاذا عرف ذلك وعلم أنه لم يضل اليهود والنصارى الا علماؤهم علم ان سبب ضلال هذه الامة علماؤها كما في الحديث المشهور « علماؤهم شر من تحت أديم السماء، منهم خرجت الفتنة وفيهم تعود»

وقول القائل: لو ان هذا مايجوز ماخفي على فلان وفلتان. فهذه شبهة باطلة وقد روى ابن وضاح عن عمر رضي الله عنه قال: أخذ رسول الله ﷺ بلحيتي وأنا أعرف الحزن في وجهه، فقال « انا لله وانا اليه راجعون» فقلت أجل

---

(١) سقط من الاصل جواب: إذا تحققتم الخ ويحتمل أن يكون استغنى عنه بجواب الشرط في الجملة التالية لهذه (٢) يعني لم يستغرب ذلك. ولا يعني انه لا يعده منكراً

«انا لله وانا اليه راجعون فما ذاك يارسول الله ؟ قال «أتاني جبريل فقال إن أمتك مفتتنة بعد قليل من الدهر غير كثير» قلت : فتنة كفر ام فتنة ضلالة ؟ قال « كل سيكون » قلت وأين يأتيهم ذلك وأنت تارك فيهم كتاب الله ؟ قال « بكتاب الله يضلون، وذلك من قبل قرائهم وأمرائهم »

قال محمد بن وضاح : الخير من بعد الانبياء ينقص، والشر يزداد ، وقال « انما هلكت بنو اسرائيل على يدي قرائهم وفقهائهم وستهلك هذه الامة على يدي قرائهم وفقهائهم » قال ابن المبارك :

وهل أفسد الدين إلا الملو ك وأحبار سوء ورهبانها

وقد أخبر الله سبحانه عن اليهود أنهم يحرفون الكلم عن مواضعه أي يتأولون كتاب الله على غير ماأراد الله وقال (وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ماعقلوه وهم يعلمون) وأخبر عنهم انهم (يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا) ولا بد أن يوجد في هذه الامة من يتابعهم على ماذمهم الله به

والانسان اذا عرف الحق وضده لم يبال بمخالفة من خالف كائناً من كان ولا يكبر في صدره مخالفة عالم ولا عابد، لان هذا أمر لابد منه وما أخوفني على من عاش أن يرى أموراً عظيمة لامنكر لها والله المستعان

(قلت) والاستغاثة بالنبي ﷺ صدرت من كثير من المتأخرين ممن يشار اليه بالعلم

وقد صنف رجل يقال له ابن البكري كتابا في الاستغاثة بالنبي ﷺ ورد عليه شيخ الاسلام ابن تيمية في مجلد، بين فيه بطلان ماذهب اليه وبين انه من الشرك ، قال الشيخ :وقد طاف ـ يعني ابن البكري ـ على علماء مصر فلم يوافقه أحد منهم، وطاف عليهم بجوابي الذي كتبته وطلب منهم معارضته فلم يعارضه أحد

منهم مع ان عند بعضهم من التعصب مالا يخفى . ومع ان قوما كان لهم غرض وجهل بالشرع قاموا في ذلك قياما عظيما واستعانوا بمن له غرض من ذوي سلطان مع فرط عصبيتهم وكثرة جمعهم وقوة سلطانهم ومكايدة شيطانهم

قال شيخ الاسلام تقي الدين رحمه الله تعالى : والاستغاثة بالنبي ﷺ بعد موته موجودة في كلام بعض الناس، مثل يحيى الصرصري ومحمد بن النعمان ، وهؤلاء لهم صلاح ، لكن ليسوا من أهل العلم بل جروا على عادة كعادة من يستغيث بشيخه عند الشدائد ويدعوه اهـ

والمقصود أن نوع الشرك من الاستغاثة بالنبي ﷺ وغيره جرى في زمان الشيخ ، والشر يزيد ، لا يأتي عام إلا والذي بعده شر منه ، فالله المستعان وفي هذه الازمنة يقال: العجب ممن نجا كيف نجا ليس العجب ممن هلك كيف هلك

وقول من يقول : استعملها من هو أعلم منا وأعرف بكلام العرب . فبئس الحجة الواهية ، والله لم يأمرنا باتباع من رأيناه أعلم منا ، وانما أوجب علينا عند التنازع الرد الى كتابه وسنة نبيه . قال تعالى (فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) خاصة في أصول الدين ، فانه لا يجوز التقليد فيها باجماع العلماء ، ولان أدلته ولله الحمد ظاهرة . ولم يقل سبحانه فان تنازعتم في شيء فاتبعوا ماعليه أكثر الناس ولا ماعليه بلد من البلدان

وأكثر الناس اليوم ـ خصوصاً طلبة العلم ـ خفي عليهم الشرك ، والشيخ ابن عجلان المذكور يجوز الاستغاثة بالاموات فكيف بالنبي ﷺ ؟ وكلامه صريح ما يحتمل تأويلا كقوله : ومنقذي من عذاب الله والالم

نسأل الله السلامة ، وابن عجلان أقل الاحوال هجره ، وأما النصيحة فلا تفيد في مثله ، وأمره هذا ان وصل الشيخ عبد الرحمن بن حسن أو فيصل او ابن

سعود الادنى فأخاف على نفسه،ولو له عقل ما أظهر هذا الامر الذي يجر عليه شراً، ولكن قد أحسن القائل رحمه الله ورضي عنه

يا من له عقل ونور قد غدا ... يمشي به في الناس كل أوان
لكننا قلنا مقالة صارخ ... في كل وقت بينكم بأذان
الرب رب والرسول فعبده ... حقاً ،وليس لنا إله ثان
فلذاك لم نعبده مثل عبادة الر ... حمن فعل المشرك النصراني
كلا ، ولم نغلو الغلو ، كما نهى ... عنه الرسول مخافة الكفران
لله حق لا يكون لغيره ... ولعبده حق ، هما حقان
لا تجعلوا الحقين حقا واحداً ... من غير تمييز ولا فرقان
فالحج للرحمن دون رسوله ... وكذا الصلاة وذبح ذي القربان
وكذا السجود ونذرنا ويميننا ... وكذا متاب العبد من عصيان
وكذا التوكل والانابة والتقى ... وكذا الرجاء وخشية الرحمن
وكذا العبادة واستعانتنا به ... إياك نعبد ، ذاك توحيدان
وعليهما قام الوجود بأسره ... دنيا وأخرى حبذا الركنان
وكذا التسبيح والتكبير والتهـ ... ـليل حق إلهنا الديان
لكنما التعزير والتوقير حـ ... ـق للرسول بمقتضى القرآن
والحب والايمان والتصديق لا ... يختص بل حقان مشتركان
هذي تفاصيل الحقوق ثلاثة ... لا تجهلوها يا أولي العدوان
حق الاله عبادة بالامر لا ... بهوى النفوس فذاك للشيطان
من غير إشراك ولا شك هما ... سببا النجاة فحبذا السببان
ورسوله فهو المطاع وقوله الـ ... ـمقبول إذ هو صاحب البرهان

إلى آخر كلامه رحمه الله ورضي عنه . وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيراً الى يوم الدين والله أعلم

أسئلة عن أحاديث غير صحيحة وأجوبتها

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الحمد لله وحده ﴾

سئل الشيخ علامة العصر، ونادرة الدهر، عبدالله بن عبد الرحمن أبا بطين رحمة الله علينا وعليه آمين — عن حديث «لو أن احدكم أدلى بحبل لهبط على الله» فأجاب:

حديث «لو أن احدكم ادلى بحبل لهبط على الله» رواه الترمذي من رواية الحسن عن ابي هريرة . وللشيخ تقي الدين رحمه الله على هذا الحديث كلام طويل. قال فان كان ثابتاً (١) فقوله «لو ان احدكم ادلى بحبل لهبط على الله» انما هو تقدير مفروض أي لو وقع الادلاء لوقع عليه، لكنه لا يمكن ان يدلي أحد على الله سبحانه وتعالى شيئاً لانه عال بالذات. وإذا هبط شيء الى جهة الارض وقف في المركز من الجزء — إلى ان قال — فكما ان مايهبط إلى جوف الارض يمتنع صعوده إلى تلك الناحية لانها عالية، فترد الهابط بعلوها، كما ان الجهة العليا من عندنا ترد مايصعد اليها من الثقيل فلا يصعد الثقيل إلا برافع يرفعه يدافع به مافي قوته من الهبوط فكذلك مايهبط من اعلى الارض إلى اسفلها وهو المركز، لا يصعد من هناك إلى ذلك الوجه إلا برافع يرفعه يدافع به مافي قوته من الهبوط الى المركز فان قدر أن الرافع أقوى كان صاعداً به الى الفلك من تلك الناحية وصعد به إلى الله، وانما يسمى هبوطا باعتبار ما في أذهان المخاطبين من ان ما يحاذي أرجلهم يكون هابطا ويسمى هبوطا مع تسمية إهباطه ادلاء. وهو انما يكون ادلاء حقيقياً الى المركز، ومن هناك انما يكون مداً للحبل والدلو، لا ادلاء له، ولكن الجزء والشرط مقدران لا محققان، فانه قال «لو أدلى لهبط» اي لو

(١) يعني ان الحديث ليس بثابت في نفسه لان سنده غير صحيح ومتنه غير معقول وانما هو مفروض كما يفرض المحال، وكلام شيخ الاسلام فيه تراه في كتابه في العرش

فرض ان هناك ادلاء لفرض ان هناك هبوطاً، وهو يكون ادلاء وهبوطا اذا قدر أن السموات تحت الارض، وهذا منتف، ولكن فائدته بيان الاحاطة والعلو من كل جانب ، وهذا المفروض ممتنع في حقنا، لا نقدر عليه فلا يتصور أن ندلي، فلا يتصور ان يهبط على الله شيء ، لكن الله قادر على ان يخرق من هناك بحبل لكن لا يكون في حقه ادلاء ،فلا يكون في حقه هبوط عليه، كما لو خرق بحبل من القطب الى القطب اومن مشرق الشمس إلى مغربها وقدرنا أن الحبل مرفي وسط الارض فان الله قادر على ذلك كله — الى أن قال —

فعلى كل تقدير قد خرق بالحبل من جانب المحيط إلى جانبه الآخر مع خرق المركز وبتقدير إحاطة قبضته بالسموات والارض فالحبل الذي قدر انه خرق به العالم وصل اليه ولا يسمى شيئاً بالنسبة اليه لا إدلاءً ولا هبوطا وأما بالنسبة الينا فان ما تحت ارجلنا تحت لنا ، وما فوق رءوسنا فوق لنا . وما ندليه من ناحية رءوسنا إلى ناحية أرجلنا نتخيل انه هابط ، فاذا قدر أن أحدنا أدلى بحبل كان هابطا على ماهنالك . لكن هذا التقدير ممتنع في حقنا

والمقصود به بيان إحاطة الخالق تعالى ، كما بين انه يقبض السموات ويطوي الارض ونحو ذلك مما فيه بيان إحاطته بالمخلوقات ، ولهذا قرأ في تمام هذا الحديث (هو الاول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم)

وهذا كله كلام على تقدير صحته فان الترمذي لما رواه قال وفسر بعض أهل العلم بأنه هبط على علم الله

ثم قال الشيخ :وتأويله بالعلم تأويل ظاهر الفساد .قال:وبتقدير ثبوته يكون دالا على الاحاطة ، والاحاطة قد علم أن الله قادر عليها وعلم انها تكون يوم القيامة بالكتاب والسنة . فليس في إثباتها في الجملة ما يخالف العقل ولا الشرع لكن لا نتكلم إلا بما نعلم ومالم نعلم أمسكنا عنه

وأما من روى ان الزيدية مجوس هذه الامة ، فلا شك أن هذا كذب وانما المروي «القدرية مجوس هذه الامة»

وحديث «القرآن كلام الله» الخ ليس له أصل عن النبي ﷺ . وحديث « تارك الصلاة » الخ ماله أصل . وحديث ابن عطاء الله ماذكر ما أظن له أصلا. ولا ينبغي التحديث بهذا وأشباهه وحديث « الحديث في المسجد » الخ ما علمت له أصلا . والله سبحانه أعلم

***

﴿ مسئلة ﴾ في قول بعض الناس ما تصح الجمعة خلف إمام لم يتزوج . وكذلك قول بعضهم في التراويح يجب إتمام عشرين ركعة ما الصحيح ؟ افتونا مأجورين

(الجواب) الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده

(وبعد) فصلاتكم التراويح أقل من العشرين فلا بأس والصحابة رضي الله عنهم منهم من يقل ومنهم من يكثر ، والحد المحدود لا نص عليه من الشارع صحيح

وأما صلاتكم الجمعة خلف الامام الذي ما تزوج فليس الزواج بشرط وانما الشرط البلوغ والاستيطان . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته وصلى الله على محمد وآله وصحبه

﴿ الكلام على إعادة الروح الى الميت في قبره وقت السؤال ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

قال ابن القيم في كتاب الروح :

(فصل) وأما المسئلة السادسه وهي ان الروح هل تعاد إلى الميت في قبره وقت السؤال أم لا تعاد؟ فقد كفانا رسول الله ﷺ أمر هذه المسئلة فأغنانا عن أقوال الناس ، حيث صرح باعادة الروح اليه . فقد قال البراء بن عازب رضي الله عنه: كنا في جنازة في بقيع الغرقد ، فأتانا النبي ﷺ فقعد وقعدنا حوله — إلى أن

قال في آخر الحديث « حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا فيستفتحون له فيفتح له فيشيعه من كل سماء مقربوها الى التي تليها حتى ينتهي بها الى السماء التي يسمع فيها الخطاب (١) فيقول الله عز وجل : اكتبوا كتاب عبدي في عليين وأعيدوه الى الارض » الخ الحديث . ووجدت في كلام القرطبي تعليقا على هذا الحديث

قال القرطبي في تذكرته :قوله ﷺ « حتى ينتهي بها الى السماء التي فيها الله تعالى » المعنى أمر الله وحكمه وهي السماء السابعة التي عندها سدرة المنتهى التي اليها يصعد ما يعرج به من الارض ، ومنها يهبط ما ينزل به منها ، كذا في صحيح مسلم من حديث الاسراء(٢) وفي حديث البراء انه ينتهي بها إلى السماء السابعة

وقد كنت تكلمت مع بعض اصحابنا القضاة ممن له علم وبصر ، ومعنا جماعة من أهل النظر والاجتهاد فيما ذكر ابو عمر بن عبد البر في قوله (الرحمن على العرش استوى) فذكرت له هذا الحديث فما كان إلا أن بادر إلى عدم صحته ولعن رواته ، وبين أيدينا رطب نأكله : فقلت له ـ الحديث صحيح خرجه ابن ماجه في السنن ، ولا ترد الاخبار بمثل هذا القول ، بل تتأول وتحمل على مايليق من التأويل ، والذين رووها هم الذين رووا لنا الصلوات الخمس وأحكامها ، فان صدقوا هنا صدقوا هناك ، وان كذبوا هنا كذبوا هناك ، ولا تحصل الثقة باحد منهم فيما يرويه

إلى هنا من التذكرة للقرطبي

*
* *

ووجدت بخط شيخنا معلقاً على هذا الحديث: والهامش المنسوب للتذكرة يا عجبا لمحرف حديث رسول الله ﷺ ومغير ألفاظه ، كيف يصف رسول الله

(١) بهامش الاصل : لفظ الحديث «حتى ينتهي الى السماء التي فيها الله» (٢) قول القرطبي هذا انما هو على رأي المؤولين من المتأخرين، لا على مذهب السلف

ﷺ ربه بانه في السماء كما في حديث البراء المذكور ، وكذلك حديث أبي هريرة الموافق لحديث البراء في اثبات وصف الله سبحانه بانه في السماء ، وكذلك حديث الرقية المرفوع في سنن أبي داود «ربنا الله الذي في السماء» وكذلك قوله للجارية « أين الله ؟ » قالت : في السماء فهذا أعلم الامة بربه وأخشاهم له يصف ربه بانه في السماء ويشهد لمن وصفه بذلك بالايمان

ونقل الصحابة ألفاظه للتابعين ، ونقلها التابعون وبلغوها لمن بعدهم وتداولها أهل الحديث وأئمة الاسلام ، وأثبتوها في كتبهم وأقروها على ظاهرها ، وقالوا أمروها كما جاءت ، وقالوا : تفسيرها قراءتها ، فلما لم يتسع عطن هذا المعطل لذلك حمله تعطيله وجهله على أن غير لفظ رسول الله ﷺ وحرفه ، ولم يكفه تغيير معناه مع اقرار لفظه كما يفعله كثير ، كقول القرطبي في تأويل هذا الحديث . فلهذا المحرف أوفر نصيب من مشابهة اليهود الذين يحرفون الكلم عن مواضعه ، ففيه تصديق قوله ﷺ « لتتبعن سنن من كان قبلكم »

وأما تأويل من تأول كونه في السماء بان أمره وحكمه ونحو ذلك فهذا تأويل باطل قطعاً ، فان أمره وحكمه لا يختص بسماء دون سماء ، ولا بالسماء دون الارض ، وأيضاً فيكفي في بطلانه أن القرون المفضلة أقروا هذه الاحاديث على ظاهرها ، وكذلك سائر آيات الصفات وأحاديثها ، وأنكروا على من تأولها بنحو هذه التأويلات وبدعوهم ، فاجماعهم على الاضراب عن تأويلها ، وتبديعهم من تأولها ، دليل قاطع على بطلان هذه التأويلات

ومن توهم من قوله « انه سبحانه في السماء » انه سبحانه في داخل السموات فهو جاهل ضال ، وليس هذا بمراد من اللفظ ولا ظاهر فيه . إذ السماء يراد بها العلو ، فكل ما علا فهو سماء ، سواء كان فوق الافلاك أو تحتها كما قال تعالى ﴿ فليمدد بسبب إلى السماء ﴾

فلما كان قد استقر في نفوس المخاطبين ان الله هو العلي الاعلى وانه فوق كل شيء كان المفهوم من قوله «انه في السماء» انه في العلو وانه فوق كل شيء، واذا قيل العلو فانه يتناول مافوق المخلوقات كلها، فمافوقها كلها هو في السماء، ولا يقتضي هـذا أن يكون هناك ظرف وجودي يحيط به، إذ ليس فوق العالم موجود إلا الله، وإن قدر ان السماء المراد بها الافلاك كان المراد انه عليها كما قال (ولأصلبنكم في جذوع النخل) وكما قال (فسيروا في الارض) وكما قال (فسيحوا في الارض) ويقال: فلان في الجبل وفي السطح وإن كان على أعلى شيء فيه

ومن فهم من قول النبي ﷺ «ان الله في السماء» ان هناك ظرفا يحيط به فهذا فهم فاسد.

فاذا كانت السموات السبع بالنسبة إلى الكرسي كسبعة دراهم في ترس والكرسي في العرش كحلقة في فلاة والعرش مخلوق، فكيف يتوهم هذا في الخالق جل وعز الذي يطوي السموات بيمينه والارض بيده الاخرى؟ والله سبحانه أعظم وأكبر وأجل من كل شيء (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير)

قال ابن عباس: ماالسموات السبع في كف الرحمن الا كخردلة في يد أحدكم. فلما كان هذا مستقراً في نفوس المخاطبين كان المفهوم عندهم من كونه سبحانه في السماء ان المراد بذلك العلو الذي هو ضد السفل، وانه فوق كل شيء عال على كل شيء. ومن توهم من وصف الله سبحانه بانه في السماء ان السماء تحيط به وتحويه فهو ضال ان اعتقده في ربه، وكاذب إن نقله عن غيره

ولو سئل سائر المسلمين هل تفهمون من قول النبي ﷺ «ان الله في السماء» أن السماء تحويه لبادر كل أحد منهم إلى أن يقول هذا شيء لعله لم يخطر ببالنا، واذا كان الامر هكذا فمن التكلف أن يجعل ظاهر اللفظ شيئاً لا يفهمه الناس منه بل هو محال عندهم ثم يريد أن يتأوله، بل عند المسلمين ان الله في السماء وهو على

العرش واحد ، إذ السماء انما يراد بها العلو ، فالمعنى ان الله في العلو لا في السفل.

ومن ظن أن ظاهر قوله «ان الله في السماء» ان السماء تحيط به وتحويه فقد ظن برسول الله ﷺ مالا يليق به من كونه يخاطب أمته بما ظاهره كفره وضلاله، ويشهد لمن قال ذلك بالايمان، ولم يقل مرة واحدة لاتعتقدوا ظواهر ماأحدثكم به في صفات ربكم بل تأولوها واعتقدوا فيها كذا وكذا ، وان ظاهرها غير مراد، فانهم كانوا لايفهمون من ظاهرها الا ماهو حق وهو انه سبحانه فوق كل شيء عال على كل شيء، مستو على عرشه، بائن من خلقه، لايشبهه شيء لافي ذاته ولا في صفاته (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) والله أعلم وصلى الله على محمد وصحبه وسلم

***

﴿ بيان الربا وما يعمله الناس اليوم من الحيل ليصلوا به الى الربا(١) ﴾

﴿ مسئلة ﴾ في تحريم الربا وما يفعل من المعاملات بين الناس اليوم ليتوصلوا به إلى الربا . واذا حل الدين يكون المدبون معسراً فيقلب الدين في معاملة أخرى بزيادة مال، وما يلزم ولاة الامور في هذا، وهل يرد على صاحب المال رأس ماله دون مازاد في معاملة الربا

(الجواب) المراباة حرام بالكتاب والسنة والاجماع «وقد لعن رسول الله ﷺ آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه والمحلل والمحلل له » قال الترمذي حسن صحيح ، فالاثنان ملعونان

وكان أصل الربا في الجاهلية أن الرجل يكون له على الرجل المال المؤجل ، فاذا حل الاجل قال له أتقضي أم تربي فان وفاه والا زاد هذا في الاجل وزاد

«١» هذه المسائل غير منسوبة لاحد . والظاهر أنها للشيخ عبد الله رحمه الله « انتهى من الاصل »

هذا في المال، فيتضاعف المال والاصل واحد ، وهذا الربا حرام باجماع المسلمين

وأما اذا كان هـذا هو المقصود ولكن توصلوا بمعاملة أخرى فهذا تنازع فيه المتأخرون من المسلمين

وأما الصحابة فلم يكن منهم نزاع أن هذا محرم فان الاعمال بالنيات والآثار عنهم بذلك كثيرة مشهورة . والله تعالى حرم الربا لما فيه من ضرر المحتاجين ، وأكل المال بالباطل، وهذا موجود في المعاملات الربوية ، واذا أحل الدين وكان الغريم معسراً لم يجز باجماع المسلمين أن يلزم لقلب لا بمعاملة ولا غيرها بل يجب انظاره ، وإن كان موسراً كان عليه الوفاء فلا حاجة إلى القلب لامع يساره ولا مع اعساره

والواجب على ولاة الامور بعد تعزير المتعاملين بالمعاملة الربوية بان يأمروا المدين أن يؤدي رأس المال ويسقط الزيادة الربوية فان كان معسراً وله مغلات يوفي منها وفى دينه منها بحسب الامكان والله أعلم

***

﴿ مسئلة ﴾ في رجل عليه دين يحتاج إلى بضاعة أو حيوان ينتفع به أو يتاجر فيطلبه من انسان دينا فلم يكن عنده، هل للمطلوب أن يشتريه ثم يدينه له بثمن إلى أجل ؟ وهل له أن يوكله في شرائه ثم يبيعه له بعد ذلك بربح اتفقا عليه قبل الشراء ؟

(الجواب) من كان له عليه دين فان كان موسراً وجب عليه أن يوفيه وإن كان معسراً وجب انظاره ، ولا يجوز قلبه عليه بمعاملة ولا غيرها

وأما البيع إلى أجل ابتداء فان كان مقصود المشتري الانتفاع بالسلعة أو التجارة فيها جاز اذا كان على الوجه المباح

وأما اذا كان مقصوده الدراهم فيشتريها بمائة مؤجلة ويبيعها في السوق بسبعين

حالة فهذا مذموم منهي عنه في أظهر قولي العلماء . وهذا يسمى التورق ، قال عمر ابن عبد العزيز : التورق أخية الربا والله أعلم

*
* *

﴿ مسئلة ﴾ فيمن له على شخص دين ورهن عليه رهنا والدين حال ورب الدين محتاج الى دراهمه فهل يجوز له بيع الرهن أم لا

(الجواب) اذا كان أذن له في البيع جاز والا باع الحاكم ان أمكن ووفاه حقه منه ، ومن العلماء من يقول اذا تعذر ذلك دفعه الى ثقة يبيعه ويحتاط بالاشهاد على ذلك واستوفى حقه منه والله أعلم

***

﴿ مسئلة ﴾ في رجل ادعى على رجل دعاوى ولم يعترف الغريم بشيء وخرج المدعي على ان يقيم بينة واعتقل المدعى عليه ولم يقم بينة بعد أربعة أيام أو خمسة فهل يجوز تطاول المدة في البينة أم تكون هذه البينة الى مدة ؟

(الجواب) لا يجوز مثل هذا الحبس كما ذكر ، بل قد نص أئمة المذاهب الاربعة انه لا يجوز مثل هذا الحبس وانما تنازعوا هل يطلب من المدعي عليه كفيلا الى ثلاثة أيام ونحوها ، اذا قال المدعي لي بينة حاضرة وتنازعوا فيما اذا أقام حجة شرعية ولها شرط مثل ان يقيم بينة ولم يذكرها فيطلب حبس الخصم حتى يأتي بشرطها ، على قولين في مذهب أحمد والشافعي وغيرهما ، فأما هذا الحبس فلا يجوز باتفاق العلماء فيما أعلم والله سبحانه أعلم

*
* *

﴿ مسئلة ﴾ في امرأة لها زوج ولها عليه صداق ، فلما حضرتها الوفاة احضرت شاهد عدل وجماعة نسوة واشهدت على نفسها انها أبرأت زوجها من صداقها فهل يصح هذا الابراء أم لا ؟

(الجواب) ان كان الصداق ثابتا عليه الى ان مرضت مرض الموت لم يصح ذلك الا باجازة بقية الورثة ، واما ان كانت أبرأته في الصحة جاز ذلك. وثبت بشاهد ويمين عند مالك والشافعي وأحمد، ويثبت أيضا بشهادة أمرأتين ويمين عند مالك ، وقول في مذهب أحمد وان أقرت في مرضها انها أبرأته في الصحة لم يقبل هذا الاقرار عند أبي حنيفة وأحمد وغيرهما ويقبل عند الشافعي. وقد قال النبي ﷺ « ان الله قد أعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث ». وليس للمريض ان يخص الوارث باكثر مما أعطاه الله والله أعلم

*
* *

﴿ مسئلة ﴾ في رجلين تنازعا فقال أحدهما: ان الله كلم موسى تكليما سمعته اذناه ووعاه قلبه ، وان الله كتب التوراة بيده وناولها من يده الى يده إلى موسى . وقال الآخر أن الله كلم موسى بواسطة وان الله لم يكتب التوراة بيده ولم يناولها من يده إلى يده

(الجواب) القائل الذي قال ان الله كلم موسى تكليما كما أخبر في كتابه فمصيب ، وأما الذي قال كلم الله موسى بواسطة فهذا ضال مخطيء بل نص الأئمة على أن من قال ذلك فانه يستتاب فان تاب وإلا قتل، فانهذا انكار لما قد علم بالاضطرار من دين الاسلام ، ولما ثبت بالكتاب والسنة والاجماع ، قال تعالى (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب) الآية ففرق بين تكليمه من وراء حجاب كما كلم موسى ، وبين تكليمه بواسطة رسول كما أوحى إلى غير موسى . قال تعالى (إنا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده — الى قوله — وكلم الله موسى تكليما) والاحاديث بذلك كثيرة في الصحيحين والسنن

وفي الحديث المحفوظ عن النبي ﷺ « التقى آدم وموسى قال آدم أنت

موسى الذي كلمك الله تكليما لم يجعل بينك وبينه رسولا من خلقه» وسلف الامة وأئمتها كفروا الجهمية الذين قالوا: ان الله خلق كلاما في بعض الآجام(١) سمعه موسى وفسر التكليم بذلك

وأما قوله: ان الله كتب التوراة بيده فهذا قد روي في الصحيحين، فمن أنكر ذلك فهو مخطيء ضال، واذا أنكره بعد معرفته بالحديث الصحيح فانه يستحق العقوبة

وأما قوله: ناولها بيده الى يده فهذا مأثور عن طائفة من التابعين وهو كذلك عند أهل الكتاب، لكن لا أعلم هذا اللفظ مأثوراً عن النبي ﷺ، فالمتكلم به ان أراد ما يخالف ذلك فقد أخطأ والله سبحانه وتعالى أعلم

تمت بقلم الفقير الى الله تعالى عبد الرحمن بن عبد العزيز بن صعب غفر الله له ولوالديه، ومشايخه واخوانه وجميع المسلمين وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

«١» جمع أجمة وهي الشجر الكثير الملتف

المسائل الحفظية

نصيحة في تعلم التوحيد

والطريق اليه

﴿ وبيان ما يجب على اهل القرى من حق الضيف ، وحق الامام في زكاة النقدين ، والعمل بظاهر الاحاديث ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

من حسين وعبد الله ابني الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى جناب الاخ في الله محمد بن أحمد الحفظي سلمه الله تعالى من الآفات ، واستعمله بالباقيات الصالحات

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته (أما بعد) فانا نحمد الله اليك الذي لا إله إلا هو ، وهو للحمد أهل وهو على كل شيء قدير ، والصلاة والسلام على نبيه وحبيبه محمد البشير النذير ، وعلى آله وأصحابه أولي الفضل الشهير ، والعلم المستطير

وقد وصل الينا كتابك ، وفهمنا ماحواه من حسن خطابك ، وتذكر انك على هذا الدين الذي نحن عليه من إخلاص الدين لله تعالى ، وترك عبادة ما سواه ، وأنك لا ترضي بالاشراك والتخلف عن التوحيد ولو قدر فواق(١) ، فالحمد لله الذي من علينا وعليك ، وهذا هو أفرض الفرائض على جميع الخلق ، ومن انتفع بهذا الدين واستقام عليه فله البشرى في الحياة الدنيا والآخرة ، وله العزة والرفعة والجاه والملابس الفاخرة

وفي الحديث عن الصادق المصدوق صلوات الله وسلامه عليه قال « ان الله ليرفع بهذا الدين أقواما ويضع به آخرين »

---

(١) فواق - كغراب - ما بين الحلبتين من الوقت ، أو ما بين يديك وقبضهما على الضرع

والذي نوصيك به، ونحضك عليه، التفقه في التوحيد، ومطالعة مؤلفات شيخنا رحمه الله تعالى، فانها تبين لك حقيقة التوحيد الذي بعث الله به رسوله ﷺ وحقيقة الشرك الذي حرمه الله تعالى ورسوله ﷺ، وأخبر أنه لا ينفع صاحبه وان الجنة على فاعله حرام، وان من فعله حبط عمله

والشأن كل الشأن في معرفة حقيقة التوحيد الذي بعث الله به رسوله ﷺ وبه يكون الرجل مسلماً مفارقا للشرك وأهله، وذلك لان كثيراً من المصنفين إذا ذكر التوحيد لم يبينه، وقد يفسره بتوحيد الربوبية الذي اقر به المشركون ومنهم من يفسره بتوحيد الذات والصفات، وذلك ـ وإن كان حقاً ـ فليس هو المراد من توحيد العبادة الذي هو معنى لا إله الا الله، وكثير من المصنفين يفسر الشرك بالاشراك في توحيد الربوبية الذي أقر به كفار العرب وغيرهم من طوائف المشركين، كما قال تعالى (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر؟ ليقولن الله) وقال (قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون؟ سيقولون لله) الآية، وغير ذلك من الآيات التي تدل على أن المشركين يقرون بتوحيد الربوبية، وانما الخلاف الذي بينهم وبين الرسول ﷺ هو توحيد الالهية الذي هو توحيد العبادة، ولهذا لم يصيروا موحدين بمجرد الاقرار بتوحيد الربوبية

فاياك أن تغتر بما أحدثه المتأخرون وابتدعوه كابن حجر الهيتمي وأشباهه، واعتمد في هذا الاصل على كتاب الله الذي أنزله تبياناً لكل شيء، وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين، وعلى ما كان عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين لهم باحسان، ولا تغتر بما حدث بعدهم من البدع المضلة في أصول الدين وفروعه كما قال تعالى (وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) وبهذا تعرف حقيقة أصل الاسلام شهادة ان لا إله الا الله وان محمداً

رسول الله، فان تحقيق شهادة أن لا إله الا الله أن لا تعبد الا الله وحده لا شريك له، وتحقيق شهادة أن محمداً رسول الله هو أن يطاع فيما أمر، وينتهى عما عنه نهى وزجر ،ويكون هو الامام المتبع ،ومن سواه فيؤخذ من كلامه ويترك ، فعلى أقواله وأفعاله تعرض الاقوال والافعال ،فما وافق قوله فهو المقبول وما خالفه فهو المردود

***

وأما المسائل الثلاث التي سألتم عنها (فالاولى) مسئلة الضيافة هي واجبة ام لا؟ فالذي عليه العمل انها واجبة على أهل القرى وعلى اهل البوادي دون الامصار الكبار التي توجد الاطعمة تباع فيها بلا كلفة

(وأما الثانية) وهي قولكم هل للامام وعماله طلب الزكاة من الاموال الباطنة كالنقدين أم يختص ذلك بالاموال الظاهرة ؟ فهذه مسئلة اختلف العلماء فيها، فنهم من يقول: ان للامام اخذ الزكاة من الاموال الباطنة كالظاهرة، ويجب دفعها اليه، وهو قول مالك وقول في مذهب احمد . وأما الاموال الظاهرة فيجب دفعها الى الامام العادل إذا طلبها ، وهو مذهب مالك وأبي حنيفة والشافعي . ورواية عن الامام احمد

واتفق على ان للامام طلب الزكاة من الاموال الظاهرة والباطنة وانما الخلاف في وجوب الدفع اليه وهل يجزىء عن صاحبها إذا لم يدفعها اليه ام لا ؟

(وأما المسئلة الثالثة) في العمل بصريح الحديث وظاهره إذا وجده المرء في الامهات الست ، او ماالتزم مخرجه فيه الصحة والحسن، هل للانسان العمل به والاعتماد عليه ؟ وان لم يبحث عنه هل هو منسوخ أم لا ؟ وهل عارضه اقوى منه أم لا ؟

فنقول: الذي ينبغي لطالب العلم إذا رأى مثل ذلك أن يبحث عن كلام اهل العلم في المسئلة التي دل عليها الحديث هل هو معمول به عندهم أم هو منسوخ أم

قد عارضه ماهو اقوى منه ؟ فاذا فعل ذلك وعرف مذاهب العلماء في المسئلة تبين له حينئذ ، هل الحديث محكم صحيح او منسوخ ام قد عارضه ماهو أقوى منه عند اهل العلم ؟ هذا إذا كان الانسان من اهل المعرفة بهذا الحديث وكلام العلماء ، فاذا وجد حديثاً مشهوراً عند اهل العلم محكوما بصحته اوحسنه ، ولم يعلم له ناسخا ولا معارضاً أقوى منه ، وقد أخذ بعض العلماء من أهل المذاهب المشهورة به تعين عليه العمل بالحديث إذا كان قد سبقه من اهل العلم من يقتدى به ، ولو خالفه مذهبه الذي ينسب اليه

واما إذا كان الرجل ليس له معرفة بالحديث وكلام العلماء وترجيح الاقوال فانما وظيفته تقليد اهل العلم . قال الله تعالى (فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لاتعلمون) والله سبحانه وتعالى اعلم

والذي نشير به عليك انك تسافر الينا ونتواجه نحن واياك وتواجه امير المؤمنين ونعرف حالك وتصبر على تحمل المشقة في ذلك ، فانه خير لك وأحسن عاقبة إن شاء الله ، وسلم لنا على الوالد واخوانك من اهل الدين وكاتبه احمد بن ناصر بن معمر يبلغك السلام ثم انت في حفظ الله وامانه

(وجوب جهاد أهل الفساد ودفع فسادهم في الدين)

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الرحمن بن حسن إلى كافة الاخوان ، سلمهم الله من شرور الدنيا والآخرة ، ووفقنا الله واياهم للتجارة الفاخرة

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته (وبعد) فاعلموا وفقنا الله وإياكم لشكر ما أنعم به عليكم من نعمة الاسلام والاجتماع على ذلك وجهاد من خرج عنه من أهل الجهل والفساد ، الذين يفسدون في الارض ولا يصلحون ، وقد أوجب الله جهادهم

دفعاً لعنادهم وخروجهم عن جماعة المسلمين والسمع والطاعة لمن ولاه الله أمرهم كما قال تعالى (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ولكن الله ذو فضل على العالمين)

ومن فضله عليكم اجتماعكم وجهادكم لأهل الفساد ، ولولا الجهاد لافسدوا عليكم دينكم ودنيا كم ، وأنتم ولله الحمد على ملة الاسلام ، تعبدون ربكم وتوحدونه وتعملون بفرائضه ، وتأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر

ومن أعظم الشكر الجهاد الذي اوجبه الله في كتابه العزيز ، قال تعالى (كتب عليكم القتال وهو كره لكم) الآية وقال تعالى (فقاتل في سبيل الله ، لا تكلف إلا نفسك) الآية وقال تعالى (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع) الآية

والايمان بالله ورسوله والجهاد في سبيله بالمال والنفس هو التجارة المنجية من شرور الدنيا والآخرة الموجبة لخير الدنيا والآخرة ، كما قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم ـ الى قوله ـ وبشر المؤمنين) الآيات

فبشركم ربكم فاقبلوا هذه البشارة وامتثلوا أمره وجاهدوا أهل الفساد وارغبوا في ثواب الجهاد في سبيل الله

وفي الحديث « غدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها » ولا تفرطوا في الغدوات والروحات فتضيع عليكم . وفي الحديث « الجهاد باب من أبواب الخير ينجي الله به من الهم والغم وخير المال ما أنفق فيه وخير الايام أيام المجاهدين » لان المجاهد في حسنات تكتب له في يقظته ونومه وفي سيره ومقامه

فارغبوا في هـذا الخير الذي رغب فيه ربكم وابذلوا فيـه المال والنفس وأفضل المجاهدين من جاهد بنفسه وماله

وما عذر ربنا عن الجهاد إلا الاعمى والاعرج والمريض ، كذلك الذين لا يجدون ماينفقون إذا نصحوا لله ورسوله ، والنصيحة لله ولدينه واجبة على المعذور وغيره وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيراً

(الآيات في التوحيد الذي دعت اليه كل الانبياء)

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الرحمن حسن إلى الاخوان من أهل القصيم

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته (وبعد) اعلموا وفقنا الله وإياكم لمعرفة العلم النافع والعمل به، تفهمون ان الله سبحانه منّ على أهل نجد بتوحيده بالعبادة، وترك عبادة ماسواه، وهذه نعمة عظيمة خص الله أهل نجد بالقيام فيها من الخاصة على العامة، لكن ماعرف قدرها، والغفلة ذمها الله في كتابه، وذكر انها صفة أهل النار نعوذ بالله من النار بقوله (أولئك هم الغافلون)

وذم أهل الاعراض بقوله (ومن أعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا) وذكره هو القرآن، ولا تعرفون العبادة التي خلقكم الله لها إلا من القرآن، والقرآن من أوله الى آخره يبين لكم كلمة الاخلاص: لاإله الا الله، ولا يصح لاحد اسلام إلا بمعرفة مادلت عليه هذه الكلمة من نفي الشرك في العبادة والبراءة منه وممن فعله ومعاداته واخلاص العبادة لله وحده لا شريك له والموالاة في ذلك

فمن الآيات التي بين الله تعالى فيها هذه الكلمة قوله تعالى (وإذ قال ابراهيم لأبيه وقومه انني براء مما تعبدون * إلا الذي فطرني فانه سيهدين * وجعلها كلمة باقية في عقبه) وهي لاإله الا الله

وقد افتتح قوله بالبراءة مما كان يعبده المشركون عموما ولم يستثن الا الذي فطره، وهو الله تعالى الذي لايصلح شيء من العبادة الا له

ونوع تعالى البيان لمعنى هذه الكلمة في آيات كثيرة يتعذر حصرها كقوله تعالى (قل ياأهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لانعبد إلا الله) والكلمة هي لاإله الا الله بالاجماع. ففسرها بقوله (سواء بيننا وبينكم) اي نكون

فيها سواء علما وعملا وقبولا وانقياداً. فقال (أن لانعبد الا الله ولا نشرك به شيئاً) فنفى مانفته لاإله الا الله بقوله (أن لانعبد) وأثبت ماأثبتته لاإله الاالله بقوله (الا الله) وقال (أمر أن لاتعبدوا الا اياه)

فهذا أمر عظيم أمر الله تعالى به عباده وخلقهم له ففي قوله (أن لاتعبدوا الا اياه) نفي الشرك الذي نفته لاإله الا الله ، وقوله (الا اياه) هو الاخلاص الذي أثبتته لاإله الا الله . وقال تعالى (وقضى ربك أن لاتعبدوا الا اياه) قضى أي أمر (ان لاتعبدوا) فيه من النفي مافي معنى لاإله . وقوله (إلا اياه) هذا هو الاثبات الذي أثبتته الا الله ،

وقال تعالى (قل اني أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به) فهذا هو الذي أمر به ﷺ ودعا الناس اليه وهو اخلاص العبادة وتخليصها من الشرك قولا وفعلا واعتقاداً وقد فعل ﷺ ذلك ودعا الناس اليه وجاهدهم عليه حق الجهاد وهذا هو حقيقة دين الاسلام كما قال تعالى (قل انما يوحى إلي أنما الهكم اله واحد فهل أنتم مسلمون ؟) بين تعالى أن توحيد الالهية هو الاسلام

والاعمال كلها لايصلح منها شيء الا بهذا التوحيد وهو أساس الملة ودعوة المرسلين . والدين كله من لوازم هذا الاصل وحقوقه ، وقد قل تعالى (كتاب أنزلناه مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الالباب)

فمن تدبر القرآن وتذكر به عرف حقيقة دين الاسلام الذي أكمله الله لهذه الامة كما قال تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا)

هذا ماننصحكم به وندعوكم اليه وبالله التوفيق . وصلى الله على سيد المرسلين وامام المتقين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم تسليما كثيراً

أقوال العلماء في الاشتغال بفن المنطق

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الرحمن بن حسن الى الاخ القادم من بلاد الاوغان عبد الله بن محمد. وفقه الله لحقيقة الاسلام والايمان سلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد فالذي يجب علينا محبة الخير لمن أراده وقصده، فلعل الله تعالى أن يجعله مؤثراً للحق على غيره، لكن نبحث مع مثلك في شيئين

(الاول) أن علم المنطق قد حرمه كثير من المحققين وأجازه بعض العلماء(١)

---

١) الذي تلقيناه عن مشايخنا أن المنطق الذي اختلفوا فيه هو منطق اليونان الذي نقل في عهد المأمون إذ كان في كتبه من المسائل والامثلة مايخالف الاسلام وربما يكون شبهة عليه وفيه قال الشيخ الاخضري صاحب السلم:

فابن الصلاح والنواوي حرما   وقال قوم ينبغي أن يعلما
والقولة المشهورة الصحيحة   جوازه لكامل القريحة
ممارس السنة والكتاب   ليهتدي به إلى الصواب

أي الصواب في طرق الاستدلال العقلي. وكان شيخ الاسلام ابن تيمية يعرف المنطق وجميع علوم الفاسفة التي ألف المنطق لتحريرها وفهمها بأدلتها. وقد بين خطأ كثير من مسائله وله مصنف في ذلك يوجد في الهند بخطه. وقد درس هذا العلم الشيخ عبد اللطيف ابن صاحب الفتوى رحمهما الله. والامور الثلاثة التي ذكرها لا تدل على تحريم علم المنطق المعروف اليوم في كتب المسلمين وان كانت في نفسها صحيحة فالمنطق ليس علما شرعياً فيؤخذ عن أئمة الدين ولكنه كعلوم اللغة والصناعة والزراعة الخ

وأما قوله « فصار ضرره أكثر من نفعه » فهو يصح في علم اليونان الذي ذكره ولكن جل الضرر كان في الفلسفة النظرية التي استعمل فيها لا فيه هو. والمنطق الموجود اليوم ليس فيه ضرر مطلقا ولكن فائدته قليلة لانه آلة للعلوم النظرية وهو قلما يستعمل فيها ويمكن الاستغناء عنه بعلم الاصول كما أشار اليه، وغرضي من هذه الحاشية أن لا يتجرأ من يقرءون هذه الفتوى على تحريم علم المنطق المعروف فان التحريم الديني أمر عظيم جداً وقد قال شيخ الاسلام ان السلف لم يكونوا يحرمون شيئاً الا بنص قطعي. ولما نزل قوله تعالى في الخمر والميسر (وإثمهما أكبر من نفعهما) لم يحرمها النبي صلى الله عليه وسلم على الامة به لان دلالته على التحريم غير قطعية إلى أن نزلت آيات سورة المائدة القطعية الدلالة

لكن الصواب تحريمه لامور :(منها) انه ليس من علوم الشريعة المحمدية بل هو من علوم اليونان وأول من أحدثه المأمون بن الرشيد ، واما في خلافة من قبله من اسلافه من بني العباس، وقبلهم خلفاء بني أمية فلا يعرف في عصرهم

(الامر الثاني) ان أئمة التابعين من الفقهاء والمفسرين والمحدثين لا يعرفون هذا العلم وهم نقلة العلم ، والاسلام في وقتهم أظهر والعلوم النافعة عندهم أكثر ، وقد توافرت دواعيهم على نقل العلم ، وكذلك من أخذ عنهم من الائمة الاربعة ومن في طبقتهم من المحدثين ، ومن الفقهاء والمفسرين ، فلا تجد في كتبهم ولا من أخذ عنهم شيئاً من هذا العلم

(الامر الثالث) ان هذا العلم انما أحدثه الجهمية لما ألحدوا في اسماء الله وصفاته واستمالوا المأمون الى تعريب كتب اليونان، فعظمت فتنة الجهمية وظهرت بدعتهم من أجل ذلك، فصار ضرره أكثر من نفعه . وذكر العلماء ان ما فيه من صحيح فهو موجود في كتب أصول الفقه

فيتعين تركه وعدم الالتفات اليه ، والمعول انما هو على الكتاب والسنة وما عليه السلف والائمة، وهذه كتبهم موجودة بحمد الله ليس فيها من شبهات اهل المنطق شيء أصلا . فهذا الذي ندين الله به

(البحث الثاني) السؤال عن التوحيد وانواعه وحقيقة كل نوع منه ، فان كان عند القادم من ذلك تحقيق والا فيجب ارشاده الى ذلك وتعليمه لان العلم أقسام ثلاثة لا رابع لها

فيجب عليك أيها الرجل القادم أن تسمى لنفسك بمعرفة الحق بدليله واللي يبي(١) يقبل علمنا هذا الذي منّ الله به علينا من تمييز الحق من الباطل فهو اخونا والحمد لله على هداية من اهتدى ، واللي يرى غير ذلك فلا نحن باخوان له. والسلام وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيراً

«١» والذي يحب

رسالة أدبية ، سياسية صوفية

فيها الاشارة الى ماحدث للمسلمين من العقاب بذنوبهم

(وما يجب عليهم في هذا المشهد من التوبة عن السيئات ، وما فوقه من مشهد الاسماء والصفات)

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبداللطيف بن عبدالرحمن الى الابن المكرم المحب المفهم محمد بن عمر ابن سليم ، سلك الله بنا وبه الصراط المستقيم ، ومن علينا وعليه بمخالفة أصحاب الجحيم ، ورفع درجتنا ودرجته في جنات النعيم

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ماتعاقبت غدوات الدهر وروحاته ، سلام ألذ من نسيم الصبا ، وأبهى من رونق الصبى ، وموجب الخط ابلاغ السلام والتحية وتفقد تلك الشمائل المرضية ، لازالت محروسة بعين الرعاية الربانية ، والخط وصل لازلت موصولا بنفحات القرب والمحبوبية ، محفوظا بالطاف الله الخفية والجلية ، وسرنا ما أفاده من الاخبار السارة عن تلك الذات أدام الله سرورها ، وردأيام أنسها وحبورها ، وصار له عند المحب موقع كريم ، بما تضمن من الدعوات والنصائح ، جعلك الله ممن يدرأ القبائح والفضائح ، ويعمل بالحق ويوصي باتباعه، ويبثه في اخوانه وأشياعه ،

وما أشرت اليه من أسباب ما حدث بالاسلام وأهله وانه من عقوبات الذنوب — فنعم هوذاك ، كما أخبر به سبحانه وتعالى في كتابه المبين، على لسان نبيه الامين ، وهذا المشهد يوجب للعبد من التوبة والانابة ، وتدارك ما فرط من الشر وأسبابه مايطهره من دنس الذنوب والعيوب ، ويستقيل به عثراته وهفواته بين يدي علام الغيوب،

وفوقه مشهد أكبر منه وأجل وهو مشهد الاسماء الحسنى والصفات العلى فيشهد عزته ولطفه ورحمته وعفوه وقيوميته وجبروته وانتقامه، وما يبدي، ويعيد، ومايقدر ويريد ، وهذا المشهد من أجل مشاهد التوحيد ، ومنه يطلع العبد على أسرار القدر والقضاء، ويدرك به من حقائق الايمان، ونفحات الرضا، مايتبوأ به منازل الصديقين، ويرى الحوادث الكونية قبل وقوعها من وراء ستر رقيق . فنسأل الله أن يجعل لنا ولكم نصيباً وافراً وحظا كاملا من العلم به وحسن عبادته ومعاملته ، وأن لا يجعلنا ممن اتبع هواه وكان امره فرطا ،

وما ذكرته من الوصايا النافعة باجتماع المسلمين ولم شعثهم فنسأل الله التوفيق لذلك والاعانة على ماهنالك ، والامور بيد فاطر السموات والارض ، والقلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن ، وقد وصل الامر إلى غاية لايصل اليها الوعظ والقرآن ، فنعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا

والعذر عن المكاتبة مقبول ، والقلوب شواهد عدول ، والدعاء للاخوان بظهر الغيب مبذول ، فلا تنس أخيك في اوقات المناجاة وفي ساعات التوجهات ، وعليك بالالحاح في الدعاء بظهور الاسلام ونصره ، واعلاء كلمة الله ودحض الباطل واهله . والله أسأل أن يمن بالاجتماع على حال يرضاها متمسكين من التقوى بأقوى حبالها وعراها وأن يعيد اوقاتاً سلفت بمذاكرة العلم الشريف ألفت ، وبلغ سلامنا الوالد والابناء والاخوان سهل وعبد العزيز الصقعبي وابن جربوع وناصر السيف ، ومن لدينا العيال واسماعيل واخوانه والاخوان ينهون السلام وانت سالم والسلام سنة ١٢٩١

وجوب صلاة الجمعة على اهل القرى

والعدد الذي تنعقد به جماعتها

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبداللطيف بن عبدالرحمن الى الاخ المكرم الشيخ عبدالعزيز بن حسن سلمه الله تعالى

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد فاحمد اليك الله الذي لاإله إلا هو على نعمه ، وخطك وصل ، وتأخر جوابه لكثرة الاشتغال ، وتشتت البال والله المستعان

وتسأل فيه عن وجوب صلاة الجمعة على اهل القرى الذين لم يبلغ العدد فيهم أربعين من اهل الوجوب

فاعلم انهم اتفقوا على ان من شرط وجوبها وصحتها الجماعة ، واختلفوا في مقدار الجماعة، فمنهم من قال واحد والامام ، وهذا مذكور عن ابن جرير الطبري، ومنهم من قال اثنان سوى الامام لان اقل الجمع عنده اثنان ، ومنهم من قال ثلاثة دون الامام ، وقائل هذا يرى ان اقل الجمع ثلاثة لا اثنان . والكلام مبسوط على اقل الجمع في شرح التحرير وغيره . والقول الاخير هو قول ابي حنيفة، ومنهم من اشترط اربعين وهو قول الشافعي واحمد ، وقال قوم ثلاثين، ومنهم من قال يجوز فيما دون الاربعين الا الثلاثة والاربعة ، ولم يشترط عدداً وانما ذكر حداً او رده وهو انه لاتجب الا على عدد تتقرى بهم قرية . وأصحاب القولين الاولين أخرجوا الامام من مسمى الجمع للاختلاف في دخوله في الجماعة ، وأصحاب القول الاخير يقولون الجمع في غالب الاحوال له حكم غير مايطلق عليه اسم الجمع في جميعها، بل هم الذين يمكنهم أن يسكنوا على حدة من الناس ، وهذا يروى عن

مالك ، ويروى عنه أيضا: اشتراط اثنا عشر من اهل الوجوب ، و كلا القولين معروف ، ومن شرط الاربعين كالشافعي واحمد وجماعة من السلف. فانما صاروا الى ماصح من أن هذا العدد كان في اول جمعة صليت بالناس فهذا هو حد شرطها أعني شرط الوجوب وشرط الصحة فان من الشروط ماهو شرط للوجوب فقط ، ومنها مايجمع الامرين

واختيار شيخ الاسلام ابن تيمية أن هذا الشرط للوجوب فقط لا للصحة. وهذا من أحسن الاقوال ، وبه يتفق غالب كلام المختلفين

إذا عرف هذا فانهم اختلفوا أيضاً في الاحوال الراتبة التي اقترنت بهذه الصلاة عند فعله إياها ﷺ ، هل هي شرط في الصحة والوجوب أم ليست بشرط؟ وتلك كالجماعة والمصر والاستيطان . فمن رآه دليلا اشترطها ، ومنهم من رجح بعضها دون بعض واشترطه في المرجح لاغير ، وبعضهم لم يرها دليلا ، ورجع في الاشتراط والوجوب إلى أدلة أخرى لعموم الجماعة في سائر الصلوات

ولقائل أن يقول: لو كانت هذه الاحوال شروطا في صحة الصلاة لما جاز أن يسكت عنها رسول الله ﷺ ، ولا أن يترك بيانها لقوله تعالى (لتبين للناس ما نزل اليهم)

هذا مايحضرني فان رأيت خللا فلا جناح عليك في إصلاحه . وصدقة المحمل(١)تصل اليك إن شاء الله فعليك بتحري العدل في اقسمة. وبلغ سلامنا حمد والعيال والشيخ الوالد ، والعيال بخير وينهون السلام

«١» قسم من بلاد نجد الى جنب العارض

وصية بالتقوى

(والامر بالمعروف والنهي عن المنكر)

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد اللطيف بن عبد الرحمن إلى الاخ المكرم عبد الرحمن بن جربوع . وفقه الله للعمل بدينه المشروع

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته (وبعد) فنحمد اليك الله الذي لا إله إلا هو على سوابغ نعمه، وجزيل عطائه وكرمه، وعلى ما ألبسنا من ملابس فضله ، وما اختصنا به من عظيم العطاء الذي صرفه عمن شاء بعدله. والخط وصل وصلك الله إلى مايرضيه ، ونظمك في سلك من يخشاه ويتقيه

وأوصيك بتقوى الله والحرص على معرفة تفاصيلها على القلوب والجوارح، فانك في وقت كثر قراؤه، وقل فقهاؤه

وما ذكرت من طلب الفائدة بما ورد من النصوص الشرعية الدالة على وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فهذا مما لا يخفى على آحاد العامة من المسلمين ،فضلا عن الطلبة والمتعلمين،وهذا الاصل من آكد الاصول الاسلامية وأوجبها وألزمها . وقد ألحقه بعضهم بالاركان التي لا يقوم بناء الاسلام إلا عليها وهو من فروض الكفاية لا يسقط عن المكلفين الا ان قام به طائفة يحصل بها المقصود الشرعي، وفرض الكفاية من فروض العين من جهة متعلقه، لان الخطاب به لجميع الامة ، وإنما أرسلت الرسل وأنزلت الكتب للامر بالمعروف الذي رأسه وأصله التوحيد ، والنهي عن المنكر الذي رأسه وأصله الشرك والعمل لغير الله . وشرع الجهاد لذلك وهو قدر زائد عن مجرد الامر والنهي ، ولولا ذلك ما قام الاسلام ،ولا ظهر دين الله ، ولا علت كلمته، ولا يرى تركه والمداهنة فيه إلا من أضاع حظه ونصيبه من العلم والايمان .قال تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس

تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر) وقال تعالى (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون)

فهذه الآيات تدل على وجوبه وان القائم به خير الناس وأفضلهم ، وان الخيرية لا تحصل إلا بذلك . وفيها ان الفلاح محصور في أهل الامر بالمعروف ، والنهي عن المنكر وهو الفوز بالسعادة الابدية

وأما الوعيد على تركه فمثل قوله تعالى (لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون * كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه) الآية ففي هذه الآية لعنهم على ألسن أنبيائهم بترك النهي عن المنكر والامر بالمعروف . واللعن هو الطرد والابعاد عن الله وعن رحمته

وذكر بعض المفسرين هنا حديث « ان من كان قبلكم كانوا إذا عمل العامل فيهم بالخطيئة جاءه الناهي تعذيراً ، فاذا كان الغد جالسه وواكله وشاربه كأن لم يره على خطيئة بالامس ، فلما رأى الله ذلك منهم ضرب بقلوب بعضهم على بعض ثم لعنهم على لسان نبيهم داود وعيسى بن مريم (ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) والذي نفس محمد بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ، ولتأخذن على يد السفيه ولتأطرنه على الحق أطراً (١) او ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض ثم يلعنكم كما لعنهم »

وذكر ابن أبي الدنيا عن ابراهيم بن عمرو الصنعاني قال « أوحى الله عز وجل الى يوشع بن نون: اني مهلك من قومك أربعين ألفا من خيارهم ، وستين ألفا من شرارهم ، قال يارب هؤلاء الاشرار فما بال الاخيار؟ قال انهم لم يغضبوا لغضبي ، وكانوا يواكلونهم ويشاربونهم »

وذكر أيضاً من حديث ابن عمر « لينقضن الاسلام عروة عروة حتى لا يقال

«١» أي تعطفونه وتثنونه

الله الله . لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ، أوليسلطن الله عليكم شراركم فيسومونكم سوء العذاب ثم يدعو خياركم فلا يستجاب لهم » « ولتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليبعثن الله عليكم من لا يرحم صغيركم ولا يوقر كبيركم »

وفي المسند مرفوعا « يا أيها الناس إن الله يقول : مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر قبل أن تدعوني فلا أجيبكم ، وتستنصروني فلا أنصركم ، وتسألوني فلا أعطيكم »

وفي حديث ابن عباس « وما ترك قوم الامر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا لم ترفع أعمالهم ، ولم يسمع دعاؤهم » رواه الطبراني

وذكر الامام احمد رحمه الله تعالى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه « يوشك القرى أن تخرب وهي عامرة » قالوا : كيف تخرب وهي عامرة ؟ قال « اذا علا فجارها أبرارها ، وساد القبيلة منافقوها »

والاحاديث في هذا كثيرة تطلب من مظانها .

فصل

وترك ذلك على سبيل المداهنة والمعاشرة وحسن السلوك ونحو ذلك مما يفعله بعض الجاهلين أعظم ضرراً وأكبر اثما من تركه لمجرد الجهالة ، فان هذا الصنف رأوا أن السلوك وحسن الخلق ونيل المعيشة لا يحصل إلا بذلك فخالفوا الرسل وأتباعهم وخرجوا عن سبيلهم ومنهاجهم لانهم يرون العقل ارضاء الناس على طبائعهم ويسالمونهم ويستجلبون مودتهم ومحبتهم وهذا مع انه لا سبيل اليه فهو إيثار للحظوظ النفسية والدعة ومسالمة الناس ، وترك المعاداة في الله وتحمل الاذى في ذاته . وهذا في الحقيقة هو الهلكة في الآجلة . فما ذاق طعم الايمان من لم يوال في الله ويعادي فيه ، فالعقل كل العقل ما أوصل الى رضى الله ورسوله . وهذا انما يحصل بمراغمة أعداء الله وإيثار مرضاته والغضب له اذا انتهكت محارمه ، والغضب

ينشأ من حياة القلب وغيرته وتعظيمه ، واذا عدم الحياة والغيرة والتعظيم عدم الغضب والاشمئزاز ، وسوى بين الخبيث والطيب في معاملته وموالاته ومعاداته وأي خير يبقى في قلب هذا ؟

وفي بعض الآثار «ان الله أوحى إلى جبريل أن اخسف بقرية كذا وكذا قال يارب ان فيهم فلانا العابد ، قال به فابدأ انه لم يتمعر(١) وجهه فيّ قط»

وذكر ابن عبدالبر «ان الله بعث ملكين إلى قرية ليدمراها بمن فيها فوجد فيها رجلا قائما يصلي في مسجد، فقالا: يارب ان فيها عبدك فلانا يصلي، فقال الله عز وجل: دمراها ودمراه معهم ، فانه ماتمعر وجهه في قط» انتهى

ومن له علم باحوال القلوب وما يوجبه الايمان ويقتضيه من الغضب لله والغيرة لحرماته ، وتعظيم أمره ونهيه يعرف من تفاصيل ذلك فوق ماذكرنا

ولو لم يكن إلا مشابهة المغضوب عليهم والضالين في الانس بأهل المعاصي ومواكلتهم ومشاربتهم لكفى بذلك عيبا . والله الموفق والهادي لا إله غيره

وبلغ سلامنا الاخوان والخواص اجازة مطلقة ، والشيخ الوالد والعيال بخير وينهون السلام ، ولا تنسنا من صالح دعائك والسلام

رسالة

﴿ في بيان فضل من يحيي السنة ويهدم الشرك والبدعة ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد اللطيف بن عبد الرحمن إلى ذي الجناب المكرم ، والفضل الباذخ المقدم، السيد عبدالرحمن الالوسي سلك الله به سبل الاستقامة، وزينه بحلل التوفيق والكرامة ، ورفعه الى رتب السيادة والامامة. سلام عليكم ورحمة الله وبركاته

«١» تمعر الوجه : تغير للغضب والغيظ. وأصله قلة النضارة وعدم إشراق اللون.

أما بعد . فانا نحمد اليك الله الذي لا إله الا هو. كثير الخير دائم المعروف على ماأولاه من سوابغ نعمه الباطنة والظاهرة ، وما ألبسه من ملابس كرامته السنية الفاخرة ،التي أعظمها وأجلها على الاطلاق ، هدايته لدينه الذي ارتضاه لنفسه واختص به أولياءه وخاصة أهل كرامته وقدسه . مع انه قد اطرد القياس بفساد أكثر الناس، وتركهم من الاسلام أصله الاعظم والاساس،وكثرة الاشتباه في أبواب الدين والالتباس

وجمهورهم عكس القضية، في مسمى الملة الاسلامية ، ولم يميزوا بينها وبين الملة القرشية ،والسنة الجاهلية، فهم كما وصفهم الله تعالى بقوله (أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالانعام بل هم أضل سبيلا)

وكتابك الكريم وصل الينا، وحسن موقعه لدينا ، لما بلغنا عنك من اظهار الاسلام والسنة ، وعيب أهل الشرك والبدعة ، وطعنك على الدعاة الى الضلالة، وعيبهم بما يبدونه من سوء العمل وشنيع المقالة ، وان الله قمعهم بك وقواك عليهم فأذلهم وأهانهم ، فابشر بثواب ذلك واعتده من أفضل أعمالك وحسناتك

وفي الحديث « من أحيا شيئا من سنتي كنت أنا وهو في الجنة كهاتين » وضم بين أصبعيه

وفي الاثر «ان لله عند كل بدعة كيد بها الاسلام ولياً لله يذب عنها وينطق بعلاماتها» فاغتنم ذلك وكن من صالح أهله ، واحرص أن يكون لك في ذلك جماعة وتلامذة يقومون مقامك ان حدث بك حدث فيكونون أئمة بعدك ويجري لك مثل أجورهم إلى يوم القيامة كما صح به الخبر ،

فاعمل على بصيرة ، وسر إلى الله بصلاح القصد والسريرة، واياك أن يكون لك من اهل الشرك الذين يعبدون الاولياء والصالحين جليس او صديق، فقد جاء في الاثر «من جالس صاحب بدعة نزعت منه العصمة ووكل الى نفسه ، ومن مشى إلى

صاحب بدعة مشى في هدم الاسلام » وهذا في بدع لاتخرج عن الملة ، فكيف بالشرك الذي يتضمن العدل والتسوية برب العالمين؟ بل يتضمن مسبته تعالى وتقدس فسبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

هذا وشيخنا الوالد المكرم والامام الفاضل المقدم يبلغا نك السلام ، والسلام على من لديك من الاخوان في الله المحبين لجلاله ورحمة الله وبركاته وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿ الاشاره الى ايواء اهل عنيزة لبعض الخارجين وأخذ العهود عليهم في الامتناع منه ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

من عبد اللطيف بن عبد الرحمن إلى الاخ المكرم محمد بن عمر آل سليم سلمه الله تعالى وتولاه في الدنيا والآخرة وألبسه ملابس ولايته السنية الفاخرة

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد الخط وصل وصلك الله إلى مايرضيه وسرنا سلامتك وعافيتك، كذلك سرنا ماذكرت من القراءات وملازمة الدروس فالحمد لله على ذلك .

والله أسأل أن يجعلك هاديا مهديا اماما للمتقين .

وماذكرت وصل فالليمون ومامعه كله موجود عندنا بكثرة والمقصود الاترنج لما فيه من الخواص والمنافع، وحيث تعذر وجوده فصلتك مقبولة، وهبتك مرضية محمولة، ولا وصلنا جوابكم إلا بعد ماانكفنا(١) وحرر هذا على ثرمدا(٢) وجاءنا عبدالله بن جربوع بالنصيحة بعد ماقرأها على أهل عنيزة وخضعت لها رقابهم ورغمت بها أنوفهم في يوم مشهود ظهر فيه الحق وعلت كلمة الله، وقامت حجته، وجاءتنا

«١» أنكفنا . أي انكفأنا ورجعنا ويقصدون بها الرجوع من الجهة التي كانوا فيها وهكذا ينطق بها أهل نجد «٢» ثرمدا من بلاد القصيم في نجد

المكاتبة من مالئها وأكابرها يعتذرون ويتنصلون ويحلفون ، والله يعلم علانيتهم وسرائرهم ويحاسب عباده بعلمه فيهم . وقد وعدونا انه لايعود إلى بلدتهم ولا يدخلها ، وحلف أميرهم عندي في المجلس على ذلك وأغلظ على نفسه بعد ماجرت المعاتبة وأغلظت له القول على حمله وتمكينه من دخول البلدة

والرسالة المشار اليها تصلكم مع هذا الجواب ان شاء الله اقرءوها وتدبروا مافيها ، فانها مفيدة مع اختصارها

ونسأل الله أن يجعل أعمالنا وأعمالكم خالصة لوجهه الكريم وبلغ الوالد والعيال والاخوان منا السلام اجازة عامة . ومن لدينا عبد العزيز بن عبد الرحمن واسماعيل والابن عبدالله وعيال محمد بن علي يبلغون السلام والسلام وصلى الله على محمد

(عموم المصاب بقسوة القلوب وانصراف الخلق عن العبادة وغربة الاسلام)

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

من عبداللطيف بن عبدالرحمن الى الاخ المكرم محمد بن عمر آل سليم سلك الله بنا وبه صراطه المستقيم ووفقنا بمنه لمخالفة أصحاب الجحيم

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته(وبعد) فاحمد اليك الله الذي لا إله إلا هو على ما أولاه من إنعامه وما ألبسه من ملابس اكرامه، جعلنا الله وايا كم ممن عرف نعمة الله عليه واستعملها فيما يقرب اليه ؛والخط وصل وصلك الله بالرضا وقد سرنا ماأفاده من سلامة الحال واعتدال الاوقات لازالت أحوالا محروسة وأوقاتا بذكر الله معمورة مأنوسة

وما أشرت اليه من قسوة القلوب وكثرة الذنوب وانصراف الخلق عما خلقوا

له فنعم قد عم بذلك المصاب واستحكم الداء وعز الدواء الا أن يمن الله على من يشاء من عباده بالهداية والشفاء

واشتداد الغربة واستحكام الشدة والكربة قد وجد منذ أزمان والشأن في هذا الزمان في نفس الوجود، فان غالب الاماكن والقرى والبلدان لايعرفون فيها الدين حقيقة ولا اسما ولا يهتدون سبيلا الى ما جاءت به الرسل ولا رسما

والاسلام عندهم هو ما نشئوا عليه وتلقوه عن أسلافهم في باب معرفة الله ومعرفة حقه وباب معرفة حكمه وشرعه ، فالاول حقيقته عندهم هو التعطيل المحض (والثاني) خلاصته ولبه فيما بينهم هو التعلق على عباده وجعلهم شركاء له (والثالث) جردوا فيه متابعة الاشياخ والآباء عما جاءت به الرسل والانبياء؟ وهذا هو عين العكس وقلب الحقائق

فاجتهد في الخلاص من شبكات تلك المهالك والمضايق بلزوم السنة والكتاب، والسلوك على أثر الآل والاصحاب ، ومن تبعهم من ذوي الالباب ، واجتهد في التضرع الى الله في الاعانة على ذكره وشكره وحسن عبادته ، ولا تنسنا من صالح دعائك ، وبلغ سلامنا الوالد والعيال والاخوان محمد آل عبد الله وآل شومر وابن جاسر ومطلق وكافة الاخوان ، ومن لدينا الشيخ المكرم وأولاده وأولادنا وعبد الرزاق بخير وينهون السلام ، والسلام

﴿ حكم العمل بالخط المعروف في الوصية وغيرها ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده . وجدت على ظهر وثيقة اوصى بها عبدالرحمن بن محمد القاضي ما نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده . إن كانت هذه الوثيقة بيد ورثة الموصي وسبق عمل بها من وارثه أو وارث وارثه ولم ينازع أحد من الورثة في صدورها عن مورثهم فهذا

منهم إقرار بالوصية ، وتسليم بمقتضاها فيثبت الحكم الشرعي بهذا العمل والتقرير لمضمون الوصية وهو حجة شرعية ، وإذا كان بخط من يوثق به من طلبة العلم المعروفين بالدين والامانة فهو مما يقوي ثبوت هذه الوصية والعمل بها .

قاله ممليه الفقير إلى الله عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن وكتبه عن أمره احمد بن محمد بن عبيد ، وصدر في ٢٧ محرم سنة ١٢٩١

ونقله من خط احمد بن محمـد بن عبيد بعد معرفته يقينا ، وعليه ختم ممليه سليمان بن عبدالرحمن بن حمدان وصلى الله على محمد وسلم

ونقله من خط من سمى نفسه عبدالله بن ابراهيم الربيعي

(فتوى في حق الضيف على أهل القرى والباديه)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله . من قام بما يجب عليه للضيف الذي يختص به سقط عنه مايوضع على البلد من جهة الضيف إذا كان الخارج منه للضيف قدر ما يستحق ، لوجوب العدل الذي امر الله به . قاله ممليه عبد اللطيف بن عبدالرحمن ، وكتبه عن أمره حسن ابن علي . وصلى الله على محمد وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم

ماذكره الوالد رحمه الله تعالى يلزم العمل بمقتضاه ، ولايجوز لأحد العدول عنه حتى لايخفى. قاله ممليه محمد بن عبد اللطيف عفا الله عنه . ونقله من أصله وعليه ختم كل منهما سليمان بن عبدالرحمن بن حمدان. وصلى الله على محمد وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم

ما ورد على أهل البلد من الكلف ، كالضيف وشبهه يكون على كل أحد بحسبه والذي يدفع أكثر من غيره فله الرجوع على غيره كالرجل المعروف المنصر

قال ذلك ممليه عبد الرحمن بن عدوان ، ونقله من أصله الذي عليه ختم ممليه سليمان بن حمدان . ونقله من خط ناقله من سمى نفسه عبدالله بن ابراهيم الربيعي

المسائل الشرعية الى علماء الدرعية

جواب مسئلة سئل فيها الشيخ عبد العزيز (قاضي الدرعية) ومن حوله من العلماء المسماة (المسائل الشرعية الى علماء الدرعية)

فوصل الجواب واختصر ألفاظ السؤال في كل باب ، بل حذف كثيراً من ذلك الخطاب ، لكن بيت القصيد قد ضمن في الجواب السديد ، وصلى الله على محمد النبي الامي وآله وصحبه وسلم

نص الجواب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وبه التوفيق وبيده أزمة الهداية والتحقيق

(اما المسئلة الاولى) وهي السؤال الاول عن الشرك بالله ، ماهو الاكبر الذي ذم فاعله وماله حلال لاهل الاسلام ، ولا يغفر لمن مات عليه؟ وماهو الاصغر؟

فنقول: قد ذكر العلماء رحمهم الله تعالى ان الشرك نوعان : أكبر وأصغر ، فالاكبر أن يجعل لله نداً من خلقه يدعوه كما يدعو الله ، ويخافه كما يخاف الله ، ويرجوه كما يرجو الله ، ويتوكل عليه في الامور كما يتوكل على الله

والحاصل ان من سوّى بين الله وبين خلقه في عبادته ومعاملته فقد أشرك بالله وهو الشرك الاكبر الذي لايغفره الله، كما دل على ذلك قوله تعالى (ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حباً لله ـ الى قوله ـ وماهم بخارجين من النار)

وقال تعالى عن اهل النار (تالله إن كنا لفي ضلال مبين * اذ نسويكم برب العالمين) قال بعض المفسرين : والله ما سووهم بالله في الخلق والرزق والتدبير ،

ولكن سووهم به في المحبة والاجلال والتعظيم . وقال تعالى (ثم الذين كفروا بربهم يعدلون) أي يعدلون به في العبادة

ولهذا اتفق العلماء كلهم على ان من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم ويسألهم فقد كفر، لان هذا كفر عابدي الاصنام قائلين (مانعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ان الله يحكم بينهم فيماهم فيه يختلفون) ثم شهد الله عليهم بالكذب والكفر فقال (إن الله لايهدي من هو كاذب كفار) فهذا حال من اتخذ من دون الله اولياء يزعم أنهم يقربونه إلى الله . وقال (ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله)

وقد أنكره الله في كتابه وابطله وأخبر ان الشفاعة كلها له ، وانه لايشفع عنده أحد إلا لمن أذنله أن يشفع فيه، ورضي قوله وعمله، وهم اهل التوحيد الذين لم يتخذوا من دون الله شفعاء ، فانه سبحانه وتعالى يأذن في الشفاعه لهم حيث لم يتخذوا من دونه شفعاء ، فيكون أسعد الناس بشفاعة الشفعاء صاحب التوحيد الذي حقق قول لاإله إلا الله

والشفاعة التي أثبتها الله ورسوله هي الشفاعة الصادرة عمن أذن له لمن وحده والشفاعة التي نفاها القرآن هي الشفاعة الشركية التي يظنها المشركون فيعاملون بنقيض قصدهم ويفوز بها الموحدون

فتأمل قوله ﷺ لابي هريرة ـ وقد سأله : من أسعد الناس بشفاعتك يارسول الله ؟ قال « من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه » فجعل أعظم الاسباب التي تنال بها الشفاعة تجريد التوحيد، عكس ماعند المشركين : ان الشفاعة تنال باتخاذهم شفعاء وعبادتهم وموالاتهم من دون الله . فأكذب النبي ﷺ زعمهم الكاذب، وأخبر ان سبب الشفاعة تجريد التوحيد ، فحينئذ يأذن الله للشافع أن يشفع فيه

ومن جهل المشرك اعتقاده انمن اتخذ من دون الله شفيعاً انه يشفع له وينفعه

كما يكون عند خواص الملوك والولاة ، ولم يعلموا ان الله لايشفع عنده احد إلا باذنه ، ولا يأذن في الشفاعة إلا لمن رضي قوله وعمله ، كما قل تعالى في الفصل الثاني (ولا يشفعون إلا لمن ارتضى) وبقي فصل ثالث وهو انه مايرضى من القول والعمل إلا التوحيد واتباع الرسول ﷺ ،

وعن هاتين الكلمتين يسئل الاولون والآخرون كما قال ابو العالية : كلمتان يسئل عنهما الاولون والآخرون : ماذا كنتم تعبدون؟ وماذا أجبتم المرسلين؟ فهذه ثلاثة اصول تقطع شجرة الشرك من قلب من وعاها وعقلها

(فالاول) انه لاشفاعة إلا باذنه (والثاني) انه لا يأذن إلا لمن رضي قوله وعمله (والثالث) انه لا يرضى من القول والعمل إلا توحيده ، واتباع رسوله

وقد قطع سبحانه وتعالى الاسباب التي يتعلق بها المشركون قطعاً يعلم من تأمله وعرفه أن من اتخذ من دون الله ولياً او شفيعاً فهو كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً ، فقال تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض ومالهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير * ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له) فالمشرك انما يتخذ معبوده لما يحصل له به من النفع ، والنفع لا يكون الا فيمن فيه خصلة من هذه الاربع : إما مالك لما يريد عابده منه فان لم يكن مالكا كان شريكا للمالك ، فان لم يكن شريكا له كان معينا وظهيراً ، فان لم يكن معينا ولا ظهيراً كان شفيعا عنده

فنفى سبحانه وتعالى المراتب الاربع نفيا مرتبا منتقلا من الأعلى إلى ما دونه فنفى الملك والشرك والمظاهرة والشفاعة التي يطلبها المشرك ، وأثبت شفاعة لا نصيب فيها لمشرك وهي الشفاعة باذنه

فكفى بهذه الآية برهانا ونوراً وتجريداً للتوحيد ، وقطعا لأصول الشرك ومواده لمن عقلها ، والقرآن مملوء من أمثالها ونظائرها (ولكن أكثر الناس لا

يشعرون) بدخول الواقع تحته ، ويظنه في قوم قد خلوا من قبل ولم يعقبوا وارثا ، وهذا هو الذي يحول بين القلب وفهم القرآن

ولعمر الله إن كان أولئك قد خلوا فقد ورثهم من هو مثلهم او شر منهم أو دونهم ، وتناول القرآن لهم كتناوله لأولئك ، ولكن الامر كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه «انما تنقض عرى الاسلام عروة عروة إذا نشأ في الاسلام من لايعرف الجاهلية» والشرك وما عابه الله وذمه؟ فانه يقع فيه ويقره ويدعو اليه ويصوبه ويحسنه وهو لايعرف انه الذي كان عليه اهل الجاهلية او نظيره او شر منه او دونه، فتنقض بذلك عرى الاسلام ويعود المعروف منكراً ، والمنكر معروفا ، والبدعة سنة والسنة بدعة ، ويبدع الرجل لتجريد التوحيد ومتابعة الرسول ﷺ ومفارقة أهل الاهواء والبدع ، ومن له بصيرة وقلب حي يرى عيانا. والله المستعان

والكلام في هذه المسئلة يحتاج الى بسط طويل ليس هذا محله ، وانما نبهناك على ذلك تنبيها يعرف به — كل من نور الله قلبه — حقيقة الشرك الذي لايغفره الله إلا بالتوبة منه ، وحرم الجنة على فاعله

ولكن من اعظم انواعه وأكثرها وقوعا في هذه الازمان طلب الحوائج من الموتى ، والاستغاثة بهم ، والرحيل اليهم ، وهذا اصل شرك العالم كما ذكره المفسرون عند قوله تعالى حكاية عن قوم نوح (وقالوا لاتذرن آلهتكم ولاتذرن وداً ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسراً) ان هذه اسماء رجال صالحين في قوم نوح ، فلما ماتوا عكفوا على قبورهم ، ثم طال عليهم الامد فعبدوهم ، كما ذكر البخاري في صحيحه في تفسير سورة نوح عليه السلام ، وكما ذكر غيره من اهل العلم ، والله سبحانه وتعالى أعلم

*
* *

وأما الشرك الاصغر فكيسير الرياء والحلف بغير الله كما ذكر عن النبي ﷺ

انه قال « من حلف بغير الله فقد أشرك» ومن ذلك قول الرجل. ماشاء الله وشئت؛ وهذا من الله ومنك ، وأنا بالله وبك ، ومالي إلا الله وأنت ، وأنا متوكل على الله وعليك ، ولولا انت لم يكن كذا وكذا

وقد ثبت عن النبي ﷺ انه قال له رجل: ماشاء الله وشئت فقال «أجعلتني لله نداً ؟ قل ماشاء الله وحده » وهذه اللفظة أحق من غيرها من الالفاظ وقد يكون هذا شركا أكبر بحسب حال قائله ومقصده. وهذا الذي ذكرنا متفق عليه عند العلماء انه من الشرك الاصغر، كما ان الذي قبله متفق عليه انه من الشرك الاكبر

واعلم ان التوبة مقبولة منها ومن سائر الذنوب قطعا ، اذا صحت التوبة واستكملت شروطها ، لكن ابن عباس رضي الله عنه ومن تبعه قال: لا تقبل توبة القاتل، وقد ناظر ابن عباس رضى الله عنهما أصحابه وخالفه جمهور العلماء في ذلك وقالوا : التوبة تأتي على كل ذنب . فكل ذنب يمكن التوبة منه وتقبل. واحتجوا بقوله تعالى (قل ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله ، إن الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم) وبقوله تعالى (واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى) فاذا تاب هذا القاتل وآمن وعمل صالحا فان الله عز وجل غفار اه

فصل

وأما قول السائل : هل للتوحيد والايمان مرتبتان وحقيقتان ومجازان يقابل كل واحد واحدة من مراتب الشرك والكفران ويتعلق باحدهما دون الآخر النقص والبطلان ، ويخرج بفعل بعض قواعد الشرك او ترك بعض قواعد التوحيد عن دائرة الاسلام لا دائرة الايمان، او بالعكس ؟

فاعلم ـ رحمك الله تعالى ـ ان العلماء ذكروا ان الدين على ثلاث مراتب:

(المرتبة الاولى) مرتبة الاسلام وهي المرتبة الاولى التي يدخل فيها الكافر أول مايتكلم بالاسلام ويذعن وينقاد له

(المرتبة الثانية) مرتبة الايمان وهي أعلى من المرتبة الاولى لان الله تعالى نفى عمن ادعوها الايمان أول وهلة وأثبت لهم الاسلام فقال تعالى (قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم وإن تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئا، إن الله غفور رحيم * انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون) فأنكر سبحانه عليهم ادعاءهم الايمان وأخبر انهم لم يبلغوا هذه المرتبة إذ ذاك

وفي الحديث الصحيح ـ حديث سعد ـ لما قال للنبي ﷺ : مالك عن فلان ؟ فوالله اني لأراه مؤمنا[١] فقال « او مسلماً »

(المرتبة الثالثة) الاحسان وهي أعلى المراتب كلها ، وقد تضمن حديث جبريل عليه السلام هذه المراتب كلها لما سأله عن الاسلام والايمان والاحسان فأخبره ﷺ بذلك ثم قال « هذا جبريل أتاكم يعلمكم أمر دينكم »

فقد ينفى عن الرجل الاحسان ويثبت له الايمان ، وينفى عنه الايمان ويثبت له الاسلام كما في قوله عليه السلام « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن » ولا يخرجه عن مرتبة الاسلام إلا الكفر بالله والشرك المخرج من الملة

وأما المعاصي والكبائر كالزنى والسرقة وشرب الخمر وأشباه ذلك فلا تخرجه عن دائرة الاسلام عند أهل السنة والجماعة خلافا للخوارج والمعتزلة الذين يكفرون بالذنوب ويحكمون بتخليد فاعلها في النار

«١» أي مالك تعرض أو تعدل عن فلان فلا تعطيه؟ وقوله ﷺ «أو مسلما» إضراب يتضمن النهي عن وصفه بالايمان وأن يصفه بالاسلام الذي يصدق مهما يكن باطن الرجل. والحديث في الصحيحين

واحتج أهـل السنة والجماعة على ذلك بحجج كثيرة من الكتاب والسنة وأقوال الصحابة والتابعين

فمن ذلك مارواه محمد بن نصر المروزي الامام المشهور حدثنا اسحاق بن ابراهيم حدثنا وهب بن جرير بن حازم حدثنا ابي عن الفضل عن ابي جعفر محمد ابن علي انه سئل عن قول النبي ﷺ « لايزني الزاني حين يزني وهو مؤمن »

فقال ابو جعفر : هذا الاسلام ودونه دائرة واسعة ، وهذا الايمان ودونه دائرة صغيرة في وسط الكبيرة ، فاذا زنى او سرق خرج من الايمان إلى الاسلام ولا يخرج من الاسلام إلى الكفر بالله انتهى

قال : وان الله تعالى جعل اسم الايمان اسم ثناء وتزكية ، ومدحه وأوجب عليه الجنة فقال (وكان بالمؤمنين رحيما * تحيتهم يوم يلقونه سلام) وقال (وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات ان لهم قدم صدق عند ربهم) وقال (يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم) وقال تعالى (الله ولي الذين آمنوا) وقال تعالى (وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار) الآية. قالوا وقد توعد الله بالنار اهل الكبائر ، فدل ذلك على أن اسم الايمان زال عمن أتى بكبيرة . قالوا : ولم نجده تعالى أوجب الجنة باسم الاسلام فثبت ان اسم الاسلام باق على حاله واسم الايمان زائل عنه

فان قيل : أليس ضد الايمان الكفر ؟

(فالجواب) ان الكفر ضد أصل الايمان ، لان الايمان له اصول وفروع ، فلا يثبت الكفر حتى يزول أصل الايمان الذي هو ضد الكفر

فان قيـل : الذي زعمتم ان النبي ﷺ أزال عنهم اسم الايمان ، هل بقي معهم من الايمان شيء ؟

قيل : نعم أصله ثابت ، ولولا ذلك لكفرهم

فان قيل: كيف أمسكتم عن اسم الايمان أن تسموا به الفاسق وأنتم تزعمون أن اصل الايمان معه وهو التصديق بالله ورسوله ؟

(قلنا) لان الله ورسوله وجماهير المسلمين يسمون الاشياء بما غلبت عليها من الاسماء ، فيسمون الزاني فاسقاً ، والقاذف فاسقاً ، وشارب الخمر فاسقاً ، ولم يسموا واحداً من هؤلاء تقياً ولا ورعا ، وقد أجمع المسلمون ان فيه أصل التقوى والورع ، وذاك أنه يتقي أن يكفر او يشرك بالله ، وكذلك يتقي أن يترك الغسل من الجنابة والصلاة ، ويتقي أن يأتي أمه فهو في جميع ذلك يتقي (١)

وقد أجمع المسلمون من الموافقين والمخالفين انه لا يسمى تقياً ولا ورعا إذا كان يأتي بالفجور ، مع ان أصل التقوى والورع نفاه الله يزيد فيه (٢) من دعاء بعد الاصل كتورعه عن اتيان المحارم ، ثم لا يسمونه تقيا ولا ورعا مع اتيانه ببعض الكبائر بل يسمونه فاسقاً وفاجراً مع علمهم انه قد نفى بعض التقوى والورع فمنعهم من ذلك ان اسم التقي اسم ثناء وتزكية ، وان الله قد أوجب عليهم المغفرة والجنة. قالوا فلذلك لا نسميه مؤمنا ونسميه فاسقاً وزانياً ، وان كان في قلبه أصل الايمان لان اسم الايمان أصل أثنى الله به على المؤمنين ، وزكاهم به ، وأوجب لهم الجنة . ثم قال : مسلم ولم يقل ومن قالوا: ولو كان أحد من المسلمين الموحدين يستحق أن لا يكون في قلبه إيمان واسلام لكان أحق الناس به أهل النار الذين يخرجون منها لانه صح عن النبي ﷺ ان الله يقول «اخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان» فثبت ان شر المسلمين في قلبه إيمان

ولما وجدنا الامة تحكم بالاحكام التي ألزمها الله المسلمين ولا يكفرونهم ولا يشهدون لهم بالجنة ثبت انهم مسلمون يجري عليهم أحكام المسلمين وانهم لا يستحقون أن يسموا مؤمنين

«١» الكلام هنا غير منسق . فلعله سقط منه شيء «٢» بياض في الاصل

اذا كان الاسلام مثبتا للملة التي يخرج بها المسلم من جميع الملل ، ويزول عنه اسم الكفر ، ويثبت له أحكام المسلم

والمقصود معرفة ماقدمناه من ان للدين ثلاث مراتب : أولها الاسلام واوسطها الايمان ، وأعلاها الاحسان ، ومن وصل إلى العليا فقد وصل الى التي قبلها ، فالمحسن مؤمن مسلم ، والمؤمن مسلم ، وأما المسلم فلا يلزم أن يكون مؤمنا

وهذا التفصيل الذي أخرجه النبي صلى الله عليه وسلم في حديث جبريل جاء به القرآن فجعل الامة على هذه الاصناف الثلاثة فقال تعالى (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا. فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله) الآية

فالمسلم الذي لم يقم بواجب الايمان هو الظالم لنفسه ، والمقتصد هو المؤمن المطلق الذي أدى الواجب وترك المحرم ، والسابق بالخيرات هو المحسن الذي عبد الله كأنه يراه . وقد ذكر الله سبحانه تقسيم الناس في المعاد الى هذه الاقسام الثلاثة في سورة الواقعة والمطففين وهل أتى

وقال ابو سليمان الخطابي رحمه الله تعالى : فأكثر مايغلط الناس في هذه المسئلة ، فأما الزهري فقال: الاسلام الكلمة ، والايمان العمل ، واحتج بالآية وذهب غيره إلى ان الاسلام والايمان شيء واحد ، واحتج بقوله (فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين * فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين) قال والصحيح من ذلك أن يقيد الكلام في هذا ولا يطلق

وذلك ان المسلم قد يكون مؤمنا في بعض الاحوال ولا يكون مؤمنا في بعضها ، والمؤمن مسلم في جميع الاحوال ، فكل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمنا ، واذا حملت الامر على هذا استقام لك تأويل الآيات واعتدل القول فيها ولم يختلف شيء منها

قال الشيخ تقي الدين : والذي اختاره الخطابي هو قول من فرق بينهما ، كأبي جعفر وحماد بن زيد وعبد الرحمن بن مهدي ، وهو قول احمد بن حنبل وغيره ،

وما علمت أحداً من المتقدمين خالف هؤلاء وجعل نفس الاسلام نفس الايمان وكان عامة أهل السنة على هذا الذي قاله هؤلاء كما ذكره الخطابي

وكذلك ذكر ابو قاسم التيمي الاصبهاني وابنه محمد شارح مسلم وغيرهما انه المختار عند أهل السنة، وانه لا يطلق على السارق والزاني اسم مؤمن كما دل عليه النص(١)

فصل

اذا تمهدت هذه القاعدة تبين لك ان الناس يتفاضلون في التوحيد تفاضلا عظيما ويكونون فيه على درجات بعضها أعلى من بعض ، فمنهم من يدخل الجنة بغير حساب ولا عذاب، كما دلت عليه النصوص الصريحة الصحيحة ، ومنهم من

---

١) وقال بعض العلماء ان نفي الايمان عن الزاني والسارق وشارب الخمر معناه انه في حال تلبسه بما ذكر لا يكون متلبساً بالايمان بتحريم الله كما يدل عليه تقييده بقوله ﷺ « حين يزني وحين يشرب وحين يسرق» أي بل يكون غافلا عنه وقال بعضهم المراد به نفي الايمان الكامل وهو الذي بينه في آخر سورة الحجرات وأول سورة الانفال وفي سور أخرى فهذا هو الذي ينافي الفسق وارتكاب الكبائر وقد قال الله تعالى في سورة الحجرات ﴿ وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فان بغت إحداهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي ﴾ الآية فأطلق لقب المؤمنين على المتقاتلين حتى الباغية منهما

وأما الاسلام فهو العمل بالشريعة فان كان اعتقاداً قطعياً وهو الايمان كان إسلاما صحيحاً وإلا كان نفاقا ولم يكن إسلاما إلا في الظاهر لان الايمان بالاعتقاد الجازم أمر باطني لا يعلمه حق العلم إلا الله تعالى وله آيات ودلائل ذكرت في مواضع من القرآن كما تقدم والمعصية لا تبطله وإن كانت كبيرة إلا بالاستحلال بشرطه الذي تقدم بيانه في رسائل العلامة أبا بطين وحواشيها وإنما تنافي كماله . وفي الاصرار خطر لا محل لبيانه هنا

يدخل النار وهم العصاة ويمكثون فيها على قدر ذنوبهم ثم يخرجون منها لاجل مافي قلوبهم من التوحيد والايمان وهم في ذلك متفاوتون كما في الحديث الصحيح من قول النبي ﷺ « أخرجوا من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه من الخير مايزن برة » وفي لفظ « شعيرة » وفي لفظ « ذرة » وفي لفظ « حبة خردل من ايمان »

ومن تأمل النصوص تبين له ان الناس يتفاضلون في التوحيد والايمان تفاضلا عظيما، وذلك بحسب مافي قلوبهم من الايمان بالله والمعرفة الصادقة والاخلاص واليقين . والله سبحانه وتعالى أعلم

فصل

وأما السؤال الثاني وهو قولكم: من لم تشمله دائرة امامتكم ، ويتسم بسمة دولتكم، هل داره دار كفر وحرب على العموم الخ

فنقول وبالله التوفيق : الذي نعتقده وندين الله به أن من دان بالاسلام وأطاع ربه فيما أمر، وانتهى عما عنه نهى وزجر، فهو المسلم حرام المال والدم كما دل على ذلك الكتاب والسنة واجماع الامة ولم نكفر أحداً دان بالاسلام لكونه لم يدخل في دائرتنا ، ولم يتسم بسمة دولتنا ، بل لا نكفر إلا من كفر الله ورسوله ، ومن زعم انا نكفر الناس بالعموم أو نوجب الهجرة الينا على من قدر على اظهار دينه ببلده فقد كذب وافترى

وأما من بلغته دعوتنا إلى توحيد الله والعمل بفرائض الله وابى أن يدخل في ذلك وأقام على الشرك بالله وترك فرائض الاسلام فهـذا نكفره ، ونقاتله ونشن عليه الغارة

وكل من قاتلناه فقد بلغته دعوتنا ، بل الذي نتحققه ونعتقده ان اهل اليمن وتهامة والحرمين والشام والعراق قد بلغتهم دعوتنا وتحققوا انا نأمر باخلاص الدين والعبادة لله، وننكر ماعليه أكثر الناس من الاشراك بالله من دعاء غير الله

والاستغاثة به عند الشدائد وسؤالهم قضاء الحاجات وإغاثة اللهفات . وانا نأمر بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وسائر امور الاسلام ، وننهى عن الفحشاء والمنكرات وسائر الامور المبتدعات

ومثل هؤلاء لايجب دعوتهم قبل القتال فان النبي ﷺ أغار على بني المصطلق وهم غارون وغزا اهل مكة بلا انذار ولا دعوة

وأما قوله ﷺ لعلي رضي الله عنه يوم خيبر — لما أعطاه الراية — وقال « انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم الى الاسلام » فهو عند اهل العلم على الاستحباب . وأما اذا قدَّرنا ان أناساً لم تبلغهم دعوتنا ولم يعلموا حقيقة امرنا ان الواجب دعوتهم اولا قبل القتال ، فيدعون إلى الاسلام وتكشف شبهتهم إن كان لهم شبهة فان اجابوا فانه يقبل منهم ثم يكف عنهم فان ابوا حلت دماؤهم وأموالهم

فصل

وأما قولكم : من اجاب الدعوة وحقق التوحيد وتبرأ من الشرك هل تلزمه الهجرة وان لم يكن له قدرة ؟

(فنقول) الهجرة تجب على كل مسلم لا يقدر على إظهار دينه ببلده ان كان قادراً على الهجرة ، كما دل على ذلك قوله تعالى (ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي انفسهم قالوا فيم كنتم ؟ قالوا كنا مستضعفين في الارض قالوا ألم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها ؟ فاولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً) وأما من لم يقدر على الهجرة فقد استثناهم الله تعالى بقوله (الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لايستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا) الآية

فصل

وأما السؤال الثالث وهو قولكم : قد ورد « الاسلام يهدم ماقبله » وفي رواية « يجبُّ ماقبله » وفي حديث حجة الوداع « ألا ان دم الجاهلية كله موضوع » الخ ،

وظهر لنا من جوابكم ان المؤمن بالله ورسوله إذا قال أو فعل ما يكون كفراً جهلا منه بذلك فلا تكفرونه حتى تقوم عليه الحجة الرسالية ، فهل لو قتل من هذا حاله قبل ظهور هذه الدعوة موضوع ام لا ؟

فنقول إذا كان يعمل بالكفر والشرك لجهله وعدم من ينبهه لا نحكم بكفره حتى تقام عليه الحجة ، ولكن نحكم بأنه مسلم بل نقول عمله هذا كفر يبيح المال والدم وإن كنا لا نحكم على هذا الشخص لعدم قيام الحجة عليه . لا يقال ان لم يكن كافراً فهو مسلم بل نقول عمله عمل الكفار واطلاق الحكم على هذا الشخص بعينه متوقف على بلوغ الحجة الرسالية اليه

وقد ذكر اهل العلم ان اصحاب الفترات يمتحنون يوم القيامة في العرصات ولم يجعلوا حكمهم حكم الكفار ولا حكم الابرار . وأما حكم هذا الشخص اذا قتل ثم اسلم قاتله فانا لا نحكم بديته على قاتله اذا اسلم بل نقول الاسلام يجب ما قبله لان القاتل قتله في حال كفره والله أعلم

وأما كلام اسعد على قوله تعالى (وما يؤمن اكثرهم بالله إلا وهم مشركون) انه الايمان اللغوي الشرعي فهو مصيب في ذلك وقد ذكر المفسرون ان معنى قوله (وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون) ان ايمانهم إقرارهم بأن الله هو الخالق الرازق المدبر ثم انهم مع هذا الايمان بتوحيد الربوبية مشركون بالله في العبادة . ومعلوم ان مشركي العرب وغيرهم يؤمنون بالله رب كل شيء ومليكه وان بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه ولم تنفعهم هذه الاعتقادات حيث عبدوا مع الله غيره وأشركوا معه ، بل نجد الرجل يؤمن بالله ورسوله وملائكته وكتبه ورسله وما بعد الموت فاذا فعل نوعا من المكفرات حكم أهل العلم بكفره وقتله ولم ينفعه ما معه من الايمان

وقد ذكر الفقهاء من أهل كل مذهب (باب حكم المرتد) وهو الذي يكفر

بعد إسلامه، ثم ذكروا أنواعاً كثيرة من فعل واحداً منها كفر

وإذا تأملت ماذكرناه تبين لك ان الايمان الشرعي لايجامع الكفر بخلاف الايمان اللغوي. والله أعلم

وأما قولكم وهل ينفع هذا المؤمن المذكور مايصدر منه من أعمال البر وأفعال الخير قبل تحقيق التوحيد

فيقال: لايطلق على الرجل المذكور اسم الاسلام فضلاً عن الايمان بل يقال الرجل الذي يفعل الكفر او يعتقده في حال جهله وعدم من ينبهه إذا فعل شيئاً من أفعال البر وأفعال الخير اثابه الله على ذلك اذا صحح اسلامه وحقق توحيده، كما يدل عليه حديث حكيم بن حزام « اسلمت على ما اسلفت من خير»

وأما الحج الذي فعله في تلك الحالة فلا نحكم ببراءة ذمته به بل نأمره باعادة الحج، لانا لانحكم باسلامه في تلك الحالة، والحج من شرط صحته الاسلام، فكيف نحكم بصحة حجه وهو يفعل الكفر او يعتقده ؟ ولكنا لا نكفره لعدم قيام الحجة عليه ، فاذا قامت عليه الحجة ، وسلك غير سبيل المحجة ، أمرناه باعادة الحج ليسقط الفرض عنه بيقين

وأما ماذكرته عن السيوطي أن الردة لاتنقض الاعمال إن لم تتصل فهي مسئلة اختلف العلماء فيها ، وليست من هذا الباب لان كلام السيوطي فيمن فعل شيئاً من الاعمال في حال إسلامه ثم ارتد ثم أسلم، هل يعيد مافعله قبل ردته لانه قد حبط بالردة أم لا؟ لان الردة لا تحبط العمل إلا بالموت عليها ؟

فصل

وأما السؤال الرابع عن المصافحة بالايدي والمعانقة وتقبيل اليد . فالمصافحة حسنة مرغب فيها ، والمعانقة لا بأس بها

وأما تقبيل اليد فورد فيها أحاديث تدل على ذلك واعتقاده في حق البعض

وبعض الاحيـان دون بعض ، وأما المداومة على ذلك واعتقاده سنة فليس في الاحاديث مايدل على ذلك، ونحن لم ننه الناس عن تقبيل اليد على الوجه الوارد في الاحاديث، بل ننهاهم عن الواقع منهم على خلاف ذلك فانهم يقبلون أيدي السادة الذين يعتقدون فيهم السر ، ويرجون منهم البركة ، ويجعلون التقبيل من باب الذل والانحناء المنهي عنه وصار ذريعة الى الشرك بالله . والشرع قد ورد بسد الذرائع

فصل

وأما السؤال الخامس عن حلق شعر الرأس

فالذي تدل عليه الاحاديث النهي عن حلق بعضه وترك بعضه فاما تركه كله فلا بأس به اذا أكرمه الانسان كما دلت عليه السنة الصحيحة

وأما حديث كليب فهو يدل على الامر بالحلق عنـد دخوله في الاسلام إن صح الحديث ولا يدل على ان استمرار الحلق سنة

وأما تعزير من لم يحلق وأخذ ماله فلا يجوز وينهى فاعله عن ذلك لان ترك الحلق ليس منهياً عنه ، وانما نهى عنه ولي الامر لان الحلق هو العادة عندنا ولا يتركه إلا السفهاء عندنا (١) فنهى عن ذلك نهي تنزيه لا نهي تحريم سداً للذريعة ، ولان كفار زماننا لا يحلقون فصار في عدم الحلق تشبهاً بهم (٢)

« ١ » قوله السفهاء : مراده رحمه الله أن الذي يتركه ويعزره مامقصوده السنة بل مقصوده الجمال ليعشقه المردان وربات الحجال ويتبعه الفسقة والارذال اه من حاشية الاصل

(٢) فيه ان الـكفار إذا فعلوا فعلا مشروعا في الاسلام لا يصح لنا أن نتركه لئلا يكون تشبهاً بهم لاننا انما نفعله لانه مشروع عندنا وهم المتشبهون بنا ، وقد صح أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يرسل شعره ويفرقه ، وأنه لم يحلقه إلا في النسك فلا ينبغي أن يتركه أهل العلم والدين ليصير شعاراً للسفهاء أو الـكافرين

فصل

وأما السؤال السادس فيما ورد في فضائل أهل بيت النبي ﷺ

فنقول: قد صح في فضائل أهل البيت أحاديث كثيرة.

وكثير من الاحاديث التي يرويها من صنف في فضائل أهل البيت أكثرها لا يصححها الحفاظ وفيما صح من ذلك كفاية

وأما قوله تعالى (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً) وقول من قال ان الارادة صفة أزلية لا تتبدل، وإن «انما» للحصر وغير ذلك

فنقول: قد ذكر أهل العلم ان الآية لا تدل على عصمتهم من الذنوب يدل على ذلك ان أكابر أهل البيت كالحسن والحسين وابن عباس لم يدعوا لانفسهم العصمة ولا استدل أحد منهم بهذه الآية على عصمتهم (١)

وقد ذكر العلماء أن الارادة في كتاب الله تعالى على نوعين: ارادة قدرية وارادة شرعية، فالارادة القدرية لا تتبدل ولا تغير، والارادة الشرعية قد تتغير وتتبدل، فمن الاول قوله تعالى (واذا أردنا ان نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً) وقوله تعالى (واذا أراد الله بقوم سوءاً

---

(١) بل كان بعضهم يخالف بعضاً في الاحكام الشرعية كمخالفة الحسن في ترك الامامة لمعاوية وكذا مخالفة الحسين في الخروج على يزيد. فهؤلاء خيارهم بالاجماع وأما من بعدهم فقد كان منهم غلاة الباطنية المارقون من الاسلام الذين يكيدون له ويدعون إلى تركه وعداوة أهله والذين يذكرون الحصر في الآية لا يفهمون معناه وهو ما بيناه في الحاشية في صفحة ٥٨٢ ولو كانت الاية تدل على العصمة لوجب أن تقول الشيعة بعصمة أزواجه ﷺ بالاولى وأفضلهن عائشة التي يبغضونها ويخطؤنها كما نخطئها في حرب الجمل

فلا مرد له) وقوله تعالى (ونريد أن نمنّ على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم أئمة) الآيتين ، ومن الثاني قوله تعالى (يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم * والله يريد أن يتوب عليكم)

وقوله تعالى (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت) كقوله تعالى (مايريد الله ليجعل عليكم في الدين من حرج ولكن يريد ليطهركم) وكقوله (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) وكقوله (يريد الله أن يبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم) فان ارادة الله في هذه الآية متضمنة لمحبة الله . فذلك المراد رضاه به وانه شرعه للمؤمنين وأمرهم به ليس في ذلك خلق هذا المراد ولا أنه قضاؤه وقدره

والدليل على ذلك ان النبي ﷺ بعد نزول هذه الآية قال « اللهم هؤلاء أهل بيتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً » فطلب من الله تعالى اذهاب الرجس والتطهير عنهم (١)

فلو كانت الآية تقتضي اخبار الله بأنه أذهب عنهم الرجس وطهرهم لم يحتج إلى الطلب والدعاء وهذا على قول القدرية أظهر ، فان ارادة الله تعالى عندهم لاتتضمن وجوب المراد ، بل قد يريد مالا يكون ويكون مالا يريد فليس في قوله تعالى (يريد) مايدل على وقوعه

ومن العجب أن الشيعة يحتجون بهذه الآية على عصمة أهل البيت ومذهبهم في القدر من جنس مذهب القدرية الذين يقولون ان الله قد أراد إيمان كل من على وجه الارض فلم يقع مراده

وأما على قول أهل السنة والتحقيق فما تقدم ـ وهو أن يقال الارادة في كتاب الله تعالى نوعان : ارادة شرعية دينية تتضمن محبته ورضاه ، وارادة كونية

---

(١) كذا في الاصل ولعل أصله الصحيح : اذهاب الرجس عنهم والتطهير لهم

تتضمن خلقه وتقديره (فالاولى) كقوله تعالى (يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم) (والثانية) كقوله تعالى (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام) الآية . وقوله تعالى (ولا ينفعكم نصحي إن أردت ان أنصح لكم ، إن كان الله يريد أن يغويكم هو ربكم واليه ترجعون) ومثل ذلك كثير في القرآن

فالله تعالى قد أخبر انه يريد ان يتوب على المؤمنين ويطهرهم ، وفيه (١) من تاب وفيه من لم يتب ، وفيه من تطهر ، وفيه من لم يتطهر ، فاذا كانت الآية ليس فيها دلالة على وقوع ما أراده من التطهير واذهاب الرجس لم يلزم بمجرد الآية ثبوت ماادعاه هؤلاء

ومما يبين ذلك ان أزواج النبي صلى الله عليه وسلم مذكورات في الآية فقد قال تعالى (يانساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيرا * ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحاً نؤتها أجرها مرتين - إلى قوله - وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله * انما يريد الله ليذهب عنكم لرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا * واذ كرن مايتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة ان الله كان لطيفاً خبيرا) فالخطاب كله لازواج النبي صلى الله عليه وسلم وفيه الامر والنهي ، والوعد والوعيد

لكن لما كان ما ذكره سبحانه يعمهن ويعم غيرهن من أهل البيت جاء بلفظ التزكية فقال (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا)

والذي يريد الله من حصول (٢) الرجس وحصول التطهير

فهذا الخطاب وغيره ليس مختصاً بأزواجه بل هو يتناول اهل البيت كلهم وعلي

---

(١) قوله وفيه لعل أصله وفيهم وكذا ما بعده

(٢) كذا في الاصل والظاهر انه سبق قلم أو سهو من الناسخ والاصل: إذهاب الرجس

وفاطمة والحسن والحسين أخص من غيرهم بذلك خصصهم النبي ﷺ بالدعاء لهم (١)

وهذا كما ان قوله (لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه) نزل بسبب مسجد قباء ، ولكن الحكم يتناوله ويتناول ما هو أحق منه بذلك وهو مسجد المدينة

وفي الصحيح أن النبي ﷺ سئل عن المسجد الذي أسس على التقوى فقال « هو مسجدي هذا » وفي الصحيح انه كان يأتي مسجد قباء كل سبت راكباً وماشياً ، فكان يقوم في مسجده يوم الجمعة ويأتي قباء يوم السبت، وكلاهما مؤسس

---

١) التحقيق ان هذه الآيات كلها في نساء النبي ﷺ فقط وإنما ذكر الضمير في عنكم ويطهركم تغليباً للنبي ﷺ وقد أعاد الخطاب لهن بعد هذه الآية وهي تعليل لما في الآيات من الاوامر والنواهي والوعد بمضاعفة الثواب والوعيد بمضاعفة العقاب والمعنى انما يريد الله بما ذكر من أمر ونهي ووعد ووعيد وترغيب وترهيب أن يطهر هذا البيت المنسوب إلى رسوله من كل رجس ودنس وعار يمكن أن يمسه عاره بارتكاب أحد منكن لما نهاكن عنه وترك ما أمركن به . فهذه الارادة في الطهارة المعنوية كقوله تعالى في الطهارة الحسية بعد الامر بالوضوء والغسل (مايريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون) وما ورد في الدعاء لعلي وفاطمة وولديهما أو الخبر بكونهم من أهل بيته فمعناه انهم يدخلون في عموم لفظ أهل البيت الوارد في نسائه ﷺ فيجب عليهم مما جعله الله سبباً للتطهير في الآيات التى خاطب بها نساءه . على القاعدة الاصولية المعروفة: العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. وفي حديث أم سلمة إشكال لانه يخالف ظاهر الآيات التى هي نص في الازواج الطاهرات وأم سلمة منهم فهي داخلة في منطوقها أوليا وظاهر الحديث ان ارادة التطهير قدرية تكوينية لا أنها أثر لامتثال تلك الاامر والنواهي المعللة بها فليراجع سنده فلعل فيه بعض الشيعة المحرفين للآية

على التقوى ، وهكذا أزواجه وعلي وفاطمة والحسن والحسين كلهم من أهل البيت . لكن علي وفاطمة والحسن والحسين أخص بذلك من أزواجه ، فلهذا خصصهم بالدعاء (١)

فصل

وأما قولكم: ومن يطلق عليه اسم الآل ؟

فنقول: قد تنازع العلماء في آل محمد من هم ؟ فقيل هم أمته ، وهذا قول طائفة من أصحاب مالك واحمد وغيرهم وقيل المتقون من أمته ، ورووا حديثاً « آل محمد كل تقي » رواه الخلال وتمام في فوائده وهو حديث لا أصل له، والصحيح : ان آل محمد هم أهل بيته . وهذا هو المنقول عن الشافعي واحمد ، لكن هل أزواجه من آله على قولين ، هما روايتان عن احمد . والصحيح ان أزواجه من آله، فانه قد ثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ انه علمهم الصلاة عليه « اللهم صل محمد وأزواجه وذريته» ولان امرأة ابراهيم عليه السلام من آله وأهل بيته، وامرأة لوط من آله واهل بيته . والآية المذكورة تدل على انهن من أهل بيته

وأما الاتقياء من أمته فهم أولياؤه، كما ثبت في الصحيح عنه ﷺ انه قال « ان آل بني فلان ليسوا لي بأولياء ، ان ولي الله وصالح المؤمنين» فأولياؤه

---

(١) هذا خلاف المتبادر كما علم مما تقدم ومن الضروري المعلوم بالفطرة والخبرة أن ما يلحق الرجل من العار بعدم طهارة أزواجه أقوى مما يلحقه بعدم طهارة صهره وأسباطه وأحفاده فلهذا أورد نص الآيات في الازواج الطاهرات وافتتحت بقوله تعالى (يا نساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقيتن) فهذا تفضيل صريح لهن وهذا لا ينافي كون السيدة فاطمة عليها السلام أفضل منهن بكونها بضعة منه ﷺ و بشخصها أيضاً وكذا ولداها و بعلها عليهم السلام والرضوان

المتقون بينه وبينهم قرابة الدين والايمان والتقوى، والقرب بين القلوب والارواح أعظم من القرب بين الابدان ، وأما أقاربه ففيهم المؤمن والكافر ، والبر والفاجر ومن كان فاضلا منهم كعلي رضي الله عنه وجعفر والحسن والحسين وابن عباس فتفضيلهم بما فيهم من الايمان والتقوى ، وهم اولياؤه بهذا الاعتبار لا بمجرد النسب. فأولياؤه قد يكونون اعظم درجة من آله ، وانه وان أمر بالصلاة على آله تبعاً لم يقتض ذلك أن يكونوا أفضل من اوليائه وهم أفضل من اهل بيته ، وإن لم يدخلوا في الصلاة معه تبعا . فالمفضول قد يختص بامر ولا يلزم أن يكون افضل من الفاضل. وأزواجه ممن يصلى عليه كما ثبت ذلك في الصحيحين

وقد ثبت باتفاق العلماء كلهم أن الانبياء أفضل منهم

والله أعلم ، وصلى الله على محمد

وآله وصحبه وسلم

(تمت الاجوبة السنية عن الاسئلة الحفظية)

فتاوى ومسائل فقهية مختلفة

﴿ لبعض علماء نجد معزوة اليهم ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

أجوبة مسائل سئل عنها الشيخ سليمان بن علي وغيره وأجاب فيها بما صورته :

(المسئلة الاولى) ماذكرتم من ان الكي عيب في الرقيق فقط فاعلم ان اطلاقه ليس خصوصية في الرقيق دون غيره لكن اذا كان الكي لا ينقص القيمة في عرف التجار فوجوده كعدمه والله أعلم

(الثانية)

وأما ما ذكرتم من المعاويد التي مع ودعي البدو او هن مجتمعات بالمشرب والمبيت وهن مع وديعين لبلدين كل واحد لبلد مثلا وهن جميع مثلا كما ذكرتم فاعلم ان الفقهاء صرحوا — ومن أعظمهم تصريحاً شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى — بان الراعي والرعاة ولو غير عدول اذا عاوض أحدهم او عاوضوا الظالم عن المال ببعضه لزم المدفوع إلى الظالم المال كله كل بقسطه لانه مجتهد في هذه الصورة غير مفرط

واما ان أخذ الظالم من غير معاوضة الراعي أو الرعاة ، ولا دعوى مكس فمصيبة أصابت المال المدفوع فقط دون غيره من المال لا يؤاخذ بها أحد

واما اقرار الراعي او الرعاة او لا به ثم أقروا ثانيا بغيره ، فالعمل على الاقرار الاول دون غيره يعني دون الثاني

(الثالثة)

إذا وقف عقاراً ثم خرج فيه سهم مستحق هل يصح الوقف أم لا ؟

(الجواب) الوقف الذي ظهر بعضه مستحقا حكمه حكم البيع والهبة والرهن بانه وقف مالا يملك ، وبيع مالا يملك ، وهبته ورهنه مالا يملك لا يصح ، ويصح ذلك فيما يملكه ، وكذلك هذا الوقف يصح فيما يملكه ولا يصح فيما لا يملكه

وجواب الشيخ احمد البجادي في هذه المسئلة كذلك

وأما جواب الشيخ عبد الوهاب بن مشرف ان محل صحة ما وقف يملكه منه إذا كان غير عالم وقت وقفه ان بعضه مستحق ، واما إذا كان عالما ان بعضه مستحق وقت التوقيف ، فان كان يعلم نصيبه من نصيب غيره ووقف الجميع صح في نصيبه دون غيره ، وإن كان يجهل نصيبه ووقف الجميع لم يصح

(الرابعة)

وأما الثمرة المشتركة في رءوس النخل فيصح قسمها خرصا ، لكون قسمة الثمرة من نوع الاجبار ، ولم أر نصا في إجبار الشريك على البيع إذا طلب القسم في رأسها ولو تعلل بعضهم بعدم أمن البعض ، ولو كان محتملا فعلى هذا تقسم في رأسها اذا تشاحوا ، ويحجر على الممتنع من الشركاء فمن خاف السرقة استأجر حافظا والله أعلم

(مسئلة في أن على مؤجر الارض قيمة حفر البئر اذا كان فيها دفين او غير)

(للشيخ عبدالله بن عضيب)

بسم الله الرحمن الرحيم

ماقول العلماء وفقهم الله تعالى الى السداد وأيدهم بالتوفيق والارشاد: في انسان ضم أرضا من آخر، ثم ان ماء بئر تلك الارض قل، وانما قل لاجل ان فيها دفينا من تراب وغيره ، وأراد العامل حفرها ليسقي ذلك الزرع وتعذر حفرها من

المالك لغيبته او امتناعه عن حفرها، وحفرها العامل بنية الرجوع على المالك لانهما شريكان في المنفعة، ثم ظهرت تلك الضمامة فاسدة، فهل والحالة هذه يرجع على المالك لانهما شريكان في المنفعة، ولان عقدهما جائز فلا يمنع نفوذ تصرفه بلا اذن وهو دخول العامل بالضمامة من المالك، أم ترتب عليه أحكام الغصب لفساده فلا يرجع بشيء؟ وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم

(الجواب) الحمد لله

اعلم وفقنا الله وإياك ان الذي يظهر لي من حكم تلك المسئلة انه يلزم صاحب البئر القيام مع المزارع في اخراج الدفين من البئر، ونفقة ذلك على مالك البئر، وان كان العقد فاسداً، لوضعه البذر باذنه فلزمه مافيه تمامه، ومن تمامه الماء وتربة الارض، فكما لا يجبره على قلع زرعه من الارض التي ينمو الزرع بسببها بل يلزمه تركه بالاجرة ألزم بتحصيل الماء الذي به ثمرة الزرع لحفظ الزرع بهاتين الخصلتين – أعني الارض والماء – لازم لمالك الارض، ولا فرق بينهما لان بهما تمام الزرع الحاصل في أرضه باذنه والله أعلم. قاله عبدالله بن عضيب. وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم

مسئلة في حق النخلة في الماء المجاور لها

بسم الله الرحمن الرحيم

ومن جواب لعبد الوهاب بن سليمان بن علي عن مسئلة

وصورتها: نخلة على جال ساقي قريبة من اللزاء وجاءها قصيرها يبغي يفرك الساقي والماء يصب في حوضها أولا فهل له ذلك أم لا

(الجواب) إذا كان الامر كما ذكر السائل لم يجز صرف الماء عن النخلة المذكورة لثبوت ذلك لها شرعا، ولو باع النخلة الصارف لمجري الماء الذي هو

حق للنخلة المذكورة لم يسقط ماهي مستحقته من جريان الماء وذلك ظاهر لايخفى قال ذلك وكتبه مخبراً به الفقير إلى الله سبحانه عبدالوهاب بن سليمان اه

ومن جواب لابراهيم بن سليمان بن علي رحمه الله تعالى عن مسئلتين سئل عنهما وصورة السؤال :

اذا ادعى انسان على آخر ان مورثك أقر لي بنخلتين معينتين من ثلاث نخلات أو أكثر مع كون المقر به بيد المقر وتصديق المقر له وأقام بذلك بينة وعينت البينة إحدى النخلتين واشتبهت عليه الثانية اي نسيت عينها بعد المعرفة لها من تلك النخلات الثلاث، فهل يقدح في ذلك شهادة البينة أم لا ؟

(الثانية) اذا أقر انسان ان عقاري الفلاني لأبي وان المال الذي عندي لابي وادعى بعد ذلك ابطال الاقرار وقال انما أقررت بذلك تلجئة أريد به الحيلة لاسقاط حق وارث وأقام بذلك بينة هل تسمع أم لا ؟ وهل ان عدم البينة وادعى ذلك وحفت بدعواه قرينة على صدقه، ما الحكم في ذلك؟ أبسطوا لنا الجواب أعظم الله لكم الثواب

(الجواب وبالله التوفيق)

(الحمد لله سبحانه اللهم ألهمني الصواب)

اذا كان الحال كما ذكر السائل ـ وفقنا الله وإياه لفهم المسائل ـ وكان الشاهدان يعرفان النخلات المذكورات وقت الاقرار . فالاقرار المذكور صحيح وصارت النخلتان المعينتان بالاقرار مالا محازا المقر له وتعيين ما اشتبه منهما إلى ورثة المقر بايمانهم، لان ورثة المقر يقومون مقامه في ميراثه والدين الذي له وعليه وبيناته ودعاويه والايمان التي له وعليه، فان لم يحلفوا لم يجز التصرف فيما أثبتته حتى يتفق المقر والمقر له على تعيين النخلة التي اشتبهت إما بتصادق او قرعة شرعية على

ما قدمه في الاقناع فيما إذا اشتبه عبده بعبد غيره انتهى

وقال الشيخ مرعي في الغاية: ويتجه يصح قبلها إن تبين عنده

(والجواب عن الثانية) فاقرار الشخص المذكور ان عقاره لأبيه اقرار صحيح بشرط تصديق الاب لابنه في اقراره

وأما قوله انه أقر بذلك تلجئة أريد به الحيلة فقوله ذلك غير مقبول شرعا حتى ولو أقام بذلك بينة شرعية إلا ان تشهد البينة ان أباه المشار اليه قد أكرهه على الاقرار بذلك العقار المذكور وان الاب المشار اليه يتوعده اما بتهدد وانه قادر على ايقاع ماتهدده به اما بقتل او ضرب يؤلمه او أخذ مال يضره ولا يمكنه دفعه عنه بهرب ولا غيره فاذا كان الامر كذلك وقامت به البينة العادلة بان لنا انه مكره وان اقراره المذكور غير صحيح

وأما إذا أقر خوفا من غضب أبيه ونحو ذلك فليس ذلك باكراه

وأما قول بعض الجهال اني أقررت تقية او خوفا والمقر قادر على دفع الاكراه أو قادر على الهرب والمقر له ليس بقادر على اكراه هذا المقر إما بسلطنة او قوة أو تلصص ونحو ذلك فاقرار هذا المقر المشار اليه بالمقدار المذكور اقرار صحيح شرعي، صرح بذلك علماؤنا رضي الله عنهم

قال ذلك وكتبه مخبراً عن مذهبه ابراهيم بن سليمان بن علي الحنبلي

الحمد لله

جوابي كما أجاب الشيخ ابراهيم لموافقته الصواب والله أعلم

وكتبه الفقير إلى الله سبحانه عبد الوهاب بن سليمان عفا الله عنه بمنه وكرمه

وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم

النبذة الشريفة النفيسة

في الرد على القبوريين

من فتاوى

﴿ العلامة مفتي الديار النجدية، وعالم الطائفة السلفية ﴾

الشيخ حمد بن ناصر بن عثمان بن معمر الحنبلي

رحمه الله تعالى

(وقد وقفها على من ينتفع بها من أهل العلم والدين)

لا يحل لمن وقعت بيده بيعها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ولا ند ولا معين ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله رحمة للعالمين وحجة على الكافرين. صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليما وصحبه ومن تبعهم باحسان إلى يوم الدين

أما بعد : فانه لما كان منتصف جمادى الثانية من شهور سنة سبع عشرة بعد المائتين والالف وصلت الينا رسالة من محمد بن احمد الحفظي اليمني يسأل فيها عن مسائل أوردها عليه بعض المجادلين فطلب منا الجواب عليها

منها زعم أن اطلاق الكفر بدعاء غير الله غير مسلم لوجوه:

(الوجه الاول) عدم النص الصريح على ذلك بخصوصه

(الثاني) أنه ان نظر فيه من حيثية القول فهو كالحلف بغير الله ، وقد ورد انه شرك وكفر، ثم أولوه بالاصغر ، واما نظر فيه من حيثية الاعتقاد فهو كالطيرة وهي من الاصغر.

(الثالث) انه قد ورد في الحديث، أي حديث الضرير قوله : يامحمد أني أتوجه بك الخ ، وفي الجامع الكبير وعزاه للطبراني « فمن انفلتت عليه دابته قال : ياعباد الله احبسوا» وهذا دعاء ونداء لغير الله

(الجواب) وبالله التوفيق والتأييد ومنه استمد العون والتسديد . اعلم ان دعاء غير الله وسؤاله نوعان :

(أحدهما) سؤال الحي الحاضر مايقدر عليه مثل سؤاله أن يدعو له او ينصره او يعينه بما يقدر عليه فهذا جائز كما كان الصحابة رضي الله عنهم يستشفعون بالنبي ﷺ في حياته فيشفع لهم ، ويسألونه الدعاء فيدعو لهم. فالمخلوق يطلب منه من هذه

الامور مايقدر عليه منها ، كما قال تعالى في قصة موسى (فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه) وقال تعالى (وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر)وكما ورد في الصحيحين « ان الناس يوم القيامة يستشفعون بآدم ثم بنوح ثم بابراهيم ثم بموسى ثم بعيسى ثم بنبينا محمد ﷺ »

وفي سنن أبي داود أن رجلا قال للنبي ﷺ انا نستشفع بالله عليك ونستشفع بك على الله فقال « شأن الله أعظم من ذلك، انه لا ليستشفع به على أحد من خلقه» فأقره على قوله نستشفع بك على الله ، وأنكر قوله نستشفع بالله عليك: فالصحابة رضي الله عنهم كانوا يطلبون منه الدعاء ويستشفعون به في حياته صلى الله عليه وعلى آله وصحبه

(النوع الثاني) سؤال الميت والغائب وغيرهما مما لا يقدر عليه إلا الله مثل سؤال قضاء الحاجات وتفريج الكربات واغاثة اللهفات ،فهذا من المحرمات المنكرة باتفاق أئمة المسلمين لم يأمر الله به ولا رسوله ولا فعله أحد من الصحابة ولا التابعين لهم باحسان ، ولا استحسنه أحد من أئمة المسلمين ، وهذا مما يعلم بالاضطرار انه ليس من دين الاسلام

فانه لم يكن أحد منهم إذا نزل به شدة أوعرضت له حاجة يقول : ياسيدي فلان اقض حاجتي أو اكشف شدتي وأنا في حسبك وأنا مستشفع بك إلى ربي كما يقوله بعض هؤلاء المشركين لمن يدعونهم من الموتى والغائبين ، ولا أحد من الصحابة استغاث بالنبي ﷺ بعد موته ولا بغيره من الانبياء عند قبورهم ولا إذا أبعدوا عنهم ،فان هذا من الشرك الاكبر الذي كفر الله به المشركين فان المشركين الذين كفرهم النبي ﷺ واستباح دماءهم وأموالهم لم يقولوا ان آلهتهم شاركت الله تعالى في خلق العالم أو انها تنزل المطر وتنبت النبات بل

كانوا مقرين بذلك لله وحده كما قال تعالى (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله) الآية

وقال تعالى (قل لمن الارض ومن فيها إن كنتم تعلمون سيقولون لله ـ الى قوله ـ قل فأنى تسحرون) وقال تعالى (وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون)

قال طائفة من السلف في تفسير هذه الآية: كانوا إذا سئلوا :من خلق السموات والارض قالوا الله ،وهم يعبدون غيره ،ففسروا الايمان في الآية باقرارهم بتوحيد الربوبية وفسروا الاشراك باشراكهم في توحيد الالهية الذي هو توحيد العبادة .

والعبادة اسم جامع لما يحبه الله ويرضاه من الاقوال والاعمال،من ذلك الدعاء بما لا يقدر على جلبه أو دفعه إلا الله، فمن طلب من غيره أو استعانه فيه فقد عبده به ، والدعاء من أفضل العبادة وأجل الطاعات قال الله تعالى (وقال ربكم ادعوني أستجب لكم * ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين)

وفي الترمذي عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال « الدعاء مخ العبادة ». وللترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث النعمان بن بشير قال : قال رسول الله ﷺ « ان الدعاء هو العبادة » ثم قرأ (وقال ربكم ادعوني أستجب لكم) إلى آخر الآية قال الترمذي حديث حسن صحيح قال الشارح معنى قوله « الدعاء مخ العبادة » أي أعظمها فهو كقوله : الحج عرفة أي ركنه الاعظم

ومعنى قوله « الدعاء مخ العبادة » أي خالصها لان الداعي انما يدعو الله عند انقطاع أمله مما سواه .وذلك حقيقة التوحيد والاخلاص انتهى

والدعاء في القرآن يتناول معنيين (أحدهما) دعاء العبادة وهو دعاء الله لامتثال أمره في قوله (ادعوني أستجب لكم)

(الثاني) دعاء المسئلة وهو دعاؤه سبحانه في جلب المنفعة ودفع المضرة وبقطع النظر عن الامتثال فقد فسر قوله تعالى (وقال ربكم ادعوني أستجب

لكم) بالوجهين (أحدهما) ماهو معلوم من الدعاء وغيره وهو العبادة وامتثال الامر له سبحانه فيكون معنى قوله (أستجب لكم) أثبكم كما قال في الآية الاخرى (ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات) اي يثيبهم على أحد التفسيرين

(الثاني) ماهو خاص: معناه سلوني أعطكم كما في الصحيحين عن النبي ﷺ انه قال « ينزل ربنا كل ليلة الى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول من يدعوني فاستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له » فذكر أولا لفظ الدعاء ثم السؤال ثم الاستغفار ، والمستغفر سائل كما ان السائل داع فعطف السؤال على الدعاء والاستغفار ، فهو من عطف الخاص على العام وهذا المعنى الثاني هو الاخلاص لوجهين

(أحدهما) مافي حديث النعمان بن بشير أن رسول الله ﷺ قال « الدعاء هو العبادة » ثم قرأ (وقال ربكم ادعوني) الى آخره

فاستدلاله ﷺ بالآية على الدعاء دليل على ان المراد منها سلوني ، وخطاب الرب سبحانه وتعالى عباده المكلفين بصيغة الامر منصرف إلى الوجوب مالم يقم دليل يصرفه إلى الاستحباب ، فيفيد قصور نقله على الله فلا يجعل لغيره لانه عبادة ولهذا أمر الله الخلق بسؤاله فقال (واسئلوا الله من فضله)

وفي الترمذي عن ابن مسعود عن النبي ﷺ « سلوا الله من فضله فان الله يحب ان يسئل » وله عن ابي هريرة مرفوعا « من لم يسأل الله يغضب عليه » وله أيضاً ان « الله يحب الملحين في الدعاء »

فتبين بهذا ان الدعاء من أفضل العبادات وأجل الطاعات

(الوجه الثاني) انه سبحانه قال (واذا سألك عبادي عني فاني قريب أجيب دعوة الداعي اذا دعاني) والسائل راغب راهب ، وكل سائل راغب راهب فهو عابد للمسئول ، وكل عابد فهو أيضا راغب راهب يرجو رحمته ويخاف عذابه ،

وكل عابد سائل ، وكل سائل فهو عابد لله قال تعالى (إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا) ولا يتصور أن يخلو داع لله دعاء عبادة اودعاء مسئلة من الرغب والرهب والخوف والطمع

فدعاء العبادة ودعاء المسئلة كلاهما عبادة لله لا يجوز صرف شيء منهما إلى غيره فلا يجوز ان يطلب من مخلوق ميت او غائب قضاء حاجة او تفريج كربة بل مالا يقدر عليه إلا الله لايجوز أن يطلب إلا من الله

فمن دعا ميتا او غائبا فقال ياسيدي فلان أغثني او انصرني او ارحمني او اكشف عني شدتي ونحو ذلك فهو كافر مشرك يستتاب فان تاب وإلا قتل وهذا مما لاخلاف فيه بين العلماء فان هذا هو شرك المشركين الذين قاتلهم النبي ﷺ فانهم لم يكونوا يقولون : انها تخلق وترزق وتدبر أمر من دعاها بل كانوا يعلمون أن ذلك لله وحده كما حكاه عنهم في غير موضع من كتابه ، وانما كانوا يفعلون عندها مايفعله إخوانهم من المشركين اليوم من دعائها والاستغاثة بها ، والذبح لها ، والنذر لها ، يزعمون انها وسائط بينهم وبين الله تعالى تقربهم اليه وتشفع لهم لديه كما حكاه عنهم في قوله تعالى (والذين اتخذوا من دونه أولياء مانعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) وقال تعالى (ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله)

فقاتلهم الرسول ﷺ ليكون الدعاء كله لله والذبح كله لله ، والاستغاثة كلها بالله ، وجميع العبادات لله. والله سبحانه قد بين في غير موضع من كتابه ان الدعاء عبادة ، فقال تعالى حاكيا عن خليله ابراهيم عليه السلام (وأعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعو ربي عسى أن لا أكون بدعاء ربي شقيا * فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله) الآية وقال تعالى (ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون * وإذا حشر الناس

كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين)

وأخبر سبحانه أنه لا أضل من هذا الداعي ، وان المدعو لا يستجيب له ، وان ذلك عبادة سيكفر بها المعبود يوم القيامة . كقوله تعالى (واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا * كلا ، سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا)

وقد سمى الله سبحانه الدعاء دينا في غير موضع ، وأمرنا أن نخلصه له ، وأخبر أن المشركين يخلصونه في الشدائد فقال تعالى (وإذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين) وقال تعالى (حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين) وقال تعالى (فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون)

وأخبر سبحانه انهم عند الاضطرار يدعونه وحده لا شريك له مخلصين في تلك الحال لا يستغيثون بغيره فيها ، فلما نجاهم من تلك الشدة إذا هم يشركون في دعائهم . ولهذا قال (وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه * فلما نجاكم الى البر أعرضتم) أي انه سبحانه لما نجاكم الى البر أعرضتم أي نسيتم ما عرفتم من توحيده وأعرضتم عن دعائه وحده لا شريك له .

وقال تعالى (فادعوا الله مخلصين له الدين) وقال تعالى (هو الحي لا اله الا هو فادعوه مخلصين له الدين)

فالدعاء من أفضل العبادات وأجل الطاعات ، ولهذا أخبر انه الدين ، فذكره معرفا بالالف واللام ، وأخبر أن المشركين يخلصونه له في الشدائد ، وانهم في الرخاء يشركون معه غيره فيدعون من لا ينفعهم ولا يضرهم ، ولا يسمع دعاءهم فصاروا بذلك كافرين

ومن تأمل الكتاب والسنة علم ان شرك المشركين الذين كفرهم النبي صلى الله عليه وسلم

انما هو في الدعاء والذبح والنذر والتوكل والالتجاء ونحو ذلك. فمن جادل مجادل وزعم انه ليس هذا ، قيل له فأخبرنا عما كانوا يفعلون عند آلهتهم وما الذي يريدون وما هذا الشرك الذي حكاه الله عنهم ؟

فان قال شركهم عبادة غير الله قيل له وما معنى عبادتهم لغير الله ؟ أتظن انهم يعتقدون ان تلك الاخشاب والاحجار تخلق وترزق، وتدبر أمر من دعاها ؟ فهذا يكذبه القرآن لان الله عز وجل أخبر عنهم انهم مقرون بذلك لله وحده

فان قال انهم يريدون منهم النفع والضر من دون الله، فهذا يكذبه القرآن أيضاً لان الله أخبر انهم لم يريدوا إلا التقرب بهم إلى الله وشفاعتهم عنده كما قال تعالى حاكيا عنهم (مانعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى)وقال تعالى (ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله)

وأخبر تعالى عن شركهم في غير آية من كتابه كقوله (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا) أي لايدفعونه بالكلية ولا يحولونه من حال الى حال . ثم قال (أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ، ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذوراً)

قال طائفة من السلف : كان أقوام يدعون المسيح والعزير والملائكة فبين الله لهم ان هؤلاء عبادي كما أنتم عبادي يرجون رحمتي كما ترجون رحمتي، ويخافون عذابي كما تخافون عذابي ، وأخبر أنهم لايملكون كشف الضر عن الداعين ولا تحويله وهذا هو الاغاثة

والمشركون يزعمون ان آلهتهم تشفع لهم بالسؤال عند الله والطلب منه فيقضي الله لهم تلك الحاجات فأبطل هذه الشفاعة التي يظنها المشركون وبين انه لايشفع أحد عنده إلا باذنه فقال (ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له)وقال (من ذا الذي يشفع عنده إلا باذنه)

فمن جعل الانبياء والملائكة وسائط بين الله وبين خلقه كالحجاب الذين يكونون بين الملك ورعيته بحيث يزعم انهم يرفعون الحوائج الى الله، وان الله يرزق عباده وينصرهم بتوسطهم بمعنى أن الخلق يسألونهم وهم يسألون الله،فمن اعتقد هذا فهو كافر مشرك

إذا تقرر هذا فنقول:قول القائل « ان اطلاق الكفر بدعاء غير الله غير مسلم لوجوه الوجه الاول عدم النص الصريح على ذلك بخصوصه » كلام باطل بل النصوص صريحة في كفر من دعا غير الله ، وجعل لله نداً من خلقه يدعوه كما يدعو الله ، ويرجوه كما يرجو الله ، ويتوكل عليه في أموره كلها . قال الله تعالى (ثم الذين كفروا بربهم يعدلون) وقال تعالى (ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله -- الى قوله — وما هم بخارجين من النار) فمن أحب مخلوقا كما يحب الله أو رجاه كما يرجو الله فقد جعله نداً لله وصار من الخالدين في النار

وفي صحيح البخاري عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « من مات وهو يدعو لله نداً دخل النار »

وفي الصحيحين انه ﷺ سئل أي الذنب أعظم ؟ قال « أن تجعل لله نداً وهو خلقك » والند المثل قال الله تعالى (فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون) وقال تعالى عن أهل النار (تالله ان كنا لفي ضلال مبين إذ نسويكم برب العالمين) ومعلوم انهم مايساوونهم به في الخلق والرزق، والاحياء والاماتة، وانما يساوونهم به في الدعاء والخوف والرجاء والمحبة والتعظيم والاجلال . وقال تعالى (وإذا مس الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه ثم إذا خوله نعمة منه نسي ما كان يدعو اليه من قبل وجعل لله أنداداً ليضل عن سبيله قل تمتع بكفرك قليلا انك من أصحاب النار) وقال تعالى (ومن يدع مع الله إلها آخر لا برهان له به فانما حسابه عنده

ربه انه لايفلح الكافرون) فصرح بكفره وقال تعالى (ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين — إلى قوله — ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون)

فبين أن اتخاذ الملائكة والنبيين أربابا كفر . وقال تعالى (إن الله لايغفر أن يشرك به) وقال فيما حكاه عن المسيح (انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار) وقال (والذين تدعون من دونه مايملكون من قطمير * ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا مااستجابوا لكم)

فدلت الآية الكريمة على أن أعظم شركهم انما هو دعاء غير الله فأخبر انهم لا يملكون من قطمير وهو القشر الذي يكون على ظهر النواة ، أي ليس لهم من الامر شيء وان قل . ثم أخبر أنهم لا يسمعون دعاءهم ، وانهم لو سمعوا ما استجابوا لهم . وهذا صريح في دعاء المسئلة

ثم أخبر ان هذا شرك يكفرون به يوم القيامة فقال(ويوم القيامة يكفرون بشرككم) كقوله (كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا) وكقوله (واذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين) والله سبحانه قد أرسل رسله وأنزل كتبه ليعبدوه وحده ويكون الدين كله له ، ونهى أن يشرك به أحد من خلقه

وأخبر ان الرسالة عمت كل أمة وان دين الرسل واحد وهو الامر بعبادته وحده لاشريك له وانه لايشرك به أحد سواه كما قال (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) وقال(وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي اليه انه لاإله إلا انا فاعبدون)

وأخبر انه لايغفر أن يشرك به وان من أشرك فقد حبط عمله وصار من

الخالدين في النار، كما قال تعالى (ماكان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر أولئك حبطت أعمالهم وفي النار هم فيها خالدون)

فيقال لمن أنكر ان يكون دعاء الموتى والاستغاثة بهم في الشدائد شركا أكبر: أخبرنا عن هذا الشرك الذي عظمه الله وأخبر انه لايغفره أتظن ان الله يحرمه هذا التحريم ولا يبينه لنا؟

ومعلوم ان الله سبحانه أنزل كتابه تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين . وقد أخبر في كتابه انه أكمل لنا الدين ، وأتم علينا النعمة ، ورضي لنا الاسلام دينا . فكيف يجوز ان يترك بيان الشرك الذي هو أعظم ذنب عصي الله به سبحانه؟

فاذا أصغى الانسان إلى كتاب الله وتدبره وجد فيه الهدى والشفاء (من يضلل الله فلا هادي له) (ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور)

ويقال أيضاً قد أمرنا الله بدعائه وسؤاله واخبر انه يجيب دعوة الداعي اذا دعاه ، وامرنا ان ندعوه خوفا وطمعا فاذا سمع الانسان قوله تعالى (وقال ربكم ادعوني أستجب لكم) وقوله (ادعوا ربكم تضرعا وخفية)

فمعلوم ان هذا عبادة ، فيقال: فان دعا في تلك الحاجة نبيا او ملكا او عبداً صالحا هل أشرك في هذه العبادة فلا بد ان يقر بذلك، إلا أن يكابر ويعاند

ويقال أيضاً : اذا قال الله (فصل لربك وانحر) وأطعت الله ونحرت له هل هذا عبادة ؟ فلا بد ان يقول نعم

فيقال له : فاذا ذبحت لمخلوق نبي او ملك او عبد او غيرهما هل أشركت في هذه العبادة؟ فلا بد أن يقول نعم إلا أن يكابر ويعاند ، وكذلك السجود عبادة فلو سجد لغير الله لكان مشركا في هذه العبادة

ومعلوم ان الله سبحانه ذكر في كتابه من النهي عن دعاء غيره وتكاثرت

نصوص القرآن في النهي عن ذلك أعظم مما ورد في النهي عن السجود لغير الله والذبح لغير الله ، فاذا كان من سجد لقبر نبي أو ملك أوعبد صالح لا يشك أحد في كفره ، وكذلك لو ذبح القربان لم يشك أحد في كفره لانه أشرك في عبادة الله غيره — فيقال السجود عبادة ، وذبح القربان عبادة ، والدعاء عبادة فما الفارق بين السجود والذبح وبين الدعاء إذ الكل عبادة ، وما الدليل على ان السجود لغير الله والذبح لغيره شرك أكبر ، والدعاء بما لا يقدر عليه إلا الله شرك أصغر؟

ويقال أيضاً قد ذكر أهل العلم من أهل كل مذهب باب حكم المرتد وذكروا فيه أنواعا كثيرة، كل نوع منها يكفر به الرجل ويحل دمه وماله ولم يرد في واحد منها ماورد في الدعاء بل لا نعلم نوعا من أنواع الكفر والردة ورد فيه من النصوص مثل ماورد في دعاء غير الله بالنهي عنه والتحذير من فعله والوعيد عليه ولا يشتبه هذا إلا على من لم يعرف حقيقة مابعث الله محمداً ﷺ من التوحيد ولم يعرف حقيقة شرك المشركين الذين كفرهم النبي ﷺ وأحل دماءهم وأموالهم وأمره الله أن يقاتلهم حتى لا تكون فتنة (اي لا يكون شرك)ويكون الدين كله لله

فمن أصغى إلى كتاب الله علم علما ضروريا أن دعاء الموتى من أعظم الشرك الذي كفر الله به المشركين

فكيف يسوغ لمن عرف التوحيد الذي بعث الله به محمداً ﷺ ان يجعل ذلك من الشرك الاصغر ويقول قد عـدم النص الصريح على كفر فاعله . فان الادلة القرآنيـة ، والنصوص النبوية قد دلت على ذلك دلالة ظاهرة ليست خفية ، ومن أعمى الله بصيرته فلاحيلة فيه (من يضلل الله فلا هادي له ويذرهم في طغيانهم يعمهون)

وأيضاً فان كثيراً من المسائل التي ذكرها العلماء في مسائل الكفر والردة وانعقد عليها الاجماع لم يرد فيها نصوص صريحة بتسميتها كفراً ، وانما يستنبطها

العلماء من عمومات النصوص كما إذا ذبح المسلم نسكا متقربا به الى غير الله فان هذا كفر بالاجماع كما نص ذلك على النووي وغيره

وكذلك لو سجد لغير الله فاذا قيل : هذا شرك لان الذبح عبادة والسجود عبادة فلا يجوز لغير الله كما دل على ذلك قوله تعالى (فصل لربك وانحر)وقوله تعالى (قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لاشريك له) فهذا صريح في الامر بهما ، وانه لايجوز صرفهما لغيره

فيبقى أن يقال فأين الدليل المصرح بان هذا كفر بعينه ؟ ولازم هذه المجادلة الانكار على العلماء في كل مسئلة من مسائل الكفر ، والردة التي لم يرد فيها نص بعينها مع أن هذه المسئلة المسئول عنها قد وجدت فيها النصوص الصريحة من كلام الله وكلام رسوله وأوردنا من ذلك مافيه الهدى لمن هداه الله

وأما كلام العلماء فنشير إلى قليل من كثير، ونذكر كلام من حكى الاجماع على ذلك قال في الاقناع وشرحه : من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم ويسألهم كفر اجماعا لان هذا كفعل عابدي الاصنام قائلين (مانعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) انتهى

وقال الشيخ تقي الدين رحمه الله : وقد سئل عن رجلين تناظرا فقال أحدهما لابد لنا من واسطة بيننا وبين الله فانا لانقدر أن نصل اليه إلا بذلك

فأجاب بقوله:ان أراد بذلك انه لابد من واسطة تبلغنا أمر الله فهذا حق فان الخلق لايعلمون مايحبه الله ويرضاه ، وما أمر به ومانهى عنه إلا بالرسل الذين أرسلهم الى عباده ، وهذا مما أجمع عليه اهل الملل من المسلمين واليهود والنصارى فانهم يثبتون الوسائط بين الله وبين عباده ، وهم الرسل الذين بلغوا عن الله أوامره ونواهيه . قال الله تعالى (الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس)ومن أنكر هذه الوسائط فهو كافر باجماع أهل الملل

وان أراد بالواسطة انه لابد من واسطة يتخذه العباد بينهم وبين الله في جلب المنافع ودفع المضار مثل أن يكون واسطة في رزق العباد ونصرهم وهداهم يسألونه ذلك ويرجعون اليه فيه ، فهذا من أعظم الشرك الذي كفر الله به المشركين حيث اتخذوا من دون الله أولياء وشفعاء يجلبون بهم المنافع ، ويدفعون بهم المضار ، لكن الشفاعة لم يأذن الله له فيها . قال تعالى (مالكم من دونه من ولي ولا شفيع أفلا تتذكرون) وقال (وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولاشفيع) وقال (وذكر به أن تبسل نفس بما كسبت ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع) وقال (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لايملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض ومالهم فيهما من شرك وماله منهم من ظهير * ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له) وقال تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا - الي قوله - ان عذاب ربك كان محذورا)

قال طائفة من السلف : كان أقوام من الكفار يدعون عيسى والعزير والملائكة والانبياء فبين الله لهم ان الملائكة والانبياء لايملكون كشف الضر عنهم ولا تحويله ، وانهم يتقربون اليه ويرجون رحمته ويخافون عذابه. وقال تعالى (ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون؟) فبين سبحانه وتعالى أن اتخاذ الملائكة والنبيين أربابا كفر. فمن جعل الملائكة والانبياء وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم ، ويسألهم جلب المنافع ودفع المضار ، مثل أن يسألهم غفران الذنوب وهداية القلوب ، وتفريج الكربات ، وسد الفاقات فهو كافر باجماع المسلمين

وقد قال تعالى (وقالوا اتخذ الرحمن ولداً سبحانه بل عباد مكرمون * لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون * يعلم مابين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون الا لمن

لارتضى وهم من خشيته مشفقون ـ الى قوله ـ كذلك نجزي الظالمين)وقال (لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون) الآية وقال (وكم من ملك في السموات لاتغني شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى) وقال (من ذا الذي يشفع عنده إلا باذنه) وقال (وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو) الآية وقال (مايفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده)

فمن أثبت الوسائط بين الله وبين خلقه كالحجاب بين الملك ورعيته بحيث يكونون هم يرفعون إلى الله حوائج خلقه وان الله تعالى انما يهدي عباده ويرزقهم وينصرهم بتوسطهم، بمعنى ان الخلق يسألونهم وهم يسألون الخالق كما ان الوسائط عند الملوك يسألون الملوك حوائج الناس لقربهم منهم والناس يسألونهم، أدبا منهم أن يباشروا سؤال الملك،أو لان طلبهم من الوسائط أنفع لهم من طلبهم من الملك لكونهم أقرب إلى الملك من الطالب ، فمن أثبتهم وسائط على هذا الوجه فهو كافر مشرك يجب أن يستتاب فان تاب وإلا قتل. وهؤلاء مشبهون ،شبهوا الخالق بالمخلوق وجعلوا لله أنداداً وفي القرآن من الرد على هؤلاء مالا تتسع له هذه الفتوى

فان هذا دين المشركين عباد الاوثان كانوا يقولون انها تماثيل الانبياء والصالحين وانها وسائل يتقربون بها إلى الله تعالى وهو من الشرك الذي أنكره الله تعالى على النصارى حيث قال (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله) الآية ، وقال تعالى (واذا سألك عبادي عني فاني قريب أجيب دعوة الداعي اذا دعاني فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي) اي فليستجيبوا اذا دعوتهم بالامر والنهي ، وليؤمنوا بي اني أجيب دعاءهم لي بالمسئلة والتضرع ، وقال (فاذا فرغت فانصب * وإلى ربك فارغب)

وقد بين الله هذا التوحيد في كتابه وحسم مواد الاشراك به حيث لايخاف

أحد غير الله ولا يرجو سواه ، ولا يتوكل إلا عليه قال تعالى (فلا تخشوا الناس واخشون) (فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين) وقال (ولم يخش إلا الله) وقال (ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فاولئك هم الفائزون) فبين ان الطاعة لله والرسول

وأما الخشية والتقوى فلله وحده وقال تعالى (ولو انهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله انا إلى الله راغبون) فبين ان الاتيان لله والرسول

واما التحسب فهو لله وحده كما قالوا (حسبنا الله) ولم يقولوا حسبنا الله ورسوله ونظيره قوله تعالى (فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل)

وقد كان النبي ﷺ يحقق هذا التوحيد لأمته ويحسم عنهم مواد الشرك إذ هذا تحقيق قولنا « لا إله إلا الله » فان الاله هو الذي تألهه القلوب بالمحبة والتعظيم والاجلال والاكرام والخوف ، حتى قال لهم « لاتقولوا ماشاء الله وشاء محمد ولكن قولوا ماشاء الله ثم شاء محمد » وقال لرجل قال له ماشاء الله وشئت فقال « أجعلتني لله نداً ؟ بل ماشاء الله وحده » وقال لابن عباس « اذا سألت فاسئل الله ، واذا استعنت فاستعن بالله » وقال « لاتطروني كما أطرت النصارى ابن مريم فانما أنا عبد الله ورسوله » وقال « لاتتخذوا قبري عيداً وصلوا علي حيثما كنتم فان صلاتكم تبلغني » وقال في مرضه الذي مات فيه « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » يحذر ماصنعوا . قالت عائشة : ولولا ذاك لأبرز قبره ولكن خشي أن يتخذ مسجداً

وهذا باب واسع . انتهى مالخصته من كلام الشيخ ابن تيمية في مسألة الوسائط

وقال رحمه الله في موضع آخر : والله سبحانه لم يجعل أحداً من الانبياء والمؤمنين واسطة في شيء من الربوبية والالهية ، مثل ماينفرد به من الخلق والرزق

واجابة الدعاء والنصر على الاعداء، وقضاء الحاجات، وتفريج الكربات، بل غاية مايكون العبد سبباً مثل أن يدعو ويشفع والله تعالى يقول (من ذا الذي يشفع عنده إلا باذنه) وقال تعالى (وكم من ملك في السموات لاتغني شفاعتهم شيئا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى) وقال تعالى (ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون)

فبين سبحانه ان اتخاذ الملائكة والنبيين أربابا كفر ولهذا كانوا في الشفاعة على ثلاثة أقسام:

فالمشركون أثبتوا الشفاعة التي هي شرك كشفاعة المخلوق عند المخلوق، كما يشفع عند الملوك خواصهم لحاجة الملوك إلى ذلك فيسألونهم بغير اذنهم ويجيب الملوك سؤالهم لحاجتهم اليهم فالذين أثبتوا مثل هذه الشفاعة عند الله مشركون كفار لان الله تعالى لايشفع عنده أحد إلا باذنه ولا يحتاج إلى أحد من خلقه، بل من رحمته واحسانه اجابة دعاء الشافعين ولهذا قال (مالكم من دونه من ولي ولا شفيع) وقال (أم اتخذوا من دون الله شفعاء، قل أولو كانوا لايملكون شيئا ولا يعقلون * قل لله الشفاعة جميعا)

وقال عن صاحب يس (أأتخذ من دونه آلهة إن يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئا ولا ينقذون)

وأما الخوارج والمعتزلة (١) فانهم أنكروا شفاعة نبينا صلى الله عليه وسلم في أهل الكبائر من أمته وهؤلاء مبتدعة ضلال مخالفون للسنة المستفيضة عن النبي صلى الله عليه وسلم ولاجماع خير القرون.

(القسم الثالث) أهل السنة والجماعة وهم سلف الامة وأئمتها ومن اتبعهم باحسان، أثبتوا ماأثبته الله في كتابه وسنة رسوله، ونفوا مانفاه، فالشفاعة التي أثبتوها هي التي جاءت بها الاحاديث. وأما الشفاعة التي نفاها القرآن كما عليه

(١) هؤلاء هم القسم الثانى في الشفاعة

المشركون والنصارى ومن ضاهاهم من هـذه الامة ، فينفيها أهل العلم والايمان مثل انهم يطلبون من الانبياء والصالحين الغائبين والميتين قضاء حوائجهم ويقولون انهم اذا أرادوا ذلك قضوها، ويقولون: انهم عند الله كخواص الملوك عند الملوك يشفعون بغير اذن الملوك ولهم على الملوك ادلال يقضون به حوائجهم فيجعلونهم لله بمنزلة شركاء الملك ، والله تعالى قد نزه نفسه عن ذلك . انتهى .

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى : وأما الشرك فنوعان ، أكبر وأصغر . فالاكبر لايغفره الله إلا بالتوبة منه ، وهو أن يتخذ من دون الله نداً يحبه كما يحب الله ، وهو الشرك الذي يتضمن تسوية آلهة المشركين برب العالمين . ولهذا قالوا لآلهتهم في النار (تالله إن كنا لفي ضلال مبين * إذ نسويكم برب العالمين) مع إقرارهم بأن الله هو الخالق وحده ، خالق كل شيء ومليكه ، وإن آلهتهم لاتخلق ولا ترزق ولا تحيي ولا تميت ، وانما كانت هـذه التسوية في المحبة والتعظيم والعبادة كما هو حال أكثر مشركي العالم بل كلهم يحبون معبوديهم ويعظمونها ويوالونها من دون الله، وكثير منهم بل اكثرهم يحبون آلهتهم أعظم من محبة الله ، ويستبشرون بذكرهم أعظم من استبشارهم اذا ذكر الله وحده ، ويغضبون اذا انتقص أحد معبودهم وآلهتهم من المشايخ أعظم مما يغضبون اذا انتقص أحد رب العالمين، واذا انتقص حرمة من حرمات آلهتهم ومعبوداتهم غضبوا غضب الليث اذا حرب ، واذا انتهكت حرمات الله لم يغضبوا لها ، بل اذا قام المنتهك لها باطعامهم شيئا رضوا عنه ولم تنكر له قلوبهم، وقد شاهدنا هذا منهم نحن وغيرنا

وترى أحدهم قد اتخذ ذكر إلهه ومعبوده من دون الله على لسانه إن قام وإن قعد وإن عثر وإن مرض، فذكر إلهه ومعبوده من دون الله هو الغالب على لسانه وهو لاينكر ذلك ويزعم انه باب حاجته الى الله ، وشفيعه عنده ووسيلته اليه ، وهكذا كان عباد الاصنام سواء

وهذا القدر هو الذي قام بقلوبهم يتوارثه المشركون بحسب اختلاف آلهتهم فأولئك كانت آلهتهم من الحجر وغيرهم اتخذوها من البشر، قال تعالى حاكيا عن أسلاف هؤلاء المشركين (والذين اتخذوا من دونه أولياء مانعبدهم إلا ليقربونا الى الله زلفى إن الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون) ثم شهد عليهم بالكذب والكفر وأخبر انه لايهديهم فقال (ان الله لايهدي من هو كاذب كفار)

فهذا حال من اتخذ من دون الله وليا يزعم انه يقربه الى الله، وما أعز من يخلص من هذا، بل ما أعز من لايعادي من انكره

والذي في قلوب هؤلاء المشركين وسلفهم ان آلهتهم تشفع لهم عند الله، وهذا عين الشرك، وقد انكره الله عليهم في كتابه وأبطله واخبر ان الشفاعة كلها له وانه لايشفع عنده احد إلا باذنه لمن رضي قوله وعمله، وهم اهل التوحيد الذين لم يتخذوا من دون الله شفعاء - ثم ساق كلاما طويلا وقرره احسن تقرير

فتأمل كلامه رحمه الله، وهذا حيث قرر ان الذي يفعله مشركو زمانه هو عين الشرك الذي فعله المشركون الاولون ثم قال: وما أعز من يخلص من هذا، بل ما اعز من لا يعادي من انكره

ففي هذا شاهد لصحة الحديث الوارد عن رسول الله ﷺ انه قال «بدأ الاسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ» وقوله فيما صح عنه ﷺ «لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا حجر ضب لدخلتموه» قالوا يارسول الله اليهود والنصارى؟ قال «فمن؟» خرجاه في الصحيحين

وقال الشيخ ابو العباس ابن تيمية في الرسالة السنية لما تكلم على الخوارج: فاذا كان في زمن النبي ﷺ وخلفائه ممن انتسب الى الاسلام من قد مرق من الدين مع عبادته العظيمة، فليعلم ان المنتسب الى الاسلام في هذا الزمان قد يمرق ايضا،

وذلك بأمور منها : الغلو الذي ذمه الله كالغلو في بعض المشايخ كالشيخ عدي بل الغلو في علي بن ابي طالب بل الغلو في المسيح ، فكل من غلا في نبي او رجل صالح وجعل فيه نوعا من الالهية مثل أن يدعوه من دون الله، بأن يقول ياسيدي فلان أغثني او أنا في حسبك فكل هذا شرك وضلالة يستتاب صاحبه فان تاب وإلا قتل فان الله ارسل الرسل وانزل الكتب ليعبد وحده ولا يجعل معه إله آخر ، والذين يجعلون معه آلهة اخرى مثل الملائكة والمسيح والعزير والصالحين او قبورهم لم يكونوا يعتقدون انها تخلق وترزق وانما كانوا يدعونهم يقولون : هؤلاء شفعاؤنا عند الله ، فبعث الله الرسل تنهى ان يدعى احد من دونه لا دعاء عبادة ولا دعاء استعانة انتهى

وقال ابو الوفاء ابن عقيل رحمه الله : لما صعبت التكاليف على الجهال والطغام عدلوا عن اوضاع الشرع الى اوضاع وضعوها لانفسهم، فسهلت عليهم إذ لم يدخلوا بها تحت امر غيرهم . قال وهم عندي كفار بهذه الاوضاع ، مثل تعظيم القبور واكرامها بما نهى عنه الشرع من ايقاد السرج وتقبيلها وتخليقها وخطاب الموتى بالحوائج وكتب الرقاع فيها بأمور ان افعل بي كذا وكذا، وأخذ تربتها تبركا وإفاضة الطيب على القبور وشد الرحال اليها وإلقاء الخرق على الشجر اقتداء بمن عبد اللات والعزى. والويل عندهم لمن لم يقبل مشهد الكفر ولم يتمسح بالآجر يوم الاربعاء ولم يقل الحمالون على جنازته: الصديق ابو بكر او محمد وعلي او لم يعقد على قبر ابيه أزجا بالجص والآجر ولم يخرق ثيابه ولم يرق ماء الورد على القبر اهـ كلامه

فتأمل رحمك الله ما ذكره هذا الامام وما كشفه من الامور التي يفعلها الخواص من الانام فضلا عن النساء والنوغاء والعوام مع كونه في سادس القرون والناس لما ذكره يفعلون وجهابذة العلماء والنقدة لذلك مشاهدون، وحظهم من النهي مرتبته الثانية فهم بها قائمون ، يتضح لك فساد ما زخرفه المبطلون وموّه به المتعصبون والملحدون

فصل

وأما قوله الثاني(إن نظر فيه من حيثية القول فهو كالحلف بغير الله ، وقد ورد انه شرك وكفر ثم أولوه بالاصغر. وإن نظر فيـه من حيثية الاعتقاد فهو كالطيرة وهي من الاصغر)

فنقول هذا كلام باطل وليس يخفى ما بينهما من الفرق فأي مشابهة بين من وحد الله وعبده ولم يشرك معـه أحداً من خلقـه وأنزل حاجاته كلها بالله واستغاث به في تفريج كرباته واغاثة لهفاته ، لكنه حلف بغير الله يمينا مجردة لم يقصد بها تعظيمه على ربه ولم يسأله ولم يستغث به ، وبين من استغاث بغير الله وسأله جلب الفوائد وكشف الشدائد ، فان هذا صرف مخ العبادة الذي هو لبها وخالصها لغير الله ، وأشرك مع الله غيره في أجل العبادات وأفضل القربات التي أمر الله به في غير موضع من كتابه وأخبر النبي ﷺ انه هوالعبادة كما تقدم في حديث النعمان بن بشير« ان الدعاء هو العبادة » وفي حديث أنس« ان الدعاء مخ العبادة » واخبر النبي ﷺ « ان الله يحب الملحين فيـه » وان « من لم يسأل الله يغضب عليه » وفي الترمذي عن ابن مسعود عن النبي ﷺ « سلوا الله من فضله فان الله يحب ان يسال » وفيـه ايضاً « ان الله يحب الملحين في الدعاء » وفيه ايضاً « من لم يسأل الله يغضب عليه» وفي الترمذي وابن ماجه عن ابي هريرة قال قال رسول الله ﷺ « ليس شيء على الله اكرم من الدعاء »

وأما الحلف فلم يأمرنا الله به بل امرنا بحفظه فقال (واحفظوا ايمانكم) قيل المعنى لاتحلفوا ، وقيل لاتحنثوا ، ولا يرد على هذا ما روي عن النبي ﷺ انه حلف في مواضع فان اليمين تستحب اذا كان فيها مصلحة راجحة

وعلى هذا حمل العلماء ماروي في ذلك عن النبي ﷺ ، فهو يحلف لمصالح مطلوبة للامة، كزيادة إيمانهم وطمأنينة قلوبهم، كما أمره الله بذلك في ثلاثة مواضع

من كتابه ، وأما الحلف لغير مصلحة فليس مشروعا بل يباح اذا كان صادقا

وأما الدعاء فهو مشروع محبوب لله بل سماه الله في كتابه الدين ، وأمر باخلاصه له وسماه رسوله ﷺ العبادة ومخ العبادة، فكيف يقال هو كالحلف ؟

فمن صرف الدعاء لغير الله فقد أشرك في الدين الذي أمر الله باخلاصه له وفي العبادة التي أمر الله بها

وأيضاً فان الداعي راغب راهب، فالعبد يدعو ربه رغبا ورهبا ويتوكل عليه في حصول مطلوبه ودفع مرهوبه ، فاذا طلب فوائده وكشف شدائده من غير الله فقد أشرك مع الله في الرغبة والرهبة والرجاء والتوكل فان هذا من لوازم الدعاء وهو من العبادة التي أمر الله بها كقوله تعالى(وإلى ربك فارغب) وقوله تعالى (فاياي فارهبون) وقال (وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين)

فمن استغاث بغير الله فهو راغب اليه في حصول مطلوبه راج له متوكل عليه وذلك هو حقيقة العبادة التي لاتصلح إلا لله وهو معنى لاإله الا الله فان الاله هو الذي تألهه القلوب محبة ورجاء ، وخوفا وتوكلا

ويقال أيضاً: الذي يدعو غير الله في مهماته وكشف كرباته قد رد على الله كلامه وكذب بآياته فان الله عز وجل أخبر انه لا يشفع عنده أحد إلا باذنه وان الشفاعة كلها لله وهذا زعم ان الميت يشفع له ، وأخبر الله ان الاولياء والصالحين لا يملكون كشف الضر ولا تحويله ، وانهم لا ينفعون ولا يضرون ولا يسمعون الدعاء ولا يستجيبون ، وهذا زعم انهم باب حوائجه الى الله وانهم ينفعون ويشفعون وللدعاء يسمعون وله يستجيبون ، فكذب على الله وكذب بآياته

فكيف يقال ان هذا كالحلف بغير الله الذي أولوه ان يكون شركا أصغر يعاقب عليه كما يعاقب الزاني وقاتل النفس وآكل الربى ، لانه ارتكب محرما غير مستحل له، نظير مايفعله الزاني وقاتل النفس ؟ فأما إن فعله مستحلا او لكون

المخلوق في قلبه أعظم من الخالق كان ذلك كفراً

قال ابن القيم رحمه الله تعالى : وأما الشرك الاصغر فكيسير الرياء والتصنع للخلق والحلف بغير الله ، ونحو: مالي إلا الله وانت، وانا متوكل على الله وعليك ، ولولا أنت لم يكن كذا وكذا ، وقد يكون هـذا شركا أكبر بحسب حال قائله ومقصده انتهى .

ويقال أيضاً : من المعلوم بالاضطرار من دين الاسلام ان الله تعالى بعث محمداً ﷺ يدعو إلى التوحيد وينهى عن الاشراك فكان أول آية أرسله الله بها (يا أيها المدثر قم فأنذر * وربك فكبر * وثيابك فطهر * والرجز فاهجر) فانذر عن الشرك ، وهجر الاوثان ، وكبر الله وعظمه بالتوحيد ، فاستجاب له من استجاب من المسلمين وصبروا على الاذى من قومهم ، وقاسوا الشدائد العظيمة فهاجروا واخرجوا من ديارهم ، وأوذوا في الله ، وتميز الكافر من المسلم ، ومات من المسلمين من استوجب الجنة ، ومات من الكفار من استحق النار وهذا النهي كله قبل الحلف بغير الله

فالاستغاثة باهل القبور واستنجادهم واستنصارهم لم يبح في شرائع الرسل كلهم بل بعث الله جميع رسله بالنهي عن ذلك والامر بعبادته وحده لاشريك له

وأما الحلف فكان الصحابة يحلفون بآبائهم ويحلفون بالكعبة وغير ذلك ولم ينهوا عن ذلك إلا بعد مدة طويلة فقال لهم النبي ﷺ « إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم » وقال « من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت »

ومن لايميز الفرق بين دعاء الميت والحلف به لايعرف الشرك الذي بعث الله به محمداً ﷺ ينهى عنه ويقاتل أهله، وأي جامع بين الحلف والاستغاثة ؟ فالمستغيث طالب سائل ، والحالف لم يطلب ولم يسأل ، فان كان الجامع بينهما عند القائل باتحادهما أن كلا منهما قول باللسان فيقال له والاذكار والدعوات ،

وقول الزور وقذف المحصنات كل ذلك قول باللسان ، ولو قال أحد انها ألفاظ متقاربة لعد من المجانين ، وإن أراد هذا القائل اتحادهما في المعنى، فهذا باطل كما تقدم بيانه ، وأي مشابهة بين من جعل لله نداً من خلقه يدعوه ويرجوه ويستنصر به ويستغيث به وبين من لا يدعو إلا الله وحده لا شريك له وأخلص له في عبادته، فالاول أشرك مع الله في قوله وفعله واعتقاده، بخلاف الحالف، بل لو اعتقد الحالف تعظيم المخلوق على الخالق لصار شركا أكبر كما تقدم

ومما يبين ذلك أيضاً أن الرسول ﷺ لما نهاهم عن الحلف بغير الله وحلف بعض الصحابة حديثو العهد فقال في حلفه واللات قال النبي ﷺ « من حلف باللات فليقل لا إله إلا الله » ولما قال له بعض الصحابة حديثو العهد بالكفر: اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط قال« الله أكبر، انها السنن، قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو اسرائيل لموسى (اجعل لنا إلها كما لهم آلهة) لتركبن سنن من كان قبلكم »

فانظر كيف نهى الحالف وأرشده إلى الكفارة بان يقول لا إله الا الله من غير التغليظ الشديد . والذين قالوا اجعل لنا ذات أنواط غلظ عليهم التغليظ الشديد وحلف لهم ان طلبتهم كطلبة بني إسرائيل ، وان قولهم اجعل لنا ذات كقول بني إسرائيل (اجعل لنا الها كما لهم آلهة) سواء بسواء، فهما متفقان معنى وان اختلف اللفظ

وهـذا مما يبين لك شيئاً من معنى لا اله الا الله ، فاذا كان اتخاذ الشجرة للعكوف حولها ، وتعليق الاسلحة بها للتبرك اتخاذ آله مع الله مع انهم لا يعبدونها ولا يسألونها فما الظن بالعكوف حول القبر ودعائه في انزال الفوائد والاستغاثة به في كشف الشدائد ؟ وأخذ تربته تبركا ؟ واسراج القبر وتخليقه؟ وأي نسبه للفتنة بشجرة الى الفتنة بالقبر لو كان أهل الشرك والبدع يعلمون؟

قال بعض أهل العلم من أصحاب مالك : فانظروا رحمكم الله أينما وجدتم سدرة

أو شجرة يقصدها الناس ويعظمونها ، ويرجون البر والشفاء من قبلها ويضربون بها المسامير والخرق فهي ذات أنواط فاقطعوها انتهى

ومما يبين الفرق بين دعاء الاموات والاستغاثة بهم ، وبين الحلف بهم ان العلماء قسموا الشرك الى أكبر وأصغر، جعلوا دعاء الاموات والاستغاثة بهم فيما لايقدر عليه الا رب الارض والسموات هو عين شرك المشركين الذين كفرهم الله في كتابه ، وجعلوا الحلف بغير الله شركا أصغر ، فيذكرون الاول في باب حكم المرتد . وان من أشرك بالله فقد كفر ، ويستدلون بقوله تعالى (ان الله لايغفر أن يشرك به) ويفسرون هذا الشرك بما ذكرنا

ويذكرون الثاني في كتاب الأيمان فيفرقون بين هذا وهذا ، ولم نعلم أن أحداً من العلماء الذين لهم لسان صدق في الامة قال : ان طلب الحوائج من الموتى والاستغاثة بهم شرك أصغر ، ولا قول ان ذلك كالحلف بغير الله ، اللهم الا أن يكون بعض المنتسبين الى العلم من المتأخرين الضالين الذين قرروا الشرك وحسنوه للناس نظما ونثراً ، وصار لهم نصيب من قوله عز وجل (ألم تر الى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت)

وأما قوله (وان نظر فيه من جهة الاعتقاد فهو كالطيرة فهو باطل أيضاً يظهر بطلانه مما تقدم)

فيقال : وأين الجامع بين شرك من جعل بينه وبين الله واسطة يدعوه ويسأله قضاء حاجاته وكشف كرباته ويقول : هذا وسيلتي الى الله وباب حاجتي اليه ، وبين من عبد الله وحده لاشريك له ودعاه خوفا وطمعاً وأنزل حاجاته كلها به، وكشف كرباته ، وتبرأ من عبادة كل معبود سواه ، ولكن وقع في قلبه شيء من الطيرة . فالاول هو دين أبي جهل وأصحابه ، وهو دين أعداء الرسل من نوح الى يومنا هذا وأما الطيرة فتقع على المؤمنين الموحدين كما في الحديث المرفوع عن ابن مسعود

« والطيرة شرك وما منا الا .... ولكن الله يذهبه بالتوكل» رواه ابوداود ورواه الترمذي وصححه وجعل آخره من قول ابن مسعود

وفي مراسيل ابي داود ان النبي ﷺ قال « ليس عبد الا سيدخل قلبه طيرة فاذا أحس بذلك فليقل أنا عبدالله ماشاء الله لاقوة الا بالله ، لايأتي بالحسنات الا الله ، ولا يذهب بالسيئات الا الله ، أشهد أن الله على كل شيء قدير . ثم يمضي لوجهه »

وفي مسند الامام احمد عن ابن عمر عن النبي ﷺ « من أرجعته الطيرة عن حاجته فقد أشرك ، وكفارة ذلك أن يقول أحدهم: اللهم لاطير الا طيرك ، ولا خير الا خيرك ، ولا اله غيرك »

وفي صحيح ابن حبان عن أنس عن النبي ﷺ قال « لاطيرة والطيرة على من تطير »

ومعنى هذا ان من تطير تطيراً منهياً عنه بان يعتمد على ما يسمعه أو يراه من الامور التي يتطير بها حتى يمنعه عما يريد من حاجته فانه قد يصيبه ما يكرهه وأما من توكل على الله ولم ينظر الى الاسباب المخوفة وقال ما أمر به من هذه الكلمات ومضى فانه لايضره ذلك ، فاذا كان هـذا حال الطيرة فأين الجامع بينها وبين الشرك الاكبر في الاعتقاد ؟

فان أراد السائل ان المتطير اذا زجر الطير او تطير بما يراه من علم النجوم وغيره أو بما يسمعه من الكلام يعتقد أن ذلك من علم الغيب ، وان الطير تخبره عما هو صائر اليه في المستقبل ، او ان الافلاك تدبر أمر الخلائق فليس هذا من الشرك الاصغر بل هذا من الشرك الاكبر نظير شرك عباد الكواكب

فصل

وأما قول القائل (الثالث انه قد ورد في حديث الضرير قوله يامحمد ، وفي الجامع الكبير وعزاه للطبراني فيمن انفلتت عليه دابته قال « ياعباد الله احبسوا» وهذا دعاء ونداء لغير الله)

فنقول وبالله التوفيق : اعلم أن الله سبحانه وتعالى بعث محمداً ﷺ بالدعوة الى التوحيد والنهي عن الشرك ، فحمى حمى التوحيد وسد كل طريق يوصل الى الشرك حتى في الالفاظ ، حتى إن رجلا قال له : ماشاءالله وشئت قال «أجعلتني لله نداً قل ماشاء الله وحده» فكيف يأمر بدعاء الميت او الغائب ؟

بل من المعلوم بالضرورة من دين الاسلام ان دعاء الميت والغائب لم يأمر الله به ولا رسوله ولا فعله أحد من الصحابة ولا التابعين ولا فعله أحد من أئمة المسلمين ولا أحد من الصحابة استغاث بالنبى ﷺ بعد موته ، ولا قال أحد ان الصحابة استغاثوا بالنبي ﷺ بعد موته ، ولو كان هذا جائزاً او مشروعا لفعلوه ولو كان خيراً لسبقونا اليه. وقد كان عندهم من قبور أصحاب رسول الله ﷺ بالامصار عدد كثير، وهم متوافرون، فما منهم من استغاث عند قبر صحابي ولا دعاه ولا استغاث به ولا استنصر به

ومعلوم أن مثل هذا مما تتوفر الهمم والدواعي على نقله بل على نقل ماهو دونه وحينئذ فلا يخلوا ما أن يكون دعاء الموتى والغائبين او الدعاء عند قبورهم والتوسل بأصحابها أفضل، أو لا يكون ، فان كان أفضل فكيف خفي علما وعملا على الصحابة والتابعين وتابعيهم فتكون القرون الثلاثة الفاضلة جاهلة علماً وعملا بهذا الفضل العظيم ويظفر به الخلوف علما وعملا ، وهذان الحديثان اللذان أوردهما السائل اما أن يكون الصحابة الذين رووها وسمعوهما من النبي ﷺ جاهلين بمعناهما وعلمه هؤلاء المتأخرون ، واما أن يكون الصحابة علموهما علما وزهدوا فيهما عملا مع حرصهم على الخير وطاعتهم لنبيهم ﷺ ، وكلاهما محال. بل هم أعلم الناس بكلام رسول الله ﷺ وأطوع الناس لاوامره ، وأحرص الناس على كل خير ، وهم الذين نقلوا الينا سنة نبينا ﷺ فهل فهموا من هذه الاحاديث جواز دعاء الموتى والغائبين فضلا عن استحبابه والامر به ؟

ومعلوم انه قد عرضت لهم شدائد واضطرارات وفتن وقحط وسنون مجدبات، أفلا جاءوا إلى قبر النبي ﷺ شاكين وله مخاطبين، وبكشفها عنهم وتفريج كرباتهم داعين

والمضطرب يتشبث بكل سبب يعلم ان له فيه نفعا لاسيما الدعاء، فلو كان ذلك وسيلة مشروعة وعملا صالحا لفعلوه

فهذه سنة رسول الله ﷺ في أهل القبور حتى توفاه الله، وهذه سنة خلفائه الراشدين، وهذه طريقة جميع الصحابة والتابعين، هل يمكن أحد أن يأتي عنهم بنقل صحيح او حسن اوضعيف انهم كانوا إذا كانت لهم حاجة او عرضت لهم شدة قصدوا القبور، فدعوا عندها وتمسحوا بها، فضلا عن أن يسألوها حوائجهم، فمن كان عنده في هذا أثر او حرف واحد في ذلك فليوقفنا عليه .

نعم يمكنهم أن يأتوا عن الخلوف الذين يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون مالا يؤمرون، بكثير من المختلقات، والحكايات المكذوبات، حتى لقد صنف في ذلك عدة مصنفات ليس فيها حديث صحيح عن رسول الله ﷺ وانما فيها التمويهات والحكايات المخترعات، والاحاديث المكذوبات. كقولهم: إذا أعيتكم الامور فعليكم باصحاب القبور، وحديث: لو أحسن أحدكم ظنه بحجر لنفعه. وفيها حكايات لهم عن تلك القبور. ان فلانا استغاث بالقبر الفلاني في شدة فخلص منها، وفلانا دعاه او دعا به في حاجة فقضيت، وفلانا نزل به ضر فأتى صاحب ذلك القبر فكشف ضره، ونحو ذلك مما هو مضاد لما بعث الله به محمداً ﷺ من الدين ومن له معرفة بما بعث الله به محمداً ﷺ يعلم انه حمى جانب التوحيد وسد الذرائع الموصلة إلى الشرك فكيف يستدل بكلامه على نقيض ما أمر به فيستدل بقوله في حديث الاعمى «يا محمد» على انه أمر بدعائه في حال غيبته فيدل على جواز الاستغاثة بالغائب. وكذلك قوله «ياعباد الله احبسوا» يدل على ذلك

وأيضا هذا من أعظم المحال وأبطل الباطل ، بل كلامه ﷺ يوافق الوحي المنزل عليه ، يصدقه ولا يكذبه فانهما عن مشكاة واحدة (وما ينطق عن الهوى * إن هو إلا وحي يوحي)

ونحن نجيب عن هذين الحديثين بعون الله وتأييده من وجوه فنقول:

﴿ حديث ياعباد الله احبسوا . وحديث توسل الاعمى ﴾

(والرد على من استدل بهما على جواز دعاء غير الله تعالى)

من بضعة وجوه (١)

(الوجه الاول) ان القرآن (فيه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات) فيرد المتشابه إلى المحكم ، ولا يضرب كتاب الله بعضه ببعض ، وكذلك السنة فيها محكم ، وفيها متشابه ، فيرد متشابهها إلى المحكم ، ولا يضرب بعضها ببعض فكلام النبي ﷺ لايتناقض بل يصدق بعضه بعضا ويوافق القرآن ولا يناقضه وهذا أصل عظيم تجب مراعاته ، ومن أهمله فقد وقع في أمر عظيم وهو لايدري

ومن المعلوم ان أدلة القرآن الدالة على النهي عن دعاء غير الله متظاهرة مع وضوحها وبيانها كقوله تعالى (وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً) وقوله تعالى (له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لايستجيبون لهم بشيء) وقوله تعالى (ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك فان فعلت فانك إذاً لمن الظالمين) الآية الى غير ذلك من الآيات الواضحات البينات ، فمن أعرض عن هذا كله وتعامى عنه ، وأعرض عن الاحاديث الصحيحة الدالة على تحقيق التوحيد وابطال الشرك وسد ذرائعه ، وتعلق بحديث ضعيف ، بل ذكر بعض العلماء انه حديث منكر وهو قوله « اذا انفلتت دابة أحدكم فليناد : ياعباد الله احبسوا » ومثل حديث الاعمى الذي فيه « يامحمد » وزعم ان رسول الله ﷺ أمره ان يسأله

(١) هذا العنوان ليس من الاصل وانما وضع للتنبيه وتوجيه النظر الى موضوع المسألة

في حال غيبته لم يكن هذا الامن زيغ في قلبه قد تناوله كقوله تعالى (فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ماتشابه منه ابتغاء الفتنة)

وقوله ﷺ فيما ثبت عنه في الصحيح من حديث عائشة « إذا رأيتم الذين يتبعون ماتشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم »

(الوجه الثاني) أن يقال لمن استدل بالحديثين على دعاء غير الله :أتظن ان الرسول ﷺ يأمر أمته بالشرك ، وقد نهى عنه وجرد التوحيد لله ، ونهى عن دعوة غير الله

وقال فيما ثبت عنه في صحيح البخارى « من مات وهو يدعو لله نداً دخل النار » وقال لابن عباس «اذا سألت فاسأل الله ، واذا استعنت فاستعن بالله» فكيف يجتمع في قلبك ان الله بعثه بالتوحيد والتحذير من الاشراك ثم يأمر أمته بعين ماحذرهم عنه. فمن زعم أن قوله «ياعباد الله احبسوا » يدل على جواز دعاء الغائب بالنص ، وعلى دعاء الميت بالقياس على الغائب ، وكذلك حديث الاعمى هذا فقد حاد الله ورسوله ، حيث زعم أن الرسول أمر أمته بالاشراك الذي بعثه الله ينهى عنه

(الوجه الثالث) أن يقال وعلى تقدير ان هذا يدل على ان الاستغاثة بغير الله شرك أصغر، فهل يظن من في قلبه رائحة إيمان ان الرسول ﷺ يأمر أمته بالشرك الاصغر الذي قد حرمه الله ورسوله ؟ بل إذا علم الانسان أن هذا شرك أصغر ثم زعم ان الرسول ﷺ أمر أمته به كان كافراً

وقد قال تعالى (ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله ـ إلى قوله ـ ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون)فحاشا جنابه ﷺ أن يأمر أمته بالشرك ولو كان أصغر

ومن استدل بهذين الحديثين على دعاء الموتى والغائبين فهو بين أمرين لامحيد

له عنهما : إما أن يقول: هذا يدل على أن دعاءهم مستحب او جائز ، ومن قال ذلك فقد خالف اجماع المسلمين ومرق من الدين، فانه لم يقل أحد من المسلمين ان دعاء الموتى جائز أو مستحب ، واما أن يقول ان ذلك يدل على ان دعاء الموتى شرك أصغر لا أكبر ، ومن قال ذلك فقد تناقض في استدلاله حيث استدل بكلام النبي ﷺ الذي أمر به على مانهى عنه ، وكيف يسوغ لمن يؤمن بالله واليوم الآخر أن يستدل بامره على نهيه

ثم يقال لهذا المستدل بقوله « فليناد ياعباد الله احبسوا » أخبرنا عن هذا الامر؟ هل هو للوجوب أو للاستحباب أو الاباحة ، وهي أقل أحواله ، وأما ما كان مكروها او محرما فلا يكون فيما أمر به النبي ﷺ فما وجه الاستدلال ؟

(الوجه الرابع) ان هـذا الحديث لايصح عن النبي ﷺ فان من رواته معروف بن حسان وهو منكر الحديث قاله ابن عدي

(الوجه الخامس) ان يقال :إن صح الحديث فلا دليل فيه على دعاء الميت والغائب ، فان الحديث ورد في أذكار السفر ، ومعناه ان الانسان اذا انفلتت دابته وعجز عنها فقد جعل الله عباداً من عباده الصالحين من صالحي الجن أو من الملائكة أو ممن لايعلم من جنده سواه (وما يعلم جنود ربك إلا هو) فأخبر النبي ﷺ ان لله عباداً قد وكلهم بهذا الامر، فاذا انفلتت الدابة ونادى صاحبها بما أمره به النبي ﷺ في هـذا الحديث حبسوا عليه دابته فان هؤلاء عباد الله أحياء ، وقد جعل الله لهم قدرة على ذلك كما جعل للانس فهو ينادي من يسمع ويعين بنفسه كما ينادي أصحابه الذين معه من الانس ، فأين هـذا من الاستغاثة بأهل القبور ؟ بل هذا من جنس مايجوز طلبه من الاحياء ، فان الانسان يجوز له أن يسأل المخلوق من الاحياء مايقدر عليه كما قال تعالى (فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه) وكما في قوله تعالى (وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر) وكما يستغيث الناس يوم القيامة بآدم ثم بنوح ثم بابراهيم ثم بموسى ثم بعيسى

حتى يأتوا نبينا ﷺ ، بل هذا من جنس استغاثته برفقته من الانس ، فاذا انفلتت دابته ونادى أحد رفقته يافلان رد الدابة لم يكن في هذا بأس ،

فهذا الذي ورد في الحديث من جنس هـذا بل قد يكون قربة اذا قصد به امتثال أمر النبي ﷺ ، فأين هذا من استغاثة العبادة بأن ينادي ميتا أو غائبا في قطر شاسع سواء كان نبياً أو عبداً صالحا

(الوجه السادس) ان الله تعـالى قال (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي) فبعد أن أكمله بفضله ورحمته فلا يحل أن يخترع فيه ماليس منه . ونقيس عليه مالا يقاس عليه ، بل الواجب اتباع ماورد عن النبي ﷺ كما أمر به ، فاذا نادى شخصاً معينا باسمه فقد كذب على رسول الله ﷺ ونادى من لم يؤمر بندائه وليس ذلك في كل حركة وسكون وقيام وقعود ، وانما ذلك في أمر مخصوص

٭
٭ ٭

وأما حديث الاعمى فالجواب عليه من وجوه :

(الوجه الاول) ان الحديث اذا شذ عن قواعد الشرع لايعمل به ، فانهم قالوا : ان حـد الحديث الصحيح اذا رواه العـدل الضابط عن مثله من غير شذوذ ولا علة ، فهذا الحديث لايجوز الاحتجاج به في هذا الباب لمخالفته قواعد الشرع وأصوله ، بل من احتج به على دعاء الميت والغائب فقد خالف نصوص الكتاب والسنة ، مع انه بحمد الله يوافق ذلك ولا يخالفه ، فليس فيه دليل على ماذكره السائل كما سنبينه ان شاء الله ، وكيف يستدل بما ليس فيه دلالة مطابقة ولا تضمن ولا التزام ؟

(الوجه الثاني) أن يقال هذا الحديث قد رواه النسائي في عمل اليوم والليلة ، والبيهقي وابن شاهين في دلائلهما ، كلهم عن عثمان بن حنيف ولم يذكروا فيه هذه اللفظة : أعني « يامحمد» ولفظ الحديث عندهم عن عثمان بن حنيف: ان رجلا أعمى أتى النبي ﷺ فقال يانبي الله قد أصبت في بصري فادع الله لي . فقال له النبي

ﷺ « توضأ وصل ركعتين ثم قل : اللهم اني أتوجه اليك بنبيي محمد ، نبي الرحمة ، اني أتشفع به اليك في رد بصري ، اللهم شفع نبيي فيّ » ففعل ذلك ، فرد الله عليه بصره وقال له « اذا كانت لك حاجة فبمثل ذلك فافعل » انتهى.

فهذا الحديث بهذا اللفظ لا حجة فيه للمبطل لان غايته انه توسل بالنبي ﷺ

وساقه الترمذي رحمه الله بسياق قريب من هذا . فقال : حدثنا محمد بن غيلان ثنا عثمان بن عمر ثنا شعبة عن أبي جعفر عن عمارة بن خزيمة بن ثابت عن عثمان بن حنيف ان رجلا ضرير البصر أتى النبي ﷺ ، فقال: ادع الله لي أن يعافيني، قال « ان شئت دعوت وان شئت صبرت، فهو خير لك » قال فادعه ، فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء « اللهم اني أسألك وأتوجه اليك بنبيك محمد نبي الرحمة، اني توجهت بك الى ربي في حاجتي هذه لتقضى ، اللهم فشفعه فيّ » هذا حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه الا من حديث أبي جعفر وهو غير الخطأ انتهى .

هذا لفظه بحروفه ، وفي نسخة أخرى « اني توجهت به الى ربي » وليست هذه اللفظة في الحديث في سياق هؤلاء الائمة أعني قوله : يامحمد ، التي هي غاية مايتعلق به المبطلون

(الوجه الثالث) أن يقال: على تقدير صحة هذه اللفظة فليس فيها مايدل على دعاء النبي ﷺ بعد موته ،ولو كان فيها مايدل على ذلك لفعله الصحابة رضي الله عنهم . فلما ثبت ان الصحابة لم يفعلوه بل ولا أجازوه علمنا انه ليس في ذلك دلالة. فيبقى أن يقال مامعناه ؟ فنقول :

ذكر العلماء في معناه قولين (أحدهما) انه توسل بالنبي ﷺ فيدل على جواز التوسل به ﷺ في حياته وبعد وفاته إلا أن التوسل ليس فيه دعاء له ولا استغاثة به وانما سؤال الله بجاهه، وهذا ذكره الفقيه أبو محمد العز بن عبد السلام في فتاويه، فانه أفتي بأنه لايجوز التوسل بغير النبي ﷺ ، قال : وأما التوسل به ﷺ فجائز — إن صح الحديث فيه — يعني حديث الاعمى

قال الشيخ ابن تيمية رحمه الله : أما التوسل الى الله بغير نبينا ﷺ فلا نعلم أحداً من السلف فعله، ولا روى فيه أثراً، ولا نعلم فيه إلا ما أفتى ابن عبد السلام من المنع

وأما التوسل بالنبي ﷺ ففيه حديث في السنن وهو حديث الاعمى الذي أصيب ببصره ، فلاجل هـذا الحديث استثنى الشيخ التوسل به ، وللنـاس في معنى الحديث قولان

(أحدهما) ان هذا التوسل هو الذي ذكره عمر لما استسقى بالعباس فذكر انهم كانوا يتوسلون بالنبي ﷺ في الاستسقا ، ثم توسلوا بعمه العباس بعـد موته ، وتوسلهم به هو استسقاؤهم به ، بحيث يدعو ويدعون معه ، فيكون هو وسيلتهم الى الله . وهذا لم يفعله الصحابة بعد موته وفي مغيبه ، والنبي ﷺ كان في مثل هذا شافعا لهم داعيا ، ولهذا قال في حديث الاعمى « اللهم فشفعه في » فعـلم ان النبي ﷺ شفع له فسأل الله أن يشفعه فيه (والثاني) ان التوسل به يكون في حياته وبعد وفاته ،

انتهى كلام الشيخ رحمه الله

فتبين بهذا ان معنى التوسل الى الله هو بدعائه وشفاعته في حضوره أو التوسل بذاته بأن يسأل الله بجاهه ، والتوسل غير الاستغاثة ، فانه لم يقل أحد ان من قال اللهم إني اسألك بحق فلان انه استغاث به بل انما استغاث بمن دعاه، بل العامة الذين يتوسلون في أدعيتهم بأمور كقول أحدهم: اتوسل اليك بحق الشيخ فلان او بحرمته او نحو ذلك مما يقولونه في ادعيتهم يعلمون انهم لا يستغيثون بهذه الامور ، فان المستغيث بالشيء طالب منه سائل له ، والمتوسل به لا يدعى ولا يسأل ولا يطلب منه وانما يطلب به ، وكل احد يفرق بين المدعو والمدعو به ، والاستغاثة هي طلب الغوث وهو إزالة الشدة كالاستنصار طلب النصر والاستعانة طلب العون ، فكل احد يفرق بين المسئول والمسئول به

فالحديث على هذا المعنى الذي ذهب اليه ابن عبد السلام لاحجة فيه لمن جوز الاستغاثة بالنبي ﷺ بعد وفاته ، فان هذا لم يفهمه أحد من العلماء من الحديث ولم يذكروا في معناه إلا هذين القولين اللذين ذكرناهما

(أحدهما) ماذهب اليه ابن عبد السلام (والثاني) ماذهب اليه الاكثرون ان معناه التوسل الى الله بدعائه وشفاعته بحضوره كما في صحيح البخاري أن عمر رضي الله عنه استسقى بالعباس فقال : « اللهم انا كنا اذا اجدبنا توسلنا اليك بنبينا فتسقينا ، وانا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا » فيسقون

فبين عمر انهم كانوا يتوسلون به في حياته فيسقون ، وتوسلهم به هو انهم يسألونه ان يدعو الله لهم فيدعو ويدعون معه فيتوسلون بدعائه كما في الصحيحين عن أنس ان رجلا دخل المسجد يوم الجمعة من باب كان نحواً من دار القضاء ورسول الله ﷺ قائم يخطب ، فاستقبل رسول الله ﷺ قائما ثم قال: يارسول الله : هلكت الاموال وانقطعت السبل : فادع الله ان يغيثنا ، فرفع رسول الله ﷺ يديه فقال « اللهم اغثنا » الحديث بطوله

ففي هذا انه قال ادع الله ان يغيثنا ، فلما كثر الغيث قال ادع الله أن يمسكها عنا ، فهذا هو التوسل الذي كانوا يفعلونه

فلما مات صلوات الله وسلامه عليه لم يتوسلوا به ولم يستسقوا به ، فلو كان ذلك مشروعا لم يعدلوا الى العباس ، وكيف يتركون التوسل بنبيهم ﷺ ويعدلون الى العباس؟

وكذلك معاوية استسقى بيزيد بن الاسود الجرشي وقال « اللهم انا نتشفع اليك بخيارنا ، يايزيد ارفع يديك الى الله » فرفع يديه ودعا ودعوا فسقوا

وقال ابو العباس ابن تيمية في رده على ابن البكري لما تكلم على حديثه

الاعمى قال : والاعمى كان قد طلب من النبي ﷺ أن يدعو له كما كان الصحابة يطلبون منه في الاستسقاء

وقوله : أتوجه اليك بنبيك محمد نبي الرحمة ، اي بدعائه وشفاعته لي ، ولهذا قال في تمام الحديث « اللهم فشفعه في » فالذي في الحديث متفق على جوازه وليس هو مما نحن فيه انتهى

وقال رحمه الله في موضع آخر : لفظ التوجه والتوسل يراد به ان يتوجه بهم ويتوسل الى الله بدعائهم وشفاعتهم. فهذا هو الذي جاء في ألفاظ السلف من الصحابة رضي الله عنهم، كقول عمر : اللهم انا كنا اذا أجدبنا نتوسل اليك بنبينا فتسقينا ، وانا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا ، فيسقون فهذا اخبار من عمر عما كانوا يفعلونه . وتوسلوا بالعباس كما كانوا يتوسلون بالنبي ﷺ ، وكذلك معاوية لما استسقى باهل الشام توسل بيزيد

ومن هذا الباب ما في البخاري عن عمر رضي الله عنهما قال : ربما ذكرت قول الشاعر وأنا أنظر الى وجه النبي ﷺ يستسقى فما ينزل حتى يجيش الميزاب

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للارامل

ومن هذا الباب حديث الاعمى فانه أتى النبي ﷺ فقال ادع الله ان يعافيني قال « إن شئت دعوت ، وإن شئت صبرت فهو خير لك » قال ادع الله فأمره أن يتوضأ فيحسن الوضوء ويدعو هذا الدعاء « اللهم اني أسألك وأتوجه اليك بنبيك محمد نبي الرحمة ، يامحمد اني أتوجه بك إلى ربي في حاجتي هذه لتقضى ، اللهم فشفعه في » فأمره ان يطلب من الله أن يشفع فيه النبي ﷺ وانما يكون طالبا لتشفيعه فيه اذا شفع فيه فدعا الله له

وكذلك في أول الحديث انه طلب من النبي ﷺ ان يدعو له. فدل الحديث على ان النبي ﷺ شفع له ودعا له ، وان النبي ﷺ أمره هو ان يدعو الله وأن

يسأله قبول شفاعة النبي ﷺ فهذا نظير توسلهم به في الاستسقاء حيث طلبوا منه أن يدعو الله لهم ودعواهم الله تعالى أيضاً

وقوله : يامحمد انى توجهت بك الى ربي، خطاب لحاضر في قلبه كما نقول في صلاتنا: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، وكما يستحضر الانسان من يحبه و يبغضه او يخاطبه وهذا كثير

فهذا كله يبين ان معنى التوسل والتوجه به وبالعباس وغيرهما في كلامهم هو التوسل والتوجه بدعائه وبدعاء العباس ودعاء من توسلوا به وهذا مشروع بالاتفاق لاريب فيه . انتهى كلام ابي العباس ابن تيمية

وفيما ذكرنا كفاية لمن نور الله قلبه ، ومن أعمى الله قلبه لم تزده كثرة النقول إلا حيرة وضلالا (ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور)

فصل

وأما قول القائل: وأما التوسل فقد أخرج الحاكم في مستدركه وصححه ان آدم توسل بالنبي ﷺ وورد اللهم بحق نبيك والانبياء تبلى ولا أدري من خرجه

فاما التوسل بالنبي ﷺ خاصة فقد رأيت لشيخ الاسلام محمد بن عبدالوهاب نقلا في جواز ذلك عن ابن عبدالسلام فبقى الكلام في النبي اوفي غيره من الانبياء وفي معاني الاحاديث الاخر ، وما حكمها وما الحجة المقابلة لما يقولون ، المخصصة لما يفهمون؟ وأما التوسل بغير الانبياء فيوردون ان عمر توسل بالعباس في الاستسقاء فسقوا وطفق الناس يتمسحون به ويقولون هذا الوسيلة إلى الله

فاما أول القصة فهي في البخاري وهي لدينا بحمد الله ، وقولهم طفق إلى آخره لاأدري من قالها فما تقولون في معناها . وقد رأيت لبعض المحققين ان التوسل بالاولياء غير التوسل اليهم ، فالاول جائز والثاني شرك . وفي عدة الحصن الحصين

للجزري والتوسل إلى الله بانبيائه ورسله

(فالجواب) ان يقال : العبادات بناؤها على الامر والاتباع ، لا على الهوى والابتداع ، والتوسل الذي جاءت به السنة وتواتر في الاحاديث هو التوسل والتوجه إلى الله بالاسماء والصفات ، وبالاعمال الصالحة كالادعية الواردة في السنة كقوله « اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لاإله الا أنت المنان بديع السموات والارض ياذا الجلال والاكرام لا إله الا أنت ياحي ياقيوم »

وفي الحديث الآخر «اللهم اني أسألك باني أشهد أن لا إله الا أنت الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد » وقوله في الحديث الآخر «أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، او استأثرت به في علم الغيب عندك » وكما حكى الله سبحانه عن عباده المؤمنين انهم توسلوا اليه بصالح أعمالهم فقال حاكيا عنهم (ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان أن آمنوا بربكم فآمنا) الآية

وكما ثبت في الصحيحين من قصة الثلاثة الذين أووا إلى الغار فانطبقت عليهم الصخرة ، فتوسلوا إلى الله ، بصالح اعمالهم ، وكالتوسل بدعاء الانبياء والصالحين وشفاعتهم في حياتهم كما ذكرنا من توسل الصحابة بالنبي ﷺ في الاستسقاء وتوسلهم بالعباس وبيزيد بن الاسود ، وتوسل الاعمى بدعاء النبي ﷺ وشفاعته له. فهذا كله مما لانزاع فيه بل هو من الامور المشروعة ، وهو من الوسيلة التي امر الله بها في قوله تعالى (ياايها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة)

واما التوسل بالذات فيقال ماالدليل على جواز سؤال الله بذوات المخلوقين؟ ومن قال هذا من الصحابة والتابعين ؟ فالذي فعله الصحابة رضي الله عنهم هو التوسل إلى الله بالاسماء والصفات والتوحيد ، والتوسل بما امر الله به من الايمان بالرسل ومحبتهم وطاعتهم ونحو ذلك ، وكذلك توسلوا بدعاء النبي ﷺ وشفاعته

في حياته ، وبدعاء العباس ويزيد

واما التوسل بالذات بعد الممات فلادليل عليه ولا قاله احد من السلف بل المنقول عنهم يناقض ذلك

وقد نص غير واحد من العلماء على ان هذا لايجوز ، ونقل عن بعضهم جوازه وهذه المسئلة وغيرها من المسائل إذا وقع فيها النزاع بين العلماء فالواجب رد ماتنازعوا فيه إلى الله والرسول قال تعالى (فان تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) وقال تعالى (وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه الى الله)

ومعلوم ان هذا لم يكن منقولا عن النبي ﷺ ولا مشهوراً بين السلف ، وا كثر العلماء على النهي عنه ، ولا ريب ان الانبياء والصالحين لهم الجاه عند الله لكن الذين لهم النفع عند الله من الجاه والمنازل والدرجات أمر يعود نفعه اليهم ونحن ننتفع من ذلك باتباعنا لهم ومحبتنا فاذا توسلنا الى الله بايماننا بنبيه ﷺ ومحبته وطاعته واتباع سنته كان هذا من أعظم الوسائل

وأما التوسل بنفس ذاته مع عدم التوسل بالايمان به وطاعته فلايكون وسيلة فالمتوسل بالمخلوق اذا لم يتوسل بما مر من المتوسل به من الدعاء للمتوسل او بمحبته واتباعه فبأي شيء يتوسل به ؟ والانسان اذا توسل إلى غيره بوسيلة فاما أن يطلب من الوسيلة الشفاعة له عند ذلك مثل أن يقول لابي الرجل او صديقه او من يكرم عليه اشفع لنا عند فلان وهذا جائز، واما أن يقسم عليه، ولايجوز الاقسام على مخلوق بمخلوق كما انه لايجوز أن يقسم على الله بالمخلوقين

فالتوسل الى الله بذات خلقه بدعة مكروهة لم يفعلها السلف من الصحابة ولا التابعين لهم باحسان

قال ابن القيم رحمه الله في كتابه (اغاثة اللهفان في مكايد الشيطان) وهذه

الامور المبتدعة عند القبور أنواع ، أبعدها عن الشرع ان يسأل الميت حاجته، كما يفعله كثير ،وهؤلاء من جنس عباد الاصنام ، ولهذا قد يتمثل لهم الشيطان في صورة الميت كما يتمثل لعباد الاصنام ، وكذلك السجود للقبر وتقبيله والتمسح به

(النوع الثاني) أن يسئل الله به ، وهذا يفعله كثير من المتأخرين وهو بدعة اجماعا

(النوع الثالث) أن يظن الدعاء عنده مستجابا أو انه أفضل من الدعاء في المسجد فيقصد القبر لذلك، فهذا أيضاً من المنكر اجماعا ، وما علمت فيه نزاعا بين أئمة الدين ، وإن كان كثير من المتأخرين يفعله

وبالجملة فأكثر أهل الارض مفتونون بعبادة الاصنام ولم يتخلص منه إلا الحنفاء اتباع ملة ابراهيم. وعبادتها في الارض من قبل نوح

وهي كلها ووقوفها وسدنتها وحجابها والكتب المصنفة في عبادتها قد طبقت الارض

قال امام الحنفاء عليه الصلاة والسلام (واجنبني وبني أن نعبد الاصنام * رب انهن أضللن كثيراً من الناس)

وكفى في معرفة انهم أكثر اهل الارض ما صح عن النبي ﷺ « إن بعث النار من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون » وقد قال تعالى (فأبي أكثر الناس إلا نفوراً) وقال (وإن تطع أكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله)

ولو لم تكن الفتنة بعبادة الاصنام عظيمة لما أقدم عبادها على بذل نفوسهم وأموالهم وأبنائهم دونها وهم يشاهدون مصارع اخوانهم وما حل بهم ولا يزيدهم ذلك إلا حبا لها وتعظيما ، ويوصي بعضهم بعضاً بالصبر عليها. انتهى كلامه رحمه الله .

والمقصود انه حكى الاجماع على ان التوسل الى الله بصاحب القبر بدعة اجماعا

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في الرد على ابن البكري : وما زلت أبحث وأكشف ما أمكنني عن كلام السلف والائمة والعلماء ، هل جوز أحد

منهم التوسل بالصالحين في الدعاء او فعل ذلك أحد منهم فما وجدته ، ثم وقفت على فتيا للفقيه ابي محمد بن عبد السلام ، أفتى بانه لايجوز التوسل بغير النبي ﷺ وأما بالنبي ﷺ فجوز التوسل به إن صح الحديث في ذلك. وذكر القدوري في شرح الكرخي عن ابي حنيفة وابي يوسف انه لايجوز أن يسئل الله إلا به انتهى كلامه

وذكر ابن القيم رحمه الله عن أبي الحسن القدوري نحو ذلك فقال رحمه الله قال القدوري قال بشر بن الوليد سمعت أبا يوسف قال : قال ابو حنيفة لاينبغي لأحد أن يدعو الله إلا به ، وأكره أن يقول بمعاقد العز من عرشك ، او يقول بحق خلقك والجواز قول ابي يوسف — قال ابو يوسف بمعقد العز من عرشك هو الله فلا أكره ذلك ، وأكره بحق فلان أو بحق أنبيائك ورسلك ، وبحق البيت والمشعر الحرام ، قال القدوري : المسئلة لا تجوز لانه لا حق لمخلوق على الخالق فلا تجوز يعني وفقا

وقال البلدجي في شرح المختارة : ويكره أن يدعو الله إلا به فلا يقول أسئلك بفلان او بملائكتك وأنبيائك ونحو ذلك ، لانه لاحق للمخلوق على الخالق انتهى

وقال ابو العباس ابن تيمية رحمه الله في كتاب (اقتضاء الصراط المستقيم) لفظ التوسل بالشخص والتوجه به والسؤال به فيه اجمال واشتراك غلط بسببه من لم يفهم مقصود الصحابة فانه يراد به التسبب به لكونه داعيا وشافعاً مثلا أو لكون الداعي مجيباً له مطيعاً لأمره مقتديا به ، فيكون التسبب انما هو بمحبة السائل واتباعه له ، واما بدعاء الوسيلة وشفاعته ، ويراد به الاقسام به والتوسل بذاته ، فهذا هو الذي كرهوه ونهوا عنه ، وكذلك لفظ السؤال بشيء ، قد يراد به المعنى الاول وهو التسبب به لكونه سبباً في حصول المطلوب وقد يراد به الاقسام

ومن الاول حديث الثلاثة الذين أووا إلى غار وهو حديث مشهور في الصحيحين وغيرهما فان الصخرة انطبقت عليهم فقالوا ليدع كل رجل منكم بافضل

عمله » فدعوا الله بصالح أعمالهم، لان الاعمال الصالحة هي أعظم مايتوسل به العبد إلى الله ويتوجه به اليه ويسأل به ، وهؤلاء دعوه بعبادته ، وفعل ماأمر به من العمل الصالح ، وسؤاله والتضرع اليه

ومن هذا مايذكر عن الفضيل بن عياض انه أصابه عسر البول فقال: بحبي اياك إلا فرجت عني ، ففرج عنه . وكذلك المرأة المهاجرة التي أحيا الله ابنها لما قالت : اللهم اني آمنت بك وبرسولك وهاجرت في سبيلك ، وسألت الله أن يحيي ولدها ،وأمثال ذلك . وهذا كما قال المؤمنون (ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان أن آمنوا بربكم فآمنا، ربنا فاغفر لنا ذنوبنا) الآيات . من سؤال الله والتوسل اليه بامتثال أوامره واجتناب نواهيه .

وأما قوله في حديث أبي سعيد « أسألك بحق السائلين عليك وبحق ممشاي هذا » فهذا الحديث رواه عطية العوفي وفيه ضعف ، لكن بتقدير ثبوته هو من هـذا الباب ، فان حق السائلين عليه أن يجيبهم، وحق المطيعين له أن يثيبهم . فالسؤال له والطاعة سبب لحصول اجابته واثابته، فهو من التوسل به والتوجه به والتسبب به ، ولو قدر انه قسم لكان قسما بما هو من صفاته، فان إجابته وإثابته من أفعاله واقواله ، فصار هـذا كقوله في الحديث الصحيح « أعوذ برضاك من سخطك ، وبمعافاتك من عقوبتك ، واعوذ بك منك ،لاأحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك »

والاستعاذة لاتصح بمخلوق ، كما نص عليه الامام احمد وغيره من الأئمة ، فاستعاذ ﷺ بعفوه ومعافاته من عقوبته مع انه لايستعاذ بمخلوق كسؤال الله باجابته واثابته وان كان لايسأل المخلوق ، ومن قال من العلماء لايسأل إلا به لاينافي السؤال بصفاته كما ان الحلف لايشرع الا بالله ، ومن حلف بغير الله فقد أشرك ، ومع هذا فالحلف بعزة الله ولعمر الله ونحو ذلك مما ثبت عن النبي ﷺ

الحلف به لم يدخل في الحلف بغير الله

وأما قول بعض الناس : أسألك بالله وبالرحم ، وقراءة من قرأ (تساءلون به والارحام) فهو من باب التسبب بها ، فان الرحم توجب الصلة وتقتضي أن يصل الانسان به قرابته

فسؤال السائل بالرحم لغيره يتوسل اليه بما يوجب صلته من القرابة التي بينهما ، ليس هو من باب الاقسام ولا من باب التوسل بما لا يقتضي المطلوب ، وتوسل بما هو يقتضي المطلوب كالتوسل بدعاء الانبياء وبطاعتهم

ومن هذا الباب ما روى عن عبد الله بن جعفر انه قال : كنت اذا سألت علياً شيئاً فلم يعطنيه قلت له بحق جعفر إلا ما أعطيتنيه فيعطينيه ، او كما قال بعض الناس ظن فان هذا من باب الاقسام عليه بجعفر ومن باب قولهم : اسألك بحق انبيائك ونحو ذلك وليس كذلك بل جعفر هو أخو علي وعبد الله ابنه وله عليه حق الصلة ، فصلة عبد الله صلة لابيه جعفر كما في الحديث « ان من أبر البر ان يصل الرجل اهل ود ابيه بعد ان يولي »

ولو كان من هذا الباب الذي ظنوه لكان سؤاله لعلي بحق النبي ﷺ وابراهيم الخليل ونحوهما اولى من سؤاله بحق جعفر ، ولكان علي الى تعظيم رسول الله ﷺ ومحبته وإجابة السائل أسرع منه الى إجابة السائل بغيره انتهى ملخصاً

وأما قول القائل فقد اخرج الحاكم في مستدركه وصححه إن أدم توسل بالنبي ﷺ فهو من رواية عبد الرحمن بن زيد بن اسلم ، قال احمد بن حنبل ضعيف ، وقال ابن معين ليس حديثه بشيء ، وضعفه ابن المديني جداً ، وقال ابو داود : اولاد زيد بن اسلم كلهم ضعيف ، وقال النسائي ضعيف ، وقال ابن عبد الحكم سمعت الشافعي يقول ، ذكر رجل لمالك حديثا . فقال من حدثك ؟ فذكر اسناداً له منقطعا ، فقال اذهب الى عبد الرحمن بن زيد يحدثك عن ابيه

عن نوح عليه السلام ، وقال ابوزرعة ضعيف ، وقال ابو حاتم ليس بقوي في الحديث كان في نفسه صالحا وفي الحديث واهياً ، وقال ابن حبان كان يقلب الاخبار وهو لايعلم حتى كثر ذلك في روايته من رفع المراسيل واسناد الموقوف فاستحق الترك ، وقال ابن سعد : كان كثير الحديث ضعيفا جداً ؛ وقال ابن خزيمة: ليس هو ممن يحتج اهل العلم بحديثه ، وقال الحاكم وابو نعيم روى عن ابيه أحاديث موضوعة ، وقال ابن الجوزي أجمعوا على ضعفه ، فهذا الحديث الذي استدل به تفرد به عبد الرحمن بن زيد وهو كما تسمع

وقال الشيخ تقي الدين ابن تيمية رحمه الله في رده على ابن البكري وأماقول القائل قد توسل به الانبياء ، آدم وادريس ونوح وأيوب ، كما هو مذكور في كتب التفسير وغيرها فيقال مثل هذه اقصص لا يجوز الاحتجاج بها باجماع المسلمين فان الناس لهم في شرع من قبلنا قولان (أحدهما) انه ليس بحجة (الثاني) انه حجة مالم يأت شرعنا بخلافه بشرط أن يثبت ذلك بنقل معلوم كاخبار النبي ﷺ

فأما الاعتماد على اخبار أهل الكتاب أو نقل من نقل عنهم فهذا لايجوز باتفاق المسلمين لان في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال « اذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم »

وهذه القصص التي فيها ذكر توسل الانبياء بذاته ليست في شيء من كتب الحديث المتمدة ولا لها اسناد معروف عن أحد من الصحابة ، وانما تذكر مرسلة كما تذكر الاسرائيليات التي تروى عمن لايعرف

وقد بسط الكلام في غير هذا الموضع عما نقل في ذلك عن النبي ﷺ وتكلمنا عليه وبينا بطلان جميعه

ولو نقل ذلك عن كعب ووهب ومالك بن دينار ونحوهم ممن ينقل عن أهل الكتاب لم يجز ان يحتج به لان الواحد من هؤلاء ، وإن كان ثقة فغاية

ما عنده ان ينقل من كتاب من كتب أهل الكتاب او يسمعه من بعضهم فانه بينه وبين الانبياء زمن طويل ، والمرسل عن المجهول من أهل الكتاب الذي لا يعرف علمه وصدقه لا يقبل باتفاق المسلمين

ومراسيل أهل زماننا عن نبينا ﷺ لا تقبل عند علمائنا مع كون ديننا محفوظا محروسا فكيف بما يرسل عن آدم وادريس ونوح وأيوب عليهم السلام؟ والقرآن قد أخبر بادعية الانبياء وتوباتهم واستغفارهم وليس فيها شيء من هذا

وقد نقل ابو نعيم في الحلية ان داود عليه السلام قال « يارب أسألك بحق آبائي عليك . ابراهيم واسحاق ويعقوب. فقال ياداود وأي حق لآبائك علي ؟»

فإن كانت الاسرائيليات حجة ، فهذا يدل على انه لا يسئل بحق الانبياء ، وإن لم يكن حجة لم يجز الاحتجاج بتلك الاسرائيليات انتهى كلامه

وبين رحمه الله انه لا يصح في هذا شيء عن النبي ﷺ وان جميع ماروي في ذلك باطل لا أصل له.

* * *

وأما قوله : واما التوسل بالنبي ﷺ خاصة فقد رأيت لشيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب نقلا في جواز ذلك عن ابن عبد السلام فنقول

قد تقدم ان التوسل المشروع هو التوسل الى الله بالاسماء والصفات والتوحيد وكذلك التوسل بمحبة النبي ﷺ والايمان به وطاعته ، وكذلك التوسل بدعائه وشفاعته وهذا كله مشروع بلا ريب

وأما التوسل بنفس الذات فقد قدمنا ان أكثر العلماء نهوا عن ذلك وجعلوه من البدعة المكروهة المحدثة ، وبعضهم رخص في ذلك وهو قول ضعيف مردود والعز ابن عبد السلام أنكر التوسل الى الله بغير النبي ﷺ

وأما التوسل بالنبي ﷺ فعلق القول بجوازه على صحة حديث الاعمى

لانه فهم من الحديث ان الاعمى توسل بذات النبي ﷺ وأما الجمهور فحملوا حديث الاعمى على انه توسل بدعاء النبي ﷺ كما كان الصحابة يتوسلون به في الاستسقاء، كما في حديث أنس الذي رواه البخاري في صحيحه، وقد تقدم(١)

وشيخنا رحمه الله نقل كلام العز بن عبد السلام ليبين ان مسئلة التوسل بغير النبي ﷺ بدعة مكروهة وأما التوسل بالنبي ﷺ فأجازه بعض العلماء كالعز بن عبد السلام

والسائل فهم من نقل الشيخ انه اختاره، وليس الامر كذلك بل اختياره رحمه الله هو ما ذهب اليه الجمهور: ان ذلك بدعة محدثة لم يفعلها الصحابة ولا التابعون فانه لم ينقل عن أحد منهم انه توسل بالنبي ﷺ بعد موته كما قدمناه

واما قوله: واما التوسل بغير الانبياء فيوردون أن عمر توسل بالعباس في الاستسقاء، فقد تقدم بيانه بما فيه كفاية

وبيان ان التوسل بدعاء الصالحين في الاستسقاء وغيره مشروع كما فعله الصحابة لما توسلوا بالعباس ويزيد بن الاسود وليس كلامنا في هذا، وانما الكلام في التوسل بنفس الذات

وأما قولهم في حديث العباس فطفق الناس يتمسحون به، فلم نقف لها على اصل ولا رأيناها في شيء من الكتب، وعلى تقدير ثبوتها فليس فيها حجة على التوسل بالاموات

---

(١) جملة القول في حديث الاعمى ان له وجها موافقا للعقائد والقواعد وهو طلب الدعاء والتشفع به، فيؤخذ به، ووجها مخالفا لها فلا يجوز الاخذ به لشذوذه مع مخالفته فانه لم يرد شيء في معناه عن احد من الصحابة ورواية الشاذ كهذا لا يحتج بها مطلقا فكيف اذا كانت في مسألة تعبدية تمس العقيدة ـ فهذه لا تثبت الا بنص قطعي الرواية والدلالة معا

فصل

واما قوله ان سلمنا هذا القول وظهر دليله فالجاهل معذور لانه لم يدر الشرك والكفر ، ومن مات قبل البيان فليس بكافر ، وحكمه حكم المسلمين في الدنيا والآخرة لان قصة ذات أنواط وبني إسرائيل حين جاوزوا البحر تدل على ذلك إلى آخره

(فالجواب) أن يقال ان الله تعالى أرسل الرسل (مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) فكل من بلغه القرآن ودعوة الرسول ﷺ فقد قامت عليه الحجة قال الله تعالى (لانذركم به ومن بلغ) وقال تعالى (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا)

وقد اجمع العلماء على أن من بلغته دعوة الرسول ﷺ ان حجة الله قائمة عليه . ومعلوم بالاضطرار من الدين ان الله سبحانه بعث محمداً ﷺ وأنزل عليه الكتاب ليعبد وحده ولا يشرك معه غيره فلا يدعى الا هو ولا يذبح إلا له ، ولا ينذر الا له ، ولا يتوكل الا عليه ، ولا يخاف خوف السر الا منه ، والقرآن مملوء من هذا. قال الله تعالى (وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا)وقال (له دعوة الحق) الآية وقال (ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك)وقال (فصل لربك وانحر) ـ وقال (وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين) وقال (فاعبده وتوكل عليه) وقال (فاياي فارهبون) وقال (وخافون ان كنتم مؤمنين) وقال (ولم يخش الا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين) والآيات الواردة في هذا المعنى كثيرة ، والله سبحانه لا يعذب خلقه الا بعد الاعذار اليهم، فأرسل رسله وأنزل كتبه لئلا يقولوا (لولا أرسلت الينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين) وقال تعالى (ولو انا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت الينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى)

فكل من بلغه القرآن فليس بمعذور ، فان الاصول الكبار التي هي أصل دين الاسلام قد بينها الله في كتابه ووضحها وأقام بها الحجة على عباده ، وليس المراد بقيام الحجة ان يفهمها الانسان فهما جلياً كما يفهمها من هداه الله ووفقه وانقاد لامره (١) فان الكفار قد قامت عليهم حجة الله مع اخباره بانه جعل على قلوبهم أكنة أن يفهموا كلامه ، فقال (وجعلنا على قلوبهم اكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا) وقال (قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى) وقال تعالى (انهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ويحسبون انهم مهتدون) وقال تعالى (قل هل ننبئكم بالاخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا) والآيات في هذا المعنى كثيرة . يخبر سبحانه انهم لم يفهموا القرآن ولم يفقهوه ، وانه عاقبهم بجعل

(١) هذا القيد الذي قيد الشيخ به الفهم هنا قد أزال اللبس الذي يتبادر الى الذهن من بعض اطلاقاته في مواضع أخرى واتبعه فيه بعض علماء نجد فصار بعضهم يقول بأن الحجة تقوم على الناس ببلوغ القرآن وان لم يفهمه من بلغه مطلقا . وهذا لا يعقل ولا يتفق مع قوله تعالى (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى) الآية الذي بنى عليه المحققون قولهم ان فهم الدعوة بدليلها شرط لقيام الحجة . وقد علمنا من هذا القيد ان الفهم الذي لا يشترطه الشيخ هو فقه نصوص القرآن المؤثر في النفس الحامل لها على ترك الباطل كما يفقهها من اهتدى بها . ففهم التفقه في الحقيقة أخص من فهم المعنى اللغوي كما يدل عليه استعمال القرآن وحديث « من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين » متفق عليه وفي رواية حسنة زيادة « ويلهمه رشده » والمشركون الذين شبههم الله بالصم البكم المختوم على قلوبهم والمطبوع عليها والمجعول عليها الاكنة كلهم قد فهموا مدلول آيات القرآن في التوحيد والبعث والرسالة لانهم أهل اللغة وقد أنزلت بأفصح أساليبها ولكنهم لم يهتدوا بها لثلاثة أسباب (أحدها) العناد من الرؤساء (ثانيها) التقليد من الدهماء (ثالثها) الشبهات على الاصول الثلاثة كزعمهم ان دعاء غير الله لا يضر إذا كان بقصد التقريب اليه تعالى والشفاعة عنده . وان الرسول بشر مثلهم فلا يعقل أن يكون رسولا من الله وانه تعالى لو أراد أن يبعث رسولا لبعث ملكا او لأيده بملك يكون معه نذيراً . وان البعث لا يعقل

الا كنة على قلوبهم والوقر في آذانهم وانه ختم على قلوبهم وأسماعهم وأبصارهم(١) فلم يعذرهم مع هذا كله بل حكم بكفرهم وأمر بقتالهم. فقاتلهم رسول الله ﷺ وحكم بكفرهم. فهذا يبين لك أن بلوغ الحجة نوع، وفهمها نوع آخر(٢)

وقد سئل شيخنا رحمه الله تعالى عن هذه المسئلة فأجاب السائل بقوله

هذا من العجب العجاب، كيف تشكون في هذا، وقد وضحته لكم مراراً؟

فان الذي لم تقم عليه الحجة هو الحديث العهد بالاسلام، والذي نشأ ببادية بعيدة او يكون ذلك في مسئلة خفية مثل الصرف والعطف فلا يكفر حتى يعرف

وأما أصول الدين التي وضحها الله وأحكمها في كتابه، فان حجة الله هي القرآن، فمن بلغه فقد بلغته الحجة، ولكن أصل الاشكال انكم لم تفرقوا بين قيام الحجة وفهم الحجة فان اكثر الكفار والمنافقين لم يفهموا حجة الله مع قيامها عليهم كما قال تعالى (أم تحسب ان أكثرهم يسمعون او يعقلون انهم الا كالانعام بل هم أضل سبيلا) وقيام الحجة وبلوغها نوع وفهمها نوع آخر، وكفرهم الله ببلوغها إياهم مع كونهم لم يفهموها (٢)

وان اشكل عليكم ذلك فانظروا قوله ﷺ في الخوارج «أينما لقيتموهم فاقتلوهم» مع كونهم في عصر الصحابة، ويحقر الانسان عمل الصحابة معهم، ومع اجماع الناس فان الذي أخرجهم من الدين هو التشديد والغلو والاجتهاد، وهم يظنون أنهم يطيعون الله، وقد بلغتهم الحجة، ولكن لم يفهموها(٣)

---

(١) هذه التمثيلات بيان بليغ لاستحواذ الكفر عليهم وعدم رجوعهم عنه وهو سبب العقاب لاعينه

(٢) أي فهمها على الوجه المؤثر في حصول الهدى لافهم الخطاب والمعنى اللغوي كما تقدم

(٣) مسألة الخوارج ليست في أصول الدين الاعتقادية بل هي في مسائل عملية وقد اختلف السلف في عذرهم بالاجتهاد فيها وعدمه، والامام علي وأصحابه لم يكفروهم بل قاتلوهم بخروجهم عليهم، وعن أحمد وشيخ الاسلام ابن تيمية يرجحان عدم التكفير

وكذلك قتل علي رضي الله عنه الذين اعتقدوا فيه الالهية، وتحريقهم بالنار مع كونهم تلاميذ الصحابة ، ومع عبادتهم وصلاحهم ، وهم أيضاً يظنون انهم على حق

وكذلك إجماع السلف على تكفير أناس من غلاة القدرية وغيرهم، مع كثرة علمهم وشدة عبادتهم ، وكونهم يظنون انهم يحسنون صنعاً ، ولم يتوقف أحد من السلف في تكفيرهم لاجل انهم لم يفهموا ، فان هؤلاء كلهم لم يفهموا اه كلامه رحمه الله

*
* *

إذا تقرر هذا فنقول : هؤلاء الذين ماتوا قبل ظهور هذه الدعوة الاسلامية، وظاهر حالهم الشرك بالله لا نتعرض لهم ، ولا نحكم بكفرهم ولا باسلامهم ، بل نقول : من بلغته هذه الدعوة المحمدية فان انقاد لها ووحد الله وعبده وحده لا شريك له ، والتزم شرائع الاسلام ، وعمل بما أمره الله به ، وتجنب ما نهاه عنه فهذا من المسلمين الموعودين بالجنة في كل زمان ، وفي كل مكان

وأما من كانت حاله حال أهل الجاهلية لا يعرف التوحيد الذي بعث الله به رسله يدعو اليه ، ولا الشرك الذي بعث الله رسوله ينهى عنه ويقاتل عليه ، فهذا لا يقال انه مسلم لجهله بل من كان ظاهر عمله الشرك بالله فظاهره الكفر فلا يستغفر له ، ولا يتصدق عنه ، ونكل حاله إلى الله الذي يبلو السرائر ويعلم ما تخفي الصدور ، ولا نقول فلان مات كافرا ، لأنا نفرق بين المعين وغيره ، فلا نحكم على معين بكفر لأنا لا نعلم حقيقة حاله وباطن أمره ، بل ذلك إلى الله ، ولا نسب الاموات بل نقول أفضوا إلى ما قدموا . وليس هذا من الدين الذي أمرنا الله به، بل الذي أمرنا به أن نعبد الله ولا نشرك به ، ونقاتل من نكل عن ذلك بعد ما ندعوه إلى ما دعاه اليه رسول الله ﷺ ، فاذا أصر وعاند كفرناه وقاتلناه

فينبغي للطالب أن يفهم الفرق بين المعين وغيره فنكفر من دان بغير الاسلام جملة ولا نحكم على معين بالنار، ونلعن الظالمين جملة ولا نخص معيناً بلعنة كما قد ورد في الاحاديث من لعن السارق وشارب الخمر ، فنلعن من لعنه رسول الله ﷺ

جملة ولا نخص شخصاً باللعنة

يبين ذلك أن رسول الله ﷺ لعن شارب الخمر جملة ، ولما جلد رجلا قد شرب الخمر قال رجل من القوم اللهم العنه ، ما أكثر ما يؤتى به إلى النبي ﷺ فقال النبي ﷺ «لا تلعنوه فوالله ما علمت إلا انه يحب الله ورسوله »

فصل

وأما قوله (ومنها أن كثيرا من العلماء الكبار فعلوا هذا الامر وفعلت بحضرتهم ولم ينكروا . من ذلك تتابعهم على بناء القباب على القبور واتخاذها أعيادا في الغالب ، فلكل شيخ يوم معروف في شهر معلوم ، يؤتى اليه من النواحي ، وقد يحضر بعض العلماء ولا ينكر)

(فالجواب) من وجوه (الوجه الاول) أن يقال قد افترض الله على العلماء طاعة رسوله ﷺ ، وأخبر أن من أطاعه فقد أطاع الله فقال تعالى (من يطع الرسول فقد أطاع الله) وقال (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) وقال (وإن تطيعوه تهتدوا)وقال (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) وقال (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم ، فان تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، ذلك خير وأحسن تأويلا)

فاذا اختلف الناس في شيء من امور الدين هل هو واجب أو محرم او جائز وجب رد ما وقع فيه النزاع والاختلاف إلى الله والرسول ، ويجب على المؤمن إذا دعي إلى ذلك أن يقول: سمعا وطاعة ، قال تعالى (انما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا)

فنحن نحاكم من نازعنا في هذه المسئلة وغيرها من المسائل إلى الله والرسول لا إلى أقوال الرجال وآرائهم

فنقول لمن اجاز بناء القباب على القبور بالجص والآجر وأسرجها وفرشها بالرخام وعلق عليها القناديل الفضة وبيض النعام ، وكساها كما يكسى بيت الله الحرام ، هل أمر رسول الله ﷺ بهذا وحث عليه أم نهى عنه وأمر بازالة ما وضع من ذلك عليه ؟ فما أمرنا به ائتمرنا ، وما نهانا عنه انتهينا ، وسنته هي الحاكمة بيننا وبين خصومنا في محل النزاع

فنقول قد ثبت في صحيح مسلم عن أبي الهياج الاسدي قال قال لي علي بن أبي طالب رضي الله عنه « ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ أن لا أدع تمثالا إلا طمسته ، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته »

وفي صحيحه أيضاً عن ثمامة بن شفي الهمداني قال كنا مع فضالة بن عبيد بأرض الروم ، فتوفي صاحب لنا ، فأمر فضالة بن عبيد بقبره فسوي ، ثم قال سمعت رسول الله ﷺ يأمر بتسويتها .

وفي صحيحه ايضا عن جابر بن عبد الله قال « نهى رسول الله ﷺ عن تجصيص القبر ، وأن يقعد عليه ، وأن يبنى عليه »

وروى أبوداود في سننه والترمذي عن جابر ان رسول الله ﷺ « نهى ان تجصص القبور وأن يكتب عليها » قال الترمذي حديث حسن صحيح

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال « لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج » رواه الامام احمد وأهل السنن

فنهى رسول الله ﷺ عن البناء عليها وأمر بهدمه بعد ما بني ونهى عن الكتابة عليها ولعن من أسرجها ، فنحن نأمر بما امر به رسول الله ﷺ من تسويتها ، وننهى عن البناء عليها كما نهى عنه رسول الله ﷺ ، فهو الذي افترض الله علينا طاعته واتباعه ، وأما غيره فيؤخذ من قوله ويترك كما قال الامام مالك «كل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ »

وقال الامام احمد «لا تقلد في دينك أحداً ، ماجاء عن النبي ﷺ وعن اصحابه فخذه ، ثم التابعين بعد فالرجل فيهم مخير » وقال ايضاً « لا تقلدوني ولا تقلدوا مالكا ولا الثوري ولا الاوزاعي وخذ من حيث اخذوا »

والعجب ممن يسمع هذه الاحاديث عن رسول الله ﷺ في النهي عن تعظيم القبور وعقد القباب عليها بالجص والآجر وإسراجها ولعن من اسرجها ثم يقول: فعلت هذه الامور بحضرة العلماء الكبار ولم ينكروا . كأنه لم يسمع ماجاء عن رسول الله ﷺ في ذلك . قال ابن عباس رضي الله عنهما «يوشك ان تنزل عليكم حجارة من السماء » اقول قال رسول الله ﷺ وتقولون قال ابو بكر وعمر ؟

وقال الامام احمد: عجبت لقوم عرفوا الاسناد وصحته يذهبون إلى رأي سفيان ، والله تعالى يقول (فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم) أتدري ما الفتنة ؟ الفتنة الشرك ، لعله إذا رد بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك

فاذا كان هذا كلام ابن عباس فيمن عارض السنة بقول ابي بكر وعمر ، وكلام أحمد فيمن ذهب إلى رأي سفيان فكيف بمن عارض السنة بقول فلان وفلتان وقد روى البيهقي عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ « إن اشد ما اتخوف على امتي ثلاث :زلة عالم ،وجدال منافق بالقرآن، ودنيا تقطع اعناق الرجال »

ومن المعلوم ان المخوف في زلة العالم تقليده فيها إذ لولا ذلك لم يخف من زلة العالم على غيره . فاذا عرف انها زلة لم يجز له ان يتبعه فيها باتفاق العلماء فانه اتباع للخطأ على عمد . وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه «يفسد الزمان ثلاثة: ائمة مضلون وجدال منافق بالقرآن ـ والقرآن حق ـ وزلة العالم»

فاذا صح وثبت ان العالم يزل ويخطيء لم يجز لأحد أن يفتي ويدين الله بقول لا يعرف وجهه ،فكيف إذا عارض بقوله او فعله قول رسول الله ﷺ او فعله ؟

(الوجه الثاني) ان يقال: إذا لم تقنع نفسك، ولم يطمئن قلبك بما جاء عن رسول الله ﷺ وقلت : العلماء اعلم منا بالسنة وأطوع لله تعالى ولرسوله ﷺ فنقول: أعلم الناس بما امر به رسول الله ﷺ وما نهى عنه اصحابه رضي الله عنهم فهم أعلم الناس بسنته ، وأطوعهم لأمره ، وهم الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه ورضي عمن اتبعهم باحسان

وفي حديث العرباض بن سارية عن رسول الله ﷺ انه قال « عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي ، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الامور، فان كل بدعة ضلالة »

وفي الصحيح عنه ﷺ انه قال « خير القرون قرني الذين بعثت فيهم، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم» وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه «من كان منكم مستناً فليستن بمن قد مات ، فان الحي لا تؤمن عليه الفتنة ، أولئك اصحاب محمد ﷺ أبر هذه الامة قلوبا، وأعمقها علماً ، وأقلها تكلفا ، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه ، وإقامة دينه ، فاعرفوا لهم حقهم ، وتمسكوا بهديهم ، فانهم كانوا على الصراط المستقيم »

وقال حذيفة بن اليمان رضي الله تعالى عنه «يامعشر القراء استقيموا وخذوا طريق من قبلكم ، فوالله لقد سبقتم سبقاً بعيداً ، ولئن اخذتم يميناً وشمالا لقد ضللتم ضلالا بعيداً »

فاذا احتج احد علينا بما عليه المتأخرون ، قلنا الحجة بما عليه الصحابة والتابعون الذين هم خير القرون، لا بما عليه الخلف الذين يقولون ما لا يفعلون ، ويفعلون ما لا يؤمرون ، فهؤلاء اصحاب رسول الله ﷺ، هل نقل عنهم انهم عقدوا القباب على القبور أو اسرجوها أوخلقوها أو كسوها الحرير، أم هذا مما حدث بعدهم من المحدثات التي هي بدع وضلالات ؟

ومعلوم ان عندهم من قبور الصحابة الذين ماتوا في حياة رسول الله ﷺ وبعد وفاته مالا يحصى ، هل بنوا على قبورهم وعظموها ودعوا عندها وتمسحوا بها ،فضلا عن أن يسألوها حوائجهم ويسألوا الله بأصحابها ، فمن كان عنده في هذا أثر صحيح أو حسن ، فليرشدنا اليه وليدلنا عليه ، وأنى له بذلك ؟ فهذه سنة رسول الله ﷺ في القبور وسنة خلفائه الراشدين

وقد روى خالد بن سنان عن أبي العالية قال: لما فتحنا تستر (١) وجد في بيت مال الهرمز ان سرير عليه رجل ميت عند رأسه مصحف فأخذنا المصحف فحملناه الى عمر بن الخطاب فدعا له كعباً فنسخه بالعربية . فأنا أول رجل من العرب قرأته مثل ما أقرأ القرآن . قال خالد : فقلت لابي العالية ، ما كان فيه ؟ قال :سيرتكم وأموركم ولحون كلامكم وما هو كائن بعد .قلت: فما صنعتم بالرجل؟ قال حفرنا بالنهار ثلاثة عشر قبراً متفرقة ، فلما كان بالليل دفناه وساوينا القبور كلها مع الارض لنعميه عن الناس لاينبشونه . فقلت وما يرجون منه ؟ قال كانت السماء اذا حبست عنهم أبرزوا السرير فيمطرون . فقلت من كنتم تظنون الرجل؟ قال رجل يقال له دانيال . فقلت منذ كم وجدتموه مات ؟ قال منذ ثلاثمائة سنة . قلت ما كان تغير منه شيء ؟ قال لا إلا شعرات من قفاه ، ان لحوم الانبياء لاتبليها الارض ولا تأكلها السباع .

في هذه القصة مافعله المهاجرون والانصار من تعمية قبره لئلا يفتتن به الناس ولم يذروه للدعاء عنده والتبرك به ، ولو ظفر به هؤلاء المشركون وعلموا حقيقته لبنوا عليه وعظموه وزخرفوا قبره وأسرجوه وجعلوه وثنا يعبد ، فانهم قد اتخذوا من القبور أوثانا من لايداني هذا ولا يقاربه ، بل لعله عدو لله وأقاموا لها سدنة وجعلوها معابد واعتقدوا ان للصلاة عندها والدعاء حولها والتبرك بها

(١) بلد بالعراق العجمي

فضيلة مخصوصة ليست في المساجد ، ولو كان الامر كما زعموا ، بل لو كان مباحا لنصب المهاجرون والانصار هذا القبر علماً ولما أخفوه خشية الفتنة به ، بل لدعوا عنده وبينوه لمن بعدهم ، ولكن كانوا أعلم بالله ورسوله ودينه من هؤلاء الخلوف الذين أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات اوصرفوا لغير الله أجل العبادات .

وما أحسن ماقال الامام مالك رحمه الله تعالى « لن يصلح آخر هذه الامة إلا ما أصلح أولها » ولكن كلما نقص تمسكهم بسنة نبيهم ﷺ وهديه وسنة خلفائه الراشدين ، تعوضوا عن ذلك بما أحدثوه من البدع والشرك . ومن له خبرة بما أمر به رسول الله ﷺ عند زيارة القبور وما يفعل بها وبما يفعل عندها وبما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم ، ثم وازن بين هديه ﷺ وهدي أصحابه وبين ماعليه المتأخرون اليوم وما يفعلونه عند القبور ، تبين له مابينهما من التباين والتضاد وعلم ان بينهما من الفرق أبعد مما بين المشرق والمغرب كما قيل :

سارت مشرقة وسرت مغربا   شتان مابين مشرق ومغرب

(الوجه الثالث) أن يقال : قوله ، ان كثيراً من العلماء فعلوا هذه الامور وفعلت بحضرتهم فلم ينكروا من ذلك تتابعهم على بناء القباب على القبور .

فيقال : بل قد نهوا عن ذلك وصرحوا بكراهته والنهي عنه ، وهذه كتبهم بايدينا مصرحة بما ذكرنا ، ونحن نسوق عباراتهم بألفاظها

فأما كلام الحنابلة فقال في الاقناع ، ويستحب رفع القبر قدر شبر ويكره فوقه ، ويكره البناء عليه سواء لاصق البناء الارض أو لا ، ولو في ملكه ، من قبة أو غيرها للنهي عن ذلك . وقال ابن القيم رحمه الله تعالى في اغاثة اللهفان ، ويجب هدم القباب التي على القبور لانها أسست على معصية الرسول انتهى ، وهو في المسئلة أشد تحريما قال الشيخ هو غاصب ، وقال أبوحفص تحرم الحجرة بل تهدم

وهو الصواب. انتهى كلامه في الاقناع، هذا والذي ذكره ذكره غير واحد من أئمة الحنابلة فلا حاجة الى الاطالة بنقل عباراتهم

وأما كلام الشافعية فقال الاذرعي رحمه الله في قوت المحتاج الى شرح المنهاج عند قول المؤلف - ويكره تجصيص القبر والبناء والكتابة عليه، ثبت في صحيح مسلم النهي عن التجصيص والبناء، وفي الترمذي وغيره النهي عن الكتابة، وعبارة الحلوانية ممنوع منهما. وعبارة القاضي بن كج ولا يجوز أن تجصص القبور ولا أن يبنى عليها قباب ولا غير قباب والوصية بها باطلة

وقال ابو يعلى الموصلي في مسنده حدثنا ابو بكر بن ابي شيبة حدثنا زيد بن الحباب حدثنا جعفر بن ابراهيم من ولد ذي الجناحين حدثنا علي بن الحسين انه رأى رجلا يجيء الى فرجة كانت عند قبر النبي ﷺ فيدخل فيها فيدعو فنهاه فقال: ألا أحدثكم بحديث سمعته من أبي عن جدي عن رسول الله ﷺ قال «لا تتخذوا قبري عيداً، ولا بيوتكم قبوراً، وسلموا علي، فان تسليمكم يبلغني أينما كنتم» رواه ابو عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي في مختاراته التي اختارها من الاحاديث الجياد الزائدة على الصحيحين

وقال سعيد بن منصور في السنن: حدثنا حبان بن علي حدثني محمد بن عجلان عن ابي سعيد مولى المهري قال: قال رسول الله ﷺ «لا تتخذوا بيتي عيداً ولا بيوتكم قبوراً، وصلوا علي حيثما كنتم فان صلاتكم تبلغني»

وقال سعيد حدثنا عبد العزيز بن محمد اخبرني سهيل بن أبي سهيل قال: رآني الحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب عند القبر فناداني - وهو في بيت فاطمة يتعشى - فقال هلمَّ إلى العشاء، فقلت لا أريده، فقال مالي رأيتك عند القبر؟ فقلت سلمت على النبي ﷺ فقال اذا دخلت المسجد فسلم ثم قال إن رسول الله ﷺ قال «لا تتخذوا قبري عيداً، ولا تتخذوا بيوتكم مقابر، لعن الله اليهود

والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ، وصلوا عليَّ فان صلاتكم تبلغني حيثما كنتم ماأنتم ومن بالاندلس إلا سواء »

فهذان المرسلان من هذين الوجهين المختلفين يدلان على ثبوت الحديث ، لاسيما وقد احتج به من أرسله وذلك يقتضي ثبوته عنده هذا لو لم يكن روي مسنداً من وجوه غير هذا فكيف وقد تقدم مسنداً ؟

ووجه الدلالة منه ان قبر رسول الله ﷺ أفضل قبر على وجه الارض ، وقد نهى عن اتخاذه عيداً فقبر غيره أولى بالنهي كائنا من كان، ثم انه قرن ذلك بقوله « ولا تتخذوا بيوتكم قبوراً » أي لا تعطلوها من الصلاة فيها والدعاء والقراءة ، فتكون بمنزلة القبور ، فأمر بتحري النافلة في البيوت ونهى عن تحري العبادة عند القبور. وهذا ضد ماعليه المشركون

ثم انه عقب النهي عن اتخاذها عيداً بقوله « وصلوا علي حيثما كنتم فان صلاتكم تبلغني » يشير بذلك إلى ان ماينالني منكم من الصلاة والسلام يحصل مع قربكم من قبري وبعدكم .فلا حاجة إلى اتخاذه عيداً

وقد حرف هذه الاحاديث بعض من أخذ شبها من النصارى بالشرك ، وشبها من اليهود بالتحريف فقال هذا أمر بملازمة قبره ،والعكوف عنده واعتياد قصده وانتيابه ، ونهى أن يجعل كالعيد الذي انما يكون من الحول الى الحول بل اقصدوه كل ساعة وكل وقت . وهذا مراغمة ومحادة ومناقضة لما قصده الرسول ﷺ وقلب للحقائق ، ونسبة الرسول ﷺ إلى التدليس والتلبيس والتناقض فقاتل الله أهل الباطل أنى يؤفكون

ولا ريب أن ارتكاب كل كبيرة بعد الشرك أسهل اثماً وأخف عقوبة من تعاطي مثل ذلك في دينه وسنته ، وهكذا غيرت أديان الرسل ، ولولا ان الله أقام لدينه أنصاراً وأعواناً يذبون عنه لجرى عليه ماجرى على الاديان قبله ، ولو

أراد رسول الله ﷺ ماقاله هؤلاء الضلال لم ينه عن اتخاذ قبور الانبياء مساجد ويلعن فاعل ذلك، فانه اذا لعن من اتخذها مساجد يعبد الله فيها فكيف يأمر بملازمتها والعكوف عندها، وأن يعتاد قصدها وانتيابها، ولا تجعل كالعيد الذي يجيء من الحول الى الحول، وكيف يسأل ربه أن لا يجعل قبره وثنا يعبد؟ وكيف يقول أعلم الخلق بذلك «ولولا ذلك لأبرز قبره ولكن خشي أن يتخذ مسجداً» وكيف يقول «لا تجعلوا قبري عيداً، وصلوا علي حيثما كنتم؟»

وكيف لم يفهم أصحابه وأهل بيته من ذلك مافهمه هؤلاء الضلال الذين جمعوا بين الشرك والتحريف

وهذا أفضل التابعين من أهل بيته علي بن الحسين رضي الله عنه نهى ذلك الرجل أن يتحرى الدعاء عند قبره ﷺ بالحديث، وهو الذي رواه وسمعه من أبيه الحسين عن جده علي رضي الله عنه وهو أعلم بمعناه من هؤلاء الضلال

وكذلك ابن عمه الحسن بن الحسن شيخ أهل بيته كره ان يقصد الرجل القبر اذا لم يرد المسجد ورأى ان ذلك من اتخاذه عيداً

فانظر إلى هذه السنة كيف مخرجها من أهل البيت وأهل البيت الذين لهم من رسول الله ﷺ قرب نسبي وقرب الدار، لانهم إلى ذلك أحوج من غيرهم، وكانوا له أضبط

والعيد اذا جعل اسما للمكان فهو المكان الذي يقصد الاجتماع فيه وانتيابه للعبادة عنده أو لغير العبادة كما ان المسجد الحرام ومزدلفة وعرفة جعلها الله عيداً مثابة للناس يجتمعون فيها وينتابونها للدعاء والذكر والنسك، وكان المشركون لهم أمكنة ينتابونها للاجتماع عندها فلما جاء الاسلام محا ذلك كله

فصل

واعلم ان في اتخاذ القبور أعياداً من المفاسد العظيمة التي لايعلمها إلا الله مايغضب لاجله كل من في قلبه وقار لله وغيرة على التوحيد ، فمن ذلك الصلاة اليها والطواف بها ، وتقبيلها واستلامها ، وتعفير الخدود على ترابها ، والاستغاثة باصحابها وسؤالهم الرزق والنصر والعافية وقضاء الديون ، وتفريج الكربات واغاثة اللهفات وغير ذلك من أنواع الطلبات، التي كان عباد الاصنام يسئلونها أوثانهم وهذا هو عين الشرك الا كبر الذي بعث الله رسوله ينهى عنه ويقاتل اهله ، ومن مات عليه كان من أهل النار ـ عياذاً بالله من ذلك.

وكان مبدأ هذا الداء العظيم في قوم نوح لما غلوا في الصالحين كما أخبر الله عنهم في كتابه حيث قال (وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسرا)

قال ابن جرير: وكان من خبر هؤلاء ماحدثناه ابن حميد حدثنامهران عن سفيان عن موسى عن محمد بن قيس: أن يغوث ويعوق ونسرا كانوا قوماصالحين من بني آدم وكان لهم اتباع يقتدون بهم ، فلما ماتوا قال أصحابهم الذين يقتدون بهم لو صورناهم كان أشوق لنا إلى العبادة اذا ذكرناهم، فصوروهم. فلماماتوا وجاء آخرون دب اليهم ابليس فقال: انما كانوا يعبدونهم و بهم يسقون المطر فعبدوهم

وقال غير واحد من السلف كان هؤلاء قوما صالحين في قوم نوح فلماماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم ثم طال عليهم الامد فعبدوهم فهؤلاء جمعوا بين الفتنتين فتنة القبور وفتنة التماثيل وهما الفتنتان اللتان أشار اليهما النبي ﷺ لما ذكرت له أم سلمة كنيسة رأتها بارض الحبشة وما فيها من الصور فقال «اولئك إذا مات فيهم العبد الصالح او الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصور ، اولئك شرار الخلق عند الله » وهذا كان سبب عبادة اللات فروى

ابن جرير باسناده عن منصور عن مجاهد(أفرأيتم اللات والعزى ؟)قال كان يلت السويق للحاج فمات فعكفوا على قبره

وكذلك قال ابو الجوزاء عن ابن عباس كان يلت السويق للحاج

فقد رأيت ان سبب عبادة يغوث ويعوق ونسرا واللات انما كان سبب تعظيم قبورهم ثم اتخذوا لها تماثيل ثم عبدوها

قال ابو العباس ابن تيمية قدس الله روحه. وهذه العلة التي لاجلها نهى الشارع عن اتخاذ المسجد على القبور هي التي أوقعت كثيراً من الامم . اما في الشرك الاكبر او فيما دونه من الشرك، فان الشرك بغير الرجل الذي يعتقد صلاحه أقرب إلى النفوس من الشرك بخشبة أوحجر ، ولهذا تجد أهل الشرك كثيراً يتضرعون عندها ويخشونها ويعبدونها بقلوبهم عبادة لايفعلونها في بيوت الله ولا وقت السحر ومنهم من يسجد لها ، وأكثرهم يرجون من بركة الصلاة عندها مالايرجون في المساجد، فلاجل هذه المفسدة حسم النبي ﷺ مادتها حتى نهى عن الصلاة وقت طلوع الشمس ، وان لم يقصد ماقصده المشركون سداً للذريعة قال واما ان قصد الرجل بالصلاة عند القبر تبركا بالصلاة في تلك البقعة فهذا عين المحادة لله ورسوله والمخالفة لدينه ، وابتداع دين لم يأذن به الله ، فان المسلمين قد أجمعوا على ان الصلاة عند القبور منهي عنها ، وانه لعن من اتخذها مساجد

فمن أعظم المحدثات وأسباب الشرك الصلاة عندها واتخاذها مساجد، وبناء المساجد عليها ، وقد تواترت النصوص عن النبي ﷺ بالنهي عن ذلك والتغليظ فيه بل نهى عن ذلك في آخر حياته، ثم انه لعن وهو في السياق(١) من فعل ذلك من اهل الكتاب ليحذر أمته أن يفعلوا ذلك

قالت عائشة رضي الله عنها : قال رسول الله ﷺ في مرضه الذي لم يقم

(١) أي وهو يعالج سكرات الموت

منه « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » ولولا ذلك لابرز قبره غير انه خشي أن يتخذ مسجدا متفق عليه، وقولها خشي هو بضم الخاء المعجمة تعليلا لمنع ابراز قبره

وأبلغ من هذا أنه نهى عن الصلاة إلى القبر فلا يكون القبر بين المصلي وبين القبلة فروى مسلم في صحيحه عن ابي مرثد الغنوي ان رسول الله ﷺ قال « لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا اليها » وفي هذا ابطال قول من زعم ان النهي عن الصلاة فيها لاجل النجاسة ، فهذا أبعد شيء عن مقاصد الرسول ﷺ وهو باطل من عدة أوجه . منها ان الاحاديث كلها ليس فيها فرق بين المقبرة الحديثة والمنبوشة، كما يقوله المعللون بالنجاسة ، ومنها انه ﷺ لعن اليهود والنصارى على اتخاذ قبور أنبيائهم مساجد

ومعلوم قطعاً ان هذا ليس لاجل النجاسة لان قبور الانبياء من أطهر البقاع وليس للنجاسة عليها طريق، فان الله حرم على الارض أن تاكل أجسادهم، فهم في قبورهم طريون ، ومنها انه نهي عن الصلاة اليها ، ومنها انه أخبر ان الارض كلها مسجد الا المقبرة والحمام. ولو كان ذلك لاجل النجاسة لكان ذكر الحشوش والمجازر أولى من ذكر القبور ، ومنها انه لعن المتخذين عليها المساجد والسرج ولو كان ذلك لاجل النجاسة لامكن أن يتخذ عليها المسجد مع تطيينها بطين طاهر . وهذا باطل قطعا

وبالجملة فمن له معرفة بالشرك وأسبابه وفهم عن الرسول مقاصده جزم جزما لا يحتمل النقيض ان هذه المبالغة واللعن والنهي ليس لاجل النجاسة بل هو لاجل الشرك ، فان هذا وامثاله منه ﷺ صيان لحمى التوحيد فأبى المشركون الا معصية لامره وارتكابا لنهيه ، ومن جمع بين سنة رسول الله ﷺ في القبور وما أمر به وما نهى عنه وبين ما عليه اكثر الناس اليوم رأى أحدهما مضاداً للآخر

مناقضا له، فانه نهى عن الصلاة اليها ، وهؤلاء يصلون عندها، ونهى عن اتخاذها مساجد ، وهؤلاء يبنون عليها المساجد ويسمونها مشاهد مضاهاة لبيوت الله . ونهى عن ايقاد السرج عليها وهؤلاء يوقفون الوقوف على ايقاد القناديل عليها ونهى أن تتخذ عيداً، وهؤلاء يتخذونها أعياداً ومناسك يجتمعون لها كاجتماعهم للعيد أو أكثر ،وأمر بتسويتها وهؤلاء يرفعونها ويبنون عليها القباب ، ونهى عن الكتابة عليها ، وهؤلاء يكتبون عليها القرآن وغيره ، ونهى أن يزاد عليها غير ترابها ، وهؤلاء يزيدون سوى التراب والآجر والاحجار والجص، فأهل الشرك مناقضون لما أمر به الرسول ﷺ في أهل القبور وفيما نهى عنه محادون له في ذلك

فاذا نهى الموحدون عما نهي عنه رسول الله ﷺ من تعظيمها والصلاة عندها وإسراجها والبناء عليها والدعاء عندها وما هو أعظم من ذلك ، مثل بناء المساجد عليها ودعائها وسؤالها قضاء الحاجات وإغاثة اللهفات ، غضب المشركون واشمأزت قلوبهم وقالوا: قد تنقص اهل الرتب العالية وزعم انهم لا حرمة لهم ولا قدر، وسرى ذلك في نفوس الجهال الطغام حتى عادوا أهل التوحيد ورموهم بالعظائم ونفروا الناس عن دين الاسلام ووالوا أهل الشرك وعظموهم (ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون * هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون)

فصل

وأما قوله (فلكل شيخ يوم معروف، في شهر معلوم ، يؤتي اليه من النواحي وقد يحضر بعض العلماء فلا ينكر) فنقول :

أما قوله فلكل شيخ يوم معروف في شهر معلوم فقد قدمنا الجواب عن ذلك وبينا ان ذلك من اتخاذها أعيادا وانه مما نهى عنه رسول الله ﷺ فان العيد

مايعتاد مجيئه وقصده من زمان ومكان . فلزمان كقوله ﷺ « يوم عرفة ويوم النحر وأيام منى عيدنا أهل الاسلام » رواه أبو داود وغيره .

وأما المكان فكما روى ابو داود في سننه ان رجلا قال : يارسول الله اني نذرت أن أنحر إبلا ببوانة(١) فقال « أبها وثن من أوثان المشركين أو عيد من أعيادهم؟» قال لا . قال « فاوف بنذرك » وكقوله « لاتجعلوا قبري عيداً » فالعيد مأخوذ من المعاودة والاعتياد ، فاذا كان اسما المكان فهو المكان الذي يقصد الاجتماع فيه واتيانه للعبادة أو لغيرها، كما ان المسجد الحرام ومنى ومزدلفة وعرفة والمشاعر جعلها الله عيداً للحنفاء كما جعل أيام التعبد فيها عيداً

فاتيان القبور في يوم معلوم من شهر معلوم والاجتماع لذلك بدعة لم يشرعها رسول الله ﷺ ولم يفعلها الصحابة ولا التابعون لهم باحسان ، سواء ذلك في البلد أو خارجا عنه

وأما قوله (يؤتي اليه من النواحي) فنقول : وهذا أيضاً بدعة مذمومة لم يفعلها الصحابة ولا التابعون لهم باحسان ،

وبيان ذلك ان زيارة القبور نوعان : زيارة شرعية وزيارة بدعية شركية فالزيارة الشرعيـة مقصودها ثلاثة أشياء (أحدها) تذكير الآخرة والاتعاظ والاعتبار (والثاني) الاحسان الى الميت في أن لايطول عهده به فيهجره ويتناساه فاذا زاره وأهدى اليه هدية من دعاء أو صدقة سر الميت بذلك ، كما يسر الحي من يزوره ويهدي له ، ولهذا شرع النبي ﷺ للزائر أن يدعو لاهل القبور بالمغفرة والرحمة ولا يشرع أن يدعوهم ولا يدعو بهم ولا يصلي عندهم (الثالث) احسان الزائر الى نفسه ، باتباع السنة والوقوف عند ماشرعه الرسول ﷺ ، فيحسن الى نفسه والى المزور

(١) هضبة من وراء ينبع

وأما الزيارة البدعية الشركية فأصلها مأخوذ من عبادة الاصنام وهو أن يقصد قبر صالح في الصلاة عنده أو الدعاء عنده والدعاء به أو طلب الحوائج منه أو الاستغاثة به ونحو ذلك من البدع التي لم يشرعها رسول الله ﷺ ولا فعلها أحد من الصحابة ولا التابعين لهم باحسان كما تقدم بيانه مبسوطا

ثم اعلم ان الزيارة الشرعية هي التي لاتشد لها الرحال، فان كانت تشد رحال فهي زيارة بدعية لم يأمر بها رسول الله ﷺ ولا فعلها الصحابة، بل قد نهى عنها رسول الله ﷺ كما ثبت عنه في الصحيحين انه قال « لاتشد الرحال إلا الى ثلاثة مساجد، المسجد الحرام، والمسجد الاقصى ومسجدي هذا » وهذا الحديث اتفق الائمة على صحته والعمل به

فلو نذر رجل أن يصلي في المسجد أو يعتكف فيه أو يسافر اليه لم يجب عليه ذلك باتفاق الائمة حتى نص بعض العلماء على ان لا يسافر إلى مسجد قباء لانه ليس من الثلاثة، مع ان مسجد قباء تستحب زيارته لمن كان بالمدينة لان ذلك ليس بشد رحل، كما في الصحيح « من تطهر في بيته ثم أتى مسجد قباء لا يريد إلا الصلاة فيه كان كعمرة » قالوا ولان السفر لزيارة الانبياء وقبور الصالحين بدعة لم يفعلها أحد من الصحابة والتابعين ولا أمر بها رسول الله ﷺ ولا استحبها أحد من أئمة المسلمين ، فمن اعتقد ذلك عبادة وفعلها فهو مخالف للسنة. وانما اختلف العلماء اتباع الائمة في الجواز بعد اتفاقهم انه ليس مشروعا ولا مستحباً

فالمتقدمون منهم قالوا لايجوز السفر اليها ولا تقصر الصلاة في هذا السفر لانه معصية وهذا قول ابي عبد الله بن بطة وابي الوفاء بن عقيل وطوائف كثيرة

وذهب طائفة من متأخري أصحاب احمد والشافعي إلى جواز السفر اليها كابي حامد الغزالي وابن عبدوس وابي محمد المقدسي وأجابوا عن حديث «لاتشد الرحال» بانه لنفي الاستحباب والفضيلة، ورد عليهم الجمهور من وجهين

(أحدهما) ان هذا تسليم منهم ان هذا السفر ليس بعمل صالح ، ولا قربة ولا طاعة ، ومن اعتقد ان السفر لزيارة القبور قربة وطاعة فقد خالف الاجماع واذا سافر لاعتقاده بانه طاعة فإن ذلك محرم باجماع المسلمين: فصار التحريم من جهة اتخاذه قربة ، ومعلوم ان أحداً لايسافر اليها إلا لذلك ، وأما اذا قصد بشد الرحل غرضاً من الاغراض المباحة فهذا جائز

(الوجه الثاني) ان النفي يقتضي النهي والنهي يقتضي التحريم ، والاحاديث التي تذكر في زيارة قبر النبي ﷺ ضعيفة باتفاق أهل العلم بالحديث ، بل هي موضوعة ،فليس في زيارة قبر النبي ﷺ حديث صحيح ولا حسن ، ولا يروي أهل السنن المعروفة كسنن ابي داود والترمذي والنسائي وابن ماجه في ذلك شيئاً بل ولا أهل المسانيد المعروفة كمسند احمد وابي داود الطيالسي وعبد بن حميد وغيرهم، ولا أهل المصنفات المعروفة كموطأ مالك وغيره ، بل لما سئل الامام احمد وهو أعلم الناس في زمانه بالسنة عن هذه المسئلة لم يكن عنده مايقيمه عليها إلا حديث ابي هريرة عن النبي ﷺ انه قال « مامن رجل يسلم علي إلا رد الله علي روحي حتى أرد عليه السلام » وعلى هذا اعتمد ابو داود في سننه

وكذلك مالك في الموطأ روى عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما انه كان اذا دخل المسجد قال «السلام عليك يارسول الله ، السلام عليك يا ابا بكر ، السلام عليك يا أبي » ثم ينصرف

واتفق الأئمة على انه اذا دعا بمسجد النبي ﷺ لايستقبل قبره وتنازعوا عند السلام عليه، فقال مالك واحمد وغيرهما يستقبل قبره ويسلم عليه، وهو الذي ذكره أصحاب الشافعي وأظنه منصوصاً عنه ، وقال ابو حنيفة يستقبل القبلة ويسلم عليه هكذا في كتب أصحابه

وقال مالك لاأرى أن يقف عند قبر النبي ﷺ ويدعو ولكن يسلم ويمضي

ومن رخص منهم في الدعاء عند قبره ﷺ فانما يرخص فيما اذا سلم عليه ثم أراد ان يدعو استقبل القبلة اما مستدبر القبر واما منحرفا عنه وهو أن يستقبل القبلة ويدعو ، ولا يدعو مستقبل القبر

وهكذا المنقول عن سائر الأئمة ليس منهم من استحب للمرء أن يستقبل القبر أعني قبر النبي ﷺ ويدعو عنده ، فاذا كان هذا حالهم وفعلهم عند قبر النبي ﷺ فكيف بغيره ؟

ولم يكن على عهد النبي ﷺ ولا في عصر الصحابة والتابعين مشهد يقصد بالزيارة لا في الحجاز ولا في الشام ، ولا اليمن ، ولا العراق ، ولا خراسان ولا مصر بعد مافتح الله هذه البلاد وصارت بلاد اسلام ، وانما حدث فيها بعد انقراض عصر السلف

وصار يوجد في كلام بعض الناس فلان ترجى الاجابة عند قبره ،وفلان يدعي عند قبره ، وبعضهم يقول قبر فلان الترياق المجرب ونحو ذلك مما لم يكن معروفا في عهد الصحابة والتابعين ، وقائل هذا أحسن أحواله ان يكون مجتهداً في هذه المسئلة ومقلداً فيعفو الله عنه ، اما ان هذا الذي قاله يقتضي استحباب ذلك فلا ، بل يقال هذه زلة عالم فلا يجوز تقليده فيها اذا عرف انها زلة لانه اتباع للخطأ على عمد ، ومن لم يعرف انها زلة فهو أعذر من العارف وكلاهما مفرط فيما أمره به ربه .

قال الشعبي قال عمر رضي الله عنه «يفسد الزمان ثلاثة ،أئمة مضلون،وجدال المنافق بالقرآن،والقرآن حق،وزلة العالم» وقال معاذ «احذروا زيغة الحكيم، فان الشيطان قد يقول الضلالة على لسان الحكيم ، وقد يقول المنافق كلمة الحق» وقال

«اجتنبوا من كلام الحكيم المشتبهات التي يقال ماهذه ولا يثنيك ذلك عنه فانه لعله يراجع ، وتلق الحق إذا سمعته فان على الحق نوراً ».

واعلم رحمك الله ان الرجل الجليل الذي له في الاسلام قدم صادق ، وآثار حسنة ، وهو من الاسلام وأهله بمكان قد يكون منه الهفوة والزلة ، وهو فيها معذور ، بل مأجور لاجتهاده ، فلا يجوز أن يتبع فيها ولا يجوز أن يغمط مكانه وإمامته ومنزلته من قلوب المسلمين

قال مجاهد والحكم ومالك وغيرهم : ليس احد من خلق الله إلا يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ . وقال سليمان التيمي : إن أخذت برخصة كل عالم اجتمع فيك الشر كله

وقد روى كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف المزني عن أبيه عن جده قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول « اني لأخاف على أمتي من بعدي من أعمال ثلاثة ـ قالوا وما هي يارسول الله ؟ قال ـ أخاف عليهم من زلة العالم، وجدال المنافق بالقرآن والقرآن حق ، وعلى القرآن منار كاعلام الطريق »

ويكفي اللبيب في هـذا ما قصه الله سبحانه في كتابه عن بني اسرائيل مع صلاحهم وعلمهم: انهم بعد مافلق الله لهم البحر وأنجاهم من عدوهم أتوا نبيهم قائلين (اجعل لنا إلهـاً كما لهم آلهة) وكذلك ما رواه الترمذي وغيره ان ناساً من الصحابة في غزوة حنـين أتوا عند النبي ﷺ حين مروا بسدرة للمشركين يعلقون عندها وينوطون بها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط ، فقالوا يارسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات انواط فقال « الله أكبر ، انها السنن ، قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو اسرائيل لموسى (اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة ، قال انكم قوم تجهلون) لتركبن سنن من كان قبلكم »

فاذا كان هذا قد خفي عليهم مع وضوحه وبيـانه وقبلهم قوم موسى مع

صلاحهم وعلمهم وقد اختارهم الله على علماء زمانهم (١) وخفي عليهم هذا وقالوا ياموسى (اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة) فهذا يفيد أن المسلم بل العالم قد يقع في أشياء من الشرك وهو لا يدري، فيفيد الحرص و بذل الجهد في البحث عما جاء عن الله ورسوله، ولا يقلد دينه الرجال فانهم ان يسلموا أن يغلطوا ، وأبى الله ان يصلح إلا كتابه، وأن يعصم إلا رسوله .

وإذا اشتبه الحق في هذا الباب أو غيره فليدع بما رواه مسلم في صحيحه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول إذا قام يصلي من الليل « اللهم رب جبريل وميكائيل واسرافيل فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ، اهدني لما اختلف فيه من الحق باذنك ، انك تهدي من تشاء الى صراط مستقيم »

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

---

(١) إن الاعتبار في محله وان كان بنو اسرائيل قالوا هذا عقب خروجهم من مصر وقبل نزول التوراة وكانت الوثنية المصرية غالبة عليهم ولكنهم علموا ان موسى عليه السلام دعا فرعون وقومه الى عبادة الله وحده وشاهدوا الآيات الدالة على صدقه وكأنهم ظنوا ان الاله الذي يجعله لهم لا ينافي عبادته وحده كما يظن القبوريون من المسلمين اليوم بجهلهم ، وقد قال لهم موسى (انكم قوم تجهلون* ان هؤلاء متبر ماهم وباطل ماكانو يعملون) ولم يمنعهم هذا العلم من عبادة العجل بعد ذلك

بسم الله الرحمن الرحيم

رسالة فيما يدلى به العاصب من الورثة ومالا يدلي

من حمد بن ناصر إلى الاخ المكرم محمد بن عبدالوهاب بن صالح قاضي بلد الرياض في آخر وقت الدرعية

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وبعد: وصل خطك وصلك الله إلى رضوانه وتسأل عن معنى بيت الجعبري حيث قال:

وبالجهة التقـديم ثم بقربه   وبعدهما التقديم بالقوة اجملا

فاعلم انه اذا اجتمع عصبة فتارة يستوون في الدرجة والجهة والقوة اولا . فان استووا فيما ذكرنا اشتركوا في المال ، وفيما أبقت الفروض ، وان لم يستووا في ذلك حجب بعضهم بعضا

والجهات سبع ، البنوة ، ثم بعدها الابوة ، ثم الجدودة والاخوة عند من يقول: ان الاخوة يشاركون الجد ، ثم بنو الاخوة ، ثم العمومة ، ثم الولاء ، ثم بيت المال

إذا فهمت ذلك فاذا اجتمع عاصبان فمن كانت جهته مقدمة فهو المقدم وان بعد على من كانت جهته مؤخرة ، فاذا اجتمع ابن ابن أخ شقيق او لاب فهو مقدم على ابن العم ، وهذا معنى قول الجعبري رحمه الله تعالى « فبالجهة التقديم » فان كانوا في الجهة سواء . فالقريب درجته هو المقدم ، كالابن يقدم على ابن الابن

وكذلك لو اجتمع ابن أخ لاب مع ابن ابن أخ شقيق فابن الاخ للاب يقدم على ابن ابن الاخ الشقيق النازل بالاجماع ، لان الاول اقرب ، ومعنى قول الجعبري رحمه الله تعالى «ثم بقربه» اذا اجتمع عاصبان من جهة واحدة وكان أحدهما اقرب درجة فلا شيء للبعيد كما مثلته لك ، فان استووا في الجهة والدرجة وكان احدهما أقوى وهو الذي يدلي بقرابتين فهو المقدم على المدلي بقرابة واحدة

مثاله إذا اجتمع اخ شقيق وأخ لاب فقد استويا في الجهة والدرجة فالشقيق هو المقدم . وهذا هو معنى قول الجعبري * وبعدها التقديم بالقوة اجعلا * يعني ان ذا القرابتين يقدم على ذي القرابة الواحدة إذا استويا في الجهة والدرجة،

وحاصل الامر ان الابن يقدم على ابن الابن، وان ابن الابن مقدم على الاب في العصب والاب مقدم على الجد مطلقاً ، والاب مقدم على الاخ الشقيق ، والاخ الشقيق مقدم على الاخ للاب ، والاخ للاب مقدم على ابن الاخ الشقيق ، وابن الاخ الشقيق مقدم على ابن الاخ للاب، والاخ للاب مقدم على ابن الاخ ، الشقيق الذي هو أنزل منه، وبنو الاخوة الاشقاء او لاب مقدمون على العمومة. فلا يرث العم مع ابن الاخ سواء كان ابن أخ شقيق اولاب وان نزل، والعم للاب لا يرث مع العم الشقيق ، والعم للاب يقدم على ابن العم الشقيق لانه أقرب وابن العم الشقيق قدم على ابن العم للاب لانه اقوى

واما قولك : مامعنى التماثل والتناسب . فاعلم انه إذا كان الكسر على أكثر من فريق ونظرت بين كل فريق وسهامه ثم نظرت بين الرءوس والرءوس فانه لايخلو من اربع أحوال

اما أن تجد بين الرءوس والرءوس مماثلة . ومعنى المماثلة هنا المساواة في العدد كثلاثة وثلاثة، وخمسة وخمسة ، وستة وستة . فهذا المماثلة وحكمه كما قال الناظم. فخذ من المماثلين واحداً * فاذا وجدت رؤساء متماثلة في العدد فخذ رءوس أحدهما واكتف به، فان لم تجد بين الرءوس والرءوس مماثلة فانظر هل تجد بينهما مناسبة، والمناسبة هي المداخلة ، ومعناها ان الاصغر يدخل في الاكبر فاذا سلطته عليه فناه من غير زيادة ولا نقصان . وذلك كاثنين واربعة واثنين وثمانية او خمسة وعشرة وثلاثة وتسعة، هذا هو معنى المناسبة وحكمه كما قال الناظم: وخذ من المناسبين الزائد * يعني العدد الاكبر خذه واكتف به عن الاصغر فان لم تجد بينهما مماثلة

ولا مناسبة فانظر هل تجد بينهما موافقة ، وهي أن يكون بينهما موافقة في جزء من الاجزاء كاربعة وستة او ستة وثمانية أو ستة وتسعة او أربعة وعشرة، وحكم هذا النوع هو ماقال الناظم * واضرب جميع الوفق في الموافق * فاذا كان معك أربعة وستة فقد توافقا بالانصاف فخذ نصف أحدهما واضربه في كامل الآخر فتبلغ اثني عشر ، وهكذا تفعل في الباقي تأخذ الوفق فتضربه في كامل الآخر فان لم يكن مناسبة ولا موافقة ، فقد حصل التباين وحكمه كما قال الناظم .

وخذ جميع العدد المباين واضربه في الثاني ولا تداهن

وذلك كثلاثة وخمسة وتسعة انتهى . وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم . تمت

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ رسالة فيما يلحق بالنقدين في الزكاة وما لا يلحق فيهما مما يتعامل الناس به ﴾

من حسن بن حسين الى الاخ سعد العجيري . سلام عليكم ورحمة الله وبركاته الخط وصل وصلك الله الى رضوانه . وما سألت عنه من: هل الجدد ملحقة بالنقدين أو بالعروض فنقول :

اعلم ان المختار المقطوع به عند علمائنا انها ملحقة بالعروض كالفلوس فتكون عرضاً من سائر العروض وتحسب بقيمتها في باب الزكاة كما تحسب العروض بالقيمة ، كذا قالوا ،وقد اعتنوا بتمييز مافيها من الفضة فلم يجدوا فيها إلا القليل وأما إلحاقها بالنقدين فهو خطأ ،والقائل به قد قال شططا ، إذ كيف يلحق ما ليس نقداً بالنقود .

وأما قول القائل: ان بعض الجدد فيه من الفضة النصف وبعضها فضة خالصاً فهذا ممنوع غير مسلم ، وتحديد صرف الريال بالسبع أو الثمان من الجدد باطل ، ولو فهم هذا القائل اختيار الشيخ في مسئلة مُدّ عجوة لم يكثر فيها نجود. والسلام. والخط على عجلة .

رسالة

تنزيه الذات والصفات

من درن الالحاد والشبهات

لبعض علماء نجد الاعلام

من مطبوعات صاحب الجلالة السعودية ، ومحيي السنة المحمدية

الإمام عبد العزيز آل سعود

ملك الحجاز ونجد وملحقاتها

(وقد وقفها على من ينتفع بها من أهل العلم والدين)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلق الانسان لعبادته، وشرفه بخطابه ورسالته، وأمره ونهاه، وألهمه فجوره وتقواه، لما أراده منه وقدره عليه، ليكون مصيره ومنتهاه اليه، لا إله إلا هو ولا رب سواه، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد ان محمداً عبده ورسوله

(أما بعـد) فقد قال الله سبحانه وتعـالى (وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون * ما اريد منهم من رزق وما اريد أن يطعمون * ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين) اي ان الله سبحانه غني كريم عزيز حكيم فهو محسن إلى عبده مع غنائه عنه، يريد به الخير ويكشف عنه الضر لا لجلب منفعة ولا لدفع مضرة، بل رحمة منه وإحساناً، فهو سبحانه لم يخلق خلقه ليستكثر بهم من قلة، ولا ليعتز بهم من ذلة، ولا ليرزقوه ولا لينفعوه ولا ليدفعوا عنه بل ماخلقهم (إلا ليعبدوه) حق عبادته. وأما العباد فانهم لفقرهم وحاجتهم انما يحسن بعضهم إلى بعض لحاجته وانتفاعه به عاجلا او آجلا، ولولا تصور ذلك النفع لما احسن اليه، فهو في الحقيقة انما أراد الاحسان الى نفسه، وجعل احسانه الى غيره وسيلة وطريقا الى وصول ذلك الاحسان اليه، فانه إما أن يحسن اليه لتوقع جزائه في العاجل فهو محتاج الى ذلك الجزاء معاوضا باحسانه، أو لتوقع حمده وشكره، فهو محسن الى نفسه باحسانه الى غيره، وإما ان يريد الجزاء من الله في الآخرة فهو ايضا محسن الى نفسه بذلك كما قال تعالي (ان احسنتم احسنتم لأنفسكم) وقال تعالى (وما تفعلوا من خير يوف اليكم)، وقال رسول الله ﷺ فيما رواه عن ربه عز وجل «يا عبادي انكم لن تبلغوا ضري فتضروني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني، انما هي اعمالكم احصيها لكم ثم اوفيكم اياها، فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن

الا نفسه » وقال تعالى (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا ؟) اي لعبا وباطلا لا لحكمة، وهو منصوب على الحال اي عابثين، وقيل للعبث، اي لتلعبوا وتعبثوا كما خلقت البهائم لا لثواب ولا عقاب، وهو مثل قوله (أيحسب الانسان ان يترك سدى؟) وانما خلقتم للعبادة واقامة اوامر الله تعالى واجتناب نواهيه (و) حسبتم (انكم الينا لا ترجعون) في الآخرة لنجازيكم بما عملتم، ولولا ذلك اليوم لما تميز المطيع عن العاصي والصديق عن الزنديق، ويكون هذا الخلق عبثا تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً

وأول ما يقرع سمعك في المصحف من الامر بعد ما بين الله مراتب الخلق بين مؤمن وكافر ومنافق (يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون * الذي جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون) وقال تعالى (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا) أمر تعالى بعبادته وحده لا شريك له، فانه الخالق الرازق المتفضل على خلقه بآلائه في جميع الحالات فهو المستحق منهم ان يوحدوه في عبادته لا يشركوا به شيئاً من مخلوقاته، كما قال ﷺ لمعاذ «اتدري ماحق الله على العباد ؟» قال الله ورسوله أعلم، قال « ان يعبدوه لا يشركوا به شيئاً » ثم قال «أتدري ماحق العباد على الله اذا هم فعلوا ذلك ؟ ان لا يعذبهم »

وللعبادة شرطان (أحدهما) الاخلاص في العمل لقوله تعالى (وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة) اي الملة المستقيمة والشريعة المتبعة، وانما أضاف الدين للقيمة وهي نعته لاختلاف اللفظين، وانث القيمة رداً إلى الملة، وقيل القيمة جمع القيم

واحتج بهذه الآية من قال الايمان عبارة عن القول والاعتقاد، والعمل هو الدين، لأنه تعالى ذكر في هذه الآية مجموع هذه الثلاثة قال (وذلك دين القيمة) اي وذلك المذكور دين القيمة، لان الدين هو الاسلام، والاسلام هو الايمان.

لقوله تعالى (إن الدين عند الله الاسلام) والاسلام هو الايمان من وجهين

(الاول) ان الايمان لو كان غير الاسلام لما كان مقبولا عند الله لقوله تعالى (ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه) ولكن الايمان بالاجماع مقبول عند الله فلا شك انه عين الاسلام كما هو ظاهر

(والوجه الثاني) قوله تعالى (فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين * فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين)

وقال بعضهم الاشارة في ذلك راجعة إلى الاخلاص من قوله تعالى (مخلصين له الدين) وأما مجموع ماتقدم فهو الدين الكامل أي المستقل بنفسه

(والشرط الثاني) متابعة الرسول ﷺ بفعل ماأمر به وترك مانهى عنه كما قال تعالى (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني) وقال تعالى (فليحذر الذين يخالفون عن أمره ان تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم)

قال الاخفش في قوله (عن أمره) صلة. والمعنى يخالفون أمره ﷺ. وقال غيره عن أصلية، والمعنى يعرضون عن أمره ويميلون عن سنته ، وقال تعالى (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا)

وكان سبب نزول قوله تعالى (فليحذر الذين) الآية انه كان ﷺ يعرض في الخطبة بالمنافقين ويعيبهم فاذا سمع المنافقون ذلك خرجوا ولم يصلوا

(والثانية) نزلت في أموال الفيء والغنيمة، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فهو عام في كل ماأمر به ﷺ ونهى عنه من قول وعمل، كما هو جار في جميع الخطاب المتعلق بافعال المكلفين ، فكيف وقد أوجب الله طاعته بقوله تعالى (ياأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم) قال ابن عباس وجابر، هم الفقهاء والعلماء الذين يعلمون الناس معالم دينهم على شريعته ومنهاجه وهو قول الحسن والضحاك ومجاهد مستدلين على ذلك بقوله (ولو

ردوه إلى الرسول وإلى أولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم)

وقال ابو هريرة : هم الامراء والولاة الذين يعلمون ويحكمون بما أنزل الله على رسوله ﷺ

وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه « حق على الامام ان يحكم بما أنزل الله ويؤدي الامانة فاذا فعل ذلك فحق على الرعية ان يسمعوا له ويطيعوا »

وعن ابي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ، ومن اطاع اميري فقد اطاعني ، ومن عصى اميري فقد عصاني »

وعن نافع عن عبد الله بن عمر عن النبي ﷺ انه قال « السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره مالم يؤمر بمعصية ، فاذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة »

وقال عبادة بن الصامت : بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في اليسر والعسر ، وان نقوم - او نقول - بالحق حيثما كنا ، لانخاف في الله لومة لائم »

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ انه قال « اسمع وأطع ولو لعبد حبشي كان رأسه زبيبة »

وعن ابي امامة قال : سمعت رسول الله ﷺ يخطب في حجة الوداع فقال « يا أيها الناس اتقوا الله ، وصلوا خمسكم ، وصوموا شهركم ، وأدوا زكاة أموالكم وأطيعوا اذا امركم تدخلوا جنة ربكم »

فطاعة هؤلاء من طاعته ﷺ الواجبة على كل مكلف ، وقال تعالى (فان تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله) أي الى كتاب الله وإلى رسوله في حياته وبعد وفاته إلى سنته

وقال مجاهد وغير واحد من السلف هذا امر من الله عز وجل بان كل شيء تنازع الناس فيه من أصول الدين وفروعه يرد التنازع في ذلك إلى كتاب الله

وسنة رسوله كما قال تعالى (فما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله) فما حكم به كتاب الله وسنة رسوله فهو الحق (وماذا بعد الحق إلا الضلال)ولهذا قال تعالى (إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) اي ردوا الخصومات والجهالات إلى كتاب اللهوسنةرسوله فتحاكوا اليهما فيما شجر بينكم إن كنتم تؤمنون باللهواليوم الآخر . فدل على ان من لم يتحاكم في مجال النزاع إلى الكتاب والسنة ولم يرجع اليهما في ذلك فليس مؤمناً بالله واليوم الآخر

فالرد إلى الكتاب والسنة واجب لصريح الامر وتعليق الايمان عليه وجوداً وعدما لان الوعيد عائد إلى قوله (فردوه) والشرط جوابه محذوف عند جمهور البصريين ، اي فردوه إلى الله وهو المتقدم عند غيرهم كما جاء الوعيد في قوله(فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم) فالوعيد عائد الى التحكيم، ولا أصلية ، والمعنى ليس الامر كما يزعمون انهم آمنوا وهم يخالفون حكمك. ثم استأنف بعد ذلك . فعلى هذا يكون الوقف على « لا » تاما ، وقيل ان « لا » مزيدة لتأكيد معنى القسم كما زيدت في(لئلا يعلم)

وقد جاء في الحديث « والذي نفسي بيده لايؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به »

وسبب نزول هذه الآية مارواه ابن أبي حاتم عن ابي الاسود قال : اختصم رجلان إلى رسول الله ﷺ فقضى بينهما فقال الذي قضى عليه : ردنا إلى عمر ابن الخطاب فقال نعم فانطلقا اليه، فقال الرجل : ياابن الخطاب قضى لي رسول الله ﷺ على هذا فقال ردنا إلى عمر فردنا اليك ، فقال أكذلك ؟ فقال نعم . فقال عمر مكانك حتى أخرج اليكما فأقضي بينكما فخرج اليهما مشتملا على سيفه فضرب الذي قال ردنا إلى عمر فقتله وأدبر الآخر فاراً إلى رسول الله . فقال يارسول الله قتل عمر والله صاحبي،ولو ماأني أعجزته لقتلني فقال رسول الله « كنت

ماأظن أن يتجرأ عمر على قتل مؤمن » فأنزل الله (فلا وربك لا يؤمنون) الآية فهدر دم ذلك الرجل وبريء عمر منه . فعلى هذا تكون الآية متعلقة بما قبلها وهو اقرب للمقام من السبب الآتي ذكره ، وبه قال مجاهد وعطاء والشعبي وغيرهم من علماء السلف

وقيل ان هذه الآية نزلت في أنصاري مجهول . وقيل في حاطب بن ابي بلتعة الانصاري البدري (١) حين اختصم مع الزبير عند رسول الله في سقيا ماء ، فحكم صلى الله عليه وسلم للزبير فقال حاطب . ابن عمتك ، فتلون وجه النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية ،

وعلى هذا تكون الآية مستأنفة حينئذ [الراج مسايل الماء](٢) (ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا) قال مجاهد شكا وقال غيره ضيقاً (مما قضيت ويسلموا تسليما) اي انقادوا لامرك

---

(١) ليس في البدريين من الانصار رجل اسمه حاطب بن ابي بلتعة وانما فيهم حاطب بن عمرو . كذا في هامش الاصل . ولكن لهذا القيل اصلا اخرجه ابن ابي حاتم من مراسيل سعيد بن المسيب وهي اقوى المراسيل قال نزلت في الزبير ابن العوام وحاطب بن أبي بلتعة وأخذ بهذه الرواية الثعلبي وعنه الواحدي وغيرهما وعدناها لرواية البخاري عن عروة عن عبد الله بن الزبير انه حدثه ان رجلا من الانصار خاصم الزبير عند النبي (ص) في شراج الحرة التي يسقون بها النخل الخ ولما كان حاطب هذا مهاجريا أنصاريا قال بعض العلماء في توجيه الجمع بين الروايتين انه كان حليفا للانصار وقد سمى هذا الانصاري بعض الرواة باسماء اخرى منها قول الواحدي انه ثعلبة بن حاطب وقال بعضهم انه كان من المنافقين والصواب الاكتفاء بابهامه كما فعل البخاري

(٢) صواب هذه الكلمة الشراج ككتاب وهو مفرد جمعه شراج وشروج كبحار وبحور وهي مسائل الماء التي اختصم فيها الزبير مع الانصاري ولم تذكر هنا ولعلها سقطت من قلم النساخ

وقال ﷺ « وكل ماليس عليـه أمرنا فهو رد » (١) وقال ﷺ « إياكم ومحدثات الامور فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار » اي صاحبها فلا يعبد الله إلا بما شرع على لسان نبيه ﷺ.

ومعنى لاإله إلا الله توحيـده في عبادته مع التبرىء من كل معبود سواه كما أخبر الله عن نبيه ابراهيم عليه السلام بقوله تعالى (إنني براء مما تعبدون إلا الذي فطرني) وهذا هو الذي تضمنه قول لاإله إلا الله. فإنما دعت الرسل أممها إلى قول هذه الكلمة واعتقاد معناها والعمل به لا بمجرد قولها باللسان . ومعناها هو افراد الله بالالهية والعبادة والنفي لما يعبد من دونه ، والبراءة منه كما حكى الله عن ابراهيم عليه السلام (إنني براء مما تعبدون إلا الذي فطرني)وقال ﷺ « من قال لاإله إلا الله وكفر بما يعبد من دونه حرم ماله ودمه وحسابه على الله» رواه مسلم . فحينئذ من لايكفر بكل معبود سوى الله لايحرم دمه وماله ولا يكون مسلما بمجرد التلفظ بلا إله الا الله إلا إذا أضاف اليها الكفر بما يعبد من دون الله ولا بمعرفة معناها مع التلفظ بها بل ولا كونه لايدعو إلا الله ، ولم يكفر بما يعبد من دون الله لم يكن مسلما بذلك فلا يحرم ماله ودمه فهذا أصل لامرية فيما تضمنه ولا شك فيه ، وانه لايتم إيمان أحد حتى يعلمه ويعمل به

(فان قيل) قد أنكر ﷺ على اسامة قتله لمن قال لاإله إلا الله ؟

(فالجواب) انه لاشك ان من قال لاإله الا الله من الكفار حقن دمه وماله حتى يتبين منه مايخالف ماقاله ، ولذا أنزل الله في قصته (ياايها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا) الآية فان تبين التزامه لمعناها وهو افراد الالهية والعبودية لله تعالى كان له ماللمسلمين وعليه ماعليهم . وان تبين خلافه لم يحقن

(١) المعروف من رواية البخارى ومسلم من حديث عائشة وغيرهما « من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد »

بمجرد التلفظ ماله ودمه ، وهكذا كل من أظهر التوحيد وجب الكف عنه إلى أن يتبين منه مايخالف ذلك .

واعلم ان التوحيد قسمان: القسم الاول توحيد الربوبية والخالقية ونحوها ؛ ومعناه ان الله وحده هو الخالق للعالم وهو الرب لهم والرازق لهم؛ وهذا لاينكره المشركون ولا يجعلون لله فيه شريكا ، بل هم مقرون به كما أخبر الله عنهم في غير موضع من كتابه والقسم الثاني توحيد العبادة ومعناه افراد الله وحده بجميع انواع العبادة الآتي بيانها فهذا هو الذي جعلوا لله فيه شركاء ، ولفظ شريك يشعر بالاقرار بالله تعالى

فالرسل عليهم السلام بعثوا لتقرير الاول، ودعاء المشركين لله عند قولهم في خطاب المشركين (أفي الله شك؟ * هل من خالق غير الله؟) ولنهيهم عن شرك العبادة ، وكذلك قال تعالى (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله) أي قائلين لاممهم (أن اعبدوا الله) وحده (واجتنبوا الطاغوت) وهو كل مايعبد من دون الله ، فأفاد بقوله تعالى (في كل أمة) ان جميع الامم لم ترسل اليهم الرسل وتبعث إلا بطلب توحيد العبادة لا للتعريف بأن الله هو الخالق للعالم وانه رب السموات والارض، فانهم مقرون بذلك ، ولهذا لم ترد الآيات في الغالب إلا بصيغة استفهام التقرير نحو (هل من خالق غير الله * أفمن يخلق كمن لايخلق * أفي الله شك فاطر السموات والارض * أغير الله أتخذ وليا فاطر السموات والارض * أروني ماذا خلق الذين من دونه * أروني ماذا خلقوا من الارض) استفهام تقرير لهم لانهم به مقرون ،

وبهذا يعرف ان المشركين لم يتخذوا الاوثان والاصنام ولم يعبدوها ولم يتخذوا المسيح وأمه ولم يتخذوا الملائكة شركاء لله تعالى في خلق السموات والارض وفي خلق أنفسهم ، بل اتخذوهم أولياء يقربونهم الى الله زلفى كما قالوه. فهم مقرون بالله تعالى في نفس كلمات كفرهم وانهم شفعاء عند الله تعالى (قل

أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض سبحانه وتعالى عما يشركون) فجعل سبحانه وتعالى اتخاذهم للشفعاء شركا ونزه نفسه عنه لانه لا يشفع عنده أحد إلا باذنه، فكيف يثبتون شفعاء لم يأذن الله لهم في الشفاعة ولا يغنون عنهم من الله شيئا ؟

فصل في أنواع العبادة الاربعة

(ودعوة الرسل كلهم الى جعلها كلها لله وحده)

والعبادة أنواع : اعتقادية ـ وهي أساسها ـ وذلك أن يعتقد انه الرب الواحد الأحد الذي له الخلق والامر، وبيده النفع والضر، وانه الذي لا شريك له ولا يشفع عنده أحد إلا باذنه، وانه لا معبود بحق إلا هو، وغير ذلك مما يجب له من لوازم الالهية . ومنها لفظية وهي النطق بكلمة التوحيد ، فمن اعتقد ما ذكر ولم ينطق بها لم يحقن دمه ولا ماله . وكان كابليس ، فانه يعتقد التوحيد بل ويقر به ولم يمتثل أمر الله بالسجود فكفر ، ومن نطق ولم يعتقد حقن ماله ودمه وحسابه على الله وحكمه حكم المنافقين. وبدنية كالقيام والركوع والسجود في الصلاة، ومنها الصوم وافعال الحج والطواف . ومالية كاخراج جزء من المال امتثالا لما أمر الله تعالى به . وأنواع الواجبات والمندوبات في الابدان والاموال والافعال والاقوال كثيرة ، لكن هذه أمهاتها ،

واذا تقررت هذه الامور فاعلم ان الله تعالى بعث الانبياء عليهم السلام من أولهم الى آخرهم يدعون العباد الى افراد الله بالعبادة ، لا الى اثبات انه خلقهم ونحوه إذ هم مقرون بذلك كما ذكرناه ولم يعبدوا الاصنام بالخضوع لهم والتقرب بالنذور والنحر لهم إلا لاعتقادهم انها تقربهم الى الله وتشفع لهم لديه ، فأرسل الله الرسل تأمرهم بترك عبادة كل ماسواه وان هذا الاعتقاد الذي يعتقدونه في الانداد باطل والتقرب اليهم باطل وان ذلك لا يكون إلا لله وحده وأمر عباده ان يقولوا (إياك نعبد)

ولا يصدق قائل هذا إلا اذا أفرد العبادة لله وإلا كان كاذبا منهيا عن ان يقول هذه الكلمة إذ معناها نخصك بالعبادة ونفردك بها وهو معنى قوله (فاياي فاعبدون * واياي فاتقون) لما عرف من علم البيان ان تقديم ماحقه التأخير يفيد الحصر اى لا تعبدوا إلا الله ولا تعبدوا غيره ، ولا تتقوا إلا الله ولا تتقوا غيره كما في الكشاف

فافراد الله تعالى بتوحيد العبادة لا يكون إلا بان يتم جميعها كلها له ، والنداء في الشدائد والرجاء لا يكون الا لله وحده ، والاستغاثة والاستعانة بالله وحده ، واللجأ الى الله والنذر له والنحر له وجميع أنواع العبادة ، ومن يفعل شيئا من ذلك لمخلوق من حي أو ميت أو جماد فقد أشرك في العبادة وصار من يفعل له هذه الامور إلها لعابديه ، سواء كان ملكا او نبيا او وليا او شجراً او قبراً او جنياً . وصار بهذه العبادة او بأي نوع منها عابداً لذلك المخلوق ، وإن أقر بالله وعبده فان اقرار المشركين بالله وتقربهم اليه لم يخرجهم عن الشرك وعن وجوب سفك دمائهم وسبي ذراريهم ونهب أموالهم ، فان الله تعالى أغنى الشركاء عن الشرك لا يقبل عملا شورك فيه غيره ولا يؤمن به عبد عبد معه غيره كما أخرجه مسلم من حديث ابي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «يقول الله انا أغنى الشركاء عن الشرك ، من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه »

وقد عرفت من هذا كله ان من اعتقد في شجر او حجر او قبر او ملك او حي او ميت انه ينفع او يضر ، وانه يقرب إلى الله او يشفع عنده في حاجة من حوائج الدنيا بمجرد التشفع به إلى الرب تعالى ـ الا ماورد في حديث فيه مقال في حق نبينا صلى الله عليه وسلم او نحو ذلك ـ فانه قد أشرك مع الله غيره واعتقد مالا يحل اعتقاده ـ لقوله تعالى (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحداً)

وعن أنس قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « قال الله يا ابن آدم انك لو أتيتني بقراب الارض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة »(١)

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال من اراد ان ينظر إلى وصية محمد ﷺ فليقرأ (قل تعالوا أتل ماحرم عليكم ربكم ان لاتشركوا به شيئاً — إلى قوله — وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون)

وعن معاذ بن جبل قال كنت رديف النبي ﷺ على حمار فقال « يامعاذ أتدري ماحق الله على العباد وما حق العباد على الله ؟ » قلت الله ورسوله أعلم، قال ﷺ « ان حق الله على العباد ان يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً ، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً » قلت يارسول الله أفلا أبشر الناس؟ قال « لا تبشرهم فيتكلوا » أخرجاه في الصحيحين

فصل

(في الشرك الاكبر بدعاء غير الله عز وجل)

ومما تساهل فيه الناس من أنواع العبادة دعاء المسألة الذي أخبر الله به سبحانه وتعالى عن موسى وهارون بقوله تعالى (ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالا في الحياة الدنيا، ربنا ليضلوا عن سبيلك ، ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم) قال العلي العظيم (قد أجيبت دعوتكما) أي ماسألتماه (فاستقيما) على دعوة الله إلى ان يأتيهم العذاب

وأخبر سبحانه وتعالى عن زكريا عليه السلام بقوله (كهيعص * ذكر رحمة ربك عبده زكريا * اذ نادى) أي دعا (ربه نداءاً خفيا) اى دعا الله سراً في

(١) رواه الترمذي وحسنه : والحاكم :وقال صحيح الاسناد

قومه (قل رب اني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيباً ولم أكن بدعائك رب شقياً) وأخبر سبحانه وتعالى عن أيوب عليه السلام بقوله (وأيوب اذ نادى ربه) أي دعاه (اني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين * فاستجبنا له فكشفنا مابه من ضر) وقال تعالى (ادعوني أستجب لكم)

قال الجمهور: هو أمر بالدعاء الذي هو أخص من العبادة لقوله تعالى (أستجب لكم) وقيل انه أمر بالعبادة التي هي أعم من الدعاء لقوله تعالى (ان الذين يستكبرون عن عبادتي) فاجيب عن ذلك بان الدعاء اعتراف بالعبودية والذلة والمسكنة فما يتركه إلا مستكبر عن اظهار العبودية ، ولما عبر عن العبادة بالدعاء جعل لاثابة استجابة .

وعن النعمان بن بشير قال سمعت رسول الله ﷺ يقول على المنبر «الدعاء هو العبادة »ثم قرأ (وقل ربكم ادعوني أستجب لكم * ان الذين يستكبرون عن عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين) أي صاغرين، أخرجه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح ، وعن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ « انه من لم يسال الله يغضب عليه» أخرجه الترمذي ، وعنه عن النبي ﷺ قال «ليس شيء أكرم على الله من الدعاء » أخرجه الترمذي

فإذا استكملت شروط الدعاء حصلت الاجابة قطعاً للوعد الحق ، ولما رواه أبو هريرة عن النبي ﷺ « مامن رجل يدعو الله إلا استجاب له إما أن يعجله له في الدنيا وإما أن يدخره له في الآخرة وإما أن يكفر عنه من ذنوبه بقدر مادعا، مالم يدع بإثم أو قطيعة رحم أو يستعجل » قالوا يارسول وكيف يستعجل؟ قال « يقول دعوت ولم يستجب لي» وقال تعالى (وإذا سألك عبادي عني فاني قريب) قال ابن عباس ، قال يهود المدينة : يا محمد ، كيف يسمع ربنا دعاءنا وأنت تزعم أن بيننا وبين السماء خمسمائة عام وبين كل سماء خمسمائة عام ، وغلظ

كل سماء خمسمائة عام ؟ فنزلت هذه الآية (١) وقيل سأل بعض الصحابة النبي ﷺ : أقريب ربنا فنناجيه او بعيد فنناديه ؟ فنزلت هذه الآية بقوله (اني قريب) اي بالعلم لا يخفى عليه شيء .

وقال تعالى (أمن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء) اي المكروب من مرض وبلاء ونازلة من نوازل الدهر فاذا نزلت باحد نازلة بادر إلى الالتجاء والتضرع إلى الله تعالى ، فيجيب دعوته فيكشف ما به من مرض وكرب وبلاء لانه لايقدر على تغير الحال من فقر إلى غنى ، ومن مرض إلى صحة ، ومن ضيق إلى سعة ، إلا القادر الذي لايعجز ، والقاهر الذي لا يغلب (ويجعلكم خلفاء الارض أإله مع الله) تدعونه في جلب النفع وكشف الضر (قليلا ماتذكرون) أي تتعظون

وقال صاحب الكشاف : الاضطرار الحال المحوجة الى الالتجاء ، اضطره إلى كذا ، والفاعل والمفعول مضطر[٢] وهو من أصابه مرض او فقر او نازل نزل به أحوجه الى التضرع إلى الله وقال السيد الذي لاحول له ولا قوة، والخلاف لفظي

وقال تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله) اي ادعوهم ليكشفوا عنكم الضر الذي نزل بكم فانهم (لايملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض) من خير وشر (وما لهم فيهما من شرك وماله منهم من ظهير) اي لا شريك ولا معين (ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له) تكذيباً لهم حيث قالوا (هؤلاء شفعاؤنا عند الله)

وقال تعالى (والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير) القشرة الرقيعة التي على النواة (ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا) على سبيل الفرض والتقدير لان لو حرف امتناع (ما استجابوا لكم) أي ما أجابوكم فيما

«١» هذا الحديث لا يصح بل هو من الاسرائيليات

(٢) يعني ان لفظ اسم الفاعل والمفعول واحد لا يظهر الفرق بينهما في النطق لسبب الادغام

سألتموهم (ويوم القيامة يكفرون بشرككم) اي يتبرءون منكم ، ومن دعائكم ،(ولا ينبئك مثل خبير)

وقال تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه) وذلك ان المشركين أصابهم قحط شديد حتى أكلوا الكلاب والجيف فاستغاثوا بالنبي ﷺ ليدعو لهم فقال الله عز وجل (قل) للمشركين (ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ـ اي الجوع والقحط ـ ولا تحويلا) الى غيركم

والمقصود من الآية حيث قالوا : ليس لنا أهلية أن نشتغل بعبادة الله فنحن نعبد هؤلاء المقربين إلى الله وهم الملائكة، ثم انهم اتخذوا لذلك الملك الذي عبدوه تمثالا وصورة واشتغلوا بعبادته ،فاحتج على بطلان قولهم بهذه الآية، ثم قال تعالى (أولئك الذين يدعون) يعني الذين يدعوهم المشركون (يبتغون إلى ربهم الوسيلة) أي القربة والدرجة العليا قال ابن عباس : هم عيسى وأمه والعزير والملائكة . وقال ابن مسعود : نزلت هذه الآية في نفر من العرب كانوا يعبدون نفراً من الجن فأسلم اولئك الجن ولم يعلم الانس بذلك فتمسكوا بعبادتهم فغيرهم الله من حال الى حال ، وأنزل هذه الآية . وقوله تعالى(أيهم أقرب) معناه ي ينظرون أيهم أقرب الى الله فيتوسلون به ، وقيل أيهم أقرب يبتغي الوسيلة الى الله بالعمل الصالح ، وعليه الاكثرون (ويرجون رحمته) اي جنته (ويخافون عذابه) ناره كغيرهم ، فاذا كن الملائكة والمسيح والعزير لا يقدرون على كشف الضر وجلب النفع فكيف بغيرهم ؟

وقال تعالى (ولا تدع من دون الله مالا ينفعك) ان عبدته بشيء من أنواع العبادة (ولا يضرك) ان تركت عبادته(فان فعلت)مانهيتك عنه فعبدت غيري او طلبت النفع وكشف الضر من غيري(فانك اذاً من الظالمين) فهذا الخطاب وان كان للنبي ﷺ فالمراد به غيره، لانه ﷺ لم يدع من دون الله شيئا البتة . فعلى

هذا المعنى المراد : ولا تدع من دون الله أيها الانسان مالا ينفعك ولا يضرك .

وقال تعالى (ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له) يعني الاصنام لاتجيب دعاء عابديها فيما يسألونها (الى يوم القيامة) أي لاتجيبهم (وهم عن دعائهم غافلون) اى لا يسمعون ولا يفهمون (واذا حشر الناس كانوا لهم أعداء و كانوا بعبادتهم كافرين) اى جاحدين ، وكل من دعا من دون الله فيما لا يقدر عليه الا الله فقد أشرك ، لان الدعاء اعتراف بالعبودية ، فبدعائه له صيره الهاً .

وقال تعالى (له دعوة الحق) يعنى دعوة الصدق ، وقال علي : دعوة الحق التوحيد وقال ابن عباس : دعوة الحق شهادة أن لا اله الا الله ، والخلاف بينهما لفظي .وقال صاحب الكشاف دعوة الحق فيها وجهان (أحدها) أن تضاف الدعوة الى الحق الذى هو نقيض الباطل على ان الدعوة ملابسة للحق مختصة به ، وانها بمعزل عن الباطل ،والمعنى ان الله يدعى فيستجيب الدعوة ويعطي الداعي سؤاله (والوجه الثاني) أن تضاف الدعوة الى الحق الذى هو الله على معنى دعوة الحق الذى يسمع ويجيب . وعن الحسن انه الحق وكل دعاء اليه دعوة الحق .

(والذين يدعون من دونه) أى يدعونهم من دون الله (لا يستجيبون لهم بشيء) أي لايجيبونهم فيما يسألونه منهم من نفع ودفع ضر اذا دعوهم (الا كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه) يعني ان استجابتهم لهم كاستجابة الماء لمن بسط كفيه اليه يطلب منه أن يبلغ فاه ، وكذلك مايدعونه جماداً لايحس دعاءهم ولا يستطيع اجابتهم ، وقيل شبههم في قلة جدوى دعائهم لالهتهم بمن أراد أن يغرف الماء بيده ليشرب به فبسطهما ناشراً أصابعه لايكون منه في يده شيء ، كذلك الذي يدعو الاصنام بانها لاتضر ولا تنفع ولا بيده منها شيء. وقال مجاهد: كالعطشان الذي يرى الماء بعينه من بعيد وهو يشير بكفيه الى الماء ويدعوه بلسانه فلا يأتيه أبداً ، وقال عطاء : كالعطشان الجالس على شفير البئر وهو يمد يده الى الماء فلا هو يبلغ

الماء ، ولا الماء يرتفع اليه، فلا ينفعه بسط الكف الى الماء ودعاؤه له ، كذلك الذين يدعون الاصنام لا ينفعهم دعاؤهم ، وقال ابن عباس كالعطشان اذا بسط كفيه الى الماء لا ينفعه ذلك مالم يغرف ولا يبلغ الماء فاه مادام باسطا كفيه الى الماء (وما دعاء الكافرين إلا في ضلال) أي كل مدعو سواه يضل عمن دعاه إذا احتاج اليه ، وقال ابن عباس: ان اصواتهم محجوبة عن الله تعالى ، وهذا مثل ضربه الله لمن يدعو غيره فيما لا يقدر عليه إلا هو سبحانه وتعالى

وقال تعالى (ان الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم) أي ملك لله أمثالكم لا يملكون لانفسهم شيئا ، فالذي لا يملك لنفسه شيئا من نفع كيف يتصور في حقه النفع لغيره (فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين) في دعواكم ، وقال تعالى (قل أرأيتكم) يعني قل يامحمد لهؤلاء الذين تركوا عبادة الله وحده وعبدوا معه غيره من الاصنام : اخبروني ـ تقول أرأيتك ، يعني اخبرني بحالك ـ وأصله أرأيتم ، والكاف للتأكيد (إن أتاكم عذاب الله) قبل الموت مثل مانزل بالامم الماضية من الغرق والخسف والصواعق ونحو ذلك من العذاب (أو أتتكم الساعة) أي القيامة (أغير الله تدعون) في كشف العذاب عنكم (ان كنتم صادقين) في دعواكم

ومعنى الآية ان الكفار اذا نزل بهم بلاء وشدة رجعوا الى الله بالتضرع والدعاء وتركوا الاصنام ، فقيل لهم أترجعون الى الله في حال الشدة والبلاء ولا تعبدونه وتطيعونه في اليسر والرخاء ، (بل إياه تدعون فيكشف ماتدعون اليه إن شاء) من الضر الذي من أجله دعوتموه ، وانما قيد الاجابة بالمشيئة رعاية للمصلحة ، وان كانت جميع الامور بمشيئته سبحانه وتعالى (وتنسون ماتشركون) أي تتركون دعاء الاصنام التي تدعونها لانها لا تضر ولا تنفع ، وقيل المعنى تركتم دعاء الاصنام بمنزلة من قد نسيها وهذا قول الحسن ، فقد نفى الله عما سواه مايتعلق به المشركون من دعاء غيره من أن يكون له شرك في مثقال ذرة من نفع أو ضر ،

كما قال لنبيه وخليله (قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ماشاء الله، ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء ، إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون) وقال (قل ما كنت بدعا من الرسل وما أدرى مايفعل بي ولا بكم) وقال ﷺ في حديث ابن مظعون «مايدرى مايفعل به » وفي رواية «مايفعل بي وأنا رسول الله»

وفي الصحيح عن أنس قال: شج النبي ﷺ يوم أحد فقال « كيف يفلح قوم شجوا نبيهم ؟» فنزلت عليه (ليس لك من الامر شيء) وفيه عن ابن عمر انه سمع النبي ﷺ يقول اذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الاخيرة من الفجر « اللهم العن فلانا وفلانا ــ بعد مايقول ــ سمع الله لمن حمده » فأنزل الله عليه (ليس لك من الامر شيء) ولما نزل عليه ﷺ (وأنذر عشيرتك الاقربين) صعد الى الصفا فقال « يامعشر قريش ــ أو كلمة نحوها ــ اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئا ، وياعباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئا ، وياصفية عمة رسول الله لا أغني عنك من الله شيئا ، ويافاطمة بنت محمد لا أغني عنك من الله شيئا سليني من مالي » فاذا كان سيد الاولين والآخرين ، وامام المتقين ، وحبيب رب العالمين ، لايملك لنفسه ولا لاقاربه نفعاً ولا ضرا ، فكيف بغيره ممن لا يعلم حاله مع ربه ولا مصيره الى نعيم أو جحيم؟

فان كان قيل فيمن عبد الملائكة وعيسى وأمه والله يقول (انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم)

قال ابن القيم :في هذه الآية دليل على جواز الخطاب العام وارادة الخاص من غير بيان تفصيلي ولا اجمالي فان لفظة « ما »عام يشمل المعبودين سوى الله ولم يرد العموم مع تأخير بيان المخصص، فانه لما نزلت هذه الآية قال ابن الزبعرى والله لأخصمن محمداً بهذه الآية ، فخصم عند النبي ﷺ وقال لقد عبدت الملائكة وعبد عيسى، فيجب ان يكون هؤلاء حصب جهنم وهو خلاف دينك يامحمد ،

فسكت رسول الله ﷺ ولم ينكر عليه، فنزل بعد حين (إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون) فقد أطلق العام مع ارادة الخاص وبين بعد حين.

واعترض على هذا الدليل بانا لا نسلم احتياج الآية إلى البيان، وانما تحتاج اليه لو دخلت الملائكة وعيسى في عموم الآية وهو ممنوع، لان « ما » لغير من يعقل فلا تتناول الملائكة ولا عيسى. ولهذا نقل في بعض الروايات ان النبي ﷺ قال لابن الزبعرى « ماأجهلك بلغة قومك أما علمت ان « ما » لما لا يعقل و « من » لمن يعقل »(١) وانما نزلت (إن الذين سبقت لهم منا الحسنى) زيادة بيان لجهل المعترض لا بيانا للآية السابقة

وإن سلم ان كلمة (ما) تشملهم فلا تحتاج الآية إلى البيان أيضاً لان العقل يحكم بخروجهم عن الآية لان تعذيب الملائكة وعيسى — بذنب الغير، وهو عبادة الناس اياهم — غير جائز عقلا، وانما يجوز تعذيبهم لو كانوا راضين بذلك وهو مستحيل في حقهم

فصل

﴿ في توحيد الاسماء والصفات والمذهب الصحيح في ذلك ﴾

فاذا عرفت ماتقرر من توحيد العبادة فاعلم بان ايماننا بما ثبت في نعوته تعالى كايماننا بذاته المقدسة، إذ الصفات تابعة للموصوف فنعقل وجود الباري وتميز ذاته المقدسة عن الاشباه من غير ان نعقل الماهية، فكذلك القول في صفاته، نؤمن بها ونعقل وجودها ونعلمها في الجملة من غير تكييف ولا تمثيل، ولا تشبيه ولا تعطيل، ونقول كما قال السلف الصالح : آمنا بالله على مراد الله و (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) فالاستواء معلوم من الكتاب العزيز (الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد)

وكل ما وصف الله به نفسه وجب الايمان به كما يجب الايمان بذاته والكيف

(١) هذا ليس عليه طلاوة كلام الرسول ﷺ

مجهول فيها لاستحالة تصوره ، لقوله تعالى (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) ومن ليس له مثل لا يمكن التصور في ذاته وصفاته لا شرعا ولا عقلا

ومن أول فقد تصور المستحيل في حقه سبحانه وتعالى من المشابهة للحوادث فما وسعهم مما تصوروه من التشبيه الواقع في أذهانهم إلا الفرار منه الى التعطيل

فأولوا اليدين بالقدرة . وقد أثبت الله لنفسه يداً وقدرة ، وأولوا الاستواء بالاستيلاء المفيد للتجدد والحدوث في الملك وهو مستحيل في حقه سبحانه وتعالى وعطلوا صفتين من صفاته وقد قال تعالى (إن ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة أيام ثم استوى على العرش) وقال تعالى (وهو الذي خلق السموات والارض في ستة أيام وكان عرشه على الماء) وقال تعالى (الرحمن على العرش استوى) وقال تعالى (الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش الرحمن) الى غير ذلك من آيات الاستواء

وقال تعالى (ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا او كرها قالتا أتينا طائعين) وقال تعالى (ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات) وقال تعالى (يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون)

وقال تعالى (اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) وقال تعالى (اني متوفيك ورافعك إلي) وقال تعالى (وما قتلوه يقينا بل رفعه الله اليه) وقال تعالى في الملائكة (يخافون ربهم من فوقهم) وقال تعالى (ذى المعارج تعرج الملائكة والروح اليه)

وقال تعالى (وقال فرعون ياهامان ابن لي صرحا لعلي أبلغ الاسباب ، أسباب السموات فأطلع الى إله موسى) وقال تعالى (أأمنتم من في السماء) في بمعنى على كقوله تعالى (فسيحوا في الارض) وقوله (لاصلبنكم في جذوع النخل) أي على

الارض وعلى جذوع النخل. وكذلك في السماء أى على العرش فوق السماء الى غير ذلك من نصوص القرآن العظيم جل منزله وتعالى قائله

وأما السنة فمن الاحاديث الواردة في العلو حديث معاوية ابن الحكم السلمي قال: كانت لي غنم بين أحد والجوانية فيها جارية لي، فاطلعت ذات يوم فاذا الذئب قد ذهب منها بشاة. وأنا رجل من بني آدم فأسفت، فصككتها فأتيت الى النبي ﷺ فذكرت ذلك له، فعظم ذلك علي، فقلت يارسول الله أفلا أعتقها؟ قال «ادعها» فدعوتها، فقال لها «أين الله؟» قالت في السماء، قال «من أنا» قالت انت رسول الله ﷺ قال «اعتقها فانها مؤمنة» هذا حديث صحيح اخرجه مسلم وابو داود والنسائي وغير واحد من الائمة في تصانيفهم،

وقال عطاء بن يسار: حدثني صاحب الجارية نفسه قال: كانت لي جارية ترعى الحديث، وفيه فمد النبي ﷺ يده اليها مستفهما «من في السماء؟» قالت الله، قال «فمن أنا؟» قالت انت رسول الله، قال «اعتقها فانها مسلمة»

وقال النسائي في تفسيره في قوله تعالى (ثم استوى الى السماء) أنبأنا قتيبة عن مالك عن هلال ابن اسامة عن عمر بن الحكم قال: اتيت رسول الله ﷺ فقلت يارسول الله إن جارية لي كانت ترعى غنما لي فجئتها ففقدت شاة من الغنم سألتها عنها فقالت أكلها الذئب، فأسفت عليها وكنت رجلا من بني آدم، فلطمت وجهها وعلي رقبة وأعتقها؟ فقال لها رسول الله ﷺ «اين الله؟» قالت في السماء، قال «فمن انا» قالت انت رسول الله، قال «فاعتقها» كذا سماه مالك عمر بن الحكم

وعن ابي هريرة قال جاء رجل الي رسول الله ﷺ بجارية اعجمية فقال يارسول الله إن علي رقبة مؤمنة فأعتق هذه؟ فقال لها «أين الله؟» فأشارت الى السماء، قال فمن «انا» فأشارت الى رسول الله ﷺ ثم الى السماء قال «أعتقها فانها مؤمنة»

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جاء رجل الى النبي ﷺ ومعه جارية سوداء أعجمية فقال علي رقبة فهل تجزيء هذه عني؟ فقال «أين الله؟» فأشارت بيدها الى السماء، فقال «من أنا؟» قالت أنت رسول الله، قال «اعتقها فانها مؤمنة»

حديث اسامة بن زيد الليثي عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب قال جاء حاطب الى رسول الله ﷺ بجارية له فقال يارسول الله إن علي رقبة فهل تجزيء هذه عني؟ فقال لها رسول الله ﷺ «من أنا» قالت أنت رسول الله قال «فأين ربك» فأشارت الى السماء، قال «اعتقها فانها مؤمنة» وهو مرسل

حديث جابر بن عبد الله ان رسول الله ﷺ قال في خطبة يوم عرفة «الاهل بلغت» فجعل يرفع أصبعه الى السماء وينكبها اليهم ويقول «اللهم اشهد» أخرجه مسلم

وحديث أبي هريرة: ان رسول الله ﷺ قال «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم بهم، كيف تركتم عبادي؟ فيقولون أتيناهم وهم يصلون وتركناهم وهم يصلون» متفق عليه.

وعن أبي رزين العقيلي قال: قلت يارسول الله أين كان ربنا قبل أن يخلق السموات والارض؟ قال «كان في عماء» قال ابو عبيد: العماء الغمام، وقال خالد ابن يزيد الرازي: اخطأ ابو عبيد انما العمى مقصور ولا يدري أين كان الرب تعالى، وقيل معناه مقصوراً لا شيء معه فوق هواء وما تحته هواء، ثم خلق العرش ثم استوى عليه، رواه الترمذي وابن ماجه واسناده حسن

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله ﷺ قال «الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء» أخرجه ابو داود والترمذي

وعن عبد الله بن مسعود «ارحم من في الارض يرحمك من في السماء»

وعن أنس ان زينب بنت جحش كانت تفتخر على أزواج النبي ﷺ تقول : « زوجكن أهاليكن ، وزوجني الله من فوق سبع سموات » وفي لفظ : انها قالت للنبي ﷺ « زوجنيك الرحمن من فوق عرشه » أخرجه البخاري

وعن أبي سعيد الخدري قال رسول الله ﷺ « ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء يأتيني خبر السماء صباحا ومساء؟ » متفق عليه .

وعن ابي هريرة ان رسول الله (ص) قال « والذي نفسي بيده ما من رجل يدعو امرأته الى فراشه فتأبى عليه إلا كان الذى في السماء ساخطا عليها حتى يرضى عنها زوجها » أخرجه مسلم

وعن أبي هريرة قال قال رسول الله (ص) لما ألقي ابراهيم عليه السلام في النار قال « اللهم انك واحد في السماء وأنا في الارض واحد أعبدك » هذا حديث حسن الاسناد

وعن عبادة بن الصامت ان رسول الله (ص) كان يقول « من توضأ فأحسن الوضوء ثم قام الى الصلاة فأتم ركوعها وسجودها والقراءة فيها قالت حفظك الله كما حفظتني ثم صعد بها الى السماء ولها نور وضوء وفتحت لها ابواب السماء حتى ينتهى بها الى الله عز وجل فتشفع لصاحبها »

وعن أبي هريرة عن النبي (ص) قال « ان الميت يحضره الملائكة فاذا كان الرجل الصالح قالوا اخرجي ايتها النفس الطيبة كانت في الجسد الطيب، ابشري بروح وريحان ورب غير غضبان ، فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج ، ثم يعرج بها الى السماء التي فيها الله تعالى » رواه احمد في مسنده والحاكم في مستدركه وهو على شرط البخاري ومسلم

وعن جابر قال : قال رسول الله ﷺ « بينا اهل الجنة في نعيمهم إذ سطع لهم نور فيرفعون رءوسهم فاذا الرب جل جلاله قد أشرف عليهم فقال : السلام عليكم

ياأهل الجنة فذلك قوله عز وجل (سلام قولا من رب رحيم) » أخرجه ابن ماجه في سننه

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ـ ولا يصعد إلى الله الا طيب ـ فانه يقبلها بيمينه ويربيها لصاحبها حتى تكون مثل الجبل » أخرجه البخاري

وعن أبي موسى الاشعري قال : قال رسول الله ﷺ « ان الله لاينام ولا ينبغي له أن ينام ، يخفض القسط ويرفعه ، يرفع اليه عمل الليل قبل النهار وعمل النهار قبل الليل ، حجابه النور — وفي رواية النار — لو كشفه لاحرقت سبحات وجهه كل شيء أدركه بصره » أخرجه الشيخان .

وقال ﷺ لحصين « كم تعد لنفسك من إله ؟ » : قال سبعة ستة في الارض وواحد في السماء قال « فأيهم تعد لرهبتك ورغبتك ؟ » قال الذي في السماء فقال له ﷺ أما انك لو أسلمت لعلمتك كلمتين ينفعانك » فلما أسلم حصين قال له « قل اللهم ألهمني رشدي وعافني من شر نفسي » أخرجه ابن خزيمة في كتاب التوحيد

وروى الشيخان عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « لما قضى الله الخلق كتب في كتاب فهو عنده فوق العرش: ان رحمتي تغلب غضبي » وفي رواية للبخاري « إن الله كتب كتابا فهو عنده فوق العرش: ان رحمتي سبقت غضبي فهو مكتوب عنده فوق العرش »

وفي رواية لهما « ان الله لما خلق الخلق » وعند مسلم « لما قضى الله الخلق كتب في كتاب كتبه على نفسه فهو موضوع عنده » زاد البخاري « على العرش » ثم اتفقا « ان رحمتي تغلب غضبي »

وعن أبي الدرداء قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « من اشتكى منكم او اشتكي أخ له فليقل: ربنا الله الذي في السماء تقدس اسمك أمرك في السماء والارض

كما رحمتك في السماء اجعل رحمتك في الارض ، واغفر لنا حوبنا وخطايانا، انت رب الطيبين، أنزل رحمة من رحمتك ، وشفاء من شفائك على هذا الوجع فيبرأ » أخرجه ابوداود

وهكذا حال من يسأل: أين الله يبادر بفطرته ويقول في السماء ففي الخبر مسئلتان (أحدهما) قول السائل أين الله ؟ (وثانيها) قول المسئول : في السماء ، فمن أنكر هاتين المسئلتين فانما ينكر على رسول الله ﷺ لانه قالها وأقرها من غيره . والعياذ بالله من الاعراض عما وصف الله به نفسه ، ووصفه به رسوله

ولم تخبر الرسل بما تستحيله العقول بل اخبارهم قسمان

(أحدهما) مايشهد به العقل والنظر

(والثاني) مالا تدركه العقول بمجردها كالغيوب التي أخبروا بها عن تفاصيل البرزخ واليوم الآخر ، وتفاصيل العقاب والثواب ، ولا يكون خبرهم محالا في العقول أصلا ،

وكل خبر تظن ان العقل يحيله فلا يخلو من أحد أمرين : اما لعدم صحة في النقل او لفساد في العقل والعقل الصحيح لا يخالف النص الصريح

واختلف السلف في الاستواء فقال قوم : استوى بمعنى استقر ، ومنهم ابن عباس رضي الله عنهما كما رواه البيهقي في الاسماء والصفات وهو استقرار يليق بذاته

وقال آخرون منهم سفيان الثوري والاوزاعي والليث بن سعد وسفيان بن عيينة وعبدالله بن المبارك وغيرهم من علماء السلف: اقرارها وامرارها كما جاءت بلا كيف . وقال البغوي، اهل السنة يقولون : الاستواء على العرش صفة الله بلا كيف يجب على الانسان الايمان به ويكل العلم به الى الله عز وجل

وروى البيهقي بسنده عن عبدالله بن وهب قال : كنا عند مالك بن أنس فدخل رجل فقال يا أبا عبدالله (الرحمن على العرش استوى) كيف استوي ؟ قال

فاطرق مالك وأخذته الرحضاء ثم رفع رأسه فقال (الرحمن على العرش استوى) كما وصف نفسه ولا يقال كيف، وكيف عنه مرفوع، وأنت رجل سوء صاحب بدعة أخرجوه ،فأخرج الرجل

وفي رواية يحي قال كنا عند مالك بن أنس فجاء رجل فقال يا أبا عبدالله (الرحمن على العرش استوى) كيف استواؤه ، فأطرق مالك رأسه حتى علاه الرحضاء ثم قال :الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والايمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة وما أراك إلا مبتدعا

وقال تعالى (كل شيء هالك إلا وجهه) وقال (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام) وقال (وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله) وقال (انما نطعمكم لوجه الله) وقال (والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم) وقال (إلا ابتغاء وجه ربه الاعلى) وقال (يريدون وجهه)

وروى البخاري عن جابر بن عبد الله قال : لما نزل على النبي ﷺ (قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم او من تحت أرجلكم) قال «أعوذ بوجهك (او يلبسكم شيعاً ويذيق بعضكم بأس بعض) قال هاتان أهون وأيسر»

وروى البخاري عن أبي موسى الاشعري قال : قال النبي ﷺ « جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما ، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما ، وما بين القوم وأن ينظروا الى وجه ربهم عز وجل إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن »

وروى البخاري عن عتبان بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ « حرم الله على النار ان تأكل من قال لاإله الا الله يبتغي بها وجه الله »

وروى مسلم عن سعد بن ابي وقاص قال : كنا مع رسول الله ﷺ ونحن ستة نفر فقال المشركون:اطرد هؤلاء عنك لايجترئون علينا ، وكنت وعبد الله ابن مسعود ـ أظنه قال وبلال ورجل من هذيل ورجلان قد نسيت اسمهما ـ فوقع

في نفس النبي ﷺ ماشاء الله أن يحدث به نفسه فأنزل الله عز وجل (ولا تطارد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه) الآية

وقال تعالى (يا ابليس مامنعك ان تسجد لما خلقت بيدي ؟) وقال (وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء)

وروى الشيخان عن أنس بن مالك ان نبي الله ﷺ قال « يجمع المؤمنون يوم القيامة فيهتمون لذلك فيقولون لو استشفعنا على ربنا حتى يريحنا من مكاننا هذا فيأتون آدم فيقولون: يا آدم أنت ابو الناس خلقك الله بيده ، وأسجد لك ملائكته ، وعلمك أسماء كل شيء اشفع لنا الى ربنا حتى يريحنا من مكاننا هذا» وذكر الحديث بطوله

وروى البخاري عن ابي هريرة قال : أتي رسول الله ﷺ يوما بلحم فدفع اليه الذراع و كانت تعجبه فنهش منها نهشة ثم قال «أنا سيد الناس يوم القيامة وهل تدرون لم ذلك ؟» قال فذكر حديث الشفاعة وفيه« فيأتون آدم فيقولون يا آدم أنت ابو البشر خلقك الله بيده ، ونفخ فيك من روحه ـ أظنه قال ـ وعلمك أسماء كل شيء اشفع لنا الى ربك »

وروى البخارى عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « احتج آدم وموسى ، فقال موسى أنت الذي خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه » الخ

وروى البخارى عن ابي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «احتج آدم وموسى فقال موسى لآدم أنت ابونا جئت وأخرجتنا من الجنة فقال له آدم أنت موسى الذي اصطفاك الله بكلامه وخط لك في الالواح بيده »الخ

وعن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ « خلق الله جنات عدن وغرس أشجارها بيده ، فقال لها تكلمي فقالت (قد أفلح المؤمنون) »

وعن ابي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « كتب ربكم تبارك وتعالى على نفسه بيده قبل أن يخلق الخلق: ان رحمتي سبقت غضبي »

وعن ابن عمر قال «خلق الله أربعة اشياء بيده ، العرش، وجنات ، عدن، وآدم والقلم . واحتجب من الخلق باربعة، بنار، وظلمة، ونور، فظلمة» .

وقد تكون اليد في غير هـذه المواضع بمعنى القوة ، قال الله تعالى (واذكر عبدنا داود ذا الأيد) أى ذا القوة ، وقد تكون بمعنى النعمة . تقول العرب : كم يد لي عند فلان ، أى كم من نعمة لي قد اسديتها اليه ، وقال تعالى (وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون)وقال (ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين)

وعن ابي هريرة عن النبي (ص) قال « يقبض الله تبارك وتعالى الارض يوم القيامة ويطوي السماء بيمينه ثم يقول أنا الملك ، أين ملوك الارض » رواه البخاري . وروى مسلم عن عبدالله بن عمرو عن النبي (ص) قال «المقسطون عند الله يوم القيامة على منابر من نور على يمين الرحمن وكلتا يديه يمين »

وعن ابي هريرة قال قال رسول الله (ص) « لما خلق الله آدم ونفخ فيه الروح عطس، فقال: الحمدلله، فحمد الله باذن الله ، فقال له ربه: رحمك ربك يا آدم وقال له يا آدم اذهب الى أولئك الملائكة الى ملأ منهم جلوس فقل السلام عليكم فذهب وسلم قالوا وعليك السلام ورحمة الله وبركاته . ثم رجع الى ربه ، فقال هذه تحيتك وتحية بنيك . فقال الله تبارك وتعـالى له — ويداه مقبوضتان — أيهما شئت . فقال اخترت يمين ربي وكلتا يدى ربي يمين مباركة ، ثم بسطها فاذا فيها آدم وذريته » وذكر الحديث

وسئل عمر بن الخطاب عن قوله تعالى (واذ اخـذ ربك من بني آدم من

ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على انفسهم ألست بربكم ؟ قالوا بلى) الآية . فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه سمعت رسول الله (ص) سئل عنها فقال رسول الله ﷺ «خلق الله آدم ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للجنة ، وبعمل أهل الجنة يعملون ، ثم مسح ظهره واستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون » فقال رجل يارسول الله ففيم العمل ؟ فقال رسول الله ﷺ «إن الله اذا خلق الرجل للجنة استعمله بعمل اهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال اهل الجنة فيدخله به الجنة ، واذا خلق الرجل للنار استعمله بعمل اهل النار فيدخله به النار»

وعن هشام بن حكيم ان رجلا اتى رسول الله ﷺ فقال يارسول الله أنبتدأ الاعمال ام قد قضي القضاء ؟ فقال رسول الله ﷺ « إن الله أخذ ذرية بني آدم من ظهورهم وأشهدهم على أنفسهم ثم أفاض بهم في كفيه فقال هؤلاء للجنة وهؤلاء للنار ، فأهل الجنة ميسرون لعمل اهل الجنة ، واهل النار ميسرون لعمل اهل النار »

وروى مسلم عن ابي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « ماتصدق أحد بصدقة من طيب ولا يقبل الله الا الطيب إلا اخذها الرحمن بيمينه ، وإن كانت تمرة فتربو في كف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل كما يربي احدكم فلوه او فصيله » وقال ﷺ « من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب، ولا يصعد إلى الله إلا طيب ، فان الله عز وجل يتقبلها بيمينه فيربيها لصاحبها كما يربي احدكم فلوه حتى يكون مثل أحد » أخرجه البخاري

وروى البخاري عن ابي هريرة قال قال رسول الله ﷺ « يمين الله ملأى لا يغيضها نفقة، سحاء الليل والنهار، ارايتم ما أنفق منذ خلق السموات والارض؟ فانه لم ينقص مما في يمينه ـ قال ـ وعرشه على الماء وبيده الاخرى القسط يرفع ويخفض »

وروى مسلم عن عبدالله بن مسعود قال اتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل من اهل الكتاب فقال: ياابا القاسم، ابلغك ان الله عز وجل يجعل السموات على اصبع والارضين على اصبع ،والشجر على اصبع ،والثرى على اصبع ،والخلائق على اصبع؟ فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه فانزل عز وجل (وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه)

وروى البخاري عن عبدالله بن مسعود قال جاء حبر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يامحمد أو يارسول الله ،ان الله جعل السموات على اصبع ،والارضين على اصبع ،والجبال على اصبع ،والشجر على اصبع ،والماء والثرى على اصبع ،وسائر الخلق على اصبع فيهزهن ويقول انا الملك . قال فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه تصديقا لقول الحبر. ثم قرأ (وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه) الخ

وروى الشيخان عن عبد الله بن مسعود قال جاء حبر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يامحمد ان الله يضع السماء على اصبع والارضين على اصبع والجبال على اصبع والشجر على اصبع وسائر الخلق على اصبع ثم يقول انا الملك فضحك رسول الله ﷺ وقال (ماقدروا الله حق قدره) وفي رواية والماء والثرى على اصبع وسائر الخلق على اصبع يهزهن وفيه ان رسول الله [ص] ضحك حتى بدت نواجذه عجبا وتصديقا له ثم قرأ (وما قدروا الله حق قدره) الآية

وروى الشيخان عن ابن عمر قال قال رسول الله [ص] «يطوي الله السموات يوم القيامة ثم ياخذهن بيمينه ثم يقول انا الملك اين الجبارون اين المستكبرون ، ثم يطوى الارضين بشماله ثم يقول انا الملك اين الجبارون اين المتكبرون؟» وفي رواية يقول « ان الله يقبض اصابعه ويبسطها ثم يقول انا الملك اين الجبارون اين المتكبرون ؟ » وفي رواية يقول « انا الله ويقبض اصابعه ويبسطها ثم يقول انا

الملك حتي نظرت الى المنبر يتحرك من اسلفه حتى اني اقول اساقط هو برسول الله صلى الله عليه وسلم؟ » هذا لفظ مسلم والبخارى « ان الله يقبض يوم القيامة الارضين وتكون السموات بيمينه ويقول انا الملك »

وروى البخارى عن ابي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « يقبض الله الارض ويطوى السماء بيمينه ثم يقول انا الملك اين ملوك الارض » وقال [ص] « قلوب الخلائق بين اصبعين من اصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء »

وروى البخارى عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تزال جهنم تقول هل من مزيد حتى يضع رب العزة فيها قدمه فتقول قط قط وعزتك وينزوى بعضها الى بعض »

وروى البخاري عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ « تحاجت الجنة والنار، فقالت النار : اوثرت بالمتكبرين والمتجبرين، وقالت الجنة : فمالي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم؟ قال الله عز وجل للجنة: انما انت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادى ، وقال للنار أنت عذابي أعذب بك من أشاء من عبادى ولكل واحدة منكما ملؤها فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع الله فيها رجله فتقول قط قط ، فهنالك تمتلئ وينزوى بعضها إلى بعض ، ولا يظلم الله من خلقه أحداً . وأما الجنة فان الله ينشيء لها خلقا » وقال تعالى (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام) وقال تعالى (وجاء ربك والملك صفاً سفا ـ وقال تعالى ـ هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة او يأتي ربك)

وقد ذكر الامام ابو جعفر ابن جرير هنا حديث الصور بطوله عن ابي هريرة عن رسول الله ﷺ وهو حديث مشهور وساقه غير واحد من أصحاب الاسانيد وغيرهم ، وفيه « ان الناس اذا اهتموا لموقفهم في العرصات تشفعوا الى ربهم بالانبياء واحدا بعد واحد ـ من آدم عليه السلام فمن بعده ـ فكلهم يحيدون حتى ينتهوا إلى

محمد (ص) فاذا جاؤا اليه قال « أنا لها أنا لها » فيذهب ويسجد لله تحت العرش ويشفع عند الله في أن يأتي لفصل القضاء بين العباد فيشفعه الله ويأتي في ظلل من الغمام بعد ماتشقق السماء الدنيا وينزل مافيها من الملائكة ثم الثانية ثم الثالثة ثم الرابعة الى السابعة ، وتنزل حملة العرش والكروبيون ، وينزل الجبار عزوجل في ظلل من الغمام والملائكة، لهم زجل في تسبيحهم يقولون سبحان ذى الملك، والملكوت ، سبحان ذى العرش والجبروت، سبحان الحي الذي لا يموت، سبحان الذي يميت الخلائق ولا يموت ، سبوح قدس رب الملائكة والروح قدوس قدوس سبحان ربنا الاعلى ، سبحان ذي السلطان والعظمة سبحانه أبدا أبدا »

وعن عبدالله بن عمرو في قوله (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام) الآية قال « يهبط حين يهبط وبينه وبين خلقه سبعون الف حجاب منها النور والظلمة والماء فيصوت الماء في تلك الظلمة صوتاً تنخلع منه القلوب »

وعن ابن مسعود عن النبي (ص)قال « يجمع الله الاولين والآخرين لميقات يوم معلوم ، قياما شاخصة ابصارهم إلى السماء ، ينظرون فصل القضاء ، وينزل الله في ظلل من الغمام من العرش إلى الكرسي » وعن مجاهد(في ظلل من الغمام)قال « هو السحاب ، ولم يكن قط إلا لبني إسرائيل في تيههم»

وقال ابوالعالية (هل ينظرون الا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة) فالملائكة يجيئون في ظلل من الغمام والله تعالى يجيء فيما شاء ، وهي في بعض القراءة (هل ينظرون إلا ان يأتيهم الله والملائكة في ظلل من الغمام) وهي كقوله (ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا)

وقال صلى الله عليه وسلم « ينزل ربنا إلى سماء الدنيا » الحديث . وقال الله تعالى (قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مدداً) وقال (ولو ان مافي الارض من شجرة أقلام والبحر يمده

من بعده سبعة أبحر مانفدت كلمات الله) وقال(وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله) ولم يقل حتى يرى خلق الله . وقال(يسمعون كلام الله ثم يحرفونه) وقال (يريدون ان يبدلوا كلام الله)وقال(اتل ماأوحي اليك من كتاب ربك لامبدل لكلماته)وقال(ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين) قال (ويريد الله ان يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين)

وقال (ويحق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون) وقال(وتمت كلمة ربك لاملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين) وقال (إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لايؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الاليم)وقال(وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا)

وروى البخارى عن ابي هريرة ان رسول الله ﷺ قال «تكفل الله عز وجل لمن جاهد في سبيله لايخرجه من بيته إلا الجهاد في سبيله وتصديق كلماته أن يدخله الجنة او يرجعه الى مسكنه الذي خرج منه مع مانال من أجر وغنيمة»

وروى مسلم عن أبي هريرة عن النبي [ص] انه قال « تكفل الله لمن جاهد في سبيله لايخرجه من بيته الا جهاد في سبيله ، وتصديق كلمته بان يدخله الجنة او يرجعه إلى مسكنه الذى خرج منه مع مانال من أجر وغنيمة »

وعن أبي موسى الاشعري قال أتى النبي [ص] رجل فقال : يارسول الله، الرجل يقاتل شجاعة ، ويقاتل حمية ، ويقاتل رياء ،اى ذلك في سبيل الله ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليـاء فهو في سبيل الله » رواه مسلم

وروى البخارى عن ابن عباس قال كان النبي [ص] يعوذ الحسن والحسين « أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ، ومن كل عين لامة» ثم يقول « كان أبوكما يعوذ بهما اسماعيل واسحاق »

وعن خولة بنت حكيم انها سمعت رسول الله [ص] يقول « اذا نزل أحدكم منزلا فليقل : أعوذ بكلمات الله التامات من شر ماخلق ، فانه لايضره شيء حتى يرتحل منه »

قال يعقوب بن عبد الله عن القعقاع بن حكيم عن ذكوان عن أبي هريرة انه قال :جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله،مالقيت من عقرب لدغني البارحة ، قال« أما انك لو قلت حين أمسيت أعوذ بكلمات الله التامات من شر ماخلق لم تضرك » رواه مسلم ومالك والترمذي

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال كان رسول الله ﷺ يعلمنا كلمات نقولهن عند النوم من الفزع « بسم الله أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه ، وشر عباده ، ومن همزات الشياطين ، وان يحضرون » فكان عبدالله ابن عمرو يعلمها من بلغ من ولده ، ومن لم يبلغ كتبها وعلقها عليه

فاستعاذ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر ان يستعاذ في هذه الاخبار بكلمات الله تعالى كما أمره الله جل ثناؤه أن يستعيذ به فقال (وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين * واعوذ بك رب ان يحضرون) وقال (فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم) ولا يصح أن يستعيذ المخلوق بالمخلوق فدل انه استعاذ بصفة من صفات ذاته وهي غير مخلوقة كما أمره الله ان يستعيذ بذاته وذاته غير مخلوقة

قال البيهقي روى ميسرة عن علي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يقول عند مضجعه« اللهم اني أعوذ بوجهك الكريم ، وبكلماتك التامة من شر ماأنت آخذ بناصيته ، اللهم أنت تكشف المغرم والمأثم ، لايهزم جندك ، ولا يخلف وعدك ، ولا ينفع ذا الجد منك الجد ، سبحانك وبحمدك»

فاستعاذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بكلمات الله كما استعاذ بوجهه الكريم فكما ان وجهه الذى استعاذ به غير مخلوق فكذلك كلماته التي استعاذ بها غير

مخلوقة وكلام الله تعالى واحد ، وانما جاء بلفظ الجمع على معنى التفخيم والتعظيم

وهذه الآيات والاحاديث صريحة في ان المسموع كلام الله وانه قديم والقول هو الكلام قال الله عز وجل (ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني) وقال (لقد حق القول على أكثرهم) وقال (مايبدل القول لدىّ) وقال (ومن أصدق من الله قيلا) وقال (ومن أصدق من الله حديثا) وقال (سلام قولا من رب رحيم) وقال (قوله الحق وله الملك) وقال (فالحق والحق أقول) فأثبت الله جل ثناؤه لنفسه صفة القول في هذه الآيات

وروى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان رسول الله ﷺ إذا تهجد من الليل قال « اللهم لك الحمد أنت نور السموات والارض ، ولك الحمد أنت قيم السموات والارض ومن فيهن ، أنت الحق ووعدك الحق ، وقولك الحق ولقاؤك الحق ، والجنة حق ، والنار حق ، والنبيون حق ، اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت ، واليك أنبت وبك خاصمت ، واليك حاكمت ، فاغفر لي ماقدمت وما أخرت ، وما أسررت وما أعلنت ، أنت إلهي لا إله الا أنت »

وقد قال تعالى (وكلم الله موسى تكليما) فوصف نفسه بالتكليم وو كده بالتكرار فقال تكليما وقال تعالى (ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه) وقال (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله) وذكر في غير آية من كتابه ما كلم به موسى عليه السلام فقال (ياموسى إني أنا ربك فاخلع نعليك — إلي قوله — واصطنعتك لنفسي) وقال (ياموسى اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين) فهذا كلام سمعه موسى من ربه بلا ترجمان كان بينه وبينه فدعاه الى وحدانيته وأمره بعبادته واقامة الصلاة لذكره وأخبر انه اصطنعه لنفسه واصطفاه برسالاته وبكلامه

وروى البخاري عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ «احتج آدم وموسى

فقال موسى يا آدم أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة ، فقال له آدم ياموسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك التوراة اتلومني على أمر قدره علي قبل أن يخلقني؟ قال فحج آدم موسى » وفي هذا ان موسى كلمه الله تكليما وسمع كلامه بلا واسطة

وأما قوله (وما كان لبشر ان يكلمه الله إلا وحياً او من وراء حجاب او يرسل رسولا فيوحي باذنه مايشاء) فالوحي أول ما أرى الله الانبياء في منامهم

قال الشافعي رحمه الله وغيره من العلماء رؤيا الانبياء وحي لقول ابن ابراهيم لما أمر أبوه في المنام بذبحه (افعل ماتؤمر)

وأما الكلام من وراء حجاب فهو كما كلم الله موسى من وراء حجاب

وروى البيهقي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « إن موسى عليه السلام قال يارب أرنا الذي أخرجنا ونفسه من الجنة فأراه الله عز وجل آدم عليه السلام، فقال: أنت أبونا آدم ؟ فقال له أبونا آدم نعم، فقال أنت الذي نفخ الله فيك من روحه وعلمك الاسماء كلها وأمر الملائكة فسجدوا لك ؟ قال نعم قال: فما حملك على أن أخرجتنا ونفسك من الجنة ؟ قال له آدم فمن أنت ؟ قال أنا موسى، قال أنت نبي بني إسرائيل الذي كلمك الله من وراء حجاب لم يجعل بينك وبينه رسولا من خلقه ؟ قال نعم » الخ الحديث

وأما الكلام بالرسالة فهو إرسال الروح الامين الى من شاء من عباده قال الله تعالى(وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين) والاحاديث في ذلك كثيرة

قال البيهقي وقد كان لنبينا (ص) هذه الانواع الثلاثة :أما الرسالة فقد كان جبريل يأتيه بها من عند الله عز وجل

واما الرؤيا في المنام فقد قال الله تعالى (لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق) واما التكليم فقد قال الله عز وجل(فأوحى الى عبده ما أوحى) ثم كان فيما أوحى

اليه ليلة المعراج خمسين صلاة ، فلم يزل يسأل ربه التخفيف لامته حتى صارت الى خمس صلوات وقال له ربه «(ما يبدل القول لدى) وهي بخمسين صلاة »

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قلنا يارسول الله ، هل نرى ربنا جل ذكره ؟ قال (هل تضارون في رؤية الشمس اذا كان صحو ؟» قلنا لا ، قال « فتضارون في رؤية القمر ليلة البدر اذا كان صحو ؟» قلنا لا قال : فانكم لاتضارون في رؤية ربكم الا كما تضارون في رؤيتهما ثم ينادي مناد : ليذهب كل قوم مع من كانوا يعبدون » فذكر الحديث قال فيه . « فيقول هل بينكم وبينه آية تعرفونها ؟ فيقولون الساق ، فيكشف عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ويبقى من كان يسجد رياء وسمعة فيذهب كيما يسجد فيعود ظهره طبقا واحدا »

وقال ﷺ « انكم سترون ربكم عز وجل يوم القيامة كما ترون الشمس لاتضامون في رؤيتها »

فاما أهل الحديث والسنة المحضة فانهم متفقون على اثبات العلو والمباينة والرؤية والمعتزلة ينفونها واختلف الاشعرية في العلو واتفقوا على الرؤية بلا مقابلة

قال ابن القيم : من اثبت احدهما ونفي الآخر فهو اقرب الى الشرع والعقل ممن نفاهما ، لان الايات والاحاديث والاثار المنقولة عن الصحابة في دلالتها على العلو والرؤية أعظم من ان تنحصر ، وليس مع نفاة الرؤية والعلو ما يصلح ان يذكر من الادلة الشرعية وانما يزعمون ان عندهم ادلة عقلية

فقول الاشعرية المتناقضين في العلو خير من قول المعتزلة النافين للرؤية والعلو وذلك انا اذا عرضنا على العقل وجود موجود لا يشار اليه ولا يصعد اليه شيء ولا ينزل منه شيء ولا هو داخل العالم ولا هو خارجه ولا ترفع الايدي اليه ولا هو فوق ولا تحت ولا يمين ولا شمال ولا خلف ولا امام كانت الفطر تنكر ذلك والعقول الصحيحة ، لانه لو قيل لك صف شيئا بالعدم لما قلت اكثر من ذلك كما قاله الحافظ الذهبي

وقد تمسك من نفى الرؤية من اهل البدع والخوارج والمعتزلة وبعض المرجئة بقوله (لن تراني) وقال «لن» تكون لتأييد النفي ودوامه والمعتزلة لايشهد لهم بذلك كتاب ولاسنة وما قالوه في ان لن للتأبيد خطأ بين وليس يشهد لما قالوه نص عن اهل اللغة والعربية

ويدل على ذلك قوله تعالى في اليهود(ولن يتمنوه ابدا) مع انهم يتمنون الموت يوم القيامة ويدل عليه قوله تعالى (ونادوا يامالك ليقض علينا ربك) وقوله (ياليتها كانت القاضية)

وقد اتفق على الرؤية الانبياء والمرسلون وجميع الصحابة والتابعون وأئمة الاسلام على تتابع القرون وانكرها اهل البدع المارقون والجهمية المهوكون والفرعونيون المعطلون والباطنية الذينهم من جميع الاديان منسلخون ، والرافضة الذينهم بحبائل الشيطان متمسكون ، وعن حبل الله منقطعون ، ولكل عدو لله ورسوله ولامته مسالمون. وكل هؤلاء عن ربهم محجوبون ،وعن بابه مطرودون اولئك أحزاب الضلال شيعة اللعين . وقد قال تعالى (لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسي صعقا)

فبيان الدلالة من هذه الآية على الرؤية من وجوه عديدة

(احدها) انه لايظن بكليم الرحمن ان يسأل ربه ما لا يجوز عليه بل ذلك من ابطل الباطل وأعظم المحال ، فيالله العجب كيف صار اتباع الصابئة والمجوس والمشركين وفروخ الجهمية والفرعونية اعلم بما يجب لله ويستحيل عليه واشد تنزيها له من رسوله وكليمه ؟

(الوجه الثاني) ان الله سبحانه لم ينكر عليه سؤاله ولو كان محالا لأنكره عليه ، ولهذا لما سأل ابراهيم الخليل ربه أن يريه كيف يحيي الموتى لم ينكر عليه ولما سأل عيسى بن مريم ربه أن ينزل مائدة من السماء لم ينكر سؤاله ، ولما سأل

نوح ربه نجاة ابنه أنكر عليه سؤاله وقال (اني أعظك ان تكون من الجاهلين* قال رب إني أعوذ بك ان أسألك ما ليس لي به علم ، وإلا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين)

(الوجه الثالث) انه أجابه بقوله (لن تراني) ولم يقل اني لا أرى ولا اني لست بمرئي ، أولا تجوز رؤيتي ، والفرق بين الجوابين ظاهر لمن تأمله. وهذا يدل على انه سبحانه مرئي ، ولكن موسى لا تحمل قواه رؤيته في هذا الدار لضعف قوة البشر عن رؤيته تعالى. يوضحه :

(الوجه الرابع) وهو قوله (ولكن انظر إلى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني) فأعلمه ان الجبل مع قوته وصلابته لا يثبت لتجليه له في هذه الدار فكيف بالبشر الضعيف الذي خلق من ضعف ؟

(الوجه الخامس) ان الله سبحانه قادر على ان يجعل الجبل مستقراً مكانه وليس هذا بممتنع في مقدوره ، بل هو ممكن وقد علق به الرؤية ، ولو كانت محالا في ذاتها لم يعلقها بالممكن في ذاته

(الوجه السادس) قوله (فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا) وهذا من أبين الادلة على جواز رؤيته تبارك وتعالى فانه اذا جاز أن يتجلى للجبل الذي هو جماد لا ثواب له ولا عقاب فكيف يمتنع أن يتجلى لأنبيائه ورسله وأوليائه في دار كرامته ويريهم نفسه؟ فأعلم سبحانه موسى عليه السلام ان الجبل اذا لم يثبت لرؤيته في هذه الدار فالبشر أضعف

(الوجه السابع) ان الله سبحانه قد كلمه منه اليه وخاطبه وناجاه وناداه ، ومن جاز عليه التكلم والتكليم ، وسمع كلامه بغير واسطة فرؤيته أولى بالجواز ، ولهذا لا يتم انكار الرؤية إلا بانكار التكليم

وقد جمعت هذه الطوائف بين انكار الامرين فأنكروا ان يكلم الله احداً او يراه

أحد ، ولهذا سأله موسى النظر اليه لما اسمعه كلامه ، وعلم نبي الله جواز رؤيته من وقوع خطابه وتكليمه ، ولم يخبر سبحانه باستحالة ذلك عليه ولكن أراه ان ماسأله لايقدر على احتماله كما لم يثبت الجبل لتجليه

وأما قوله (لن تراني) فانما يدل على النفي في المستقبل ولا يدل على دوامه ولو قيد بالتأبيد فكيف اذا أطلق كما قال تعالى (ولن يتمنوه أبداً) مع قوله (ونادوا يامالك ليقض علينا ربك)

والدليل الثاني قوله تعالى (واتقوا الله واعلموا انكم ملاقوه) وقوله تعالى (تحيتهم يوم يلقونه سلام) وقوله تعالى (فمن كان يرجو لقاء ربه) وقوله تعالى (يظنون انهم ملاقو ربهم) وأجمع اهل اللسان ان اللقاء هو نسب الى الحي السليم من العمار المانع اقتضى المعاينة والرؤية (١) ولا ينقض هذا بقوله تعالى (فأعقبهم نفاقاً في قلوبهم الى يوم يلقونه) فقد دلت الاحاديث الصحيحة والصريحة على ان المنافقين يرونه في عرصات القيامة ، بل والكفار ايضا كما في الصحيحين من حديث التجلي يوم القيامة

وفي هذه المسئلة ثلاثة اقوال لأهل السنة (احدها) انه لايراه الا المؤمنون (والثاني) يراه المؤمن والمنافق (والثالث) يراه جميع اهل الموقف مؤمنهم وكافرهم ثم يحتجب عن الكفار فلا يرونه بعد ذلك ، والاقوال الثلاثة في مذهب أحمد وهي لاصحابه ، وكذلك الاقوال الثلاثة بعينها في تكلمه لهم ، ولشيخ الاسلام في ذلك مصنف مفرد حكى فيه الاقوال الثلاثة وحجج اصحابها

وكذلك قوله سبحانه وتعالى (ياايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه) ان عاد الضمير على العمل فهو رؤيته في الكتاب مسطورا ، وان عاد على الرب تعالى فهو لقاؤه الذي وعد به

(١) الكلام هنا غير مستقيم فليتأمل

(والدليل الثالث) قوله تعالى (والله يدعو الى دار السلام ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم* للذين احسنوا الحسنى وزيادة ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون) فالحسنى الجنة ، والزيادة النظر الى وجهه الكريم ، وكذلك فسرها الذي انزل عليه القرآن صلى الله عليه وسلم والصحابة بعده كما رواه مسلم في صحيحه من حديث حماد بن سلمة عن ثابت عن عبدالرحمن بن ابي ليلى عن صهيب رضي الله عنه قال قرأ ﷺ (للذين احسنوا الحسنى وزيادة) ثم قال «إذا دخل أهل الجنة الجنة ، واهل النار النار ، نادى مناد يا أهل الجنة ان لكم عند الله موعدا ، يريد ان ينجزكموه ، فيقولون ماهو؟ الم يثقل موازيننا ويبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة ويخرجنا من النار ؟ فيكشف الحجاب ، فينظرون اليه ، فما أعطاهم شيئا احب اليهم من النظر اليه ، وهي الزيادة»

وروى الحسن عن أنس بن مالك قال : سئل رسول الله ﷺ عن هذه الآية (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) قال «للذين أحسنوا العمل في الدنيا الحسنى وهي الجنة ، والزيادة النظر إلى وجه الله تعالى»

وروى محمد بن جرير عن كعب بن عجرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ في قوله تعالى (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) قال الزيادة النظر إلى وجه الرحمن

وروى أبو العالية عن أبي بن كعب قال سألت رسول الله ﷺ في قوله تعالى (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) قال الحسنى الجنة والزيادة النظر إلى الله عز وجل

وقال أبو بكر رضي الله عنه : الزيادة هي النظر الى وجه الله . وقال حذيفة رضي الله عنه : هي النظر الى وجه ربهم

وقال أبو موسى الاشعري هي النظر الى وجه الرحمن . وقال وهو يخطب الناس في جامع البصرة «ان الله عز وجل يبعث ملكا إلى أهل الجنة فيقول يا أهل الجنة هل أنجزكم الله ما وعدكم ؟ فينظرون الى الحلي والحلل والانهار والازواج

المطهرة فيقولون نعم قد أنجز الله ماوعدنا ، ثم يقول الملك هل أنجزكم الله ماوعدكم ؟ ثلاث مرات فيقولون نعم ، فيقول قد بقي لكم شيء ؟ ان الله يقول (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) الا ان الحسنى الجنة ، والزيادة النظر إلى وجه الله الكريم»

وقال ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما : الحسنى الجنة ، والزيادة النظر الى وجه الله ، والقتر السواد

وقال عبد الرحمن بن ابي ليلى وعامر بن سعد واسماعيل بن عبد الرحمن السدي والضحاك وعبد الرحمن بن سابط وابو اسحاق السبيعي وقتادة وسعيد بن المسيب والحسن وعكرمة مولى ابن عباس ومجاهد (الحسنى) الجنة (والزيادة) النظر الى وجه الله . ولما عطف سبحانه وتعالى الزيادة على الحسنى التي هي الجنة دل على انها أمر آخر وراء الجنة وقد زائد عليها ، ومن فسر الزيادة بالمغفرة والرضوان فهو من لوزم رؤية لرب تبارك وتعالى

والدليل الرابع قوله تعالى (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون * كلا انهم عن ربهم يؤمئذ لمحجوبون)

ووجه الاستدلال بها انه سبحانه جعل من أعظم عقوبة الكفار كونهم محجوبين عن رؤيته وسماع كلامه ، فلو لم يره المؤمنون ويسمعوا كلامه كانوا أيضاً محجوبين عنه

وقد احتج بهذه الحجة الامام الشافعي وغيره من الائمة فذكره الطبراني وغيره عن المزني قال : سمعت الشافعي يقول في قول الله عز وجل (كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) قال فيها دليل على ان أولياء الله يرون ربهم يوم القيامة

وقال الحاكم : حدثنا الاصم حدثنا الربيع قال حضرت محمد بن ادريس الشافعي وقد جاءته رقعة من الصعيد فيها ماتقول في قوله (كلا انهم عن ربهم

يومئذ لمحجوبون) قال لما حجب هؤلاء في السخط كان في هـذا دليل على ان أولياءه يرونه في الرضاء

(والدليل الخامس) قوله عز وجل (لهم مايشاءون فيها ولدينا مزيد) قال الطبراني قال علي بن ابي طالب وأنس بن مالك: هو النظر الى وجه الله عز وجل

(والدليل السادس) قوله عز وجل (لاتدركه الابصار وهو يدرك الابصار) والاستدلال بهذه الآية عجيب فانه من أدلة نفاة الرؤية

وقد قرر شيخ الاسلام ابن تيمية وجه الاستدلال بها أحسن تقرير وقال : لا يحتج مبطل بآية أو حديث صحيح على باطله الا وفي ذلك الدليل ما يدل على نقيض قوله. فمنها هذه الآية، وهي على جواز الرؤية أدل منها على امتناعها ، فانه سبحانه ذكرها في سياق التمدح .ومعلوم ان المدح انما يكون بالاوصاف الثبوتية ، وأما العدم المحض فليس بكمال ولا يتمدح به ، وانما يمدح الرب تعالى بالعدم اذا تضمن أمراً وجودياً، كتمدحه سبحانه وتعالى بنفي السنة والنوم المتضمن كمال القيومية ، ونفي الموت المتضمن كمال الحياة ، ونفي اللغوب والاعياء المتضمن كمال القدرة، ونفي الشريك والصاحبة والولد والظهير المتضمن كمال ربوبيته والهيته وقهره ونفي الاكل والشرب المتضمن كمال صمديته ، وغناه عن خلقه ، ونفي الظلم المتضمن كمال عدله وعلمه وغنائه ، ونفي النسيان وعزوب شيء عن علمه المتضمن كمال علمه واحاطته ، ونفي المثل المتضمن كمال ذاته وصفاته. ولهذا لم يتمدح بعدم محض لايتضمن امراً ثبوتيا ، فان المعدوم يشارك الموصوف في ذلك العدم ، ولا يوصف الكامل بأمر يشترك هو والمعدوم فيه

فلو كان المراد بقوله (لاتدركه الابصار) انه لايرى بحال لم يكن في ذلك مدحا ولا كمالا لمشاركة المعدوم له في ذلك ، فان العدم الصرف الذي لا يرى ولا

تدركه الابصار ، والرب جل جلاله يتعالى ان يمدح بأمر يشاركه فيه العدم المحض، فالمعنى انه يرى ولا يدرك ولا يحاط به ، كما كان المعنى في قوله (ولا يعزب عن ربك من مثقال ذرة) انه يعلم كل شيء وفي قوله (وما مسنا من لغوب) انه كامل القـدرة . وفي قوله (ولا يظلم ربك أحداً) انه كامل العدل ، وفي قوله (لاتأخذه سنة ولا نوم) انه كامل القيومية .

وقوله (لاتدركه الابصار) يدل على غاية عظمته ، وانه أكبر من كل شيء، وانه لعظمته لايدرك بحيث لايحاط به، فان الادراك هو الاحاطة بالشيء وهو قدر زائد على الرؤية كما قال تعالى (فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى انا لمدركون * قال كلا) فلم ينف موسى الرؤية ولم يريدوا بقولهم انا لمدركون: لمرئيون ، فان موسى عليه السلام نفى ادراكهم اياهم بقوله (كلا)

فأخبر الله سبحانه انه لايخاف دركهم بقوله (ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا لاتخاف دركا ولا تخشى)فالرؤية والادراك كل منهما يوجد مع الآخر وبدونه،فالرب تعالى يرى ولا يدرك ، كما يعلم ولا يحاط به ، وهذا الذي فهمه الصحابة والأئمة. قال ابن عباس (لاتدركه الابصار) لا تحيط به الابصار .

فالمؤمنون يرون ربهم تبارك وتعالى بابصارهم عيانا ولاتدركه أبصارهم بمعنى انها لاتحيط به ، وهكذا يسمع كلامه من يشاء من خلقه ولا يحيطون بكلامه ، وكذلك يعلم الخلق ماعلمهم ولا يحيطون بعلمه.

ونظير هذا استدلالهم على نفي الصفات بقوله تعالى(ليس كمثله شيء)

وهذا من أعظم الادلة على كثرة صفات كماله ونعوت جلاله ، وانها لكثرتها وعظمتها وسعتها لم يكن له مثل فيها ، وهكذا جميع العقلاء انما يفهمون من قول القائل: فلان لامثل له وليس له نظير ولا شبيه ، انه قد تميز عن الناس باوصاف

ونعوت لايشاركونه فيها ، وكلما كثرت أوصافه ونعوته فات وبعد عن مشابهة اضرابه، فكيف بالحي القيوم الذي لامثل له في ذاته وصفاته ؟ فقوله (ليس كمثله شيء) من أدل شيء على كثرة نعوته وصفاته . وقوله (لاتدركه الابصار) من أدل شيء على انه يرى ولا يدرك

(والدليل السابع)قوله عز وجل (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) فأنت اذا أخرجت هذه الآية عن تحريفها عن موضوعها ، والكذب على المتكلم بها سبحانه فيما أراد منها ، وجدتها منادية نداء صريحا ان الله سبحانه يرى عيانا بالابصار يوم القيامة ، وان ابيت الا تحريفها الذي يسميه المحرفون: تأويلا، فتأويل نصوص المعاد والجنة والنار والميزان والحساب أسهل على أربابه من تأويلها ، وتأويل كل نص تضمنه القرآن والسنة كذلك ، ولايشاء مبطل على وجه الارض أن يتأول النصوص ويحرفها عن مواضعها الا وجد إلى ذلك من السبيل ماوجد متأول مثل هذه النصوص ، وهذا الذي أفسد الدين والدنيا ،

واضافة النظر إلى الوجه الذي هو محل في هذه الآية ، وتعديته باداة الى الصريحة في نظر العين واخلاء الكلام من قرينة تدل على أن المراد بالنظر المضاف الى الوجه المعدى بالى خلاف حقيقته وموضوعه ــ صريح في ان الله أراد بذلك نظر العين التي في الوجه إلى نفس الرب جل جلاله ، فان النظر له عدة استعمالات بحسب صلاته وتعديه بنفسه فان عدي بنفسه فمعناه التوقف والانتظار كقوله (انظرونا نقتبس من نوركم)وان عدي بفي فمعناه التفكر والاعتبار كقوله (او لم ينظروا في ملكوت السموات والارض)وان عدي بالى فمعناه المعاينة بالابصار كقوله (انظروا إلى ثمره إذا أثمر) فكيف إذا أضيف إلى الوجه الذي هو محل النظر ؟ وكيف وقد قال ﷺ في قوله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة) قال«من البهاء والحسن» (الى ربها ناظرة) قال « في وجه الله عز وجل»

فاسمع أيها الانسان تفسير النبي ﷺ ، والاحاديث الدالة على الرؤية متواترة رواها عنه ﷺ ابو بكر الصديق وابو هريرة وابو سعيد الخدري وجرير ابن عبدالله وصهيب وعبدالله بن مسعود وعلي بن أبي طالب وابوموسى الاشعري وعدي بن حاتم الطائي وأنس بن مالك الانصاري وبريدة بن الحصيب الاسلمي وابو رزين وجابر بن عبدالله وابو امامة الباهلي وزيد بن ثابت وعمار بن ياسر وعائشة أم المؤمنين وعبدالله بن عمر وسلمان الفارسي وحذيفة بن اليمان وعبدالله ابن عباس وعبدالله بن عمرو بن العاص وحديثه موقوف وأبي بن كعب وكعب ابن عجرة وفضالة بن عبيد ، وحديثه موقوف . فمن أراد الاطلاع عليها فليراجعها في مظانها

وقوله تعالى (هو الذي خلق السموات والارض في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم مايلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير) وهذه الآية من أدل شيء على مباينة الرب لخلقه باستوائه على عرشه وهو يعلم ماهم فاعلون ، ويراهم وينفذهم بصره ويحيط بهم علما وقدرة وارادة وسمعا وبصراً ، فهذا معنى كونه سبحانه معهم أينما كانوا . انتهى كلام ابن القيم

قال الحافظ الذهبي في قوله تعالى (وهو معكم) هو كما إذا كتبت الى رجل: إني معك وأنت غائب عنه . قال ابن عباس: نزلت هذه الآية في ربيعة وحبيب ابني عمر وصفوان بن أمية كانوا يوما يتحدثون ، فقال أحدهم: هل يعلم الله مانقول ؟ وقال الثاني يعلم البعض دون البعض ، وقال الثالث إن كان يعلم البعض فيعلم الكل . والمراد من قوله تعالى (رابعهم) والمراد من قوله تعالى (معهم) كونه تعالى عالما بكلامهم وضميرهم وسرهم واعلانهم كما قال ابن مسعود رضي الله عنه « العرش فوق الماء ، والله فوق العرش لايخفى عليه شيء من أعمالكم »

وعن زر عن عبد الله قال « مابين السماء القصوى وبين الكرسي خمسمائة سنة ، وما بين الكرسي والماء خمسمائة سنة ، والعرش فوق الماء ، والله فوق العرش لا يخفى عليه شيء من أعمال بني آدم »

وقال البيهقي : لقد أصاب ابو حنيفة رحمه الله فيما نفى عن الله عز وجل من الكون في الارض، وأصاب فيما ذكر من تأويل الآية، وتبع مطلق السمع بان الله تعالى في السماء .

وبلغنا عن ابي مطيع الحكم بن عبد الله البلخي صاحب الفقه الاكبر قال : سألت أبا حنيفة عمن يقول لاأعرف ربي في السماء أو في الارض فقال : قد كفر لان الله يقول (الرحمن على العرش استوى) وعرشه فوق سمواته ، فقلت انه يقول أقول: على العرش استوى ، ولكن قال لايدري العرش في السماء أو في الارض ؟ فقال: اذا أنكر أنه في السماء فقد كفر . رواها صاحب الفاروق باسناد عن ابي بكر بن يحيى عن الحكم

وسمعت الفاسي الامام تاج الدين عبد الخالق بن علوان قال سمعت الامام أبا محمد عبد الله بن احمد المقدسي مؤلف المقنع يقول: بلغني عن ابي حنيفة رحمه الله انه قال : من أنكر ان الله عز وجل في السماء فقد كفر

وقال محمد بن كثير سمعت الاوزاعي يقول: كنا والتابعين نقول إن الله عز وجل فوق عرشه ، ونؤمن بما وردت به السنة من صفاته . أخرجه البيهقي في كتاب الاسماء والصفات

وروى ابو اسحاق المفسر قال: سئل الاوزاعي عن قوله تعالى (ثم استوى على العرش) قال هو على العرش كما وصف نفسه

وقد سأل الوليد بن مسلم الامام أبا عمرو الاوزاعي عن أحاديث الصفات فقال أمروها كما جاءت

ومن كلام هذا الامام عليك بآثار من سلف ، وإياك وآراء الرجال وإن زخرفوه لك بالقول

وروى عبد الله بن احمد بن حنبل في كتاب السنة عن مقاتل بن حيان في قوله تعالى (ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم) قال هو على عرشه وعلمه معهم . وروى البيهقي باسناده عن مقاتل بن حيان قال : بلغنا ـ والله أعلم ـ في قوله تعالى (هو الاول) قبل كل شيء ، (والآخر) بعد كل شيء ، (والظاهر) فوق كل شيء ، (والباطن) أقرب من كل شيء ، وانه قريب بعلمه وهو فوق عرشه . وسئل سفيان الثوري عن قوله عز وجل (وهو معكم أينما كنتم) قال علمه

وقال عبد الله بن احمد بن حنبل في الرد على الجهمية حدثني ابي حدثنا شريح ابن النعمان عن عبد الله بن نافع قال مالك بن أنس « الله في السماء ، وعلمه في كل مكان لايخلو منه » ولهذا افتتح سبحانه وتعالى الآية بالعلم واختتمها بالعلم بقوله (أن الله يعلم) وقوله (بكل شيء عليم) كما قاله الامام احمد بن حنبل رحمه الله ، وقال تعالى (ويحذركم الله نفسه) وقال (كتب ربكم على نفسه الرحمة) وقال (واصطنعتك لنفسي) وقال فيما أخبر به عن عيسى عليه السلام (تعلم مافي نفسي ولا أعلم مافي نفسك انك أنت علام الغيوب)

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال « لا أحد أغير من الله ، ولذلك حرم الفواحش ماظهر منها وما بطن ، ولا شيء أحب اليه المدح من الله ولذلك مدح نفسه » رواه البخاري في الصحيح عن حفص بن عمر وأخرجه مسلم من وجه آخر عن سعد ، وعنه قال : قال النبي ﷺ « ما أحد أحب اليه المدح من الله ومن أجل ذلك مدح نفسه ، وما أحد أغير من الله ، ومن أجل ذلك حرم الفواحش » وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « لما قضى الله الخلق كتب في كتاب كتبه على نفسه وهو مرفوع فوق العرش ان رحمتي تغلب غضبي » رواه مسلم

في الصحيح . وعنه ان رسول الله ﷺ قال « ان الله سبحانه لما خلق الخلق كتب بيده على نفسه : ان رحمتي سبقت غضبي »

وعنه عن النبي ﷺ قال « التقى آدم وموسى فقال موسى لآدم أنت آدم الذي أشقيت الناس وأخرجتهم من الجنة ؟ قال فقال آدم لموسى أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالاته واصطنعك لنفسه » الحديث رواه البخاري في الصحيح

وعن الصلت بن محمد وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « يقول الله عز وجل أنا عند ظن عبدي بي ، وأنا معه حين يذكرني ، فان ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، وان ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه ، وان تقرب إلي شبراً تقربت اليه ذراعا ، وان تقرب الي ذراعا تقربت منه باعا ، وان أتاني يمشي أتيته هرولة » أخرجاه في الصحيح من وجه عن الاعمش

وعن أنس قال : قال رسول الله ﷺ عن الله « ابن آدم اذكرني في نفسك أذكرك في نفسي ، فان ذكرتني في ملأ ذكرتك في ملأ من الملائكة ـ أو قال ـ في ملأ خير منه »

وعن أبي ذر الغفاري عن رسول الله ﷺ عن الله عز وجل أنه قال « اني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا » رواه مسلم في الصحيح

وعن ابن عباس عن جويرية أن رسول الله ﷺ مر بها حين صلى الغداة او بعد ما صلى الغداة وهي تذكر الله ثم مر بها بعد ما ارتفع النهار او بعد ما انتصف النهار وهي كذلك فقال لها « لقد قلت منذ وقفت عليك كلمات ثلاث مرات هن أكثر أو ارجح او اوزن مما كنت فيه منذ الغداة سبحان الله عدد خلقه ، سبحان الله رضى نفسه ، سبحان الله زنة عرشه ، سبحان الله مداد كلماته » رواه مسلم في الصحيح

وعن ابن عمر ان رسول الله ﷺ قرأ على المنبر (وما قدروا الله حق قدره والارض جميعاً قبضته يوم القيامة) فجعل رسول الله ﷺ يقول « كذا

يمجد نفسه جل وعز: أنا الجبار أنا العزيز أنا المتكبر » فرجف به المنبر حتى قلنا ليخر به الى الارض

وقال تعالى (ولتصنع على عيني ـ وقال ـ فانك بأعيننا ـ وقال ـ واصنع الفلك بأعيننا)

عن نافع ان عبد الله بن عمر أخبره أن المسيح الدجال ذكر بين ظهراني الناس فقال رسول الله ﷺ « ان الله ليس باعور الا ان المسيح الدجال أعور عينه اليمين، كأن عينه عنبة طافية » رواه البخاري في الصحيح

وعن أنس عن النبي ﷺ انه قال « مابعث نبي الا وقد أنذر أمته الاعور الكذاب الا انه أعور وان ربكم ليس باعور ، مكتوب بين عينيه كافر » وعن ابن عباس (واصنع الفلك بأعيننا) قال بعين الله تبارك وتعالى

وقال تعالى (يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون * خاشعة أبصارهم) عن أبي سعيد الخدري انه قال : قلنا يارسول الله أنرى ربنا تعالى ذكره ؟ قال « هل تضارون في رؤية الشمس إذا كان صحو ؟ » قلنا لا قال فتضارون في رؤية القمر ليلة البدر إذا كان صحو ؟ » قلنا لا قال « فانكم لا تضارون في رؤية ربكم الا كما تضارون في رؤيتهما، ثم ينادي مناد: ليذهب كل قوم مع من كانوا يعبدون ـ فذكر الحديث وقال فيه ـ فيقول: هل بينكم وبينه آية تعرفونها ؟ فيقولون الساق فيكشف عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ويبقى من كان يسجد رياء وسمعة، فيذهب كيما يسجد فيعود ظهره طبقاً واحداً » قال وذكر الحديث رواه البخارى في الصحيح عن ابن بكير ، ورواه عن آدم بن اياس عن الليث مختصراً . وقال في الحديث « يكشف ربنا عن ساقه » ورواه مسلم عن عيسى بن حماد الليثي كما رواه ابن بكير

وروي ذلك أيضاً عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ . وقال تعالى

(عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض فينظر كيف تعملون)وقال (والذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا أولئك لاخلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم)

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ في حديث ذكره « إن الله لاينظر إلى أجسادكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم ، التقوى ههنا ـ وأشار إلى صدره » رواه مسلم في الصحيح عن أبي الطاهر عن ابن وهب

وعنه عن النبي ﷺ قال « إن الله عز وجل لاينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن انما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم »

وعنه عن النبي ﷺ قال « إن الله لاينظر إلى صوركم ولا إلى أجسامكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم » هذا هو الصحيح المحفوظ فيما بين الحفاظ

فأما الجاري على ألسنة جماعة من أهل العلم وغيرهم « إن الله لاينظر إلى صوركم ولا إلى أعمالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم » فهو مخالف الحديث الصحيح ولقوله تعالى (فسيرى الله عملكم)

وعن محمد بن سيرين عن ابي هريرة ان رسول الله ﷺ قال « لم يكذب ابراهيم قط إلا ثلاث كذبات : ثنتين في ذات الله قوله (اني سقيم) وقوله (بل فعله كبيرهم هذا) وواحدة في شأن سارة انها أختي » رواه البخاري في الصحيح عن معبد بن تليد عن ابن وهب ورواه مسلم عن ابي الطاهر

وعن ابن عباس قال « تفكر في كل شيء ولا تفكر في ذات الله »

وعن أبي الدرداء « لاتفقه كل التفقه حتى تمقت الناس في ذات الله ثم تقبل على نفسك فتكون لها أشد مقتاً منك للناس » إلى غير هذا من الآيات الصريحة والاحاديث الصحيحة التي يجب الايمان بها والعمل بمقتضاها من غير تحريف وتبديل وتشبيه وتعطيل ، بل نثبت ما أثبت الله لنفسه ونكل علمه اليه ، ونقول

آمنا بالله على مراد الله ، كما قاله خير القرون الذين هم بالله وصفاته عارفون من الخلفاء الراشدين والصحابة والتابعين ومن على سننهم من أئمة المسلمين ، كما قال ابو المعالي الجويني امام الحرمين لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيتها تشفي عليلا ولا تروي غليلا ، بل هم بين مشبه ومعطل ، والطريق المخلص منهما طريق القرآن اقرأ في الاثبات (الرحمن على العرش استوى) (اليه يصعد الكلم الطيب) واقرأ في النفي (ليس كمثله شيء) (ولا يحيطون به علما) ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي

قال ابن القيم : من ظن ان الله سبحانه وتعالى أخبر عن نفسه وصفاته وأفعاله بما ظاهره باطل وتشبيه وتمثيل ، وترك الحقائق المقصودة من كلامه سبحانه وتعالى ورمز اليهم رموزاً بعيدة ، وأشار اليهم اشارة ملغزة ، وصرح بالتشبيه والتمثيل والامور الباطلة التي لا تجوز عليه ولا تليق به ، وأراد من خلقه ان يبعثوا أذهانهم وقواهم وأفكارهم في تحريف كلامه عن مواضعه ، وتأويله على غير تأويله المفهوم من ظاهره ، ويتطلبوا له وجوه الاحتمالات المستكرهة شرعا وعقلا ، والتأويلات التي هي بالالغاز والاحاجي أشبه منها بالكشف والبيان ، وأحالهم في معرفته وأسمائه وصفاته على عقولهم وآرائهم لا على كتابه ، بل أراد منهم ان لا يحملوا كلامه على مايعرفون من خطابهم ولغتهم مع قدرته على أن يصرح لهم بالحق الذي ينفي التصريح به ، ويريحهم من الالفاظ التي توقعهم في الاعتقاد الباطل فلم يفعل ، بل سلك بهم خلاف طريق الهدي والبيان - فقد ظن به ظن السوء

فانه إن قيل انه غير قادر على التعبير عن الحق باللفظ الصريح الذي عبر به هو وسلفه فقد ظن العجز بقدرته

وإن قيل انه قادر ولم يبين وعدل عن البيان والتصريح بالحق إلى مايوهم ،

بل يوقع في الباطل المحال والاعتقاد الفاسد ، فقد ظن بحكمته ورحمته ظن السوء ، وظن انه وسلفه عبروا عن الحق بصريحه دون الله ورسوله ، وان الهدى والحق في كلامهم وعباراتهم ، وأما كلام الله فانما يؤخذ من ظاهره التشبيه والتمثيل والضلال وظاهر كلام المتهوكين الحائرين هو الهدي والحق ، هذا من سوء الظن ، بالله فكل هؤلاء من الظانين بالله ظن السوء ، ومن الظانين بالله غير الحق ظن الجاهلية

ومن ظن به انه ليس فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه وان نسبة ذاته تعالى إلى عرشه كنسبتها إلى أسفل السافلين ، فقد ظن به ظن السوء ، ومن ظن أنه أسفل كما هو أعلى ، وان من قال سبحان ربي الاسفل كمن قال سبحان ربي الاعلى فقد ظن به أقبح الظن وأسواه

ومن ظن به خلاف ماوصف به نفسه او وصفه به رسوله ، اوعطل حقائق ماوصف به نفسه ووصفه به رسوله فقد ظن به ظن السوء .

ومن ظن به ان أحداً يشفع عنده بغير اذنه ، وان بينه وبين خلقه وسائط يرفعون حوائجهم اليه ، وانه نصب لعباده أولياء من دونه يتقربون بهم اليه ، ويتوسلون بهم عليه ، ويجعلونهم وسائط بينه وبينهم فيدعونهم في حاجتهم اليه سبحانه وتعالى ، فقد ظن به أقبح الظن وأسوأه اه

وقال الحافظ الذهبي : ماأدركنا عليه العلماء في جميع الامصار حجازاً وعراقا وشاما وغيرنا يقولون إن الله على عرشه بائن من خلقه كما وصف نفسه بلا كيف ، وأحاط بكل شيء علما ، وهكذا يقولون في جميع الصفات القدسية

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني مذهبنا واختيارنا اتباع رسول الله ﷺ وأصحابه والتابعين من بعدهم ، والتمسك بمذاهب أهل الاثر مثل الشافعي واحمد وغيرهم رحمهم الله ، ونعتقد ان الله عز وجل على عرشه بائن من خلقه (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير)

وقال محمد بن أسلم الطوسي القرآن كلام الله غير مخلوق أينما تلي وحيثما كانه لايتغير ولا يتبدل ، ينقل من المصحف مائة مصحف وذاك الاول لايتحول في نفسه ولا يتغير ، وتلقن القرآن ألف نفس وما في صدرك باق بهيئته، وذاك ان المكتوب والكتابة تعددت والذي في صدرك واحد وما في صدور المؤمنين هو عين ما في صدرك ، والمتلو واحد وإن تعدد التالون له ، وهو كلام الله ووحيه وتنزيله ليس هو كلامنا أصلا ، وتكلمنا به ، وتلاوتنا له من أفعالنا ، وكذلك كتابتنا له وأصواتنا به من أعمالنا (والله خلقكم وما تعملون)

فالقرآن المتلو مع قطع النظر عن أعمالنـا كلام الله ليس بمخلوق فاذا سمعه المؤمنون في الآخرة من رب العالمين فالتلاوة إذ ذاك والمتلو ليسا بمخلوقين

وقال عبد الله بن الامام احمد سألت ابي ماتقول في الرجـل يقول التلاوة مخلوقة ، وألفاظنا بالقرآن مخلوقة ، والقرآن كلام الله ليس بمخلوق ؟ وكان ابي يكره أن يتكلم في اللفظ بشيء او يقال مخلوق او غير مخلوق ـ كلام حسن وإلا فالملفوظ كلام الله ، والتلفظ به فمن كسبنا

وقل الامام ابو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ـ في كتابه مختلف الحديث نحن نقول في قول الله تعالي (مايكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم) يعلم ماهم عليه كما اذا وجهت رجلا إلى بلد وقلت له احذر التقصير فاني معك ، تريد انه لايخفى علي تقصيرك. ولا يسوغ لاحد أن يقول أنه سبحانه بكل مكان على الحلول فيه مع قوله (الرحمن على العرش استوى) ومع قوله (اليه يصعد الكلم الطيب) فكيف يصعد اليه شيء هو معه ، وكيف تعرج الملائكه والروح اليه وهي معه ؟

ولو ان هؤلاء رجعوا الى فطرهم وما ركبت عليه ذواتهم في معرفة الخالق لعلموا ان الله عز وجل هو العلي الاعلى ، وان الايدي ترفع بالدعاء اليه ، والامم كلها أعجميها وعربيها تقول : ان الله في السماء ماتركت على فطرها

وقال ابن خزيمة : من لم يقر بان الله على عرشه استوى فوق سبع سمواته بائن من خلقه ،فهو كافر يستتاب ، فان تاب والا ضربت عنقه ، وكان اماما في الحديث واماما في الفقه

وقال ابن سريج : حرام على العقول أن تمثل الله ، وعلى الاوهام أن تحده ، وعلى الالباب أن تصفه بغير ماوصف به نفسه في كتابه او على لسان رسول الله ﷺ . وقد صح عند جميع اهل الديانة والسنة الى زماننا ان جميع الآيات والاخبار الصادقة عن رسول الله ﷺ يجب على المسلمين الايمان بكل واحد منها كما ورد وان السؤال عن معانيها بدعة وكفر وزندقة مثل قوله (الرحمن على العرش استوى) وقوله (هل ينظرون الا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام) وقوله (وجاء ربك والملك صفاً صفا) ونظائرها مما نطق به القرآن كالفوقية والنفس ، واليدين والوجه ، والسمع والبصر والضحك والتعجب ، والنزول الى السماء الدنيا : إعتقادنا فيه وفي الآي المتشابه في القرآن أن نقبلها ولا نردها ، ولا نتناولها بتأويل المخالفين ولا نحملها على تشبيه المشبهين ، ولا نترجم عن صفاته بلغة غير العربية

وسئل ابو جعفر الترمذي عن حديث نزول الرب فقال : النزول معقول ، والكيف مجهول ، والايمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة

فالنزول والكلام والسمع والبصر والاستواء عبارات جلية واضحة للسامع فاذا اتصف بها من ليس كمثله شيء فالصفة تابعة للموصوف

وقال الطحاوي في العقيدة التي ألفها (ذكر بيان السنة والجماعة على مذهب ابي حنيفة وابي يوسف ومحمد رضي الله عنهم) نقول : في توحيد الله معتقدين أن الله واحد لاشريك له ، ولا شيء مثله ، ما زال بصفاته قبل خلقه . وان القرآن كلام الله يتلى ، وأنزله على نبيه وحياً ، وصدقه المؤمنون حقاً ، وأيقنوا انه كلام

الله بالحقيقة ليس بمخلوق ، فمن سمعه وزعم أنه كلام البشر فقد كفر . والرؤية لأهل الجنة حق بغير إحاطة ولا كيفية

وكل ما في ذلك من الصحيح عن رسول الله ﷺ فهو كما قال ومعناه على ماأراد سبحانه وتعالى . ولا تثبت قدم الاسلام إلا على ظهر التسليم والاستسلام ، فمن رام ماحظر عليه علمه ولم يقنع بالتسليم فهمه ، حجبه مرامه عن خالص التوحيد ، وصحيح الايمان ، ومن لم يتوق النفي والتشبيه زل ولم يصب التنزيه ، الى أن قال : والعرش والكرسي حق كما بين في كتابه ، وهو مستغن عن العرش وما دونه ، محيط بكل شيء وفوقه

وقال ابو الحسن الاشعري في كتابه الذي سماه (اختلاف المصلين ، ومقالات الاسلاميين) فذكر فرق الخوارج والروافض والجهمية وغيرهم - الى أن ذكر مقالات أهل السنة وأصحاب الحديث قال : قولهم الاقرار بالله وملائكته وكتبه ورسله ، وبما جاء عن الله ، وما رواه الثقات عن رسول الله ﷺ ، وان الله تعالى على عرشه كما قال (الرحمن على العرش استوى) وان له يدين بلا كيف كما قال (بيدي) وان أسماء الله لا يقال انها غير الله كما قال المعتزلة ، ويقرون ان لله علما كما قال (أنزله بعلمه وما تحمل من أنثى ولا تضع الا بعلمه) وأثبتوا السمع والبصر ، ولم ينفوا ذلك كما نفته المعتزلة وقالوا : لا يكون في الارض من خير وشر إلا ماشاء الله كما قال تعالى (وما تشاءون إلا أن يشاء الله) ويقولون القرآن كلام الله غير مخلوق ، ويؤمنون بالاحاديث التي جاءت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله ينزل إلى السماء الدنيا فيقول : هل من مستغفر » الحديث .ويقرون ان الله يجيء يوم القيامة كما قال (وجاء ربك والملك صفا صفا) وان الله تعالى يقرب من خلقه كيف شاء قال (ونحن أقرب اليه من حبل الوريد)

الى أن قال ـ فهذا جملة ما يأمرون به ويعتقدونه ويرونه. وبكل ماذكرنا من قولهم نقول واليه نذهب .

وذكر الاشعري في كتابه المذكور في [باب هل الباري تعالى في مكان دون مكان أم ليس في مكان أم في كل مكان ؟] فقال

اختلفوا في ذلك على سبع عشرة مقالة (منها) قول أهل السنة وأصحاب الحديث انه ليس بجسم ولا يشبه الاشياء ، وانه على العرش كما قال (الرحمن على العرش استوى) ولا نتقدم بين يدى الله بالقول بل نقول : استوى بلا كيف ، وان له يدين كما قال (خلقت بيدي) وانه ينزل الى سماء الدنيا كما جاء في الحديث ـ ثم قال ـ وقالت المعتزلة استوى على عرشه بمعنى استولى ، وتأولوا اليد بمعنى النعمة وقوله (تجري بأعيننا) أي بعلمنا .

وقال فيه أيضا في باب الاستواء فان قال قائل ماتقولون في الاستواء ؟ قيل نقول : ان الله مستو على عرشه كما قال (الرحمن على العرش استوى * اليه يصعد الكلم الطيب ـ وقال ـ بل رفعه الله اليه)

وقال حكاية عن فرعون (وقال فرعون : ياهامان ابن لي صرحا لعلي أبلغ الاسباب ـ أسباب السموات ـ فأطلع الى إله موسى واني لأظنه كاذبا) أ كذب فرعون موسى في قوله : ان الله فوق سمواته . وقال عز وجل (أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الارض) فالسموات فوقها العرش ، وكل ما علا فهو سماء ، والعرش أعلى السموات ، فلولا ان الله تعالى فوق عرشه ما قال في حق ملائكته (يخافون ربهم من فوقهم) ولما فطر الخلق عند سؤاله على رفع الايدي إلى السماء

وقال قائلون من المعتزلة والجهمية والحرورية ان معنى (استوى) استولى وملك وقهر ، بما يفيد التجدد والحدوث في الملك ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً

بل هو مستو ومالك وقاهر على العرش وعلى جميع مخلوقاته من حين خلقهم

وقالوا انه في كل مكان ، وجحدوا أن يكون على عرشه كما قال أهل الحق وذهبوا في الاستواء إلى القدرة ، فلو كان كما قالوا كان لا فرق بين العرش وبين الارض السابعة لانه قادر على كل شيء ، وكيف يكون في كل مكان؟ ومنه الحشوش والحانات ، والمزابل ، وما أشبه ذلك من الاماكن المستقذرة . تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ولم يجز عند أحد من المسلمين أن يكون الله في شيء من ذلك فبطل ما يقولونه بالنقل والعقل .

وذكر أدلة من الكتاب والسنة والعقل سوى ذلك فلا نطيل بذكرها فلتراجع في مظانها

وقال احمد: جملة مانقول أن نقر بالله وملائكته وكتبه ورسله ، وما جاء عن الله ، وما رواه الثقات عن رسول الله ﷺ وان الله اله واحد في ذاته وصفاته لا إله غيره ، وان محمداً عبده ورسوله ، وان الجنة حق والنار حق ، وان الساعة آتية لاريب فيها ، وان الله يبعث من في القبور ، وان الله تعالى مستو على عرشه كما قال (الرحمن على العرش استوى) وان له وجها كما قال (ويبقى وجه ربك) وان له يدين كما قال (بل يداه مبسوطتان) وان له عينا بلا كيف كما قال (تجري بأعيننا) وان من زعم ان اسم الله غيره كان جاهلا ، وان الله يرى بالابصار يوم القيامة كما يرى القمر ليلة البدر ، وانه يقلب القلوب بين أصبعين من أصابعه ، وانه يضع السموات على أصبع ، والارضين على أصبع وانه ينزل في كل ليلة الى السماء الدنيا كما جاءت الاحاديث ، وانه يقرب من خلقه كيف يشاء ، كما قال (ونحن أقرب اليه من حبل الوريد) وكما قال (ثم دنى فتدلى فكان قاب قوسين او أدنى) ـ الى أن قال ـ ونرى مفارقة كل داعية الى بدعة ومجانبة اهل الاهواء

وقد أخذ ابو الحسن (الاشعري) عن الجبائي ثم نابذه ورد عليه وصار متكلما بالسنة

يوافق أئمة الحديث في جمهور مايقولونه ، وقد نقل اجماعهم على ذلك وموافقتهم عليه ، وكان يتوقد ذكاء ، وتوفى سنة أربع وعشرين وثلاثمائة ، وله أربع وستون سنة رحمه الله

وقال علي بن خلف شيخ الحنابلة ببغداد : الكلام في الرب محدث وبدعة وضلالة ، فلا يتكلم في الله الا بما وصف به نفسه ، ولا يقال في صفاته : لم ؟ ولا كيف على عرشه استوى ؟ وعلمه بكل مكان ، والقرآن كلام الله وتنزيله ونوره ليس بمخلوق

وقال الحافظ ابو بكر محمد بن الحسين الآجري في (كتاب الشريعة في السنة) في باب التحذير من مذهب الحلولية ، فالذي ذهب اليه أهل العلم ان الله تعالى على عرشه فوق سمواته ، وعلمه محيط بكل شيء ، ويرفع اليه أعمال العباد . فان قيل : ما معنى قوله (مايكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم) ؟ قيل : علمه والله على عرشه وعلمه محيط بهم . والآية يدل أولها وآخرها على انه العلم وهو على عرشه . هذا قول المسلمين .

وقال مالك رحمه الله : الله في السماء ، وعلمه في كل مكان لايخلو من علمه مكان

وقال احمد بن ابراهيم الاسماعيلي في كتابه (المسمى اعتقاد أهل السنة) قال : اعلموا رحمكم الله أن مذهب أهل السنة والجماعة الاقرار بالله وملائكته وكتبه ورسله ، وما نطق به كتاب الله ، وما صحت به الرواية عن رسول الله ﷺ لانعدل عما وردا به ، ويعتقدون أن الله تعالى مدعو باسمائه الحسنى ، موصوف بصفاته التي وصف بها نفسه ووصفه بها نبيه ، خلق آدم بيده ويداه مبسوطتان بلا كيف ، واستوى على عرشه ، وأحاط كل شيء علما

وقال الامام محمد الهروي (١) صاحب التهذيب : الله تعالى على العرش ، ويجوز

«١» كذا في الاصل ولعله ابو إسماعيل عبد الله بن محمد الهروي

أن يقال في المجاز هو في السماء لقوله (أأمنتم من في السماء)

وقال الامام ابو الحسن علي بن مهدي الطبري تلميذ الاشعري في كتابه (مشكل الآثار) له في باب قوله تعالى (الرحمن على العرش استوى) اعلم أن الله في السماء فوق كل شيء ، مستو على عرشه ، بمعنى انه عال عليه ، ومعنى الاستواء الاعتلاء كما تقول العرب ، استويت على ظهر الدابة ، واستويت على سطح الدار ، بمعنى علوته ، واستوت الشمس على رأسي ، واستوى الطير على قمة رأسي بمعنى علا في الجو فوجد فوق رأسي . فالقديم جل جلاله وتعالت عظمته عال على عرشه بذاته ، بائن من مخلوقاته لقوله (أأمنتم من في السماء — وقوله — ياعيسى إني متوفيك ورافعك إلي ـ وقوله ـ تعرج الملائكة والروح اليه)

وزعم البلخي ان استواء الله على العرش هو الاستيلاء عليه ، مأخوذ من قول العرب * استوى بشر على العراق * اذا استولى عليها

[فالجواب] ان الاستواء هنا ليس بمعنى الاستيلاء ، لان الله مستول على العرش وعلى جميع مخلوقاته من حين أوجدهم كما هو المعلوم من الدين بالضرورة فلا معنى حينئذ لتخصيص العرش بالاستيلاء عليه من دون سائر خلقه ، فبان بذلك بطلان قوله ، وكذلك أيضا الاستواء هنا ليس هو الاستيلاء الذي هو من قول العرب ، استوى فلان على كذا أي استولى اذا تمكن من بعد ان لم يكن متمكنا ، والباري عز وجل لا يوصف بالتمكن بعد ان لم يكن متمكنا تعالى الله عن ذلك علواً كبيرا

الى غير ذلك من الآيات والاحاديث والآثار ، وما عليه الصحابة والتابعون ، وتابعوهم وأئمة المسلمين من المجتهدين والمقلدين وبالله المستعان وعليه التكلان ،

وفيما ذكر كفاية لمن له أدنى دراية وبالله التوفيق الى سواء الطريق ، وحسبنا الله ، ولا حول ولا قوة الا بالله ولا نعبد الا إياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين

رسالة

فيما هو الميثاق

الذي أخذ الله على بني آدم

واليه الاشارة بقوله تعالى (وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا : بلى ، شهدنا) الآية

لم يذكر اسم مؤلفها . والاسلوب يدل انه من المحققين

وفيها نقول كثيرة عن العلامة المحقق ابن القيم من كتاب الروح

من مطبوعات صاحب الجلالة السعودية ، ومحيي السنة المحمدية

الإمام عبد العزيز آل سعود

ملك الحجاز ونجد وملحقاتها

(وقد وقفها على من ينتفع بها من أهل العلم والدين)

لا يحل لمن وقعت بيده بيعها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلق الانسان من صلصال كالفخار ، ونفخ فيه من روحه لما سيودعه من الحكم والاسرار ، حيث خلقه بيده وسواه ، وألهمه فجوره وتقواه ، لما أراده منه وقدره عليه ، ليكون مصيره ومنتهاه اليه ، وأشهد ان لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأني عبده وابن عبده وابن أمته ، ومن لاغنى له طرفة عين عن فضله ورحمته ، ولا مطمع له بالفوز بالجنة والنجاة من النار إلا بعفوه ومغفرته ، وأشهد ان محمداً عبده ورسوله وصفيه وحبيبه وخليله

أما بعد : فقد قال الله سبحانه (واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم ؟ قالوا بلى ، شهدنا ـ ان تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين * او تقولوا انما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون ؟ * وكذلك نفصل الآيات ولعلهم يرجعون)

[اعلم] رحمك الله تعالى بانه سبحانه وتعالى لما ذكر قصة موسى عليه السلام ذكر في هذه الآية مايجري مجرى تقرير الحجة على جميع المكلفين ،

واختلف العلماء في تفسيرها فقال بعضهم محتجا بما رواه مسلم بن يسار الجهني ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه سئل عن هذه الآية فقال سمعت رسول الله ﷺ سئل عنها فقال « إن الله خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون ، ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون » فقال رجل يارسول الله ففيم العمل ؟ فقال رسول الله ﷺ «إن الله اذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة فيدخل به الجنة ، واذا خلق

العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخل به النار » قال الحاكم هذا على شرط مسلم

وروى الحاكم أيضاً من طريق هشام بن زيد بن أسلم عن ابي صالح عن ابي هريرة مرفوعا « لما خلق الله آدم مسح ظهره فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة أمثال الذر ، ثم جعل بين عيني كل انسان منهم وبيصا من نور ، ثم عرضهم على آدم قال: من هؤلاء يارب ؟ فقال هؤلاء ذريتك ، فرأى رجلا منهم أعجبه وبيص مابين عينيه: فقال يارب من هذا ؟ فقال هذا ابنك داود يكون في آخر الامم ، قال: كم جعلت له من العمر ؟ قال ستين سنة ، قال يارب زده من عمري أربعين سنة ، فقال الله تعالى :اذا يكتب ويختم فلا يبدل .فلما انقضى عمر آدم جاءه ملك الموت ، فقال :أولم يبق من عمري أربعون سنة ؟ قال:أولم تجعلها لابنك داود ؟ قال فجحد فجحدت ذريته ، ونسي فنسيت ذريته ،وخطيء فخطئت ذريته » وهذا على شرط مسلم ورواه الترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح

ورواه الامام احمد من حديث ابن عباس قال: لما نزلت آية الدين قال رسول الله ﷺ « إن أول من جحد آدم » وزاد محمد بن سعد «ثم أكمل الله له ألف سنة ولداود مائة سنة »

وفي صحيح الحاكم أيضا من حديث ابي جعفر الرازي حدثنا الربيع بن أنس عن ابي العالية عن أبي بن كعب في قوله (وإذ أخذ ربك من بني آدم) الآية قال «جمعهم له يومئذ جميعا ماهو كائن منهم إلى يوم القيامة فجعلهم أرواحا ثم صورهم واستنطقهم فتكلموا ،وأخذ عليهم العهد والميثاق (وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم ؟ قالوا بلى شهدنا) قال الله تعالى فاني أشهد عليكم السموات السبع والارضين السبع ، وأشهد عليكم أباكم آدم (ان تقولوا يوم القيامة)لم نعلم او تقولوا (انا كنا عن هذا غافلين) فلا تشركوا بي شيئاً، فاني أرسل اليكم رسلي يذكرونكم

عهدي وميثاقي وأنزل عليكم كتبي ، فقالوا نشهد أنك ربنا وإلهنا لارب لنا غيرك ولا إله لنا غيرك، ورفع لهم أبوهم آدم فرأى منهم الغني والفقير وحسن الصورة وغير ذلك ، فقال : يارب ، لو سويت بين عبادك ؟ فقال إني أحب ان أشكر ، ورأى فيهم الانبياء مثل السرج . وخصوا بميثاق آخر بالرسالة والنبوة فذلك قوله (وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح) وهو قوله (فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله) وذلك قوله (هذا نذير من النذر الاولى) وقوله (وما وجدنا لأكثرهم من عهد وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين) وهو قوله (ثم بعثنا من بعدهم رسلا الى قومهم فجاءوهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل) كان في علمه بما اقروا به من يكذب به ومن يصدق به . فكان روح عيسى من تلك الارواح التي أخذ عليها الميثاق في زمن آدم ، فأرسل ذلك الروح الى مريم حين(انتبذت من اهلها مكانا شرقيا فاتخذت من دونهم حجابا فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا — الى قوله — مقضيا* فحملته) قال حملت الذى خاطبها وهو روح عيسى عليه السلام . قال ابو جعفر : فحدثنا الربيع بن انس عن أبي العالية عن أبي بن كعب قال دخل من فيها وهذا اسناد صحيح

وروى اسحق بن راهويه بسنده عن هشام بن حكيم بن حزام ان رجلا قال : يارسول الله، تبتدأ الاعمال ام قضي القضاء ؟ فقال « إن الله لما أخرج ذرية آدم من ظهره وأشهدهم على أنفسهم ثم أفاض بهم في كفيه فقال هؤلاء للجنة وهؤلاء للنار ، فأهل الجنة ميسرون لعمل أهل الجنة ، وأهل النار ميسرون لعمل اهل النار »

وروى ابن اسحاق بسنده عن ابي هريرة رضي الله عنه «قال لما اراد الله ان يخلق آدم ـ فذكر خلق آدم ـ فقال له يا آدم ، اي يدي أحب اليك ان أريك ذريتك فيها ؟ فقال يمين ربي ـ وكلتا يدي ربي يمين ـ فبسط يمينه واذا فيه ذريته كلهم ماهو خالق إلى يوم القيامة ، الصحيح على هيئته ، والمبتلى على هيئته ، والانبياء

على هيئاتهم ، فقال ألا عافيتهم كلهم؟ فقال احب ان أشكر »

وروى محمد بن نصر بسنده عن عبد الله بن سلام قال « خلق الله آدم ثم قال بيديه فقبضهما فقال: اختر ياآدم فقال اخترت يمين ربي- وكلتا يديك يمين- فبسطها فاذا فيها ذريته ؛ فقال من هؤلاء يارب ؟ قال من قضيت ان أخلق من ذريتك إلى يوم القيامة »

وروى أيضا ابن اسحاق بسنده عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « لما خلق الله آدم مسح ظهره فسقط منه كل نسمة هو خالقها من ذريته إلى يوم القيامة »

وحدث ابن اسحاق عن عمرو بن زرارة بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله (وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم) الآية .قال «مسح ربك ظهر آدم فخرجت منه كل نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة، وهو ينظر بنعمان-هذا الذي بازاء عرفة- وأخذ ميثاقهم (ألست بربكم؟ قالوا بلى،شهدنا)» ورواه ابو حمزة الضبعي ومجاهد وحبيب بن ابي ثابت وابو صالح وغيرهم عن ابن عباس

وقال ابن اسحاق اخبرنا جرير عن منصور عن مجاهد عن عبد الله بن عمر في هذه الآية قال «أخذهم كما يأخذ المشط من الرأس »

وحدثنا حجاج عن ابن جريج عن الزبير بن موسى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما «ان الله تعالى حين خلق آدم ضرب منكبه الايمن فخرجت كل نفس مخلوقة للجنة بيضاء نقية فقال هؤلاء أهل الجنة ، ثم ضرب منكبه الايسر فخرجت كل نفس مخلوقة للنار فقال هؤلاء أهل النار ، ثم أخذ عهده على الايمان به والمعرفة له ولأمره والتصديق به وبأمره ،من بني آدم كلهم وأشهدهم على أنفسهم فآمنوا وصدقوا وعرفوا وأقروا»

وعنه رضي الله عنه «ان آدم أبصر في ذريته قوما لهم نور فقال يارب من هم؟

فقال الانبياء ، ورأى واحداً هو أشدهم نوراً فقال من هو ؟ فقال داود ، قال كم عمره ؟ فقال ستون سنة ، فقال هو قليل ، وهبت له من عمري اربعين سنة وكان عمر آدم ألف سنة ، فلما تم عمر آدم تسعمائة وستين سنة أتاه ملك الموت ليقبض روحه فقال بقي من أجلي أربعون سنة ، فقال ألست وهبته من ابنك داود ؟ فقال ماكنت لأهب لاحد من أجلي شيئا ، فعند ذلك كتب لكل نفس أجلها »

وقال مقاتل: إن الله مسح صفحة ظهر آدم اليمنى فخرج منه ذرية بيض كهيئة الذر ، ثم جانبه الايسر فخرج منه ذرية سود كهيئة الذر ، فقال يا آدم هؤلاء ذريتك ثم قال لهم (ألست بربكم ؟ قالوا بلى) فقال للبيض هؤلاء في الجنة برحمتي وهم أصحاب اليمين ، وقال للسود هؤلاء للنار ولا أبالي وهم أصحاب الشمال ، ثم قرأ (وأصحاب الميمنة ماأصحاب الميمنة * وأصحاب المشئمة ماأصحاب المشئمة) ثم أعادهم جميعا في صلب آدم . فأهل القبور محبوسون حتى يخرج أهل الميثاق كلهم من أصلاب الرجال وأرحام النساء

وقال تعالى فيمن نقض العهد الاول (وما وجدنا لأكثرهم من عهد)

وهذا القول قد ذهب اليه كثير من قدماء المفسرين كسعيد بن المسيب وسعيد ابن جبير والضحاك وعكرمة والكلبي ، وذكر محمد بن نصر من تفسير السدي عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس ، وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود ، وعن أناس من أصحاب النبي ﷺ في قوله (وإذ أخذ ربك من بني آدم) الآية « لما أخرج الله آدم من الجنة قبل أن يهبط من السماء مسح صفحة ظهره اليمنى وأخرج منه ذرية بيضاء مثل اللؤلؤ كهيئة الذر فقال لهم: ادخلوا الجنة برحمتي ، ومسح صفحة ظهره اليسرى فأخرج منه ذرية سوداء كهيئة الذر فقال لهم: ادخلوا النار ولا أبالي ، فذلك حيث يقول: وأصحاب اليمين وأصحاب الشمال ، ثم أخذ منهم الميثاق فقال (ألست بربكم قالوا بلى) فأعطاه طائفة طائعين وطائفة كارهين على جهة

التقية، فقال هو والملائكة (شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين * او تقولوا - انما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم) فليس أحد من بني آدم الا وهو يعرف ان الله ربه ، ولا مشرك إلا وهو يقول : انا وجدنا آباءنا على أمة، فذلك قوله تعالى (وإذ أخذ ربك من بني آدم - وقوله - وله أسلم من في السموات والارض طوعا وكرها - وقوله - فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين)

يعني يوم أخذ عليهم الميثاق سبحانه وتعالى صور النسم ، وقدر خلقها وأجلها وأعمالها ، واستخرج تلك الصور من مادتها ثم أعادها اليها ، وقدر خروج كل فرد من أفرادها في وقته المقدر له كما قال أبو محمد بن حزم

نعم الرب سبحانه يخلق منها جملة بعد جملة على الوجه الذي سبق به التقدير او لا فيجيء الخلق الخارجي مطابقا للتقدير السابق كشأنه سبحانه وتعالى في جميع مخلوقاته، قدر لها اقداراً وآجالا وصفات وهيئات ثم أبرزها في الوجود مطابقة لذلك التقدير الذي قدره لها لا تزيد عليه ولا تنقص عنه ، وأخذ عليهم الميثاق بالتوحيد وترك الانداد فلا تناقض حينئذ بين الآية والاحاديث لان ما في الآية لا ينافي المسح على ظهر آدم ، ولا في الاحاديث ما ينفي خروج الذرية من ظهور بني آدم ، وانما سبقت الآية ببيان ما وقع من أخذ الميثاق ، وبروز الذرية من ظهور بني آدم ، وهذا لا يخالف ما في الاحاديث المذكورة من ان الله تعالى خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية فان الذرية المستخرجة من ظهور بني آدم هي بواسطة مسح ظهر أبيهم ، فخرج من ظهره ذرية بلا واسطة ، وخرج من ظهور ذريته ذرياتهم بواسطة مسح ظهر أبيهم ، ويصدق عليهم جميعا انهم استخرجوا من ظهر دم بواسطة وبلا واسطة ، وهكذا حكم كل فرع مع أصله .

فالآية الكريمة فصلت ما أجملته الاحاديث من الاخراج وبينت كيفيته ، وبينت الاحاديث ان أخذ الذرية من ظهور بني آدم بواسطة مسح ظهر أبيهم .

حتى خرج منه من علم الله بروزه الى عالم الكون والفساد ، وأخذ عليهم الميثاق بالتوحيد وترك الانداد ، وليس فيها نفي ماتضمنته الآية من خروج الذرية من ظهور بني آدم كماأخبر الله سبحانه وتعالى

***

ونازع هؤلاء البعض الآخر في كون هذا معنى الآية . وقالوا معنى قوله تعالى (وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم) أي اخرجهم،وأنشأهم بعد أن كانوا نطفا في أصلاب الآباء الى الدنيا على ترتيبهم في الوجود ، وأشهدهم على أنفسهم انه ربهم بما أظهر لهم من آياته وبراهينه التي تضطرهم الى أن يعلموا انه خالقهم ، فليس من أحد الا وفيه من صنع ربه ماشهد على انه بارئه ونافذ الحكم فيه ، فلما عرفوا ذلك ودعاهم كل مايرون ويشاهدون الى التصديق به كانوا بمنزلة الشاهدين والمشهدين على أنفسهم بصحته ، كما قال في غير هذا الموضع من كتابه (شاهدين على أنفسهم بالكفر) يريد: هم بمنزلة الشاهدين وان لم يقولوا نحن كفرة ، وكما يقال: قد شهدت جوارحي بقولك، يريد قد عرفته، وكأن جوارحي لو أشهدت وفي وسعها أن تنطق لشهدت

ومن هذا الباب أيضا (شهد الله أنه لا إله إلا هو) يريد أعلم وبين ، فاشبه اعلامه وتبيينه ذلك شهادة من شهد عند الحكام وغيرهم ، كما قاله ابن الانباري

وزاد الجرجاني ـ بيانا لهذا القول ـ فقال حاكيا عن أصحابه: ان الله لما خلق الخلق ونفذ علمه فيهم بما هو كائن مما لم يكن بعد صار ماهو كائن كالكائن، اذ علمه بكونه واقعا غير كونه واقعا في مجاري العربية فساغ أن يضع ماهو منتظر مما لم يقع بعد موضع الواقع لسبق علمه بوقوعه كما قال عز وجل في مواضع من القرآن كقوله (ونادى أصحاب النار ـ ونادى أصحاب الجنة ـ ونادى أصحاب الاعراف) قال فيكون تأويل قوله (وإذ أخذ ربك) وإذ يأخذ ربك وكذلك قوله (وأشهدهم على

أنفسهم) اي ويشهدون بما ركب فيهم من العقل الذي يكون به الفهم ، ويجب به الثواب والعقاب ، وكل مولود بلغ الحنث وعقـل الضر والنفع ، وفهم الوعد والوعيد والثواب والعقاب صار كأن الله تعالى أخذ عليه الميثاق في التوحيد بما ركب فيه من العقل ، وأراه من الآيات والدلائل على وجوده ، وانه لايجوز أن يكون قد خلق نفسه ، واذا لم يجز ذلك فلا بد له من خالق هو غيره (ليس كمثله شيء) وليس من مخلوق يبلغ هذا المبلغ ، ولم يقدح فيه مانع من فهم ، الا إذا حزبه أمر فزع إلى الله عز وجل حين يرفع رأسه الى السماء ويشير اليها بأصبعه علما منه بان خالقه فوقه ، واذا كان العقل الذي منه الفهم والافهام مؤديا الى معرفة ما ذكرنا ودالا عليه ، فكل من بلغ هذا المبلغ فقد أخذ عليه العهد والميثاق .

وجائز أن يقال له قد أقر وأذعن واستسلم اذ جعل فيه السبب والآلة للذين بهما يؤخذ العهد والميثاق كما قال عز وجل (ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها)

واحتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم « رفع القلم عن ثلاثة : عن الصبي حتى يحتلم ، وعن المجنون حتى يفيق ، وعن النائم حتى ينتبه » وقوله عز وجل (إنا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها ـ ثم قال ـ وحملها الانسان)

والامانة ههنا عهـد وميثاق فامتناع السموات والارض والجبال من حمل الامانة خلوها من العقـل الذي يكون به الفهم والافهام ، وحمل الانسان إياها لمكان العقل فيه . قال وللعرب في هذا المعنى ضروب نظم فمنها قوله:

ضمن القنان لفقعس سوآتهـا ان القنـان لفقعس لايأتلي

والقنان جبل فذكر انه قد ضمن لفقعس ، وضمانه لهم انهم كانوا اذا جرى بهم أمر من هزيمة او خوف لجأوا اليه فجعل ذلك كالضمان منه لهم . ومنه قول النابغة

كاجارن الجولان من هلك ربه وحوران منها خاشع متضائل(١)

واجارن الجولان جبالها وحوران الارض التي الى جانبها.

قال ان في قوله (ان تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين* او تقولوا انما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم) دليلا على هذا التأويل لانه عز وجل علم ان هذا الاخذ للعهد عليهم لئلا يقولوا يوم القيامة (انا كنا عن هذا غافلين)، والغفلة ههنا لاتخلو من أحد وجهين: اما ان يكون عن يوم القيامة او عن اخذه الميثاق، فأما يوم القيامة فلم يذكر سبحانه في الكتاب انه أخذ عليهم عهداً وميثاقا بمعرفة البعث والحساب وانما ذكر معرفته فقط

فأما اخذ الميثاق فلاطفال والاسقاط إن كان هذا العهد مأخوذاً عليهم — كما قال المخالف — فهم لم يبلغوا بعد أخذ الميثاق عليهم مبلغاً يكون منهم غفلة عنه فيجحدونه وينكرونه. فمتى تكون هذه الغفلة منهم؟ وهو عز وجل لا يؤاخذهم بما لم يكن منهم. وذكر مالا يجوز ولا يكون — محال

وقوله (او تقولوا انما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم) فلا يخلو هذا الشرك الذي يؤاخذون به ان يكون منهم انفسهم او من آبائهم، فان كان منهم فلا يجوز ان يكون ذلك إلا بعد البلوغ وثبوت الحجة عليهم، إذ الطفل لايكون منه شرك ولا غيره، وإن كان من غيرهم فالامة مجمعة على (ان لا تزر وازرة وزر أخرى) كما قال الله عز وجل

وليس هذا بمخالف لما روي عن النبي ﷺ «إن الله مسح ظهر آدم واخرج منه ذرية، وأخذ عليهم العهد» لانه ﷺ اقتص قول الله عز وجل فجاء بمثل

(١) كذا في الاصل والبيت يرثي به النابغة أبا حجر الغساني. وهو في التاج هكذا:
* بكى حارث الجولان من فقد ربه الخ ويروي من هلك ربه. كما هنا. والحارث قلة من قلاه. والجولان: جبل بالشام

نظمه فوضع الماضي من اللفظ موضع المستقبل ، وهذا شبيه قوله (وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به) فجعل سبحانه ماأنزل على الانبياء من الكتاب والحكمة ميثاقا اخذه من أممهم بعدهم ، يدل على ذلك قوله (ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه) ثم قال للامم (اقررتم وأخذتم على ذلكم إصري ؟ قالوا اقررنا ، قال فاشهدوا وانا معكم من الشاهدين)

فجعل سبحانه بلوغ الامم كتابه المنزل على أنبيائهم حجة عليهم كأخذ الميثاق عليهم وجعل معرفتهم اقراراً منهم .

وشبيه به أيضاً قوله (واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به إذ قلتم سمعنا وأطعنا) فهذا ميثاقه الذي اخذه عليهم بعد ارسال رسله اليهم بالايمان به وتصديقه ، ونظيره قوله تعالى (والذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق) وقوله (الم اعهد اليكم يابني آدم ان لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين * وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم) فهذا عهده اليهم على ألسنة رسله ، ومثله قوله تعالى لبني اسرائيل (وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم) ومثله (وإذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه) وقوله (وإذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم وأخذنا منهم ميثاقا غليظا) فهذا ميثاق أخذه منهم بعد بعثهم كما أخذ من أممهم بعد انذارهم

وهذا الميثاق الذي لعن الله سبحانه من نقضه وعاقبه بقوله (فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية) فانما عاقبهم بنقضهم الميثاق الذي أخذه عليهم على ألسنة رسله . وقد صرح به في قوله (وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا مافيه لعلكم تتقون)

ولما كانت هذه الآية ونظيرها في سور مدنية خاطب بالتذكير بهذا الميثاق

فيها اهل الكتاب فانه ميثاق اخذه عليهم بالايمان به وبرسله

ولما كانت آية الاعراف في سورة مكية ذكر فيها الميثاق والاشهاد العام بجميع المكلفين بالاقرار بربوبيته ووحدانيته وبطلان الشرك وهو ميثاق واشهاد تقوم به عليهم الحجة ، وتنقطع به المعذرة ، وتحل به العقوبة ، ويستحق بمخالفته الاهلاك ، فلا بد ان يكونوا ذاكرين له عارفين به ، وذلك مافطرهم عليه من الاقرار بربوبيته وانه ربهم وفاطرهم ، وانهم مخلوقون مربوبون ، ثم أرسل اليهم رسله يذكرونهم بما في فطرهم وعقولهم ويعرفونهم حقه عليهم ، وامره ، ونهيه ، ووعده ووعيده ، ونظم الآية انما يدل على هذا من وجوه متعددة

[احدها] انه قال سبحانه وتعالى (وإذ اخذ ربك من بني آدم) ولم يقل من آدم وبنو آدم غير آدم

[الثاني] انه قال (من ظهورهم) ولم يقل من ظهره ، وليس لآدم إلا ظهره ، وهذا بدل بعض من كل او بدل اشتمال وهو أحسن

[الثالث] انه قال (ذرياتهم) بصيغة الجمع ولم يقل من ذريته وهو مفرد(١)

[الرابع] انه قال (وأشهدهم على انفسهم) اي جعلهم شاهدين على أنفسهم فلا بد ان يكون شاهداً ذاكراً لما يشهد به وهو انما يذكر شهادته بعد خروجه إلى هذه الدار لايذكر شهادته قبلها

[الخامس] انه سبحانه أخبر ان حكمة هذا الاشهاد اقامة الحجة عليهم لئلا يقولوا يوم القيامة (انا كنا عن هذا غافلين) والحجة انما قامت عليهم بالرسل والفطر التي فطروا عليها كما قال تعالى (رسلا مبشرين ومنذرين * لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل)

[السادس] تذكيرهم بذلك لئلا يقولوا يوم القيامة (انا كنا عن هذا

(١) في قراءة حفص المشهورة (ذريتهم) والمفرد المضاف الى الجمع يفيد العموم

غافلين) ومعلوم انهم غافلون بالاخراج لهم من صلب آدم كلهم واشهادهم جميعا ذلك الوقت فهذا لا يذكره احد منهم

[السابع] قوله (أو تقولوا انما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم) فذكر حكمتين في هذا التعريف والاشهاد (احداهما) ان لا يدعوا الغفلة (والثانية) ان لا يدعوا التقليد ، فالغافل لا شعور له، والمقلد متبع في تقليده لغيره

[الثامن] انه سبحانه وتعالى اشهد كل واحد على نفسه انه ربه وخالقه ، واحتج عليهم بهذا الاشهاد في غير هذا الموضع من كتابه كقوله (ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فأنى يؤفكون) اي فكيف يعرضون عن التوحيد بعد هذا الاقرار منهم ان الله ربهم وخالقهم؟ وهذا كثير في القرآن

فهذه هي الحجة التي أشهدهم على انفسهم بمضمونها وذكرتهم بها رسله بقوله (أفي الله شك فاطر السموات والارض) فالله سبحانه وتعالى ذكرهم على ألسنة رسله بهذا الاقرار والمعرفة ولم يذكرهم باقرار سابق على إيجادهم ولا أقام به عليهم حجة

[التاسع] قوله تعالى (افتهلكنا بما فعل المبطلون) اي لو عذبهم لجحودهم وشركهم لقالوا ذلك وهو سبحانه وتعالى انما يهلكهم لمخالفة رسله وتكذيبهم ، فلو اهلكهم بتقليد آبائهم في شركهم من غير اقامة الحجة عليهم بالرسل لاهلكهم بما فعل المبطلون او أهلكهم مع غفلتهم عن معرفة بطلان ما يكونون عليه وقد أخبر سبحانه بانه لم يكن (ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون) وانما يهلكهم بعد الاعذار والانذار

[العاشر] انه جعل هذا آية وهي الدلالة الواضحة البينة المستلزمة لمدلولها بحيث لا يتخلف عنها المدلول وهذا شأن آيات الرب تعالى فانها أدلة معينة على مطلوب معين مستلزم للعلم به فقال تعالى (وكذلك نفصل الآيات) اي مثل

هـذا التفصيل والتبيين ، (ولعلهم يرجعون) من الشرك إلى التوحيد ، ومن الكفر إلى الايمان

وهـذه الآيات التي فصلها وبينها في كتابه من انواع مخلوقاته وهي آيات أفقية ونفسية ، آيات في نفوسهم وذواتهم وخلقهم ، وآيات في الاقطار والنواحي مما يحدثه الرب تبارك وتعالى مما يدل على وجوده ووحدانيته ، وصـدق رسله والمعاد والقيامة ، ومن أثبتها ماأشهد به كل أحـد على نفسه من انه ربه وخالقه ومبدعه ، وانه مربوب مصنوع مخلوق ، حادث بعد أن لم يكن ، ومحال ان يكون محدثا بلا محدِث او يكون هو المحدث لنفسه، فلا بد له من موجد أوجده (ليس كمثله شيء) وهذا الاقرار والمشاهدة فطرة فطروا عليها ليست بمكتسبة

وهذه الآية وهي قوله (وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم) مطابقة لقوله ﷺ «كل مولود يولد على الفطرة» ولقوله تعالى (فأقم وجهك للدين حنيفا، فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون)

وفيما ذهبتم اليه من تأويل هذا الحديث على ظاهره تفاوت بينه وبين ماجاء به القرآن في هذا المعنى إلا أن يرد تأويله الى ما ذكرناه ، لانه عز وجل قال (وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم) لم يذكر آدم في القصة انما هو ههنا مضاف اليه لتعريف ذريته انهم منه وأولاده. وفي الحديث «انه مسح ظهر آدم» فلا يمكن رد ماجاء في القرآن وما جاء في الحديث إلى الاتفاق الا بالتأويل الذي ذكرناه

قال الجرجاني :وأنا أقول ونحن الى ماروي في الآية عن رسول الله ﷺ وما ذهب اليه اهل العلم من السلف الصالح اميل ، واليه أقبل ، وبه آنس

قال ابن القيم: وفيما ادعيتموه من التفاوت بين الآية والخبر لاختلاف ألفاظهما نظر لان الخبر عن الرسول ﷺ « ان الله مسح ظهر آدم » أفاد زيادة خبر كان في القصة التي ذكرها الله في كتابه ، ولو أخبر النبي ﷺ سوى هذه الزيادة

التي أخبر بها فما عسى أن يكون قد كان في ذلك الوقت الذي أخذ فيه العهد مما لم يضمنه الله كتابه لما كان في ذلك خلاف ولا تفاوت ، بل كان زيادة في الفائدة .
وكذلك الالفاظ اذا اختلفت في ذاتها و كان مرجعها الى شيء واحد لم يوجب ذلك تناقضاً ، كما قال عز وجل في كتابه في خلق آدم ، فذكر مرة انه خلق من تراب ، ومرة انه خلق من حمأ مسنون . ومرة من طين لازب ، ومرة من صلصال كالفخار . فهذه الالفاظ مختلفة ومعانيها ايضاً في الاحوال مختلفة ، فان الصلصال غير الحمأ والحمأ غير التراب الا ان مرجعها كلها في الاصل الى جوهر واحد وهو التراب ومن التراب تدرجت في هذه الاحوال . فقوله سبحانه وتعالى (واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم) وقوله ﷺ « ان الله مسح ظهر آدم واستخرج منه ذريته» فمرجعهما الى جوهر واحد وهو آدم، ومنه تدرجت الذرية إلا أن قوله ﷺ « مسح ظهر آدم » زيادة في الخبر عن الله عز وجل ، ومسح ظهر ادم مسح لظهور ذريته ، واستخراج ذرياتهم من ظهورهم كما أخبر الله سبحانه وتعالى بذلك ـ الى ان قال ابن القيم رحمه الله ـ :

وفيه أيضا انه عز وجل لما أضاف الذرية الى آدم احتمل ان يكون الخبر عن الذرية وعن آدم كما قال تعالى (فظلت أعناقهم لها خاضعين) فالخبر في الظاهر عن الاعناق والنعت للاسماء المكنية فيها وهو مضاف اليها كما كان ادم مضافا اليه هناك ، وليسا جميعاً بالمقصودين في الظاهر بالخبر ولا يحتمل أن يكون قوله (خاضعين) للاعناق لان وجه جمعها خاضعات . ومنه قول الشاعر :

ويشرق بالقول الذي قد أذعته كما شرقت صدر القناة من الدم

فالصدر مذكر . وقوله : شرقت أنث لاضافة الصدر الى القناة (١)

---

(١) الى هنا كلام ابن القيم رحمه الله وأوله (ونازع هؤلاء البعض الآخرون) صفحة ٣٧

وقال أصحاب النظر وأرباب المعقولات انه تعالى اخرج الذرية وهم الاولاد من أصلاب آبائهم، وذلك الاخراج انهم كانوا نطفة فأخرجها الله تعالى من اصلاب الآباء الى ارحام الامهات وجعلها علقة ثم مضغة حتى جعلهم بشراً سوياً ، وخلقا كاملا مرضياً . ثم اشهدهم على أنفسهم بما ركب فيهم من دلائل وحدانيته ، وعجائب خلقه ، وخزائن صنعه وقت الاشهاد حتى صاروا كأنهم قالوا بلى وان لم يكن هناك قول باللسان ، ولذلك نظائر منها قوله تعالى (فقال لها وللارض : ائتيا طوعاً ، أو كرها قالتا اتينا طائعين) ومنها قوله تعالى (انما امرنا لشيء اذا اردناه أن نقول له كن فيكون) وقالت العرب *امتلأ الحوض وقال قطني* فهذا النوع من المجاز والاستعارة مشهور في كلام العرب فوجب حمل الكلام عليه

هذا ما اطلعت عليه من كلام السلف والخلف في الآية والحديث ومحصل الفائدة منهما ﴿ ثبوت الحجة على كل منفوس ممن بلغ وممن لم يبلغ بالميثاق الذي أخذه عليهم بالمعرفة له ، و لايمان به، بقوله تعالى (ألست بربكم؟) وزاد على من بلغ منهم الحجة بالآيات والدلائل التي نصبها لهم في أنفسهم وفي العالم ، وبارسال الرسل اليهم مبشرين ومنذرين ، وبالمواعظ والامثال المنقولة اليهم أخبارها ولا يطالب سبحانه وتعالى أحداً بشيء من الطاعة ، إلا بقدر ما لزمه من الحجة، وركب فيه من القدرة، وبين سبحانه ماهو عامل في البالغين الذين أدركوا الامر والنهي وحجب عنا علم ماقدره في غير البالغين إلا أننا نعلم انه عدل لا يجور في حكمه ، وحكيم لا تفاوت في صنعه ، وقادر لا يسئل عما يفعل (له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين)﴾(١) وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه

« تمت »

«١» مابين العلامتين ﴿ ﴾ من كلام ابن القيم في الروح

مسائل وفتاوى فقهية

﴿ في الطهارة والجمعة ، والاضحيـة ، والتفليس ﴾

والوقف واللقطة والصلح

من تأليف

الفاضل المحقق الشيخ حسن بن حسين من أحفاد الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمهم الله

من مطبوعات صاحب الجلالة السعودية ، ومحيي السنة المحمدية

الإمام عبدالعزيز آل سعود

مَلِكُ الحِجَازِ وَنَجْدٍ وَمُلحَقَاتِهَا

أيده الله ووفقه

(وقد وقفها على من ينتفع بها من أهل العلم والدين)

لا يحل لمن وقعت بيده بيعها

بسم الله الرحمن الرحيم

مسائل وفتاوى في فروع فقهية

من حسن بن حسين الى الاخ الفالح والمحب الصالح عبد الرحمن بن محمد لا زال علمه يزداد ويتجدد

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، والخط المصحوب بالصحيفة، المشتملة على سؤالاتكم اللطيفة، وصل وصلكم الله عزوجل، وتلقينا الاسئلة بالترحاب، ووافيناها فوراً بالجواب، طلبا لمستطاب الثواب، ورجاء لدعوات نافعة في المآب

قال السائل كثر الله تعالى فوائده (المسئلة الاولى) رجل عليه موجب للغسل فنوى بطهارته رفع الحدث الاكبر فقط، هل يرتفع الاصغر وتتداخل الاحداث بعضها في بعض أم لا؟

[الجواب] اذا نوى من عليه موجب أكبر رفعه بغسله فانه يرتفع المنوي وما كان من جنسه ووصفه، كما اذا نوت من عليها غسل حيض وجنابة رفع أحد الحدثين فيرتفعان معاً بنية رفع أحدهما بالغسل، لتداخلهما وتساويهما موجباً وحكما. وكما اذا نوى رفع الحدث وأطلق، أو نوى الصلاة ونحوها مما يحتاج لوضوء وغسل. ويسقط الترتيب والموالاة، لكون البدن فيه بمنزلة العضو الواحد. وأما الحدث الاصغر فلا يرتفع بنية الاكبر فقط لما بينهما من تباين الاوصاف واختلاف الاصناف التي لا يجامعها تداخل. هذا منصوص أحمد والمعتمد عند اكثر اصحابه وهو من مفردات مذهبه. قال ناظمها:

والغسل للكبرى فقط لا يرفع صغرى وان نوى فعنه يرفع

قال في شرحه : اي وان نوى بالغسل الطهارة الكبرى أي رفع الحدث الاكبر لم يرتفع حدثه الاصغر لقول رسول الله ﷺ « وانما لكل امرىء مانوى» وهذا لم ينو الوضوء .هذا الصحيح من المذهب وعليه جماهير الاصحاب وقطع به كثير منهم .اهـ

وحكى في الفروع والمبدع والانصاف عن الازجي وأبي العباس ابن تيمية ان الاصغر يرتفع بنية الاكبر ، وجزم به ابن اللحام في الاختيارات لاندراج الاصغر في الاكبر ، فيدخل فيه ويضمحل معه . ومبنى الطهارات على التداخل فماهية الاصغر انعدمت بانعدام جزئها وسواء تقدم الاصغر الاكبر أو تأخر عنه

وروى البيهقي عن عمر انه كان يقول: وأي وضوء أتم من الغسل اذا أجنب الفرج ؟ وعن يحي بن سعيد قال سئل سعيد بن المسيب عن الرجل يغتسل من الجنابة . يكفيه ذلك من الوضوء ؟ قال نعم

واستأنسوا — أعني القائلين بدخوله في الاكبر — بحديث جابر بن عبدالله ان أهل الطائف قالوا : يارسول الله ، ان ارضنا باردة فما يجزئنا من غسل الجنابة ؟ فقال « أما انا فأفرغ على رأسي ثلاثا » وبقوله ﷺ لأم سلمة « انما يكفيك أن تحثي على رأسك ثلاث حثيات ثم تفيضين عليك الماء فتطهرين » أو قال « فاذا أنت قد طهرت » رواهما مسلم . لكن الدلالة من هذين الحديثين ليست بصريحة

وعلى المذهب فقد حصر محشي المنتهى الشيخ عثمان صور نية رفع الحدث الاكبر في ست فقال :

نية رفع الحدث الاكبر . نية رفع الحدثين . نية رفع الحدث وتطلق . نية استباحة أمر يتوقف على الوضوء والغسل معاً . نية مايسن له الغسل ناسياً للغسل الواجب ، ففي هذه الصور كلها يرتفع الاكبر ، ويرتفع الاصغر أيضا فيما عدا الاولى والاخيرتين ، ثم ذكر انها تأتي في الاصغر أيضا وزيادة ولا حاجة لذكرها هنا لانها ليست من غرض السائل

*
* *

(المسئلة الثانية) إذا غسل يديه من عليه الحدث الاكبر بنية القيام من نوم الليل، هل يرتفع الحدث عنهما بتلك النية أم لا بد من التخصيص بالنية أو بالفعل أو بهما؟

(الجواب) إذا قلنا بما اعتمده المتأخرون من الروايات عن احمد في هذه المسئلة و اشترطنا النية لغسلهما كما هو المقطوع به عندهم فان غسلهما بنية القيام من نوم الليل لا يرفع الحدث عنهما، لانهم صرحوا بان غسلهما من نوم الليل طهارة مفردة يجوز تقديمها على الوضوء والغسل بالزمن الطويل ، لكون وجوب غسلهما منه تعبديا غير معقول لنا ، لاحتمال ورود النجاسة عليهما وغسلهما لمعنى فيهما لا كما يقوله بعضهم ، وحكاه ابو الحسين ابن القاضي رواية عن احمد من ان غسلهما لادخالها في الاناء ، فقد عرفت انه لابد لرفع الحدث عنهما من نية وفعل ، على المذهب خاصة

﴿ تنبيه ﴾ غمس الشمال في هذا كغمس اليمين ولا فرق لانه مفرد مضاف فيعم كقوله عليه السلام « اذا وطيء أحدكم بنعله الاذى » صرح به في قوله « فان التراب لها طهور » وقوله في رواية مسلم «فنفض بيده» والمراد بيديه كما في المتفق عليه.

قال ابو الحسن ابن اللحام في القواعد الاصولية : المفرد المضاف يعم ، هذا مذهبنا ونصّ عليه امامنا تبعاً لعلي وابن عباس

وقال بدر الدين بن عبد الهادي في كتابه : غاية السول في الاصول المفرد المضاف يعم .

قال ابن القيم في البدائع : وعموم المفرد المضاف من قوله (وصدقت بكلمات ربها و كتابه) وقوله (هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق) والمراد جميع الكتب التي أحصيت فيها أعمالهم انتهى

[قلت] ويستفاد أيضاً من قوله تعالى (ولا يجزي والد عن ولده) وقوله (فعصوا رسول ربهم)

قال ابن كثير: وليس رسولهم واحد ، وقوله ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل « لو ان السموات السبع وعامرهن غيري » والمراد جميع عمادهن سوى الله سبحانه. ونظائره كثيرة في الكتاب والسنة واللغة فلا نطول باستقصائه إذ المقام مقام اختصار. والغرض التفطن لهذه القاعدة المهمة

*
* *

﴿ المسئلة الثالثة ﴾ اذا غسلهما بنية رفع الحدث فهل يوثر غمسهما في الماء بعد الغسل ام لا ؟

(الجواب) اذا فرعنا على القول الذي ذكرناه اولا فان غسلهما والحالة هذه يؤثر في الماء فساداً

قال في شرح المفردات ولا يكفي نية الغسل عن نية غسلهما انتهى ، وكذا قال غيره من متأخري الاصحاب لما تقدم من انها طهارة مفردة

اذا تقرر هذا فاعلم ان احمد نصَّ في رواية أخرى على ان غمسها في الماء القليل لا يسلبه الطهورية ، واختارها من أصحابه الخرقي والموفق وأبو البركات ابن تيمية وابن ابي عمر في شرح المقنع وجزم به في الوجيز وفاقا لأكثر الفقهاء

قال في شرح مسلم : الجماهير من العلماء المتقدمين والمتأخرين على انه نهي تنزيه لاتحريم ، فلو خالف وغمس لم يفسد الماء ولم يأثم الغامس . وأما الحديث(١) فمحمول على التنزيه . انتهى

*
* *

﴿ المسئلة الرابعة ﴾ هل يظهر لكم دليل للأصحاب في اشتراطهم تقدم الطهارة للمسح على الجبيرة ام لا ؟

(الجواب) دليلهم القياس على الخف والعمامة ، بجامع الحائل. والقياس اذا صح فهو أحد الادلة الخمسة التي هي الكتاب والسنة والاجماع والقياس والاستصحاب

(١) وهو « إذا استيقظ أحدكم من نومه فلا يغمس يده في الاناء حتى يغسلها ثلاثا »

فكل واحد من هذه الخمسة دليل مستقل بنفسه، إلا أنه وقع من بعض الاصوليين خلاف في الاستصحاب ، وقال ابن عبد الهادي : ذكره المحققون اجماعا انتهى ، فالتحق بالاصول الاربعة

وقد عرفوا القياس اصطلاحا بانه حمل فرع على أصل في حكم بجامع بينهما . قال ابن عبد الهادي: وأركانه أربعة الاصل ، والفرع ، وحكم الاصل، والوصف الجامع . انتهى، قال ابو العباس ابن تيمية : لا تتناقض دلالة القياس اذا كانت صحيحة انتهى .

فينظر في قياسهم الجبيرة على الخف ونحوه ، هل هو صحيح باجتماع أركان القياس الصحيح فيه فيصح دليلا ام لا ؟ وانما يتضح ذلك بنقل عبارات أهل الاصول المحررة ، وتمهيد قواعدهم المقررة ، ولو ذهبنا ننقلها في هذا الوضع لأدى بنا ذلك الى التزام مالا يلزم .

اذا علمت ذلك فما اعتمده متأخرو الاصحاب من هذا الاشتراط هو إحدى الروايتين عن احمد (الثانية) لايشترط لمسح الجبيرة تقدم الطهارة واختارها الخلال وابن عقيل وابو عبدالله ابن تيمية في التلخيص والموفق، وجزم به في الوجيز للاخبار والمشقة لكون الجراح قد تقع في حال لايعلم وقوعها فيه ، ففي اشتراط تقدم الطهارة للمسح افضاء إلى الحرج الموضوع

*
* *

﴿ المسئلة الخامسة ﴾ هل يشترط الموالاة والترتيب بين الوضوء والتيمم أم لا

(الجواب) قال في المبدع وإن كان حدث الجريح أصغر راعى الترتيب والموالاة ويعيد غسل الصحيح عند كل تيمم في وجه ، وفي الآخر لا ترتيب ولا موالاة . فعلى هذا لا يعيد الغسل إلا اذا أحدث انتهى. والاول هو الذي اعتمده المتأخرون فأوجبوا الترتيب والموالاة بين الوضوء والتيمم لاشتراط الترتيب في

الوضوء ، فلا ينقل عن عضو حتى يكمله غسلا وتيمما عملا بقضية الترتيب ،فعلى هذا لا يضر نداوة التراب في يديه كما هو ظاهر كلامهم ، وصرح به بعض الشافعية ، وحكى في الفروع عن المجد أن قياس المذهب ان الترتيب سنة

وحكى في الانصاف وغيره عن ابي العباس ينبغي ان لا يرتب وقال غيره لا تلزمه مراعاة الترتيب، وهو الصحيح من مذهب احمد وغيره، قال والفصل بين أبعاض الوضوء بتيمم بدعة. وجزم به ابن اللحام في الاختيارات، والنفس تميل إلى ماقاله لاسيما وقد حكى هو وغيره من العلماء عن أصل احمد وغيره من فقهاء الحديث ان الاصل في العبادات التوقيف فلا يشرع منها إلا ماشرعه الله . اللهم إلا أن يكون بين إيجاب الترتيب والموالاة وبين بعض الادلة الشرعية رابط خفي علينا فوق كل ذي علم عليم

*
* *

﴿ المسئلة السادسة ﴾ هل يظهر لكم دليل لاشتراطهم دخول الوقت لوضوء من حدثه دائم كسلس البول ودائم الريح ومن به قروح او جروح ؟

(الجواب) دليل ماذكروه من اشتراط دخول الوقت لمن حدثه دائم كسلس البول ودائم الريح والجروح التي لا يرقأ دمها والقروح السيالة ،هو القياس على المستحاضة بجامع العذر . وقد أسلفنا لك أن القياس اذا صح دليل مستقل بنفسه ، ونحن نذكر حكم المسئلة من كلامهم .قال في شرح المفردات عند قول الناظم :

وبدخول الوقت طهر يبطل لمن بها استحاضة قد نقلوا
لا بالخروج منه لو تطهرت للفجر لم يبطل بشمس ظهرت

يعني أن المستحاضة ومن به سلس البول ونحوه يتوضأ لوقت كل صلاة الا لان يخرج منه شيء ، وهو قول أصحاب الرأي لحديث علي بن ثابت عن أبيه

عن جده في المستحاضة «تدع الصلاة أيام اقرائها ثم تغتسل وتصوم وتصلي وتتوضأ عند كل صلاة» رواه ابو داود والترمذي

وعن عائشة قالت: جاءت فاطمة بنت أبي حبيش الى النبي ﷺ - فذكرت خبرها - ثم قالت قال «توضئي لكل صلاة حتى يجيء ذلك الوقت» رواه أحمد وابو داود والترمذي وقال حسن صحيح. فاذا توضأ أحد هؤلاء قبل الوقت ثم بعد أن دخل الوقت بطلت طهارته لان دخوله يخرج به الوقت الذي توضأ فيه. والحدث مبطل للطهارة، وانما عفي عنه مع الحاجة الى الطهارة، ولا حاجة قبل الوقت، وان توضأ بعد الوقت صح وضوءه ولم يؤثر فيه ما يتجدد من الحدث الذي لا يمكن التحرز منه، ولا تبطل الطهارة بخروج الوقت اذا لم يدخل وقت صلاة أخرى من الخمس، فمن تطهرت لصلاة الصبح لم يبطل وضوءها بطلوع الشمس لانه لم يدخل وقت صلاة أخرى

قال المجد - في شرح الهداية - ظاهر كلام احمد ان طهارة المستحاضة تبطل بدخول الوقت دون خروجه. وقال ابو يعلى: تبطل بكل واحد منهما ثم قال: والاول أولى انتهى. ومشى على الثاني في الاقناع. والمشهور عند الحنفية انها تبطل بخروج الوقت لا بدخوله، فلو توضأت بعد طلوع الشمس لم تبطل حتى يخرج وقت الظهر. انتهى كلامه

وقال ابو العباس: أظهر قولي العلماء أن مثل هؤلاء يتوضؤون لوقت كل صلاة أو لكل صلاة

*
* *

﴿ المسئلة السابعة ﴾ إذا سقطت الجبيرة بنفسها من غير برء هل تنتقض الطهارة بذلك أم لا؟

(الجواب) قل في الفروع: وان زالت الجبيرة فكالخف وقبل طهارتها باقية

قبل البرء ، واختاره شيخنا مطلقا كازالة شعر اه وعنى بشيخه أبا العباس ، قال العكبري : فلو خلع الجبيرة على طهارة لم ينتقض وضوء، بمجرد خلعها . وقال في الاقناع والمنتهى وشرح المفردات : وزوال جبيرة كخف اه وكذا عبر غيرهم بلفظ زالت وزوال ، وكلا اللفظين اعم من أن يكون بفعل ، فعلى هذا إن كان سقوطها على طهارة لم تنتقض الطهارة به وان كان بعد حدث انتقضت وعلى الثانية هي باقية مطلقا مالم يبرأ

***

(المسئلة الثامنة) إذا تحقق المسافر وصول الماء قبل خروج وقت الثانية من المجموعتين هل له ان يصليهما جميعا في هذه الحال أم لا ؟

(الجواب) اه ان يؤخر الاولى جمعا مع الثانية لجواز الجمع للمسافر مطلقا، تحقق وجود الماء او ظنه وقت الثانية أم لا على المشهور في مذهب احمد ، بل حكى في الفروع عن بعضهم ان الجمع في السفر في وقت الثانية افضل وانه مذهب الشافعي، وقال المنقح في تصحيح الفروع : جزم به في الهداية والخلاصة ، وقل ابن تميم نص عليه اه ، وقال ابو العباس في المسئلة المسماة (بتيسير العبادات) الجمع بين الصلاتين بطهارة كاملة خير من أن يفرق بين الصلاتين بتيمم ، والجمع بين الصلاتين مشروع لحاجة دنيوية فلأن يكون مشروعا لتكميل الصلاة أولى ، والجامع بين الصلاتين مصل في الوقت وقل في موضع : آخر الجمع بين الصلاتين يصير الوقتين وقتا لهما، وقاله في الانصاف وغيره

***

(المسئلة التاسعة) ماورد في يوم الجمعة كقراءة سورة الكهف والغسل والتفريق بين الاثنين وغيرها هل هو مختص بما قبل الزوال او باليوم كله؟

(الجواب) أما قراءة سورة الكهف فظاهر الخبر الآتي وصريح كلام

فقهاء الحنابلة والشافعية انها في مطلق اليوم ، والاصل فيه مارواه الحاكم والبيهقي عن أبي سعيد مرفوعاً «من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة أضاء له من النور مابين الجمعتين» وفي رواية للبيهقي « مابينه وبين البيت العتيق » قال في شرح الجامع الصغير وفي رواية « ليلة الجمعة » بدل «يوم الجمعة » وجمع بأن المراد اليوم بليلته والليلة بيومها اه وقاله في شرح المنهاج ، وفي الفتاوي المصرية هي مطلقة يوم الجمعة ماسمعت انها مختصة ببعد العصر اه

قال في شرح المنهاج ويستحب الاكثار من قراءتها كما نقل عن الشافعي وقراءتها نهاراً آكد ، وأولاها بعد الصبح مسارعة للخير اه

فلم يقيدها بغير الاولوية وعليها يحمل ماحكاه في المغني وغيره عن خالد بن معدان من انها قبل الصلاة . لـكن هل الليلة ماقبل اليوم أو مابعده ؟ قل ابن القيم في البدائع : هذا مما اختلف فيه فحكي عن طائفة ان ليلة اليوم بعده ، والمعروف عند الناس ان ليلة اليوم قبله ، ومنهم من فصل بين الليلة المضافة إلى اليوم كليلة الجمعة وغيرها فالمضافة إلى اليوم قبله ، والمضافة إلى غيره بعده والذي فهمه الناس قديماً وحديثاً من قول النبي ﷺ « لاتخصوا يوم الجمعة بصيام من بين الايام ، ولا ليلة الجمعة بقيام من بين الليالي » انها الليلة التي تسفر صبيحتها عن يوم الجمعة اه ملخصاً

وقد جاء الحديث أيضا بقراءة سورة هود وسورة آل عمران في يومها ، روى الدارمي في مسنده عن عبد الله بن رباح مرفوعاً « اقرءوا سورة هود يوم الجمعة » ثم أخرجه كذلك بزيادة عن كعب وهو في مراسيل أبي داود . قال الحافظ مرسل صحيح الاسناد ، وروى الطبراني في الاوسط عن ابن عباس مرفوعاً «من قرأ السورة التي يذكر فيها آل عمران يوم الجمعة صلى الله وملائكته عليه حتى تجب الشمس (١)»

ومما ورد من الخصائص مطلقا أيضا الصلاة على رسول الله ﷺ فيه

«١» اي تغيب من وجب بمعنى سقط كقوله تعالى (وجبت جنوبها) اي سقطت

رواه أبوداود والترمذي من حديث أوس بن أوس قال الحاكم صحيح على شرط الشيخين ، ومن ذلك أو كدية السواك والتفرغ للعبادة ومزية الصدقة ودنو أرواح المؤمنين من قبورهم وتوافيها فيه

وأما الاغتسال والتطيب ، ولبس أحسن الثياب ،وقص الشارب ، وتقليم الاظفار، والنهي عن التخطي والتفريق والتحلق والحبوة ، فدلت الاخبار على انه قبل الصلاة ، وإن كان ظاهر الفروع في الاغتسال عدم التقييد لانه قال في يومها الحاضر إن صلاها الا لامرأة وقيل ولها اه

ففي الصحيحين عن ابن عمر مرفوعاً « من أتى الجمعة فليغتسل » وفي السنن عن أبي هريرة مرفوعاً «من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح » فذكره الى أن قال « فاذا خرج الامام حضرت الملائكة يستمعون الذكر » وفي سنن أبي داود عن أبي سعيد مرفوعا « من اغتسل يوم الجمعة ولبس أحسن ثيابه ومس من الطيب إن كان عنده ثم أتى الجمعة فلم يتخط رقاب الناس ثم صلى ما كتب له ثم أنصت إذا خرج امامه» الحديث . وفي البخاري عن سلمان مرفوعا « ثم راح فلم يفرق بين اثنين فصلى ما كتب له ثم إذا خرج الامام أنصت » الحديث ، وفي الطبراني عن أبي هريرة كان رسول الله ﷺ يقلم أظفاره ويقص شاربه يوم الجمعة قبل أن يخرج الى الصلاة . وفي مسند أحمد وسنن أبي داود عن ابن عمر: نهى رسول الله ﷺ عن الحبوة يوم الجمعة والامام يخطب

وأما السفر لمن كان من أهل وجوبها فمنعه الاصحاب بعد الزوال إن لم يخف فوت رفقته إذا لم يأت بها في طريقه، وقبل الزوال فمكروه بشرطه، قال ابن المنذر لاأعلم خبراً ثابتاً يمنع السفر أول النهار إلى الزوال ، وانما يمنع إذا سمع النداء لوجوب السعي حينئذ ، وقال المجد في شرح الهداية روى ابن أبي ذئب قال رأيت ابن شهاب يريد يسافر يوم الجمعة ضحوة، فقلت له تسافر يوم الجمعة؟ فقال ان رسول

الله ﷺ سافر يوم الجمعة . رواه أبو بكر النجاد وهو من أقوى وجوه المرسل لاحتجاج من أرسله به اهـ

وفي مسند الشافعي عن عمر انه رأى رجلا عليه هيئة السفر فسمعه يقول : لولا ان اليوم يوم الجمعة لخرجت ، فقال عمر : اخرج فان الجمعة لا تحبس عن سفر ، وفيه عن علي نحوه ، وفي سنن سعيد بن منصور عن ابن كيسان ان أبا عبيدة بن الجراح سافر يوم الجمعة ولم ينتظر الصلاة

وأما مارواه الدارقطني في الافراد عن ابن عمر يرفعه «من سافر يوم الجمعة دعت عليه الملائكة أن لا يصحب في سفره» ففيه ابن لهيعة ولا يحتج بحديثه عند الحفاظ

وأما ساعة الاجابة فاختلف العلماء فيها وفي موضعها على أكثر من ثلاثين قولا ذكرها الحافظ ابن حجر في الفتح ولوامع الانوار وغيرهما ، ونظمها السيوطي في سبعة عشر بيتاً ، وأقرب الاقوال فيها قولان ، وأحدهما أرجح من الآخر ، كما قاله ابن القيم في الهدي وغيره (الاول) ما بين جلوس الامام إلى انقضاء الصلاة (والثاني) انها بعد العصر ، وهو قول عبد الله بن سلام وابي هريرة ، وذكره ابن جرير عن ابن عباس . قال الترمذي هو مذهب احمد واسحاق وجماهير من أهل العلم

﴿ خاتمة ﴾ ذكر في التوشيح وغيره ان خصائص الجمعة تزيد على الاربعين

*
* *

﴿ المسئلة العاشرة ﴾ مامعنى قوله عليه السلام في الاضحية « البدنة عن سبعة ، والبقرة عن سبعة » وقوله لما ذبح «أضحية محمد ، وآل محمد ، وأمة محمد» وهل يشترك في البدنة والبقرة أكثر من سبعة ؟ وهل المراد سبعة من الغنم أو سبعة أشخاص الخ ؟

(الجواب) قوله الجزور عن سبعة يعني تضحية الابل والبقر عن سبعة أشخاص مجزية عن كل واحد سُبْع . انتهى من المفاتيح

وقال عن حديث ابن عباس الذي رواه الترمذي والنسائي : كنا مع النبي ﷺ في سفر فحضر الاضحى فاشتركنا في البقرة سبعة ، وفي البعير عشرة - ان هذا الحديث منسوخ بما تقدم وهو «الجزور عن سبعة» انتهى وقال في المغنى عن حديث رافع : ان النبي ﷺ قسم فعدل عشرة من الغنم ببعير - هو في القسمة لا في الاضحية انتهى . وقد أخذ كثير من العلماء او اكثرهم بمفهوم الناسخ فقالوا لا تجزيء البدنة كالبقرة عن اكثر من سبعة اشخاص ، لكن لو اشترك جماعة في بدنة أو بقرة فذبحوها على انهم سبعة فبانوا ثمانية ذبحوا شاة وأجزأتهم . قال في الانصاف على الصحيح من المذهب ، نقله ابن القاسم وعليه اكثر الاصحاب ونقل منها تجزي عن سبعة ويرضون الثامن ويضحي وهو قول في الرعاية انتهى ملخصا .

وقال في حاشية التنقيح : قوله عن سبعة ويعتبر ذبحها عنهم قال الزركشي : وتعتبر أن تشترك الجماعة دفعة واحدة . فلو اشترك ثلاثة في بقرة اضحية اوقالوا من جاء يريد الاضحية شاركناه ، فجاء قوم فشاركوهم لم تجز الا عن ثلاثة انتهى . واذا صح الاشتراك فالظاهر لا يمنع كون احدهم مضح لنفسه وبعضهم مضح لميته (١)

واما الحديث الثاني فقال الخطابي في معالم السنن في قوله عليه السلام «تقبل من محمد وآل محمد» دليل على أن الشاة الواحدة تجزيء عن الرجل وأهله وان كثروا ، وروى عن أبي هريرة وابن عمر انهما كانا يفعلان ذلك واجازه مالك والشافعي والاوزاعي واحمد بن حنبل واسحق . وكره ذلك الثوري وابو حنيفة انتهى .

قال ابن تيمية في الفتاوي المصرية اجزأه ذلك في اظهر قولي العلماء وهو مذهب مالك واحمد وغيرهما فان الصحابة كانوا يفعلون ذلك وقد ثبت في الصحيح انه ﷺ ضحى وقال - فذكر الحديث - وترجم جده المجد في المنتقى (باب الاجتزاء

« ١ » كذا في الاصل والوجه في الاعراب ان يقال « مضحيا » في الموضعين لانه خبرا لكون

بالشاة لاهل البيت الواحد) ثم ذكر حديث عطاء بن يسار عن أبي أيوب . وذكر في الافصاح عن مالك أنه لايجوز الاشتراك فيها بالأثمان والاعراض بل على سبيل الارفاق ، وكان يشرك رب البيت أهل بيته ، وسواء في ذلك عنده البدنة والبقرة والشاة. وقال في الانصاف: وتجزي الشاة عن واحد بلا نزاع ، وتجزيء عن أهل بيته وعياله على الصحيح من المذهب نص عليه وعليه أكثر الاصحاب وقطع به كثير منهم ، وقيل لاتجزيء وقدمه في الرعاية الكبرى وقال وقيل في الثواب لا في الاجزاء انتهى

والمعتمد عند الشافعية عدم إجزاء الشاة عن أكثر من واحد قال في المنهاج وشرحه :والشاة عن واحد ،فلو اشترك اثنان في شاة لم يجز ،والاحاديث المخالفة لذلك كحديث « اللهم هذا عن محمد وآل محمد » محمولة على أن المراد التشريك في الثواب لا في الاضحية انتهى

وقال الخلخالي في المفاتيح : ذكر في الروضة أن الشاة الواحدة لايضحى بها إلا عن واحد ، لكن اذا ضحى بها واحد عن أهل بيتـه تأدى الشعار والسنة لجميعهم . وعلى هذا حمل ماروي انه عليه السلام ضحى بكبش وقال «اللهم تقبل عن محمد وآل محمد » وكما ان الفرض بنفسه ينقسم إلى عين وكفاية فقد ذكروا أن التضحية كذلك وانها مسنونة لاهل كل بيت ، وقد حمل جماعة الحديث على الاشتراك في الثواب لانه قال «وعن أمة محمد» انتهى

* * *

﴿ المسئلة الحادية عشرة ﴾ رجل غني مات لكن غالب ماله إما في ذمة صاحب عقار معسر لايحصل منه وفاء إلا من غلته او عند مماطل أو جاحد ونحوه، فحصل من ذلك المال كل نوع بحسبه فهل زكاته لما مضى واجبة من موت المورث إلى الحصول ؟ وهل وقته الذي كان في حياة المورث واجبة على الوارث ؟

فان قلتم نعم وكان بعض الورثة لايملك نصابا فهل تكون الزكاة من رأس المال أو على حصة من ملك نصابا ؟

(الجواب) اذا اعتمدنا ماقطع به المتأخرون من وجوب الزكاة في الدين الذي على غير المليء كعلى المليء لصحة الحوالة به عليه والابراء منه ، فانه يكون في المسئلة تفصيل ، فان كان قد مضى على الدين المذكور حول فأكثر من ملك ربه له قبل موته فان زكاته تخرج من تركته لما مضى ولو لم يبلغ المقبوض نصابا

قال في المبدع : واذا مات من وجبت عليه الزكاة أخذت من تركته نص عليه لقوله عليه الصلاة والسلام « فدين الله أحق بالقضاء » وصرحوا بان الوارث لايبني على حول مورثه ، بل يستأنف حولا من ابتداء ملكه وهو وقت موت المورث

ثم إن كان قد مضى من موته في صورة السؤال حول فأكثر وبلغ نصابا زكاه صاحبه كذلك

وإن لم يحل عليه الحول أو حال ولم يبلغ نصابا فانه لا زكاة فيه . هذا على المقطوع به عند المتأخرين من الروايات عن احمد في المسئلة

وعنه رواية ثانية ان الدين على غير المليء لازكاة فيه مطلقا صححها في التلخيص ورجحها جماعة ، واختارها ابن شهاب والشيخ تقي الدين ذكره عنهم في المبدع وقال : روي عن عمر وابن عمر لانه غير تام وهو خارج عن يده وتصرفه ولان الزكاة وجبت في مقابلة الانتفاع بالنماء حقيقة او مظنة وهذا مفقود انتهى

وعنه رواية ثالثة انما يؤمل رجوعه كالدين على الغائب المنقطع خبره والمفلس ففيه الزكاة ومالا يؤمل رجوعه كالمسروق والمغصوب فلا زكاة فيه ، قال ابو العباس وهذا أقرب ان شاء الله، حكاه عنه في المبدع والانصاف

*
* *

﴿ المسئلة الثانية عشرة ﴾ اذا وجد البائع عين ماله عند المفلس بشروطه المعتبرة وكان المبيع جمع عدداً أكثر بين عشرة إلى مائة فهل اذا وجد بعضها يأخذه بقسطه ويضرب فيما بقي مع الغرماء أم يكون أسوة الغرماء ولا يملك أخذ باقي سلعته؟

(الجواب) هذه المسئلة فيها روايتان عن احمد (احداهما) انه يرجع في العين الباقية جزم به في المنتهى والاقناع ، وذكر في الانصاف انه الصحيح من المذهب ، لان السالم وجده ربه بعينه فيدخل في عموم الخبر ، قاله في شرح المنتهى ووجه في الغاية ان مثله المكيل والموزون فيأخذ ماوجد منه

(والرواية الثانية) ان المتعدد كغيره اذا لم يجده كله كان أسوة الغرماء لتعذر كل العين . قال في الانصاف : وهو ظاهر كلام المصنف هنا وجماعة انتهى. وفي الاولى قوة مع كونها مختار المتأخرين

*
* *

﴿ المسئلة الثالثة عشرة ﴾ اذا وقف انسان وقفا على جهة معينة كعلى صوام المسجد الفلاني ثم أراد الواقف (١) أو غيره صرفه إلى جهة أخرى اما في تلك البلد أو في بلد أخري هل له ذلك ام لا؟

(الجواب) يتعين مصرف الوقف إلى الجهة المعينة على الصحيح من المذهب نقله الجماعة وقدمه في الفروع وغيره ، وقطع به أكثرهم وعليه الاصحاب

وقال الشيخ تقي الدين: يجوز تغيير شرط الواقف إلى ماهو أصلح منه وإن اختلف ذلك باختلاف الازمان حتى لو وقف على الفقهاء والصوفية ، واحتاج الناس إلى الجهاد صرف الى الجند . انتهى من الانصاف ، فجوز الشيخ تغييره إلى ماهو أصلح لا إلى ماهو مثله أو دونه. ووجه الاول وقوع الوقف لازما وانتقال الملك

---

١) كذا في الاصل وهو من أوقف لغة تميم وأنكرها بعضهم

فيه بمجرد عقده إلى الله سبحانه، ومعنى الانتقال هو انفكاكه عن اختصاصات الآدميين

قال العلامة ابن زياد الشافعي: والذي يظهر المنع في صورة السؤال والموقف وغيره في هذا سواء لزوال الملك عنه في الموقوف

*
* *

﴿ المسئلة الرابعة عشر ﴾ اذا وقف انسان وقفا وأشهد عليه وكتب به والشاهد والكاتب يعرفان معنى مانطق به من لغته وعرفه فكتب الكاتب خلاف مانطق به الموقف وأراده، ظنا منه ان المعنى واحد كما اذا قال على أولادي وأولادهم وهما عالمان منه ارادة التعقيب دون التشريك الخ

(الجواب) يتعين العمل بما شهدا عليه من لفظ لغته وعلماه من ارادته وانما يحكم على العامة في هذا ونظائره بما تقتضيه لغاتهم ويدل عليه عرفهم، وإن عدلوا عن الصيغ الاصطلاحية عند الفقهاء لكون العقود بالقصود

قال ابو العباس: للفقهاء في صفة العقود ثلاثة أقوال (أحدها) ان الاصل في العقود انها لاتصح إلا بالصيغ والعبارات التي يخصها بعض الفقهاء باسم الايجاب والقبول، سواء في ذلك البيع والاجارة والنكاح والوقف والعتق وغير ذلك وهذا ظاهر قول الشافعي وهو قول في مذهب احمد لكون الاصل عندهم هو اللفظ

(والقول الثاني) انها تصح بالافعال كالوقف كمن بنى مسجداً أو أذن للناس في الصلاة فيه وكبعض أنواع الاجارة. فهذه العقود لو لم تنعقد بالاحوال الدالة عليها لفسدت أكثر أحوال الناس، وهذا هو الغالب على أصول ابي حنيفة وقول في مذهب احمد، ووجه في مذهب الشافعي، بخلاف المعاطاة في الاموال الجليلة فانه لاحاجة اليه ولم يجر به العرف

(والقول الثالث) ان العقود تنعقد بكل مادل على مقصودها من قول أو فعل، فكل ماعده الناس بيعاً أو اجارة فهو بيع أو اجارة. وإن اختلف اصطلاح

الناس في الالفاظ والافعال انعقد العقد عند كل قوم بما يفهمونه من الصيغ والافعال، وليس لذلك حد مستمر لافي شرع ولا في لغة ، بل يتنوع اصطلاح الناس كما تتنوع لغاتهم ، ولا يجب على الناس التزام نوع معين من الاصطلاحات ولا يحرم عليهم التعاقد بغير مايتعاقد به غيرهم اذا كان مايتعاقدون به دالا على مقصودهم ، وإن كان قد يستحب بعض الصفات وهذا هو الغالب على أصول مالك وظاهر مذهب احمد ، فأما التزام لفظ مخصوص فليس فيه أثر ولا نظر

وهذه القاعدة من ان العقود تصح بكل مادل على مقصودها من قول أو فعل هي التي تدل عليها أصول الشريعة وهي التي يعرفها العامة ، ولم ينقل عن أحد من الصحابة والتابعين انه عين للعقود صفة معينة من الالفاظ أو غيرها ، أو قال مايدل على ذلك من انها لاتنعقد إلا بالصيغ ، بل قد قيل ان هذا القول يخالف الاجماع القديم وهو أنه من البدع وهذه قاعدة عظيمة نافعة انتهى ملخصاً والمنصف لايعدل عنه

(الخامسة عشرة) إذا التقط رجل لقطة فطلبها صاحبها وكتمها الملتقط ليبذل عليها صاحبها مالا، هل له أخذ المال على هذا المنوال املا ؟ فإن قلتم لا يحل فهل يملك الباذل الرجوع أم لا ؟ وهل لقوله حال الانشاد : حلال من الله ــ تأثير أم لا؟

(الجواب) لا يحل له أخذ المال المبذول والحال ما ذكر لوجوب تعريفها عليه وإيصالها إلى صاحبها فوراً متى جاء بأمر رسول الله ﷺ ، ويحرم عليه كتمانها ، ولو تلفت في هذه الحال ضمنها بقيمتها مرتين

قال أبو بكر في التنبيه: ثبت خبر عن النبي ﷺ «في الضالة المكتومة غرامتها ومثلها معها» وهذا حكم رسول الله ﷺ فلا يرد اه

وصرح الفقهاء بأن أجرة المنادي عليه ، وبكتمانه لها ارتكب محرما وترك واجبات متعددة ، فيجب عليه رد ما أخذه إن لم تطب به نفس باذله بعد علمه بالحال،

وقول مالكها حال الانشاد حلال من الله ـ لا تأثير له، وقد صرحوا فيمن رد ضالة قبل بلوغه بذل مالكها للجعل انه يحرم عليه أخذه وهو من أكل المال بالباطل مع كونه بعد بذل صاحب الضالة له ، لكنه لم يسمعه وهو في مقابلة عمله ولم يرتكب فيه محرما عمداً أو يمتنع من واجب فكيف بمن كتم وأثم

***

(السادسة عشرة) إذا تحاكم اثنان الى رجل حكماه ورضيا به هل يلزم أحدهما الآخر بما قاله أم لا ؟ وهل يفرق بينه وبين غيره أم لا؟ وهل هو محسن أم لا؟

(الجواب) إذا تحاكم رجلان إلى رجل يصلح للقضاء وحكماه بينهما جاز ذلك ونفذ حكمه عليهما وبهذا قال أبو حنيفة ، وللشافعي قولان (أحدهما) لا يلزمهما حكمه إلا بتراضيهما

ولنا ما روى أبو شريح ان رسول الله ﷺ قال « ان الله هو الحكم فلم تكنى أبا الحكم؟» قال ان قومي إذا اختلفوا في شيء أتوني فحكمت بينهم فرضي الفريقان ، قال « ما أحسن هذا ، فمن أكبر ولدك ؟ » قال: شريح ، قال « فأنت أبو شريح» أخرجه النسائي ، وروي عن النبي ﷺ « من حكم بين اثنين تراضيا عليه فلم يعدل بينهما فهو ملعون » ولولا أن حكمه يلزمهما لما لحقه هذا الذم ، ولان عمر وأبيًّا تحاكما إلى زيد ، وحاكم عمر اعرابيا إلى شريح قبل ان يوليه القضاء ، وتحاكم عثمان وطلحة الى جبير بن مطعم اه من شرح المقنع

وقال في الانصاف: نفذ حكمه في المال وينفذ في القصاص والحدود والنكاح واللعان في ظاهر كلامه وهو المذهب، وقال القاضي: لا ينفذ الا في الاموال خاصة وقال في المحرر والفروع: وعنه لا ينفذ في قود وحد وقذف ولعان ونكاح ، وقال في الرعاية: وليس له حبس في عقوبة ولا ضرب دية خطأ على عاقلة من رضي بحكمه وما قاله في الانصاف اولا هو المعتمد، قطع به في التنقيح وتبعه من بعده قال في

التنقيح فهو كحاكم الامام مطلقا ، قال في حاشيته أي سواء وجد حاكم أم لا اه فلهذا قال المحشي في إقناعه حتى مع وجود قاض

وقال في الاختيارات: إذا حكم أحد الخصمين خصمه جاز لقصة ابن مسعود وكذا إن حكما مفتيا في مسئلة اجتهادية ، وهل يفتقر ذلك إلى تعيين الخصمين أو حضورهما أو يكفي وصف القضية له؟ الاشبه انه لا يفتقر بل إذا تراضيا بقوله في قضية موصوفة مطابقة لقضيتهم فقد لزم ، فان أراد أحدهما الامتناع فان كان قبل الشروع فينبغي جوازه ، وإن كان بعد الشروع لم يملك الامتناع لأنه إذا استشعر بالغلبة امتنع فلا يحصل المقصود اه فقد ظهر مما قلنا دلزوم ماحكم به

وأما اشتراط الاهلية فكتب الاصحاب طافحة بها لصحة حكمه ولزومه ، وحكى شارح التنبيه من أئمة الشافعية عليها الاتفاق ، وأما اتصافه بالاحسان ، فذلك الى الرحمن

وليكن هذا ختام مانقلناه، وختام ماقلناه، في هذه الالفاظ اللائحة، والاحرف الواضحة ، جعله الله تعالى في مقام الاخلاص والتقوى السبب الاقوى والله أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

(انتهت)

الرد على المدعو

عبد المحمود البخاري

(فيما موه به من أقوال الاتحادية والمشركين)

مؤلفها غير معروف اسمه وهو من علماء نجد

وقد تقدم لرد أوسع من هذا للشيخ عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب صفحة ٢٥٩ — ٣٦٤

من مطبوعات صاحب الجلالة السعودية ، ومحيي السنة المحمدية

الإمام عبد العزيز آل سعود

ملك الحجاز ونجد وملحقاتها

أيده الله ووفقه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إله الاولين والآخرين ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله امام المتقين صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين وسلم تسليما

أما بعد فاني وقفت على ورقتين لرجل جاءنا يزعم أنه من أهل بخارى ويقول إن اسمه عبد المحمود، فرأيت ورقتيه تضمنتا عبارات تنبيء أنه يقول بقول أهل وحدة الوجود، وربما خلط ذلك بعبارات الفلاسفة، فتعين علي أن أبين مافي ورقتيه من الالحاد والدسائس التي موه بها على بعض الجهال، فأوقع بعضهم في لبس وضلال فلما حصل الجواب رجع من رجع

فأول ماابتدأ به الورقتين قوله (الحمد لله المتوحد بجميع الجهات) فاعلموا وفقكم الله أن هذه الكلمة ليس لها استعمال في الكتاب ولا في السنة ولا عند علماء السنة ولا عند غيرهم من الطوائف ، بل هي من عبارات أهل الاتحاد ومعناها أنه المتوحد بجميع الجهات، فهو فيها وحده ليس فيها غيره ، ومصدره توحد يتوحد توحداً اذا توحد بالمكان فليس فيه غيره كقول القائل توحد فلان بمكان كذا وكذا اذا كان هو الذي فيه وحده ، وارادت هذه الطائفة بمثل هذه العبادة أن كل مافي الجهات فهو الله، يبين ذلك أنك لاتجد أحداً من أهل السنة ولا من المتكلمين يصف الله تعالى بانه توحد بجميع الجهات

فالسلف أهل السنة يقولون إنه تعالى فوق العرش الذي هو أعظم المخلوقات وهو فوق السموات والله تعالى فوق عرشه كما قال تعالى (يخافون ربهم من فوقهم) (ثم استوى على العرش الرحمن * الرحمن على العرش استوى) في سبعة مواضع

(تعرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة — ياعيسى اني متوفيك ورافعك إليّ)

وأمثال هذه الادلة في الكتاب والسنة كثير تدل على ان الله تعالى فوق عرشه وانه ليس في الجهات ، وأدلة علو الرب تبارك وتعالى على عرشه كثيرة في الكتاب والسنة

وأما أهل البدع من الجهمية ومن سلك سبيلهم فيقولون إنه تعالى حال في كل شيء ، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً ، لكنهم لم يقولوا بقول أهل الاتحاد إن الذي هو حال فيه هو عينه بل يقولون إنه غيره ، وأما أهل الوحدة فيقولون إنه الوجود بعينه وهو قول هذا الرجل كما يدل عليه بقية كلامه

وأما الاشاعرة فأخلوه تعالى من جميع الجهات ولم يثبتوا علوه على خلقه واستواءه على عرشه [1] فخالفوا السلف وأهل السنة ولم يؤمنوا بما في كتاب الله ولا

---

(١) لم يثبتوه كما أثبته السلف بمعناه العربي من غير تمثيل ولا تعطيل ولا تأويل بل أولوه بما ينافي ما أرادوه من التنزيه فقالوا استولى على العرش . فيقال لهم إن كان استيلاؤه عليه كاستيلاء بشر على العراق ونحوه فهذا عين التشبيه الذي نفرون منه وان كان استيلاء يليق به لا كاستيلاء الملوك وغيرهم على البلاد فلم لا تقولون هذا في اللفظ الوارد في كتاب الله كما قال السلف والحال ان لفظكم يرد عليه من الاعتراض ما لا يرد على لفظ كتاب الله وذلك من وجهين (أحدهما) انه لا يقال ان فلانا الملك أو القائد استولى على بلد كذا إلا إذا انتزعه من خصم له كان مستولياً عليه قبله (ثانيهما) أن عطف الاستواء على خلق السموات والارض بثم يفيد ان الاستيلاء على العرش حصل بعد خلق السموات والارض والحق انه كان مستولياً عليه ومالكا له قبل ذلك أي منذ خلقه وهذا لا يرد على نص التنزيل على طريقة السلف كما هو ظاهر ولا على طريقتكم في التأويل لان الاستواء في اللغة يدل على معنيين العلو والتدبير الذي ورد في آية (استوى على العرش يدبر الامر) فانه لا محذور في العطف بثم على هذين المعنيين . إذ حاصلها انه تعالى لما خلق السموات والارض وتحقق بذلك متعلق صفة الملك تحقق بعده كل من علوه سبحانه على مجموع هذا الملك وتدبيره له وهو معنى استوائه على العرش فان رتبة العلو على الملك وتدبيره مرتبة على خلقه وإيجاده وانما التراخي بثم هنا في الرتبة لا في الزمن . وكتبه محمد رشيد رضا

في سنة رسوله من أدلة العلو ، ويلزمهم على هذا لوازم ليس هذا محل ذكرها

وانما أردنا بيان طريقة هذا الرجل وما دل عليه كلامه لقول أهل الاتحاد وليس في الكتاب والسنة ، ولا في كلام سلف الامة أن الله تعالى متوحد بجميع الجهات بل الذي في القرآن (وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم)

ومعناه أنه تعالى اختص بالالهية دون كل ماسواه فهو الذي تألهه القلوب محبة وذلا وعبودية ، وتعظيما ، ودعاء ورجاء ، وغير ذلك من أنواع العبادة التي لا تصلح إلا له ، وكل إله سواه فهو باطل ، فالالهية صفته التي لا يصح أن يوصف بها غيره إلا على وجه الانكار لها ونفيها وهذا هو التوحيد الذي بعث الله به رسله وأنزل به كتبه ، وفي سورة الاخلاص (قل هو الله أحد) أي لا شبه له ، ولا مثل له ، ولا ند له ، ولا كفو له ، بل هو الكامل في ذاته وصفاته لا إله غيره ولا رب سواه ، فهذا هو التوحيد العلمي الذي يجب اعتقاده

والقرآن يقرر هذا التوحيد ويبين أنه الاله الحق كما قال تعالى (ذلك بان الله هو الحق وان مايدعون من دونه هو الباطل) وهذا هو التوحيد في الالهية ، ويبين توحيده في ربوبيته بقوله تعالى (ذلكم الله ربكم فاعبدوه) وقوله (قل من يرزقكم من السماء والارض أمن يملك السمع والابصار — إلى قوله — فسيقولون الله فقل أفلا تتقون) وهذا التوحيد الثاني قد أقر به مشركو العرب وغيرهم ، لكنهم جحدوا التوحيد العملي توحيد العبادة فصار اقرارهم بهذا النوع حجة عليهم فيما جحدوا كما قال تعالى (وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون)

قال علماء الصحابة والسلف والمفسرون: تسألهم من خلق السموات والارض فيقولون الله ، فذلك إيمانهم وهم مع ذلك يعبدون غيره فذلك شركهم

وأما توحيده تعالى في أسمائه التي هي أوصافه تعالى فالسلف وأهل السنة يثبتون ما أثبته الله في كتابه ، وما أثبته رسوله في سنته على مايليق بجلال الرب

تعالى وعظمته، اثباتا بلا تمثيل، وتنزيها بلا تعطيل كما قال تعالى (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير)

وأما أهل البدع فألحدوا في هذا التوحيد فمنهم من نفى مادلت عليه الصفات من كل الرب، ومنهم من تأولها تأويلات بعيدة تخالف مادلت عليه من المعاني المعروفة في اللغة ولسان الشرع والفطر والعقول الصحيحة،

فتدبر أيها الطالب للعلم والهدى، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، إذا عرفت ذلك وتميز الحق من الباطل عندمن طالع في هذا الجواب فليعلم ان أهل السنة والجماعة لا يطلقون على الله تعالى لفظ الجهة لعدم وروده في الكتاب والسنة، وانما يطلقون على الله تعالى ماورد، فيقولون: انه تعالى استوى على عرشه استواء يليق بجلاله وعظمته، ويقولون انه فوق العرش، وانه عن عرشه تعالى وتقدس، ويثبتون له العلو من جميع الجهات، علو القهر، وعلو القدر، وعلو الذات، ولا يبخسونه واحداً منها كما قال تعالى (وسع كرسيه السموات والارض ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم) وهذا في عدة مواضع من القرآن،

فلله الحمد لا نحصي ثناء عليه هو كما أثنى على نفسه وفوق مايثني عليه خلقه.

*
* *

وأما قوله (أن لا إله إلا الله انما نفت كليا في الذهن لا يوجد منه في الخارج إلا فرد وهو المستثنى) فهذا تحريف فاسد لمعنى كلمة الاخلاص لم يسبقه اليه أحد من مشركي الامم، ولا يقدر أحد على هذا التحريف الذي لا أفسد منه، فان «لا» انما وضعت لنفي أفراد الجنس الموجودة في الخارج ولم توضع لمقدرات الذهن التي لا يوجد لها أفراد، وهذا امر معروف بالضرورة. واليهود الذين وصفهم الله تعالى بكونهم يحرفون الكلم عن مواضعه لا يقدر أحد منهم على مثل هذا التحريف الذي هو من أعظم التحريف وأبعده عن الاسلام والايمان والرسل والكتب

وهذا الكلي الذي قدره هؤلاء في الذهن لاحقيقة له بل هو كذب محض ، وجناية على أصل دين الاسلام ، وابطال لمعنى هذه الكلمة العظيمة التي هي أساس الدين ، وهذا من عظيم كفر هذه الطائفة الاتحادية . ومن المعلوم عند كل طائفة أن « لا » النافية للجنس لم توضع لما يقدر في الاذهان ، بل وضعت لغة لنفي أفراد الجنس الموجود في الاعيان والخيالات الذهنية ، لم يوضع لها شيء من الادوات أصلا لانها خيال ذهني كاذب

وقد مثل ماذهب اليه بقوله « لاشمس إلا الشمس » يعني انه قدر في ذهنه أن هناك شموس انتفت بلا ، واستثنى منها الفرد الموجود ، وهذا كذب محض ، فما ليس في الوجود لا يصح تقديره موجوداً ينتفي بلا ، بل هو منتف في نفسه أصلا ، فكيف يدعي أن « لا » نفت مالا وجود له من تخيلات الاذهان التي هي كذب محض

وهذه الطائفة حاولوا ابطال معنى لا إله إلا الله الذي جاءت به الكتب والرسل من نفي عبادة الاصنام والانداد ، التي دلت العقول الصحيحة والفطر السليمة ، والرسل والكتب على نفيها وابطالها ، وعلى ماحرفته هذه الطائفة لم يبق من الاسلام والايمان حبة خردل ، بل هو كفر لانه لم ينف وثنا ولا صنما ، والرسل والكتاب تنفي ذلك كله بكلمة الاخلاص ، وقد أراد بذلك أن يفتن الجهال فوقى الله شره فلله الحمد على ذلك

وأيضاً فقد تناقض بدعواه ان هذا الفرد الموجود قد انتفى بلا ثم أثبت بلا ، وهذا تناقض ظاهر لايصدر إلا ممن لايدري مايقول ، وكل صاحب باطل فلا بد أن يأتي بكلام يناقض بعضه بعضاً

***

وأما قول هذا الاعجمي الاله هو المعبود غير مقيد بقيد الحقيقة او البطلان

(فالجواب) لايخفى أن هذا قول في غاية الفساد والمغالطة ، فالعناد لا يؤخذ

منه معنى يعرف ويستفاد ، ولا صدر عن دراية ولا عن رواية بل ولا تقليد، بل هو عن الصواب بمكان بعيد ، بل هو زعم كاذب لا أصل له في كلام أحد من طوائف الامة قد خالف اللغة والمنقول والمعقول

بيان ذلك ان أسماء المسميات موجودة في سابق علم الله تعالى قبل وجود مسمياتها، كاسم الجنس وعلم الجنس والمتواطىء والمشترك والاعلام ونحو ذلك، ثم ان الله تعالى علم آدم الاسماء كلها كما قال تعالى (وعلم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين)

وجميع اللغات انما وجدت بإلهام من الله تعالى ولم يحدث لها بعد ذلك تغيير ولا تقييد بعد الوضع الاول ، وكل اسم وضع على مسماه ، فمنها ماهو مشترك بين الحق والباطل، كاسم الاله فانه يقع على كل معبود . إذا أله العبد بالعبادة صار مألوها ، فان كان الذي أله العبد بالعبادة هو الله وحده فهو الاله الحق ، وهذا وصفه تعالى فيما لم يزل ولا يزال كما قال تعالى (وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم) وقال تعالى (ذلك بأن الله هو الحق وان مايدعون من دونه هو الباطل) الآية ، ولها نظائر في القرآن . فان اتخذ العبد معبودا سوى الله فقد أله بالعبادة وصار باطلا كما في قوله (وان مايدعون من دونه هو الباطل) وهذا هو الاصل في وضع هذا الوصف لم يتغير إطلاقه عن الاصل على الاله الحق سبحانه ،

وأما إطلاقه على غيره فمن جهة فعل العبد اذا أله غير الله بالمحبة والاجلال والخضوع والذل والتوجه ودعائه وغير ذلك من أنواع العبادة فيكون قد أله بذلك وشبهه بالاله الحق بعبادته له ، فأطلق عليه بهذا الاعتبار كما قال تعالى (أم اتخذ من دونه آلهة قل هاتوا برهانكم هذا ذكر من معي وذكر من قبلي) الآية

فبين تعالى ان إلهيتها ليست بحق ، والحق ماقام عليه البرهان . وقال تعالى (واتخذوا من دونه آلهة ليكونوا لهم عزا * كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون

عليهم ضداً) في هذه الآية بيان ان الالهية هي العبادة ، وقال تعالى (واتخذوا من دونه آلهة لعلهم ينصرون) فسماهم تعالى آلهة وأخبر عن عجزهم عن نصرة أنفسهم فضلا عن غيرهم

وقد فسر الله هذه الكلمة العظيمة في مواضع من كتابه بأوضح بيان ، وأظهر برهان ، يعرف ذلك من طلبه وبالله التوفيق

وهذا الذي ذكرناه هو العلم الذي يستفاد منه التوحيد ، وهذه الآلهة التي تعبد من دون الله هي المنفية بلا إله الا الله ، فلابد من نفيها بالقول والفعل والاعتقاد ، وأما ماذكره هذا الاعجمي فلا يفيد الا التخبيط والتخليط وادخال الشك على من لا بصيرة له ولا مقاربة في الفهم ولا تسديد ، فالحمد لله الذي دفع عن المسلمين فتنته وبليته ، وأظهر لاهل العلم طويته

وأنت أيها المغرم بحبه ، فتش كلامه هذا الذي ذكرناه وانظر الى ماتأخذه منه فانك لا تجد فيه ما ينفعك ، وما إخالك تسلم ، فانك عرفت انه انما يتكلم بجهل محض لايعرف عن أحد من طوائف الامة بل هو من تخاليط الجهال ، وأرباب الضلال ، والى الله تعالى نرغب في هداية قلوبنا ، ومغفرة ذنوبنا ، وهو المستعان ، وعليه التكلان

وأما قوله : إذ اشتقاقه من أله إذا عبده يوجب اتحاده معه في المعنى .

(فالجواب) هذا لايصلح تعليلا لقوله : غير مقيد بقيد ، بل هو إلى كونه مقيداً أقرب ، فان المشتق والمشتق منه لابد أن يكون متضمنا لمعناه الذي وضع له على ما كان هو عليه في أصل الوضع ، وهذا أمر بين لمن له أدنى معرفة بما ذكره العلماء رحمهم الله تعالى في أصل وضع اللغة ، وهذا لا يلتبس إلا على جاهل لا معرفة عنده ، ولا بصيرة له

وقوله يوجب اتحاده معه في المعنى هذا لا يفيد معنى الاشتقاق فلو كان له

معرفة لبين معنى اتحاد المشتق مع المشتق منه وذلك لعدم معرفته بحقيقة ماتكلم به

* * *

إذا عرفت ذلك فقد ذكر العلماء – منهم ابن القيم رحمه الله تعالى – مايبين حقيقة الاشتقاق فقال: ونحن لا نعني بالاشتقاق الا انها ملاقية لمصادرها في اللفظ لا انها متولدة منه تولد الفرع من أصله. وتسمية النحاة للمصدر والمشتق منه أصلا وفرعا ليس معناه ان أحدهما متولد من الآخر وانما هو باعتبار أن أحدهما يتضمن الآخر وزيادة اهـ

* * *

ثم ان هذا الرجل لما سمع بما كتبته من الرد عليه أجاب بقوله قلنا انما يلزم هذا لو أريد بالمستثنى منه فرد خاص جزئي، وانما أريد منه المفهوم العام المتناول لأفراد المعبود بحق سواء كانت في الذهن أو في الخارج

(فالجواب) ان من تأمل كلام هذا علم أن هذا الكلام مع تناقضه يصرح بما ذهب اليه من الاتحاد؛ وذلك انه قال انما يلزم هذا لو أريد بالمستثنى منه فرد خاص جزئي وانما أريد منه المفهوم العام، فصرح بأن المراد من المستثنى منه المفهوم العام وهذا هو معنى قوله الاول: ان لا إله إلا الله انما نفت مفهوما، ولم تنف مانفاه الخليل عليه السلام واخوانه من الرسل وجميع مافي القرآن والسنة، فان المنفي في ذلك أشخاص موجودة عند عابديها، كأصنام قوم نوح وكاللات والعزى ومناة ونحو ذلك مما كان يعبده الامم: وهذا هو الذي نفته كلمة الاخلاص: لا إله إلا الله، نفت أن يكون لله شريك في الالهية من جميع ما كان يعبده أهل الشرك كما قال تعالى عن قوم ابراهيم (قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين) وقال تعالى (وجاوزنا ببني اسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم – إلى قوله – قال أغير الله أبغيكم إلها) الآية

فليس المراد بالنفي في كلمة الاخلاص مفهوما وانما المنفى بها اعيان المعبودات وابطال عبادتها وإزالتها وجهاد الخلق على أن يكون الله وحده معبودهم دون كل معبود

وقد حصل ذلك لما فتح الله على رسوله مكة فأزال كل صنم حول الكعبة وهي ثلاثمائة وستون صنما ، وبعث علي بن أبي طالب إلى مناة فهدمها ، وبعث خالد بن الوليد إلى العزى مرتين فقطع الشجرة وهدم البناء

ولما أسلم أهل الطائف بعث المغيرة بن شعبة فهدم اللات فلم يبق في جزيرة العرب من الاصنام والاوثان شيء إلا أزاله ﷺ وقد بعث جرير بن عبد الله إلى ذي الخلصة فهدمه فصارت كلمة الله هي العليا ،

فلله الحمد على ما أكمل للأمة من دينه الذي بعث به رسوله ﷺ فأنزل الله على نبيه ﷺ في حجة الوداع وهو بعرفة(اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا) كما صرح به القرآن في هذه الآيات ونحوها . وهذه الاصنام ونحوها هي التي تجب البراءة منها ومن عابديها لقول الخليل عليه السلام (انني براء مما تعبدون * إلا الذي فطرني) الآية فتبرأ مما كانوا يعبدون بالقول والفعل ولم يكونوا يعبدون مفهوما محله الذهن وقل تعالى (وقال انما اتخذتم من دون الله أوثانا مودة بينكم في الحياة الدنيا —إلى قوله— وما لكم من ناصرين)

فمن قال ان المستثنى منه مفهوم عام فقد خالف الكتب والرسل ، ولم يدر مامعنى هذه الكلمة العظيمة ، ثم ان هذا القول منه يقتضي أن هذه الاصنام والاوثان التي يعبدها المشركون ليست منتفية بكلمة الاخلاص فيلزمه أن تكون تلك الاوثان والاصنام ثابتة غير منتفية اذا كان النفي مفهوما عاما فغيره على قوله ولم ينف هذا لم يقل به إلا أهل الاتحاد خاصة

وأما طوائف أهل الشرك فهم يعتقدون أن الرسل انما نهتهم عن عبادة

ما كانوا يعبدونه من تلك الاشخاص التي تألهتها قلوبهم وهذا . القول مبني على ماتقدم من كلام أهل الوحدة القائلين بان مسمى الله هو الوجود بعينه فكل شيء يوجد في الخارج فهو الله ، وبهذا وسمهم العلماء بأنهم أكفر أهل الارض

ثم إنه قال وانما أريد منه المفهوم العام المتناول لأفراد المعبود بحق فجعل المستثنى منه يتناول افراد المعبود بحق فجعل المعبود بحق افراداً ، ولهذا قال سواء كانت في الذهن أو في الخارج ، فانظر كيف جعل للمعبود بحق افرادا وهذا كفر صريح فان المعبود بحق هو الله وحده لاشريك له في ذاك كائنا ما كان

ثم يقال كيف يكون معبوداً بحق وهو منفي بلا النافية للجنس فاذا انتفت إلهيته بطل أن تكون حقا وتعين أن المستثنى هو الحق خرج من المنفي باداة الاستثناء كما قال تعالى (إن هذا لهو القصص الحق ، وما من إله إلا الله ، وان الله لهو العزيز الحكيم) فهذا هو التوحيد الذي دعت اليه الرسل ولم يفهم أهل الشرك من دعوة الرسل إلا هذا التوحيد وهو افراد الرب تعالى بالالهية كما أخبر تعالى عن المشركين أنهم قالوا (اجعل الآلهة إلها واحدا ان هذا لشيء عجاب) وأخبر عن قوم هود أنهم قالوا (أجئتنا لنعبد الله وحده)

ولم يقل أحد من الامم ان المستثنى له افراد كلها حق . وهذا القول ينافي ماتقدم له في ورقته من قوله ان المنفي بلا كلي منوي لايوجد منه في الخارج إلا فرد واحد وهو المستثنى وهو يناقض كلامه هنا مع انه باطل في نفسه

فان قال لنا قائل : المشركون كانوا يعتقدون في آلهتهم أنها حق. قلنا هذا هو الذي أنكرته الرسل على الامم فان الله لم يبعثهم لابطال ما كان يفعله أهل الشرك مع آلهتهم التي يعبدونها من دون الله ولم يجحدوا معنى مادعتهم الرسل اليه ، لكن هم لم يتركوا عبادة آلهتهم التي كانوا يعبدونها مع الله ، وهؤلاء جحدوا المعنى الذي دلت عليه لاإله إلا الله كما قد عرفت . فخالفوا الرسل والامم في معنى مادعت اليه

الرسل من نفى الالهيــة عما سوى الله بأداة النفي في كلمة الاخلاص وخالفوهم في إثبات الالهيــة لله وحده وقالوا كل شيء هو الله كما تقدمت الاشارة اليــه عن إمامهم ابن عربي من قوله :

وعبّاد عجل السامري على هدًى ولائمهم في اللوم ليس على رشد

بناء منه على مذهبه الخبيث الذي تقدم بيانه ، وقالوا ان لا إله إلا الله لم تنف شيئًا موجودًا في الخارج ، بل كل ما في الخارج من الاصنام وغيرها فهو الله ، فلهذا صاروا أكفر الطوائف لانهم جعلوا المخلوقات هي عين الخالق وهذا لم يقله أحد ممن تقدم من طوائف أهل الشرك ، إلا ما كان من الفلاسفة فإن قولهم يضاهي قول هؤلاء ، قاتلهم الله ، ولا حاجة بنا إلى ذكر مذهبهم ،

ولولا انا قد ابتلينا بهذا الملحد في بلدنا لما تجاسرنا على أن نحكي ما كانوا عليه من الضلال وقد قال تعالى عن قوم هود (أجئتنا لنعبد الله وحده ؟) فدل على انهم يعبدونه تعالى لكنهم أبوا أن يفردوه بالعبادة وعرفوا انه غير معبوداتهم وكذلك مشركو العرب أقروا لله تعالى بربوبيته ، وان الخلق خلقه ، وهو الذي خلقهم وحده كما قال تعالى (ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله) ولما قال لهم رسول الله ﷺ « أريد منكم كلمة واحدة ، قولوا : لا إله إلا الله » فقالوا (أجعل الآلهة إلهًا واحدًا ؟ ان هذا لشيء عجاب) فأنكروا ما دعاهم اليه من أن لا يجعلوا لله شريكًا في الالهية التي هي العبادة

فبهذا وأمثاله مما في القرآن يتبين ان أهل الاتحاد والفلاسفة قد أربوا في كفرهم على كل كافر

وذكر شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله عن هاتين الطائفتين — أعني الفلاسفة وأهل الوحدة — انهم أخذوا أسماء جاء بها الشرع ووضعوا لها مسميات مخالفة لمسميات صاحب الشرع ثم صاروا يتكلمون بتلك الاسماء ، فيظن الجاهل انهم

قصدوا ماقصده صاحب الشرع ، فأخذوا مخ الفلسفة فكسوه ثوب الشريعة ، وهذا كلفظ الملك والملكوت والجبروت واللوح المحفوظ والشيطان والحدث والقدم وغير ذلك ، وقد ذكرنا من ذلك طرفا في الرد على الاتحادية لما ذكرنا قول ابن سبعين وابن عربي ، وما يوجد في كلام بعض الناس من أصول هؤلاء الفلاسفة والملاحدة الذين حرفوا كلام الله ورسوله عن مواضعه كما فعلت القرامطة الباطنية اهـ

قلت وقد ذكر ابراهيم بن سعد الكوراني تحريفهم لمعنى لا إله إلا الله ذكر انهم اشترطوا في [لا] النافية للجنس في هذه الكلمة شرط الوحدة فجعلوا الجنس المنفي واحداً لا يوجد إلا ذهنا .

ورد رحمه الله هذا القول بأن قال: (أما اولا) فالمراد بالجنس المأخوذ بلا شرط وهو الصالح للصدق على الافراد يعني المنفية بلا إله الا الله فهي صادقة بنفي كل فرد مما كان يعبد من دون الله

قال : (وأما ثانياً) فان الكلام يخرج عن إفادة التوحيد بالكلية لان حاصله حينئذ هذا الجنس المأخوذ بشرط الوحدة الذهنية المغايرة لله تعالى منتف ، وليس هذا من التوحيد في شيء ولا شم من رائحة الدلالة عليه

(ويقال ثالثا) ان أريد أن هذا الجنس منتف في الذهن فهو قطعي البطلان إذ كل من ينطق بهذا التوحيد مستحضر لمعناه ، وقد تحقق هذا الجنس في ذهنه فكيف يصح نفيه ؟ وعلى كل حال فلا يصح تفسيراً لهذه الكلمة ، لان المراد من لا إله إلا الله هو الدلالة على توحيد الالهية وهذا معلوم بالضرورة ، وعلى تفسيرهم يكون بينهم وبين الدلالة على التوحيد بعد المشرقين اهـ

فذكر رحمه الله تعالى حقيقة قول هؤلاء الملاحدة ، وانهم حملوا معنى كلمة الاخلاص على معنى بعيد من معناها الذي وضعت له شرعاً ولغة ، وفطرة وعقلا ، وانهم أبطلوا دلالتها على التوحيد الذي يفهمه منها كل أحد من علماء المنقول والمعقول ،

وهذا القول الذي أبطله رحمه الله وبين بعده عن التوحيد هو بعينه قول هذا الرجل الذي يقول انه من بخارى ، فموه على الجهلة بما يوقعهم في الالحاد ويمدهم

عن التوحيد الذي دعت اليه الرسل ، فهذه بلية عظيمة ، وقى الله المسلمين شرها

وأما التوحيد الذي بعث الله به رسله ، فنذكر من كلام العلامة ابن القيم رحمه الله مايدل عليه لانه هو وشيخه من أحسن من عبر عن معنى هذه الكلمة على مقتضى مادل عليه القرآن والسنة ، قال رحمه الله

نظير هـذا اشتمال كلمة الاسـلام وهي شهادة أن لا إله إلا الله على النفي والاثبات، فكان في الاتيان بالنفي في صدر هذه الكلمة من تقرير الاثبات وتحقيق معنى الالهية ، وتجريد التوحيد الذي يقصد بنفي الالهية عن كل ما ادعيت فيه سوى الإله الحق تبارك وتعالى فتجريد هذا التوحيد من القلب واللسان بتصور اثبات الآلهية لغير الله كما قال أعداؤه المشركون، ونفيـه وابطاله من القلب واللسان ، من تمام التوحيد وكماله وتقريره وظهور أعلامه ووضوح شواهده وصدق براهينه

وقال الفخر الرازي في معنى لا إله إلا الله: التحقيق ان المضمر المرفوع بلا راجع بالحقيقة الى نفي الاعيان التي سموها آلهة من حيث انها آلهة لا الي وجودها في حد ذاتها ضرورة انها موجودة في الخارج بالفعل محسوسة . وحاصله نفي كل فرد إله من تلك الحيثية غير الله راجع الى نفي الالوهية عن كل موجود غير الله انتهى

(قلت) وحقيقتهـا ابطال إلهية كل مايؤله من الاعيان باي نوع كان من أنواع العبادة كاصنام قوم نوح والامم بعدهم ، ولما فتح الله مكة لنبيه محمد ﷺ أزال كل مافيها من صنم وهي ثلاثمائة وستون صنما ، وبعث علي بن أبي طالب إلى مناة فهدمها، وبعث خالد بن الوليد إلى العزى فهدمها، وقطع الشجرة، ولما أسلمت ثقيف بعث المغيرة فهدم اللات كما تقدم

فأبطلت هذه الكلمة عبادة كل ماعبد من دون الله أو يعبد من جميع الاعيان،

ولو تتبعنا مافي القرآن من بيان معنى هذه الكلمة وما قاله العلماء في معناها لاحتمل جزءاً ، وفى الاشارة الى ذلك كفاية لمن رغب في معرفة التوحيد الذي دلت عليه الآيات المحكمات، وقد غلط في مسماه طوائف لايحصيهم إلا الله تعالى ، والحمد لله على تمييز الحق من الباطل لانحصي ثناء عليه، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما كثيراً إلى يوم الدين والحمد لله رب العالمين

رسالة

في العهد والامان

هل يشترط في احترامهما أن يكون من يعقدهما مؤمنا عدلا أم لا ؟ وفي العهد والامان الذي يكون من البدو والاعراب لبعضهم ولغيرهم

تأليف

بعض علماء نجد لم يذكر اسمه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله نحمده ونستعينه ، ونستغفره ونتوب اليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ﷺ تسليما كثيرا . اللهم رب جبرائيل وميكائيل واسرافيل فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة ، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ، اهدني لما اختلف فيه من الحق باذنك ، انك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم

(وبعد) فقد وقع مذاكرة في حال الاعراب الذين يوجد فيهم شيء من المكفرات هل يصلح أمانهم لبعضهم عن بعض ؟ فنقول وبالله التوفيق

يصح امان الكفار بعضهم بعضا ولغيرهم بالكتاب والسنة والاعتبار

أما الكتاب فقوله تعالى (وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها) الآيات قال مجاهد وقتادة: نزلت في حلف أهل الجاهلية . وآخر السياق يدل على عموم الآية وهو قوله (ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة) قال المفسرون على ملة واحدة وهي الاسلام (ولكن يضل من يشاء ويهدي من يشاء) فدل على أن هذا الخطاب شامل المهديين وغيرهم . وقال تعالى في شأن اليهود (وإذ أخذنا ميثاقكم لاتسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ثم أقررتم وأنتم تشهدون ـ إلى قوله ـ أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض؟) قال أهل التفسير : يقول تعالى منكراً على اليهود ما كانوا يأتونه مع الاوس فان يهود المدينة كانوا ثلاث قبائل بني قينقاع وبني النضير وبني قريظة . فبنو قينقاع وبنو النضير حلفاء الخروج وبنو قريظة حلفاء الاوس، فكانت الحرب إذا شبت بينهم قاتل كل فريق منهم مع حلفائه ،فيقتل اليهودي غير اليهودي من أعدائه وقد يقتل اليهودي الآخر من الفريق الآخر وذلك حرام عليهم بنص الكتاب

ويخرجونهم من بيوتهم وينهبون مافيها من الاثاث والاموال ثم اذا وضعت الحرب أوزارها فكوا الاسارى من الفريق المغلوب عملا بحكم التوراة ولهذا قال (أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض)

فهذه الآية تدل على أن الله تعالى حرم قتال بعضهم بعضاً وإن كان الكل كفاراً وقت النزول لان هذا القتل ليس على حق وانما هو في سبيل الشيطان

وأما الاحاديث فما رواه أبو داود والنسائي والترمذي عن ابن عنبسة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « من كان بينه وبين قوم عهد فلا يخلف عهده ولا يشدنه حتى يمضي أمرها وينبذ اليهم على سواء » وهذا الحديث عام

وروى الامام أحمد عن جبير بن مطعم عن عمرو بن شعيب أن النبي ﷺ قال في خطبته « أوفوا بحلف الجاهلية فانه لا يزيده الاسلام إلا شدة ، ولا تحدثوا حلفا في الاسلام »

قال العلماء في معنى الحديث إن الاسلام لا يحتاج معه إلى الحلف الذي كان يفعله أهل الجاهلية فان في التمسك بالاسلام كفاية عما كانوا فيه وما كان منه على نصرة الاسلام وصلة الارحام ، كحلف المطيبين وما جرى مجراهم ، فذاك الذي قال فيه رسول الله ﷺ « أيما حلف كان في الجاهلية لم يزده الاسلام إلا شدة »

وفي صحيح مسلم عن نافع عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ « اذا جمع الله الاولين والآخرين يوم القيامة يرفع لكل غادر لواء فيقال هذه غدرة فلان بن فلان » وهذا العقاب لا يختص بالمسلم بل هو عام في المسلم وغيره

وروى البخاري وغيره عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : قال رسول الله ﷺ « من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة ، وان ريحها يوجد من مسيرة أربعين خريفا » قال ابن الاثير يجوز أن يقرأ بفتح الهاء وكسرها على الفاعل والمفعول . والمعاهد من كان بينك وبينه عهد ، وأكثر مايطلق في الحديث على أهل الذمة ، وقد يطلق على غيرهم من الكفار اذا صولحوا على ترك الحرب مدة

وقال ﷺ يوم الفتح « قد أجرنا من أجرت ياأم هانيء » وهي من مسلمة الفتح

مسائل وفتاوى

فى الطلاق والخلع والشهادات

والمينة ، وشروط الصلاة وغيرها

لاحد علماء نجد ، غير معروف اسمه

من مطبوعات صاحب الجلالة السعودية ، ومحيي السنة المحمدية

الإمام عبد العزيز آل سعود

ملك الحجاز ونجد وملحقاتها

أيده الله ووفقه

(وقد وقفها على من ينتفع بها من أهل العلم والدين)

لا يحل لمن وقعت بيده بيعها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، وامام المتقين ، ورسول رب العالمين ، محمد عليه من الله أفضل الصلاة والتسليم

﴿ المسئلة الاولى ﴾ فيمن طلق امرأته ثلاثا بلفظة واحدة أو ثلاث متتابعات كقوله أنت طالق ، أنت طالق ، أنت طالق : على عوض عوضته المرأة الزوج ، هل يصح لهما أن يتراجعا اذا تراضيا بملاك ام لا ؟ فنقول :

(الجواب) هذا السؤل مشتمل على ثلاث مسائل من مسائل الطلاق

(الاولى) اذا طلق الرجل امرأنه ثلاثا بكلمة واحدة أو أكثر من الثلاث بلفظة واحدة

(والثانية) اذا قال أنت طالق ، أنت طالق ، أنت طالق ، ثلاث مكررات في مجلس واحد

(والثالثة) اذا طلق الرجل زوجته ثلاثا على عوض هل يجوز أن يراجعها بملاك جديد أم لا ؟

فالجواب عن المسئلة الاولى أن نقول : هذه المسئلة فيها خلاف بين العلماء من السلف والخلف قديما وحديثا وفيها قولان مشهوران للعلماء

(القول الاول) قول أكثر العلماء من أهل الحديث والفقهاء وغيرهم من المالكية ، والشافعية ، والحنابلة ، والحنفية من المتأخرين والمتقدمين : ان الرجل اذا طلق زوجته ثلاثا بكلمة واحـدة بانت منه وصارت لاتحل له حتى تنكح زوجا غيره ، واستدلوا على ذلك بدلائل منها قوله تعالى (اسكنوهن من حيث سكنتم من وُجـدكم ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن ، وإن كن أولات حمـل فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن) قالوا وهذا لا يكون إلا في المبتوتة لان غير

المبتوتة ممن له عليها الرجعة ينفق عليهن حوامل أو غير حوامل

فعلم بهذا ان قوله (لاتدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً) راجع إلى بعض ماانتظمه الكلام وهي التي لم تبلغ بطلاقها ثلاثا كما ان قوله (والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلاثة قروء) قد عم المطلقات ذوات القروء وقوله في نسق الآية (فاذا بلغن أجلهن فامسكوهن بمعروف) راجع الى من لم يبلغ بطلاقها . وفي ذلك اباحة إيقاع ماشاء المطلق من الطلاق . وظاهر حديث ابن عمر يشهد بهذا لانه قال « ثم ان شاء طلق وان شاء أمسك » فلم يخص طلاقا من طلاق ، ولا عدة من عدة في الطلاق ، قالوا فله أن يطلق كم شاء إذا كان مدخولا بها ، وان كانت غير مدخول بها طلقها كم شاء ومتى شاء طاهراً أو حائضا لانه لاعدة عليها ، ومما احتجوا به أيضا أن العجلاني طلق امرأته بعد اللعان ثلاثا فلم ينكره رسول الله ﷺ ، وان رفاعة بن شموال طلق امرأته ثلاثا فلم ينكره عليه رسول الله ﷺ وان ركانة طلق امرأته البتة فقال له رسول الله ﷺ « ماأردت بها ؟ » فدل على أنه لو أراد ثلاثا لكانت ثلاثا ، ولم ينكر ذلك عليه رسول الله ﷺ . وان فاطمة بنت قيس طلقها زوجها ثلاثا . ذكره الشعبي عن فاطمة وشعبة وسفيان ثم أبي بكر وكذلك قال أكثر أصحاب ابن شهاب في حديث فاطمة طلقها ثلاثا . قالوا ومن جهة النظر ان من كان له أن يوقع واحدة كان له أن يوقع ثلاثا ، وليس في عدد الطلاق سنة ولا بدعة . قد أباحه الله ورسوله ﷺ فعند هؤلاء ان من طلق امرأته ثلاثا مجتمعات في طهر لم يصبها فيه فقد طلقها طلاقا مباحا ، ومنهم من يقول إنه قد طلقها للسنة

(والقول الثاني) قول مالك وأصحابه واحمد بن حنبل في المشهور عنه ان طلاق السنة أن يطلقها طلقة في طهر لم يمسها فيه ولو كان في آخر ساعة منه ، ثم يمهلها حتى تنقضي عدتها وذلك بطهر أول الحيضة الثالثة في الحرة ، أو أول الحيضة

الثانية في الامة، فيتم للحرة ثلاثة أقراء، وللامة قرآن، القرء الطهر المتصل بالدم عندهم، فان طلقها في طهر تطليقة أو طلقها ثلاثا مجتمعات في طهر لم يمسها فيه فقد لزمه، وليس بمطلق للسنة عند مالك وجمهور أصحابه، وهو قول الاوزاعي وأبي عبيد، وهذا هو المشهور عن أحمد وأصحابه

وأجابوا عما احتج به أهل القول الاول فقالوا: أما حديث العجلاني فلا حجة فيه لانه طلق في غير موضع طلاق فاستغنى عن الانكار عليه

وأما حديث رفاعة بن شموال فقالوا يحتمل أن يكون طلقها ثلاثا مفترقات في أوقات. وأما حديث فاطمة بنت قيس فقد قال فيه أبو سلمة «بعث إلي زوجي بتطليقتي الثالثة» وأما حديث ركانة فقد تكلموا فيه وضعفوه فلا حجة فيه

واحتج هؤلاء بقوله تعالى (الطلاق مرتان ـ ثم قال ـ فان طلقها فلا تحل له من بعد) ومرتان لا تكون إلا في وقتين، والثلاث في ثلاث أوقات كما في قوله عليه السلام «من سبح الله مائة مرة» أي مرة بعد مرة، ليس المراد أن يقولها مرة واحدة. وكذلك من قال: قرأت سورة كذا مرتين، المراد مرة بعد مرة

ومن حججهم أيضا قول الله تعالى (إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن — إلى قوله — لا تدري لعل الله يحدث بعد أمرا) فأي امر يحدث بعد الثلاث والامر انما أريد به المراجعة، فبطل أن يكون وقوع الثلاث للسنة

ومن حجتهم أيضاً ماروى النسائي عن محمود بن لبيد ان رجلا طلق امرأته ثلاث تطليقات جميعاً، فأخبر النبي ﷺ بذلك فقام مغضبا فقال «أيلعب بكتاب الله وأنا بين أظهركم؟» قال العسقلاني: رجاله ثقات. وبما روى سعيد بن منصور عن النبي ﷺ ان عمر كان إذا أتي برجل طلق امرأته ثلاثا أوجع ظهره، قال العسقلاني: وسنده صحيح، وبما روى عبد الرزاق وغيره ان ابن عمر قال لمن طلق امرأته ثلاثا مجموعة: عصيت ربك، وبانت منك امرأتك. وبما روى

أبو داود بسند صحيح عن مجاهد قال: كنت عند ابن عباس فجاءه رجل فقال انه طلق امرأته ثلاثا فسكت حتى ظننت انه سيردها اليه، فقال «ينطلق أحدكم فيركب الاحموقة ثم يقول يا ابن عباس يا ابن عباس ، ان الله قال (ومن يتق الله يجعل له مخرجا) وإنك لم تتق الله فلا أجد لك مخرجا ،عصيت ربك ،وبانت منك امرأتك» قالوا ففي هذا دليل على أن من طلق امرأته ثلاثا مجتمعات فقد عصي ربه وفعل ماهو محرم ، ومن فعل مباحا لا يقال عصى ربه.

وقال هؤلاء يصير مطلقا امرأته ثلاثا فلا تحل له حتى تنكح زوجا غيره وإن كان فعله هذا محرما عليه.

ومن القائلين بالتحريم للزوم من قال اذا طلق ثلاثا مجموعة وقعت واحدة وهو قول محمد بن اسحاق صاحب المغازي ونقله ابن المنذر عن جماعة من التابعين كعمرو بن دينار وطاووس وغيرهما

ومن أقوى ما احتجوا به ماأخرجه مسلم في صحيحه عن ابن عباس قال كان الطلاق على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وسنتين من خلافة عمر طلاق الثلاث واحدة ، فقال عمر بن الخطاب :ان الناس استعجلوا في أمر كان لهم فيه اناة،فلو أمضيناه عليهم، فأمضاه عليهم

قال أبو عمر بن عبد البر — في حديث ابن عباس هذا — لم يتابع عليه طاوس وان سائر أصحاب ابن عباس يروي عنه خلاف ذلك ،وما كان ابن عباس يروي عن النبي ﷺ ثم يخالفه الى رأي نفسه بل المعروف عنه انه كان يقول :أنا اقول لكم سنة رسول الله ﷺ وأنتم تقولون ابو بكر وعمر ؟ قاله في فسخ الحج وغيره . قال جمهور العلماء ان حديث طاوس في قصة ابي الصهباء لا يصح معناه

وممن روينا عنه ان الثلاث تحرم التي لم يدخل بها زوجها حتى تنكح زوجا غيره كالمدخول سواء : علي بن ابي طالب وابن مسعود وابن عباس وابن عمر

وعبد الله بن عمرو بن العاص وابو سعيد الخدري وجابر بن عبد الله وعبدالله بن المغفل وابوهريرة وعائشة وأنس، وهو قول جماعة من التابعين ، وبه قال جماعة فقهاء الامصار وابن ابي ليلى وابن شبرمة وسفيان الثوري ومالك وابو حنيفة والشافعي وأصحابه واحمد واسحاق وأبو ثور وابو عبيد الطبري انتهى

اذا عرفت مذهب أهل العلم في المسئلة فالقول المفتي به عندنا ماذكره ابن عبد البر وغيره عن جماعة العلماء أن الرجل اذا طلق امرأته ثلاثا بكلمة واحدة سواء كان مدخولا بها أو غير مدخول بها صغيرة أو كبيرة أنها تحرم عليه حتى تنكح زوجا غيره

(وأما المسئلة الثانية) اذ قال لامرأته أنت طالق ، أنت طالق ، أنت طالق ثلاث كلمات مكررات فالصحيح من مذهب احمد أن ذلك يرجع إلى نيته فان أراد التأكيد بطلقة واحدة ولم يرد انها ثلاث طلقات فهي تصير واحدة يجوز له رجعتها مادامت في العدة فان خرجت من العدة لم يجز له مراجعتها إلا بملاك جديد، وإن أريد بقوله أنت طالق ، أنت طالق، أنت طالق ثلاث تطليقات لم تحل له حتى تنكح زوجا غيره، وهذا هو المفتى به عندنا لانا لا نعلم شيئاً يخالفه من الكتاب والسنة

***

وأما المسئلة الثالثة : اذا طلق الرجل زوجته ثلاثا على عوض هل يجوز أن يتراجعا بملاك جديد أم لا ؟

فهذه المسئلة تحتاج إلى تفصيل فإن كانت المرأة أعطت زوجها عوضا على طلاقها اذا كرهته وخافت أن لا تقيم ماأوجب الله عليها من القيام بحقوق الزوج من المعاشرة بالمعروف وتمكينه من الاستمتاع منها وخدمته كما ينبغي من مثلها لمثله فلا بأس بذلك ، ولا على الزوج حرج في أخذ العوض منها اذا كان الحال كما وصفنا ويسمى هذا الخلع الصحيح ، كما قال تعالى (ولا يحل لكم أن تأخذوا مما

آتيتموهن شيئاً إلا أن يخافا أن لايقيما حدود الله ، فان خفتم أن لايقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به ، تلك حدود الله فلا تعتدوها ، ومن يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون)

وقد اختلف العلماء هل يكون هذا الخلع طلاقا يعد من الطلقات الثلاث أم لايكون طلاقاولو خالعها أكثر من ثلاث، فمذهب ابن عباس رضي الله عنه كما روى ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن طاوس عن ابن عباس رضي الله عنه أن ابراهيم ابن سعد بن أبي وقاص سأله عن رجل طلق امرأته تطليقتين ثم اختلعت منه أيتزوجها ؟ قال : نعم ليس الخلع بطلاق ، ذكر الله الطلاق في أول الآية وآخرها والخلع فيما بين ذلك فليس الخلع بشيء ، ثم قرأ (الطلاق مرتان فامساك بمعروف أو تسريح باحسان) وقرأ (فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجاغيره) وبهذا قال احمد بن حنبل وجمهور أصحابه واسحاق وابو ثور وداود ، واختار هذا القول طوائف من العلماء منهم الشيخ تقي الدين بن تيمية وهو اختيار شيخنا رحمه الله

وقال أكثر العلماء من الصحابة وغيرهم : هو طلاق يعد من الطلقات الثلاث وهو طلاق بائن لارجعة فيه للزوج إلا برضى الزوجة ، فعلى هذا القول لو خالعها ثلاث مرات أو طلقها طلقتين وخالعها مرة حرمت عليه حتى تنكح زوجا غيره ، سواء تلفظ بلفظ الطلاق أوغيره

واختلف العلماء هل يلحق المختلعة طلاق مادامت في العدة ؟ فقال مالك إن طلقها بعد الخلع من غير سكوت طلقت ، وإن كان بينهما سكوت لم تطلق ، وقال الشافعي لايلحقها طلاق وإن كانت في العدة ، وهو قول ابن عباس وابن الزبير وبه قال احمد وإسحاق وأبو ثور . وهذا هو المفتي به عندنا وهو أظهر الاقوال وعكسه قول أبي حنيفة وكثير من التابعين

واختلف أيضا في قدر عدتها فقال أكثر العلماء عدة المطلقة . وقال عثمان وابن عباس رضي الله عنهم : عدتها حيضة واحدة . وبه قال عكرمة وابن عباس

واسحاق بن راهويه ، وحجتهم ماروي عن رسول الله ﷺ انه جعل عدة جميلة بنت أبي سلول حيضة حين اختلعت من زوجها ثابت بن قيس بن شماس ،وأصل القصة ثابت في الصحيحين

فالذين قالوا : ان الخلع الصحيح المجتمع فيه الشروط التي ذكرها الله ليس من الطلاق . يقولون انه اذا خالعها ولم يذكر الطلاق لفظا ولا نواه بقلبه فانه لايقع به شيء من الطلاق .

قال العسقلاني واستدل لمن قال انه فسخ بما وقع في بعض طرق حديث امرأة ثابت بن قيس عند أبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث الربيع بنت معوذ ان عثمان أمرها أن تعتد بحيضة . قالت : وتبع عثمان في ذلك قضاء رسول الله ﷺ في امرأة ثابت بن قيس . قال الخطابي في هذا أقوى دليل لمن قال : ان الخلع فسخ وليس بطلاق ، إذ لو كان طلاقا لم تعتد بحيضه انتهى

وأما اذا تلفظ بالطلاق عند الخلع او نواه بقلبه فالذي عليه الجمهور من التابعين وفقهاء الامصار بالحجاز والعراق والشام انه يقع طلاقا بائنا لايجوز له الرجعة إلا بعد عقد جديد ، ورضاء الزوجة إلا أن يقول : أنت طالق ثلاثا فلا يجوز له مراجعتها إلا بعد زوج جديد كالمطلقة ثلاثا بغير عوض.

وقيل انه فسخ سواء تلفظ بالطلاق او نواه او لم يكن وهو قول ابن عباس فانه صح عنه انه قال ما أجازه المال فليس بطلاق ، وصح عنه انه قال : الخلع يفرق وليس بطلاق . وصح عن ابن الزبير ،وروي ذلك عن غير واحد من الصحابة والتابعين ، واختاره الشيخ تقي الدين ابن تيمية ، وعليه دل كلام احمد وقدماء أصحابه . قال صاحب الفروع ومراده ماقال عبدالله بن الامام احمد : رأيت أبي كان يذهب الى قول ابن عباس

وأما اذا كان حال الزوجين مستقيمة ولم يوجد ماذكر الله من الخوف ألا

يقيما حدود الله . ثم خالعها زوجها مع ذلك على مابذلته له الزوجة او غيرها فالذي عليه جمهور العلماء انه يكره ويصح الخلع وعن احمد رحمه الله ان ذلك لايجوز ولا يصح

واما ان عضلها وأساء عشرتها لتفتدي منه ففعلت فالخلع باطل ، والعوض مردود ، والزوجية بحالها الا أن يذكر الطلاق فيقع رجعيا ، وقيل يقع طلاقا بائنا ان قيل ان الخلع يصح بلا عوض .

قال العسقلاني في شرح البخاري : أخرج عبدالرزاق بسند صحيح عن سعيد ابن المسيب قال : ماأحب أن يأخذ منها ما أعطاها ، ليدع لها شيئا ، وقال لم أزل أسمع أن الفدية تجوز بالصداق وبأكثر لقوله تعالى (فلا جناح عليهما فيما افتدت به) ولحديث حبيبة بنت سهل. فاذا كان الخلع من قبلها حل للزوج ما أخذ منها برضاها ، وان كان من قبله لم يحل ويرد عليها ان أخذ وتمضي الفرقه انتهى .

(قلت) وهذا القول كان يفتي به شيخنا رحمه الله تعالى لكثرة الظلم للنساء في هذا الزمان لان كثيراً من الذين لايخافون الله إذا أراد أن يطلق امرأته بعد أن تستقيم حالها مدة عضلها وأضر بها ، ومنهم من يضربها ، فاذا فعل ذلك اشترت نفسها بمال تبذله له على طلاقها فيطلقها ، فكان شيخنا رحمه الله يفتي - إذا كان الامر ماوصفناه - ان العوض الذي بذلت له المرأة على الطلاق مردود ، وتبين منه المرأة فلايمكن من مراجعتها إلا برضاها

* * *

وأما المسئلة الثانية من المسائل المسئول عنها فيمن طلق امرأته بحضرة شاهد عدل وأنكر الزوج

فالذي عليه أكثر العلماء وعليه الفتوى انه لايقبل فيه الا شاهدان عدلان

* * *

(وأما المسئلة الثالثة) فيمن طلق أمرأته وأحضر شاهداً عدلا وقال العاقد لا بد

من شاهدين عدلين هل يزوج العاقدين أو يمنعهما؟ فان كان مراد السائل رحمه الله أن المرأة المطلقة من زوجها أو وكيلها أحضرت شاهداً عدلا على طلاقها من زوجها وطلبت من العاقد أن يعقد نكاحها على زوجها الثاني بشهادة شاهد واحد على طلاقها من زوجها الاول

فجواب هذه المسألة يؤخذ من جواب التي قبلها لان الذي عليه عامة العلماء من المالكية والشافعية والحنبلية أن الطلاق لا يثبت إلا بشاهدين عدلين ، وإن كان له مراد غير ذلك فلم نفهمه من سؤاله

***

(وأما الرابعة) هل تقبل شهادة النساء في الطلاق

فالذي عليه أكثر العلماء وعليه الفتوى أن شهادة النساء لا تقبل في ذلك ولا تقبل منفردات إلا فيما لا يطلع عليه الرجال في غالب الاحوال كالرضاع وكعيوب المرأة التي تحت الثياب والثيوبة والبكارة والاستهلال وما جرى هذا المجرى

***

(وأما المسئلة الخامسة) فيمن له دين على مليء أو مفلس وأراد صاحب الدين أن يسلم على المدين ويقضيه إياه هل يجوز أم لا ؟ فاذا كان المدين مفلساً فلا يجوز ذلك لان ذلك يكون حيلة على الربا والحيل لا تجوز في الدين

وأما اذا كان المدين مليئاً وكل من أراد أن يكتب عليه في ذمته ويسلم فعل سواء كان رب الدين أو غيره وكل يشتهيه لاجل ملاءته فلا أعلم في ذلك بأساً عند أكثر العلماء

واشترط بعض المالكية دفع رأس مال السلم ويذهب به عن مجلس العقد إلى السوق أو إلى بيته ثم إن بدا له بعد ذلك أن يوفيه أوفاه

***

(وأما المسئلة السادسة) مامعنى قوله في كتاب التوحيد(اتفقوا على تحريم كل معبد لغير الله(١) حاشا عبد المطلب ما الحكمة في هذا الاستثناء ؟

«١» أي في التسمية .بان يسمى عبد الرسول او نحو ذلك

فسبب الاستثناء أن بعض العلماء أجاز التسمية بعبد المطلب على ظاهر ما صح عن النبي ﷺ انه قال في غزوة حنين لما انهزم عنه أصحابه إلا قليل «أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب» ولما حكى ابن حزم الاجماع على تحريم كل اسم معبد لغير الله استثنى التسمية بعبد المطلب من ذكر الاجماع لاجل ما تقدم عن بعض العلماء

*
* *

(وأما المسئلة السابعة) هل الصفر والنحاس والرصاص تدخل في المنصوص عليه في قوله « الذهب بالذهب » الخ الحديث ؟

فهذه مسئلة اختلف فيها كثير من العلماء يقولون إن العلة في الذهب والفضة كونهما موزونين من جنس واحد فيطردون العلة في كل موزون من جنس واحد فلا يجوز بيع الصفر بالصفر، أو الرصاص بالرصاص، أو النحاس بالنحاس، أو الحديد بالحديد، وكذلك الاصناف الاربعة : البر، والشعير، والتمر، والملح، المنصوص عليها في حديث عبادة المخرج في صحيح مسلم «الذهب والفضة» يقولون العلة في البر، والشعير، والتمر، والملح :ـ الطعم والكيل، فيطردون ذلك في كل مطعوم ومكيل

وأما المطعوم الذي لا يكال ولا يوزن كالمعدودات، كالبطيخ والرمان، وكالبعير والفرس، وما جرى هذا المجرى فيجوز التفاضل في ذلك اذا كان يداً بيد، ولا يجوز بيع ذلك بعضه ببعض نسيئة . هذا الذي عليه قول أكثر العلماء وعليه الفتوى عندنا

واستدلوا على ذلك بما روى الامام أحمد في المسند أن رسول الله ﷺ قال « لا تبيعوا الدينار بالدينارين، ولا الدرهم بالدرهمين، ولا الصاع بالصاعين، فاني أخاف عليكم الرماء» وهو الربا فقام اليه رجل فقال: يارسول الله الرجل يبيع الفرس بالافراس، والنجيبة بالابل ؟ فقال « لا بأس اذا كان يداً بيد »

*
* *

(وأما المسئلة الثامنة) اذا حال عند رجل تمر أو عيش يزكى زكاة الحرث فان كان أراده للتجارة فهو يزكيه زكاة التجارة بحسب قيمته وقت حلول زكاة التجارة وإن كان أراده للأكل له أو لبهائمه فليس عليه زكاة، ولو أقام عنده سنين ، وإن نقص عن قيمة النصاب ولم يكن عنده مايضيفه اليه من الذهب والفضة أو العروض لا زكاة فيه، هذا هو الذي عليه الفتوى والعمل عندنا

***

(وأما التاسعة) ما أركان الصلاة ؟

فاعلم أن أركان الصلاة المعمول بها عندنا ثلاثة عشر :

(الاول) القيام مع القدرة باجماع أهل العلم واستدلوا على ذلك بقوله تعالى (وقوموا لله قانتين)

(الثاني) تكبيرة الاحرام واستدلوا عليه بقوله عليه السلام « تحريمها التكبير » وبقوله في حديث المسيء في صلاته « اذا قمت إلى الصلاة فكبر »

(الثالث) قراءة الفاتحة لمن يقدر على تعلمها(١) لقوله عليه السلام «لاصلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب » وأما العاجز عن تعلمها فيقرأ ماتيسر معه من القرآن أو يذكر بالتهليل والتكبير والتحميد

---

(١) يظن بعض الجهلة ان البليد الذى لايحفظ الفاتحة بسهولة عاجز عن تعلمها والعيي الذي لايحسن مخارج حروفها عاجز ايضا ، وان لكل منهما ان يستبدل بها غيرها ، وهذا خطأ كبير وجهل عظيم اذا اخذ على إطلاقه . وقد يصح اذا أريد به ان له ذلك إن خاف فوت الوقت قبل ان يحفظها . ويجب عليه أن يحفظها ولو في زمن طويل ويغتفر للاعجم والعيي ماعجز بالخلقة عن أدائه من الحروف صحيحا كالالثغ . وكل ركن عجز عنه المصلي يسقط عنه. فالعاجز عن القيام يصلي قاعداً والعاجز عن القعود يصلي مضطجعا. والعاجز عن الركوع أو السجود يومي بها ايماء وانما ذكر العجز في الفاتحة لاجل ذكر البدل . وكتبه محمد رشيد رضا

(الرابع) الركوع حتى يطمئن راكعاً لحديث المسيء في صلاته وفيه « اركع حتى تطمئن راكعاً »

(الخامس) الاعتدال من الركوع حتى يطمئن قائما ويقيم صلبه لقوله عليه السلام في حديث المسيء في صلاته « ثم ارفع حتى تعتدل قائما »

(السادس) السجود حتى يطمئن ساجداً لقوله في حديث المسيء في صلاته « ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً »

(السابع) الاعتدال من السجود حتى يطمئن جالساً

(الثامن) السجدة حتى يطمئن ساجداً

(التاسع) قراءة التشهد الاخير إلى قوله (أشهد أن لا إله الا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله) لما جاء في حديث ابن مسعود: كنا نقول قبل أن يفرض علينا التشهد

(العاشر) الجلوس له حتى يفرغ

(الحادي عشر) الترتيب على ما ذكر الله ورسوله

(الثاني عشر) الطمأنينة في جميع أحوال الصلاة

(الثالث عشر) التسليم لقوله عليه السلام « وتحليلها التسليم »

واعلم ان أكثر هذه الاركان قد تضمنها حديث المسيء في صلاته ، وهو ما ثبت في الصحيحين والسنن عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلا دخل المسجد ثم صلى ورسول الله ﷺ جالس ثم جاء فسلم على النبي ﷺ فقال له « ارجع فصل فانك لم تصل » فرجع الرجل فصلى كما كان صلى ثم جاء فسلم على النبي ﷺ فرد عليه السلام ثم قال « ارجع فصل فانك لم تصل » فعل ذلك ثلاثاً ، ثم قال في الثالثة: والذي بعثك بالحق لا أحسن غير هذا فعلمني ، فقال « إذا قمت إلى الصلاة فكبر ثم اقرأ بما تيسر معك من القرآن ، ثم اركع حتى تطمئن راكعا ، ثم ارفع حتى تعتدل قائما ، ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً ، ثم اجلس حتى تطمئن جالسا ثم افعل ذلك في

صلاتك كلها » قال العلماء : فدل على أن الطمأنينة في هذا الحديث لا تسقط بحال ، فانها لو سقطت لسقطت عن الاعرابي الجاهل

***

(وأما المسئلة العاشرة) فيمن صلى ولم يستنج وهو مستجمر وغسل أطرافه لكنه لم ينو بالاستجمار عن الصلاة

(فالجواب) ان الاستجمار بثلاثة أحجار او اكثر اذا أزال الانسان بذلك النجاسة و بلتها يكفي عن الاستنجاء، باتفاق العلماء، لكن الاستنجاء بالماء مع الاستجمار أفضل وأكمل . والاستجمار لا يحتاج إلى نية الصلاة لانه من التروك ، والتروك لا تحتاج إلى نية

***

(وأما المسئلة الحادية عشرة) في أوقات النهي التي نهي عن الصلاة فيها هل يدخل في النهي تحية المسجد وسنة الوضوء وسنة الطواف وأشباه ذلك ؟

فهذا مخصوص من النهي، واستدلوا على ذلك بحديث بلال في سنة الوضوء، وبأن النبي ﷺ قضى سنة الظهر بعد العصر كما ثبت ذلك في الصحيحين وغيرهما، واستدلوا بحديث جبير بن مطعم ان النبي ﷺ قال «يا بني عبد مناف لا تمنعوا أحداً طاف بهذا البيت أية ساعة من ليل أو نهار وصلى ركعتين» واستدلوا بدلائل أخرى غير ماذكرنا

***

(وأما المسئلة الثانية عشرة) في الحديث الغريب والمتصل ، فالغريب : الذي ليس له إلا سند واحد كما يقول الترمذي في بعض الاحاديث : هـذا غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه ، وقد يكون صحيحا إذا كان رواته موثقين ، وقد يكون ضعيفا ، فعلى كل تقدير هو ضعيف في الحديث . والمتصل هو ما اتصل

سنده من اوله الى أن يصل إلى منتهاه سواء كان مرفوعا او موقوفا او مقطوعا فيخرج المرسل والمنقطع والمعضل

* * *

(وأما المسئلة الثالثة عشرة) فيمن أجر بلده بنصف غرسها وشرط عليه المستأجر أن يقومها سنين معلومة ، فاذا مضت السنون تقاسما النخل ،

فالذي عليه الفتوى عندنا ان هذه إجارة صحيحة لازمة ليس فيها شيء من الغرر

* * *

(وأما المسئلة الرابعة عشرة) فيمن باع سلعة مؤجلة فلما حل الاجل رد السلعة بما عليه من الثمن وألحق عليه دراهم ، او باعه إياها بدون ثمنها هل يصح ذلك ام لا؟ وكذلك مسئلة العينة بينها لنا

(فالجواب عن المسئلة الاولى) أن الذي ذكره العلماء في صفة العينة المحرمة هي المسئول عنها ، قال علماؤنا رحمهم الله : ومن باع سلعة بنسيئة او بثمن لم يقبضه لم يجز أن يشتريها بأقل مما باعها به ، فان فعل بطل البيع الثاني ولو كان بعد حلول اجله . قال الشيخ تقي الدين : ان قصد بالعقد الاول الثاني بطل الاول والثاني جميعا وهو قول ابي حنيفة ومالك . وهذه هي مسئلة العينة المشهورة ، وروي تحريمها عن ابن عباس وعائشة ام المؤمنين وهو قول مالك وأبي حنيفة واسحاق وأصحاب الرأي ، واحتجوا على ذلك بما رواه الامام احمد في مسنده عن ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله ﷺ قال « اذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلا لاينزعه عنكم حتى تراجعوا دينكم » وهذا وعيد شديد يدل على التحريم

وروي عن شعبة عن ابي اسحاق عن امرأته العالية قالت: دخلت أنا وأم ولد زيد بن أرقم وامرأة على عائشة ام المؤمنين فقالت أم ولد زيد: اني بعت غلاما من

زيد بن أرقم بثمانمائة درهم إلى العطاء ثم اشتريته منه بستمائة درهم ، فقالت لها بئسما شريت وبئسما اشتريت ، أبلغي زيد بن أرقم انه قد بطل جهاده مع رسول الله ﷺ إلا ان يتوب . رواه الامام احمد وسعيد بن منصور . قالوا والظاهر أنها لاتقدم على مثل هذا الوعيد الشديد إلا بتوقيف من النبي ﷺ ولان ذلك ذريعة إلى الربا ، فانه يدخل السلعة ليستبيح به بيع ألف بخمسمائة ، ولذلك قال ابن عباس في مثل هذا : أرى مائة بخمسين بينهما حريرة ولم يستثن من ذلك إلا ان تتغير صفتها بما ينقصها أو ينقص ثمنها، مع ان احمد رحمه الله توقف في رواية مثنى فيما اذا نقص في نصه لان علة المنع باقية

واختار الموفق وغير واحد من أصحاب احمد الجواز اذا تغيرت الصفة وذلك مثل هزال العبد وسوء الصنعة أو تخرق الثوب ، وذلك لان الثمن لنقص المبيع لا للتوسل إلى الربا . فهذه صورة مما استثنوها من بيع العينة المحرمة

(الصورة الثانية) اذا كان بيعها الاول بعرض فاشتراها بنقد

(الصورة الثالثة) اذا كان بيعها الاول بنقد واشتراها بعرض . قال في المغني : لانعلم فيه خلافا

(الصورة الرابعة) اذا باعها بنقد واشتراها بنقد آخر فقيل يجوز ، وقال الموفق وغير واحد لايجوز ، قال في الانصاف وهو الصواب

(الخامسة) اذا باعها بمثل الثمن الاول من غير زيادة ولا نقصان فان ذلك جائز قاله غير واحد من علمائنا رحمهم الله

(الصورة السادسة) اذا باعها بأكثر من ثمنها الاول جاز أيضاً ، فأما إن باع سلعة بنقد ثم اشتراها بأكثر منه فهي كمسئلة العينة

(السابعة) اذا وجدها تباع مع غيره إلا أن يكون وكيلا له. وقال احمد في رواية حرب: لايجوز إلا أن تتغير السلعة لان ذلك يتخذ وسيلة إلى الربا فهي كمسئلة العينة .

ونقل أبوداود عن احمد رحمه الله يجوز بلا حيلة ، فأما إن اشترى السلعة التي باعها بنقد بسلعة أخرى أو بأقل من ثمنها أو بمثله جاز ، فان اشتراها بنقد آخر بأكثر من ثمنها فهو كمسئلة العينة أيضاً

ونقل المروزي فيمن يبيع الشيء ثم يجده يباع أن يشتريه بأقل مما باعه بالنقد ، قال: لا، ولكن بأكثر لا بأس

قال الموفق رحمه الله : يحتمل ألا يجوز له شراؤها بجنس الثمن بأكثر منه اذا لم يكن مواطاة ولا حيلة ، بل وقع اتفاقا بلا قصد .

ومن مسائل العينة أيضاً اذا باعه شيئا بثمن لم يقبضه ثم اشتراه بأقل مما باعه نقداً على الخلاف المتقدم لم يصح، ذكره غير واحد من أئمة الحنابلة وهو ظاهر كلام الامام احمد قاله في الانصاف

***

(وأما المسئلة الخامسة عشرة) وهي مسئلة لبس الحرير في الحرب فذكر العلماء أنه يباح لبسه وقت الملاقاة للعدو كما يباح التبختر في المشي عند ملاقاة العدو كما صح بذلك الخبر عن رسول الله ﷺ انه رأى رجلا يتبختر بين الصفين فقال « إن هذه المشية يبغضها الله إلا في مثل هذا الموطن »

***

(وأما المسئلة السادسة عشرة) اذا كان تمر أو عيش مجموع وأخبر البائع المشتري بكيله ورضي بذلك هل يجوز ام لا ؟

(فالجواب) ان ذلك لايجوز واحتجوا بما روى الاثرم باسناده عن الحكم قال : قدم طعام لعثمان رضي الله عنه على عهد رسول الله ﷺ فقال «اذهبوا إلى عثمان نعينه على طعامه» فقال عثمان: إن في هذه الغرارة كذا وكذا، وأبيعها بكذا وكذا ، فقال رسول الله ﷺ « اذا سميت الكيل فكل » واحتج به احمد ،

فعلى هـذا اذا أعلمه بالـكيل أو الوزن ثم باعه إياها مجازفة على انه بذلك الثمن زاد أو نقص لم يجز

***

(وأما المسئلة السادسة عشرة) فيمن دخل بامرأة(١) وأغلق بابا وأرخى حجابه هل تجب العدة ولو أقر أنه لم يجر بينهما جماع .

(فالجواب) ان الذي عليه قول أهل العلم ان العـدة تجب في هذه الصورة

***

(وأما المسئلة السابعة عشرة) ما المسافة التي يترخص فيها برخص السفر ؟

(فالجواب) ان الذي عليه كثير من العلماء ان ذلك يتحدد بقدر مسيرة يومين للاحمال ، وفيها اختلاف كثير بين العلماء ، والذي يختاره الشيخ ان ذلك لايتحدد بمسافة بل كل ماسمي سفراً جاز الترخص فيه برخص السفر لان الله ذكر السفر وأطلق ولم يحدد ، وكذلك لم يصح عن الرسول ﷺ تحديد ذلك

(المسئلة الثامنة عشرة) بيع الحيوان بالحيوان نسيئة ، البعير بالبعيرين أو أقل وأ كثر إلى أجل معلوم

(فالجواب) ان بعض العلماء كره ذلك ، وكثير منهم لايرى بذلك بأسا لما روي أن عليا باع بعيراً يقال له عصيفير بأربعة أبعرة إلى أجل معلوم

(وأما المسئلة التاسعة عشرة) في أخذ الاجرة على من أراد أن يعلي فرسه بحصان غيره .

(فالجواب) ان ذلك لايجوز ولا يصح لنهي النبي ﷺ عن عسب الفحل

وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا

---

(١) هذا سؤال مبهم لم يفهم الا من القرينة والمراد بالمرأة المنكرة فيه المرأة المعقود عليها يعني اذا دخل الرجل بالمرأة التى عقد عليها نكاحه بيتا واغلق بابه عليه وعليها ثم طلقها وادعى انه لم يجامعها هل تعد مدخولا بها وتجب عليها عدة الطلاق ام لا ؟

مسائل وفتاوى فقهية

لبعض علماء نجد

جاءتنا غير معزوة الى أحد

من مطبوعات صاحب الجلالة السعودية ، ومحيي السنة المحمدية

الإمام عبد العزيز آل سعود

ملك الحجاز ونجد وملحقاتها

أيده الله ووفقه

(وقد وقفها على من ينتفع بها من أهل العلم والدين)

لا يحل لمن وقعت بيده بيعها

بسم الله الرحمن الرحيم

مسائل واجوبتها

(الاولى) بم يثبت خيار المجلس وما صورته ؟

(الجواب) خيار المجلس يثبت للمتبايعين ولكل منهما فسخه ماداما مجتمعين لم يتفرقا ، وهو قول أكثر أهل العلم ، لما في الصحيحين عن ابن عمر عن النبي ﷺ أنه قال « اذا تبايع الرجلان فكل واحد منهما بالخيار مالم يتفرقا وكانا جميعا ، أو يخير أحدهما الآخر ، فان خير أحدهما الآخر فتبايعا على ذلك فقد وجب البيع وان تفرقا بعد أن تبايعا ولم يترك أحدهما البيع فقد وجب البيع » والمرجع في التفرق الى عرف الناس وعادتهم

(الثانية) اذا تبايعا وشرطا أن مابينهما خيار مجلس

(الجواب) يلزم البيع ويبطل الخيار لقول النبي ﷺ في حديث ابن عمر «فان خير أحدهما صاحبه فتبايعا على ذلك فقد وجب البيع» يعني لزم البيع . قال في الشرح وهذا مذهب الشافعي وهو الصحيح إن شاء الله لحديث ابن عمر

***

(الثالثة) اذا تواعد رجلان يبي يكتب أحدهما على الآخر مائة جديدة ، ويوم صار باكر جاءه بالدراهم يبي يكتب عليه قال بدا لي، هل يلزمه أم لا ؟ (١)

(الجواب) لابد من قبض رأس مال السلم في مجلس العقد ، فان تفرقا قبل قبضه لم يصح وهو مذهب أبي حنيفة والشافعي ، وقال مالك يجوز أن يتأخر قبضه يومين أو ثلاثا أو أكثر مالم يكن ذلك شرطا

---

(١) قوله يبي اصله يبغي اى يريد وهي لغة اهل نجد . ويوم صار باكر، أي في صباح اليوم الثاني . بدا لي . أي أن أرجع

(الرابعة) إذا شرى رجل من آخر مائة صاع وواعده يبي يكيلها الصبح، ويوم جاء يبي يكيلها قال : بدا لي وهو مابعد نقد الدراهم هل يلزمه أم لا ؟

(الجواب) يلزمه البيع بمجرد العقد ولا يوافق على فسخ المبيع الا برضاء المشتري ، ولكن لا يجوز بيعه قبل قبضه لقول النبي ﷺ « من ابتاع طعاما فلا يبعه حتى يستوفيه » متفق عليه

***

(الخامسة) الاجارة والمساقاة هل هما عقد لازم أم جائز وما معنى اللازم والجائز ؟

(الجواب) أما الاجارة فهي عقد لازم وهو قول جمهور العلماء لانها بمعنى البيع ، وأما المساقاة فأكثر الفقهاء على أنها عقد لازم واختاره الشيخ تقي الدين ، وعند شيخنا انها عقد لازم من جهة المالك ، وعقد جائز من جهة العامل

وأما معنى اللازم والجائز فاللازم هو الذي لا يتمكن أحد المتعاقدين من فسخه إلا برضاء الآخر . والجائز هو الذي يفسخه كل منهما بغير رضاء صاحبه

***

(السادسة) إذا باع رجل بعيراً على آخر ، وقال البائع الثمن عشرة ، وقال المشتري بل تسعة

(الجواب) إذا اختلفا في قدر الثمن ولا بينة لاحدهما تحالفا فيحلف البائع أولا : ما بعته بكذا وانما بعته بكذا ، ثم يحلف المشتري ما اشتريته بكذا وانما اشتريته بكذا ، فاذا تحالفا ولم يرض أحدهما بقول الآخر انفسخ البيع وهو مذهب أبي حنيفة والشافعي ورواية عن مالك ، وعن احمد ان القول قول البائع او يترادان البيع لما روى ابن مسعود عن النبي ﷺ أنه قال « إذا اختلف البيعان وليس بينهما بينة فالقول ما قال البائع او يترادان البيع » رواه سعيد بن منصور وابن ماجه قال الزركشي وهذه الرواية وان كانت خفية مذهبا فهي ظاهرة دليلا ، وذكر دليلها ومال اليها

(السابعة) إذا اكرى رجل بعيراً وقال صاحب البعير الاجرة عشرة وقال المكتري الاجرة ثمانية

(الجواب) إذا اختلفا في قدر الاجرة وهو كما إذا اختلفا في قدر الثمن في البيع كما تقدم في المسئلة التي قبلها نص احمد على انهما يتحالفان وهو مذهب الشافعي قال في الشرح وهو الصحيح ان شاء الله

(الثامنة) اذا استكرى رجل بيتا وقال صاحب البيت أنا مكريك سنة ، وقال المستأجر أنا مستكر سنتين

(فالجواب) ان القول قول المالك مع يمينه . قال في الشرح لانه منكر للزيادة فكان القول قوله بيمينه كما لو قال بعتك هذا العبد بمائة وقال (المشتري) بل هذين العبدين بمائتين

(التاسعة) إذا تبايعا نخلا وشرطا الخيار عشر سنين وأخذ المشتري العمارة في هذه العشر السنين ويوم فك البائع النخل هل العمارة ترد على البائع او تكون لمشتري يأخذها مع الدراهم ؟

(الجواب) ماحصل من غلات المبيع ونمائه في مدة الخيار فهو للمشتري أمضيا العقد أو فسخاه لقول النبي ﷺ «الخراج بالضمان»(١) قال الترمذي هذا حديث صحيح وهذا من ضمان المشتري فيجب أن يكون خراجه له بمقابلة ضمانه

(العاشرة) اذا رهن رجل قدراً وضاع القدر وهو لم يفرط فيه(٢) هل يسقط الدين أو الدين ثابت ولو ضاعت الرهانة

(الجواب) اذا تلف الرهن في يد المرتهن فان كان بتعديه أو تفريطه في حفظه ضمنه ، قال في الشرح لا نعلم فيه خلافا ، فأما إن تلف من غير تعد منه

«١» اى ماخرج من الغلة بما على واضع اليد من الضمان من التلف «٢» القدر التي يطبخ فيها مؤنثة في العربية والتذكير لغة العوام

ولا تفريط فلا ضمان عليه وهو من مال الراهن، يروى ذلك عن علي رضي الله عنه وبه قال عطاء والزهري والاوزاعي والشافعي وابو ثور وابن المنذر فاذا تلف بغير تعد ولا تفريط لم يضمنه ولم يسقط شيء من الدين ، بل هو ثابت في ذمة الراهن لان الدين ثابت في ذمة الراهن ولم يوجد مايسقطه

***

(الحادية عشرة) اذا ضمن رجل على آخر وادعى للمضمون عنه اني أعطيت الغني

(الجواب) لصاحب الحق مطالبة من شاء من الضامن والمضمون عنه، وبه قال الشافعي والثوري واسحاق وأصحاب الرأي وأبو عبيد لقوله عليه السلام «الزعيم غارم» فان أدى المضمون عنه برئت ذمة الضامن بغير خلاف ، وإن أدى الضامن الدين ونوى الرجوع رجع على المضمون عنه بما أداه لصاحب الحق وهو مذهب مالك والشافعي

***

(الثانية عشرة) اذا أحال رجل آخر بعشرة جدد على مليء وقبله وبعد هذا أفلس المحال عليه هل ينحرف على صاحبه أم لا ؟

(الجواب) اذا أحاله على مليء برئت ذمة المحيل ولم يعد الحق اليه سواء أمكن الاستيفاء أم لا ، وبه قال الليث والشافعي وابو عبيد وابن المنذر لانه أحاله على مليء برضاه وقبله فلم يكن له على المحيل رجوع بشرط أن تكون الحوالة صحيحة بشروطها

***

(الثالثة عشرة) مامعنى تعارض البينتين ؟

(الجواب) معنى تعارض البينتين تساويهما من كل وجه ، فاذا أقام المدعي بينة ، وأقام المدعى عليه بينة وتساويتا ، فقد تعارضتا (ومتى تعارضت) بينتاهما سقطتا وكانا كمن لا بينة لهما

***

(الرابعة عشرة) مامعنى قولهم بينة الداخل والخارج ؟

(الجواب) بينة الخارج بينة المدعي ، وبينة الداخل بينة المدعى عليه

(الخامسة عشرة) الفرق بين قسمة التراضي والاجبار

(الجواب) قسمة الاجبار هي التي لاضرر فيها على أحد من الشركاء ، ويمكن تعديل السهام من غير رد عوض ، فان كان فيها ضرر لم يجبر الممتنع لقول النبي ﷺ «لاضرر ولا ضرار» فان كان فيها رد عوض فهي بمعنى البيع فلا يجبر عليها الممتنع فاذا لم تكمل هذه الشروط فهي قسمة تراض لايجبر الممتنع عليها بل برضاه

***

(السادسة عشرة) اذا بنى رجل بيتاً وبنى فيه مدابغ وكنيفا ، وبنى جاره بعده بيتاً وأقام الثاني بينة أن كنيفك ومدابغك تضر بي

(الجواب) اذا كانت المدابغ والكنيف سابقة على ملك جاره ولاحدثت دار جاره إلا بعد بناء الكنيف والمدابغ فلا تزال لانها سابقة على ملك الجار والجار هو الذي أدخل الضرر على نفسه . وفي ازالة ضرره اضرار بجاره فلا يزال الضرر بالضرر ، فاذا كانت المدابغ ونحوها سابقة على ملك الجار لم تزل وإن أضرت بالجار والله أعلم

(السابعة عشرة)(١) اذا بنى رجل مدابغ أو بنى كنيفاً تحت جاره وأقام الاول البينة أن هذه البنية التي حدثت في ملكك تضر بي

(الجواب) يمنع الجار أن يحدث في ملكه مايضر بجاره لقول النبي ﷺ «لاضرر ولا ضرار» فاذا أراد أن يحدث في ملكه مايضر بجاره فانه يمنع للحديث، وهذه المسئلة عكس التي قبلها في الصورة والحكم

(الثامنة عشرة) اذا مات رجل وجاء آخر إلى الوارث يدعي أن له دينا على الميت وليس على المدعي (؟) شهود ايش صفة يمين الوارث ؟

(الجواب) اذا لم يكن مع المدعي بينة وأراد أن يستحلف الوارث فانه

(١) هذه المسألة مكررة مع ماقبلها

يحلف على نفي العلم ، قال في المغني والايمان كلها على البت والقطع لا على نفي فعل الغير فانها على نفي العلم ، فاذا حلف على نفي مثل أن يدعي عليه ، أي على الغير ديناً أو غصباً فانه يحلف على نفي العلم لاغير

(التاسعة عشرة) اذا ادعى رجل على آخر بدعوى وليس عند المدعي بينة ماصفة يمين المنكر ؟

(الجواب) يحلف المنكر على البت والقطع لان الايمان كلها على البت لا على نفي فعل الغير فانها على نفي العلم كما تقدم في المسئلة قبلها

(العشرون) اذا تداعى اثنان ولا بينة معهما وصارت اليمين على المنكر فان حلف قضي له ، وإن أبى أن يحلف فهل يقضى عليه بنكوله أم تردون اليمين على المدعي؟

(الجواب) فيه قولان للعلماء هما روايتان عن احمد

(احداهما) لا ترد بل اذا نكل من توجهت عليه اليمين قضي عليه بالنكول وهو قول ابي حنيفة .

(والرواية الاخرى) ان اليمين ترد على المدعي فيقال له رد اليمين على المدعي فان ردها حلف المدعي وحكم له بما ادعاه اختاره ابو الخطاب وقال قد صوبه احمد ،وما هو ببعيد يحلف ويستحق ، واختار هذا القول ابن القيم في الطرق الحكمية والموفق في العمدة ،وهو قول أهل المدينة

وروي ذلك عن علي رضي الله عنه وبه قال شريح والشعبي والنخعي وابن سيرين ومالك في المال خاصة ، وقال الشافعي بل في جميع الدعاوي

وقال الشيخ تقي الدين : مع علم مدع وحده بالمدعى به لهم ردها ، واذا لم يحلف لم يأخذ كالدعوى على ورثة ميت حقاً عليه بتركته ، وإن كان المدعى عليه هو العالم بالمدعي به دون المدعى مثل أن يدعي الورثة أن الوصي على غريم الميت فينكر فلا يحلف المدعي ، وأما إن كان المدعي يدعي العلم والمنكر يدعي العلم فهنا يتوجه القولان ، يعني المتقدمين، هل يقضي بالنكول أم ترد والله أعلم . وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

مسائل و فتاوي أخرى

لبعض علماء نجد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على خير خلق الله وعلى آله واصحابه الذين كانوا نصرة لدين الله

(المسئلة الاولى) ماقولكم فيمن ترك السنة(١) من غير استخفاف ماحكمه ؟

(الجواب) الذي ذكر أهل العلم أن من ترك السنة وداوم عليها من غير استخفاف بها أنه يكون ناقصا ولا تقبل شهادته

(الثانية) ما قولكم في الرواتب كم قدرها ووقتها وأيها أفضل؟

(الجواب) ثبت في الصحيحين عن عبدالله بن عمر قال «حفظت من رسول الله ﷺ عشر ركعات: ركعتين قبل الظهر وركعتين بعدها وركعتين بعد المغرب وركعتين بعد العشاء وركعتين قبل صلاة الصبح» وفي حديث في الصحيحين عن عائشه رضى الله عنها «كان رسول الله ﷺ يصلي قبل الظهر اربعا» فيحتمل انه كان يصلي تارة اربعا قبل الظهر وتارة ركعتين. وذكر العلما أن آكد التطوع الكسوف ثم الوتر ثم ركعتا الفجر، لان رسول الله ﷺ لم يدعهن لاحضرا ولا سفرا

***

(الثالثة) المسند والمرسل أيهما أقوى

(الجواب) ان المسند أقوى من المرسل وذلك لان المسند ما اتصل سنده الى رسول الله ﷺ فاذا كان رجال المسند كلهم ثقات وليس فيه شذوذ فاجمع العلماء

(١) أي من الصلاة النافلة وهي التي تسمى الرواتب . وليس المراد السنة بمعنى الهدي النبوي والطريقة الشرعية

على الاحتجاج به(١) اذا لم يعارض بمثله او أقوى منه ، وأما المرسل فهو مايرويه التابعي عن النبي ﷺ كقول الحسن قال رسول الله ﷺ كذا . وقول محمد بن شهاب الزهري قال رسول الله ﷺ او قول عطاء قال رسول الله ﷺ فسقط الصحابي بينه وبين الرسول ﷺ وكثير من أهل العلم لا يحتج بالمرسل إلا اذا اتصل واسند من وجه صحيح فاذا كان ذلك كذلك تبين لك ان المسند أقوى وأصح من المرسل بكثير

(الرابعة) ماقولكم في معناهما

(الجواب) يتبين لك من جواب المسئلة قبلها . ومن اصح المراسيل عندهم مراسيل سعيد بن المسيب القرشي المديني عالم المدينة. وقيل انه عالم التابعين وافضلهم رضي الله عنه

***

(الخامسة) اذا جاء خبران عن النبي ﷺ احدهما يدل على الامر والاخر يدل على النهي أيهما أرجح ؟

(فالجواب) ان الراجح ماصح سنده الى النبي ﷺ بنقل العدول الثقات الضابطين فان قدر اتحادهما في الصحة فان امكن معرفة الآخر منهما اخذ بالآخر لانه هو الناسخ ، وانما يؤخذ بالآخر فالآخر من فعل رسول الله ﷺ او قوله ، فان لم يمكن معرفة ذلك وامكن الجمع بينة جمع بينهما فان لم يمكن ذلك اخذ بالاحوط وهو الذي عليه الاكثر من العلماء والفقهاء

***

(السادسة) ماقولكم في حذف البسملة في الصلاة وما الدليل على ذلك؟

(فالجواب) ان البسملة اختلف الفقهاء فيها هل هى آية من الفاتحة وغيرها من كل

«١» اى في الاحكام العملية من العبادات والمعاملات وان كان آحاديا

سورة او هي آية من الفاتحة دون غيرها من السور؟ او ليست من الفاتحة ولا غيرها من السور بل هي آية من القرآن تكتب في اول كل سورة وتقرأ سوى سورة براءة؟

هذه اقوال ثلاثة ذهب الى كل قول طائفة من العلماء والذي يترجح عندنا القول الاخير وبه قال الامام احمد بن حنبل وغيره من فقهاء الحديث . واما الجهر بها في الصلاة فالاحاديث الصحيحة تدل على ان الرسول ﷺ كان لا يجهر بها لا هو ولا الخلفاء الراشدون اللهم الا أن يكون بعض الاحيان فانه قد روي في بعض احاديث كما ثبت ذلك في الصحيح عن انس بن مالك خادم رسول الله ﷺ ان رسول الله ﷺ وأبا بكر وعمر كانوا يستفتحون القرآن بالحمد لله رب العالمين لا يذكرون بسم الله الرحمن الرحيم ، في اول القراءة ولا في آخرها . يعني ان اول مايجهر به في الصلاة من القرآن الحمد لله رب العالمين . وبذلك اخذ الامام احمد وجماعة من فقهاء الحديث واستحبوا ترك الجهر بها من غير انكار على من جهر بها

*
* *

(السابعة) ماقولكم في الرفع والضم وما الدليل على ذلك؟

(فالجواب) ان كان مراد السائل رفع اليدين في الصلاة وجعل اليمين على الشمال في الصلاة فهذا سنة مؤكدة ثابتة عن رسول الله ﷺ في احاديث كثيرة في الصحاح والسنن والمسانيد ومن اشهر ذلك حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما المتفق على صحته قال «كان رسول الله ﷺ يرفع يديه حذو منكبيه اذا افتتح الصلاة واذا اراد ان يركع واذا رفع راسه من الركوع» واما وضع اليمين على الشمال ففي حديث سهل بن سعد في صحيح البخاري قال «كان الناس يؤمرون ان يضع الرجل يده اليمنى على ذراعه اليسرى في الصلاة» وان كان مراد السائل غير ذلك فيبينه بعبارة صحيحة واضحة

* * *

(الثامنة) ماقولكم في التأمين آخر الفاتحة ؟

(فالجواب) انه سنة مؤكدة وصح ان رسول الله ﷺ كان اذا قرأ غير المغضوب عليهم ولا الضالين قال آمين يجهر بها ، وصح من حديث ابي هريرة ان رسول الله ﷺ قال «اذا قال الامام غير المغضوب عليهم ولا الضالين فقولوا آمين ، فان من وافق قوله قول الملائكة غفر له ماتقدم من ذنبه» وأجمع العلماء من اهل السنة على استحباب ذلك

***

(التاسعة) ماقولكم في قول المؤذن «الصلاة خير من النوم» وما الدليل على ذلك؟

(الجواب) دليله ماروا ه أهل السنن قالوا : كان بلال اذا أذن أيقظ النبي ﷺ لصلاة الفجر ، فقيل له ان رسول الله ﷺ نائم فقال : الصلاة خير من النوم ، ورفع بها صوته ، قال ابن المسيب فأدخلت هذه الكلمة في أذان الفجر ، واتفق الائمة الاربعة على استحباب ذلك

***

(العاشرة) ماقولكم في استفتاح الصلاة بما الناس عليه وما الدليل على ذلك؟

(فالجواب) أنه قد ثبت في السنن الاربعة أن رسول الله ﷺ كان يستفتح الصلاة « بسبحانك اللهم وبحمدك ، وتبارك اسمك ، وتعالى جدك ، ولا إله غيرك »

وصح في صحيح مسلم أن عمر كان يجهر بهؤلاء الكلمات يعلمهن الناس في مسجد رسول الله ﷺ بحضرة الاكابر من أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين الانصار ، فلأجل ذلك أخذ به الامام أحمد وجماعة من فقهاء الحديث قال أحمد :انا اختاره وإن استفتح رجل بغيره مما صح عنه ﷺ فحسن

***

(الحادية عشرة) ماقولكم في النحو هل شيء جاء في الاجتهاد أم لا؟

(الجواب) ان علم النحو وضعه بعض العلماء بسبب تغير لغة العرب ، وقيل ان أول من وضعه علي رضي الله عنه وذلك لان الله أنزل القرآن والسنة على لغة العرب فيجب على الامة معرفة اللغة وضبطها ليعرف بذلك كتاب الله وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام

***

(الثانية عشرة) هل ينسخ القرآن بعضه بعضا ، وهل ينسخ ؟ السنة والسنة تنسخه أم لا ؟

(الجواب) الذي عليه أئمة أهل العلم أن القرآن ينسخ بعضه بعضاً وفيه آيات معروفة منسوخة والآية التي نسختها معروفة، يعرف ذلك من طلبه من مظانه ، وكذلك القرآن ينسخ السنة باجماع

واما نسخ القرآن بالسنة فالذي عليه المحققون من العلماء ان السنة لا تنسخ القرآن لكن السنة تفسر القرآن وتبينه وتفصل مجمله ، لان الله امتن على ازواج نبيه بما يتلى في بيوتهن من الكتاب والحكمة: قال كثير من العلماء كان جبرئيل ينزل على رسول الله ﷺ بالسنة كما ينزل بالقرآن، ولا يسمى ذلك نسخا بل هو تفسير له وتوضيح وتشريع للامة لان الله ضمن لنبيه ﷺ جمع القرآن في صدره وبيان معناه كما قال تعالى (ان علينا جمعه وقرآنه * فاذا قرأناه فاتبع قرآنه * ثم ان علينا بيانه)

***

(الثالثة عشرة) هل تجوز رواية الكتاب والسنة بالمعنى ام لا؟

(الجواب) أما قراءة القرآن بالمعنى فما علمت احدا يجوز ذلك، وكيف يجوز تغيير كلام الله وتغيير نظمه الذي اعجز الله به جميع الخلق وجعله آية ودلالة باهرة على نبوة محمد ﷺ؟ هذا لا يقوله احد . واما رواية الحديث بالمعنى فهو مما اختلف

فيه العلماء واجازه طائفة ومنعه كثيرون من اهل الحديث وغيرهم

* * *

(الرابعة عشرة) هل اجماع الصحابة حجة وقول الواحد منهم حجة ام لا؟

(الجواب) ان اجماعهم حجة قاطعة يجب الاخذ بها بالاجماع من اهل العلم واستدلوا على ذلك بقوله تبارك وتعالى ومن (يشاقق الرسول من بعد ماتبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ماتولى ونصله جهنم وساءت مصيرا) وقوله (والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه) وقوله في اعظم سورة من القرآن (أهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم) وهم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

واما قول الواحد منهم فهو حجة عند العلماء ياخذ به الامام احمد وغيره اذا لم تخالفه مثله، واما اذا خالفه غيره من الصحابة فليس قول احدهما حجة على الآخر

* * *

(الخامسة عشرة) اجماع علماء الاسلام من غير الصحابة حجة

«الجواب» نعم حجة قاطعة(١) لكن لا يوجد اجماع صحيح الا وله سند من

«١» إطلاقه هذا الجواب غريب واول مخالف فيه الامام احمد «رح» فالمشهور عنه انه لا يحتج الا باجماع الصحابة فقد روي عنه أبو داود انه قال: الاجماع أن يتبع ماجاء عن النبي «ص» وعن اصحابه وهو في التابعين مخير. وروى مثل هذا عن أبي حنيفة وهو مذهب الامام داود بن علي، بل روي عن الامام احمد أنه يقول بعدم امكان العلم بالاجماع في عصره أو بعد الصحابة. والقائلون بحجية اجماع العلماء المجتهدين -وهم جمهور الاصوليين- قد اختلفوا فيه هل هو حجة قطعية أو ظنية أو فيه تفصيل؟ وقوله ان الامة لا تجتمع على ضلالة هو معنى حديث مرفوع استدل به القائلون بأنه حجة، ورد المنكرون عليهم بأن خطأ المجمعين قد يكون عن اجتهاد في صحة نص أو في دلالته وهذا لا يسمى ضلالة، على ان اجماع المجتهدين في عصر على شيء ليس اجماعا للامة كلها، ولا تتسع هذه الحاشية لاكثر من هذا التنبيه

الكتاب والسنة واجماع الصحابة وكثير من المسائل يدعى بعضهم فيها الاجماع وليس هو قول جميع علماء الاسلام بل يوجد فيها خلاف لبعض العلماء لا يعلمه من حكى الاجماع . وامة محمد ﷺ لا تجتمع على ضلالة بل قد اجارها الله من ذلك

***

(السادسة عشرة) كم الواجب من القرآن في الصلاة وما الدليل على ذلك؟

(فالجواب) الواجب من ذلك هو قراءة الفاتحة لا غير لمن قدر على تعلمها واستدلوا على ذلك بقوله ﷺ « لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب » اخرجه مسلم في صحيحه وفيه دلالة واضحة

***

(السابعة عشرة) هل يجب ان يقرا المأموم لنفسه ام الامام يتحمل ذلك ؟

(فالجواب) هذه مسألة اختلف العلماء فيها فاوجب طائفة من العلماء قراءة الفاتحة على الامام والمأموم والمنفرد واستدلوا بالحديث المتقدم، وكرهها آخرون للمأموم في السر والجهر وتوسط فيها آخرون فاوجبوها على الامام والمنفرد في كل ركعة واستحبوها للمأموم في الصلاة السرية وكرهوها للمأموم في الجهرية اذا سمع قراءة الامام واستدلوا على ذلك بقوله عز وجل (واذا قرىء القرآن فاستمعوا له وانصتوا) قال احمد هذه الآية في الصلاة وبما روي في الحديث من كان له إمام فقراءة الامام له قراءة وهذا الذي عليه العمل عندنا ونختاره

***

(الثامنة عشرة) إذا قرأ المأموم مع الامام هل تفسد صلاته ؟

(فالجواب) ان صلاته لا تفسد ولا أعلم أحداً قال بفسادها بذلك بل كرهها من كرهها من العلماء للآية المتقدمة التي قبلها ، ولدلائل أخر ليس هذا موضع بسطها ولم يبطلوها بذلك

(التاسعة عشرة) ماقولكم في صلاة الجماعة والعيد هل هما واجبتان أم مسنونتان؟ وما الدلائل على ذلك ؟

فنقول : أما صلاة الجماعة فاختلف العلماء في وجوبها وهل هي شرط لصحة الصلاة أو ليست بواجبة ولا شرط لصحة الصلاة ، بل سنة مؤكدة ؟ فالمشهور عن أحمد وغيره من فقهاء الحديث أنها واجبة على الرجال المكلفين حضراً وسفراً ، واستدلوا على ذلك بما ثبت في الصحيحين أن رجالا كانوا يتخلفون عن صلاة الجماعة مع النبي ﷺ فهمّ ﷺ بتحريق بيوتهم بالنار وإنما منعه من ذلك مافيها من النساء والذرية ، وقال « لقد هممت ان آمر رجلا يؤم الناس ثم أخالف إلى قوم لايشهدون الصلاة فأحرق عليهم بيوتهم » وقال ابن مسعود : لقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق ، وللدلائل أخر ليس هـذا موضع بسطها ، وأما صلاة العيـدين فالصحيح من أقوال العلمـاء أنها فرض كفاية ، ومن قال إنهما سنتان قال : إذا اتفق أهل بلد على تركهما قاتلهم الامام ، واستدلوا على أنها فرض كفاية بان النبي ﷺ أمر بهما مالك بن الحويرث وصاحبه

***

(العشرون) من سب الصحابة هل يكفر أو يفسق، وما الدليل على ذلك؟

(فالجواب) ان فسقه لاخلاف فيه لقوله عليه السلام « سباب المسلم فسوق وقتاله كفر » وأما تكفيره فاختلف العلماء في ذلك فمنهم من كفره ويذكر عن مالك ، واحتج على كفره بقوله تعالى (ليغيظ بهم الكفار) قال: فكل من سبهم فهو كافر لهذه الآية. والذي عليه الاكثر عدم تكفيره، وتوقف أحمد في تكفيره وقتله، وأما تعزيره وتأديبه بالضرب والحبس الذي يزجره عن ذلك فلا خلاف فيه

وهذا ماتحتمله الورقة ونسأل الله أن يوفقنا وسائر إخواننا لما يحبه ويرضاه وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم

مسائل وفتاوى

فى القراءة

في الصلاة والطهارة والوضوء والتيمم والطلاق والعدة وعورة الأمة ، والكلام عند الأذان وتلاوة القرآن وغير ذلك

لاحد علماء نجد ، غير معروف اسمه

من مطبوعات صاحب الجلالة السعودية ، ومحيي السنة المحمدية

الإمام عبد العزيز آل سعود

ملك الحجاز ونجد وملحقاتها

أيده الله ووفقه

(وقد وقفها على من ينتفع بها من أهل العلم والدين)

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

الحمد لله والصلاة على خير خلق الله وآله واصحابه الذين كانوا أنصاراً لدين الله

(المسئلة الاولى) ماقول العلماء رضى الله عنهم فيمن صلى خلف الامام ماحكمه ؟

(الجواب) وبالله التوفيق: السنة ان يقف المأموم خلف الامام، وان كان واحدا صلى عن يمينه، فان كان معهم امرأة قامت خلفهم، فاذا وقف المأموم قدام الامام لم تصح صلاته وان وقف الرجل خلف الصف أو خلف الامام وحده فصلى ركعة فأكثر لم تصح صلاته

(المسئلة الثانية) هل تصح صلاة من اخل باعراب الفاتحة ام لا ؟

(الجواب) وبالله التوفيق: يلزم القاريء ان يقرأ الفاتحة مرتبة مشددة غير ملحون فيها لحنا يحيل المعنى، نحو ان يقول انعمت برفع التاء فان فعل لم يعتد بقراءته الا ان يكون عاجزا، وهذا مذهب الشافعي، فان كان لحنا لايحيل المعنى نحو أن يكسر النون من نستعين لم تبطل صلاته

(المسئلة الثالثة) اذا صلى من في بدنه او ثوبه نجاسة نسيها او جهلها ولم يعلم بها الا بعد انقضاء صلاته هل يعيدها ام لا ؟

(الجواب) وبالله التوفيق: هذه المسئلة فيها عن احمد روايتان (احدهما) لاتفسد صلاته وهو قول ابن عمر وعطاء لحديث النعلين وفيه «كان رسول الله ﷺ يصلي بأصحابه اذ خلع نعليه - الى ان قال - ان جبرائيل اتاني فاخبرني أن فيهما قذرا» رواه ابوداود ولو بطلت لاستأنفها (والثانية) يعيد وهو مذهب الشافعي فان علم بها في اثناء الصلاة وامكنه ازالتها من غير عمل كثير كخلع النعال والعمامة

ونحوهما ازالها وبنى على مامضى من صلاته وإلا بطلت

(الرابعة) اذا صلى الامام محدثا جاهلا والمأمون حتي سلموا ماحكم صلاتهم؟

(الجواب) صلاتهم صحيحة دون الامام فانه يعيد، يروى عن عمر وعثمان وعلي ومالك والشافعي وان علمه وهو في الصلاة بطلت وأعادها

(الخامسة) اذا كان في أعضاء الوضوء او في بدن الجنب نجاسة فزالت بغسل الوضوء او غسل الجنابة ولم ينو إزالتها هل تزول ام لا بد من النية ؟

(الجواب) غسل النجاسة لا يفتقر الي نية بل متي زالت عين النجاسة بالماء طهر المحل لانها من التروك بخلاف الاوامر فانها مفتقرة الى نية لقوله عليه السلام «انما الاعمال بالنيات» الحديث، لكن عليه ان يزيل النجاسة عن اعضائه وعن بدنه قبل الغسل .

(السادسة) اذا توضأ الانسان لمشروع كالنافلة وصلاة الجنازة ولم ينو به الفرض هل يصلي به الفرض ام لا ؟

(الجواب) يصلي به ماشاء فرضا او نفلا وايضا قال في الشرح الكبير ولا بأس ان يصلي الصلوات بالوضوء الواحد لا نعلم فيه خلافا . انتهى

(المسئلة السابعة) اذا دخل الوقت على عادم الماء ويرجو أن يصل اليه في آخر الوقت هل يصلي بالتراب في أول الوقت أو يؤخر الصلاة حتى يأتي الماء ؟

(الجواب) قال في الشرح يستحب تأخير التيمم إلى آخر الوقت لمن يرجو وجود الماء، روي ذلك عن علي وعطاء والحسن وأصحاب الرأي، وقال الشافعي في أحد قوليه التقديم أفضل. انتهى

(المسئلة الثامنة) اذا طلقت المرأة وهي ترضع ولم يأتها الحيض بسبب الرضاع ماعدتها؟

(الجواب) هي في عدة حتى يأتيها الحيض فتعتد به ثلاث حيضات أو تصير آيسة فتعتد بثلاثة أشهر

(المسئلة التاسعة) اذا ادعت المرأة أنها اعتدت بعد الطلاق في وقت تمكن العدة فيه هل تصدق أم لا ؟ وإذا شهدت امرأة أو امرأتان انها اعتدت بالحيض هل تقبل شهادتهن في ذلك لعدم اطلاع الرجال أم لا ؟

(الجواب) تصدق لقوله تعالى (ولا يحل لهن أن يكتمن ماخلق الله في أرحامهن) الآية واذا شهدت امرأة عدل أنها حاضت ثلاث حيض وهو يمكن قبلت. والاحوط شهادة امرأتين

(المسئلة العاشرة) هل وجه الامة المملوكة عورة فيلزمها الخمار كالحرة أم لا ؟

(الجواب) لايلزمها لان عمر بن الخطاب كان ينهى الاماء عن التقنع فاشتهر فلم ينكر، فكان اجماعا ، لكن اذا كانت الامة جميلة يخشى بها الفتنة لم يجز النظر اليها بشهوة . وأما الحرة فلا يجوز كشف وجهها في غير الصلاة بغير خلاف(١) والامة اذا عتقت فهي حرة

(المسئلة الحادية عشرة) ماحكم الكلام عند الاذان والاقامة وتلاوة القرآن ، والكلام عند الجماع

(الجواب) قال في الشرح : يستحب لمن سمع المؤذن أن يقول كما يقول إلا في الحيعلة فانه يقول: لاحول ولا قوة إلا بالله، وهذا مستحب لا نعلم فيه خلافا ، ثم يقول «اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محموداً الذي وعدته» رواه البخاري انتهى، وقال بعض العلماء كذلك عند الاقامة، وأما الكلام عند تلاوة القرآن فقال النووي رحمه الله في كتاب التبيان : ويتأكد الامر باحترام القرآن من أمور، فمنها اجتناب الضحك واللغط والحديث في خلال القرآن إلا كلاما يضطر اليه وليمتثل أمر الله ، قال تعالى (واذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون) وعن ابن عمر أنه كان اذا قرىء

«١» هذا انما يصح في حال خوف الفتنة فقط

القرآن لايتكلم حتى يفرغ مما أراد أن يقرأ انتهى

وأما الكلام حال الجماع : فيكره كثرة الكلام حال الوطء ، قيل ان منه الخرس والفأفأة(١)

(المسئلة الثانية عشرة) هل نداء الشخص والديه أو قرابته باسمائهم من العقوق المنهي عنها أم لا ؟

(الجواب) قال في كتاب الاذكار (باب نهي الولد والمتعلم والتلميذ أن ينادي أباه أو معلمه أو شيخه باسمه) روينا في كتاب ابن السني عن ابي هريرة أن رسول الله ﷺ رأى رجلا معه غلام فقال « ياغلام من هذا ؟ » قال أبي ، قال « لاتمش أمامه ، ولا تستسب اه ، ولا تجلس قبله ، ولا تدعه باسمه » قلنا معنى لاتستسب له أي لا تفعل فعلا تتعرض فيه لان يسبك أبوك زجراً الك وتأديبا الك على فعلك القبيح . وروينا عن عبد الله بن زحر قال: كان يقال « من العقوق أن تسمي أباك باسمه، وان تمشي أمامه في الطريق » انتهى(٢) وأما القرابة غير الوالدين فلا أعلم في ندائهم باسمائهم بأساً

(المسئلة الثالثة عشرة) هل يجوز التفريق بين المملوكة وولدها في البيع والهبة أم لا ؟

(الجواب) لايجوز التفريق بين ذوي رحم محرم قبل البلوغ لقوله ﷺ « من فرق بين والدة وولدها فرق الله بينه وبين أحبته يوم القيامة » حديث حسن

(المسئلة الرابعة عشر) هل يفتقر غسل النجاسة إلى عدد أم لا ؟

(الجواب) أما نجاسة الكلب والخنزير وما تولد منهما اذا أصابت غير

« ١ » أي انه يورث هذين الامرين : وفي هذا نظر

« ٢ » هذان العملان من سوء الادب بلا شك ولكن لا يعدان من العقوق الا اذا كان الوالد يتأذى بهما اذى شديدا وهذا يختلف باختلاف العرف والاحوال فالعقوق الاذى الشديد، مشتق من العق وهو شق الثوب ونحوه، ولذلك كان من اكبر الكبائر

الارض فيجب غسلها سبعا احداهن بالتراب سواء من ولوغه أو غيره لانهما نجسان وما تولد منهما (١) لقوله ﷺ « اذا ولغ الكلب في اناء أحدكم فليغسله سبعا إحدهن بالتراب» متفق عليه ولمسلم «أولاهن بالتراب»

وأما النجاسات على الارض فيطهرها أن يغمرها بالماء فيذهب عينها أو لونها لقوله ﷺ في بول الاعرابي « صبوا عليه ذنوبا من ماء» متفق عليه. وأما باقي النجاسات ففيها عن احمد ثلاث روايات (الاولى) سبعا (والثانية) ثلاثا (والثالثة) تكاثر بالماء حتى يذهب عينها ولونها من غير عدد لقوله ﷺ « اغسله بالماء » ولم يذكر عدداً . وهذا مذهب الشافعي ، واختاره شيخ الاسلام أحمد بن تيمية وهو المفتي به عندنا .

(المسئلة الخامسة عشرة) اذا تكلم المصلي في نفس الصلاة أو تنحنح هل تبطل صلاته أم لا ؟

(الجواب) إن تكلم فيها عمداً لغير اصلاح صلاته بطلت بالاجماع، وإن تكلم فيها ناسيا أو جاهلا لتحريمه لم تبطل في إحدى الروايتين عن احمد وهو مذهب الشافعي، لحديث معاوية بن الحكم حين تكلم في صلاته ولم يأمره بالاعادة وكذلك إن تنحنح لم تبطل ، وقيل إن بان حرفان بطلت والله أعلم

«١» كان ينبغي ان يقول ان هذا مذهب أحمد الذى هو مذهبهم وكذا الشافعي فانهما عللا الامر في الحديث بالنجاسة وقاسا الخنزير على الكلب ويرى مالك ان الامر تعبدي لانه غير معقول والتعبدى لايقاس عليه ولايتعدى حكمه المنصوص فلا يقال ان الثوب اذا لاقى شعر الكلب مع البلل في احدهما فانه يجب غسله سبع مرات احداهن بالتراب بل لم يرد نص من الشارع بغسل صيد الكلب مع الحاجة اليه لو كان نجسا وتوفر الدواعي على نقله لو ورد وقد ظهر للاطباء علة للامر بغسل الاناء الذي ولغ فيه وتتريبه وهو ان لعاب الكلب يوجد فيه جراثيم دودة ضارة تسمى الدودة الشريطية كما يوجد في لحم الخنزير جراثيم الدودة الوحيدة . وكتبه محمد رشيد رضا

(المسئلة السادسة عشرة) هل يحل عرض أحد من المسلمين أم لا ؟

(الجواب) الغيبة محرمة بالاجماع، وهي ذكرك أخاك بما يكرهه لو كان حاضراً وتباح لستة أسباب :

(الاول) التظلم فيجوز أن يقول لمن له قدرة على انصافه فلان ظلمني أو فعل بي كذا ونحو ذلك

(الثاني) الاستعانة على تغيير المنكر ورد العاصي إلى الصواب فيقول لمن يرجو قدرته على إزالة المنكر فلان يعمل كذا فازجره

(الثالث) الاستفتاء بان يقول للمفتي ظلمني أبي أو أخي أو فلان بكذا ونحو ذلك فهذا جائز للحاجة

(الرابع) تحذير المسلمين من الشر ونصيحتهم فمنها جرح المجروحين من الرواة والشهود ، ومنها اذا استشارك انسان في مصاهرته أو معاملته ونحو ذلك فيجب عليك أن تذكر له ماتعلم منه على وجه النصيحة ، ومنها اذا رأيت من يشتري سلعة معيبة فعليك أن تبين ذلك للمشتري وهذا على كل من علم بالعيب وجب عليه بيانه

(الخامس) أن يكون مجاهراً بالفسق أو ببدعة كالمجاهر بشرب الخمر وخيانة الاموال ظلما وتولي الامور الباطلة ، فيجوز ذكره بما يجاهر به ، ويحرم ذكره بغيره من العيوب إلا أن يكون لجوازه سبب آخر

(السادس) التعريف فاذا كان الانسان معروفا بلقب كالاعرج والاعمى ونحوهما جاز تعريفه بذلك بنية التعريف لا التنقيص . فهذه الستة ذكرها العلماء مما يباح بها الغيبة ودلائلها مشهورة في الاحاديث.

فرحم الله من نظر فيها، وأصلح خلل ألفاظها ومعانيها بعد التحقيق (١) فان الانسان لا يعصم من الخطأ والنسيان، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيراً

«١» يقول محمد رشيد رضا: اني أرجو ان أكون أهلا لهذا الدعاء وادعو لهذا المفتي بمثل ذلك: رحمه الله واثابه، وصلى الله على خاتم النبيين محمد وآله واصحابه آمين

هـذه مسائل سئل عنها الشيخ محمـد بن عبد الوهاب رحمه الله تعـالى فأجاب والسائل عامي. (*)

بسم الله الرحمن الرحيم

أما المفقود فلا يحكم بموته إلا بعد أربع سنين ، واذا أخذ الكفار مال مسلم وتملكه مسلم آخر بشراء أو هبة لم يكن لصاحبه الاول عليه طريق لانتقال ملك الاول عنها، لان الكفار يملكون أموال المسلمين بالقهر والاستيلاء كما هو مذهب أحمد في إحدى الروايتين وهي المذهب ، ومذهب مالك وأبي حنيفة، لكن يكون صاحبه أحق به بالثمن بعد قسمه أو شرائه

والنخلة : ماتصير وقفا إلا بشهادة رجلين مقبولين .

والوالد : اذا أعطى بعض بنيه عطيـة وحازها المعطى ولم يعط الآخرين لم يرجعوا عليه ، والبيع يصح اذا انقطع الخيار ولو كان بدون القيمة

والبعير : اذا غدت عينه وهو مثل فاطر ذبحت، ولا علم القصاب انها غادية إلا بعد ماذبحها فلا له طلابه

ورد الدين على المعسر مايجوز لا ممن زاد ولا غيره ، واذا أوفاه بالعقد الفاسد مثل الرد على المعسر ماله إلا رأس ماله ، ويصح قسم الدين في الذمة : واذا استغرق دين من عليه الدين لم يصح الرهن إلا بأمر الديانين. واذا اختلف المقرض والمقترض ، فقال المقرض أقرضتك ، وقال الآخر أرهنتني فالقول قول المقرض مع يمينه ، واذا تلفت الصـبرة والمشتري متمكن من القبض ولم يقبض فهي من ضمان المشتري ، واذا اشـترى ثوبا فصبغه أو نسجه أو اختاطه وهو معيب عند البائع فهو يرده المشتري لامساكه مع الارش وله قدر صبغه أو نسجه أو خياطته وقت الرد ويلحق البائع قدر استعماله له .

*) قد عثرنا على ورقة فيها هذه المسائل بعد طبع ماتقدم فطبعناها بنصها

وإذا استأجر أجيراً الى مكان يأتي له منه بشيء فحصل له مانع لزمته الاجرة والصبي أبو خمسة عشر سنة أنا راجي ان مثله مايضمن ومثله (١)

ومال اليتامى مافيه زكاة حتى يصيب كل واحد منهم نصاب . واذا قال الزوج لامرأته اطلعي من داري فليست بقرينة ويحلف انه ماأراد الطلاق .

والمهر اذا كان عادة الناس انه مايطلب إلا اذا طلقت المرأة أو مات الزوج فلا يطلب إلا اذا طلق أو مات

وصاحب الدين المؤجل اذا قال لست بمزكيه إلا بعد قبضه فوافقوه ، وبعد ماجد يوم يشتري النخل فيعطي زكاة ثمنه ، والذي يشتري صبر التمر في الحصاد فلا يبيعها مشتريها حتى يشيلها وما ذكرت من قبل الذي يسرق من الثمرة فهو على المشتري

والهبة تلزم بمجرد العقد ، واذا وهبه وقال أوهبتك عمرك أو عشر سنين فهذا جائز ، ولا يجوز للوالد تفضيل بعض أولاده في العطية على بعض ، والمرأة التي حلفت بالظهار فليس عليها إلا كفارة يمين . والضرر المانع من القسمة هو اذا نقص قيمته مفرداً فهو يمنع . والنخل الذي بين الشركاء واحد يشتهي القسمة وواحد مايشتهي ، فان كان على بعضهم مضرة لم يقسم ، وأما اذا كان في ذمة رجل لآخر دراهم واشترى من رجل شيئا بشرط انه يقبل الثمن من ذمة فلان فلا أرى فيه بأسا. وأما الذين يبيعون الثمرة وقت الجذاذ فبيعهم صحيح ولو مانقد المشتري الثمن وقبض الثمرة فانه يلزم اذا خلى بينه وبينها ويكون قبضا لان قبض هذا بالتخلية ، واذا أوصى بوصية وعلقها على الموت ثم بعد ذلك أوصى بثلث ماله فالوصية من الثلث إلا إن كان منجزها. ومسئلة الصغير الذي ورث عصبة له فان كان الامير يقول بيعها أصلح له فلا تعارضه ، وان كان الامير والجماعة يقولون غاديه أصلح فالذي أرى ان البيع مايتم ، ومسئلة الرهن اذا ظهر مستحقا فالتالي يرجع على الثاني والثاني يرجع على الاول

(انتهى والله أعلم)

---

(١) بياض في الاصل

مسائل وفتاوى

في الطلاق والعدة والاجارة والثمار

والعاقلة ، والتيمم لنجاسة الثوب والبدن ، والحدود والنكاح ، والاقرار

وغير ذلك

للعلامة الشيخ سعيد بن حجي الحنبلي النجدي

رحمه الله وعفا عنه آمين

بسم الله الرحمن الرحيم

من سعيد بن حجي الى الاخ مسفر بن عبدالرحمن

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته (وبعد) الخط وصل وصلك الله إلى رضوانه وتسأل فيه عن مسائل

(الاولى) قول العلماء في رجل تزوج امرأة فطلقها قبل أن يدخل بها أعني الجماع ، ثم تزوجها بعده آخر فطلقها قبل أن يدخل بها هل تجوز أم لا؟

(الجواب) لاتحل له ان كان الاول طلقها ثلاثا بكلمة واحدة لعدم تمام شروط النكاح الثاني ، وان كان طلاقه أعني الاول دون الثلاث حلت له

(الثانية) اذا عتق العبد وتحته أمة ولم تعتق هي ما الحكم؟

(الجواب) قال في الانصاف لو عتق العبد وتحته أمة فلاخيار له على الصحيح من المذهب . وقاله الموفق والشارح ،لان الكفاءة تعتبر فيه لافيها. انتهى وكذا قال في المغني والاقناع ، فقد علمت أنه لا بأس باستدامة النكاح لهما

(الثالثة) طلاق البتة هل المراد به جمع الثلاث بكلمة واحدة او غيره ؟

(الجواب) في المطلع : وبتة بمعنى مقطوعة يقال طلقها ثلاثا بتة ،وفي حديث فاطمة بنت قيس ان أبا عمرو طلقها البتة وهو غائب . وفي رواية طلقها ثلاثا - الحديث متفق عليه. قال ابن دقيق العيد على هذا الحديث مانصه - :ان لفظة البتة يعبر بها عن طلاق الثلاث دفعة ، وتارة عن طلقة يتم بها الثلاث

(الرابعة) إذا كان عند الرجل أربع نسوة فطلق واحدة بالثلاث وأراد أن يتزوج رابعة ، والتي طلق لم تزل في العدة هل يجوز أم لا ؟

(الجواب) مذهب احمد بن حنبل وأبي حنيفة لايجوز حتى تنقضي عدة المطلقة فيتزوج رابعة ان شاء ، قال في الاقناع وشرحه : ومن طلق واحدة من

نهاية جمعه لم يجز أن يتزوج أخرى حتى تنقضي عدتها ولو كانت بائناً، لان المعتدة في حكم الزوجات ، وان ماتت واحدة جاز في الحال نص عليه انتهى . ولانه لايجوز أن يجمع ماءه في رحم خمس نسوة ،وهذا هو المفتي به عندنا الآن ومذهب مالك والشافعي في البائن بخلافه

***

(الخامسة) إذا استأجر أرضاً بطعام و بقطعة من أرض معلومة هل يصح أم لا؟

(الجواب) إذا تمت شروط الاجارة صح إن كان المراد رقبة الارض لان الارض من العروض ، وان كان المعنى على حذف مضاف ، تقديره وزرع قطعة من أرض لم يصح، لانه من المخابرة المنهي عنها ، ولانه يعود بجهالة الاجرة

(السادسة) إذا كان رجلان شريكان في ثمرة نخل واحتاج أحدهما الى أخذ ثمرة نخلة بعضها تمر وبعضها بسر ، وقال لشريكه إذا صرم النخل فخذ قيمتها تمراً هل يصح أم لا ؟

(الجواب) قد ذكر العلماء انه يجوز قسمة الثمار خرصا ، ولو كانت الثمار على شجر قبل بدو صلاحه أي الثمر ولو بشرط التبقية ، وانه يجوز تفرقهما قبل القبض لانها افراز حق لا بيع

وأما المسئلة المسئول عنها فلا تجوز لانها في الحقيقة بيع وهو غير صحيح

(السابعة) هل الاب وإن علا والابن وان سفل من العاقلة أم لا

(الجواب) المسئلة فيها روايتان عن احمد بن حنبل المذهب عند متأخري الحنابلة أنهم من العاقلة لانهم أحق العصبات بميراثه فكانوا أولى بتحمل عقله ولحديث عمرو بن شعيب وهو مذهب مالك وابي حنيفة

(الثامنة) وهل الاحصان للأمة من قبل اقامة الحد عليها اذا زنت الاسلام أو التزويج

(الجواب) قال في المغني اذا زنى العبد أو الامة جلد كل واحد منهما خمسين

ولم يغربا، بكرين كانا أو ثيبين، في قول أكثر الفقهاء منهم عمر وعلي وابن مسعود والحسن والنخعي ومالك والاوزاعي وأبو حنيفة والشافعي انتهى، ثم ذكر اختلاف العلماء في المسئلة وأصلها قوله تعالى (فاذا أحصن فان أتين بفاحشة) الآية. وقد استدلوا على ماذكرنا بقوله (فعليهن نصف ماعلى المحصنات من العذاب) والعذاب الجلد منه فينصرف التنصيف له دون غيره، وبقوله ﷺ لعلي « اذا تعالت من نفاسها فاجلدوها خمسين » رواه عبد الله بن احمد . ورواه مالك عن ابن عمرو بعمومات الاحاديث التي وردت في اقامة الحد على الاماء

***

(التاسعة) رجل أصاب ثوبه أو بدنه نجاسة وعدم الماء وصلى بها هل يعيد اذا وجد الماء أم لا ؟

(الجواب) قال الشيخ تقي الدين : أما التيمم للنجاسة على الثوب فلا نعلم له قائلا من العلماء، وإن كانت النجاسة في البدن فهل يتيمم لها ؟ فيه قولان للعلماء هما روايتان عن أحمد (احداهما) لايتيمم لها وهـذا قول جمهور العلماء كمالك وأبي حنيفة والشافعي ـ إلى أن قال: لما كان عاجزاً عن إزالة النجاسة سقط وجوب إزالتها وجازت الصلاة معها بدون تيمم انتهى ملخصاً . وقال في الكافي وفي وجوب الاعادة روايتان (احداهما) لايجب لقوله عليه السلام « التراب كافيك مالم تجد الماء » وقياسا على التيمم. والاخرى تجب الاعادة

***

(العاشرة) ماحكم من فعل اللواط وأتى بهيمة؟

(الجواب) أجمع أهل العلم على تحريم اللواط ، وأما حكمه فان اختلفت الرواية عن أحمد فعنه أن حده الرجم بكراً كان أو ثيباً وهـذا قول علي وابن عباس وجابر وغيرهم ومالك واحدى قولي الشافعي

(والرواية الثانية) حده حد الزنى وبه قال ابن المسيب وغيره ، ووجه الرواية الاولى قوله ﷺ « من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به » رواه أبو داود . وفي لفظ « فارجموا الاعلى والاسفل » ولان الصحابة أجمعوا على قتله وانما اختلفوا في صفته. انتهى ملخصا من المغني

وقال الشيخ تقي الدين في جواب له : وفي السنن عن النبي ﷺ « من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به » ولهذا اتفق الصحابة على قتلهما جميعا، لكن اختلفوا في صفة القتل فمذهب جمهور السلف والفقهاء أنهما كانا يرجمان بكرين كانا أو ثيبين ، حرين كانا أو مملوكين أو كان أحدهما مملوكا للآخر ، واتفق المسلمون على أن من استحلها من مملوك أو غيره أنه كافر مرتد انتهى . وانما يثبت هذا الحد ببينة أو اقرار كالزنى سواء

وأما من أتى بهيمة فهو يعزر ويبالغ في تعزيره ولا حد عليه. روي ذلك عن ابن عباس وحماد ومالك وأصحاب الرأي وهو قول الشافعي، وتقتل البهيمة ، ويكره أكل لحمها ، وانما يثبت هذا التعزير بشهادة رجلين عدلين أو اقراره ولو مرة

***

(الحادية عشرة) مامعنى قوله عليه السلام «لاقطع في ثمر ولا كُثْر» رواه ابو داود واحمد والترمذي وابن ماجه، ما الكثر؟

(الجواب) الكثر ـ بضم الكاف وسكون الثاء ـ جمار النخل ، والجمار بالضم والتشديد شحم النخل الذي في جوفه ، وجمرت النخلة قطعت جمارها

***

(الثانية عشرة) ما الفرق بين المختلس والمنتهب ؟

(الجواب) السرقة أخذ مال محترم على وجه الاختفاء فلا قطع على منتهب وهو الذي يأخذ المال على وجه الغنيمة لما روى جابر مرفوعا قال « ليس على

منتهب قطع » رواه ابو داود ، ولا على مختلس ، والاختلاس نوع من الخطف والنهب ، وانما سمي اختفاء في ابتداء اختلاسه انتهى من الاقناع وشرحه

***

(الثالثة عشر) إذا شرطت المرأة طلاق ضرتها هل يصح هذا الشرط أم لا؟

(الجواب) قال في الشرح وان شرطت طلاق ضرتها فالصحيح انه باطل لنهيه ﷺ ان تشترط المرأة طلاق أختها رواه البخاري . والنهي يقتضي فساد نهي عنه ،وعند متأخري الحنابلة انه صحيح للزوجة بمعنى ثبوت الخيار لها بعدمه ولا يجب عليه الوفاء به بل يسن

(الرابعة عشرة) اذا أقر المريض في مرضه المخوف بشيء لوارث او لغيره . هل يصح ام لا ؟

(الجواب) قال في الشرح ويصح اقرار المريض في المرض المخوف بغير المال . وان أقر بمال لمن لا يرثه صح حكاه ابن المنذر اجماعا وان اقر لوارث لم يقبل إلا ببينة ، وقال عطاء والحسن واسحاق يقبل ، وقال مالك يصح إلا أن يتهم إلا أن يقر لزوجته بمهر مثلها فاقل فيصح في قول الجميع الا الشعبي. انتهى

*
* *

(الخامسة عشرة) اذا شهد رجل عدل أن فلانا وكل فلانا على تزويج ابنته فزوجها ثم أنكر الموكل هل تمضي الشهادة أم لا ؟

(الجواب) للولي أن يوكل من يزوج موليته . قال في المغني ولا يعتبر في صحة الوكالة إذن المرأة في التوكيل ، ولا يفتقر إلى حضور شاهدين لانه إذن من الولي في التزويج فلم يفتقر إلى إذن المرأة ، ولا إلى الاشهاد كاذن الحاكم انتهى . لكن لابد من إذنها للوكيل ، فقد علمت أنه إذا أذن للوكيل صح وإن لم يشهد، والاشهاد أحوط

(السادسة عشرة) هل تجوز شهادة العبد إذا كان عدلا في كل شيء أم لا ؟

(الجواب) تجوز شهادته في كل شيء إلا في الحدود والقصاص في إحدى الروايتين عن أحمد ، وعنه تقبل فيهما أيضا على الصحيح من المذهب ، واختاره ابن القيم في أعلام الموقعين ، ونصره هو وغيره بادلة ، ولعل مذهب الأئمة الثلاثة على خلافه

***

(السابعة عشرة) هل يقطع السارق باقراره مرة أم لا بد من مرتين ؟

(الجواب) قال في المغنى ولا يقطع إلا بشهادة عدلين او اعتراف مرتين قال ابن المنذر اجمع كل من نحفظ عنه من أهل العلم أن قطع السارق يجب إذا شهد بالسرقة شاهدان حران مسلمان ووصفا مايوجب القطع انتهى،او يعترف مرتين روى ذلك عن علي،وبه قل ابن ابي ليلى وابو يوسف وقال ابوحنيفة والشافعي يقطع باقراره مرة

ولنا ماروى ابو داود أنه عليه السلام اتي بلص قد اعترف فقال «ماأخالك سرقت؟» قال: بلى. فاعاد عليه مرتين فأمر به فقطع انتهى،ولحديث علي، وهذا مذهب الحنابله والله أعلم

وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم

رسالة

فى الرد على صاحب جريدة القبلة

التي كانت لسان الحسين بن علي بمكة المكرمة

فيما افتراه على اهل نجد من تنقيص الرسول

صلى الله عليه وسلم

وغير ذلك من الفرى والضلال

وضعها

أحد علماء نجد ، لم يذكر اسمه على الاصل

من مطبوعات صاحب الجلالة السعودية ، ومحيي السنة المحمدية

الإمام عبد العزيز آل سعود

ملك الحجاز ونجد وملحقاتها

أيده الله ووفقه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان إلا على الظالمين ، وأشهد أن لا إله الا الله إله الاولين والآخرين ، وقيوم السموات والارضين ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا ، ونشهد أنه ﷺ بلغ الرسالة وأدى الامانة ، ونصح الامة ، وكشف الغمة ، وفتح الله به عيونا عميا ، وآذانا صما ، وقلوبا غلفا ، وجاهد في الله حق جهاده ، وعبد الله مخلصا له الدين حتى أتاه اليقين ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا

(أما بعد) فاعلم يامن نور الله قلبه بالاسلام ان الله سبحانه وتعالى ماأنعم على خلقه نعمة أجل وأعظم من نعمته ببعثة محمد عبده ورسوله ﷺ ، فان الله بعثه وأهل الارض عربهم وعجمهم كتابيهم وأميهم ، قرويهم وبدويهم ، جهال ضلال على غير هدى ، ولا دين يرتضى ، الا من شاء الله من غُبَّر(١) اهل الكتاب فصدع بما أوحي اليه وأمر بتبليغه ، وبلغ رسالة ربه ، وأنكر ماالناس عليه من الديانات المتفرقة ، والملل المتباينة المتنوعة ، ودعاهم إلى صراط مستقيم ، ومنهج واضح قويم ، يصل بسالكه إلى جنات النعيم ، ويتطهر به من كل خلق ذميم ، وجاءهم من الآيات والادلة القاطعة الدالة على صدقه وثبوت رسالته ، بما أعجزهم وأفحمهم عن معارضته ، ولم يبق لاحد على الله حجة . ومع ذلك كابر من كابر وعاند من عاند ، وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق ، ورأوا أن الانقياد له ﷺ وترك ماهم عليه من النحل والملل يجر عليهم من مسبة آبائهم ، وتسفيه أحلامهم ، أو نقص رياستهم ، او ذهاب مآكلهم ، مايحول بينهم وبين مقاصدهم ومآربهم . فلذلك عدلوا الى مااختاروه من الرد والمكابرة ، والتعصب على باطلهم والمثابرة ، وأكثرهم

(١) غبر — بضم الغين المعجمة بعدها باء موحدة . كركع : بقية أهل الكتاب

يعلمون انه محق، وانه جاءهم بالهدى ودعا الى الله، لكن فى النفوس موانع ، وهناك إرادات ومؤاخاة ورياسات لايقوم ناموسها ، ولا يحصل مقصودها إلا بمخالفته، وترك الاستجابة له وموافقته ، وهذا هو المانع في كل زمان ومكان من متابعة الرسل وتقديم ماجاءوا به ، ولولا ذلك مااختلف من الناس اثنان ، ولا اختصم في الايمان بالله وإسلام الوجه له خصمان

ثم بعد ان ظهر نور الشريعة وطبق مغارب الارض ومشارقها، وشامها ويمنها، حدث بعد ذلك في الدين من الاغيار، مالا يعلمه إلا العليم الغفار ، وتفرق الناس في أديانهم ، وتشعبت بهم الاهواء ،وصاروا شيعا كل حزب بمالديهم فرحون ، ومن طاف البلاد وخبر أحوال الناس منذ أزمان متطاولة عرف انحرافهم عن الاصل الاصيل ، وبعدهم عما جاءت به الرسل من التفريع والتأصيل ، فكل بلد وكل قطر وكل جهة فيما نعلم فيها من الآلهة التي عبدت مع الله بخالص العبادات ، وقصدت من دونه في الرغبات والرهبات ، ماهو معروف مشهور لا يمكن جحده ولا انكاره ، بل وصل الامر ببعضهم إلى أن ادعوا لمعبوديهم مشاركة في الربوبية بالعطاء والمنع والتدبير، ومن أنكر ذلك عليهم فهو خارجي ينكر الكرامات ، وكذلك في باب الاسماء والصفات ، ورؤساؤهم وأحبارهم معطلة ،وكذلك يدينون بالالحاد والتحريفات، وهم يظنون انهم من أهل التنزيه والمعرفة باللغات ، ثم اذا نظرت اليهم وسبرتهم في باب فروع العبادات، رأيتهم قد شرعوا لأنفسهم شريعة لم تأت بها النبوات . هذا وصف من يدعي الاسلام منهم في سائر الجهات

وأما من كذب بأصل الرسالة أو أعرض عنها ولم يرفع بذلك رأسا فهؤلاء نوع آخر وجنس ثان ليسوا مما جاءت به الرسل في شيء، بل هم كما قال تعالى (ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والانس لهم قلوب لايفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لايسمعون بها أولئك كالانعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون)

فاذا تقرر هـذا فاعلم أن الذي نعتقده وندين الله به هو افراد الله سبحانه وتعالى باخلاص العبادة له وحده لاشريك له ، وترك عبادة ماسواه ، فلا ندعو الا الله وحـده لا شريك له ، ولا نستغيث إلا به ، ولا نستعين الا به ، ولا نتوكل الا عليه ، ولا نرجو الا إياه ولا نخاف الا منـه ، ولا ننيب إلا اليه ولا نذبح إلا له ،ولا نستعيذ الا به، ولا ننذر الا له ، ولا نرغب إلا اليهـالى غير ذلك من أنواع العبادة التي من صرفها لغير الله كان مشركا ؛ ونقر ان الله سبحانه وتعالى هو الخالق الرازق المحيي المميت النافع الضار المدبر لجميع الامور ، وانه رب كل شيء وخالقه ومليكهـالى غير ذلك من أفعال الربوبية التي لا يقدر أحد عليها الا هو سبحانه

وبالجملة فنحن على ما كان عليه السلف الصالح وأئمة الفقه والتقوى في باب معرفة الله واثبات صفات كماله ، ونعوت جلاله ، التي نطق بها الكتاب العزيز ، وصحت بها الاخبار النبوية وتلقاها أصحاب رسول الله ﷺ بالقبول والتسليم نثبتها ونؤمن بها ونمرها كما جاءت من غير تحريف ولاتعطيل ، ومن غير تكييف ولا تمثيل. ونحن في هذا على مذهب الامام احمد بن حنبل رحمه الله تعالى خلافا لما يزعمه أعداء الله ورسوله من ان مذهبنا مذهب خامس

ولبسط هذه الجمل موضع آخر ،مذكورة فيه بأدلتها من الكتاب والسنة ليس هذا موضع بسطها ،وماذاك الا انا اتبعنا كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وقدمناهما على قول كل أحد كائنا من كان ، فزعموا أن ذلك مذهب خامس، فمن أنكر شيئا مما ذكرناه وأراد المناظرة على ذلك ناظرناه ومن سألنا عن بيان ذلك أجبناه بحول الله وقوته

إذا تحققت هذا فاعلم أن السبب الداعي لهذا الكلام وتسطيره ، والباعث على تصويره وتحريره ، هو ما رأيناه في جريدة صاحب القبلة مما نسب الينا معاشر الوهابية من الاكاذيب والاوضاع ، التي تمجهـا النفوس وتنفر منها الطباع ، وتستك عند سماعها الاسماع ،

(افتراؤه عليهم تفضيل العصا على المصطفى)

وذلك انه زعم انا نقول : ان العصا أنفع من النبي ﷺ

فنقول : الله أكبر على هؤلاء الملاحدة الذين ينفرون الناس عن الدخول في دين الله ، (ويصدون عن سبيل الله من آمن به ويبغونها عوجا* ويسعون في الارض فساداً والله لايحب المفسدين* ولوشاء ربك مافعلوه فذرهم ومايفترون* ولتصغى اليه أفئدة الذين لايؤمنون بالآخرة وليرضوه وليقترفوا ماهم مقترفون)

فمن نسب هذا الينا، وافتراه علينا، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لايقبل الله منه صرفا ولا عدلا ، وفضحه على رءوس الاشهاد (يوم لاينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار)

وياسبحان الله ، كيف يتصور وقوع هذا عاقل أو جاهل أو مجنون ؟ ولا يقول هذا من يؤمن بالله واليوم الاخر ،ويعلم انه موقوف بين يدي الله، ومسئول عن ذلك ، بل لا يقوله إلا من هو أضل من حمار أهله ، نعوذ بالله من رين الذنوب، وانتكاس القلوب (مايكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم)

بل نشهد الله وملائكته وجميع خلقه انا نشهد ان محمداً عبده ورسوله ، وأمينه على وحيه ، وخيرته من خلقه ، أرسله رحمة للعالمين ، وقدوة للعاملين ، ومحجة للسالكين، وحجة على العباد أجمعين. بعثه للايمان منادياً، والى دار السلام داعيا، وللخليقة هاديا، ولكتابه تاليا، وفي مرضاته ساعيا، وبالمعروف آمراً، وعن المنكر ناهيا . أرسله على حين فترة من الرسل، فهدى به الى أقوم الطرق وأوضح السبل، وافترض على العباد طاعته ومحبته وتعزيره وتوقيره والقيام بحقه . وسد الى الجنة جميع الطرق فلم يفتحها لأحد الا من طريقه ، فلو أتوا من كل طريق واستفتحوا من كل باب لما فتح لهم حتى يكونوا خلفه من الداخلين ، وعلى منهاجه وطريقته من السالكين

اذا تحققت ماقدمته لك فكيف يصح مع هذا أن نقول ان العصا أنفع من النبي ﷺ ؟ سبحان الله ما أعظم شأنه وأعز سلطانه (كذلك يطبع الله على قلوب الذين لايعلمون)

﴿ فرية أنهم اتخذوا ملة ابراهيم واعرضوا عن ملة محمد ﴾

وأما قوله فيما نسبه هذا المفتري إلينا انا اتخذنا ملة ابراهيم وأعرضنا عن سنة محمد عليه الصلاة والسلام فنقول:

وهذا أيضا من الكذب علينا والظلم والعدوان ، والزور والبهتان ، فان دين محمد ﷺ وما سنه هو من ملة ابراهيم عليه السلام ، وملة ابراهيم هي دين محمد لافرق في ذلك قال الله تعالى لنبيه ﷺ (قل انني هداني ربي إلى صراط مستقيم * دينا قيما ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين) وقال تعالى (ثم اوحينا اليك أن اتبع ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين) وقال تعالى (ومن يرغب عن ملة ابراهيم إلا من سفه نفسه) وقال تعالى (آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لانفرق بين أحد من رسله)

فمن زعم انا نفرق بين دين محمد وملة ابراهيم فقد كذب علينا وافترى وأعظم الفرية على الله وعلى رسله ودينه وحسبنا الله ونعم الوكيل

وقد قال ﷺ «نحن معاشر الانبياء أولاد علات ، الاب واحد والامهات متفرقات » فدين الرسل صلوات الله وسلامه عليهم من أولهم إلى آخرهم دين واحد وشرائعهم مختلفة كما قال تعالى (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا)

ومراد هؤلاء الملاحدة بهذه الاوضاع الكاذبة الخاطئة تنفير الناس عن دين الله ورسوله (يريدون أن يطفؤا نور الله بافواههم ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون)

﴿ فرية أن الوهابية يلزمون الناس تكفير آباءهم وأجدادهم ﴾

وأما قوله: انا نلزم الناس ان يكفروا آبائهم وأجدادهم فنقول:

وهذا أيضاً من نمط ماقبله من الكذب والبهتان. والذي نقوله في ذلك: انه من مات من أهل الشرك قبل بلوغ هذه الدعوة إليه فالذي يحكم عليه اذا كان معروفا بفعل الشرك ويدين به ومات على ذلك فهذا ظاهره انه مات على الكفر فلا يدعى له، ولا يضحى له، ولا يتصدق عنه

وأما حقيقة أمره فالى الله تعالى فان كان قد قامت عليه الحجة في حياته وعاند فهذا كافر في الظاهر والباطن، وإن كان لم تقم عليه الحجة فأمره إلى الله

وأما من لانعلم حاله في حال حياته ولا ندري مامات عليه فانا لانحكم بكفره وأمره إلى الله. فمن نسب الينا غير هذا فقد كذب علينا وافترى (وحسبنا الله ونعم الوكيل)

ثم لو قدر ان بعض الجهال الذين لايعلمون حدود ماأنزل الله على رسوله قال ذلك جهلا منه بحقائق الامور ومدارك الاحكام وتفاصيلها، أفينسب الينا ماقاله هذا الجاهل؟ نحن نبرأ الى الله من هذه المقالة التي قالها من قالها بغير دليل ولا برهان من الكتاب والسنة

﴿ إبطال قياس دعاء الموتى على الاسباب الطبيعية وبيان أن هناك أسبابا محرمة لايجوز تعاطيها ﴾

وأما قوله: في اعتقادهم في الانبياء والصالحين انه كما يقول الرجل لابنه رد ابلي علي، او لجاره رد ناقتي علي

(فالجواب) ان نقول: هذا قياس من هؤلاء الملاحدة على أن هذه الاسباب العادية

الطبيعية يقاس عليها دعاء الانبياء والصالحين بمعنى انهم أسباب ووسائط بينهم وبين الله

فيقال لهذا الجاهل: ليس الامر كما زعمت ولا على ماتوهمت، فان هذا القول لاينبغي أن يؤخذ على اطلاقه لانه من المعلوم بالضرورة أن من الاسباب أسبابا محرمة لايجوز لأحد أن يتعاطاها ويجعلها أسبابا الى ماحرمه الله ورسوله ونحن لاننازع في اثبات ماأثبته الله من الاسباب والحكم ولكن من هو الذي جعل الاستغاثة بالمخلوق ودعاءه سببا في الامور التي لايقدر عليها الا الله ؟ ومن الذي قال انك اذا استغثت بميت أو غائب من البشر نبيا كان أوغيره كان سببا في حصول الرزق والنصر والهدى وغير ذلك مما لايقدر عليه الا الله ؟ ومن الذي شرع ذلك وأمر به ؟ ومن الذي فعل ذلك من الانبياء والصحابة والتابعين لهم باحسان ؟

فان هذا المقام يحتاج الى مقدمة وهي ان الاسباب المشروعة لايحرم فعلها، فانه ليس كل ما كان سببا كونيا يجوز تعاطيه ، فان المسافر قد يكون سفره سببا لاخذ مال وكلاهما محرم . والدخول في دين من الاديان غير الاسلام قد يكون سببا لمال يعطونه وهو محرم ، وشهادة الزور قد تكون سببا لنيل المال يؤخذ من المشهود له وهو محرم ، وكثير من الفواحش والظلم قد يكون سببا لنيل مطلب وهو محرم . وكذلك الشرك كدعوة الكواكب والشياطين بل وعبادة البشر قد يكون سببا لبعض المطالب وهو محرم

فان الله تعالى حرم من الاسباب ما كان مفسدته راجحة على مصلحته كالخمر وان كان يحصل به بعض الاغراض أحيانا . وهذا المقام مما يظهر به ضلال هؤلاء المشركين خلقا وأمراً ، فانهم مطالبون بالادلة الشرعية

***

(جواز الاستعانة بالاسباب الظاهرية الحسية)

وأما قوله في الاسباب العادية: مثل قول الرجل لابنه رد ابلي علي او لجاره رد ناقتي علي . فنقول :

لا نزاع بين العلماء في جواز الاستعانة بالاسباب العادية الطبيعية الظاهرة الحسية كأن يستعين الرجل بأصحابه في قتال او ادراك عدو أو سبع ونحوه من الاسباب العادية المتعلقة مسبباتها بأسبابها فمتى أتى العبد بالسبب وقع المقدور ومتى لم يأت بالسبب انتفى المقدور . وهذا كما قدر الشبع والري بالاكل والشرب، وقدر الولد بالوطء، وقدر حصول الزرع بالبذر، وقدر خروج نفس الحيوان بذبحه ، لكن هذه الافعال العادية القائمة بفعالها تنسب اليه وتضاف اليه حقيقة ، من اضافة الفعل الى فاعله فيقال : أكل وشرب وقام وقعد وحكى ودعا واستغاث حقيقة لا مجازاً باجماع العقلاء ، ولم يخالف في اضافة الافعال الى فاعلها حقيقة الا من هو من أجهل الناس وأضلهم عن سواء السبيل

اذا عرفت هذا فالالتفات الى الاسباب غير المشروعة شرك في التوحيد، ومحو الاسباب العادية أن تكون أسبابا نقص في العقل . والاعراض عن الاسباب بالكلية قدح في الشرع

اذا تبين لك هذا فقياس الاموات من الانبياء والصالحين في الامور التي لا يقدر عليها الا الله ـ على الاحياء القادرين على الاسباب العادية المقدور عليها من أفسد القياس وأبطل الباطل وأمحل المحال ، لان الله سبحانه وتعالى فرق بين الاحياء والاموات ولم يسو بينهما بقوله (وما يستوي الاحياء ولا الاموات)

وقال تعالى (والذين يدعون من دونه لا يخلقون شيئا وهم يخلقون *أموات غير أحياء وما يشعرون أيان يبعثون) وقال تعالى (ومن أضل ممن يدعو من دون

الله من لايستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون *واذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين) وقال تعالى (والذين تدعون من دونه مايملكون من قطمير * ان تدعوهم لايسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير)

*
* *

هذا ملخص الجواب عما افتراه علينا كل آفك كذاب ، ونحن نعلم ان من خالفنا في ديننا وعاب علينا سلوك طريق نبينا ﷺ وأصحابه ومن تبعهم من السلف الصالح والصدر الاول أن عندهم من الترهات والاكاذيب والخرافات أضعاف أضعاف ماذكره هذا المفتري . وجوابنا عن كل مايفتريه علينا أعداء الله ورسوله مما خالف دين الاسلام ، وما كان عليه الائمة الاعلام من سلف هذه الامة وأئمتها أن نقول : سبحانك هذا بهتان عظيم ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ، وحسبنا الله ونعم الوكيل

تم بحمد الله وحسن توفيقه، والحمد لله أولا وآخراً ، وظاهراً وباطنا. وصلى الله تعالى على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه

(انتهى الرد على الجريدة المسماة بالقبلة)

الكلام المنتقى

مما يتعلق بكلمة التقوى

«لا إله إلا الله»

تأليف

العلامة سعيد بن حجي الحنبلي النجدي

رحمه الله وعفا عنه آمين

تنبيه

قد ظفرنا بهذه الرسالة بعد طبع الرسائل التي أرسلها الينا الامام والملك الهمام، فاستحسنا أن نجعلها مسك الختام

من مطبوعات صاحب الجلالة السعودية، ومحيي السنة المحمدية

الإمام عبد العزيز آل سعود

ملك الحجاز ونجد وملحقاتها

أيده الله ووفقه

(وقد وقفها على من ينتفع بها من أهل العلم والدين)

لا يحل لمن وقعت بيده بيعها

بسم الله الرحمن الرحيم

(رب عونك)

إلى الاخ الشيخ محمد بن أحمد الحفظي حفظه الله من الآفات، وجنبه الشرك والبدع المضلات، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته

(أما بعد) فوصل الكتاب، وفهمنا مضمون الخطاب، وهو قولكم: الشوق إلى الاطلاع على فوائدكم، وماتنتجه القريحة من عوائدكم، وههنا عشرة افصاص في كلمة الاخلاص، أفيدونا بالكلام عليها وهي هذه: لفظها، معناها، حقها، حقيقتها، حكمها، لازمها، فائدتها، مقتضاها، نواقضها، متماتها. اه ملخص جوابكم

﴿ فالجواب وبالله التوفيق ﴾ قولكم: ههنا. يشعر ان العشرة لديكم افصاص، لو قلت الخاص، أي أبحاث لكان أنسب للمقام (١) وكلمة الاخلاص هي لا إله الا الله، فأمرها عظيم، وخطبها جسيم، أعلاها مثمر، وأسفلها مغدق، وهي كلمة التقوى. قال الله تعالى (وألزمهم كلمة التقوى) قال ابن عباس وأكثر المفسرين: كلمة التقوى «لا إله الا الله» وقال عطاء الخراساني: هي لا اله الا الله محمد رسول الله. اه من البغوي، وقال البيضاوي وغيره: أضاف الكلمة إلى التقوى لانها سببها، أو كلمة اهلها اه

وأصل التقوى اتخاذ وقاية تقيه مما يخافه ويحذره. فتقوى العبد لله أن يجعل بينه وبين مايخشاه من غضبه وقاية تقيه منه، وهي امتثال أوامره، واجتناب زواجره

(١) الفص يجمع على فصوص والفحص مصدر الاصل فيه ألا يجمع إلا باعتبار أفراده وفص الخاتم قلبه الذي ينقش فيه الاسم وفصوص العظام مفاصلها. قال في أساس البلاغة: وفلان حزاز الفصوص إذا كان مصيبا في رأيه، وآتيك بالامر من فصه أي من محزه وأصله. وقرأت في فص الكتاب كذا. ومنه فصوص الاخبار اه فاستعمال الفصوص في مسائل كلمة التوحيد أفصح من استعمال الافحاص أو الفحوص

وقولكم: أفيدونا بالكلام عليها. فلستُ أهلا لذلك، لان علمي لم يصل الى ذلك، وتسمع بالمعيدي خير من ان تراه، لكن مالا يدرك كله لا يترك كله

ونذكر قبل الشروع في المرام، مقدمة في فضل العلم لتكون له كالتمام: وقد ورد في فضل العلم آيات كثيرة، وأخبار صحيحة شهيرة، وله آداب وشروط، من أهمها الاخلاص لله تعالى في طلبه

قال الامام عبدالرحمن بن احمد بن رجب الحنبلي في شرحه على الاربعين النووية المسمى (جامع العلوم والحكم) وقد ورد الوعيد على تعلم العلم لغير وجه الله تعالى كما خرج الامام احمد وأبوداود وابن ماجه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال «من تعلم علماً مما يبتغى به وجه الله تعالى(*) لا يتعلمه الا ليصيب به عرضاً من الدنيا لم يجد عَرْف الجنة(١) يوم القيامة» وخرج الترمذي من حديث كعب بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال «من طلب العلم ليماري به السفهاء، أو يجاري به العلماء، أو ليصرف به وجوه الناس اليه أدخله الله النار» وخرجه ابن ماجه بمعناه. وجاء من حديث جابر «لا تتعلموا العلم لتباهوا به العلماء، ولا لتماروا به السفهاء، ولا لتتخيروا به المجالس، فمن فعل ذلك فالنار النار» اه

وقال الشهاب احمد بن حجر العسقلاني في شرح الاربعين النووية عند قوله ﷺ «فانما اهلك الذين من قبلكم(٢)» الحديث: إن كثرة السؤال من غير ضرورة مشعر بالتعنت او مفض اليه وهو حرام. وقد نهى الشارع عن قيل وقال وكثرة السؤال اه

وقال في الاحياء: حقيقة الاخلاص ان كل شيء يتصور أن يشوبه غيره، فاذا صفا عن شوبه وتخلص عنه يسمى خالصا، ويسمى الفعل المخلص المصفى، والتصفية اخلاصا، قال الله تعالى (من بين فرث ودم لبنا خالصا) فاذا خلص الفعل عن الرياء كان لله خالصا اه

(*) اي من العلوم الدينية وخرج بهذا القيد العلوم المعاشية من فنون الصناعة والزراعة والتجارة وغيرها فهذه تتعلم لاجل عرض الدنيا ولا يدخل متعلمها في هذا الوعيد بل هو ماجور عليها لانها من فروض الكفايات

«١» عرف الجنة ـ بفتح العين المهملة وسكون الراء ـ ريح الجنة «٢» تتمته «كثرة سؤالهم واختلافهم على انبيائهم» وهذا الشرح لابن حجر الهيتمي الفقيه لا للحافظ العسقلاني

وقال ابن القيم رحمه الله : من الناس من يحرّم العلم لعدم حسن السؤال إما انه لايسأل، او يسأل عن شيء وغيره أهم منه.

وقال سلمان لحذيفة: ان العلم كثير، والعمر قصير، فخذ من العلم ماتحتاج اليه في أمر دينك ودع ما سواه

(رجعنا الى الجواب)

﴿ أما لفظها ﴾ فقال في المختصرة المسماة (فاكهة القلوب والافواه ، في تحقيق مايتعلق بلاإله الا الله، محمدرسول الله) المنتخبة من شرح محمد بن يوسف السنوسي:

فصل

في ضبط هذه الكلمة

فينبغي للذاكر أن لايمد الف [لا] جداً، وأن يقطع الهمزة من إله، اذ كثيراً مايلحن بعض الناس فيردها ياء ، وكذلك يفصح بالهمزة من (إلا) ويشدد اللام بعدها، اذ كثيراً مايلحن بعضهم فيرد الهمزة ايضاً ياء ويخفف اللام ، وأما كلمة الجلالة والتعظيم التي بعد «الا» فلا يخلو اما ان يقف عليها الذاكر أوْ لا، فان وقف تعين عليه السكون . وان وصلها بشيء آخر كأن يقول لااله الا اللهُ وحده لاشريك له ، فله فيها وجهان: الرفع وهو الارجح ، والنصب وهو مرجوح

وقد ذكر اهل التجويد في اسم الله تعالى : المحافظة على ترقيق ألفه ، وان لايزيد فيها على مقدار المد الطبيعي، وترقق لام (الله) اذا كسرت او كسر ماقبلها وقد اجمعوا على تفخيمها بعد فتحة او ضمة

فصل

﴿ في اعراب هذه الكلمة ﴾

قد احتوت على صدر وعجز، فعجزها ظاهر الاعراب، إذ هو جملة من مبتدأ وخبر ومضاف اليه، وأما صدرها فلا فيه نافية (وإله) مبنى معها لتضمنه معنى «من»

إذ التقدير لا من إله، ولهذا كانت نصافي العموم، كأنه قد نفى كل إله غيره عز وجل من مبدأ مايقدر منها إلى مالا نهاية له، بني الاسم معها للتركيب، وذهب الزجاج إلى ان اسمها معرب منصوب بها، واذا فرعنا على المشهور من البناء فموضع الاسم نصب بلا العاملة عمل إن ، وقال الاخفش: لا هي العاملة فيه

ونقل السنوسي كلاما قال : قال أهل العلم : إن الاسم المعظم في هذا التركيب يرفع، وهو الكثير ولم يأت في القرآن غيره، وقد ينصب، فالرفع بالبدلية او على الخبرية، فالقول بالبدلية هو المشهور، وهو رأي ابن مالك، ثم الاقرب ان يكون البدل من الضمير المستتر في الخبر المقدر، أما القول بالخبرية في الاسم المعظم فقد قال به جماعة .

ومن البسيط الوافي: (لا إله إلا الله) الاصل فيه: الله إله ، فلما أريد قصر الخبر على المبتدأ، وهو من قصر الصفة على الموصوف، قدم الخبر فاقترن بالا لان المقصور عليه هو الذي يلي إلا ، والمقصور هو الواقع في سياق النفي

ومن القواعد ان المبتدأ اذا اقترن بالا وجب تقديم الخبر

والله مرفوع على انه بدل من اسم (لا) حملا على محله البعيد الذي هو الرفع بالابتداء الحاصل بالتحويل اليه بعد التقديم وقبل اعتبار النسخ ، والتقدير: لا إله موجود في الوجود إلا الله، وهذا هو التقدير المشهور

فصل

وأما معنى هذه الكلمة فلا تتسع له هذه الرسالة، لكن لا نخل ببعضه والله المستعان.

فلا شك انها محتوية على نفي واثبات، فالمنفي كل فرد من أفراد حقيقة الاله غير مولانا عز وجل، والمثبت من تلك الحقيقة فرد واحد، وهو مولانا عز وجل، وأتى بالا لقصر حقيقة الاله على الله تعالى، وهو الواجب الوجود المستحق للعبادة ، المعبود بحق ، وهو الخالق المستغني عن كل ماسواه ، المفتقر اليه كل من عداه .

انتهى كلام صاحب فاكهة القلوب ملخصا

ومنه قال العماد ابن كثير رحمه الله في تفسير قوله تعالى (قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أربابا من دون الله) الآية : هـذا الخطاب يعم أهل الكتاب ومن جرى مجراهم، والكلمة تطلق على الجملة المفيدة كما قال ههنا، ثم وصفها بقوله (سواء بيننا وبينكم) أي عدل ونصف نستوي نحن وأنتم فيها، ثم فسرها بقوله (ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً) لا وثنا، ولا صليبا ، ولا صنما، ولا طاغوتا ، ولا ناراً ، ولا نبيا ، بل نفرد العبادة لله وحده لا شريك له ، وهـذه دعوة جميع الرسل ثم قال تعالى (ولا يتخذ بعضنا بعضاً أربابا من دون الله) قال ابن جرير: يعني يطيع بعضنا بعضا في معصية الله ، وقال عكرمة: يعني يسجد بعضنا لبعض، انتهى ملخصا

فقد علمت ان معنى لا إله إلا الله أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا، وشيئا أنكر النكرات ، وأن لا يطيع بعضنا بعضا في معصية الله

ومنه قوله تعالى (ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء ، تؤتي أُكُلها كل حين باذن ربها) الآية ، فالكلمة الطيبة كلمة التوحيد ، أصلها تصديق بالجنان، وفرعها اقرار باللسان ، وأكلها عمل بالاركان، انتهى من تفسير الحنفي

وفي تفسير البغوي (كلمة طيبة) لا إله إلا الله. انتهى ثم ذكر نحو ما تقدم

***

ومنه الكفر بعبادة غير الله وتوحيده، قال العماد ابن كثير في تفسير قوله تعالى (فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله) الآية، اي من خلع الانداد والاوثان ومايدعو اليه الشيطان من عبادة كل مايعبد من دون الله، ووحد الله، فعبده وحده ، وشهد أن لا إله إلا هو (فقد استمسك بالعروة الوثقى) اي فقد ثبت على الصراط المستقيم قال مجاهد (فقد استمسك بالعروة الوثقى) يعني الايمان ، وقال سعيد بن جبير

والضحاك : يعني لاإله إلا الله . انتهى ملخصا

ومنه قوله تعالى (وإذ قال أبراهيم لأبيه وقومه انني براء مما تعبدون إلا الذي فطرني)الآية، أي بريء من عبادتكم الا الذي فطرني ،لأنهم كانوا يعبدون الله والأوثان،أو إني بريء من آلهة تعبدونها غير الذي فطرني ، انتهى ملخصاً من البيضاوي

***

ومنه قوله ﷺ «من قال لا إله إلا الله ، وكفر بما يعبد من دون الله، حرم ماله ودمه وحسابه على الله عز وجل »رواه البخاري

وقال الشيخ ابو علي امام اهل نجد في زمانه محمد بن عبدالوهاب في معنى لاإله إلا الله في (كتاب التوحيد) شيئاً عجيباً ، قال(باب تفسير التوحيد وشهادة أن لاإله إلا الله) الى أن قال :وشرح هذه الترجمة ما بعدها من الابواب فليراجع

***

ومنه قوله رحمه الله في نبذة تسمى(كشف الشبهات) اذا تحققت ان التوحيد الذي دعت اليه الرسل وأبى عن الاقرار به المشركون هو التوحيد في العبادة وهو معنى قولك لا إله إلا الله، فان الإله عندهم هو الذي يقصد لاجل هذه الامور سواء كان ملكاً او نبياً او وليا او شجرة او قبراً او جنياً، لم يريدوا ان الآله هو الخالق الرزاق ،فانهم يعلمون ان ذلك هو الله وحده ،وانما يعنون بالاله مايعني المشركون في زماننا بلفظ السيد، فأتاهم رسول الله ﷺ يدعوهم الى كلمة التوحيد « لاإله إلا الله » والمراد من هذه الكلمة معناها لامجرد لفظها ، والكفار الجهال يعملون ان مراد النبي ﷺ هو افراد الرب بالتعلق، والكفر بما يعبد من دونه، والبراءة منهم .فانه لما قال لهم « قولوا لاإله إلا الله قالوا (اجعل آلهة إلها واحدا) الآية» انتهى كلامه رحمه الله

(فرعان)

(الاول) في تعريف الآله، قال الامام البيضاوي في تفسيره : الله ، أصله إلآه، فحذفت الهمزة وعوض عنها الالف واللام: ولذلك قيل يأألله بالقطع، إلا أنه مختص بالمعبود بالحق ،والاله في الاصل يقع على كل معبود ثم غلب على المعبود بحق، واشتقاقه من أله إلآهة وألوهة وألوهية ، بمعنى عبد، وقيل من أله اذا تحير، اذ العقول تتحير في معرفته، او من ألهت الى فلان اي سكنت اليه، لأن القلوب تطمئن بذكره والارواح تسكن الى معرفته، أو من أله الفصيل اذا ولع بأمه، اذ العباد مولعون بالتضرع اليه في الشدائد ، وقيل إنه علم لذاته العلمية لانه يوصف ولا يوصف به، والاظهر انه وصف في اصله، لكنه لما غلب عليه بحيث لا يستعمل في غيره صار له كالعلم ، انتهى كلام البيضاوي ملخصا ، وذكر العماد ابن كثير القولين

(تنبيه)

انظر الى قول البيضاوي المتقدم ، والآله في الاصل يقع على كل معبود ثم غلب على المعبود بحق ، وقوله والاظهر انه وصف في اصله الى آخره ، وقول صاحب الفاكهة المتقدم، وهو من قصر الصفة على الموصوف، وقول أهل اللغة أله يأله من باب تعب إلاهة بمعنى عبد عبادة، وتأله تعبد، والاله المعبود، وهو الله سبحانه ثم استعاره المشركون لما عبدوا من دونه، وإلآه على فعال بمعنى مفعول، لأنه مألوه أي معبود، ككتاب بمعنى مكتوب، وامام بمعنى مؤتم به . انتهى من المصباح

وانظر أيضا إلى قول الشيخ محمد المتقدم وهو قوله: فان الاله عندهم هو الذي يقصد ــ الى آخره ، وقال تعالى (ومن يدع مع الله إلها آخر) الآية قال البيضاوي: يعبده افراداً واشراكا، انتهى فسمى المعبود الها

وعن ابي واقد الليثي قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ الى حنين ونحن

حدثاء عهد بكفر وللمشركين سدرة يعكفون عندها، وينوطون بها أسلحتهم، يقال لها ذات انواط ، فمررنا بسدرة ، فقلنا يارسول الله، اجعل لنا ذات انواط كما لهم ذات أنواط ، فقال رسول الله ﷺ « الله أكبر، انها السنن، قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو اسرائيل لموسى: اجعل لنا إلها كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون، لتركبن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة(١)» رواه الترمذي في صحيحه .

فتأمل هذا الحديث وقصة بني اسرائيل المشار اليها تجدها مصرحة بما ذكرنا

اذا ثبت هذا فالمقصود ان لفظة اله اسم صفة لكل من قصد بشيء من العبادة ، كاسم القاضي لمن ولي القضاء ، والامير لمن تأمر، والامام والمؤذن ونحو ذلك ، فكل من قصد مخلوقا بشيء من العبادة فهو إله لمن قصده ،والاله الاعظم المستحق للعبادة، المنزه عن النقائص ، الموصوف بصفات الكمال هو الله تبارك وتعالى

وهذا بخلاف اسم الجلالة ، فانه علم على الرب تبارك وتعالى مختص به وهو المعبود بالحق، فانه لم يسم به غيره قال الله تعالى (هل تعلم له سميا ؟)

الفرع الثانى

(فى تعريف العبادة)

قال العماد ابن كثير في تفسيره : العبادة في اللغة من الذلة ، يقال طريق معبد أي مذلل، وبعير معبد أي مذلل ، وفي الشرع : عبارة عما يجمع كمال المحبة والخضوع والخوف انتهى ،

وعبارة البيضاوي في تفسيره : العبادة أقصى غاية الخضوع والتذلل ،ومنه طريق معبد أي مذلل ، وثوب ذو عبدة اذا كان في غاية الصفاقة ، ولذلك

«١» القذة ريشة السهم ،أي كما تقدر كل واحدة منهما على قدر صاحبتها وتقطع يضرب مثلا للشيئين يستويان ولا يتفاوتان

لايستعمل إلا في الخضوع لله تعالى انتهى

وفي حاشية الشهاب على البيضاوي: العبادة أبلغ من العبودية التي هي اظهار التذلل، وعرفت العبادة بانها فعل اختياري مناف للشهوات البدنية يصدر عن نية يراد بها التقرب إلى الله تعالى. انتهى، والعبادة اسم جنس يشمل جميع أنواعها(١)

تنبيه

اعلم ان مبنى العبادة على الامر لتظاهر الادلة على ذلك، فمنها قوله تعالى (إن الحكم) في أمر الدين والعبادة (إلا لله) ثم بين ماحكم به فقال (أن لاتعبدوا إلا اياه، ذلك الدين القيم) الثابت الذي دلت عليه البراهين - الآية. وقوله تعالى (وقضى ربك) أمر أمراً مقطوعا به (أن لاتعبدوا إلا اياه) أن مفسرة، ولا تعبدوا أي بان لاتعبدوا، انتهى من تفسير الخنفي(٢)

وقال البغوي في تفسيره (وقضى ربك أن لاتعبدوا إلا اياه) أي أمر ربك قاله ابن عباس وقتادة والحسن. انتهى

وقد تقدم في حديث أبي واقد الليثي قول الصحابة: يارسول الله اجعل لنا

---

(١) هذا في العبادة الشرعية. وكل ماتقدم من معناها اللغوي فهو من التعريف بالرسم والخواص. وأما حقيقة معناها الفطري الذي يصدق عليها عند العرب وغيرهم أنها كل تعظيم وتقرب بقول أو فعل يبعث عليه الشعور بالسلطان الغيبي الذي هو مصدر النفع ودفع الضر بذاته لا بالاسباب، وأعظم هذه العبادة الدعاء بطلب منفعة أو دفع مضرة تعذر على الداعي بكسبه واتخاذ الاسباب له فلجأ اليه بشعوره بذلك السلطان الخاص برب العالمين القادر على كل شيء العالم بكل شيء الذي يجير ولا يجار عليه، والنصوص تدل على هذا ولا سيما الآيات والاحاديث في الدعاء

«٢» لعله النسفي

ذات أنواط ، فانه متقرر عندهم أن العبادات مبناها على الامر

وقد ذكر ذلك الشيخ محمد بن عبد الوهاب في مسائله على التوحيد ، ومنه قوله ﷺ « وما أمرتكم به فأتوا به ما استطعتم » الحديث ، متفق عليه . وقال ابن القيم رحمه الله في نونيته :

حق الاله عبادة بالامر لا بهوى النفوس فذاك للشيطان

اذا تمَّ هذا فالامر هو استدعاء الفعل بالقول، ممن هو دونه على سبيل الوجوب عند الاطلاق والتجرد عن القرينة. فيحمل عليه والله أعلم

فصل

في حكم كلمة التوحيد

وأما حكمها فقال في فاكهة القلوب والافواه : اعلم أن الناس مؤمن وكافر ، فأما المؤمن بالاصالة فيجب أن يذكرها مرة في عمره وينوي بها الوجوب (١) ثم ينبغي له أن يكثر من ذكرها وليعرف معناها لينتفع بها ، وأما الكافر فذكره

(١) قد قال كثير من العلماء مثل هذا في الصلاة على النبي ﷺ بناء على أن الامر في قوله تعالى (ياأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) للوجوب وان الامتثال يحصل بمرة واحدة . ومثل هذا التدقيق أو التقييد بالاصطلاحات لم يكن يخطر ببال الصحابة ولا غيرهم من علماء السلف أولي السليقة العربية ، ولا يعقل أحد منهم ولا عاقل من غيرهم أن يوجد مسلم في العالم لا يذكر كلمة التوحيد في عمره الا مرة واحدة أو مرتين أو مراراً قليلة ، دع وجوبها في الصلاة . ولنا أن نقول، على طريقتهم في الاستدلال ـ ان الله تعالى أمر المؤمنين أن يذكروه ذكراً كثيراً ووصفهم بكثرة الذكر قياما وقعوداً وعلى جنوبهم ، ووصف المنافقين بقلة الذكر . وأفضل الذكر لا إله إلا الله ، فهي مما أمرنا بالاكثار منها أو في مقدمته — فحكمها الاكثار منها لا النطق بها مرة واحدة في العمر

لهذه الكلمة واجب، وهو شرط في صحة إيمانه القلبي مع القدرة . انتهى ملخصا

وفي حديث ابي هريرة المتفق عليه عن النبي ﷺ انه قال «امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله، فاذا قالوها عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها» قال علماؤنا رحمهم الله : اذا قال الكافر لا اله إلا الله فقد شرع في العاصم لدمه، فيجب الكف عنه، فان تمم ذلك تحققت العصمة والا بطلت ويكون النبي ﷺ قد قال كل حديث في وقت، فقال «امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله» ليعلم المسلمون ان الكافر المحارب اذا قالها كف عنه وصار ماله ودمه معصومين ثم بين ﷺ في الحديث الآخر ان القتال ممدود الى الشهادتين والعبادتين، فقال «امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فاذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحق الاسلام وحسابهم على الله عز وجل» متفق عليه. فبين ان تمام العصمة انما يحصل بذلك (١) ولئلا تقع الشبهة بان مجرد الاقرار يعصم على الدوام

---

(١) التحقيق أن المراد بالحديثين واحد وهو الدخول في الاسلام ومفتاح الدخول فيه من المشركين النطق بكلمة التوحيد فهو يعصم صاحبه في المعركة إذ لا مجال فيها لصلاة ولا زكاة، وأما الكفار الموحدون فلا بد من نطق أحدهم برسالة محمد ﷺ كما سيأتي عن النووي . وذكر الصلاة والزكاة في الحديث الآخر يراد به قبول شرائع الاسلام وركنها الديني المحض الاعظم الصلاة وركنها المالي الزكاة فمن دان بهما دان بغيرهما، فان فرض أنه جحد الصيام أو الحج أو غيرهما مما علم من الدين بالضرورة حكم بكفره، وقد حققنا هذه المسألة في تفسير (فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم) فيراجع في الجزء العاشر من تفسير المنار وسيأتي ما يؤيد هذا

وقال النووي رحمه الله قوله صلى الله عليه وسلم «امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله إلا الله فمن قال لا اله إلا الله فقد عصم مني ماله ونفسه الا بحقه وحسابه على الله عز وجل» قال الخطابي: معلوم ان المراد بهذا اهل الاوثان دون اهل الكتاب، لانهم يقولون لا اله إلا الله، ثم يقاتلون، ولا يرفع عنهم السيف. وذكر القاضي عياض رحمه الله معنى هذا، وزاد عليه واوضح، فقال: اختصاص عصمة المال والنفس لمن قال لا اله الا الله تعبيرا عن الاجابة الى الايمان، وان المراد مشركو العرب واهل الاوثان ومن لا يوحد، وهم كانوا اول من دعي الى الاسلام وقوتل عليه. فاما غيرهم ممن يقر بالتوحيد فلا يكتفى في عصمته بقوله لا اله الا الله اذ كان يقولها في كفره وهي من اعتقاده، ولذلك جاء في الحديث الآخر «اني رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة» هذا كلام القاضي (قلت) ولا بد من الايمان بما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم كما جاء في الرواية الاخرى لابي هريرة رضي الله عنه «حتى يشهدوا ان لا اله الا الله ويؤمنوا بي وبما جئت به. انتهى كلام النووي، انتهى من رسالة الشيخ احمد بن ناصر الحنبلي المسماة (الفواكه العذاب، في الرد على من لم يحكم السنة والكتاب)

وقال الحافظ ابن رجب في شرح الاربعين: ومن المعلوم بالضرورة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقبل من كل من جاء يريد الدخول في الاسلام الشهادتين ويعصم دمه بذلك ويجعله مسلما وقد انكر على اسامة بن زيد قتله من قال لا اله الا الله واشتد نكيره عليه

وقال شهاب الدين احمد بن حجر على شرح الاربعين النووية نحو ذلك

والمقصود ان حكم من قال لا اله الا الله انها تعصم ماله ودمه ثم يطالب بمعناها وحقها كالكفر بعبادة غير الله وشهادة رسالة محمد صلى الله عليه وسلم واقام الصلاة وايتاء الزكاة وسائر شرائع الاسلام وقد تظاهرت الادلة على ذلك

فصل

واما حقها[١] فقال الحافظ ابن رجب في شرح الاربعين: على حديث ابن عمر «امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا» الخ وتقدم. فقوله ﷺ «الا بحقها» وفي رواية «الا بحق الاسلام» قد سبق ان ابا بكر الصديق رضي الله عنه ادخل في هذا الحق فعل الصلاة والزكاة وان من العلماء من ادخل فيه فعل الصيام والحج ايضا. ومن حقها ارتكاب مايبيح دم المسلم من المحرمات، وقدروى تفسير حقها بذلك. خرج الطبراني وابن جرير الطبري من حديث انس عن النبي ﷺ قال« أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لاإلاله الا الله فاذاقالوها عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها وحسابهم على الله عز وجل » قيل وما حقها ؟ قال « زنا بعد احصان ، وكفر بعد ايمان ، وقتل نفس فيقتل بها » ويشهد لهذا مافي الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « لايحل دم امرىء مسلم يشهد أن لاإله الا الله وان محمداً رسول الله الا باحدى ثلاث : الثيب الزاني ، والنفس بالنفس ، والتارك لدينه المفارق للجماعة» انتهى

وقد ذكر ابن رجب في شرح هذا الحديث انه قد ورد قتل المسلم بغير هذه الثلاث ، فمنها اللواط ، ومنها من أتى ذات محرم، ومنها الساحر، وذكر غير ذلك .

«١» قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله في نبذة له في الحب والبغض في الله واعلم ان قول رسول الله ﷺ «امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله واني رسول الله فاذاقالوها عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها» (يدل) تحقيقا على ان الصلاة من حقها والزكاة من حقها والصوم من حقها والحج من حقها. فهذا تحقيق قوله ﷺ «الا بحقها» يعني اذا اقروا بالشهادتين واقاموا الصلاة واتوا الزكاة وصاموا رمضان وحجوا البيت «فقد عصموا مني دماءهم واموالهم» انتهى والله اعلم

واما لازمها فالظاهر لي والله اعلم انه داخل في حكمها وحمها المتقدمين فتأملهما (١)

فصل

وأما نواقضها فقال في المطلع على ابواب المقنع : النواقض واحدها ناقض ، وهو اسم فاعل من نقض الشيء اذا افسده ، فنواقض الوضوء مفسداته انتهى ومنه انقض الامر بعد استقامته فسد

فنسأل الله الرحمن الرحيم ، اللطيف الكريم، ان يحفظ علينا ديننا ، وان يمتعنا به ويزيد ايماننا ، وأن يدخلنا جنته برحمته ، وان يعيذنا من اليم نقمته ، انه جواد كريم ، ويجيب دعوة العباد،

فأما نواقض لاإله إلاالله فعسير إحصاؤها، ولا يكاد يطاق استقصاؤها، وقد تقدم في معنى لاإله إلاالله وفي حكمها جمل من نواقضها فتأمله فنحيلك على باب المرتد

قال في الاقناع وشرحه: وهو العمدة عند متأخرى الحنابلة (باب حكم المرتد) وهو الذي يكفر بعد اسلامه نطقا أو اعتقادا أو شكا أو فعلا، ولو كان هازلا،

---

(١) اللزوم الثبوت والدوام، وفسره بعضهم بعدم الانفكاك، فلازم الشيء ما يصحبه ولا ينفك عنه في الواقع ، فلازم كلمة التوحيد ماهو أثر فطري طبعي لاعتقاد مضمونها ، وهو غير حقها وحكمها اللذان هما من وضع الشرع ، لا من تأثير الطبع. فالمؤمن الموقن بانه لا إله يعبد بحق إلا الله الخالق الذي بيده ملكوت كل شيء من نفع وضر وعطاء ومنع يلزم يقينه هذا إخلاص الدعاء له وحده في كل شدة تعرض له ، هـذا ألصق لوازم الكلمة بصاحبها مهما يكن مسرفا على نفسه ، فاذا كمل يقينه بكثرة الذكر والعبادة كان من لوازم توحيده كمال التوكل والشجاعة في الحق – إلى غير ذلك ، فأظهر لوازم كلمة التوحيد ألا يدعو صاحبها غير الله فيما هو وراء الاسباب ولا يستغيث غيره في الشدائد ولا ينذر ولا يذبح لغيره نسكاه فويل للمشركين الذين يبيحون كل انفكاك هذه اللوازم عن كلمة التوحيد بدعاء غير الله الخ ويسمونه توسلا إلى الله لا شركا به

واجمعوا على وجوب قتل المرتد ، فمن أشرك بالله أو جحد ربوبيته أو صفة من صفاته أو اتخذ له -أي لله- صاحبة أو ولدا، كفر، ومن ادعى النبوة أوصدق من ادعاها أوجحد البعث، أو سب الله ورسوله، أو استهزأ بالله أو كتبه أو رسله- كفر لقوله تعالى (قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن؟لاتعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم).

وقال الشيخ ابو العباس احمد بن تيمية: أو كان مبغضا لرسوله أو لما جاء به الرسول اتفاقا، وقال أيضا: اوجعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم ويسألهم اجماعا ، اي كفر لان ذلك كفعل عابدي الاصنام قائلين (مانعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى) انتهى من الاقناع وشرحه

فتأمل قوله : وهو الذي يكفر بعد اسلامه ، فان ظفرت بهذا الباب، ففيه ما يكشف الحجاب .

ونحيلك أيضا على كتاب (الاعلام، بقواطع الاسلام)تأليف شهاب الدين أحمد بن حجر الهيتمي الشافعي ، فانه ذكر فيه الالفاظ والافعال التي توقع في الكفر عند الائمة ، حتى انه ذكر أن العزم على الكفر كفر في الحال .

ونحيلك أيضا على نبذة ألفها الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، وذكر في آخرها سبع قصص

(أولاهن) قصة الردة بعد وفاته ﷺ

وصورتها أن العرب افترقت في ردتها فطائفة رجعت الى عبادة الاصنام وقالوا : لوكان نبيا ما مات . وطائفة قالت نؤمن بالله ولا نصلي . وطائفة أقرت بالاسلام وصلوا ولكن منعوا الزكاة ، وطائفة شهدوا أن لا إله الا الله وأن محمداً رسول الله ، ولكن صدقوا مسيلمة الكذاب: ان النبي ﷺ أشركه معه في النبوة ، ولم يشك أحد من الصحابة في كفر من ذكرنا إلا مانعي الزكاة ، فناظر أبو بكر عمر فيهم ، فاقتنع عمر ، وأجمع العلماء على تصويب أبي بكر فقاتلوهم

(الثانية) قصة وقعت في زمن الخلفاء الراشدين وهي ان بقايا بني حنيفة لما رجعوا الى الاسلام وتبرؤا من مسيلمة تحملوا الى الثغر بأهليهم ، فنزلوا الكوفة فسمع منهم كلام معناه: ان مسيلمة على حق، وهم جماعة ، فجمع عبد الله بن مسعود من عنده من الصحابة فاستشارهم ، فاستتاب بعضهم وقتل بعضهم . وهذه القصة في صحيح البخاري

(الثالثة) قصة أصحاب علي بن أبي طالب رضي الله عنه لما اعتقدوا فيه الالهية فدعاهم الى التوبة فأبوا فخدّ لهم الاخاديد فأضرم فيها النار فقذفهم فيها وهم احياء ، وأجمع الصحابة وأهل العلم على كفرهم

(القصة الرابعة) قصة المختار بن أبي عبيد الثقفي وهو رجل ظهر في العراق زمن التابعين يطلب بدم الحسين وأهل بيته فقتل عبيد الله بن زياد قاتل الحسين ، واستولى على العراق وأظهر شرائع الاسلام ونصب القضاة والأئمة من اصحاب ابن مسعود ، وكان هو الذي يصلي بالناس الجمعة والجماعة ، لكن في آخر امره ادعى أمورا باطلة وغلا غلوا فاحشا وزعم انه يوحى اليه ، فسير اليه عبد الله بن الزبير جيشا فهزم جيشه فقتلوه . وأجمع العلماء على كفر المختار بن أبي عبيد هذا .

(الخامسة) ماوقع في زمن التابعين وهي قصة الجعد بن درهم وكان من اشهر الناس بالعلم والعبادة، فلما جحد صفات الله ضحى به خالد بن عبد الله القسري بواسط يوم الاضحى وقال: يا أيها الناس ضحوا تقبل الله ضحاياكم ، فاني مضح بالجعد بن درهم، فانه يزعم ان الله لم يتخذ ابراهيم خليلا ولم يكلم موسى تكليما ثم نزل فذبحه ، ولم نعلم احداً من العلماء انكر عليه ذلك ، بل ذكر ابن القيم في النونية اجماعهم على استحسانه فقال:

شكر الضحية كل صاحب سنة ... لله درك من اخي قربان

ثم ذكر قصة بني عبيد الله القداح ، ثم ذكر قصة التتار اهـ ملخصاً من كلام الشيخ المتقدم ذكره

وذكر القاضي عياض في كتاب الشفاء أن رجلا لما أتى مطر يسير قال: ابتدأ الخراز يرش سيوره ، وهو قريب للملك فلم يأمر القاضي بقتله مداراة للملك فغضب المسلمون عليه ورفعوا أمره الى السلطان فأمر السلطان بقتل قريبه ، وأمر بعزل القاضي الذي تركه مداراة انتهى . فكل هؤلاء الذين ذكرنا لما نقضوا لا إله إلا الله جرى عليهم ماذكرنا والله أعلم

فصل

﴿ في بيان فضلها ﴾

فاعلم انه لو لم يكن في بيان فضلها الا كونها علما على الايمان في الشرع تعصم الدماء والاموال الا بحقها ، وكون إيمان الكافر موقوفا على النطق بها لكان كافيا للعقلاء ، كيف وقد ورد في فضلها أحاديث كثيرة ؟

فمنها قوله ﷺ « افضل ما قلت انا والنبيون من قبلي لا اله الا الله وحده لاشريك له » رواه مالك في الوطأ ، زاد الترمذي في روايته «له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير »

وروى النسائي انه ﷺ قال « افضل الذكر لا اله الا الله ، وأفضل الدعاء الحمد لله »

وروى الترمذي ان النبي ﷺ قال «التسبيح نصف الايمان والحمد لله تملأ الميزان ، ولا اله الا الله ليس لها دون الله حجاب حتى تخلص اليه»

وقال ﷺ «ماقال احد لا اله الا الله مخلصا من قلبه الا فتحت له ابواب السماء حتى تفضي الى العرش ما اجتنبت الكبائر »

وقال ﷺ «اتاني آت من ربي فأخبرني انه من مات يشهد أن لا إله الا الله وحده لاشريك فله الجنة» فقال له ابو ذر: وإن زنى أوسرق؟ قال«وان زنى اوسرق» كررها

ثلاثا كل ذلك يقول «وان زنى وان سرق» وقال في الثالثة« رغم أنف أبي ذر»

وقال ﷺ « من دخل القبر بلا إله الا الله خلصه الله من النار »

وقال ﷺ « اسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا اله إلا الله خالصا من قلبه»

وقال ﷺ « من مات وهو يعلم ان لا اله الا الله دخل الجنة »

وعنه ﷺ «لا اله الا الله مفتاح الجنة »

وعنه ﷺ انه قال « من لقن عند الموت لا اله الا الله دخل الجنة »

وفي الاحياء عنه ﷺ « لو جاء قائل لا اله الا الله صادقا بقراب الارض ذنوبا غفر له »

وقال « لتدخلن الجنة كلكم الا من أبى وشرد عن الله شرود البعير عن اهله» فقيل يا رسول الله من يأبى ؟ قال «من لم يقل لا اله إلا الله»

فأكثروا من قول لا اله الا الله من قبل ان يحال بينكم وبينها فانها كلمة التوحيد وهي كلمة الاخلاص وهي كلمة التقوى ، وهي الكلمة الطيبة، وهي دعوة الحق، وهي العروة الوثقى، وهي ثمن الجنة

وفي الاحياء ايضاً قال تعالى (هل جزاء الاحسان الا الاحسان) فقيل الاحسان في الدنيا لا اله الا الله ، وفي الآخرة الجنة اه ملخصا من فاكهة القلوب والافواه

*
* *

أما فائدة لا إله إلا الله فقال أهل اللغة : الفائدة ما استفدته من علم أو مال ، وما أفادت له فائدة أي حصلت : وأفدت المال استفدته .

وقال في فاكهة القلوب والافواه :

فصل

(في الفوائد التي تحصل لذاكر هذه الكلمة المشرفة وهي كثيرة)

فمنها الزهد ، ونعني به خلو الباطن من الميل الى فان ، وفراغ القلب من الثقة إلى زائل ، وإن كانت اليد معمورة بمتاع حلال فعلى سبيل العارية

ومنها التوكل ، وهو ثقة القلب بالوكيل الحق بحيث يسكن عن الاضطراب عند تعذر الاسباب ثقة بمسبب الاسباب ، ولا يقدح في توكله تلبس ظاهره بالاسباب إذا كان قلبه فارغا منها

ومنها الحياء بتعظيم الله عز وجل بدوام ذكره والتزام امتثال أمره ونهيه ، والامساك عن الشكوى إلى العجزة

ومنها الغناء ، وهو غناء القلب بسلامته من فتن الاسباب ، فلا يعترض على الاحكام بلو ولعل ، لعلمه بمن صدرت عنه عزوجل

ومنها الفتوة ، وهي التجافي عن مطالبة الخلق بالاحسان اليه ولو أحسن اليهم لعلمه بان احسانه واساءتهم اليه ـ كل ذلك مخلوق لله تعالى (والله خلقكم وما تعملون)

ومنها الشكر ، وهو إفراد القلب بالثناء على الله تعالى ورؤية النعم في طي النقم

ومنها وضع البركة في الطعام ونحوه ، حتى يكثر القليل ويكفي اليسير . وهذا مشاهد لاولياء الله تعالى . انتهى ملخصا

(قلت) ومنها انها تعصم الدم والمال لمن قالها إلا بحقها كما تقدم

ومنها ان من مات عليها دخل الجنة ، لحديث معاذ مرفوعا « من كان آخر كلامه لاإله إلا الله دخل الجنة » رواه احمد والحاكم وقال صحيح الاسناد وغيره من الاحاديث الدالة على ذلك ، وقد تقدم بعضها والله أعلم

***

ثم بعد نقل هذه الرسالة من الكتب المذكورة مع مافتح الله به سنح لي أن

ذكر كلاما ذكره الامام الحافظ زين الدين عبدالرحمن بن رجب المتقدم ذكره على كلمة الاخلاص يليق ذكره هنا. فانه ذكر شيئا من تحقيق لاإله إلا الله، وتحقيق أن محمداً رسول الله، وما تقتضي لاإله إلا الله. وشيئاً من أنواع العبادة . وشيئا من الشرك ، وشيئاً من فضل لا إله إلا الله

قال رحمه الله في أثناء كلامه

فتحققه بقول لاإله إلا الله أن لايؤله القلب غير الله : حبا ورجاء وخوفا وتوكلا واستعانة وخضوعا وانابة وطلبا

وتحققه بأن محمداً رسول الله ، أن لايعبد الله بغير ماشرعه على لسان محمد ﷺ وقد جاء هذا المعنى مرفوعا إلى النبي ﷺ صريحا انه قال « من قال لاإله إلا الله مخلصا دخل الجنة ـ قيل مااخلاصها يارسول الله ؟ ـ قال أن تحجزك عما حرم الله عليك » وهذا يروى من حديث أنس بن مالك وزيد بن أرقم ولكن اسنادهما لايصح . وجاء أيضا من مراسيل الحسن نحوه

وتحقيق هذا المعنى وإيضاحه أن قول العبد لاإله إلا الله يقتضي أن لاإله غير الله ، والاله هو الذي يطاع فلا يعصى هيبة له واجلالا ومحبة وخوفا ورجاء وتوكلا عليه وسؤالا منه ، ودعاء له ، ولا يصح ذلك كله إلا لله عز وجل ، فمن أشرك مخلوقا في شيء من هـذه الامور التي من خصائص الالهية كان ذلك قدحا في اخلاصه في قول لاإله إلا الله ، ونقصاً في توحيده ، وكان فيه من عبودية المخلوق بحسب مافيه من ذلك ، وهذا كله من فروع الشرك ، ولهذا ورد إطلاق الكفر والشرك على كثير من المعاصي التي منشؤها من طاعة غير الله أو خوفه أو رجائه أو التوكل عليه أو العمل لاجله كما ورد اطلاق الشرك على الرياء ، وعلى الحلف بغير الله، وعلى التوكل على غير الله والاعتماد عليه ، وعلى من سوى بين الله وبين المخلوق في المشيئة مثل أن يقول: ماشاء الله وشاء فلان ، وكذا قوله : مالي إلا الله وأنت ،

وكذلك مايقدح في التوحيد وتفرد الله بالنفع والضر كالطيرة والرقى المكروهة، وإتيان الكهان وتصديقهم بما يقولون ،

وكذلك اتباع هوى النفس فيما نهى الله عنه قادح في تمام التوحيد وكماله ،

ولهذا أطلق الشرع على كثير من الذنوب التي منشؤها من اتباع هوى النفس انها كفر وشرك كقتال المسلم، ومن أتى حائضاً أو امرأة في دبرها ، ومن شرب الخمر في المرة الرابعة. وان كان ذلك لايخرج من الملة بالكلية ، ولهذا قال السلف « كفر دون كفر وشرك دون شرك»

وقد ورد اطلاق الاله على الهوى المتبع قال الله تعالى (أفرأيت من اتخذ إلهه هواه) قال الحسن: هو الذي لايهوى شيئا إلا ركبه . وقال قتادة: هو الذي كلما هوى شيئا ركبه ، وكلما اشتهى شيئا أتاه ، لايحجزه عن ذلك ورع ولا تقوى

وروي من حديث أبي امامة مرفوعا باسناد ضعيف « ماتحت السماء إله يعبد أعظم عند الله من هوى متبع » وفي حديث آخر « لاتزال لاإله إلا الله تدفع عن اصحابها حتى يؤثروا دنياهم على دينهم ، فاذا فعلوا ذلك ردت عليهم ، وقيل لهم كذبتم » ويشهد لذلك الحديث الصحيح عن النبي ﷺ « تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس عبد القطيفة، تعس عبد الخميصة، تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش(١)» فدل هذا على أن كل من أحب شيئاً وأطاعه وكان غاية قصده ومطلوبه ووالى لاجله ، وعادى لاجله فهو عبده ، وذلك الشيء معبوده وإلهه

ويدل عليه أيضاً ان الله تعالى سمى طاعة الشيطان في معصيته عبادة للشيطان، كما قال تعالى (ألم أعهد اليكم يابني آدم أن لاتعبدوا الشيطان ؟) وقال تعالى حاكياً

---

(١) انتكس: انقلب على رأسه، وهو دعاء عليه بالخيبة . واذا شيك فلا انتقش: اذا دخلت فيه شوكة لاأخرجها من موضعها بالمنقاش

عن خليله ابراهيم عليه السلام لأبيه (يا أبت لاتعبد الشيطان ان الشيطان كان الرحمن عصياً)

فمن لم يحقق عبودية الرحمن وطاعته فانه يعبد الشيطان بطاعته له ولم يخلص من عبادة الشيطان ، إلا من أخلص عبودية الرحمن ، وهم الذين قال فيهم (ان عبادي ليس لك عليهم سلطان) فهم الذين حققوا قول لاإله الا الله وأخلصوا في قولها ، وصدقوا قولهم بفعلهم ، فلم يلتفتوا إلى غير الله ، محبة ورجاء وخشية وطاعة وتوكلا ، وهم الذين صدقوا في قول لااله الا الله وهم عباد الله حقا

فأما من قال لا اله الا الله بلسانه ، ثم أطاع الشيطان وهواه في معصية الله ومخالفتـه فقد كذب فعله قوله ، ونقص من كمال توحيده بقدر معصية الله في طاعة الشيطان والهوى (ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ؟) (ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله)

فياهذا كن عبداً لله لاعبداً للهوى ، فان الهوى يهوي بصاحبه في النار (أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار) «تعس عبد الدرهم تعس عبد الدينار»

والله ماينجو غداً من عذاب الله إلا من حقق عبودية الله وحده ولم يلتفت معه الى شيء من الاغيار ،

من علم أن إلهه ومعبوده فرد فليفرده بالعبودية. ولايشرك بعبادة ربه أحداً

كان بعض العارفين يتكلم على أصحابه على رأس جبل فقال في كلامه : لاينال احد مراده حتى ينفرد فرداً بفرد . فانزعج واضطرب حتى رأى أصحابه ان الصخور قد تدكدكت وبقي على ذلك ساعات ، فلما أفاق فكأنه نشر من قبره

قول لااله إلاالله ، يقتضي أن لايحب سواه ، فان الاله هو الذي يطاع محبة وخوفا ورجاء ، ومن تمام محبته محبة ما يحبه ، وكراهة مايكرهه ، فمن أحب شيئاً مما يكرهه الله أو كره شيئا مما يحبه الله لم يكمل توحيده وصدقه في قول لا اله

الا الله، وكان فيه من الشرك الخفي بحسب ما كرهه مما يحبه الله، وما أحبه مما يكرهه الله، قال تعالى (ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم)

قال ليث بن سعد عن مجاهد في قوله تعالى (لا يشركون بي شيئا) قال لا يحبون غيري. وفي صحيح الحاكم عن عائشة عن النبي ﷺ قال «الشرك في هذه الامة أخفى من دبيب الذرة على الصفا (١) في الليلة الظلماء. وأدناه أن يحب على شيء من الجور أو يبغض على شيء من العدل»

وهل الدين الا الحب والبغض قال الله عز وجل (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله)

وهذا نص في أن محبة مايكرهه الله وبغض مايحبه متابعة للهوى، والموالاة على ذلك والمعاداة عليه من الشرك الخفي . وقال الحسن : اعلم انك لن تحب الله حتى تحب طاعته،

وسئل ذو النون متى أحب ربي ؟ قال إذا كان مايبغضه عندك أمرّ من الصبر وقال بشر بن السري : ليس من أعلام الحب أن تحب مايبغضه حبيبك . وقال أبو يعقوب النهرجوري : كل من ادعى محبة الله ولم يوافق الله في أمره فدعواه باطلة . وقال رويم، المحبة الموافقة في جميع الاحوال وأنشد:

ولو قلت لي مت مت سمعاً وطاعة وقلت لداعي الموت أهلا ومرحبا

ويشهد لهذا المعنى قوله تعالى (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) قال الحسن قال أصحاب رسول الله ﷺ :إنا نحب ربنا حبا شديداً فأحب الله أن يجعل لحبه علما فأنزل الله هذه الآية

ومن هنا يعلم انه لاتتم شهادة ان لا اله الا الله الا بشهادة أن محمداً رسول الله فاذا علم أنه لا يتم محبة الله الا بمحبة مايحبه وكراهة مايكرهه، فلا طريق الى معرفة مايحبه وما يكرهه الا من طريق الرسول، فصارت محبة الله مستلزمة لمحبة رسوله

(١) الذرة النملة الصغيرة: والصفا الحجر الاملس

وتصديقه ومتابعته . ولهذا قرن الله بين محبته ومحبة رسوله في قوله (قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم -- الى قوله — أحب اليكم من الله ورسوله) كما قرن طاعته بطاعة رسوله في مواضع كثيرة

وقال ﷺ « ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الايمان :أن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لايحبه الا لله، وأن يكره أن يرجع الى الكفر بعد ما انقذه الله منه كما يكره ان يلقى في النار »

هذه حال السحرة لما سكنت المحبة قلوبهم سمحوا ببذل نفوسهم وقالوا لفرعون (اقض ما أنت قاض)

ومتى تمكنت المحبة في القلب، لم تنبعث الجوارح الا الى طاعة الرب ، وهذا هو معنى الحديث الالهي الذي خرجه البخاري في صحيحه ، وفيه « ولا يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى أحبه ، فاذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها» وقد قيل في بعض الروايات «فبي يسمع، وبي يبصر، وبي يمشي»

والمعنى أن محبة الله إذا استغرق بها القلب، واستولت عليه لم تنبعث الجوارح إلا إلى رضاء الرب، وصارت النفس حينئذ مطمئنة بارادة مولاها عن مرادها وهواها، ياهذا ، اعبد الله لمراده منك لا لمرادك منه، فمن عبده لمراده منه فهو ممن يعبد الله على حرف (فان أصابه خير اطمأن به، وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة) ومتى قويت المعرفة والمحبة لم يرد صاحبها إلا مايريد مولاه ،

وفي بعض الكتب السابقة: من أحب الله لم يكن شيء عنده آثر من رضاه ، ومن أحب الدنيا لم يكن شيء عنده آثر من هوى نفسه

وروى ابن أبي الدنيا باسناده عن الحسن قال: مانظرت ببصري ولا نطقت بلساني ولا بطشت بيدي ولا نهضت على قدمي حتى أنظر على طاعة أو على

معصية ، فان كانت على طاعة تقدمت ،وان كانت على معصية تأخرت . هذا حال خواص المحبين الصادقين

فافهموا رحمكم الله هذا فانه من دقائق أسرار التوحيد الغامضة . وإلى هذا المقام أشار ﷺ في خطبته لما قدم المدينة حيث قال «أحبوا الله من كل قلوبكم » وقد ذكرها ابن اسحاق وغيره. فانه من امتلأ قلبه من محبة الله لم يكن فيه فراغ لشيء من إرادة النفس والهوى ،وإلى ذلك أشار القائل بقوله :

أروح وقد ختمت على فؤادي ... بحبك أن يحل به سواكا
فلو أني استطعت غضضت طرفي ... فلم أنظر به حتى أراكا
أحبك لا ببعضي ، بل بكلي ... وإن لم يبق حبك لي حراكا
وفي الاحباب مخصوص بوجد ... وآخر يدعي معه اشتراكا
إذا اشتبكت دموع في خدود ... تبين من بكى ممن تباكى

ومتى بقي للمحب حظ من نفسه فما بيده من المحبة الا الدعوى ، انما المحب من يفنى عن كل هوى ويبقى بحبيبه «فبي يسمع وبي يبصر » ،القلب بيت الرب ، وفي بعض الاسرائيليات: ماوسعني سمائي ولا أرضي وانما وسعني قلب عبدي المؤمن

فمتى كان القلب فيه غير الله فالله أغنى الاغنياء عن الشرك ،وهو لا يرضى بمزاحمة أصنام الهوى .الحق غيور يغار على عبده المؤمن أن يسكن في قلبه سواه ، أو أن يكون فيه شيء لا يرضاه

أردناكم صرفا فلما مزجتم ... بعدتم بمقدار التفاتكم عنا
وقلنا لكم لا تسكنوا القلب غيرنا ... فأسكنتم الاغيار، ماأنتم منا

لا ينجو غداً إلا من لقي الله بقلب سليم ليس فيه سواه .قال الله تعالى (يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم) السليم هو الطاهر من أدناس

المخالفات ، فأما المتلطخ بشيء من المكروهات فلا يصلح لمجاورة حضرة القدس إلا بعد ان يصهر في كير العذاب،فاذا زال عنه الخبث صلح حينئذ للمجاورة « إن الله طيب لايقبل الا طيبا » فأما القلوب الطيبة فتصلح للمجاورة من أول الامر (سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين * الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة)

من لم يحرق قلبه اليوم بنار الاسف على ماأسلف أو بنار الشوق إلى لقاء الحبيب فنار جهنم له أشد حراً ، مايحتاج للتطهير بنار جهنم إلا من لم يكمل تحقيق التوحيد والقيام بحقوقه

أول من تسعر بهم النار من الموحدين العباد المراءون باعمالهم، وأولهم العالم والمجاهد والمتصدق للرياء، لان يسير الرياء شرك .

مانظر المرائي إلى الخلق بعمله إلا لجهله بعظمة الخالق

المرائي يزوّر التوقيع على اسم الملك ليأخذ البراطيل لنفسه ويوهم انه من خاصة الملك وهو مايعرف الملك بالكلية

نقش المرائي على الدرهم الزائف اسم الملك ليروج،والبهرج لايجوز إلا على غير الناقد

وبعد أهل الرياء يدخل النار أصحاب الشهوات وعبيد الهوى ، الذين أطاعوا هواهم ، وعصوا مولاهم .وأما عبيدالله حقاً فيقال لهم (ياأيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي)

جهنم تنطفي بنور إيمان الموحدين . في الحديث «تقول النار المؤمن جز يامؤمن فقد أطفأ نورك لهبي»

وفي المسند عن جابر عن النبي ﷺ « لايبقى بر ولا فاجر الا دخلها فتكون على المؤمن برداً وسلاما كما كانت على ابراهيم، حتى ان للنار ضجيجاً من بردهم» هذا ميراث ورثه المحبون من حال الخليل عليه السلام

نار المحبة في قلوب المحبين تخاف منها نار جهنم . قال الجنيد : قالت النار يارب لو لم أطعك هل كنت تعذبني بشيء ؟ قال نعم كنت أسلط عليك ناري الكبرى . قالت : وهل نار أعظم مني وأشد ؟ قال نعم : نار محبتي أسكنتها قلوب أوليائي المؤمنين(١) . في الحديث « من أصبح وهمه غير الله فليس من الله » قال بعضهم من أخبرك ان وليه له هم في غيره فلا تصدقه

وكان داود الطائي يقول : همك عطل على الهموم، وحالف بيني وبين السهاد وشوقي إلى النظر اليك أوثق مني اللذات ، وحال بيني وبين الشهوات ، فانا في سجنك أيها الكريم مطلوب ،

مالي شغل سواه مالي شغل ما يصرف عن هواه قلبي عذل
ما أصنع ان جفى وخاب الامل مني بدل ومنه مالي بدل

إخواني إذا فهمتم هذا المعنى فهمتم معنى قوله ﷺ « من شهد أن لا إله إلا الله صادقا من قلبه حرمه الله على النار » فاما من دخل النار من أهل هذه الكلمة فلقلة صدقه في قولها ، فان هذه الكلمة إذا صدقت طهرت القلب من كل ماسوى الله ، ومتى بقي في القلب أثر سوى الله فمن قلة الصدق في قولها

من صدق في قول لا إله إلا الله لم يحب سواه ، لم يرج سواه ، لم يخش أحداً إلا الله ، لم يتوكل إلا على الله ، لم يبق له بقية من أثر نفسه وهواه

ومع هذا فلا تظنوا أن المحب مطالب بالعصمة، وإنما هو مطالب كلما زل أن يتلافى تلك الوصمة ، قال زيد بن اسلم: ان الله ليحب العبد حتى يبلغ من حبه أن يقول: اذهب فاعمل ماشئت فقد غفرت لك(٢) وقال الشعبي: اذا أحب الله عبدا لم يضره ذنب

---

(١) ان صح هذا عن الجنيد فمراده منه ان نار الحب أشد حرا من جهنم بطريقة التمثيل لا الرواية وهو أشبه بكلام جهلة الصوفية منه بكلام الامام الجنيد (رح)
(٢) أخذ هذا من حديث أهل بدر الصحيح

وتفسير هذا الكلام ان الله عز وجل له عناية بمن يحبه من عباده فكلما زلق ذلك العبد في هوة الهوى أخذ بيده الى النجاة وييسر له اسباب التوبة ، ينبهه على قبح الزلة، فيفزع الى الاعتذار ، ويبتليه بمصائب مكفرة لما جنى

في بعض الآثار يقول الله عز وجل « أهل ذكري أهل مجالستي ، وأهل طاعتي أهل كرامتي، وأهل معصيتي لا أؤيسهم من رحمتي ،ان تابوا فأنا حبيبهم، وإن لم يتوبوا فانا طبيبهم ،أبتليهم بالمصائب، لأطهرهم من المعايب » وفي صحيح مسلم عن جابر عن النبي ﷺ قال « الحمى تذهب الخطايا كما يذهب الكير الخبث »

وفي المسند وصحيح ابن حبان عن عبد الله بن مغفل ان رجلا لقي امرأة كانت بغياً في الجاهلية فجعل يلاعبها حتى بسط يده اليها، فقالت : مه، فان الله قد أذهب الشرك وجاء بالاسلام، فتركها وولى، فجعل يلتفت خلفه وينظر اليها ، حتي اصاب وجهه(١) فاخبره بالأمر فقال ﷺ «انت عبد اراد الله بك خيرا» ثم قال « ان الله اذا اراد بعبده شراً امسك عنه بذنبه حتي يوافي يوم القيامة »

يا قوم قلوبكم على أصل الطهارة وإنما اصابها رشاش من نجاسة الذنوب فرشوا عليها من دموع العيون فقد طهرت ، اعزموا على فطام النفوس عن رضاع الهوى فالحمية رأس الدواء ، متى طالبتكم بمألوفاتها فقولوا كما قالت تلك المرأة لذلك الرجل الذي دمي وجهه قد أذهب الله الشرك وجاء بالاسلام، والاسلام يقتضي الاستسلام والانقياد للطاعة ، ذكروها مدحة (ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا) لعلها تحن الى الاستقامة ، وعرفوها اطلاع من هو أقرب اليها من حبل الوريد ، لعلها تستحي من قربه ونظره (ألم يعلم بأن الله يرى * ان ربك لبالمرصاد)

راود رجل امرأة في فلاة ليلا فأبت، فقال لها مايرانا إلا الكواكب. فقالت فأين مكوكبها ؟

(١) بياض في الأصل . والمفهوم من السياق انه أصاب وجهه جدار أو نحوه فدمي . ثم ذهب الى النبي ﷺ)

أكره رجل امرأة على نفسها وأمرها بغلق الابواب، فغلقت ، فقال لها هل بقي باب لم تغلقيه ؟ قالت نعم، الباب الذي بيننا وبين الله تعالى . فلم يتعرض لها

رأى بعض العارفين رجلا يكلم امرأة فقال: ان الله يراكما، سترنا الله وإياكما

سئل الجنيد عما يستعان به على غض البصر ؟ قال بعلمك ان نظر الله اليك أسبق من نظرك الى ماتنظره .وقال المحاسبي المراقبة علم القلب بقرب الرب ، كلما قويت المعرفة بالله قوى الحياء من قربه ونظره .

وصى النبي ﷺ رجلا « ان يستحي من الله كما يستحي من رجل من صالح عشيرته لا يفارقه » قال بعضهم استحي من الله على قدر قربه منك ، وخف من الله على قدر قدرته عليك

كان بعضهم يقول : لي منذ اربعين سنة ماخطوت خطوة لغير الله ولا نظرت الى شيء استحسنه حياء من الله عز وجل

كأن رقيبا منك يرعى خواطري وآخر يرعى ناظري ولساني
فما أبصرت عيناي بعدك منظرا لغيرك إلا قلت قد رمقاني
ولا بدرت من فيَّ بعدك لفظة لغيرك إلا قلت قد سمعاني
ولا خطرت من ذكر غيرك خطرة على القلب إلا عرجت بعناني

فصل

وكلمة التوحيد لها فضائل عظيمة لا يمكن هاهنا استقصاؤها . فنذكر بعض ما ورد فيها

فهي كلمة التقوى كما قال عمر وغيره من الصحابة

وهي كلمة الاخلاص، وشهادة الحق، ودعوة الحق، وبراءة من الشرك، ونجاة العبد ، ورأس هذا الامر ، ولأجلها خلق الخلق، كما قال تعالى (وما خلقت الجن

والانس إلا ليعبدون) ولاجلها ارسلت الرسل وأنزلت الكتب كما قال الله تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي اليه أن لا إله إلا انا فاعبدون) وقال تعالى (ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده ان انذروا أنه لا إله إلا أنا)

وهذه الآية أول ما عدد الله على عباده من النعم في سورة النعم التي تسمى سورة النحل ولهذا قال ابن عيينة: ما أنعم الله على عبد من العباد نعمة أعظم من أن عرفه لا اله الا الله ، وإن لا اله الا الله لأهل الجنة كالماء البارد لأهل الدنيا، ولأجلها أعدت دار الثواب ودار العقاب، ولأجلها أمرت الرسل بالجهاد، فمن قالها عصم ماله ودمه ، ومن أباها فماله ودمه حلال

وهي مفتاح دعوة الرسل ، وبها كلم الله موسى كفاحا(١) وفي مسند البزار وغيره عن عياض بن حمار الانصار عن النبي ﷺ قال «ان لا اله الا الله كلمة حق على كريم ولها من الله مكان »

وهي كلمة جمعت وشركت . فمن قالها صادقا أدخله الله الجنة، ومن قالها كاذبا احرزت ماله وحقنت دمه ولقي الله فيحاسبه

وهي مفتاح الجنة وهي ثمن الجنة كما تقدم قاله الحسن، وجاء مرفوعا من وجوه ضعيفة، ومن كانت آخر كلامه دخل الجنة وهي نجاة من النار، وسمع النبي ﷺ مؤذنا يقول اشهد ان لا اله الا الله فقال «خرج من النار» خرجه مسلم

وهي توجب المغفرة. في المسند عن شداد بن اوس وعبادة بن الصامت ان النبي ﷺ قل لاصحابه يوما « ارفعوا ايديكم وقولوا لا اله الا الله» فرفعنا ايدينا ساعة ثم وضع رسول الله ﷺ يده ثم قال «الحمد لله اللهم بعثتني بهذه الكلمة وامرتني بها ووعدتني الجنة عليها وانك لا تخلف الميعاد ــ ثم قال ــ ابشروا فان الله قد غفر لكم»(٢)

وهي احسن الحسنات قال ابوذر قلت : يارسول الله، علمني عملا يقربني من

---

(١) أي بغير واسطة ولا حجاب (٢) هذا حديث متكلم فيه بالضعف الشديد

الجنة ويباعدني من النار، فقال «اذا عملت سيئة فاعمل حسنة فانها عشر أمثالها» قلت: يارسول الله، لااله الا الله من الحسنات؟ قال «هي احسن الحسنات وهي تمحو الذنوب والخطايا» وفي سنن ابن ماجه عن ام هانيء عن النبي ﷺ قال «لا إله الا الله لاتترك ذنبا ولا يسبقها عمل»

رؤي بعض السلف بعد موته في المنام فسئل عن حاله فقال ما ابقت لا اله الا الله شيئا وهي تجدد مادرس من الايمان في القلب، وفي المسند ان النبي ﷺ قال لاصحابه «جددوا ايمانكم» قالوا كيف نجدد ايماننا يارسول الله؟ قال «قولوا لا إله الا الله»

وهي التي لايعدلها شيء في الوزن فلو وزنت بالسموات والارض لرجحت بهن، كما في المسند عن عبدالله بن عمر عن النبي ﷺ «ان نوحا عليه السلام قال لابنه عند موته: آمرك بلا إله الا الله فان السموات والارضين السبع لو وضعت في كفة ووضعت لا إله الا الله في كفة رجحت بهن لا إله الا الله، ولو ان السموات السبع والارضين السبع كن حلقة مبهمة فصمتهن لا إله الا الله» وفيه ايضاً عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ «ان موسى عليه السلام قال يارب علمني شيئا اذكرك وادعوك به، قال ياموسى قل لا إله الا الله، فقال يارب، كل عبادك يقولون هذا، قال قل لا إله الا الله، فقال لا إله الا انت، انما اريد شيئا تخصني به، قال ياموسى لو ان السموات السبع وعامرهن غيري والارضين السبع في كفة ولا إله الا الله في كفة مالت بهن لا إله الا الله»

وكذلك ترجح بصحائف الذنوب كما في حديث السجلات والبطاقة، وقد اخرجه احمد والنسائي والترمذي ايضا من حديث عبدالله بن عمرو عن النبي ﷺ

وهي التي تخرق الحجب كلها حتى تصل الى الله عز وجل، وفي الترمذي عن عبدالله ابن عمرو عن النبي ﷺ قال «لا اله الا الله ليس لها دون الله حجاب حتى تصل اليه» وفيه ايضا عن ابي هريرة عن النبي ﷺ «ماقال عبد لا اله الا الله مخلصا الا فتحت

له ابواب السماء حتى تفضي الى العرش ماجتنبت الكبائر» ويروى عن عباس مرفوعا «مامن شيء الا بينه وبين الله حجاب الاقول لااله الاالله كما ان شفتيك لاتحجبها كذلك لايحجبها شيء حتى تنتهي الى الله عز وجل» وقال ابو امامة مامن عبد يهلل تهليلة فينهنهها(١) شيء دون العرش

وهي التي ينظر الله إلى قائلها ويجيب دعاءه، خرج النسائي في كتاب اليوم والليلة من حديث رجلين من الصحابة عن النبي ﷺ «من قال لا إله إلا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير مخلصا بها روحه، مصدقا بها لسانه، الا فتق الله له السماء فتقا حتى ينظر إلى قائلها من أهل الارض، وحق لعبد نظر الله اليه أن يعطيه سؤاله»

وهي الكلمة التي يصدق الله قائلها كما خرج النسائي والترمذي وابن حبان من حديث أبي هريرة وأبي سعيد عن النبي ﷺ قال «اذا قال العبد لا اله الا الله والله أكبر، صدقه ربه وقال لااله إلا أنا وأنا أكبر، وإذا قال لاإله الا الله وحده، يقول الله لاإله الا أنا وحدي، واذا قال لا إله الا الله وحده لاشريك له، قال لا إله الا أنا وحدي لاشريك لي، واذا قل لااله الا الله وحده لاشريك له، له الملك وله الحمد. قال الله لاإله الا أنا لي الملك ولي الحمد، واذا قال لاإله الا الله ولا حول ولا قوة الا بالله، قال الله لا اله الا أنا لا حول ولا قوة الا بي، وكان يقول« من قالها في مرضه ثم مات لم تطعمه النار»

وهي أفضل ماقاله النبيون كما ورد ذلك في دعاء يوم عرفة. وهي أفضل الذكر كما في حديث جابر المرفوع «أفضل الذكر لاإله الاالله»

وعن ابن عباس قال: أحب كلمة الى الله «لااله الاالله» لايقبل الله عملا الا بها وهي

---

(١) في النهاية: في حديث وائل «لقد ابتدرها اثنا عشر ملكا فما نهنهها شيء دون العرش» اى ما منعها وكفها عن الوصول اليه اه

أفضل الاعمال وأكثرها تضعيفا، وتعدل عتق الرقاب، وتكون حرزاً من الشيطان كما في الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي ﷺ « من قال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في كل يوم مائة مرة، كانت له عدل عشر رقاب، وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة، وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به، الا رجل عمل أكثر منه يوم ذلك » وفيهما أيضا عن أبي أيوب عن النبي ﷺ « من قالها عشر مرات كان كمن أعتق أربعة أنفس من ولد اسماعيل »

وفي الترمذي عن عمر مرفوعا « من قالها اذا دخل السوق حتى يمسي - وزاد فيها - يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير كتب الله له الف الف حسنة ومحا عنه الف الف سيئة، ورفع له الف الف درجة - وفي رواية - وبني له بيتا في الجنة » (١)

ومن فضائلها انها أمان من وحشة القبر وهول المحشر، كما في المسند وغيره عن النبي ﷺ قال « ليس على أهل لا اله الا الله وحشة في قبورهم ولا في نشورهم، وكأني باهل لا اله الا الله قد قاموا ينفضون التراب عن رؤوسهم ويقولون: الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن » وفي حديث مرسل من رواية علي كرم الله وجهه « من قال لا اله الا الله الملك الحق المبين، كل يوم مائة مرة، كان له أمان من الفقر، وأنس من وحشة القبر، واستجلب به الغنى، واستقرع به باب الجنة »

وهي شعار المؤمنين اذا قاموا من قبورهم .

---

(١) رواه الترمذى من طريق أزهر بن سنان وهو ضعيف وأنكروه عليه وضعفه به علي ابن المديني جداً . ومن طريق عمرو بن دينار البصري قهرمان آل الزبير وهو ضعيف يروي المنكرات عن الثقات بل يروي الموضوعات أيضا وقد أنكروه عليه . ومثل هذه المبالغة في الثواب الكثير على العمل اليسير من علامات وضع الحديث

قال النضر بن عربي: بلغني ان الناس اذا قاموا من قبرهم كان شعارهم لا اله الا الله وقد خرج الطبراني مرفوعا « ان شعار هذه الامة على الصراط لا اله الا أنت ».

ومن فضائلها انها تفتح لقائلها أبواب الجنة الثمانية يدخل من ايها شاء كما في حديث عمر عن النبي ﷺ فيمن اتى بالشهادتين بعد الوضوء. وقد خرجه مسلم، وفي الصحيحين عن عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ «من قال اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمداً عبده ورسوله، وان عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه، وان الجنة حق والنار حق، وان الله يبعث من في القبور، فتحت له ثمانية ابواب الجنة يدخل من أيها شاء» وفي حديث عبد الرحمن ابن سمرة عن النبي ﷺ في قصة منامه الطويل وفيه « رأيت رجلا من أمتي انتهى الى ابواب الجنة فاغلقت الابواب دونه فجاءته شهادة ان لا اله الا الله ففتحت له الابواب وادخلته الجنة»

ومن فضائلها ان اهلها وان دخلوا النار بتقصيرهم في حقوقها فانهم لابد ان يخرجوا منها. وفي الصحيحين عن انس عن النبي ﷺ « يقول الله عز وجل: وعزتي وجلالي وكبريائي وعظمتي لاخرجن منها من قال لا اله الا الله» وخرج الطبراني عن انس عن النبي ﷺ قال « ان اناسا من اهل لا اله الا الله يدخلون النار بذنوبهم، فيقول لهم اهل اللات والعزى ما اغنى عنكم قول لا اله الا الله فيغضب الله لهم فيخرجهم من النار ويدخلهم الجنة »ومن كان في سخطه محسنا فكيف يكون اذا مارضي؟ لا يسوي بين من وحده وان قصر في حقوق توحيده. وبين من اشرك به،

قال بعض السلف: كان ابراهيم عليه السلام يقول في دعائه « اللهم لا تشرك من كان يشرك بك، بمن كان لا يشرك بك. كان بعض السلف يقول في دعائه: اللهم انك قلت عن اهل النار انهم: أقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت ونحن نقسم بالله جهد ايماننا ليبعثن الله من يموت اللهم لا تجمع بين اهل القسمين في دار واحدة

كان ابو سليمان يقول: ان طالبني ببخلي طالبته بجوده ، وان طالبني بذنوبي طالبته بعفوه، وان ادخلني النار اخبرت اهل النار اني كنت احبه ، ما اطيب وصله وما اعذبه ، ما اثقل هجره وما اصعبه ، في السخط والرضى فما أهيبه ، القلب يحبه وان عذبه . انتهى كلام الحافظ بن رجب ملخصا

فتأمل رحمك الله قوله فتحقيقه بقول لا إله إلا الله ان لا يأله القلب غير الله الى آخره . وقوله وتحققه بأن محمداً رسول الله أن لا يعبد الله بغير ما شرعه على لسان محمد ﷺ الخ ٠ وقوله : وتحقيق هذا المعنى وإيضاحه أن قول العبد لا إله إلا الله يقتضي أنه لا إله غير الله الي آخره . وقوله : وقد ورد اطلاق الاله على الهوى المتبع الخ . وقوله: قول لا إله إلا الله يقتضي أن لا يحب سواه الخ . وقوله: ومن هنا يعلم أنه لا يتم شهادة أن لا إله إلا الله إلا شهادة أن محمداً رسول الله الى آخره وهذه من متممات لا إله إلا الله وغير ذلك مما يتعلق بلا إله إلا الله، فانه إنما يبرز بتأمله لأن له تعلقا بما نحن بصدده والله أعلم

فهذا ما فتح الله به ويسره من فضله من الكلام على عشرة الافصاص على كلمة الاخلاص ، جمعه ولخصه فقير ربه الملتجيء الي عفوه ومغفرته سعيد ابن حجي الحنبلي النجدي قدس الله روحه ونور ضريحه آمين

انتهى

طبع هذا عن نسخة حسنة الخط ، قليلة التحريف والغلط ، أخذها الاستاذ الشيخ حامد الفقي المصري من العلامة الشهير الشيخ عبدالله بن بليهد النجدي وقد كتب ناسخها في آخرها مانصه

وافق الفراغ من كتابة هذه النسخة صبيحة الجمعة في يوم تسع وعشرين من ربيع الأول من شهور سنة ١٢٩٩ الف ومايتين وتسع وتسعين على يد المفتقر الى كرم الله صالح بن سالم بن محسن بن شيبان غفر الله له ولوالديه ولمشائخه ولجميع المسلمين آمين

ويلي هذا الرسالة الآتية للمؤلف

حكم التزام مذهب معين

(والانتقال من مذهب الى آخر)

رسالة من الشيخ سعيد بن حجي الحنبلي النجدي، الى الشيخ محمد بن احمد الحفظي الشافعي التهامي ـ هي جواب سؤال

(السؤال) ماقول العلماء رحمهم الله فيمن التزم مذهباً . هل له الانتقال عنه الى غيره أم لا ؟

(الجواب) قال شيخ الاسلام احمد بن تيمية في الفتاوي المصرية :

واذا كان الرجل متبعاً لابي حنيفة أو لمالك أو الشافعي أو احمد ورأى في بعض المسائل أن مذهب غيره أقوى فاتبعه كان قد أحسن في ذلك ولم يقدح ذلك في دينه ولا عدالته بلا نزاع ، بل هذا أولى بالحق وأحب الى الله ورسوله ممن يتعصب لواحد معين غير النبي ﷺ. كمن يتعصب لابي حنيفة أو لمالك أو الشافعي أو أحمد ويرى أن قول هذا المعين هو الصواب الذي ينبغي اتباعه دون الامام الذي خالفه. فمن فعل هذا كان جاهلا بل قد يكون كافرا . انتهى

وقال في الاقناع وشرحه : ولزوم التمذهب بمذهب وامتناع الانتقال الى غيره الاشهر عدمه ، قال الشيخ تقي الدين بن تيمية العامي، هل عليه أن يلتزم مذهبا معيناً يأخذ بعزائمه ورخصه؟ فيه وجهان لأصحاب أحمد، وهما وجهان لاصحاب الشافعي والجمهور من هؤلاء وهؤلاء لا يوجبون ذلك، والذين يوجبون يقولون اذا التزمه لم يكن له أن يخرج عنه مادام ملتزماً له ، أو مالم يتبين له أن غيره أولى بالالتزام منه

ولا ريب أن التزام المذاهب والخروج عنها ان كان لغير أمر ديني ، مثل أن يلتمس مذهباً لحصول غرض دنيوي من مال أو جاه أو نحو ذلك فهذا مما لا يحمد عليه بل يذم عليه في نفس الامر، ولو كان ما انتقل اليه خيرا مما انتقل عنه وهو

بمنزلة من يسلم لا يسلم الا لغرض دنيوي والمهاجر من مكة الى المدينة لامرأة يتزوجها أو دنيا يصيبها قال واما ان كان انتقاله من مذهب الى مذهب لامر ديني فهو مثاب على ذلك بل واجب على كل واحد اذا تبين له حكم الله ورسوله في امر ان لا يعدل عنه ولا يتبع احدا في مخالفة الله ورسوله فان الله فرض طاعة رسوله على كل احد في كل حال انتهى

وفي الرعاية: من التزم مذهبا انكر عليه مخالفته بلا دليل ولا تقليد سائغ ولا عذر.

ومراده بقوله بلا دليل اذا كان من اهل الاجتهاد ، وقوله ولا تقليد سائغ اي لعالم افتاه اذا لم يكن اهلا للاجتهاد، وقوله ولا عذر اي يبيح له مافعله فينكر عليه لانه يكون متبعا لهواه

وقال في موضع آخر يلزم كل مقلد ان يلتزم بمذهب معين في الاشهر ولا يقلد غيره ، وقيل بلى وقيل لضرورة ، انتهى كلام صاحب الاقناع وشرحه بلفظه

وقال في الانصاف في (كتاب القضاء) وقال الشيخ تقي الدين : من أوجب تقليد امام بعينه استتيب فان تاب والا قتل (١) وإن قال ينبغي كان جاهلا ضالا ومن كان متبعا لامام فخالفه لقوة الدليل أو لكون أحدهما أعلم أو أتقى فقد أحسن ولم يقدح في عدالته بلا نزاع ، وقال في هذه الحال يجوز تقليد من اتصف بذلك عند أئمة الاسلام وقال بل يجب انتهى

ومن قول الشافعي وقواعده إذا صح الحديث فهو مذهبي - وفي لفظ - فاضربوا بقولي الحائط - وفي رواية عنه - إذا رأيتم عن النبي ﷺ الثبت فاضربوا على قولي وارجعوا إلى الحديث انتهى نقلته من كتاب الآداب

فقد علم السائل أن من كان متبعا مذهبا من المذاهب الاربعة ورأى الحق مع غيره فاتبعه انه محسن ، ولا يقدح فى عدالته - لاسيما ان كان مع الغير نص أو اجماع أو قول صحابي بشرطه أو جمهور العلماء والله أعلم ،

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿ تم الكتاب ﴾

---

(١) أي لان هذا الايجاب إشراك بالله فى التشريع الذي هو من خصائصه بنص قوله تعالى (أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله)

فهرس

مجموعة

الرسائل والمسائل النجدية

الجزء الرابع

من مطبوعات صاحب الجلالة السعودية، ومحيي السنة المحمدية

الإمام عبد العزيز آل سعود

ملك الحجاز ونجد وملحقاتها

أيده الله بروح منه وأدام توفيقه ونصره

(وقد وقفها على من ينتفع بها من أهل العلم والدين)

لا يحل لمن وقعت بيده بيعها

مطبعة المنار بمصر

﴿ فهرس الجزء الرابع من مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ﴾

(رسائل الشيخ محمد بن عبد الوهاب)

﴿ رسائل الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ﴾

﴿ جواب أهل السنة في نقض كلام الشيعة والزيدية ٤٧ — ٢٢٢ ﴾

﴿ بيان المحجة في الرد على اللاجة ﴾

(وبيان مافي البردة وكلام بعض الشعراء من الغلو والخروج عن الدين)

(للشيخ عبدالرحمن بن الشيخ حسن بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ٢٢٣ـ٢٨٨)

﴿ المورد العذب الزلال في كشف شبه أهل الضلال ﴾

﴿ ورد مفتريات رجل من أهل الخرج ﴾

(للشيخ عبد الرحمن بن حسن)

﴿ بيان كلمة التوحيد والرد على الكشميري عبد المحمود ﴾

(للشيخ عبدالرحمن بن حسن ٣٢٠ـ٣٦٤)

﴿ مسائل وفتاوى للشيخ عبد الرحمن بن حسن ﴾

﴿ مسائل سئل عنها الشيخ عبدالله أبا بطين ﴾

﴿ نصائح وفتاوى للشيخ عبد الرحمن بن حسن ٤٠٤ـ٤٣٠ ﴾

(بعض رسائل الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن)

﴿ فتاوى ومسائل فقهية ﴾

النبذة الشريفة النفيسة في الرد على القبوريين

﴿ للعلامة الشيخ حمد بن ناصر ـ من ٥٩١ ـ ٦٥٩ ﴾

(تنزيه الذات والصفات ، من درن الالحاد والشبهات)

(لبعض علماء نجد)

﴿ مسائل وفتاوى أخرى لبعض علماء نجد ﴾

(الكلام المنتقى فيما يتعلق بكلمة التقوى)

للشيخ سعيد بن حجي ٨٤٠_٨٧٤

(رسالة في حكم التزام مذهب معين في الفروع)

(للشيخ سعيد بن حجي ٨٧٥ _ ٨٧٦)

تم الفهرس والحمد لله